

الحائز للسعاح

بين
البداي والمراجع

الجزء الأول

الْجَزَاءُ السَّوَالِجُ

بَيْنَ
الْبَادِيِّ وَالْمُرَاجِعِ

تَأْلِيفُ

خَلِيلُ بْنُ أَبِي الصَّفْدِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٦٤ هـ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

عَمِيَّ بِتَحْقِيقِهِ
إِبْرَاهِيمُ صَالِحٌ

دَارُ الْبَشَائِرِ

العنوان : ألحان السواجع بين البادى والمراجع

الجزء الأول

تأليف : خليل بن أبيك الصفدي

تحقيق : إبراهيم صالح

عدد الصفحات : ٤٤٠ صفحة

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

التنضيد والإخراج : زياد ديب السروجي

المطبعة : المطبعة الدمشقية

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي
والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن
خطي من:



دَارُ الْبَشَائِرِ

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع ٢٩ أيار - جادة كرجة حداد

هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ - ٢٣١٦٦٦٩

ص. ب ٤٩٢٦ سورية - فاكس ٢٣١٦١٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتب والدراسات التي تصدرها
الدار لا تعني بالضرورة تبني
الأفكار الواردة فيها؛ وهي تعبر عن
آراء واجتهادات أصحابها.

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه وتابعيه .

وبعد :

المؤلف (١) :

هو الإمام البارع ، الأديب المفتي ، القاضي (٢) ، صلاح الدين (٣) ، أبو الصفاء ، خليل بن الأمير عز الدين أيتك (٤) بن عبد الله ، الألبكي (٥) ،

(١) ترجمته في : المعجم المختص للذهبي ٩١ وذيل العبر للحسيني ٣٦٤ وطبقات الشافعية الكبرى للشبكي ٥/١٠ والبداية والنهاية لابن كثير ٦٨٠/١٨ ووفيات ابن رافع ٣٨٦ وذاكرة النيه لابن حبيب ٢٦٨/٣ والمتقى من درة الأسلاك ٣٥٣ والنذيل على العبر للعراقي ١٣٤/١ ونعريف ذوي العلا للفتي الفاسي ١٤١ والمتقى الكبير للمقريزي ٧٦٧/٣ والشلوكة ٨٧/٢/٣ ودرر العقود الفريدة ٧٧/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢٢٧/٢ وطبقات الشافعية له ١١٩/٣ والثغر الكاشفة لابن حجر ٨٧/٣ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٩/١١ والمنهل الصافي ٢٤١/٥ والنذيل الشافي ٢٩٠/١ والنذيل التام للشحراوي ٢٠٠/١ وشذرات الذهب لابن العماد ٣٤٣/٨ واليد الطالع للشوكاني ٢٤٣/١ .

(٢) لفظة القاضي ، من ذيل العبر للحسيني . وفي وفيات ابن رافع : الفارسي . تحريف . إذ ليس الصفتي فارسي الأصل ، بل هو تركي من أبناء الأجناد ، واسم أبيه خليل واضح على ذلك ، فأتيك بالتركية تعني : السيد الفخر .

(٣) عرف في بداية أمره بلقب غرس الدين ، ثم تلقب بصلاح الدين ، وفي هذا الكتاب مراسلات عديدة خوطب فيها بلقب غرس الدين ، شعراً ونثراً ، ووثقنا ألف منه فيما بعد فقتره إلى فلان الدين .

(٤) النجوم الزاهرة ، والمتقى من درة الأسلاك .

(٥) قال الذهبي في المعجم المختص : من موالى الأمير الكبير فارس الدين الألبكي .

وهو الأمير فارس الدين الألبكي التركي الظاهري . من كبار الأمراء ومشجعائهم ، ولأه الملك المنصور

ولاية صفد ، فأقام بها عشرة أعوام ، ثم جرت له أمور ، فتوفي بجمص سنة ٧٠٢ هـ . (الوافي =



٩٠٧٤١
صفد
١٤٠٦



الصَّفْدِيُّ ، الشَّافِعِيُّ .

وُلِدَ فِي صَفَدٍ ، سَنَةَ سِتٍّ وَتَسْعِينَ وَسِتِّمِئَةَ ، وَقِيلَ : سَبْعٍ وَتَسْعِينَ وَسِتِّمِئَةَ^(١) .

حَفِظَ الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ فِي صِغَرِهِ^(٢) ، وَلَمْ يُمْكِنَهُ أَبَوُهُ مِنَ الْإِشْتَغَالِ بِالْعِلْمِ حَتَّى اسْتَوْفَى عَشْرِينَ سَنَةً^(٣) ؛ تَعَانَى خِلَالَهَا الرَّسْمَ فَمَهَرَ فِيهِ ، وَكَتَبَ الْخَطَّ الْمُنْسُوبَ^(٤) .

ثُمَّ طَلَبَ الْعِلْمَ بِنَفْسِهِ ، فَقَرَأَ عَلَى عُلَمَاءِ عَصَرِهِ ، وَطَافَ مَعَ الطُّلَبَةِ ، وَكَتَبَ الطُّبَاقَ ؛ فَسَمِعَ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ مِنْ يُونُسَ الدُّبُوسِيِّ بِالْقَاهِرَةِ ، وَبَدَمَشَقَ مِنَ الْمِزِّيِّ وَالبُنْدِينَجِيِّ وَغَيْرِهِمَا .

وَبَرَعَ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَحُبَّبَ إِلَيْهِ الْأَدَبُ فَوَلَعَ بِهِ ، وَقَالَ الشُّعْرُ الْحَسَنَ ، ثُمَّ أَكْثَرَ جِدًّا مِنَ النَّظْمِ وَالتَّثَرُّعِ .

ثُمَّ انْخَرَطَ فِي الْوُظَائِفِ الرَّسْمِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ ، وَكَانَتْ تَدُورُ خِلَالَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رِجَالَاتِ عَصَرِهِ - عُلَمَاءَ وَأُدْبَاءَ - مَكَاتِبَاتٍ وَمِرَاسِلَاتٍ ، عَلَيْهَا مَدَارُ كِتَابِنَا هَذَا - « أَلْحَانُ السَّوَاجِعِ » .

وَتَصَدَّى لِرَوَايَةِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فِي الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدَمَشَقَ ، فَسَمِعَ مِنْهُ بَعْضُ أَشْيَاخِهِ ، كَالذَّهَبِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ وَالْحُسَيْنِيِّ ، حَتَّى قَالَ الذَّهَبِيُّ : سَمِعَ مِنِّي ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ^(٥) .

= بِالْوُفَايَاتِ ٣٥١/٩ .

(١) فِي الْمَقْفَى الْكَبِيرِ : سَنَةَ ٦٩٠ هـ . قَالَ الصَّفْدِيُّ : [التَّرْجُمَةُ ١٠٦ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ] :

فِي عِيَامِ سَنَتِهِ بَعْدَ تَمَعِينِ السَّنَةِ بَعْدَ الْبَيْتِ السَّنَةِ قَلْبُ مَوْلَانِي وَتَشَأْتُ حَيْثُ وُلِدْتُ فِي صَفَدٍ وَمَا قَلِدْتُ غَيْرَ الشَّافِعِيِّ مُحَمَّدٍ

(٢) الْمَنْهَلُ الصَّانِي .

(٣) الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ .

(٤) الْمَعْجَمُ الْمَخْتَصَرُ .

وَيَسْتَفَادُ مِنْ اسْتِقْرَاءِ تَوَارِيخِ الرِّسَالِ الْمَتَبَادَلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ الْمَذْكُورِينَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، أَنَّهُ وَلِيَ كِتَابَةَ الدَّرَجِ بِصَفَدٍ سَنَةَ ٧١٦ وَحَتَّى سَنَةَ ٧٢٣ ، دَخَلَ خِلَالَهَا دَمَشَقَ سَنَةَ ٧١٨ .

ثُمَّ عَمِلَ فِي دَمَشَقَ حَتَّى بَدَايَةِ ٧٢٤ فَعَادَ إِلَى صَفَدٍ ، وَمَرَضَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ .

وَفِي سَنَةِ ٧٢٧ نَرَاهُ يَنْتَقِلُ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَيَبْقَى فِيهَا حَتَّى بَدَايَةِ سَنَةِ ٧٢٩ ، حَيْثُ يَنْتَقِلُ إِلَى الرَّحْبَةِ^(١) ، لِيَكُونَ مَوْقِعًا لِلدَّسْتِ وَكَاتِبًا لِلسَّرِّ فِيهَا .

وَكَانَ الَّذِي رَشَّحَهُ لِهَذَا الْعَمَلِ هُنَاكَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَلْمَانَ ابْنَ فَهْدٍ ؛ وَكَانَ الصَّفْدِيُّ مُسْتَاءً مِنْ وَجُودِهِ فِي الرَّحْبَةِ ، حَيْثُ لَا أَصْحَابَ وَلَا أَصْدِقَاءَ وَلَا فَضْلَاءَ ؛ وَكَانَ يَتَشَوَّقُ كَثِيرًا إِلَى مِصْرَ .

وَفِي عَامِ ٧٣١ عَادَ مِنَ الرَّحْبَةِ إِلَى دَمَشَقَ ، وَتَوَجَّهَ فِي ٧٣٢ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَبَقِيَ فِيهَا سَنَةً ثُمَّ عَادَ إِلَى صَفَدٍ ؛ فَبَقِيَ فِيهَا حَتَّى ٧٣٦ لِيَعُودَ إِلَى الْقَاهِرَةِ .

ثُمَّ يَنْتَقِلُ سَنَةَ ٧٣٩ إِلَى دَمَشَقَ ، فَيَسْتَقَرُّ فِيهَا حَتَّى سَنَةِ ٧٤٥ حَيْثُ يُطْلَبُ إِلَى الْقَاهِرَةِ .

وَفِي أَوَائِلِ سَنَةِ ٧٤٦ عَادَ إِلَى دَمَشَقَ فَحَفِظَ فِيهَا عَصَا التَّرَحُّالِ ؛ وَوُلِدَ لَهُ فِيهَا سَنَةَ ٧٥٣ وَلَدٌ ذَكَرَ فِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ ٢٩ صَفَرٍ ، أَسْمَاهُ مُحَمَّدًا ، وَكَتَّاهُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَقَّبَهُ تَاجَ الدِّينِ .

وَفِي شَوَّالِ سَنَةِ ٧٥٦ جَلَسَ فِي تَوْفِيعِ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ ، فَبَقِيَ فِيهَا حَتَّى وَلِيَ كَاتِبًا لِلسَّرِّ بِحَلَبَ سَنَةَ ٧٥٩ فَانْتَقَلَ إِلَيْهَا .

(١) الرَّحْبَةُ : أَوْ رَحْبَةُ مَالِكِ بْنِ طَرِيقِ التَّغْلَبِيِّ ، وَتَقَعُ أَطْلَالُهَا الْيَوْمَ قَرِيبًا مِنْ مَدِينَةِ الْمَيَّادِينَ فِي مَحَافِظَةِ دَيْرِ الزُّوَرِ بِسُورِيَةِ .

قال ابن حبيب^(١) : لَمَّا تَوَفَّى أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ شَهَابِ الدِّينِ أَبِي الثَّنَاءِ محمود بن سلمان الحلبي ، صاحب ديوان الإنشاء بحلب سنة ٧٦٠ ولي عوضه صلاح الدين الصفدي في أوائل سنة ٧٦١ وبأشر مدة يسيرة .

وقال^(١) : في أوائل رمضان سنة ٧٦١ بأشر الصفدي صحابة ديوان الإنشاء بحلب ، عوضاً عن أبي إسحاق إبراهيم . . . واستقرّ بالوظيفة شهوراً ، ثم عُزِلَ ونقل إلى دمشق مباشراً وكالة بيت المال فيها .

وفي سنة ٧٦١ عاد إلى القاهرة ليتسلم رسمياً قرار تعيينه وكيلاً لبيت المال بدمشق .

واستمرّ في منصبه هذا بدمشق حتى وافاه الأجل في عاشر شوال من سنة ٧٦٤ هـ^(٢) بالطاعون ، ودفن في مقبرة الصوفيّة^(٣) .

وهكذا نرى أن حياة الصفدي لم تكن مستقرّة ، بل كان دائم الانتقال بين خمس مدن ، هي صفد ، والقاهرة ، ودمشق ، وحلب ، والرّحبة ؛ وما يقع على طريقها كحمص وحماة والعريش وغزّة ، يمرّ بها ، أو قد يستقبل بها مسؤولاً ، كما حدث سنة ٧٦١ حين زار حماة لتلقّي النائب الجديد .

* * *

أقوال العلماء فيه :

● قال الذهبي في « المعجم المختص » : الإمام العالم ، الأديب البليغ الأكمل ، طلب العلم ، وشارك في الفضائل ، وساد في علم الرّسائل ، وقرأ الحديث ، وكتب المنسوب ، وجمع وصنّف ، والله يمدّه بتوفيقه ؛ سمع مني

(١) تذكرة النبيه ٢٢٧/٣ و٢٣٤ .

(٢) في المقفّي الكبير : مات ليلة عاشوراء ١١١٠ .

(٣) مقبرة الصوفية كانت تقع مكان مشافي كلية الطّب ، جنوبي التكيّة السليمانية .

وسمعت منه .

● وقال الحسيني في « ذيل العبر » : شيخنا القاضي الأديب ، كان من بقايا الرّؤساء الأخيار .

وقال في « معجمه »^(١) : وإليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشّيم .

● وقال تاج الدّين السّبكي في « طبقاته » : الإمام الأديب ، النّاطم النّائر ، أديب العصر ؛ كانت بيني وبينه صداقة منذ كنت صغيراً^(٢) ، فإنّه كان يتردّد إلى والدي ، فصحبته ، ولم يزل لي مصاحباً إلى أن قضى نَجْبَهُ ؛ وكنت قد ساعدته آخر عمره ، فولّي كتابة الدّست بدمشق ، ثم ساعدته فولّي كتابة السّرّ بحلب ، ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الدّست ، واستمرّ بها إلى أن مات بالطّاعون .

كنت أصحبه منذ كنت دون سنّ البلوغ ، وكان يُكاتِبني وأُكاتبه ، وبه رغبت في الأدب ، فربّما وقع لي شعر ركيك من نظم الصّبيان ، فكتبه هو عني إذ ذاك^(٣) .

● وقال ابن حبيب في « تذكرة النبيه » : كان عالماً فاضلاً ، كاتباً مُجيداً ، رئيساً جليلاً ، إماماً في معرفة الأدب ، رأساً في صناعة الإنشاء ، بارعاً في النّظم والنّثر .

● وقال في « دُرّة الأسلاك » : إمام زخريّم براعته ، وتطق بالصّواب

(١) تاريخ ابن قاضي شهبة ٢٢٨/٢ والدور الكامة .

(٢) ولادة تاج الدّين السّبكي سنة ٧٢٧ هـ . فينهما عن العمر أكثر من ثلاثين سنة .

(٣) ثم ذكر مراسلة بينهما ، هي في كتابنا هذا ، وتاريخها شهر ربيع الأول سنة ٧٦٤ . أي سنة وفاة الصفدي ، فلعلّها من أواخر ما كتبه . بينما تجد تاريخ الرّسالة في طبقات الشافعية ٧٦٣ . والله أعلم .

لسانُ براعته ، وفاضل جَلِيت عن أيسر أدبه ، وظهرت نفائس رسائله وكتبه ؛ كان حسن المحاضرة والأخلاق ، معدوداً من الحفاظ والحدّاق ، رُحلةً لذوي الطُّلب ، وقُدوةً في فنون الأدب ، رأساً في صناعة الإنشاء وأحكامها ، ماهراً في تنضيد عقود القريض ونظامها .

● وقال المقرئ في « المقفى الكبير » : وكان إماماً أديباً ، له همّة عالية في التّحصيل ؛ إذا صنّف كتاباً راجع أهل العلم ، فيما يحتاج إليه فيه من موادّ العلم .

● وقال ابن قاضي شُهبة : قال بعضهم : ولولا ثقل في سمعه ، لَوُلِّي كتابة السّرّ بالشّام .

● وقال ابن حجر : وكان محبباً إلى النَّاس ، حسن المعاشرة ، جميل المودّة ؛ وكان في الآخر ثقل سمعه .

* * *

مؤلفاته :

● في « طبقات الشُّبكي » : قال الصَّفدي : وكتبْتُ بيدي ما يقارب خمسمئة مجلّد .

قال : ولعلّ الذي كتبْتُ في ديوان الإنشاء ضِعفاً ذلك .

● وفي « تاريخ ابن قاضي شُهبة » : قال ابن أَيْدُغُدي في « معجمه » : قال لي صلاح الدّين الصَّفدي : إنّه كتب بخطّه أزيد من ثمانمئة مجلّدة .

● وقال الشُّبكي : صنّف الكثير في التّاريخ والأدب ؛ قال لي : إنّه كتب أزيد من ستمئة مجلّد تصنيفاً .

● وقال ابن كثير : كتب ما يُقارب مئتين من المجلّدات .

● وذكر الصَّفدي في « ترجمته لنفسه » أسماء مصنفاته ، وهي نحو الخمسين مصنفاً ، منها ما أكمله ، ومنها ما لم يكمله . « شذرات الذهب » . وأثماً ما ذكرته مصادر ترجمته من مؤلفاته ، فهي :

١٩- اختراع الخُراع ، في مخالفة النقل والطّباع : طبع بتحقيق الدكتور فاروق اسليم ؛ في اتّحاد الكتاب العرب بدمشق ، سنة ٢٠٠٠ م .

٢- أعيان العصر ، وأعوان النّصر : طبع بتحقيق الدكتور علي أبو زيد وزملائه ، في دار الفكر بدمشق ، سنة ١٩٩٨ م .

٣- الاقتصار على جواهر الشُّلك ، في الانتصار لابن سناء المُلْك : ذكره الأستاذ هلال ناجي في مقدّمة الكشف والتنبيه ، وذكر أنّ منه نسخة في بغداد .

٤- ألحان السّوّاجع بين البادية والمُراجع : وهو كتابنا هذا ، وسيأتي الحديث عنه .

٥- تُحقّة ذوي الألباب ، فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنُّوَّاب : طبع بتحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام ، في وزارة الثقافة بدمشق ١٩٩١-١٩٩٢ م . ثم أعيد طبعه في دار صادر ببيروت .

٦- ترجمته لنفسه : وهي في نحو كتراسين ؛ ذكر فيها مشايخه ، وعدّد مصنفاته ، وأنشد جملةً من منتخب شعره . (تاريخ ابن قاضي شُهبة ، وشذرات الذهب) . قال ابن قاضي شُهبة : ولقد لخصّتها في التّاريخ الكبير .

٧- التذكرة الصَّفديّة : تقع في ستّة وثلاثين جزءاً . منها نسخ من أجزاء متفرقة في مكتبات العالم .

٨- تصحيح النّصحيح ، وتحرير التّحريف : طبع بتحقيق السيّد الشّرقاوي ، في مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٧ م .

- ٩- تَمَامُ الْمُتُون ، في شرح رسالة ابن زيدون : طبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، في دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٦٩ م .
- ١٠- تَوْشِيحُ التَّوْشِيح : طبع بتحقيق ألبير مطلق ، في دار الثقافة ببيروت ١٩٦٦ م .
- ١١- جَزُّ الذَّيْلِ فِي أَوْصَافِ الْخَيْل .
- ١٢- جُلُوءُ الْمُحَاضِرَةِ فِي خُلُوءِ الْمَذَاكِرَةِ .
- ١٣- جَنَانُ الْجَنَاس : طبع في القسطنطينية ١٢٩٩ هـ . ثم طبع بتحقيق الأستاذ هلال ناجي في مجلة الذخائر ببيروت [ضمن العدد ٣ و ٤ سنة ٢٠٠٠ م] .
- ١٤- حَرَمُ الْمُدْحِ فِي تَهْذِيبِ لُحْمِ الْمُلْحِ لِلْحَظِيرِيِّ .
- ١٥- الْحَسَنُ الصَّرِيحُ فِي مِثَّةِ مَلِيح : طبع بتحقيق الدكتور أحمد فوزي الهيب ، في دار سعد الدين بدمشق ٢٠٠٣ م .
- ١٦- حَقِيقَةُ الْمَجَازِ إِلَى الْحِجَازِ .
- ١٧- حَلِّي النَّوَاهِد ، على ما في الصَّحاح من الشَّوَاهِد .
- ١٨- دِيْوَانُ شِعْرِهِ : سِيَائِي قَوْلِ ابْنِ تَغْرِي بَرْدِي فِيهِ .
- ١٩- رَشْفُ الرَّحِيقِ فِي وَصْفِ الْحَرِيقِ : أثبتتها ابن فضل الله العمري في ترجمته من مسالك الأبصار ، الجزء الثاني عشر [ص ٤٨٥ - ٤٩٤] (بتحقيقي) .
- ٢٠- رُمُوزُ الشَّجَرَةِ الثَّنَعَانِيَّةِ .
- ٢١- الرُّوْضُ الْبَاسِمُ ، وَالْعَرَفُ النَّاسِمُ .
- ٢٢- زَهْرُ الْخِمَائِلِ فِي ذِكْرِ الْأَوَائِلِ .
- ٢٣- الشُّعُورُ بِالْعُورِ : طبع بتحقيق الدكتور عبد الرزاق حسين ، في عمان ١٩٨٨ م .
- ٢٤- صَرَفُ الْعَيْنِ فِي وَصْفِ الْعَيْنِ .
- ٢٥- طَبَقَاتُ الثُّحَاةِ .

- ٢٦- طَرَازُ الْأَلْغَازِ .
- ٢٧- طَرْدُ السَّمْعِ عَنْ سَرْدِ السَّبْعِ .
- ٢٨- عِبْرَةُ اللَّيْبِ بِعَبْرِ الْكَيْبِ .
- ٢٩- غُرَّةُ الصُّبْحِ فِي اللَّعْبِ بِالرُّمَحِ .
- ٣٠- غَوَامِضُ الصَّحَاح : طبع بتحقيق الدكتور عبد الإله نبهان ، في معهد المخطوطات بالكويت ١٩٨٦ م .
- ٣١- الْغَيْثُ الَّذِي أَنْسَجَمَ ، فِي شَرْحِ لَامِيَّةِ الْعَجَم : مطبوع في القاهرة وبيروت .
- ٣٢- فَضُّ الْخَتَامِ ، عَنِ التَّوْرَةِ وَالِاسْتِحْدَامِ : طبع بتحقيق المحمدي عبد العزيز الحناوي ، بالقاهرة ١٩٧٩ م .
- ٣٣- الْفَضْلُ الْمَنِيفُ فِي الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ .
- ٣٤- قَهْرُ الْوُجُوهِ الْعَابِسَةِ ، بِذِكْرِ نَسَبِ الْجَرَاسَةِ : مطبوع في القاهرة ١٢٨٧ هـ و ١٣١٦ هـ .
- ٣٥- كَشْفُ الْحَالِ فِي وَصْفِ الْخَالِ : طبع بتحقيق (! ؟) سهام صللان ، في دار سعد الدين بدمشق ١٩٩٩ م .
- ٣٦- كَشْفُ السَّرِّ الْمُبْهَمِ ، فِي لُزُومِ مَا لَا يُلْزَمُ : نَوَاقِشُ رِسَالَةِ مَاجِسْتِيرِ فِي جَامِعَةِ دِمَشْقَ ، عَنْ نَسَخَةِ الظَّاهِرِيَّةِ .
- ٣٧- الْكَشْفُ وَالتَّنْبِيهُ ، عَلَى الْوَصْفِ وَالتَّشْبِيهِ : طبع بتحقيق الأستاذ هلال ناجي ، في دار الحكمة - بريطانيا ١٩٩٩ م .
- ٣٨- لَذَّةُ السَّمْعِ فِي وَصْفِ الدَّمْعِ : مطبوع في مطبعة الموسوعات ، بالقاهرة .
- ٣٩- الْمَثَانِي وَالْمَثَالُثُ .
- ٤٠- الْمَجَارَاةُ وَالْمَجَازَاةُ .

٤١- مختار شعر أبي تمام^(١) : قال في الوافي ٢٩٤/١١ : والذي أقوله أنا :
إنني اخترت شعر الاثنين [المتنبي وأبي تمام] فجاء مختار أبي تمام قريباً من
ثمانمئة بيت ، من جملة ثمانية آلاف بيت .

٤٢- المختار من شعر ابن دانيال : طبع بتحقيق محمد نايف الدليمي ،
بالموصل ١٩٧٩ م .

٤٣- مختار شعر المتنبي^(١) : قال في الوافي ٢٩٤/١١ : اخترت شعر
الاثنين [المتنبي وأبي تمام] فجاء مختار المتنبي ألفاً وستمئة بيت ، من
جملة ستة آلاف بيت .

٤٤- المقترح في المصطلح .
٤٥- منتخب شعر مجير الدين ابن تميم : طبع بتحقيق الأستاذ هلال ناجي
ود . ناظم رشيد ، في عالم الكتب - بيروت ١٩٩٩ م .

٤٦- نجد الفلاح في مختصر الصحاح .
٤٧- نجم الدياجي في نظم الأهاجي .

٤٨- نصرة الثائر على المثل السائر : طبع بتحقيق الدكتور محمد علي
سلطاني ، في مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢ م .

٤٩- نفائس الحماسة^(١) : قال في الوافي ٢٩٣/١١ عند ذكر حماسة أبي تمام :
وقد اخترت جيدها ، فكان ألف بيت ومئة بيت وثلاثة وعشرين بيتاً ؛ وسميت
ذلك نفائس الحماسة ، بعدما رُتبت كل باب منها على حروف المعجم .

٥٠- نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهري من الوهم .

٥١- نكت الهميان ، في نكت العميان : طبع بتحقيق أحمد زكي باشا ، في
المطبعة الجمالية بالقاهرة ١٩١١ م .

٥٢- الوافي بالوفيات : وهو أعظم كتبه ؛ طبع معظمه حتى الآن بإشراف جمعية

(١) لم يذكره أحد قبلي .

المستشرقين الألمان .

* * *

شعره :

● قال ابن تغري يردى في « المنهل الصافي » : وشعر الشيخ صلاح الدين
كثير ، وقضله عزيز .

وهو شاعرٌ مُجيدٌ ، على أنَّ جَيْدَهُ يَزِيدُ على رَدِيهِ ، ولولا أَنَّهُ كان ضَئيلاً
بنفسه ، راضياً بشعره ، لكان يندُرُ له الرَّدْيُ ، ويكثرُ منه الجَيْدُ .

فإنَّه كان غَوَاصاً على المعاني ، مبتكراً للثُكْتَةِ البديعة ، عارفاً بفُنون
الأدب .

لكن رأيتُ من نظمه بخطه ، عندما يعارضُ بعضَ مَنْ تَقَدَّمَ من مجيدي
الشُعراء ، في معنى من المعاني اللطيفة ، فيأخذُ ذلك المعنى أو الثُكْتَةَ ،
فينظمها في بيتين ، ويُجيدُ فيهما بحسب الحال ، ثم ينظم أيضاً في ذلك المعنى
بيتين آخر ، ثم بيتين ، ثم بيتين ، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى ، وهو
يقولُ : وقلتُ أنا ؛ إلى أن يَمْلَأَ النَّظْرُ ، وتَسَامَهُ النَّفْسُ ، وَيَمَجَّهَ السَّمْعُ .

فلو ترك ذلك ، وتحرَّى في قَرِيضِهِ ، لكان من الشُعراء المجيدين ، لما
يَظْهَرُ لي من قُوَّةِ شعره ، وحُسنِ اختراعه .

* * *

النسخ الخطية المعتمدة :

تيسر لي من مخطوطات هذا الكتاب أربع نسخ ، هي :

١- نسخة أ : هي نسخة رئيس الكتاب بإستانبول ، رقمها ٦٢٦ .

وهي نسخة جليظة ، تامة ، خزانة ، مكتوبة بخط فارسي أبيض ، منقولة

من نسخة تلميذ المؤلف ؛ تقع في مجلدين ، ينتهي الأول في الورقة ٨٩ ب .
وبها يبدأ الجزء الثاني ، وينتهي في الورقة ١٧٥ ب .

وصفحاتها من القطع الكبير ، وفي كل صفحة ٢٥ سطراً .

كاتبها محمد بن أحمد الرُّجيجي الحنبلي الشَّيباني ، فرغ منها في أواخر
شهر الله المحرم الحرام ، سنة ٩٩٣ هـ .

مميز بداية الترجمات والمراسلات بخط جليل ، وميز الشعر بوضع فاصلة
كبيرة بين الشطرين .

الخطأ فيها نادر ، والضبط فيها قليل ، وعلى حواشيها أسماء المترجمين
بخط كبير .

وبالجملة فإنها من النسخ الأثبات ، نادرة المثال ؛ ولهذه المزايا اتخذتها
أصلاً .

في بدايتها دائرة كبيرة ، كتب فيها ما يلي :

برسم

سيدنا العلامة الحبر البحر الفهامة ، من خصه الله تعالى بالنفس القدسية ،
الرضية المرضية ، والرئاسة الأنسية ، ظهير الملّة الحنيفية ، نصير الشريعة
المصطفوية ، محيي السنّة المحمدية ، شرف الأنام ، صدر مصر والشام ،
المشرف على التمام ، قطب دائرة الأنام ، رئيس القضاة والحكام ، المحفوف
بعناية الملك العلّام ، فريد عصره وزمانه ، ووحيد دهره وأوانه ، نخبة
الزمان ، ومصباح البيان ؛ أخرجهُ الله من بين أصليين أصيلين ، وقزعين
ورعين ، وتبليين نبيلين ، من أصل شجرة في بحار الولاية والعلوم مغروسة ،
مولانا القاضي شهاب الدين بن شعبان ، القاضي حيتّز بالخانقاه ، وكتاب
الولاية بمصر المحروسة ، التي هي بالسادة العلماء الموالى مانوسة ،

أجرى الله تعالى مَعْدَلَهُ على صفحات الأنام ، وربط أطناب دولته بأوتاد الخلود
وخلود الدوام ، ومَتَّع بوجوده كافة الأنام ، ولا زال مرجعاً للخاص والعام ؛
وأدام عزّه وسعده ، وخرس بعين عنايته مجده وجدّه ، ورحم أباه وجدّه ،
وأظلّ فيضان غمام إنعامه على أغصان نسيان الإيمان ، ليجتني من أرم كرمه
وروضة نعمه كل قاصٍ ودان ؛ خلعة العبد الفقير المذنب المُستغفر الجاني
محمد بن أحمد الرُّجيجي الحنبلي الشَّيباني ، رَجَّحَ الله تعالى في القيامة
ميزانه ، وصانه عما شانه ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي
بعده ، سيّلتنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلّم تسليماً كثيراً دائماً
سرمداً إلى يوم الدين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكان الفراغ من كتابة ذلك ونسخه ، في أواخر شهر الله المحرم الحرام ،
سنة ثلاث وتسعين وتسعمئة ، أحسن الله تعالى ختامها ، وقدر في خير
تمامها ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ؛ آمين .

وفوق الدائرة ، على الزاوية اليمنى العلوية : الله حسي . من كتب أبي
بكر رستم بن أحمد الشرواني .

وتحت الدائرة ختم مكتبة رئيس الكتاب .

وثمة تملك لا يقرأ ، كتب فوق الدائرة صعوداً .

٢- نسخة ب : هي نسخة مكتبة قليج علي بإستانبول ، رقمها ٧٩٤ .

وهي نسخة يشيع فيها الخطأ والتحريف والتصحيف ، وفيها نقص في
مواضع عدّة ، أكبرها في نهاية الكتاب ، إذ ينتهي الموجود منه أثناء ترجمة ابن
نباتة المصري .

ولكنها تتميز بإضافة بعض الترجمات التي لم ترد في النسخ الأخرى ،

وتُضيف أكثر من مئة بيتٍ من الشعر .

كتب النَّاسخ أسماء المترجمين بالحمرة .

تقع في ٢٢٩ ورقة من القطع العادي ، كتبت بخطٍّ يقرب من النَّسخ ، وفي كلِّ صفحة ٢١ سطراً .

وكاتبها لم يكن من أهل العلم . وقد ميَّزت زيادات هذه النسخة بوضعها بين قوسين ، وقد تلتقي مع زيادات في بعض الأحيان .

في صفحة العنوان : اسم الكتاب : كتاب ألحان السَّوَجع بين البادئ والمراجع . تأليف الشيخ صلاح الدِّين خليل بن أبيك الصَّفدي رحمه الله . وتحت ذلك تملُّكات مختلفة ، نُصَّها :

١- ملكه الفقير كمال بدري ، سنة ١٠١٣ .

٢- ثم ملكه العبد الفقير إليه تعالى جمال الدِّين القادري البابلي ، مدرِّس الصَّاحِبِيَّة بحلب المحمَّية ، في ربيع الأوَّل سنة ١٠١٧ .

٣- ملكه العبد الفقير إلى لطف مولاه الغنيَّ القدير ، أبو الوفا بن عمر العُرْضي^(١) ، وفَّقَه الله تعالى لما يُرضي ، في أواسط جمادى الأولى سنة ١٠٦١ بعد موت المرحوم العلامة الشيخ جمال الدِّين البابلي .

٤- ثم وهبناه لحامله مولانا أكمل الفاضلين ، وأفضل الكاملين ، مولانا رمضان أفندي الزَّيني . كتبه أبو الوفا .

٥- انخرط في سلك مُلك العبد الفقير إلى الله رمضان بن عبد الرَّحمن بن الشيخ عثمان الزَّيني ، وذلك بالشَّراء الشرعي من شيخ الإسلام وتركته ، حضرة الشيخ وخا عرْضي زادة ، فسح الله في أجله ، آمين . وذلك في غرة شهر

(١) أبو الوفا بن عمر العُرْضي : هو مؤرخ حلب ، صاحب كتاب « معادن الذهب في الأعيان المشرَّقة بهم حلب » المتوفى سنة ١٠٧١هـ .

رجب سنة ١٠٦٦ .

٦- ثم ساقه يد الدَّوران إلى نوبة الفقير إليه عزَّ شأنه ، أبو السُّعود الحسيني ، غُفر له ، سنة ١١١٧ .

٧- نظر فيه العبد الفقير عبد القادر عفي عنه .

٣- نسخة س : هي نسخة مكتبة الإسكوريال يأسانيَّة ، رقمها ٣٢٦ .

وهي نسخة جليَّة ، خزائيَّة ، مكتوبة بخطِّ تسخيٍّ جميلٍ ، بضبطٍ كامل لا يخلو من خطأ .

تقع في ١٧٨ ورقة من القطع الكبير ، وفي كل صفحة ١٧ سطراً .

ولم يصلنا من هذه النُّسخة - مع الأسف - سوى الجزء الأوَّل فقط .

صفحتها الأولى مزخرفة بعناية ، جاء فيها : الجزء الأوَّل من الألحان (؟) السَّوَجع بين البادئ والمراجع .

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة صلاح الدِّين خليل بن أبيك الصَّفدي ، أدام الله عزَّه .

ومن هذه العبارة الأخيرة يمكن أن نفهم أنَّها كتبت في حياة المؤلِّف .

وهي تلتقي في مواضع النقص مع نسخة ب ، دون الزيادات التي انفردت بها تلك النُّسخة .

وهذه النُّسخة من الأصل من مكتبة مولاي زيدان ملك المغرب ؛ تلك المكتبة التي سطا عليها قراصنة الأسيان أثناء نقلها في البحر ، فاستقرَّت في دير الإسكوريال قرب مدريد .

فقد جاء في رأس صفحة العنوان : تملَّكه عبد الله ، المعتمد عليه ، المفوض أمره إليه ، زيدان أمير المؤمنين بن الخلفاء الراشدين ؛ وفَّقَه الله ، وأخذ بيده . آمين .

وعلى حاشيتها اليسرى بعض تملكات ، نُضِّها :

- ١- من كتب يحيى بن عبد العزيز بن بن علي بن طريمة
- ٢- إعارة الزمان إلى الفقير عبد القادر بن محمد الجريري الأنصاري ، عفا الله عنه .
- ٣- الحمد لله ، ملكه من فضل ربه الفتح ، يحيى بن محمد الملاح الحنفي ، غفر الله له وللمسلمين آمين .

٤- نسخة م : هي نسخة مكتبة الأحقاف بمدينة تريم ، في حضرموت اليمن . (بلا رقم) .

وهي نسخة تامة - دون الزيادات التي انفردت بها نسخة ب - وليس بها من نقص سوى خمس ورقات من نهاية ترجمة عمر بن داود بن هارون ، إلى منتصف ترجمة عمر بن الورددي ؛ ولعلها سقطت أثناء التصوير .

كتبت بخط يقرب من النسخ ، وبها ضبط غير دقيق ، والإعجام ليس دائماً في محله . رؤوس العبارات والتراجم بالحمرة ، وقد طمست أثناء التصوير فلم تظهر .

تقع في ٢٤٤ ورقة ، وليس بها ذكر للناسخ ولا سنة نساخته .

وتتميز بإضافة بيت ونصف من الشعر ، وبعض الكلمات هنا وهناك ؛ وقد تلتقي مع نسخة ب في بعض تلك الكلمات .

وقد تنفرد بقراءات أكثر دقة مما ورد في النسخ الأخرى ، وبعض الشروح في الهامش ؛ وقد أثبتتها كلها في حواشي هذه الطبعة .

* * *

قَصَّتي مع هذا الكتاب :

تفضل بزيارتي ذات يوم من عام ٢٠٠٢ م الأخ الباحث الأستاذ إياد أحمد الغوج حفظه الله تعالى من مدينة عمان في المملكة الأردنية الهاشمية ، وكنت قد بدأت بتحقيق كتاب « حياة الحيوان الكبرى للدميري » فعرض علي العمل في كتاب « ألحان السَّوَّاجع للصَّفيدي » وذكر من مزايا هذا الكتاب ما لا يقوله إلا كلُّ طبِّ خبير .

ثم تكَّرم - حفظه الله - فزوَّدني بثلاث نسخ خطية ، هي (أ ، ب ، س) . فأوقفْتُ كتاب الدَّيميري مؤقتاً ، ثم انصرفْتُ كلياً إلى ما يستلزمه الكتاب الجديد من نسخ وتحقيق . فتمَّ ذلك - بحمد الله - في مُدَّة وجيزة .

ولمَّا انتهيتُ من تحقيقه نهائياً ، وأردت دفعه للطباعة ، زارني أخي الكريم الدكتور مروان العطية حفظه الله ، وأعلمني أنه قرأ في صحيفة « الجزيرة » السعودية (العدد ١٠٨٨ تاريخ الخميس ٨ جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ / ١٨ تموز ٢٠٠٢ م) مقالاً للأستاذ عبد الرحمن بن محمد الدخيل ، تحت عنوان : « صلاح الدِّين خليل بن أبيك الصَّفيدي (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) يذكر فيه آثاره العلمية ، وما طبع منها وما لم يُطبع ؛ فذكر كتاب « ألحان السَّوَّاجع » وقال : حقَّقه د. محمد عبد الحميد سالم ، الكويت : مكتبة دار العروبة . ط ١ . ١٩٨٥ في مجلدين .

ثم راجعت مقدِّمات كتب الصَّفيدي المطبوعة ، فلم أجد أحداً ذكر ذلك غير السيِّد الشُّرقاوي في مقدِّمة « تصحيح النَّصَّحيف » . إذ قال عند ذكر الكتاب : وقد حقَّقه الدكتور محمد سالم بالقاهرة ١٩٨٤ م كما ذكر لي أستاذي الدكتور رمضان عبد التَّوَّاب .

فأخذتُ أبحثُ في فهارس المكتبات العامة الكبرى في دمشق (مكتبة

الأسد ، والمكتبة الظاهرية ، ومكتبة جامعة دمشق ، ومكتبة مجمع اللغة العربية (فلم أقف على ذكر هذا الكتاب ألبتة .

فَعُدْتُ إلى أخي مروان فأخبرته بذلك ، فاستطاع عن طريق أحد أصدقائه جزاء الله خيراً أن يرسل إليّ خمسين صفحة مصورة من بداية الكتاب ، وتظهر على الصفحة الأولى بجلاء عبارة : الناشر مكتبة دار العروبة بالكويت - لا كما ذكر السيد الشرقاوي : بالقاهرة . وفي أعلى الصفحة الأولى عبارة إهداء من المحقق إلى مكتبة الملك سعود بالرياض .

عندها طلبتُ من أخي الدكتور يحيى مير علم حفظه الله - الأستاذ في جامعة الكويت - أن يستوضح مشكوراً من دار العروبة عن أمر هذا الكتاب ، وأن يُرَوِّدني بنسخة منه ؛ فأتاني الجواب بأن الكتاب لم يطبع في دار العروبة ، ولا علم لهم بذلك ! .

فطلبتُ هذه المرة من أخي الدكتور محمد أحمد الدالي حفظه الله - الأستاذ في جامعة الكويت - أن يسأل الدكتور خالد عبد الكريم جمعة صاحب دار العروبة شخصياً ، فكان الجواب بالنفي ، وزاد بأن أرسل إليّ قائمة مطبوعات دار العروبة ، وليس فيها ذكر ألحان السَّوَّاجع ! .

ثم تَكَرَّم الدكتور الدالي - مشكوراً - فاتَّصل هاتفياً بالأخ الدكتور عبد العزيز الثويجري حفظه الله ، وكان في تلك الساعة يطوف بالبيت الحرام معتمراً ، وطلب منه نسخة مصورة من مطبوعة الكتاب من مكتبة جامعة الملك سعود ؛ فوعده خيراً ؛ ثم تَكَرَّم - جزاء الله خيراً - بتصوير الكتاب بجزأيه وإرساله إليّ إهداءً .

جزى الله خيراً كلَّ الإخوة الذين أتعَّبْتُهم معي في قصَّة الكتاب .

* * *

فهذه المطبوعة - ورمزها « ط » - أظنُّها رسالة جامعية ، قدِّمت إلى كلية الألسن - جامعة عين شمس - لنيل درجة الدكتوراه ، ولم يُطبع منها سوى عدد قليل من النسخ ، تكفي لجنة المناقشة ، وبعض النسخ التي بقيت معه أهدي إحداها إلى جامعة الملك سعود عندما تعاقد للتدريس فيها .

ويبدو - كونها رسالة - واضحاً من طريقة تحقيق الكتاب ، فلم يلتزم السيد المحقق منهجاً معيناً معروفاً في التحقيق ، وإنما كان يعمل على طريقة : (الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكَّر) . فكلُّما مرَّ بيتٌ من الشعر يقول : يُذَكِّرُنِي هذا بقول فلانٍ - ثم يسردُ بيتاً أو أبياتاً - أو يقول : أذكرُ به قول فلانٍ . . . أو لعلَّه من قول فلانٍ . . . ممَّا أدَّى إلى تضخُّم حجم الكتاب بما لا طائل تحته .

وقد بذل في الحقيقة جهداً مشكوراً ، ولكنَّ عدم تمرُّسه بأساليب التحقيق العلمي - وتحقيق كتب الرجال خاصة - أوقعه في عددٍ لا بأس به من الأخطاء ؛ سأذكر نزرأً يسيراً منها ، لأنَّ عدم وجود هذه الطبعة في أيدي الباحثين لن يمكنهم من المقارنة بين الطبعتين :

في الصفحة ٤١/١ : ورد ذكر مرج الغسولة ، فلم يتمكن من تحديد المكان ، مع أنَّه مذكور في معجم البلدان .

وفي ٨٠/١ : ورد ذكر ابن دُنيير . فترجم في الهامش لابن دينار .

وفي ٩٩/١ : ورد هذا البيت :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي زَبَدٌ - مِنْ بَعْدِهَا لَفَتَى زَبَادَةٌ

ققرأه : . . . زيدة × . . . زيادة - ثم ترجم في الهامش لشخصٍ ينتهي نسبه إلى ابن زياد الغساني - وهو ابن زبادة ، يحيى بن سعيد بن هبة الله الشيباني .

وفي ١٧٥/١ : ورد هذا البيت :

لا جعلَ الله انتظاري لكم مثل انتظار الحاكم الفاطمي فقال في الهامش : إشارة إلى ما هو مشهور بين الشيعة ، من انتظار بعض طوائفهم للإمام المنتظر . وليس بذلك ، بل هو إشارة إلى انتظار بعض الطوائف للحاكم الفاطمي الذي يعتبرونه إلهاً لهم .

وفي ١/٣٣٤ : جاء ذكر «سنير» ضمن بيتٍ من الشعر؛ فأخذ يشرح الكلمة لغويًا . وسنير في الحقيقة : الجبل المطلُّ على حمص ، بينها وبين بعلبك .

وفي ١/٣٩٤ : جاء : وما صاحب الحكم . فأخذ يبحث في الهامش عن صاحب الحكم ، ثم استقر رأيه على أنه الثعالبي ! .

وصواب العبارة : وما صاحب « المحكم » . والمقصود به ابن سيده ، العالم اللغوي المشهور .

وفي ١/٤٣٦ : ترجم في الحاشية لابن النشائي ؛ ولم يعلم أنَّ لابن النشائي ترجمة في هذا الكتاب .

وفي ١/٥٣٨ : يذكر الشيخ عماد الدين شيخ السلامية . ثم يقول في الهامش : لم أستطع فيما توصلت إليه من مصادر ، الوقوف على ترجمته ، أو معرفة المدرسة السلامية .

والصواب : الشيخ عز الدين شيخ السلامية . والمدرسة المذكورة من مدارس دمشق المشهورة ؛ ذكرها النعماني في « الدارس في تاريخ المدارس » وترجم للشيخ عز الدين المذكور .

وفي ٢/٩٧ : يرد في الشعر ذكر كلمة «نمجا» . فيقول في الهامش : هكذا بالحن ، ولعلها بلجا . والتمجا : خنجر ، أو ضربٌ من السكاكين له غمدٌ .

وفي ٢/٢١٩ : يضبط بيتاً من الشعر ضبطاً خاطئاً ، ويتذكر به بيتاً ينطبق على فهمه الخاطيء .

وفي ٢/٢٤٥ : ترد عبارة : ولا لمح شطراً ، ولا سطرأ . وصواب العبارة : ولا لمح شطراً ، ولا سطرئ . وسطرئ : من قرئ دمشق الدائرة ، مكانها مشفى الهلال الأحمر السوري ، في شارع بغداد ، بدمشق .

وفي ٢/٢٤٦ : يورد بيتاً من الشعر لعمر بن مسعدة على هيئة الشر : وكل ما يصح I = يصلح I للمولى على العبد حرام .

وفي ٢/٢٥٠ : يرد في المتن ذكر الشمس ابن حماد . فيترجم في الهامش لجمال الدين ابن حماد . ولم يعرف أن المقصود بالشمس : شمس الدين ، وأن المترجم هو شمس الدين محمد بن إسماعيل بن حماد ، التاجر السفار ، المترجم في البداية والنهاية ١٨/٣٦٧ .

وفي ٢/٣٦٧ : يرد في الشعر : بحمل زنكي . والصواب : بحمل زنكي . والزنك : علامة يتميز بها الأمراء عند تنصيبهم وتوليهم .

إلى غير ذلك من أمور كثيرة لا فائدة من ذكرها ، وإطالة المقدمة بها .

- جزى الله الدكتور محمد عبد الحميد سالم خير الجزاء ، فقد كان سباقاً إلى إحياء الكتاب ، ولكنه أبقاه مقصوراً على دائرة أساتذته وجامعته ؛ ولولا تلك النسخة التي أهداها لمكتبة جامعة الملك سعود ، لما علم بها أحدٌ .

- وجزى الله إخواني الذين ذكرتهم في قصتي هذه ، خير الجزاء ؛ فقد كانوا نعم العون .

- والحمد لله في البدء والمختم ، ومنه أستمذ العون ، وعليه التكلان ؛ وما توفيقي إلا بالله .

* * *

هذا الكتاب

نمطٌ فريدٌ في التأليف ، يجمع بين فنِّ التراجم ، وبين أدب الترسُّل شعراً

ونثراً ، في زمنٍ معيّن ، وأماكن محدّدة ؛ يُشكّل المؤلف قطب دائرة هذا الكتاب ، فمنه تصدر المكاتبات ، وإليه تعود ؛ في قالبٍ من أسلوب كُتّاب الإنشاء في العصر المملوكي .

وتأتي أهميته أيضاً من كونه متمماً للكتابين العظيمين : « الوافي بالوحيات » و « أعيان العصر » فهو رديفٌ كامل لهما ؛ إليه يحتاجان ، وبه يكتملان .

وإذا أضفنا إلى ذلك هذه الترجمات التي انفرد بها كتابنا هذا ، وهذه القصائد التي لم ترد في أيّ مصدرٍ آخر ، وتلك الرسائل النثرية التي لا توجد في سواه ؛ أدركنا أننا أمام كتابٍ لا يمكن للمكتبة العربية أن تستغني عنه .

ويظهر واضحاً في هذا الكتاب إعجاب الصّفدي برجال آل الشبكي ، فقد ترجم لسبعة فضلاء منهم ، بعضهم أسنُّ منه ، وبعضهم من أقرانه ، وبعضهم أصغر منه سنّاً ؛ ولو أفردت ترجماتهم لكان جزءاً لطيفاً .

فليلّ الحمد والمِنَّة أن وفّقنا لخدمة هذا الأثر النفيس من آثار الصّلاح الصّفدي ، وأكرمنا بإظهاره للنّاس في ثوبٍ من التّحقيق أرجو أن يُثينا الله عليه يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلّا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

دمشق الشام

٢٦ ربيع الثاني ١٤٢٣ هـ

٢٦ حزيران ٢٠٠٣ م

ثم

٢٨ صفر الخير ١٤٢٥ هـ

١٨ نيسان ٢٠٠٤ م

وكتب

إبراهيم صالح



الصفحة الأولى من أ

الحمد لله الذي جعل البادي أمورا وتقدر للراجع أن يكون ما هو
 وخرج منها بحرفين بلقيتان بينهما برزخ لا يعشقان يخرج منهما
 المثلون من طويما ومنشورا آخره على وجه التي تراجم شكره وقفاهد
 من عقل من عمدتها وتزيد من اذي الواجب وان لا، وثاني الى المستحقها
 تادة بعني متقدرة وتادة بعني مستكرة وشهدان، اله الا الله
 وحده لا شريك له شهادة جيلت عليه الجيلة، وانست بالعقيدة
 العصية الهادية واستوحشت من البدع تعليلة المضاه، وثبتت
 دعاها دلها الماغدت بشكة الباطل مضحكة، وشهدان منها عبده
 وبهوله افضل من اجاب واجادة واعان على فوايب الدهر واجادة
 وابان فضل هذه اللغة العربية فابان ما سواها واداء، صلى الله عليه
 وعلى آله وصحبه الذين خلصوا من انتفاق فاخلصوا وساقوا لي اتنا
 فما بقروا ولا ترقصوا وصدقوا في محبتهم وبالعوا وانحدر صواوا
 ترخصوا صلا ترضوع نشرها عطره وتبشوع نشرها هداها
 ما توامل الاحباب وتراسل الاحباب وسلم تسليما النبوا الى يوم
 الدين، وبعد فقد كنت قد بما جعلت كتابي الهاديا وشيتته
 بالمحارة والمجلاه واودعته جملة من محارة الشعراء ومحارة الهاديا
 وليس لي فيه بعد المقدمة غير المقود بالجمع ولا في قوافيه حظ في حيز
 ولا نص ولا رفع وقد اجبت لان اجمع ما دار بيني وبين فضلاء
 مصري ولا غير الذي بحيث أن تكنت بحاسنهم بالذهب المصري
 فابدا في فيه فاجعت وتابت فيه وتابعت يكون ذلك لي هذه

بداية الكتاب في ب

كتاب الحان الكواجج بين البادي والجمع
 تاليف الشيخ صالح الدين
 خليل ابن بك الصفا
 حرره
 محمد بن عبد الله
 في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٦
 في دار الكتب
 بمصر

هذا الكتاب
 هو من
 كتب
 دار
 الكتب
 بمصر
 في شهر
 ربيع
 الثاني
 سنة
 ١٢٩٦

هذا الكتاب
 هو من
 كتب
 دار
 الكتب
 بمصر
 في شهر
 ربيع
 الثاني
 سنة
 ١٢٩٦

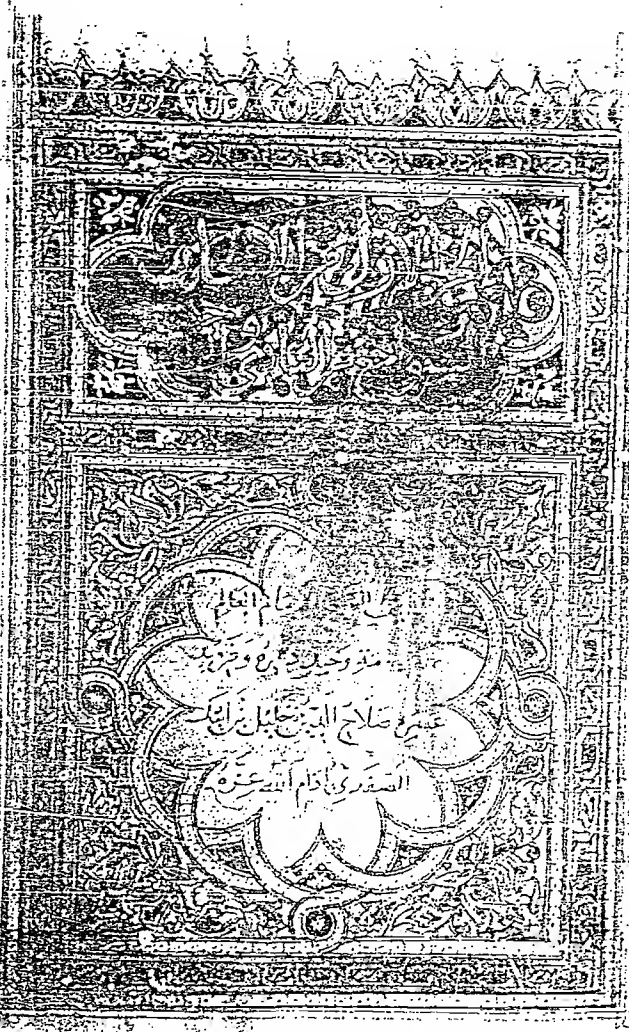
صفحة العنوان في ب

في حبيب الصديق اغويته
 قد صار شيئا الذي عذب اللى
 وهو لا عقل يرجع اليها
 لا يرجع البول على راسه
 له عيون وهو اعشى وبي
 ناس من تباين الوري قد رة
 على اتيب المسلمين منته
 على الرايس ابرو الشواير في راسه
 تخرج اذ كان الناس من عقله
 لا يقدر الزم على مشله
 والبرود لا تنبع من اكنه
 والفتيد لا ينك من رخله
 غيبه اوة على شكله
 الكنت لنا عنه وعن اصله

ثم ان كتاب محمد بن عبد الله بن عاون

نهاية الكتاب في م

بسم الله الرحمن الرحيم
 في حبيب الصديق اغويته
 قد صار شيئا الذي عذب اللى



صفحة العنوان في س

في حبيب الصديق اغويته
 قد صار شيئا الذي عذب اللى

في حبيب الصديق اغويته
 قد صار شيئا الذي عذب اللى
 وهو لا عقل يرجع اليها
 لا يرجع البول على راسه
 له عيون وهو اعشى وبي
 ناس من تباين الوري قد رة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَفْوُكَ اللَّهُمَّ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَادِيَ آمِيرًا، وَقَدَّرَ لِلْمُرَاجِعِ أَنْ يَكُونَ سَامُورًا،
 وَخَرَجَ مِنْهَا بَحْرَيْنِ شَيْعَانِ مَخْرَجَ سَمَاءِ الْفُلُوكِ مَطُورًا وَمَشُورًا
 حَمْدُكَ عَلَى نِعْمَةِ الْمُنَى تَرَاوَجُ مِنْ شُكْرٍ، وَسَعَادَةٍ مِنْ غَفْلٍ عَنْ حَمْدِهَا
 وَتَزِيدُ مَنْ أَدَّى الرَّاجِبَ وَأَذْكَرَ، وَمَأْتَى إِلَى مُسْتَحَقِّهَا نَأَى بِمَعْنَى
 مُتَقَدِّمٍ وَمَأَى بِمَعْنَى مُتَأَخِّرٍ، وَشَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
 لَا شَرِيكَ لَهُ شَهِادَةً جَلَّتْ عَلَيْهَا الْجَبَلَةُ، وَأُنِيتَ بِالْعَقِيدَةِ
 الصَّحِيحَةِ الْمَادِيَةِ وَأَسْتَوْحِشْتُ مِنَ الْبَدْعِ الْعَلِيلَةِ الْهَضَلَةِ، وَتَبَتُّ
 دَعَائِمُ أَذَلِّهَا لِمَا عُدَّتْ شُبُهَةَ الْبَاطِلِ مُضْحَكَةً، وَشَهِدْتُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا
 عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ مِنْ أَجَابِ وَأَجَادِ، وَأَعَانَ عَلَى نَوَائِلِ لَدُنْهِ وَأَعَادِ
 وَأَنَا مِنْ فَضْلِ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَأَبَانَ مَا تَوَاهَا وَأَبَادَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ خَلَصُوا مِنَ الْفَقَاقِ فَاخْلَصُوا، وَتَابَعُوا إِلَى
 أَسَاغَةِ مَا تَصَبَّرُوا وَلَا تَرْتَضُوا، وَصَدَّقُوا فِي حُجَّتِهِ وَبِالْعَوَاقِفِ حُضُورًا
 وَلَا تَرْخَصُوا، صَلَاةً يَنْصَرِّعُ شَرْهَاطُهَا، وَتَنْتَوِعُ بِشَرْهَاطِهَا
 مَا تَوَاصَلَ الْأَجَابُ، وَتَرَانِسَلَ الْأَصْحَابُ، وَتَسَلَّمَ كَثِيرًا إِلَى دِمِ الْدِينِ
 وَبِحَسْبِ دَرَكَتِ قَدَمَا جَمْعَتِ كَابِي الدِّينِ وَتَسَمَّتْ بِالْمَجَارَاهِ
 وَالْمَجَارَاهِ وَارْدَعَتْ جَمْلَةً مِنْ مَجَارَاهِ الشَّعْرِ، وَمَجَارَاهِ الْأَدْبَارِ،

وَفُتِحَ أَهْلُهَا مِنَ الرَّهْرِ أَعْمَسَتْ وَبَنَتْ قَهْرِي الْجَمِيِّ تَشَرَّنَا
 وَلَمْ يَنْشَرْجْهُ الرُّوضُ مُنْفَرِّضًا حَكًّا مَارَهَانًا كَالْدَارِ لِمَا تَنْتَظِمَا
 فَدَفَنْتَهُ فِيهِ الْبُرُوقُ جُفُوفًا تَبَرَّعَ مِنْهَا بِالْحَيَاةِ وَكَلَّمَتَا

من البر والبر والبر والبر
 قَارِئُ مَتِّ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى الْفَقْرُ لَنَا فَاغْلِمْ بَعْدَ مَا يَمُوتُ شَيْئًا قَا
 وَهَذَا كَاتِبُ الْعَقْدِ عَلَى مَوْجِدٍ مَرْدِيٍّ إِلَى مَرْجَلِ عَالِ الْبَرِّ مَوْجِدٍ
 الْحَيَاةِ الْمَوْلَانِ بِمَرْبُورِ جَوَابِهَا لَيْسَ بِهَا مَرْبُورٌ إِلَّا دَارُ
 عَامٍ سَهْوٍ وَرُحْمٍ
 مَنْ كَيْدِي وَبُكَائِي وَاللَّهُ مَا تَذْهَبُ لِي سَائِكِيهِ الْأَوْفَى الْإِنَّا كَرِ
 سَلَا الْأَرْضِ الَّتِي تَشْرِفُ بِهَا الْأَوَّلُ وَيَتَلَوَّانَا نَحْنُ حَاسِبُهَا
 أَرَاكَ اللَّيْلُ وَالْأَرْقُفَ الْهَيَاوِيَّ وَبِهِ مَعْدَدُ عَائِدٍ يَرْفَعُهُ فِي الْأَسْحَارِ
 وَوَلَا يَهْضُمُ خَالِصَ الْحَمْدِ وَالْكَذْلُ وَبِهِ قَبْرُ أَخِي وَكَسْرُ مِرْمَرٍ مَلَامُهَا
 كَاذِبُ الْمَلَامِ لِلْمَلِكِ الْحَمْدُ جَلْمُ الْحَمْدِ صَحْبُهُ عَلَيَّ مِنْ مَسْجِدِ الْحَاصِلِ
 وَحَمْدُكَ لِي بِهَذَا
 وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ الشُّبُهَاتِ لِعَدَمِ بَاطِلَانِ كُلِّ
 الظَّنَّ أَنَّ كَلَامًا قَا

عَفْوُكَ اللَّهُمَّ^(١)

[٢] الحمد لله الذي جعلَ البادىَ آميراً ، وقَدَّرَ للمُراجِعِ أَنْ يَكُونَ مأموراً ، وَمَرَجَ مِنْهُمَا بَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، ﴿يَبْتَغِيَانِ الْرَحْمَنَ : ٢٠﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ مَنْظُومًا وَمُنْثُورًا .

نَحْمَدُهُ^(٢) عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تُرَاجِعُ مَنْ شَكَرَ ، وَتَتَعَاهَدُ مَنْ غَفَلَ عَنْ حَمْدِهَا ، وَتَزِيدُ مَنْ أَدَّى الْوَاجِبَ وَادَّكَرَ^(٣) ، وَتَأْتِي إِلَى مُسْتَحِقِّهَا تَارَةً بِمَعْنَى مُتَقَدِّمٍ ، وَتَارَةً بِمَعْنَى مُبْتَكِرٍ .

وَنَشْهَدُ^(٤) أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ^(٥) ، شَهَادَةً جُبِلَتْ عَلَيْهَا الْجِبِلَّةُ ، وَأَنْسَتْ بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الْهَادِيَةِ ، وَاسْتَوْحَشَتْ مِنَ الْبِدْعِ الْعَلِيلَةِ الْمُضِلَّةِ ، وَتَبَتَّ دَعَائِمُ أُدْلَتِهَا لَمَّا غَدَتْ شُبُهَ الْبَاطِلِ مُضْمَحِلَّةً .

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَفْضَلُ مَنْ أَجَابَ وَأَجَادَ ، وَأَعَانَ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَأَعَادَ ، وَأَبَانَ فَضْلَ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَأَبَانَ سِوَاهَا وَأَبَادَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ خَلَصُوا مِنَ التَّفَاقِقِ فَأَخْلَصُوا ، وَسَابَقُوا

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

(١) من س .

(٢) في م : أحمده .

(٣) الكلمة ساقطة من أ ، م . وفي ب : وابتكرو . والمثبت من س .

(٤) في م : وأشهد .

(٥) لا شريك له . ساقطة من م .

إلى أتباعه فما تصبروا ولا ترتبوا ، وصدقوا في محبته وبالغوا ، فما تحرصوا ولا ترتخصوا ؛ صلاة يَصَوِّغُ نَشْرُهَا عَطْرًا ، وَيَتَوَوِّغُ بِشْرُهَا دُرًّا ، ما تواصل الأحابب وتراسل الأصحاب ، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد كنت قديمًا جمعت كتابي الذي سَمَّيْتُه « بالمُجَارَاة والمُجَاوَاة »^(١) وأودعته جُمْلَةً من مُجَارَاة الشعراء ومُجَاوَاة الأدباء ، وليس لي فيه بعد المُقَدِّمَةِ غير التَّفَرُّد بالجمع ، ولا لي في قوافيه حَظٌّ في جَرٍّ ولا نَصَبٍ ولا رَفْعٍ ؛ وقد أَحْبَبْتُ الآن أن أجمع ما دار بيني وبين فضلاء عَصْرِي ، والأئمة الذين يجب أن تُكْتَبَ محاسنهم بالذهب المِصْرِي ، مما بدأت^(٢) فيه وراجعت ، وفلَدْتُ فيه وتابعت ، ليكون ذلك في هذه الأوراق مجموعاً ، ويبيت طائفة في غُصُونِ الغُصُونِ منها مَسْموعاً .

على أنني لم أعتنِ قَدَمًا بمثل هذا ، وأهملت من ضَبَطِهِ شيئاً كثيراً إهمالاً أذى^(٣) ؛ فَإِنِّي ضَيَّعْتُ منه في زمن الصِّبَا جانباً وافراً ، وكنت لمثل هذا النوع لا أُرِيهِ من الاختراز وَجْهاً سافراً ، فلما اضطررت إلى جمعه ، وطمِئت نفسي إلى سُقْيَا غَيْثِهِ وَهَمْعِهِ ، أَخَذْتُ أَلْتَقِطُهُ من كُلِّ بُقْعَةٍ ، وأجمعه - كما في قول العوام - من كُلِّ زَوْقٍ رُقْعَةً ، فكم أصابتنِي في هذا السَّوْمِ سَامَةٌ ، وكم لَزِمْتَنِي في بعض المواضع بعضُ غَرَامَةٍ^(٤) .

وقد^(١) تركت في بعض البدآت والمراجعات بياضاً ، وغادرت منها مَنَاهِلَ لم أردها وحياًضاً ، رجاء أن تُظْفِرَنِي يَدُ التَّطَلُّبِ بما يَسُدُّ الخَلَّةَ ، وَيَشْفِي العِلَّةَ ، وَيُنْفِي العُلَّةَ ، [١٣] فمتى وجدتُ جُدْتُ ، وَثَنَيْتُ إِلَيْهِ الطُّلِيَّةَ^(٢) وَعُدْتُ^(٣) : [من الكامل]

وَعَلَيَّ أَنْ أَقْضِيَ صَلَاتِي بَعْدَمَا فَاتَتْ إِذَا لَمْ أَقْضِهَا فِي وَقْتِهَا
وليعذر الواقف على ما هو فيه مُنْحَطُّ العمل ، غير راقٍ إلى درجة الكمال بَذْرُهُ ، ولم تُشْرِقْ شَمْسُهُ فِي الْحَمَلِ ؛ فَإِنَّ فِيهِ أَشْيَاءَ لَمْ تُهَذَّبْهَا الرُّوْيَةُ وَأَعْجَلَهَا الْإِزْجَالُ ، وَأَلْقَاهَا الْفِكْرُ من رَأْسِ الْقَلَمِ ، فجاءت فيه بُيُوتُ الطَّرِيقِ ، لعدم الوصول إلى رَبَاتِ الْخُذُورِ وَالْحِجَالِ^(٤) : [من الطويل]
وَلَيْسَ يُعَابُ الْمَرْءُ فِي يَوْمِ جُنَيْهِ إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ
وقد رَبَّنْتُهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، فَأَذْكُرُ فِي الْحَرْفِ اسْمَ مَنْ كَتَبَ إِلَيَّ وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ، وَجَلَا أَبْكَارُهُ الْعُرِّيَّاتُ وَجَلَوْتُ عَلَيْهِ ، وَبِاللَّهِ الْإِسْتِعَانَةَ ، وَعَلَيْهِ الْإِتْكَالُ فِي إِبْلَاحِ النَّفْسِ عُذْرَهَا وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ؛ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَلَا وَلِيَّ سِوَاهُ سُبْحَانَهُ .

* * *

- (١) في تاريخ بروكلمن ١٢١/٦ : المتنق من المجازاة والمجازاة ، منه نسخة خطية في مكتبة طوب قيسراي بإستانبول تحت رقم ٢٦١٧ .
- (٢) في م : بُدِئَتْ .
- (٣) في ب ، س : وَرَبَّ إِهْمَالٍ أَذَى .
- (٤) في م : من غرامة .

- (١) في م : وكم تركت .
- (٢) الطُّلِيَّةُ : العُنُقُ .
- (٣) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ١٠٣٢/٣ .
- (٤) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ٥٢ . أو لعمر بن معدى كرب في ديوانه ١٢٩ . أو لعبد الله بن عتقاء الهُجَيْمِيِّ فِي الْأَشْيَاءِ وَالنَّظَائِرِ لِلْخَالِدِيِّينَ ٣٠٣/٢ . وروايته في س : . . . فِي الْأَمْسِ .

حَرْفُ الْهَمْزَةِ

١ * إبراهيم بن أحمد بن محمد^(١) :

القاضي أمين الدين ابن الشيخ الإمام شهاب الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن غانم .

أحدُ كُتَّابِ الإنشاءِ الشريفِ بالشَّامِ المَحْرُوسِ .

● كُتِبَتْ أَنَا جَوَابَهُ مِنْ رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ^(٢) ، فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ^(٣) :

[من الطويل]

كِتَابُكَ نُورٌ صُنِّتُهُ لِجُفُونِي وَتَاجٌ عَلَا أَعْدَدْتُهُ لِجَبِينِي
أَتَانِي فَلَا وَاللَّهِ مَا اخْتَجْتُ بَعْدَهَا إِلَى أَنْ تَقَرَّ الْحَادِثَاتُ عُيُونِي
وَنَفْسٌ مِنْ ضَيْقٍ بِرَحْبَةِ مَالِكٍ أَكَابِدُهُ مِنْ لَوْعَةٍ وَحَيْنِ
فَمَا الطَّرْفُ إِذْ أَبْصَرْتُهُ بِمُسْهَدٍ وَلَا الْقَلْبُ إِذْ عَايَنْتُهُ بِحَزِينِ
تُغَارِ لَنِي أَلْفَاظُهُ فِي سَطُورِهِ بِسِحْرِ مَعَانٍ مِنْ لَوَاحِظٍ عَيْنِ

(١) في أ ، م : أحمد بن أحمد بن محمد . . . وفي ب : أحمد بن محمد . . . ! . والمثبت من س . وهو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن سليمان بن غانم ، المقدسي الأصل ، الدمشقي ؛ ولد بدمشق سنة ٦٩٩ واشتغل ومهر في الأدب ، وكتب في ديوان الإنشاء ، وكان صاحب دُعابة ومجانة ونوادر وتواضع ؛ مات في جمادى الآخرة سنة ٧٦١ هـ .
ترجمته في : الدرر الكامنة ١٣/١ - ١٤ وأعيان العصر ٥٦/١ .

(٢) رجة مالك بن طوق التَّغْلِي : مدينة بناها المذكور بين الرُّقَّة وبغداد ، على شاطئ الفرات ، أسفل من قرقيسيا . (معجم البلدان ٣/٣٤) .

قلت : وأطلالها بحذاء مدينة الميادين ، وهي قرية من مدينة دير الزور في الجمهورية العربية السورية .

(٣) القصيدة في أعيان العصر ٦٠/١ .

وَأَنْظُرُ فِي مَنُورِهِ مُتَنَزِّهًا وَأَنْظُرُ فِي مَنُورِهِ مُتَنَزِّهًا
وَعَدَوْتُ أَمِينَ الدِّينِ بِالْفَضْلِ بَادِنًا وَعَدَوْتُ أَمِينَ الدِّينِ بِالْفَضْلِ بَادِنًا
بَعَثْتَ مِثَالًا مَا ظَفِرْتُ بِمِثْلِهِ بَعَثْتَ مِثَالًا مَا ظَفِرْتُ بِمِثْلِهِ
فَمَا كُلُّ حُسْنٍ مِثْلُهُ بِمُكَمَّلٍ فَمَا كُلُّ حُسْنٍ مِثْلُهُ بِمُكَمَّلٍ
بَضَائِعُهُ تَجْلُو عَلَيَّ مَحَاسِنًا بَضَائِعُهُ تَجْلُو عَلَيَّ مَحَاسِنًا
لَأَنَّ الَّذِي وَشَى مَطَارِفَ حُسْنِهَا لَأَنَّ الَّذِي وَشَى مَطَارِفَ حُسْنِهَا
أَصْعَتُ أَنَا فَضْلِي وَأَصْبَحَ حَافِظًا أَصْعَتُ أَنَا فَضْلِي وَأَصْبَحَ حَافِظًا
وَكَيْفَ يَضِيعُ الْفَضْلُ عِنْدَ أَمِينٍ وَكَيْفَ يَضِيعُ الْفَضْلُ عِنْدَ أَمِينٍ

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَى الْقَاضِي نَاصِرِ الدِّينِ^(١) ، صَاحِبِ دِيَوَانِ الْإِنشَاءِ

الشَّريفِ ، وَنَحْنُ بِمَرْجِ الْعَسُولَةِ^(٢) ، وَقَدْ زَادَتْ الْأَمْطَارُ وَالرِّيَّاحُ : [من الطويل]

وَلَيْلَةَ بِنَا وَالرِّيَّاحِ عَوَاصِفٌ يَوْبِلُ كَنْبَلٌ لِلخِيَامِ يُخَرِّقُ
فَقُلْتُ لِصَحْبِي : دُونَكُمْ وَسَفِينَةٌ وَإِلَّا بَلَا شِكٍّ مِنَ الْمَاءِ نَعْرِقُ
فَقَالُوا : يُنَجِّينَا إِلَهُ سَعْدٍ مَنْ لَنَا نَاصِرٌ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ يُورِّقُ

● فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمُنَادِيُّ إِلَيْهِ^(٣) : [من الطويل]

لَيْنَ أَرْسَلَ اللَّهُ الرِّيَّاحَ فَإِنَّهَا مُبَشِّرَةٌ وَالْقَوْلُ فِيهَا مُصَدِّقٌ
وَلَيْسَ - مَعَاذَ اللَّهِ - إِزْسَالُهَا لِمَا يُخَافُ وَلُطْفُ اللَّهِ بِالْخَلْقِ مُحْدِقٌ^(٤)
وَحِكْمَتُهَا سَوْقُ السَّحَابِ إِلَى رُبَاً لِيُخَيِّئَ بِهَا مَيْتٌ وَيُظْهَرَ رَوْقٌ^(٥)

(١) هو محمد بن يعقوب بن عبد الكريم . ستأتي ترجمته برقم ٩٤ من هذا الكتاب .

(٢) الْعَسُولَةُ : قرية من قرى دمشق . (معجم البلدان ٤/٢٠٤) .
قلت : ولا تزال تحمل الاسم ذاته ، وتقع على طريق مطار دمشق الدولي . وتلفظ الآن بتشديد السُّنِّ المضمومة .

(٣) الآيات الأربعة الأخيرة في أعيان العصر ٥٨/١ .

(٤) في م : . . . إرساله لها × .

(٥) في م : وحكمته . . . وفي س : . . . إلى دنا × .

وقد ظَهَرَتْ آثارُ صُنْعِ إِلَهِنَا
فَلَسْتَ تَرَى زَهَرَ الشَّقِيقِ مُبَكَّرًا
وَأَغْصَانُ أَشْجَارِ الرِّيَاضِ عَرَائِسُ
وَكُلُّ مِنَ الطَّيْرِ الْمُغَرَّدِ سَاجِعُ
وَكُلُّ بِشْكَرِ اللَّهِ يَنْطِقُ صَادِحًا
أَيَا مَنْ غَدَا يَسْتَوْعِبُ الْوَقْتَ مَذْحُهُ
إِذَا مَا شَكَزَتْ اللَّهُ زَادَكَ رَفْعُهُ
نَسُودُ أَوْرَاقًا وَنَكُتُبُ مَآتِمًا
وَنَظْمُكَ عِنْدِي جَوْهَرٌ وَنِظَامُهُ
فَتَأْذِي الْقَاضِي أَمِينُ الدِّينِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ ، وقال : قد بُثِّتَ عَنْ نَظْمِ الشَّعْرِ ؛

فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ارْتِجَالًا^(٢) : [من السريع]

تَابَ أَمِينُ الدِّينِ مِنْ نَظْمِهِ
وَقَالَ : لَا عُذْتُ إِلَّا بِمِثْلِهَا
فَقَالَ لِي : وَاللَّهِ لَوْ أَنَّكَ
فَقَدَ كَفَى مَا نِلْتَهُ مِنْ أَذَى
وَحَلَّصَ الْأَقْوَامَ مِنْ ذَمِّهِ
فَقُلْتُ : لَا تَهْرُبُ مِنْ سَهْمِهِ^(٣)
مِنْكَ لَمَّا مِلْتُ إِلَى شَمِّهِ^(٤)
وَمَا التَّقَى قَلْبِي مِنْ هَمِّهِ

● وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ^(٥) : [من السريع]

إِنْ كَانَ قَدْ تَابَ بِلا مِرْيَةٍ
وَقَدَّمَ الْإِخْلَاصَ فِي فِعْلِهِ
وَنَحْنُ قَدْ أَمْسَكَ إِفْلَاعُهُ
لَأَنَّهُ سَيِّدُ إِخْوَانِهِ
وَأَمِينُ الدِّينِ فِي قَوْمِهِ
مَنْهُ وَلاَحَ الزَّيْفُ فِي نَظْمِهِ
فِي مَنْعِهِ ، وَالْقَوْلُ فِي ذَمِّهِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا أَيْضًا^(١) : [من السريع]

إِنَّ أَمِينَ الدِّينِ مُذْ تَابَا
وَكَانَتْ الْأَعْطَافُ مِنْ نَظْمِهِ
وَكَيْفَ يَنْسَى لَذَّةَ طَالَمَا
مَا زَالَ مُذْ شَبَّ عَلَى نَظْمِهِ
وِذْهْنُهُ فِي كُلِّ مَعْنَى إِذَا
حَاوَلَهُ يَسْبِقُ نَشَابَا
فَإِنْ يَكُنْ أَمْسَى غَشِيمًا كَمَا
يَزْعُمُ أَغْطَيْنَاهُ رَكَابَا^(٢)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ ، وَقَدْ تَخَلَّفْتُ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَرْجِ ضُحْبَةَ الْجَمَاعَةِ

الْمُوقِّعِينَ^(٣) : [من الطويل]

٦١٧٣٣١

خَلِيلِي مَا الْمَرْجُ الْخَصِيبُ بِطَيِّبٍ
وَإِذَا لَمْ يَرِ إِبْرَاهِيمُ وَجْهَ خَلِيلِهِ
وَمَا هُوَ إِلَّا مَارِجٌ بَعْدَ بُعْدِهِ
وَلَوْ زَارَهُ جَالُ النَّدَى بِنَجِيلِهِ

● وَكَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ أَبْيَاتًا ، لَمَّا حَصَلَ (لِي) يَرْقَانُ ، أَعْتَذَرْتُ فِيهَا عَنْ عَدَمِ

التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَرْجِ ، جَاءَ مِنْهَا فِي الْجَوَابِ : [من الخفيف]

(١) الأبيات في أعيان العصر ٥٩/١ .

(٢) وسقط ما بعد ذلك من س .

(٣) البيتان في أعيان العصر ٥٩/١ . وهما ساقطان من م .

(١) في م : × المصنف .

(٢) الأبيات في أعيان العصر ٥٨/١ .

(٣) قوله : لا تهرب ، أصلها : لا تهرين ، فحذفت النون وبقيت فتحة الباء دليلاً عليها . وفي هامش س : لا تَسْتَحْفِ . قلت : وهي رواية جيدة .

(٤) روايته في ب :

فقال لي : لو أَنَّكَ سُكَّرَ (؟) وَاللَّهِ مَا مِلْتُ إِلَّا إِلَى شَمِّهِ

(٥) عدا الثالث والرابع ، في أعيان العصر ٥٨/١ - ٥٩ .

يا ابنَ سينا الزَّمانِ مِنْكَ شِفائِي
جاءَ لِلْعَبْدِ مِنْكَ قِانونٌ نَظْمٌ
ما بَرِيءُ عِلَّتِي التي قد عَرَّتْنِي
فَصَفَّارِي هَذَا وَأَبْيَضُ شَيْبِي
تَمَّ عِنْدِي تَشْبِيهُ شَيْبِي بِتَمَّ

● وكتب أيضاً : [من السريع]

صَفَّرَنِي ذا الِيرْقَانُ الذي
يَنْفِرُ مَنْ يُصِرُّنِي مُقْبِلاً

● وكتب أيضاً : [من الطويل]

تَصَدَّقْ خَلَاقِي عَلَيَّ بِصِحَّةٍ
وَمَرَّ عَلَى غَيْرِي سَقَامٌ وَصِحَّةٌ

● فكتب هو إليّ^(٤) : [من الكامل]

حاشاك من أَلَمِ أَلَمٍ بِمُهْجَةٍ
وَكُفَيْتَ كُلَّ مُلَمَّةٍ وَمَخَافَةٍ
مُتَمَتِّعاً مُتَنَمِّعاً فِي جَلْقِ الْـ
وَتَرَى بِهَا أَثَرِابَهَا وَكَواعِباً
يا أَوْحِداً فِي جِيلِهِ بِجَمِيلِهِ

وَوَلائِي الْمَشْهُورُ فِيكَ نَجَاتِي
فِي إِشارَتِهِ حُلَى النِّعَمَاتِ
وَبَرَّتْنِي بَرِّي الْمُدَى القاطِعَاتِ^(١)
نَزَجِسُ لِلنُّفُوسِ غَيْرُ مُوَاتِي^(٢)
قد غدا ناظراً بِعَيْنِ الْبُزاةِ^(٣)

بِمِثْلِهِ الْأَسْقَامُ لَمْ تَظْهَرِ
حَتَّى كَأَنِّي مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ

تَسُرُّ وَأَغْفَانِي زَمَاناً وَعَافَانِي
ولم يُرْقَانِ مِثْلُ ذا يَرْقَانِي

قد مَسَّهَا أَلَمٌ مِنَ الِيرْقَانِ
[١٤] وَلَبِستَ ثَوْبَ سَلامَةٍ وَأَمَانِ^(٥)
فَفِيحَاءِ ذَاتِ جَنَى وذاتِ جَنَانِ
بِخُدودِهِنَّ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ
كم فِي فُنُونِ فَنَّاكَ مِنْ أَفْئانِ

(١) في ب : . . . التي غَيَّرْتَنِي × .

(٢) سقط عجز هذا البيت وصدر الذي يليه من ب ، وتلفق الموجود مما بقي منهما .

(٣) التَّم : طائرٌ نحو الإوز ، في مقارنه طولٌ ؛ عنقه أطول من عنق الإوز . (حياة الحيوان ١/٥٣٦) .

(٤) الأبيات في أعيان العصر : ٥٩/١ - ٦٠ .

(٥) في م : . . . ومخوفة × .

مَنْ ذا يُضَارِعُ بَحْرَ شِغْرِكَ فِي الْوَرَى يا خَبَرَ عِلْمٍ مالَهُ مِنْ ثَانٍ
٢ * إبراهيم بن محمود بن سلمان بن فهد^(١) :

القاضي الكبيرُ الرَّئيسُ جمالُ الدِّينِ ، أَبُو إِسحاق ، بن العلامة شيخنا
الإمام الكاتب الأديب شهابُ الدِّينِ بن الإمام زين الدِّينِ الحَلَبِيِّ ، كاتب السُّرِّ
الشَّريف بحلب المحروسة .

● كَتَبَ إِلَيَّ وهو بالقاهرة ، وأنا بها ، في سنة ٧٤٥ مُلَغِزاً في اسمِ
عُلبِكَ^(٢) : [من السريع]

إِنَّ اسْمَ مَنْ أَهْوَاهُ تَضَحُّفُهُ وَصَفَّ لِقَلْبِ الْمُذْنَفِ الْعَانِي^(٣)
وَشَطْرُهُ مِنْ قَبْلِ تَضَحُّفِهِ يُقَادُ فِيهِ الْمُذْنَبُ الْجَانِي^(٤)
وَأَزَلَّتِ الرُّبْعَ مِنْهُ غَدَا مُصَحِّفاً لِي مِنْهُ ثُلْثَانِ^(٥)
وهو إِذا صَحَّفْتَهُ ثَانِيَا اسْمٌ لِمَحْجُوبٍ لَنَا ثَانِ^(٦)

● فكتبَ الجوابَ إِلَيَّ عن ذلك^(٧) : [من السريع]

لُغْزُكَ يا مَنْ رُوِّيَتْ وَجْهَهُ تَكْحَلُ بِالْأَنْوَارِ أَجْفَانِي

(١) ترجمته في : أعيان العصر ١/١٢٧ والوافي بالوفيات ٦/١٤٣ وخيل المعبر للحسيني ٣٣٠ وتذكرة
النبه ٣/٣٢٢ والمتقى من درة الأسلاك ٣٢٠ ووفيات ابن رافع ٢/٣٥٦ وتعريف ذوي العلا ١٢٠
وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١٤٩ ودرر العقود الفريدة ٦/١٢٣ والدرر الكامنة ١/٧١ والمنهل
الصافي ١/١٧٢ والدليل الشافي ١/٢٨ والنجوم الزاهرة ١٠/٣٣٣ والدليل التمام ١/١٦٩ .
- مولده سنة ٦٧٦ هـ . ووفاته سنة ٧٦٠ هـ .

(٢) الأبيات في أعيان العصر ، والوافي ، والأول والثاني في الدرر الكامنة .

(٣) يريد : عليل .

(٤) يريد : غل .

(٥) يريد : علي - ثلثه : لي .

(٦) يريد : عليك .

(٧) الأبيات في أعيان العصر ، والوافي .

هَدَى ضَمِيرِي لِجَمَى حَلِّهِ وَأَيَّدَ الْقَوْلَ بِزُهَانِ
 إِنْ زَالَ مِنْهُ الرُّبْعُ مَعَ قَلْبِهِ فَإِنَّهُ لِلْمُذْنِبِ الْجَانِي^(١)
 « عَلَيْكَ » تَصْحِيفُ الَّذِي رُمَتْهُ فَالْقَلْبُ فِي تَضْحِيفِهِ الثَّانِي^(٢)

● وَأَنْشَدْتُ جَمَاعَةَ الدُّبَّانِ - كُتَّابُ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِمِصْرٍ - لُغْزاً كُنْتُ

نَظَّمْتُهُ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ فِي مِثْقَابٍ ، وَهُوَ^(٣) : [من السريع]

مَا غَائِصٌ فِي يَابِسٍ كُلَّمَا جَلَدَتْهُ سَوْطاً أَجَادَ الْعَمَلِ
 ذُو مُقْلَةٍ غَاصَ بِهَا رَأْسُهُ وَالرَّأْسُ فِي الْعَادَةِ مَأْوَى الْمُقْلِ

● فَكُتِبَ إِلَيَّ الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ الْجَوَابُ : [من السريع]

« مِيقَاتُ » مَا أَلْغَزْتُ لِي فِي اسْمِهِ تَمَّ بِتَضْحِيفِي لَهُ وَاتَّكَمَلِ
 يَدُورُ بِالْقَوْسِ مَدَى سَيْرِهِ بَدْعاً وَعَوْداً لِيَتِمَّ الْعَمَلِ

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَهْنَتْهُ بِعَوْدِهِ إِلَى كِتَابَةِ الشَّرِّ الشَّرِيفِ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ فِي

سَنَةِ ٧٥٢^(٤) : [من الطويل]

يَعُودَتِكَ الْغَرَاءُ قَرَّتْ نَوَاطِرُ وَأَمْسَتْ وُجُوهُ الْبَشَرِ وَهِيَ نَوَاضِرُ
 فَرَوْضُ الْأَمَانِي ظِلُّهُ بِكَ وَارِفُ وَخَوْضُ التَّهَانِي طَلُّهُ مِنْكَ وَافِرُ^(٥)
 لِأَنْبَائِكَ الْحُسْنَى أَصَحْنَا مَسَامِعاً فَيَا طَيْبَ مَا أَمَلْتُ عَلَيْنَا الْبَشَائِرُ
 وَفِينَا بَنْدَرٍ أَوْجَبْنَاهُ عَلَى الْوَرَى صَنَائِعُكَ الْآلَتِي حَوَتْهَا الْمَآثِرُ
 وَقَمْنَا بِمَا أَلْزَمْتَنَا مِنْ مَحَامِدٍ إِذَا تَلَكَّتْ تَسْعَى إِلَيْهَا الْمَنَابِرُ

(١) يريد : كبل .

(٢) تصحيفه الثاني : عليل .

(٣) البيتان وجوابهما في الوافي . وانظر إجابة أحمد بن علي السبكي عنهما في الوافي ٢٥١/٧ .

(٤) الأول والثاني والسادس والسابع من مقطوعة في جنان الجناس ٩٣ [ضمن مجلة الذخائر ٤] .

(٥) في أ ، ب ، س : ظلله منك وافر . والمثبت من م .

لَكَ اللَّهُ مَوْلَى جُودُهُ مَلَأَ الْمَلَا فَرَوْضُ النَّدَى بِالْفَضْلِ زَاهٍ وَزَاهِرُ
 رَوَى خَيْرَ الْإِحْسَانِ عَنْكَ أُولُو التُّهَى وَحَقَّقَهُ عِنْدَ الْأَنَامِ التَّوَاتُرُ
 فَلَا عَدِمَ الْإِسْلَامُ شَخْصَكَ كُلَّمَا تَرَنَّحَ عُصْنٌ فَوْقَهُ نَاحٍ طَائِرُ
 يَقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُهَيِّئُ نَفْسَهُ وَالْأَنَامَ وَالْأَيَّامَ ، وَمَنْ خَطَّ الطُّرُوسَ وَوَشَّعَ
 بُرُودَهَا بِالْأَقْلَامِ ، وَمَنْ كَتَبَ الْإِنْشَاءَ فَأَخَى مِنْ كَلَامِهِ بَيْنَ الْجَوْهَرِ فِي
 النَّظَامِ^(١) ، وَمَنْ نَظَّمَ قَرِيضَهُ فَأَخَمَلَ فِي الْخِمَائِلِ سَاجِعَاتِ الْحَمَامِ ؛ لِأَنَّ مَوْلَانَا
 - بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهُ - بَرَكَتُهُ هَذَا الْوُجُودَ ، وَمِنْ هَبَاتِ نَسِيمِهِ يَنْشَقُّ النَّاسُ عَرَفَ الْهَبَاتِ
 وَالْجُودِ .

ويُنْهِي مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِتِّهَاجِ [ب] وَالشُّرُورِ ، وَالْهِنَاءِ الَّذِي التَّحَفَ مِنْهُ
 بِالتَّحَفِ وَحَبَاهُ الْحُبُورُ ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ أَيَّامَ مَوْلَانَا الَّتِي هِيَ أَمَانٌ مِنَ الْحَوَادِثِ
 وَالْغَيْرِ ، وَجَمَالُ الْكُتُبِ وَالسَّيْرِ ؛ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ : [من الطويل]

بِفَضْلِ صَلَاحِ الدِّينِ سُرَّتْ سَرَائِرُ وَوَافَتْ إِلَيْهَا بِالتَّهَانِي الْبَشَائِرُ
 وَبِالسَّبْقِ مِنْهُ حَازَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَإِخْسَانُهُ وَالْفَضْلُ وَافٍ وَوَافِرُ
 أَتَانِي كِتَابٌ مِنْهُ أَبْهَجَ نَاطِرِي حَكَى الرَّوْضَ رَوَاهُ مِنَ الشُّحْبِ مَاطِرُ
 حَوَى مِنْ بَدِيعِ النَّظْمِ عَقْدَ بِلَاغَةٍ لَهُ جَوْهَرٌ مِنْ طَرْسِهِ مُتَنَائِرُ^(٢)
 وَكَمْ فِيهِ مِنْ مَعْنَى يَرُوقُ بَدِيعُهُ فَيَا حُسْنَ مَا أَمَلْتُ عَلَيْهِ الْمَحَابِرُ
 فَأَعْجَزَنِي عَنْ وَصْفِ مَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ بَيَانٍ فَوْصَفِي عِنْدَ ذَلِكَ قَاصِرُ
 وَلَمْ أَسْتَطِعْ رَدَّ الْجَوَابِ لِأَنَّنِي أَحَاوِلُ أَنْ تَدْنُو إِلَيَّ الزَّوَاهِرُ

(١) في م : بين الجواهر والنظام .

(٢) في س : × . . . في طرسه . . .

فَسَامِحٌ بِفَضْلٍ مِنْكَ عَبْدًا مُقْضَرًّا فَإِنَّكَ بِالْإِغْضَاءِ لِلْعَيْبِ سَائِرُ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، لَا زَالَتْ مَطَالِعُهَا مَشَارِقَ الْأَنْوَارِ ، وَمَرَابِعُهَا مَرَاتِعَ التَّهَانِي
وَمَوَاطِنَ الْمَسَارِّ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، الْمُشْتَمِلِ مِنْ جَوَاهِرِ الْبَدِيعِ
عَلَى مَا يُخْجِلُ زُهْرَ اللَّالِي ؛ فَقَبْلَهُ الْمَمْلُوكُ حِينَ وَاثَاهُ ، وَأَجَلَ مُحَلَّهُ حِينَ
تَلَقَّاهُ ، وَكَلَّفَ بِمَضْمُونِهِ فَكَلَّمَا انْتَهَى إِلَى مُنْتَهَاهُ ، أَعَادَ لَثْمَهُ وَابْتَدَاهُ ؛ وَعَلِمَ
مَا تَفَضَّلَ بِهِ مَوْلَانَا مِنْ تَهْنِئَةِ الْمَمْلُوكِ بِالْمَنْصِبِ الَّذِي كَانَ الْمَمْلُوكُ عَنْهُ بِفَضْلِ
اللَّهِ فِي غِنَى ، وَالرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي مَا أَزْدَادَ الْمَمْلُوكُ^(١) بِهَا إِلَّا التَّعَبَ وَالْعَنَاءَ ، وَتَحَقَّقَ
الْمَمْلُوكُ صَدَقَةً^(٢) مَوْلَانَا الَّتِي أَلْفَهَا قَدِيمًا وَأَنِفًا ، وَمَحَبَّتَهُ الَّتِي لَمْ يَزَلِ الْمَمْلُوكُ
عَلَى مِثْلِهَا مُقِيمًا وَيُمِثِّلُهَا عَارِفًا .

وَعَلِمَ مَوْلَانَا الْكَرِيمُ مُحِيطٌ ، بِأَنَّ الْمَمْلُوكَ كَانَ قَدْ حُطَّ عَنْهُ وَاسْتَرَاحَ^(٣)
وَسَكَنَ ، وَأَغْلَقَ الدُّكَّانَ وَلَزِمَ الْوَطَنَ .

فَلَمَّا اتَّفَقَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمَمْلُوكِ مَا اتَّفَقَ مِنَ الْمَقَادِيرِ الَّتِي لَا مَحِيدَ عَنْهَا ،
وَالْأُمُورِ الَّتِي - إِنْ سَخِطَ أَوْ رَضِيَ - لَا بُدَّ مِنْهَا ، مَا أَمَكَّنَهُ إِلَّا التَّسْلِيمَ لِحُكْمِ اللَّهِ
وَأَمْرِهِ ، وَالرِّضَا بِمَا قَدَّرَهُ مِنْ حُلُولِ الْقَضَاءِ وَمُثَرِّهِ ؛ وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ لَا يَكُونَ لِشَرِّ
قَضَاءِ اللَّهِ ، بَلْ لِيُخَيَّرَ قَدَرُهُ ، وَرِزْقِي يَسَّرَهُ ، وَأَجْرِي سَاقَهُ وَقَوَّرَهُ .

وَالْمَمْلُوكُ يَرْجُو أَنْ تَكُونَ الْآخِرَةُ إِلَى خَيْرٍ ، فَقَدْ قَرَّبَتِ الْمَنْزِلَةُ وَحُثَّ إِلَيْهَا
السَّيْرُ ؛ وَقَدْ تَقَلَّدَ الْمَمْلُوكُ لِمَوْلَانَا هَذَا الْإِحْسَانَ ، وَهُوَ يَغْتَذِرُ مِنَ التَّقْصِيرِ عَنِ
الْقِيَامِ بِشُكْرِ هَذِهِ الْعَوَارِفِ الْإِحْسَانِ ؛ فَلَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيِ مَوْلَانَا لَا تَفْتَحَ لَهُ مِنَ
الْمَعَانِي كُلِّ بَابٍ ، وَاقْتَبَسَ مِنْ فَوَائِدِهِ وَفَرَائِدِهِ مَا يَنْظُمُهُ فِي سِلْكِ هَذَا

(١) فِي ب : وَجْهَ الْمَمْلُوكِ . وَفِي م : بِهَا الْمَمْلُوكُ .

(٢) فِي ب : صِدَاقَةُ مَوْلَانَا .

(٣) فِي م : وَرَاحَ .

الْجَوَابِ ؛ وَإِنَّمَا بُعِدَهُ عَنْ فَضَائِلِ مَوْلَانَا ، أَوْجَبَ لَهُ الْإِعْتِرَافَ بِتَقْصِيرِهِ ،
وَالْتَّعْوِضَ بِقَلِيلِ اللَّفْظِ عَنْ كَثِيرِهِ ، وَمَا نَمَّ غَيْرُ صَفْحِ مَوْلَانَا الْجَمِيلِ ، وَاللَّهُ
يُبْلِغُهُ مِنَ الْأَمَانِي نِهَاطَةَ التَّأْمِيلِ ، بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَلَمَّا أَبْطَأَ عَنِّي جَوَابُهُ هَذَا ، لِأَنِّي حَامِلُهُ آخِرُهُ عِنْدَهُ ، كَتَبْتُ أَنَا كِتَابًا إِلَيْهِ
فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَافْتَتَحْتُهُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ^(١) : [مِنْ الْبَسِيطِ]

أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ لَقَّاكَ أَوَّلَهُ وَلَا اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا
● فَكَتَبْتُ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ : [مِنْ الْبَسِيطِ]

يَا مَالِكًا لَمْ تَزَلْ تَأْتِي عَوَارِفُهُ يُعِينُهَا كَرَمًا مِنْهُ وَيُيَدِّدُهَا
وَافِي مُشْرِفِكَ الْعَالِي فَقَبْلَهُ عَبْدٌ لِأَنْعَمِكَ اللَّاتِي تُوَالِيهَا
لَا زِلْتُ تَرْقَى إِلَى الْعُلْيَاءِ مَنْزِلَةً [هـ] لَا يَسْتَطِيعُ مُدَانِ أَنْ يُدَانِيهَا
وَلَا بَرَحَتْ مَدَى الْأَيَّامِ تَزْفُلُ فِي مَلَابِسٍ مِنْكَ بِالتَّقْوَى تُحَلِّيَهَا
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، لَا زَالَتْ سَاحَاتُهَا تُقْبَلُ وَتُخَدَّمُ ، وَأَوْصَافُ مَحَاسِنِهَا يُبْدَأُ
بِهَا الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ ؛ وَيُنْهِي بَعْدَ دُعَائِهِ الَّذِي فَرَضَهُ عَلَيْهِ تَحْتَمُّ ، وَاعْتِدَادُهُ
بِمَنْتِهِ الَّتِي كُلُّ ذِي جُودٍ مِنْ كَرَمِهَا يَتَعَلَّمُ^(٢) .

٣ * إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ :^(٣)

الْشَيْخُ يُرْهَانُ بْنُ الْمُذَيْنِ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ غَلَامِ الثُّورِيِّ^(٤) ، وَبِالْمِعْمَارِ ،

(١) الْبَيْتُ لِلْمَعْنِيِّ فِي دِيْوَانِهِ ٢٦٨/٤ .

(٢) كَذَا فِي أ ، ب ، م ، س . وَالرَّسَالَةُ نَاقِصَةٌ .

(٣) تَرْجَمْتُهُ فِي : أَعْيَانُ الْعَصْرِ ١٤٦/١ وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٧٣/٦ وَتَعْرِيفُ ذَوِي الْعِلَالِ ٦٦ وَفَوَاتُ

الْوَفَايَاتِ ٥٠/١ وَتَارِيخُ ابْنِ قَاضِي شَهْبَةِ ٥٥٧/١ وَالدَّرَرُ الْكَامِتَةُ ٤٩/١ وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي ١٨٨/١

وَالدَّلِيلُ الشَّافِي ٣٢/١ وَحَسَنُ الْمَحَاضِرَةِ ٤٩٤/١ .

(٤) تَصَخَّفَ فِي تَارِيخِ ابْنِ قَاضِي شَهْبَةِ إِلَى : ابْنِ غَلَامِ الثُّورِيِّ !

وبالحجَّار ، رحمه الله تعالى .

وفاته بالقاهرة سنة ٧٤٩ في طاعون مصر .

● كَتَبَ إِلَيَّ وَقَدْ وَرَدَتْ الْقَاهِرَةُ فِي سَنَةِ ٧٤٥ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ^(١) : [من السريع]

وَافِي صَلَاحِ الدِّينِ مِصْرَافِيَا نَعَمْ خَلِيلٍ حَلَّهَا بِالْفَلَاحِ^(٢)
فَلْيَهْنِهَا الْإِقْبَالُ إِذْ أَصْبَحَتْ بِالْمَلِكِ الصَّالِحِ دَارَ الصَّلَاحِ
● فَكُتِبْتُ الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٣) : [من السريع]

خَلِيلٌ فِي الشَّامِ هِلَالٌ بَدَا وَبَذَرَ إِبْرَاهِيمَ فِي مِصْرٍ لَاحِ^(٤)
ذَا كَامِلٌ مِنْ حَيْثُ ذَا نَاقِصٌ وَذَاكَ بُزْهَانٌ وَهَذَا صَلَاحٌ
٤ * إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَسْكَرٍ^(٥) :

الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ ، الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، ابْنُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ
الْعَلَّامَةِ شَرْفِ الدِّينِ ، الْقَيْرَاطِيِّ الْمِصْرِيِّ .

(١) هما في أعيان العصر ، والوافي ، والمنهل الصافي .

(٢) في م : . . . بِالصَّلَاحِ ! .

(٣) هما في أعيان العصر .

(٤) في م : خَلِيلٌ بِالشَّامِ . . . X .

(٥) ترجمته في : الذيل على العبر ٤٨٩/٢ والعقد الثمين ٢١٧/٢ ودرر العقود الفريدة ٧٢/١ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٢/٣ وإنباء الغمر ٣١٢/١ والدرر الكامنة ٣١/١ والمنهل الصافي ٨٩/١ والذليل الشافي ١٨/١ والنجوم الزاهرة ١٩٦/١١ وحسن المحاضرة ٤٩٤/١ وشذرات الذهب ٨/٨ ٤٦٥ . وفي م : إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَسْكَرٍ ! ! .

- توفي بمكة سنة ٧٨١ هـ . ومولده سنة ٧٢٦ هـ .

- الترجمة ساقطة من س .

● لَمَّا تُوفِّي شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ قَاضِي الْقَضَاةِ ، تَقِيُّ الدِّينِ ، أَبُو الْحَسَنِ ، عَلِيُّ الشُّبْكِيُّ الشَّافِعِيُّ ، رِثَاءُ بِقَصِيدَةٍ نُونِيَّةٍ^(١) ، فَجَهَّزَهَا وَلَدُهُ - الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ بِهِاءِ الدِّينِ ، أَبُو حَامِدٍ - أَحْمَدُ - إِلَيَّ ، قَرِينَ مَا رُثِيَ بِهِ ، فَكُتِبْتُ الْجَوَابَ إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَصِيدَةِ : [وَأَمَّا نُونِيَّةُ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ بُرْهَانَ الدِّينِ الْقَيْرَاطِيِّ ،]^(٢) فَإِنَّ الْمَمْلُوكَ وَازَنَ بِقِنَاطِيرِهِ قَيْرَاطَهَا ، وَأَهْدَى مِنْهَا إِلَى الرُّؤُوسِ وَالْآذَانِ تِنِجَانَهَا وَأَقْرَاطَهَا ؛ وَقَالَ : [من السريع]

وَزَنْتُ أَهْلَ النَّظْمِ فِي عَصْرِنَا مِنْ غَيْرِ إِجْحَافٍ وَإِسْقَاطٍ
فَأَهْلُ مِصْرَ عِنْدَ وَزْنِي لَهُمْ زَادُوا عَلَى الدُّنْيَا بِقَيْرَاطٍ
فَنُونُهَا يَسْبُحُ مِنْ فُتُونِهَا فِي يَمٍّ ، وَيَخْكِ لِمَنْ غَابَ عَنِ الْمَأْتَمِ مَا تَمَّ ، وَاللَّهُ يُمَتِّعُ الْأَدَابَ بِهَذِهِ الْفَوَائِدِ الْعُضَّةِ ، وَلَا يُؤَاخِذُهُ بِمَا صَنَعْتَ بِنَانَتُ فِكْرِهِ ، فَإِنَّهَا جَمَعَتِ الْأَخْزَانَ وَجَعَلَتِ الدَّمُوعَ مُرْفَضَةً .

● ثُمَّ إِنَّ جَوَابَ الشَّيْخِ بِهِاءِ الدِّينِ عَادَ مَعْطُوفًا عَلَى قَصِيدَةِ نَظْمِهَا الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْقَيْرَاطِيِّ : [من السريع]

يَا حَاكِمًا عُدَلَّ أَقْوَالُهُ فَلَمْ تُرْغَ يَوْمًا بِإِسْقَاطٍ
أَقْنَتَ لِلشَّعْرِ عَمُودًا لَهُ بِأَزْضٍ مِصْرَ أَيْ فُسْطَاطٍ
بَنَاتُ أَفْكَارِكَ فِيهِ غَدَتْ مَصُونَةً عَنْ شَبِّهِ الْوَاطِي
تَسْمُو قَوَافِيهِ فَيَخْطُطُهَا مِنْ فِكْرِكُمْ عَزْمَةٌ مُحْتَاطٍ
لَجَجَتْ فِي أَبْحَرِهِ سَابِحًا إِذْ وَقَفَ النَّاسُ عَلَى الشَّاطِي
حَلَّى لَنَا مِصْرَ وَقَدْ حَلَّهَا مِنْ دُرَرِ النَّظْمِ بِأَسْمَاطٍ

(١) القصيدة في طبقات الشُّبْكِيِّ ٣٣١/١٠ - ٣٣٣ .

(٢) ما بين معقوفين من ط . وفوق كلمة (فَإِنَّ) في الأصل إشارة استلحاق ، وليس في الهامش شيء ، فلعله نسي .

جَزَّازَهَا أَمَسَتْ تَقَاطِيفُهُ
مُذْ جَاءَهَا مِنْكَ الْقَرِيضُ الَّذِي
كَانَ الرَّيِّعُ الطَّلُقُ وَافَى لَهَا
لَوْ شَهِدَ الْوَرَّاقُ تَخْيِيرَهُ
أَوْ سَرَّحَ الْجَلِّيَّ فِي رَوْضِهِ
حَلْيٍ وَحَلَوَى كَمْ شَدَدْنَا لَهُ
مَقْبُولُ أَعْمَالِكَ فِيهِ رَمَى
طُفْتُ وَطَافَ النَّاسُ بَيْتَ الْعُلَا
قَالَ الْعِدَى : أَفَرُطْتُ فِي مَدْحِهِ
إِنْ نَسَرَ الدَّرُّ لَنَا نَاطِظاً
أَوْ شُبَّهَتْ بِالْبَيْضِ أَقْلَامُهُ
أَصَابَ أَغْرَاضاً تَسَامَتْ فَلَا
[ه ب] سَاءَ مِزَاجُ النَّاسِ أَوْ خِلَتْهُمْ
عَنْ شُغْلِ الْخَيْرَاتِ قَدْ أَصْبَحُوا
أَفْدَى مَرَاثِيكَ الَّتِي صُغَّتْهَا
قَالَتْ لَنَا السَّاعَةُ لَمَّا قَضَى :
مَضَى إِمَاماً لِلْوَرَى حُجَّةً
وَنَاطَ بِي حُزْناً ثِيَابَ الْأَسَى

تُدْعَى وَقَدْ بَارَتْ بِأَسْقَاطِ
يَخْشَى مُضَاهِيهِ سَطَا السَّاطِي
فَشُنِّقَتْ مِنْهُ بِأَقْرَاطِ
بَرَى لَهُ أَقْلَامَ خَطَّاطِ
طَرْفاً أَبَى تَقْرِيطَ أَمْشَاطِي
مَنَاطِقَ الشُّكْرِ بِأَوْسَاطِ
أَعْمَالِ أَقْوَامِ بِإِجْبَاطِ
فَقَتَّتْهُمْ سَبْقاً بِأَشْوَاطِ
فَقُلْتُ : هَذَا فَوْقَ إِفْرَاطِي
قُلْنَا لَهُ : يَا خَيْرَ لَقَاطِ
فَعَيَّرُهَا يُدْعَى بِمِشْرَاطِ
تَدْنُو إِلَيْهَا خُطْوَةُ الْخَاطِي
قَدْ طَبِعُوا مِنْ شَرِّ أَخْلَاطِ
أَفَرَّغَ مِنْ حَجَّامِ سَابَاطِ^(١)
فِي عَالِمِ خَبَرٍ بِأَقْسَاطِ^(٢)
مَضْرُوعٌ ذَا مِنْ بَعْضِ أَشْرَاطِي
وَفَازَ فِي الْخُلْدِ بِأَنْمَاطِ
فَالْيَوْمَ ذَاتِي ذَاتُ أَنْوَاطِ^(٣)

(١) حَجَّامِ سَابَاطِ : يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْفِرَاقِ ، يُقَالُ : أَفَرَّغَ مِنْ حَجَّامِ سَابَاطِ . (ثمار القلوب ٣٧٧/١)

(٢) فِي ب : X جَزَّ بِإِسْقَاطِ .

(٣) ذَاتُ أَنْوَاطِ : شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضِرَاءُ ، كَانَتْ قَرِيشٌ وَمِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ مِنَ الْعَرَبِ يَأْتُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ ، فَيَعْلَقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا ، وَيَعْكِفُونَ عِنْدَهَا يَوْمًا . (ثمار القلوب ٤٦٠/١ و ١٠٠٥/٢)

وَعَامُنَا فِي مِضْرَ مِنْ أَجْلِهِ
اغْضِ صَلاَحَ الدِّينِ يَا سَيِّدَا
فَمِضْرُ قَالَتْ لِلشَّامِ إِرْجَحِي
جَمِيعُ أَجْزَائِي غَدَتْ دُونَهُ
مَا لِلْمُثَاقِيلِ إِذَا وَازَنْتَ
رِضَاكَ عَمَّا قُلْتُ يَا سَيِّدِي
أَرْقَصْنِي مُطَرِبُهُ فَزَحَّةً

عَامُ ابْنِ هَمَّامٍ بِدُمِيَّاطِ^(١)
مُتَنَجِّباً مِنْ خَيْرِ أَسْبَاطِ
بِسَيِّدِ اللَّتْجَمِ حَطَّاطِ
كَيْفَ أَسَاوِيهِ بِقِيْرَاطِ
دُرّاً وَيَتِيْرَ غَيْرَ أَفْسَاطِ
يُسْخِطُ ضِدِّي أَيَّ إِسْخَاطِ
يَبْنِي الدُّنْيَا بِأَبَاطِي

● فَكْتُبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [مَنْ السَّرِيعُ]

غَيْدَاءُ مَا اخْتَجَعْتُ لِمَشَّاطِ
أَوْ رَوْضَةً فَيَحْأُ أَمْ حُلَّةً
أَمْ شَعْرُ مَنْ زَادَتْ قَنَاطِيرُهُ
نَعَمْ وَإِلَّا لَيْسَ ذَا دَارِجاً
فَالْحَبَّةُ أَنْصَافَتْ إِلَى أُخْتِهَا
مُخَكَّمَةُ الْأَلْفَاطِ مِنْ أَجْلِهَا
لَوْ دَخَلْتُ سَمْعَ أَبْقَرِاطِهَا
تَشَعَّبَتْ فِيهَا مَجَارٍ مِنْ أَلِ
يَا خَجَلْتَنِي مِنْهَا وَقَدْ بَيَّنْتُ
وَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ كُلَّ الَّذِي
وَكُنْتُ مِنْ نَظْمِي أَرَى أَنْتَنِي

أَمْ دُرُّ بَحْرِ مَا لَهُ شَاطِي
مِنْ رَقَمِ تَيْسٍ وَدُمِيَّاطِ
فَضْلاً وَقَدْ سُمِّيَ بِقِيْرَاطِي
فِي حُكْمِ إِدْرَاجٍ وَإِسْقَاطِ
كَأَنَّهَا مِنْ خَرِطِ خَرَّاطِ
قَدْ سَقَطَتْ حِكْمَةُ سُقْرَاطِ
جَنَّتْهُ وَحَلَّتْهُ بِأَقْرَاطِ
آدَابِ تَخْتِاجُ لِقْنِيَّاطِ^(٢)
فِي النَّظْمِ أَوْهَامِي وَأَغْلَاطِي
عَمِلَتْهُ اخْتَصَّ بِإِجْبَاطِ
أَرْفُلُ مِنْهُ فِي سَكْرَاطِ^(٣)

(١) الإِشَارَةُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامٍ بَطْلٍ مَقَامَاتٍ الْحَرِيرِيِّ فِي الْمَقَامَةِ الدُّمِيَّاطِيَّةِ ، وَمَا عَنَانَهُ فِي دُمِيَّاطِ ، عَامُ هِيَاطِ وَمِيَّاطِ . (مقامات الحريري ٢٥ وشرح المقامات للشريشي ١٥٨/١) .

(٢) فِي ب : . . . بِحَارٍّ مِنْ أَلِ X . وَفِي م : X تَحْتَاجُ لِقْنَاطِ .

(٣) لَعْلُ السَّكْرَاطِ ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ .

حَتَّى أَتَنِّي وَإِذَا مِغْطَفِي
زَفَفْتُهَا خَوْدًا إِلَى جِلْقِي
حُلَّتْهَا جَلَلْتُ فَمَا مَسَّهَا
وَشِعْرُهَا شَعْرُ فَتَاةٍ سَمَا
أَمَّا السَّرَاجَانِ فَقَدْ أَصْبَحَا
وَابْنُ الْحَرِيرِيِّ مَقَاطِيعُهُ
وَكُلُّ مُضَرِّيٍّ مُصِرٌّ عَلَى
وَكُلُّ شَامٍ شَامٌ مِنْكَ السَّنَا
فَاخْفِظْ لَأَلِي النَّظْمِ إِنْ جُزَتْ فِي الْ
لَا تَمْشِ إِلَّا بِاخْتِرَازٍ عَلَى
كَيْفَ أُجَارِي فِي الْمَعَالِي لِمَنْ
وَلَوْ رَأَى تِلْكَ وَذِي حَاكِمٍ
لَوْ شِئْتُ جَبْرِي فِي جَوَابِي لَهَا
فَخُذْ فَهَذَا بَعْضُ مَا عَقَّنْتُ
لَا أَنْسَ مَا قَدْ أَذْكَرْتَنِي بِهِ
يَلْقُطُ بِالذَّوْقِ الَّذِي عِنْدَهُ
وَيُخْرِجُ الْأَحْكَامَ مِنْ ضَمْنِهَا

يَلْتَفُ فِي بُرْنَسٍ بُرْنَاطٍ^(١)
فِي خَلْقٍ شَقَّتْ وَأَسْمَاطٍ
رَاحَةُ رَفَاءٍ وَخِيَاطٍ
عَنْ كَفِّ مَحَارٍ وَأَمْشَاطِي
قَدَامَهَا فِي زِيٍّ نَفَاطٍ^(٢)
أَكْسَدُ مِنْ مَقْطَعِ سُنْبَاطٍ^(٣)
فَضْلِكَ مِنْ عُرْبٍ وَأَقْبَاطٍ
وَعَارَ حَتَّى كُلُّ غَرْنَاطِي
قَضْرَيْنِ مِنْ غِيلَةِ بَطَاطٍ
نَظْمِكَ مِنْ لِصٍّ وَشَرَاطٍ
أَنَاتُهُ تَسْبِقُ أَشْوَاطِي
مَا أَزْتَابَ فِي الْحُكْمِ بِإِسْقَاطِي
لَكَانَ فِي عِدَّةِ أَسْفَاطٍ
وَحَزْنَتْ فِي الذَّهْنِ أَخْلَاطِي
مَنْ فَقْدِ جَبْرِ جِدِّ مُحْتَاطٍ
مَنْ الْأَحَادِيثِ بِمِلْقَاطٍ
وَالْمَاءِ يَخْتِاجُ لِإِنْبَاطٍ

(١) في م : . . . بُرْلَاط .

(٢) السَّرَاجَانِ : الأول : عمر بن محمد بن حسن ، سراج الدين الوزاق ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٦٩٥ هـ . (فوات الوفيات ٣ / ١٤٠) .

والثاني : عمر بن مسعود الأديب ، سراج الدين المحار الحلبي ، صاحب الموشحات والأزجال ؛ توفي سنة ٧١١ هـ . (فوات الوفيات ٣ / ١٤٦) .

(٣) الحريري : صاحب المقامات ، مشهور .

إِنْ قَالَ فَالْأَنَاسُ سُكُوتٌ لَهُ
يَمْشِي إِلَى الْجَنَاتِ بِالْعِلْمِ فِي
عَلَيْهِ مِنْ خَلَاقِهِ رَحْمَةً
وَجَهَزْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ طَيَّ كِتَابٍ إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ بِهِاءِ الدِّينِ أَبِي حَامِدٍ ،
وَكَتَبْتُ عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَانْتَقَلَ الْمَمْلُوكُ إِلَى الْقَصِيدَةِ الطَّائِيَّةِ وَالْبَلَاغَةِ الطَّائِيَّةِ ، فَلَوْ أَنَّ الطَّائِيَّيْنَ^(١)
حَيَّانٍ لَسَلَّمَا قَبْلَ أَنْ سَلَّمَا ، وَاعْتَرَفَا لِشَاعِرِنَا بِالْفَضْلِ وَنَدِمَا عَلَى كُلِّ مَا كَلَّمَا ،
وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الطَّاءُ حَرْفَ الرَّاءِ ، لَمَا زَادَتْ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ ، وَلَا أَذْعَنْتْ
لِنَاظِمِهَا وَجَاءَتْهُ فِي جِدَّةِ هَذَا الرَّوْنَقِ وَالْجِدَّةِ .

يَا مَوْلَانَا ، هَذَا [٦١] الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ ، نَكَتَ حَرْفَ الطَّاءِ ، أَخَذَ جَمِيعَ
مَا فِيهِ مِنَ التُّكَيْتِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الَّذِي يُجَارِيهِ إِنْ أَفْلَحَ جَاءَ سَكِينًا وَسَكَتَ .

أَمَّا قَوْلُهُ : مِصْرٌ وَفُسْطَاطٌ ، فَلَمْ يُمَرَّ بِالْمَمْلُوكِ مِثْلُهَا ، وَلَا فَاءَ عَلَيْهِ ظِلُّهَا .
وَأَمَّا تَقَاطِيفُ^(٢) الْجَزَارِ^(٣) وَأَسْقَاطُهُ ، فَلَوْ كَانَ حَيًّا صَحَّ حَذْفُهُ مِنْ هَذِهِ
الصَّنَاعَةِ وَإِسْقَاطُهُ .

وَأَمَّا ذِكْرُهُ الْأَقْرَاطَ مَعَ الرَّبِيعِ وَالتَّشْنِيفِ ، فَصِنَاعَةٌ فَاتِقَةٌ فِي النَّظْمِ
وَالْتَّصْنِيفِ .

وَأَمَّا تَسْرِيعُ الْحِلِّيِّ وَتَقْرِيطُ الْأَمْشَاطِي ؛ فَهَذَا قَوْلٌ مَنْ خَاضَ لُجَّةَ هَذَا
الْقَنْ ، وَتَرَكَ النَّاسَ عَلَى الشَّاطِي .

(١) هما أبو تمام والبحري .

(٢) في م : تقاطيع .

(٣) الجزار : أبو الحسين ، يحيى بن عبد العظيم بن يحيى ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٦٧٩ هـ .
(فوات الوفيات ٤ / ٢٧٧) .

وَأَمَّا الْأَوْسَاطُ وَالشَّدُّ مَعَ الْحَلَوَى ، فَمَا يَجِدُ الْمَمْلُوكُ وَلَا غَيْرُهُ صَبْرًا عَلَى هَذِهِ الْبَلَوَى .

وَأَمَّا أَنَّهُ يَأْخُذُ الْمَثَلَ مَوْزُونًا فِي حَجَّامٍ سَابِاطٍ ، فَهَذَا أَسْعَدُ عَمَلٍ مُتَزَّهِ عَنْ الْإِخْبَاطِ .

وَأَمَّا عَامُ ابْنِ هَمَّامٍ بِدِمِشَاطٍ ، فَقَدْ زَادَ إِعْجَابِي بِهِ فِي الْإِفْرَاطِ .
وَأَمَّا الرَّقْصُ بِالْأَبَاطِ فَرَحَةٌ ، فَأَمْرٌ مَا يَحْتَاجُ الْحُسْنَ شَرَحُهُ .

وَمَا كَانَ الْمَمْلُوكُ مَعَ هَذِهِ التُّكْتِ الْأَدَبِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ جَرَى عَلَى عَادَةِ الْكُتَّابِ فِي سَدِّ الْمَخْزُومَةِ ، وَبَعَثَ بِجَوَابِ أَلْفَاظِهِ مَعَ الْاعْتِرَافِ مَرْحُومَةً ، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْحُسْنِ مَخْرُومَةً ؛ وَلَكِنَّ الْمَمْلُوكَ وَاثِقٌ بِأَنَّ مَوْلَانَا يَسُدُّ خَلْلَهَا ، وَيُبْرِدُ غُلْلَهَا ، وَيُبْرِئُ عِلْلَهَا ؛ وَلَوْلَا أَنَّ مَوْلَانَا وَاسِطَةٌ هَذِهِ الْوَسَاطَةِ ، لَمَا أَجَابَ ، وَضَرَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُجَارَاةِ أَلْفَ حِجَابٍ ، وَلَكِنْ هِيَ فِي خَفَارَةِ إِحْسَانِهِ ، وَإِنَارَةِ زَهْرَتِهِ لَهَا وَاسْتِحْسَانِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٥ * أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (١) :

الْصَّدْرُ شِهَابُ الدِّينِ الْمَصْرِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِسُمَيْكَةَ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ لَمَّا قَدِمْتُ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ ٧٤٥ : [مَنْ الرَّمْلُ]

أَرْضَ مِصْرَ اسْتَبْشِرِي ثُمَّ ابْشِرِي فَلَقَدْ فُقِّتَ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ (٢)
إِذْ بِكَ الْغَرَسُ زَكَتْ أَفْنَانُهُ فَاضْحَكِي زَهْوًا عَلَى غَيْظِ الْغِيَاضِ

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة ٣٤٥/١ . وفيه : أحمد ، الأديب المصري النادر ، المعروف بسُمَيْكَةَ وكان كثير الإسراف على نفسه ، وانصلح قبيل موته وأقنع ، إلى أن مات في الطاعون العام ٧٤٩ هـ .

(٢) في م : أبشري واستبشري × .

● فَكَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ : [مَنْ الرَّمْلُ]

أَحْرُفُ أَمْ زُخْرُفُ أَمْ زَهْرُ رَاقٍ لِلْأَعْيُنِ فِي وَسْطِ الرِّيَاضِ
مَا رَأَتْ عَيْنَايَ خَطًّا أَسْوَدًا قَطُّ أَهْلَى مِنْهُ فِي ذَاكَ الْبِيَاضِ
٦ * أَحْمَدُ بْنُ بَلْبَانَ (١) :

السَّيِّخُ الْإِمَامُ الْفَاضِلُ ، شِهَابُ الدِّينِ ، ابْنُ النَّقِيبِ ، الشَّافِعِيُّ .
مُفْتِي دَارِ الْعَدْلِ الشَّرِيفِ ، وَمُدْرَسُ الْعَادِلِيَّةِ الصَّغِيرَةِ (٢) وَغَيْرَهَا بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَبْتُ إِلَيْهِ مِنَ الرَّحْبَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، أَوَّلَ قُدُومِي إِلَيْهَا فِي سَنَةِ ٧٢٩ (٣)
أَسْأَلُهُ عَنْ خَبَرِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَصْحَابِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، مِنْ جُمْلَةِ كِتَابِ (٤) :

[مَنْ الْمُتَقَارِبُ]

رَحَلْتُ وَفِي مِصْرَ لِي سَادَةٌ يَطُولُ عَنَائِي بِهِمْ وَاكْتِنَابِي
جَفَوْنِي وَضُّوْا بِأَخْبَارِهِمْ فَأَصْبَحْتُ أَطْلُبُهَا مِنْ صِحَابِي
عَسَى خَبَرٌ عَنْهُمْ صَادِقٌ أَطَالِعُهُ مِنْ كِتَابِ الشُّهَابِ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢٠١/١ وذيول العبر ٣٦٣ والبداية والنهاية ١٨/١٧٩ ودرر العقود المفردة ١/٣٤٨ والوفيات لابن رافع ٢/٣٨٥ وتعريف ذوي العلا ١١١ وغاية النهاية ١/٤١ والدرر الكامنة ١/١١٥ وإنباء الغمر ١/٢١ والذيل على العبر ١/١٣٠ وطبقات الشافعية للسبكي ٩/١٨ والذيل التام ١/٢٥٥ والدارس في تاريخ المدارس ١/٣٢٤ وشذرات الذهب ٨/٣٤٢ .
- وفاته سنة ٧٦٤ هـ . ومولده سنة ٦٩٤ هـ .

- نقل ابن حجر في الدرر الكامنة عن ابن سند قوله : كان اسم أبيه بلبان ، فغيَّره عبد الرحمن .
قلت : وسَمَّى جَدُّهُ عَبْدَ الرَّحِيمِ ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِبِيدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
ثم ترجم له ثانية في : أحمد بن عبد الله البعلبكي (الدرر ١/١٩٠) .

(٢) المدرسة العادلِيَّة الصَّغِيرَى : داخل باب الفرج ، شرقي باب القلعة الشرقي . (الدارس ١/٣٦٨) .
وموقعها الآن في سوق العسرونية بدمشق .

(٣) في س : ٧٣٩ . وفي ب ٧٦٩ ! والمثبت من أ .

(٤) الأبيات في أعيان العصر .

● فكتب هو الجواب إليّ : [من المنسرح]

يا غَرْسَ ذِي الْعَرْشِ لَا شَرِيكَ لَهُ أَنْبَأَكَ اللَّهُ ثُمَّ لَا حَصْدَكَ
أَلَوْمَ مَنْ يَزْتَجِي لِحَاقَكَ فِي الْـ مَجْدِ كَمَا لَا أَلَوْمَ مَنْ حَسَدَكَ^(١)
جَارَكَ أَهْلُ الْعَلَاءِ فَانْقَطَعَتْ أَنْفُسُهُمْ قَبْلَ قَطْعِهِمْ أَمْدَكَ
حَرَسَ اللَّهُ نُقُودَ فَضْلِهِ الْمَطْبُوعَةِ ، وَعَرَسَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ مَوَدَّةَ كَثِمَارِ
الْجَنَّةِ ، غَيْرَ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ، وَيُنْهِي - بَعْدَ دُعَاءِ يَسْتَعْرِقُ أَوْقَاتَ فِكْرِهِ ،
وَوَلَاءِ [ب ٦] يَقُومُ مَقَامَ شُكْرِهِ ، وَثَنَاءٍ لَا يُكْرِزُهُ لَاحْتِيَاغِ مَوْلَانَا إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ لَذَّةَ
بِذِكْرِهِ - وَرُودَ مِثَالِهِ الْكَرِيمِ ، وَقَدْ رَاقَ مَنْظَرُهُ ، وَفَاقَ خُبْرُهُ وَخَبْرُهُ ، وَهُوَ الَّذِي
اشْتَمَلَ حَقِيقَةَ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْمَحَاسِنِ ، وَأَشْبَهَ الْحَبِيبَ فِي ظَرْفِهِ وَظَرْفِهِ ؛ فَلَا
عَجَبَ أَنَّ الْقَلْبَ لِبُعْدِهِ آسٍ ، وَالذَّمْعَ آسِينَ^(٢) : [من السريع]

عَارِضَ بِالْإِحْسَانِ حُسْنًا لَهُ لَا يَبْلُغُ الْوَصْفُ مَدَى كُنْهِهِ
لَيْسَ لَهُ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لَا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى شِبْهِهِ
لَا كَمَا وَصَفَ بِهِ مَوْلَانَا كِتَابَ الْمَمْلُوكِ ، وَأَخَذَ بِهِ فِي طُرُقِ التَّهَكُّمِ عِنْدَمَا
سَلَكَ بِهِ ذَلِكَ السُّلُوكَ^(٣) ، وَكَثَّرَ حِينَ شَبَّهَهُ بِالذُّرِّ ، وَقَدْ أَحَاطَ بِالْأَعْنَاقِ فِي
السُّلُوكِ^(٣) ، وَأَظْلَمَ مَوْلَانَا قَصْدَ تَنْبِيهِ الْمَمْلُوكِ عَلَى الْأَدَبِ مَعَ أَهْلِ الْأَدَبِ ،
وَطَلَبَ هَذَا الْأَمْرَ مَعَ الطُّلَّابِ ، وَمَا كُلُّ وَقْتٍ يَنْجَحُ الطَّلَبُ ؛ وَالرُّجُوعُ إِلَى زَيْدٍ
وَعَمْرٍو ، فَمَا هَذَا مِمَّا يَحْصُلُ بِالِاشْتِغَالِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ .

يَا مَوْلَانَا ، قَدْ فَهِمَ الْمَمْلُوكُ الْإِشَارَةَ ، وَامْتَثَلَ لِلْإِمَارَةِ^(٤) ؛ وَهُوَ يَسْتَغْفِرُ

اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّلَطُّيخِ^(١) عَلَى هَذَا الْفَنِّ الْبَدِيعِ ، الَّذِي مَا عَرَفَ مِنْهُ غَيْرَ
الِاسْتِعَارَةِ ، فَقَابَلَهُ بِالتَّقْيِيلِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَعَرَفَ كَيْفَ تَكُونُ الْإِجَابَةُ وَالْإِجَادَةُ ،
فَسَقَى اللَّهُ رِيَاضَ هَذِهِ الْيَرَاعَةِ ، الَّتِي مَا رَأَى الْمَمْلُوكُ أَخْلَى مِنْ ثِمَارِ غَرْسِهَا ،
وَرَعَى عُهْدَ هَذِهِ الْبَرَاعَةِ ، الَّتِي مَا شَاهَدَ أَجْلَى مِنْ مَرُوضِ طَرْسِهَا .

فَلَقَدْ فَتَكَتْ أَبْكَارُ مَعَانِيهَا بِالْأَلْبَابِ ، فَعَدَّتْ عَنِ الْمُدَامِ يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ ، وَفَتَنْتِ
الْقَلْبَ الْمُؤْمِنَ إِلَّا أَنَّ لَهُ مِنْهَا عَذَابَ جَهَنَّمَ وَعَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَاشْتَوْقَتِ النَّوَاطِرَ
بِبِدَائِعِ حُسْنِهَا ، وَالْخَوَاطِرَ بِبِدَائِعِ^(٢) إِحْسَانِهَا ، فَعَدَلَا عَنْ بَيِّنَاتِ الطَّرِيقِ^(٣) :
[من الكامل]

وَحَدِيثُهَا السُّخْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجَزِ
شَرُّكَ الْعُقُولِ وَفَتْنَةُ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ وَعَقْلَةُ الْمُسْتَوْفِزِ
فَأَمَّا مَا تَصَدَّقَ بِهِ مِنْ وَصْفِ أَشْوَاقِهِ وَمَكَارِمِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَدْ شَكَرَ
الْمَمْلُوكُ لِمَوْلَانَا هَذِهِ الْعَوَارِفَ ، وَذَمَّ أَيَّامًا أَضَاعَ الْمَمْلُوكُ فِيهَا زَهْرَ الْأَدَابِ مِنْ
غَرْسِ ظِلِّهِ الْوَارِفِ ، وَنَدِمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَانِبِ تِلْكَ
الْمَعَارِفِ ؛ وَلَكِنْ مَا شَاهَدَ الْمَمْلُوكُ كَتَعَاسَتِهِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَلَا كَحَظِّهِ النَّاقِصِ ،
وَلَا سَمِعَ بِأَعْتَرٍ مِنْ جَدِّهِ فِيهَا وَهُوَ عَلَى الْأَعْقَابِ نَاكِصٌ^(٤) : [من الكامل]

وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَخْرُومًا أَتَى مَاءً لِيَشْرَبَهُ وَغَاضَ فَصَدَّقِ
فَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَيْنِ^(٥) ، وَقَدْ يَطْوِي اللَّهُ لِلْبَعِيدِ الْأَمَلِ شُقَّةَ الْبَيْنِ .

(١) في م : من التلطيح . والتلطيح : الإلحاح . ولعلها أنسب من التلطيح في هذا المقام .

(٢) في أ ، م : بدائع ! .

(٣) الأبيات لابن الرومي ، في ديوانه ١١٦٤/٣ والمستطرف ١٨٢/٢ .

(٤) البيت للإمام الشافعي ، في ديوانه ٥٤ (بيجو) .

(٥) من بيت المجنون ، في ديوانه ٢٩٣ و٣١٥ : =

(١) في م : . . . في الفضل . . .

(٢) البيت لابن الرومي ، في ديوانه ٢٦١٧/٦ .

(٣) ما بينهما ساقط من م بسبب انتقال النظر .

(٤) في أ : للإشارة ١ وفي س : للإسارة . والكلمتان ساقطتان من م .

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَسْتَمُرُّ عَلَى وَلَائِهِ الَّذِي لَمْ يَخْتَجْ - إِذْ يُخْتَجُّ بِهِ - إِلَى بُرْهَانٍ تَأْيِيدٍ وَلَا تَأْيِيدِ بُرْهَانٍ ، وَلَمْ يَغْتَرْ - إِذْ يُغْتَرُّ بِهِ - عَوْنُ أَنْصَارٍ وَلَا نَصْرُ أَعْوَانٍ ؛ وَثَنَائِهِ الَّذِي يَتَرَنِّحُ لَهُ الْغُضُنُّ وَيَتَرَنَّمُ لَهُ^(١) الطَّائِرُ ، وَيَتَعَنَّى بِهِ الرَّكِيبُ وَيَتَعَنَّمُ السَّائِرُ : [من السريع]

لَا طَابَ لِلْمِسْكِ شَذَا نَفْحِهِ إِنْ كَانَ أَذْكَى مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ^(٢) وَيُنْهِي وَرُودَ [١٧] الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، فَقَرَنَ وَفُودَهُ بِالْإِفَادَةِ ، وَجُودَهُ بِالْإِجَادَةِ ، وَأَبَانَ الضَّرَّ وَأَبَادَهُ وَأَعَانَ الصَّبْرَ وَأَعَادَهُ ؛ فَكَمَ فِي أَلْفَاظِهِ مِنْ فَاهِجَةٍ لَذِيذَةٍ وَشَرَابٍ ، وَكَمَ فِي وَضَلِ خَطِّهِ مِنْ حِكْمَةٍ وَفَضْلِ خِطَابٍ ؛ قَدْ قُسِمَ الْحُسْنُ بَيْنَ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَاقْتَصَرَ الْجَمَالُ عَلَى مَجْمُوعِهِ ، فَمَا تَخَطَّاهُ حَرْفًا وَلَا تَعَدَّاهُ ؛ فَأَيْنَ نَقْصُ ابْنِ زَيْدُونَ فِي الْأَدَبِ عَنْ كَمَالِهِ ؟ وَإِخْلَالُ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ مِنْ خِلَالِهِ ؟ وَأَيْنَ عَطَلُ صَاحِبِ الْقَلَائِدِ مِنْ « عُقُودِهِ » ؟ وَحَوَالَةُ ابْنِ الصَّبْرِ فِي نَقُودِهِ ؟ وَأَيْنَ قُصُورُ الْفَاضِلِ مِنْ تَفَنُّنِهِ ؟ وَوَهْنُ الْعِمَادِ مِنْ تَمَكُّنِهِ ؟ هِيَاهُ ، مَا لَا بَيْنَ شَهِيدٍ حَلَاوَتُهُ ، وَلَا لِصَاحِبِ « الْمُزْقِصِ وَالْمُطْرِبِ » تِلَاوَتُهُ ، فَلَوْ رَأَى ابْنُ بَسَامٍ عَبَسَ وَقَطَبَ ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَأَدَّبَ ، وَلَوْ عَايَنَهُ الْبَدِيعُ كَفَّ مَا نَشَرَ مِنْ إِنْشَائِهِ ، وَرَمَى قَلَمَ الْمُكَاتِبَةِ بِدَايَةٍ وَأَنْسَلَ بِدَائِهِ : [من الطويل]

إِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ مَنْ قَدْ ذَكَرْتُهُ فَمَا قَدَّرُ وَصَفِي فِي نِظَامٍ وَفِي نَثْرِ وَمَنْ كَانَ مَعْدُودًا مَعَ الشُّهُبِ الْعُلَا فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَدْرِكُهُ شِعْرِي ؟

= وقد يجمعُ الله الشَّيْئَيْنِ بَعْدَمَا يَطْنُانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَايَا
(١) له ؛ من م .
(٢) في أ : . . . ذا لفحة × ! . وفي م : إذا نفحه × . وهي رواية جيدة .

وَاللَّهُ يُمَتِّعُ أَبْنَاءَ الْأَدَبِ بِهَذِهِ الْفَضَائِلِ ، وَيَزِيدُهُمْ بِبَقَاءِ مَوْلَانَا كَرِيمٍ أَخْلَاقٍ وَلُطْفِ شَمَائِلٍ ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٧ * أحمد بن الحسن بن محمد^(١) :

مُجِيرُ الدِّينِ الْخِيَاطُ ، الشَّاعِرُ الدَّمَشْقِيُّ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ فِي سَنَةِ ٧٣١ فَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ الْجَوَابُ :

وَقَفَّ الْمَمْلُوكُ عَلَى الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَضَحَّتْ بَيُوتُهَا كَالْقُصُورِ ، وَأَلْفَاظُهَا طَالَتْ عَلَى أَبْنَاءِ الزَّمَنِ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْفَتْرِ وَالْقُصُورِ ، وَكَلِمَاتُهَا أَحَاطَتْ بِمَعَانِيهَا إِحَاطَةَ الْهَالَاتِ بِالشُّمُوسِ وَالْدَّارَاتِ بِالْبُدُورِ ؛ فَتَنَزَّ إِلَى الْحَسَنَاءِ الَّتِي غَلَا مَهْرُهَا ، وَعَلَا قَدْرُهَا ، وَغَلَبَ أَمْرُهَا ، وَخَلَبَ سِحْرُهَا ، وَطَابَ تَشْرُفُهَا ، وَطَالَ بَشْرُهَا^(٢) ؛ وَقَلَبَ وَجْهَهُ فِي سَمَاءِ حُسْنِهَا ، وَاعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ تَسَاوِي أَلْفَاظِهِ بِوُزْنِهَا ؛ وَنَظَرَ فِكْرُهُ فِي نُجُومِ أَلْفَاظِهَا لِلْمُعَارَضَةِ فَقَالَ : إِنِّي سَقِيمٌ ، وَعَوْدٌ حَاءٌ قَافِيَتِهَا وَمِيمٌ مَلَا حَتِهَا بِحَمٍ ؛ فَكَمَ فِيهَا مِنْ أَلْفٍ هِيَ كَالْغُضَنِ الرَّطِيبِ ، وَعَيْنٍ كَالطَّرْفِ الْفَاتِرِ مِنَ الشَّادِنِ الرَّيِّبِ ، وَمِيمٍ كَأَنَّهُ سُرَّةُ كَاعِبٍ أَوْ مَسَمٍ حَبِيبٍ ؛ وَجَلَالَةُ أَعْيُدِ طُرْسِهَا بِالْبُرْدَةِ وَقَلَمُهَا بِالْقَضِيبِ ؛ وَعَلِمَ أَنَّ بَحْرَهَا لِفَضْلِ مَوْلَانَا مَدِيدٌ^(٣) ، وَتَيَقَّنَ أَنَّهُ أَرَادَ الْإِعْجَازَ فَحَصَلَ لَهُ مَا يَطْلُبُ وَتَمَّ لَهُ

(١) ترجمته في : أعيان العصر : ٢١١/١ والوافي بالوفيات ٣٣٢/٦ وتذكرة النيه ٢٥١/٢ والمنهل الصافي ٢٨٢/١ والدليل الشافي ٤٤/١ والدرر الكامنة ١٢٢/١ .

- في م : . . . ابن الخياط .

- توفي سنة ٧٣٥ هـ ، وقد قارب السبعين أو تجاوزها (الصفدي) . وقال ابن حبيب : مولده سنة ٦٦١ هـ .

(٢) في أ ، س ، م : وطال برها .

(٣) قال المؤلف في الوافي : وكان قد كتب إلي أبياتاً في بحر المديد ، ولم يحضرني الآن تسخُّفها ، وكتبْتُ جوابها نظماً ونثراً .

ما يريدُ ، على أنه حاولَ الجوابَ فقال فِكْرُهُ العاجِزُ : مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ^(١) ؛
ورامَ التُّزُولَ بينَ بُيُوتِهَا فَتَذَكَّرَ^(٢) : [من الرمل]

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلًا دُمُهُ مَا يُطْلُ
فَتَنَى عِنَانَ رَوِيَّتِهِ النَّاصِبَةِ ، وَكَفَّ فِي كَفِّهِ أَقْلَامَهُ الْعَامِلَةَ النَّاصِبَةَ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ
بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ بَعْدَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ ، وَحَلَا قَوْلُهُ فِي فَمِهِ وَكَمَ لَهُ قَبْلُهَا مِنْ
مَرَّةٍ مَرَّةً ، وَقَابَلَ ذَلِكَ الْبَحْرَ الْمَدِيدَ الَّذِي كُلُّهُ دُرٌّ بِمَا لَا يُسَاوِي دُرُّهُ ذَرَّةً^(٣) :
[من الكامل]

وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبِ جَمَّةٌ شُكْرُ بَطِيءٍ عَنْ نَدَى مُتَسَرِّعٍ
وَرَجَعَ إِلَى الْمَدْحِ الَّذِي هُوَ أَجْدَى وَأَجْدَرُ ، وَالشَّنَاءِ عَلَى مَحَاسِنِ مَوْلَانَا
الَّتِي هِيَ مِنَ الشُّحْبِ أَعْطَى وَمِنَ الْمِسْكِ أَعْطَرُ ، فَقَالَ : [من الرمل]

[ب ٧] لِمُجِيرِ الدِّينِ بِالْفَضْلِ يَدٌ لَفْظُهَا قَدْ أَعْجَزَ الْعُرْبَ الْفَصَاحَا
فَتَرَاهُ بَطْلًا قَدْ سَلَ مِنْ لَفْظِهِ بَيْنَ قَوَافِيهِ سِلَاحَا
وَإِذَا مَا قَلَمٌ فِي كَفِّهِ هَزَهُ فِي الطَّرْسِ أَنْسَاكَ الرُّمَاحَا
وَمَعَانِيهِ الَّتِي قَدْ لَطَفَتْ أَذْكَرْتَنَا الْأَعْيْنَ الْمَرْضَى الصَّحَا
وَمَتَى مَا فَاةً بِالشَّعْرِ تَجِدُ نَظْمَهُ قَدْ رَاحَ يَسْقِي السَّمْعَ رَاحَا
يَا إِمَامًا نَظْمُهُ فِي عَصْرِهِ قَامَ فِيمَا بَيْنَنَا يَدْعُو الْفَلَاحَا
أَذْهَشْتَنِي هَذِهِ الْأَبْيَاتُ بَلْ أَتَخَنَّتْ رِقَّتُهَا قَلْبِي جِرَاحَا

- (١) المثل في : الميداني ٣١٨/٢ والعسكري ٢١٣/٢ و ٢٤٢ والزمخشري ٣٤٧/٢ . وفوق
« أَخَاكَ » في أ : صح .
(٢) البيت للشنفرى في ديوانه ٣٩ (ضمن الطرائف الأدبية) . وينسب لتأبط شرأ في ديوانه ٣٤٧ .
وفي أ ، ب ، س ، م : إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي مِنْ دُونِ سَلْعٍ ! .
(٣) البيت لابن جيبوس ، في ديوانه ٣١٦/١ .

مَنْ تُرَى يَطْمَعُ فِي إلْحَاقِهَا فَضْلُهَا هَيْهَاتَ قَد فَاتَ الرِّيَاحَا^(١)
لَا تَسْمُنِي بَعْدَهَا لِي مِخْنَةً قَدْ كَفَّتَنِي هَذِهِ الْأُولَى اقْتِرَاحَا
وَابَقَ مَا عَنَى حَمَامٌ فِي الدُّجَى فَوْقَ قُضْبِ الْأَيْكِ مِنْ شَجْوٍ وَنَاحَا
٨ * أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ قُدَامَةَ^(٢) :

الإمامُ العالمُ العلامةُ ، ذو الفنونِ ، جامعُ الفضلِ^(٣) ، الشيخُ شَرَفُ
الدِّينِ ، أَبُو الْعَبَّاسِ ، ابنُ قَاضِي الْقَضَاةِ ، شَرَفِ الدِّينِ الْحَنْبَلِيِّ .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مُلَغِزًا فِي « شَهْرِ رَمَضَانَ » الْمُعْظَمِ^(٤) : [من السريع]

يَا فَاضِلًا أَخْبَارُ أَشْعَارِهِ مَشْهُورَةٌ فِي الْعُجْمِ وَالْعُرْبِ^(٥)
وَسَجَّعُهُ أَخْرَسَ وَزُقَ الْحِمَى إِذَا تَغَنَّتْ فِي ذُرَى الْقُضْبِ
وَحَطَّطُهُ أَزْرَى بِزَهْرِ الرُّبَا إِنَّ دَبَجَتْهَا رَاحَةُ الشُّحْبِ
قُلْ لِي مَا اسْمُ قَدْرُهُ مُخْتَفٍ وَحُكْمُهُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ^(٦)
فِيهِ لَنَا فَاكِهَةٌ قَدْ غَدَتْ تَرَوْقُ لِلنَّفْسِ بِلا قَلْبِ^(٧)

- (١) في ب : من يرم . . .
(٢) ترجمته في : المعجم المختص ١٦ ووفيات ابن رافع ٣٥/٢ - ٣٦ والذيل على العبر ٢٩٤/٢
وتعريف ذوي العلا ٢٠١ وتاريخ ابن قاضي شعبة ٣٦٤/٢ والدرر الكامنة ١٢٠/١ والنجوم الزاهرة
١٠٨/١١ والمتنول الصافي ٢٨٤/١ والدليل الشافي ٤٥/١ والذيل النام ٢٤٣/١ والدارس ٤٤/٢
والقلائد الجوهريّة ٤٩١/٢ والمقصد الأرشد ٩٣/١ والمتهج الأحمد ١٣٥/٥ وشذرات الذهب
٣٧٦/٨ .

- وفاته سنة ٧٧١ هـ . ومولده سنة ٦٩٣ هـ .

- في أ ، س : . . . بن عبد الله أبي عمر بن محمد . . . ! . وفي م : أحمد بن الحسين . . .

- (٣) في س ، م : جامع الفضائل .
(٤) الأبيات في الوافي بالوفيات ٣٠٤/١٩ - ٣٠٥ ومتكرر في الترجمة ٥١ .
(٥) في ب : يا قاضياً . . .
(٦) في م : . . . محف .
(٧) يريد : رمان .

إِنْ عَكْسَ الْخُمْسَانِ مِنْ لَفْظِهِ
وَهُوَ مَعَ الْعَكْسِ بِلا آخِرٍ
بَيْنَ مُرَادِي يَا إِمَامَ الْوَرَى
وَدُمَ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي نِعْمَةٍ
أَمْتَعْنَا بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ^(١)
« أَضْمِرَ » فَافْهَمُوا يَا أَخَا اللَّبِّ
فَلَيْسَ مَا أَلْغَزْتُ بِالصَّعْبِ
مَا أَزْدَانَتِ الْآفَاقُ بِالشُّهْبِ

فكتب هو الجواب عن ذلك : [من السريع]

يَا فَاضِلاً مَنْطِقُهُ بَاهِرٌ
تَفْدِيكَ عَيْنٌ مِنْ عُيُونِ الْوَرَى
وَنَاطِماً مَنْظُومُهُ فَاخِرٌ
أَوْجَبَتْ فَضْلاً وَسَلَبَتْ التَّهَى
سَأَلْتَ عَمَّا أَمَرُهُ ظَاهِرٌ
إِمْسَاكُنَا أَيَّامَهُ وَاجِبٌ
فَاكِهَةً صَمَّتَتْهَا ذَاتُهُ
مُصَنَّفَاً فِي نَفْعِهَا حَصَلُوا
مَعَ أَنَّي أَلْغَزْتُ فِي أُخْتِهَا
تَفْضُلُهَا حَزَفَاً وَلَكِنَّهَا
كَلاهُمَا لِي مِنْ سَقَامِ دَوَا
إِنْ قُلْتَ شِبْهَافاً فَلَنْصُ أَتَى
ثَلَاثَةُ الْأَخْمَاسِ مَعْمُولُهَا
بِفَيْضِ الْمُرَبِّ عَلَى الْعَرْبِ
بِسَائِلٍ مِنْ دَمْعِهَا الْغَرْبِ
وَنَائِراً كَاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ
حُمِدْتَ فِي الْإِنْجَابِ وَالسَّلْبِ
وَذَكَرْتَهُ فِي أَشْرَفِ الْكُتُبِ
بَيَّنَّاهُ عَنْ قَلْبِهِ تَبَيُّ
شَرَاهُهَا مِنْ عِلَّةِ الْكَزْبِ
صَنَّفَهُ الْخُذَّاقُ بِالطَّبِّ
قَرِينَةً مِنْ جُمْلَةِ الْقَضِبِ^(٢)
تَنْقُصُ عَنْ طَعْمٍ وَعَنْ لُبِّ
لِلنَّفْعِ وَالْأَكْلِ مَعَ الشُّرْبِ
أَوْ قُلْتَ لَا صُدِّقْتَ فِي السَّلْبِ
بِفَضْلِهِ يَصْعَدُ لِلشُّخْبِ^(٣)

- (١) في أ : × امتنعنا والمعاد : ضم .
(٢) يريد : زيتون . وفي م : . . . في حكمها × .
(٣) يريد : زيت .

أَزْبَعَةُ الْأَخْمَاسِ مَقْلُوبَةٌ
تُقْفَدُ فِي الثَّرَكِ وَلَكِنَّهَا
تُقْفَدُ الْأَعْرَاضُ إِنْ عَطَلَتْ
وَاللَّهُ يُتَّقِي لِي سَنًا نُورُكُمْ
مِنْ سَاكِنِي الْبَحْرِ لَدَى الْكَسْبِ^(١)
مَوْجُودَةٌ فِي بَلَدَةِ الْعَرْبِ^(٢)
فِي أَضْعَفِ الْقَوْلَيْنِ فِي الْخُطْبِ^(٣)
حَسْبِي مِنْ أَفْضَالِكُمْ حَسْبِي

● فكتب أنا الجواب عن ذلك ، وكان قد أَلْغَزَ فِي « زَيْتُون » : [من السريع]

أَعْلَيْتَ قَدْرِي لِمَنَاطِ الشُّهَى
هَذَا جَوَابٌ لَفْظُهُ مُذْ بَدَا
أَجَبْتَ عَمَّا كُنْتُ أَلْغَزْتُهُ
لَكِنْ تَفَضَّلْتَ وَأَتَحَفَّتْ سِي
مُخَمَّسٌ تَذْوِيرُهُ مُحْكَمٌ
كَأَنَّهُ زَيْدُونٌ فِي لَفْظِهِ
بُورِكَ فِي سَلْبِيهِ فِي لَا وَلَا
وَيُسْتَمَدُّ الثُّورُ مِنْ بَعْضِهِ
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ فَضْلِهِ
هَذَا رَعَاكَ اللَّهُ حَلَّ الَّذِي
[٨١] لَا تَتَكَلَّفُ لِي جَوَاباً فَمَا
إِذْ أَنْتَ فِي شُغْلٍ غَدَا شَاغِلاً
مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ فِي الثَّرْبِ
يُضْبِي وَمَعْنَاهُ غَدَا يَسْبِي
وَذَاكَ فِي الْجَبْرِ غَدَاً حَسْبِي
بِمُلْغَزٍ سُرَّ بِهِ قَلْبِي
قَدْ أَتَقَتُّهُ صَنْعَةُ الرَّبِّ
وَالدَّالُ مِثْلُ التَّاءِ لِلْعَرْبِ
فَلَيْسَ فِي شَرْقٍ وَلَا غَرْبِ^(٤)
لَمَّا تَكُونُ الشَّمْسُ فِي الْحُجُبِ
يَعْبُثُ دَهْنًا مِنَ الْحُبِّ
أَلْغَزْتُهُ فِي شِعْرِكَ الْعَذْبِ
أَنْتَ إِلَى النَّظْمِ بِمُنْصَبِّ
بِحِجْدِهِ عَنْ مُقْتَضَى اللَّعْبِ

● وكتب هو إلي أيضاً جواباً ثانياً عن الأول : [من السريع]

- (١) يريد : نوتي .
(٢) البيت ساقط من س .
(٣) في م : تنفذ . . . × . كذا بلا إجماع فيما بعد التاء ، ولعلها : تُقْفَدُ ، تُقْبَدُ .
(٤) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ لَا شَرَفَ لَكُمُ الْعَرَبُ ﴾ [النور : ٣٥] .

يا بارِعاً حَلَّ ذُرَى الكَوَكِبِ
وما جِداً بَوَّاهُ مَجْدُهُ
وباهراً إِيحسانُهُ سائِرُ
شَفَّتْ سَمْعِي بِنِظامِ أَتَى
كِتَابُهُ دُرٌّ وَلَكِنَّهُ
مِنْ رَوْضَةِ الْفِكْرِ الَّتِي رَوْضُهَا
مِنْ دَوْحَةِ الرُّقَشِ الَّتِي نَقَشُهَا
كَأَنَّمَا الْمَعْنَى بِأَوْرَاقِهِ
سَمَوَتْ بِالْفَخْرِ فَلَا لَاحِقُ
وَأَفْتَرَّ مَنْظُومُكَ عَنْ لُؤْلُؤِ
عَنَتٍ عَلَى أَوْرَاقِهِ أَخْرَفُ
أَطْرَبَهُ الْمَعْنَى الَّذِي قُلْتَهُ
وَأَوْقَفَ الْقَلْبَ لِتَغْرِيدِهَا
وَطَوَّقَ الذِّهْنَ لِأَنْفَاسِهَا
وَطَرَّرَ الْفِكْرَ لِإِنْدَاعِهَا
يَسْلُبُ نَظْقاً لِلْهُى عَامِداً
وَتَسْحَرُ الْأَلْبَابَ أَنْفَاسُهُ
يَا لَكَ مِنْ بَحْرِ جَجَى زَاخِرِ
مَنْ كَانَ مِنْ غَيْرِكَ مَطْلُوبُهُ
قَدَحْتُ زَنْدَ الْفِكْرِ كِي أَبْتَغِي
وَشِمْتُ بَرْقاً مَا وَنَى وَمُضَهُ

أَغْنِي كَيْوَاناً وَلَمْ يَغْزُبِ
مِنَ الْمَعَالِي غَايَةَ الْمَطْلَبِ
مَنْ مَطَّلَعَ الشَّمْسَ إِلَى الْمَغْرِبِ
عَمَّا حَوَى فَضْلُكُمْ مُغْرِبِ
مَنْ دُرَّةٌ دُرَّتْ وَلَمْ تُثَقِّبِ
مِدَادُهُ مِنْ وَابِلِ صَيِّبِ
أَفْخَرُ مِنْ نَقْشٍ عَلَى زَيْنَبِ
صُبْحُ أَتَى مِنْ جَانِبِ الْغَيْثِ
لَوْ قَطَعَ الْمِضْمَارُ بِالْأَشْهَبِ
فَفَاقَ ذَا الثَّغْرِ الشَّهْيِ الْأَشْنَبِ
كَمْ مُهْجَةٍ ذَابَتْ وَقَلْبٍ سُبِي
وَكَانَ مِنْ قَبْلِكَ لَمْ يَطْرَبِ
وَقَيْدَ السَّمْعِ فَلَمْ يَذْهَبِ
بَطْوَقِ فَضْلٍ فَاخِرِ مُذْهَبِ
مُعْطِراً مِنْ نَشْرِهِ الطَّيِّبِ
مَنْ لَفْظِهِ الْمُسْتَعْذِبِ الْمُعْجِبِ
بِسُخْرِ لَفْظٍ مُبْدِعِ مُغْرِبِ^(١)
وَحَبَّرَ عِلْمَ حَوْلٍ قُلُوبِ
فَلَيْسَ يَبْغِي غَيْرَكُمْ مَطْلَبِي
مَرْتَعَهُ مِنْ رَوْضِكَ الْمُعْشَبِ
وَلَيْسَ هَذَا الْبَرْقُ بِالْخُلْبِ

(١) في ب : . . . ألفاظه × .

أَلْفَزْتُ مَعْنَى بِخُرُوفٍ غَدَتْ
لَيْسَتْ مِنَ الْمُعْجَمِ مَنْقُوطَةً
لَيْسَ بِشَيْءٍ إِنْ غَدَا وَاحِداً
نَظِيرٌ لَا فِي النَّفْيِ كِي يَفْهَمُوا
لَيْسَ بِنَظِيرٍ يُرَى ظَاهِراً
يُطْلِقُهُ النَّاسُ عَلَى جَاهِلٍ
يَخَافُهُ النَّاسُ جَمِيعاً وَهُمْ
جَمِيعُ ذَا الْعَالَمِ فِيهِ غَدَاً
ثَلَاثَةٌ فِي الْعَدِّ إِنْ تُخَسَّبِ
جَاءَتْ مُعَرَّاةً لَدَى الْمَكْتَبِ
وَإِنْ يَكْرَزُ عَكْسُهُ قَدْ حُبِي
إِنْ كُرِّرَتْ مُنْتِجَةُ الْمَطْلَبِ
وَبَاطِناً مِنْهُ فَلَمْ يُضْحَبِ
أَوْ هَمَجٍ فِي فِعْلِهِ أَوْ صَبِي
مِنْ خَوْفٍ هَذَا فِي عَنَاءٍ مُتَعَبِ
وَذَاكَ لَا شَيْءَ لَهُ فَاغْجَبِ
فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ فِي « عَدَم »^(١) :

٩ * أحمد بن عبد الله بن مالك^(٢) :

القاضي البليغ ، الخطيب ، شهاب الدين ، أبو العباس ، ابن الخطيب
الشيخ الصالح ، الخطيب بدر الدين^(٣) أبي محمد بن الشيخ جمال الدين بن أبي
أنس الحنبلي ، خطيب بيت لُهيَا^(٤) من ضواحي دمشق المحروسة .

(١) في هامش أ : قال المصنف بعد هذه القصيدة : فكتب أنا الجواب إليه عن ذلك ، وهو في « عَدَم » .

لكن لم أجد الجواب في النسخة التي نقلت منها ، مع أنها بخط تلميذه .

وفي هامش م : هذا الجواب ساقط في الأصل ، فاعلم ذلك .

(٢) ترجمته في : الذيل على العبر ٤٧٦/٢ ودرر العقود الفريدة ١٤٠/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٥٨١/٢ والدرر الكامنة ١٨٤/٢ وإنباء الغمر ٢٧٩/١ وشذرات الذهب ٤٥٨/٨ .

- اسمه عند ابن قاضي شهبة وابن العماد : أحمد بن محمد بن عبد الله بن مالك .

- ولادته عند ابن حجر : ٧٠٥ هـ . وعند ابن قاضي شهبة ٧٠٧ هـ . وعند ابن العماد :

٧٠٩ هـ ! .

- وفاته سنة ٧٨٠ هـ .

(٣) كذا في أ ، ب : وهو خطأ ، صوابه : فخر الدين (مصادر ترجمته) .

(٤) بيت لُهيَا : قرية مشهورة بغوطة دمشق . (معجم البلدان ٥٢١/١) . وموقعها اليوم بين مشفى =

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ اسْتِدْعَاءَ إِجَازَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الْمَدْعُوِّ بِالْحُسْنَى مِنْ أَسْمَائِهِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَجْلُودِ عَلَيْنَا مِنْ مَحَاسِنِهِ الْأَسْنَى مِنْ سَيِّمَائِهِ ، صَلَاةً تَمَلُّ مَا بَيْنَ أَرْضِيهِ وَسَمَائِهِ :

فَالْمَسْئُولُ مِنْ إِحْسَانِ فُلَانٍ ، فَرِيدِ دَهْرِهِ ، وَوَحِيدِ عَصْرِهِ ، لِسَانِ الْعَرَبِ ، مُبْلَغِ الْأَرْبِ ، مَالِكِ أَرْمَةِ الْإِنْشَاءِ وَالْأَدَبِ ، تَرْجُمَانِ الْأُمَمِ ، الْمُسَلِّكِ عَلَى الْقَصْدِ الْأَمَمِ ، قُدْوَةِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ ، مَادَّةِ بَحَارِ الْعُلُومِ الزَّوَائِرِ ، الشَّيْخِ فُلَانِ الدِّينِ ؛ جَمَعَ اللَّهُ بِهِ فِي دَوْحَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ أَشْنَاتِ الْأَدَبِ ، وَلَمْ يَبِهِ شَعْتٌ مَن جَعَلَ الصَّلَاحَ شِعَارَهُ وَلَا عَجَبَ ، وَأَقَامَ بِهِ أَبْيَاتِ الشُّعْرِ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا قَامَ لَهَا عَمُودٌ وَلَا مُدُّ طُنْبٌ ؛ إِجَازَةً كَاتِبِ هَذِهِ الْأَحْرَفِ ، مَا لَهُ مِنْ رِوَايَةِ الْمُصَنَّفَاتِ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ، وَالتَّأْلِيفَاتِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَمَا لَهُ مِنْ تَصْنِيفٍ وَتَأْلِيفٍ ، وَجَمْعٍ وَاتِّقَاءٍ ، وَإِثْبَاتِ ذَلِكَ بِخَطِّهِ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ ، وَمَا لَعَلَّهُ يَقَعُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، إِجَازَةٌ تَجْعَلُ حَالَهُ [ب ٨] الْعَبْدَ مَنْصُوباً عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَتَرْدُّهُ بَعْدَ الْخَفْضِ وَهُوَ عَزِيزٌ ، وَتَرْفَعُ قَدْرُهُ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، لِيَصِحَّ إِسْنَادُ الْأَخْبَارِ عَنْهُ فِي الْإِنْتِهَاءِ ؛ وَصِلَةٌ يَعُودُ عَائِدُهَا مِنْكُمْ إِلَيْهِ ، وَتَأْكِيدَ عَطْفٍ مِنْ جَنَابِكُمْ لَمْ يُبَدَّلْ يَوْمًا عَلَيْهِ .

وَيُضَافُ ذَلِكَ إِلَى مَا أَسَدَيْتُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِحْسَانِ ، فَيَصِيرُ بِهِ ذَلِكَ الْعَطْفُ عَطْفَ بَيَانٍ ، فَلَا يَنْصَرِفُ عَنْ بَابِكُمْ لِمَا أَوْلَيْتُمُوهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ ؛ كَيْفَ وَبِشْعَارِ الصَّلَاحِ تَمَّتْ لَهُ تِلْكَ الصِّفَةُ ؟

قَدْ صَحَّ حَدِيثُهُ عَنْكُمْ وَلَمْ يَكُنْ مَوْقُوفاً وَلَا مُعَلَّلاً ، وَرَاقَ لَفْظُهُ فَيُكَمِّ

= الزَّهْرَاوِيُّ لِلتَّوَلِيدِ إِلَى سَاحَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ بِدِمَشْقٍ .

فَأَضْحَى حَسَنًا مُسَلْسَلًا ؛ لَيْسَ لِعَرُوضِي فِيهِ تَقْطِيعٌ ، وَلَا لِمُعَانِي الْبَيَانِ إِلَيْهِ نَرْجِعُ ، وَلَا لِأُصُولِي إِلَى وَصْلِهِ وَصُولٌ ، وَلَا لِلْغَوِيِّ عَلَى مِثْلِ أَلْفَاظِهِ حُصُولٌ ، وَلَا لِمَنْطِقِي لَدَيْهِ مَنْطِقٌ وَلَا جِدَالٌ^(١) ، وَلَا لِصَاحِبِ التَّصْرِيفِ تَصْرِيفٌ وَلَا مَجَالٌ ، وَلَا لِفَقِيهِ عَلَيْهِ تَنْكِيْتُ وَلَا إِشْكَالٌ^(٢) ، وَلَا لِصَاحِبِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ عَنْ نَقْلِهِ زَوَالٌ ، وَلَا لِمَنْ أَمْسَى حَلَّ الْمُتَرْجِمِ فَتُهُ ، أَنْ يُدْرِكَهُ فَهْمُهُ وَلَا ذَهْنُهُ .

فَبِهَذِهِ الْإِجَازَةِ الصَّلَاحِيَّةِ يَقُوقُ أَقْرَانَهُ ، وَيَلْتَقِطُ مِنْ بَخْرِهَا الزَّائِرِ جُمَانَهُ ، فَيَصْبِحُ وَالذُّرُّ مِنْهَا فِي جَنِيدِهِ عِفْدًا ؛ وَإِنْ سَمَخْتُمْ فَالْخَطِيبُ مَا زَالَ لَكُمْ عَبْدًا :

[مَنْ الْوَافِر]

أَيَا مَنْ قَدْ غَدَا فِي الدَّهْرِ فَرْدًا وَمَنْ مَلَكَ الْفَضَائِلَ بِالْحَيَازَةِ عَيْنُكَ يَسْأَلُ الصَّدَقَاتِ إِذْنًا لِمَا يَزُوبُ عَنْكُمْ بِالْإِجَازَةِ ● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(٣) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ أَجَابَ ، وَإِذَا أُنْعِمَ عَلَى الْأَدِيبِ بِذَوْقٍ أَتَى فِي نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ بِالْعُجَابِ ، وَإِذَا وَهَبَ الْبَلِيعَ فِطْرَةَ سَلِيمَةٍ لَمْ يَكُنْ عَلَى حِجَاهُ حِجَابٌ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي مِنْهَا الْبَلَاغَةُ ، وَإِنْقَانِ مَا لِصِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ مِنْ حُسْنِ الصِّيَاغَةِ ، وَصَيِّدِ أَوَابِدِ الْمَعَانِي الَّتِي مَنْ أَعْمَلَ فِكْرَهُ فِي اقْتِنَاصِهَا أَوْ رَوَى رَوَاغَةً .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً فُطِرَ الصَّمِيرُ عَلَى إِخْلَاصِهَا ، وَجُبِلَ الْفِكْرُ عَلَى اقْتِنَاءِ أَدِلَّتِهَا الْقَاطِعَةِ وَاقْتِنَاصِهَا ، وَجُعِلَتْ وَقَايَةُ

(١) - (١) مَا بَيْنَهُمَا سَاقَطَ مِنْ س .

(٢) - نَسْخَةُ الْإِجَازَةِ نَقَلَهَا الْقَلْقَشَنْدِيُّ فِي صَبْحِ الْأَعْشَى ١٤/٣٣٢ - ٣٣٤ .

لِقَائِهَا يَضِيقُ عَلَى الْخَلَائِقِ مِنَ الْقِيَامَةِ فَيَسِيحُ عِرَاصُهَا .

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَفْصَحَ مَنْ نَطَقَ بِهَذَا اللِّسَانِ ، وَجَاءَ مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالنُّكْتِ الْحَسَنِ ، وَحَثَّ عَلَى الْخَيْرِ وَحَضَّ عَلَى الْإِحْسَانِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ رَوَوْا أَقْوَالَهُ ، وَبَلَّغُوا مَنْ لَمْ يَرَهُ سُنَّتَهُ وَأَفْعَالَهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ هَذِهِ الشَّرْعَةَ الْمُطَهَّرَةَ أَدَّخَرَهَا اللَّهُ لَهُ ، فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ^(١) ، صَلَاةَ هَامِيَةِ الْغُرَانِ ، نَامِيَةِ الرُّضْوَانِ ، مَا أَجَابَ مُجِيزٌ لِمَنْ اسْتَدْعَى ، وَعَمِلَتْ إِنَّ فِي الْمُبْتَدَأِ نَضْبًا وَلَمْ تُغَيَّرْ عَلَى الْخَبَرِ رَفْعًا ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد : فَإِنَّ الرِّوَايَةَ مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ ، وَمَزَايَا الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ ، وَخَصَائِصِ الْفُضَلَاءِ الَّذِينَ تَخَفُّقُ لَهُمْ ذَوَائِبُ الطُّرُوسِ ، وَتَنْتَصِبُ رِمَاحُ الْأَقْلَامِ ؛ وَلَمْ تَزَلْ رَغْبَةُ السَّلَفِ تَتَوَفَّرُ إِلَيْهِ ، وَتُسِيرُ أَنْامِلُ إِرْشَادِهِمْ لِلْأَنَامِ بِالْحَثِّ عَلَيْهِ .

قِيلَ^(٢) لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا تَسْتَهِي ؟ فَقَالَ : سَنَدٌ عَالٍ ، وَبَيْتٌ خَالٍ .

وما بَرَحَ الْأَيْمَةُ الْكِبَارُ يَرْتَجِلُونَ إِلَى أَقَاصِي الْأَقَالِيمِ فِي طَلَبِهِ ، وَيَتَحَمَّلُونَ الْمَشَاقَّ [٩٦] وَالْمَتَاعِبَ فِيهِ وَيَتَجَمَّلُونَ بِسَبَبِهِ ؛ فَقَدْ ارْتَحَلَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِالْيَمَنِ ، وَكَانَ فِيمَنْ أَخَذَ عَنْهُ مَنْ هُوَ بِالتَّقْضِيلِ عَلَيْهِ قِمِّينٌ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى ذَوْقٍ يُعَاضِدُ مَنْ لَا يُعَانِدُهُ ، وَأَمْرٌ لَا يَصْبِرُ عَنْهُ مَنْ أَلْفَهُ ، وَمَا يَعْلَمُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ^(٣) ؛ فَمَا عِنْدَ مَنْ طَلَبَ الرِّوَايَةَ أَجَلٌ مِنْ

(١) من قول أبي العتاهية : [ديوانه ٦١٢]

فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهُ

(٢) معاهد التنقيص ١٤١/٢ والغيث المسجم ١٥٥/٢ .

(٣) من قول الأبله البغدادي : [الوافي بالوفيات ٢٤٥/٢] :

أَبْنَاءَ جَنْسِهِ ، وَلَا عِنْدَ الْمُفِيدِ أَحْلَى مِنْ قَوْلِهِ : حَدَّثَنَا فَلَانٌ ، أَوْ أَشَدُّنَا فَلَانٌ لِنَفْسِهِ ؛ وَلَكِنْ^(١) : [من الكامل]

مَا كُُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي نَافِذًا فِيهَا وَلَا كُُلُّ الرِّجَالِ فُحُولًا وَلَمَّا كَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْأَوْحَدُ ، الْكَامِلُ الْبَلِيغُ ، الْمُفَوَّهُ الْأَدِيبُ ، الْخَطِيبُ ، النَّازِمُ النَّاثِرُ ، شِهَابُ الدِّينِ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْحَنْبَلِيُّ ، خَطِيبُ بَيْتِ لَهْيَا ، أَمْتَعَ اللَّهُ (الْوُجُودَ) بِقَوَائِدِهِ ، مَمَّنْ نَظَّمَ فَوَدَّتِ الدُّرُرُ فِي أَسْلَاقِهِ لَوْ تَسَقَّتْ ؛ وَنَثَرَ فَتَحَمَّتِ الدَّرَارِي فِي أَفْلَاقِهِ لَوْ اسْتَقَّتْ ؛ وَكَتَبَ فَرَقَمَ الطُّرُوسَ وَوَشَّاهَا ، وَغَشَّاهَا مِنْ زَهَرَاتِ الرِّيَاضِ بِمَا غَشَّاهَا ؛ وَحَلَّ الْمُتَرْجَمَ فَسَحَرَ عَقْلَ كُلِّ لَبِيبٍ وَخَلَبَ لُبَّهُ ، وَوَقَعَ عَلَى الْقَصْدِ فِيهِ فَكَانَتْ شَيْءٌ مِنَ الْغَيْبِ خَصَّ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَأَتَى فِيهِ بِبَدَائِعِ لَمْ يُسَاوِ ابْنُ الصَّيْرِفِيِّ^(٢) وَلَا ابْنُ دُنْيِيرٍ^(٣) عِنْدَهَا حَبَّةٌ ؛ وَخَطَبَ فَصَدَعَ الْقُلُوبَ ، وَأَجْرَى ذُنُوبَ الْمَدَامِعِ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ ، وَحَذَّرَ فَكَانَتْ أَشْجَاعُهُ كَأَلْحَانِ إِسْحَاقَ^(٤) ، وَسَامِعُهُ يَبْكِي بِأَجْفَانٍ يَعْقُوبَ ، كَأَنَّمَا هُوَ فِي حُلَّةِ الْخَطَابَةِ يَدُرُّ فِي غَمَامَةٍ ، أَوْ مُنْبَرُهُ غُصْنٌ وَهُوَ عَلَيْهِ حَمَامَةٌ ، أَوْ هُوَ بَحْرٌ وَفَضَائِلُهُ مِثْلُ مَوْجِهِ وَدُرُّهُ يَحْكِي كَلَامَهُ ، لَوْ رَأَاهُ ابْنُ

= ما يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢٤٥/٣ .

(٢) أبو القاسم ، علي بن منجب بن سليمان الصيرفي ، توفي سنة ٥٤٢ هـ . (الوافي بالوفيات ٢٢٨/٢٢) .

(٣) ابن دُنْيِير : هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم اللخمي الموصل ، قتل لفساد عقيدته سنة ٦٢٧ هـ . (المقفى الكبير ٢٧٢/١) .

(٤) إسحاق بن إبراهيم الموصل ، أديب فاضل ، اشتهر بصناعة الغناء ؛ توفي سنة ٢٣٥ هـ . (الوافي بالوفيات ٣٨٨/٨) .

نبأته^(١) ما أوزقت بالفصاحة أعواده ، أو ابن المنير^(٢) ما رُقمت بالبلاغة أبراده ، أو ابن تيمية^(٣) ما حظيت بالجدود أجداؤه ، فأراد أن يُشرف قدرى ، ويعرف نُكري ، فطلب مني الإجازة ، وأنا أحق بالأخذ عنه ، واستدعى ذلك مني ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

فنعَم ؛ أجزت له - فسح الله في أجله - جميع ما يجوز لي أن أرويّه ، ممّا هولي بإجازة أو وجادة .

وذكرت في الإجازة المذكورة ما رويته من كتب الحديث ، ومن كتب الأدب ، وذكرت له جماعة^(٤) من أشياخي الذين أخذت عنهم ، وذكرت له عدة تصانيفي إلى تاريخ شهر الله المحرم سنة ٧٥١ : [من الوافر]

إجازة قاصِر عن كل شيء يسير من الرواية في مفازة
لمن ملك الفضائل واقتناها وحاز مدى العلا سبقا وجازة

● وكتب إليه مُلغزاً في « دينار » : [من الرجز]

يا فاضلاً من بحرِه كُلُّ الوري يغتَرِفُ
ويا خطيباً لفظُه دُرٌّ وسمعي صَدَفُ
إذا عَلا مِنبَرُه قُلْتُ : حَمامٌ يَهْتَفُ
ويا شهاباً كم به عَنَّا تَجَلَّتْ سُدُفُ

(١) ابن نباتة الفارقي : الخطيب أبو يحيى ، عبد الرحيم بن محمد ، صاحب الخطب المشهورة ؛ توفي سنة ٣٧٤ هـ . (وفيات الأعيان ١٥٧/٣) .

(٢) ابن المنير : أحمد بن محمد بن منصور ، القاضي الإسكندراني ، له خطب مشهورة ؛ توفي سنة ٦٨٣ هـ . (فوات الوفيات ١٤٩/١) .

(٣) ابن تيمية : الإمام أحمد بن عبد الحلیم الحرّاني الحنبلي ، نزيل دمشق ، مجتهد قدوة ؛ توفي سنة ٧٢٨ هـ . (المنهج الأحمد ٢٤/٥) .

(٤) في م : جماعة الأدب من أشياخي .

ما مُرَدُّ مُذَكَّرُ في جمعه لم ينصرف
عروضه واجدة مخمة سن مُدَوَّرُ
مُقَشَّن ومالاه أعيننا من عينيه
أصفَرُ لا مِن علّة [ب] ولّيس يذري ما البلى
وناره لم تلتهب وينه لا برحمت في
ودممت للفضل الذي

مُكَرَّرٌ مُعْرَفُ والجمع منه يُصْرَفُ
وضربُه مُحْتَلَفُ مُحَرَّفٌ مُشْرَفُ
كَفَّ جَلاها التَّرفُ شَوْقاً لَهُ لا تَطْرِفُ
تُوهُّهُ وتضعِفُ ولا يَـرَاهُ التَّلَفُ
ودينُه لا يُعْرَفُ^(١) سَعِدَ حَياهُ يَكْفُ
ثمّاره نَقَطُفُ^(٢)

● فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك : [من الرجز]

يا واجداً في عصرِه لَعَبٌ لِدِه يُشْرَفُ
ويا إماماً علّمُه يَبِينُ الوري لا يُخْلَفُ
إنّ الذي ألغزته بأرضٍ مضَرَّ يُعْرَفُ
تهوى الملوكة وصلّه كيف الكئيب المذنبُ
مُتَيِّمٌ في عشيقه كذا الرّيب الأهيفُ
عُيوننا في عينه وما أراها تُسْعِفُ
وحسنُه ولفظُه لَمَسَمَعِي يُسَنَّفُ

(١) في م : × وذبّه لا يعرف .

(٢) في م : × ثمّاره نَقَطُفُ .

عُذْرًا لِعَبْدٍ فَهْمُهُ
عَنْ نَظْمٍ دُرٍّ صُغْتُهُ
مُرَصَّعٌ فِي ذَهَبٍ
فِي مِثْلِهِ فَسَيْدِي
لَا زِلْتُ فِي سَعَادَةٍ
يَقْصُرُ بَلْ يُضَعَّفُ^(١)
لِأَنَّ نَظْمِي صَدَفُ
مُوقَّعٌ مُؤَلَّفُ
يُلْغِزُ أَوْ يُصَحِّفُ
أَذْيَالُهَا تُرْفَرُفُ

١٠ * أحمد بن عبد الله بن داود بن علي بن أحمد بن محمد^(٢) :

شهاب الدين البغدادي ، الكاتب المعروف بالمترجم .

● كَتَبَ تَقْرِيبًا عَلَى كِتَابِي « جِنَانِ الْجِنَاسِ »^(٣) : [من الرمل]

زَيْنَةُ الْمَرْءِ بَيَانُ الْمَنْطِقِ
وَأَخَصُّ النَّاسِ فِيهِ رَجُلٌ
فِي جِنَانٍ مِنْ جِنَاسٍ زُخْرِفَتْ
أَوْدَعَتُهَا كُفُّهُ فِي دَعَاةٍ
نَاطِمًا أَحْرَفَهُ فِي أَشْطَرِ
كَنْظَامِ الدُّرِّ مِنْ أَنْوَاعِهِ
رَاكِبٌ أَسْوَدُهَا أَبْيَضُهَا
فَبَيَاضٌ فِي سَوَادٍ حَالِكِ
مُقَرَّنًا مِنْهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ
نَظْمَ الْحِكْمَةِ نَظْمَ النَّسَقِ
بِحَسَانٍ مِنْ لِسَانٍ ذَلِقِ
وَأَمَانٍ فِي بَطْنِ الْوَرَقِ
ذَاهِبًا فِيهَا لِأَسْنَى الطَّرِيقِ
زَيْنَةُ فِي صَفَحَاتِ الْعُنُقِ
كَرْكُوبِ اللَّيْلِ مَتْنِ الشَّقَقِ^(٤)
وَسَوَادٌ فِي بَيَاضٍ يَفْقُ^(٥)

(١) في ب ، س ، م : × يقصر لا بل يضعف .

(٢) ترجمته في : الوافي بالوفيات ١٤٠/٧ .

- قال المؤلف في الوافي : وآخر عهدي به في سنة خمس وأربعين وسبعمئة بدمشق ، ثم توجه إلى القاهرة .

(٣) القصيدة في الوافي .

(٤) في ب ، س ، والوافي : راكباً . × .

(٥) في ب : . . . حالك × .

نَطَقَتْ وَهِيَ جَمَادُ كُلِّهَا
حَمَلْنَا بَعْدَهُ أَلْفَاظُهُ
كُلٌّ مَعْنَى دَقٍّ فِيهَا فَاخْتَفَى
فِي افْتِرَاقٍ وَاتِّفَاقٍ قَصْدُهُ
كَمَنْتُ فُطِنْتُ فِيهَا كَمَا
أَيُّهَا الطَّالِبُ يَتَغَيَّ شَأْوُهُ
لَسْتُ تَدْرِي مَنْ تُجَارِي فَاتَّيْتُ
وَبَنُو الْفَضْلِ مَتَى جَارَاهُمْ
هَكَذَا الْمَعْنَى فَكُنْ مُحْتَفِلًا
أَيُّ نَارٍ لِحَلِيلٍ أَضْرَمَتْ
فَلَبَتْ رَوْضًا أَرْضًا أَنْفًا
فِيهَا أَفْكَارُنَا فِي سِنَةِ
سَحَرِ النَّاسِ بِهَا مَنَاطِقُهُ
زِدْهُمْ سَحَرًا وَلَا تَرِثْ لَهُمْ
لَوْ وَعَى نَظْمُكَ قَسٌّ لَمْ يَقُلْ :
دُمْتُ لِلنَّاسِ صَاحِبًا مَا شَدْتُ

وَعَجِيبٌ نَطَقَ مَنْ لَمْ يَنْطِقِ
فِي اضْطِلَاحِ الشَّعْرِ مَا لَمْ نَطِقِ
عَنْ سَنَا الْفِكْرِ وَنُورِ الْحَقِّ
فَاعْنِ بِالْمُفْتَرِقِ الْمُتَّفِقِ
كَمَنْتُ أَشْخَاصُنَا فِي الْعَلَقِ
حَكَمَ الْعِلْمُ بِأَنْ لَمْ يُلْحَقِ^(١)
أَنْتَ وَالْبَرْقُ مَعًا فِي طَلَقِ
غَيْرُ ذِي الْفَضْلِ يَقِينًا يُسَبِّقِ
وَكَذَا الْأَلْفَاظُ فَاسْمَعِ وَذَقِ
حَذْرًا مِنْهَا وَإِنْ لَمْ تُحْرِقِ
أَرْجَ الْأَرْجَاءِ بِالْفَضْلِ سُقِي
وَبِهَا أَعَيْنُنَا فِي أَرْقِ
فَاعَاذُوهُ بِرَبِّ الْفَلَقِ
فَهُوَ ذَنْبٌ إِنْثُهُ فِي عُنُقِي
أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا مِنْ عَنَاطِي
فَبُوقِ غُصْنٍ صَادِحَاتِ الْوُرُقِ

● فَكَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ مُخْتَصَرًا^(٢) : [من الرمل]

أَرْيَاحِينَ أَتَتْ فِي طَبَقِ
[١٠] أَمْ غُصُونٌ مِنْ سُطُورٍ قَدْ شَدَتْ
أَمْ نُجُومٌ قَدْ بَدَتْ فِي غَسَقِ
عَرَفُهَا سَارَ إِلَى الْمُتَشَقِّ^(٣)
فَوَفَّهَا الْأَطْيَارُ بَيْنَ الْوَرَقِ
أَمْ نُجُومٌ قَدْ بَدَتْ فِي غَسَقِ

(١) في م : × . . . لم تلحق .

(٢) القصيدة في الوافي .

(٣) في س : × . . . سار لمتشق .

أَمْ عُقُودٌ وَيَدُ الْإِحْسَانِ قَدْ
هَكَذَا النَّظْمُ الَّذِي رَوْنَقُهُ
طَرَسُهُ صَفْحَةُ خَدِّ أَبِيضٍ
قُلْتُ لِلْخَلِّ وَقَدْ عَايَنَهُ
ثُمَّ لَمَّا ذَاقَهُ اهْتَزَّ لَهُ
قال : هذا سُكَّرٌ أَوْ مُسْكِرٌ
دُمْتُ يَا فَرْدَ الْوَرَى فِي فَنِّهِ
١١ * أحمد بن علي بن محمد^(١) :

القاضي ، الكاتب ، المنشئ ، نجم الدين ابن الشيخ علاء الدين بن
القاضي شمس الدين بن غانم .

كاتب الإنشاء الشريف بالشام المحروس .

● كتب هو إلي من دمشق المحروسة وأنا بالقاهرة المحروسة^(٢) : [من

الكامل]

بي في الضمير من الفراق ضرام
مُذْ غَابَ عَنِّي مَنْ أَلْفَتْ دُنُوءَهُمْ
واستوطنوا مِصْرَ التي طابَتْ لَهُمْ
سَمَحَتْ بِهِمْ أَيْدِي التَّوَى واستزجعت
وهوى يُهَيِّجُهُ جَوَى وَغَرَامُ^(٣)
ونبا بِهِمْ بَعْدَ الْمُقَامِ مَقَامُ
داراً وَأَيْنَ ديارُهُمْ وَالشَّامُ
فَكَأَنَّمَا سَمَحَتْ بِهِمْ أَحْلَامُ

(١) ترجمته في : الذيل على العبر ٢٧٤/١ وأعيان العصر ٣٠١/١ والذعر الكامنة ٢١٩/١ ودرر العقود
الفريدة ٣٥٥/١ .

- وفاته سنة ٧٥٨ هـ .

(٢) ستة أبيات من هذه القصيدة في درر العقود .

(٣) في م : لي في الضمير . . . × .

أَتَرَى يَعُودُ بِهِمْ زَمَانٌ قَدْ مَضَى
غَابُوا فَلَمْ تَطِبِ الْحَيَاءُ لِيَبْيَهُمْ
وَالدَّهْرُ كَانَ بِهِمْ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ
كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ رَيْبَعاً وَجْهَهُ
وَنَأَوْا فَقَطَّبَ بِالْفِرَاقِ فَوَجْهَهُ
لَا أَوْحَشْتُ دَارَ خَلْتٍ مِنْ أَنْسِهِمْ
يَا غَائِبِينَ نَأَى الشُّرُورُ لِيَبْيَهُمْ
لي كُلَّمَا هَجَعَ الْخَلِيٌّ مِنَ الْهَوَى
طَالَتْ لَهُجْرُكُمْ اللَّيَالِي وَخَشَةَ
وَحَيَاتِكُمْ مَا نِمْتُ مُذْ فَارَقْتُكُمْ
نَاشِدْتُكُمْ عُودُوا عَلَى مُتَأَسِّفٍ
أَمْ هَلْ تُرَى لِي مَعَهُمْ إِمَامُ
وَالنَّوْمُ بَعْدَهُمْ عَلَيَّ حَرَامُ
وَأَرَاهُ عَيْنِداً كُلُّهُ لَوْ دَامُوا
مُتَهَلِّلاً بِدُنُوءِهِمْ بَسَامُ^(١)
جَهْمٌ وَسُحْبُ الْمُبْهَجَاتِ جَهَامُ
فَضِيَاؤُهَا فِي نَاطِرِي ظَلَامُ
فَعَلَيْهِمْ وَعَلَى الشُّرُورِ سَلَامُ
دَمْعٌ يُفَرِّجُ مُقْلَتِي وَهِيَامُ
فَكَأَنَّمَا وَحَيَاتِكُمْ أَغْوَامُ
مَنْ فَارَقَ الْأَخْبَابَ كَيْفَ يَنَامُ
لَمْ تَبَقَ فِيهِ بِشَاشَةٌ تُسَامُ

● فكتبت أنا الجواب إليه : [من الكامل]

وافى كتابك فاستنار ظلام
يا كاتِباً كَبَتَ الْعِدَى لَمَّا كَبَتْ
صَلَّى وَرَاءَكَ فِي الْقَرِيضِ جَمَاعَةٌ
أَهْدَيْتَ لِي طَرَساً سَطُورَ بَيَانِهِ
فَكَأَنَّمَا يَلُوكَ الْحُرُوفُ جَوَاهِرُ
لَا بَلْ كُؤُوسُ مُدَامَةٍ مِنْ فَوْقِهَا
لَا يَدْعُ إِنْ مَالَتْ بِعُطْفِي نَشْوَةٌ
وَعَدَتْ بُدُورُ الْأَفْتَى وَهِيَ تَمَامُ^(٢)
مِنْ خَلْفِهِ فِي شَوَاطِئِ الْأَقْلَامِ
مِمَّنْ يُعَانِيهِ وَأَنْتَ إِمَامُ
رَوْضٍ وَمَغْنَاهَا الْبَدِيعُ حَمَامُ
فِيهَا تَأَنَّقَ جُهْدُهُ النَّظْمُ
قَدْ دُرٌّ مِنْ مِسْكِ الْخِتَامِ خِتَامُ
فَمِنْ الْكَلَامِ إِذَا اغْتَبَرْتَ مُدَامُ

(١) في أ : × متهلل بدونهم بَسَامُ ! . وفي ب : × متهللاً يدنو بهم بَسَامُ ! . وفي م : × متهلل

بدونهم . . . والمثبت من س .

(٢) في ب : × وبدت بدور . . .

يا ساكنين دِمَشقَ لي فيكم وإن
بَنِي وَبَنِيكُمْ إِذَا حَقَّقْتُمْ
بِحَيَاتِكُمْ رَاعُوا الْوِدَادَ فَإِنَّكُمْ
وَتَذَكَّرُوا تِلْكَ اللَّيَالِي الَّتِي
يا بُعْدَ مَا أَرْجُوهُ مِنْ دَهْرِي وَالْأ... أَتَيْنَ مِصْرَ مِنَ اللَّقَا وَالشَّامِ
أَمَّا أَنَا فَإِنْ اسْتَمَرَّ الْحَالُ فِي جَوْرِ النَّوَى فَعَلَى الْحَيَاةِ سَلَامٌ

[١٠ ب] يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، فَوَقَفَ لَهُ قَائِمًا ،
وَدَخَلَ بَحْرَ عَجَائِبِهِ عَائِمًا ، وَجَعَلَ طَائِرٌ قَلْبِهِ يُرْفِفُ عَلَى زُلَالِ لَفْظِهِ حَائِمًا ،
وَسَرَّحَ طَرْفَهُ فِي رِيَاضِ سَطَوْرِهِ سَائِمًا ، وَفِي تَأَلُّقِ بُرُوقِهِ شَائِمًا ، وَغَالَطَ نَفْسَهُ
وَقَدْ رَأَى يَفْظَةً فَقَالَ : إِنَّهَا رُؤْيَا مَنْ كَانَ نَائِمًا ، وَأَجْمَعَ مَنْ رَأَاهُ عَلَى أَنَّهُ فَرْدٌ فِي
الْمَحَاسِنِ ، فَلَمْ يَجِدْ عَلَى وَضْفِهِ فِي الْمُغَالَاةِ لَائِمًا ، وَأَطْلَقَ دَمْعُهُ ، وَفَقِدَ قَلْبُهُ ،
فَرَأَى ذَلِكَ هَامِيًا دَائِمًا ، وَهَذَا هَائِمًا دَائِمًا ، فَيَا لَهُ مِنْ وَارِدٍ وَرَدَّ خَدَّ الزَّمَنِ ، وَرَدَّ
عَلَى الْأَجْفَانِ مَا شَرَّدَ مِنَ الْوَسَنِ ، وَسَرَّ نَفْسَ الْمَمْلُوكِ بِرُؤْيَاهِ ، وَلَا سُورَ مَنْ
بَلَغَ الْوَطَرَ فِي الْوَطَنِ ، وَانْتَهَى إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْعَتَبِ ، فَالَّذِي يَسْمَعُ يَقُولُ :
حَدِيثٌ ضَعِيفٌ ، وَالَّذِي يَسْمَعُ يَقُولُ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ إِلَى مَا أَلْفَتَهُ
نَفْسُهُ الدَّلِيلَةَ ، وَقَالَ : عَلَى كُلِّ حَالٍ أُمُّ عَمْرٍو جَمِيلَةٌ^(١) : [من البسيط]

هَذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مَقَّةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدُّرُّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ وَأَنَا بِمَرْجِ الْعُسُولَةِ^(٢) : [من الكامل]

مَوْلَايَ نَجْمَ الدِّينِ يَا مَنْ فَضَّلَهُ
أَوْحَشْتَنِي فِي سَفَرَةٍ قَضَيْتُهَا
فَبَكَيْتُ لَمَّا أَنَّ ذَكَرْتُكَ بِالْدَّمَا حَتَّى مَلَأْتُ الْمَرْجَ بِالْمَرْجَانِ
قَدْ عَمَّنِي بِخَصَائِصِ الْإِحْسَانِ
بِالْمَرْجِ مُنْفَرِدًا عَنِ الْخِلَافِ

● فَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ مِنْ دِمَشقَ الْمَحْرُوسَةِ^(١) : [من الكامل]

شَوْقِي صَلَاحَ الدِّينِ نَحْوَكَ لَمْ يَزَلْ
أَوْحَشْتَ عَيْنِي مُنْذُ سِرْتٍ وَلَمْ تَزَلْ
رَاسَلْتَنِي بِلَطَائِفِ يَا حُسْنَهَا
لَا كَانَ هَذَا الْمَرْجُ أَجْرِي عِبْرَتِي
لَمَّا بَكَيتُ الْخِلَّ صَارَ الدَّمْعُ فِي
مَعِ فَرَطٍ وَجَدِي أَخِذَا بِعِنَانِي
وَاللَّهِ يَا مَوْلَايَ نُضِبَ عِيَانِي
هِيَ فِي الضَّمِيرِ رَسَائِلُ الْإِخْوَانِ
فِي الْخَدِّ كَالْبَحْرِينِ يَلْتَقِيَانِ^(٢)
عُنْتُ الْمُحِبَّ « قَلَائِدُ الْعِقَانِ »

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ وَقَدْ انْقَطَعَ عَنِ الدِّيَوَانِ مُدَّةً^(١) : [من الطويل]

أَمَوْلَايَ نَجْمَ الدِّينِ أَوْحَشْتَ خَاطِرًا
فَنَارُ الْجَوَى لَمْ يُطْفِئْهَا مِنْ مَدَامِعِي
وَقَدْ أَظْلَمَ الدِّيَوَانُ بِعَدِكَ وَخَشَّةً
لِبُعْدِكَ بَعْدَ الْقُرْبِ وَالْأَنْسِ دَائِبُ
بِفَقْدِكَ لَمَّا غَبَّتْ عَنِّي السَّحَابُ^(٣)
وَمَا حَالُ أَفْقِي تَجَمُّعُهُ عَنْهُ غَائِبُ

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ^(١) : [من الطويل]

أَيَا مَالِكَا لِي مِنْ غُلَاهُ رَغَائِبُ
أَتَتْنِي آيَاتُ حِسَانٍ لَطَائِفُ
وَأَنْتَ الَّذِي مَا زِلْتَ فِي أَبْحَرِ النَّدَى
وَفِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ نَدَاهُ غَرَائِبُ
فَقَلْبِي عَلَيْهَا دَائِمُ الْوَجْدِ ذَائِبُ
لَنَا مِنْ أَيَادِيكَ الْكَرَامِ عَجَائِبُ^(٤)

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) في أ : × في الخدين !

(٣) في ب ، س : × لفقدك

(٤) في ب ، س : وَأَنْتَ الَّذِي مَا زِلْتَ كَالْبَحْرِ فِي الْوَرَى × .

(١) هذا شطر بيت سيأتي في الترجمة (٢١) وتماهه :

على كل حال أم عمرو جميلة وإن ليست خلقتانها وجديدها

والبيت الآتي للمتنبي ، في شرح ديوانه المنسوب للعسكري ٣ / ٣٧٤ .

(٢) الأبيات في أعيان العصر .

● وكتبْتُ أنا إليه وقد وعدتني بأن يربط لي بغلّة على حشيشٍ عنده في الربيع^(١) : [من الخفيف]

بغلّتي هذه تُريدُ حشيشاً ما أنا وزنه يعقلني المعيشي
فاضطنّعي فإنّ كلّ ملكٍ ووزيرٍ في حملٍ همّ الحشيشي^(٢)

● فكتبَ هو الجوابَ إليّ عن ذلك^(١) : [من الخفيف]

يا إماماً قد حازَ كلّ المعاني طولَ دَهري إليه كلّ هَشيشي
إنّ ذاكَ الحشيشَ صارَ يبيساً فرعاهُ يا مالِكي إكديشي

● وكتبْتُ أنا إليه مُلغزاً في « تميم »^(٣) : [من السريع]

مولاي نجمَ الدينِ يا مَنْ لَهُ جليلٌ وُدٌّ وهو أركى حَميمٍ^(٤)
ما اسمُ رباعيٍّ لَهُ أوّلٌ إن زالَ عنه لم تجدْ غيرَ ميمٍ

● فكتبَ هو الجوابَ عن ذلك^(٣) : [من السريع]

[١١] مولاي قد قلّدتَ جِندي حُلِيّ من جَوهرِ اللَّفْظِ بِعَقْدِ نَظْمٍ
أهديتُهُ من بَخرِ عِلْمٍ لَهُ ذَخائِرُ والقَلْبُ فيها يهيمُ
مَوّهتَ مَعناه فَتَمَّ العِنا والبَذرُ يَسْبي مِنْهُ تاءٌ ومِيمُ

● وكتبَ هو إليّ أيضاً ، وقد كانَ حَصَلَ لَهُ ضَعْفٌ : [من المجتث]

مولاي عُذراً فإنني أَصْبَحْتُ واللهُ مُلقَى
وَكَيْفَ لا يَلْتَقِي مَنْ أَضْناه حُبُّكَ عِشْقاً

(١) البيتان في أعيان العصر .

(٢) في ب : x وزيرٍ في همّ حمل الحشيش ! .

والمراد من الحشيشي : جماعة الحشاشين المعروفين بالاغتيال لرجال ذلك العصر .

(٣) البيتان والجواب عنهما في أعيان العصر والذّرر الكامنة .

(٤) في م : x خليل ود . . .

فإن تُكُنْ لي حياةً أَدَيْتَ فَرَضَكَ حَقّاً
وإن تُكُنْ ثُمَّ أُخَرَى « تعيشُ أنتَ وتبقَى »^(١)

يُقبَلُ الأرضَ ، ويُنهي أَنَّهُ لا يَسألُ مولانا : كيف انقَضَتْ ليلتُهُ من الأَلَمِ ؟
دَفَعَ اللهُ عن مولانا ما يُحاذِرُهُ ؛ والمَرْجُو حُصولُ اللُطفِ من اللهُ تعالى ، وكان
المملوكُ قد تَخَيَّلَ البَارِحَةَ في الزَّهرِ شَيْئاً ، وما يَعْلَمُ هل هو صحيحٌ أو فاسِدٌ ،

وقد نَظَمَهُ ، وهو : [من البسيط]

انظُرْ إلى الزَّهرِ كَيْفَ قد جُلِيَتْ عَروسُهُ وكَساها مِن بَدائِعِهِ^(٢)
كَأَنَّهُ حينَ رُفَّتْ نَحْوُهُ فَرَحاً قد أوقَدَ العِشْرَ يُشْرِى من أَصابِعِهِ

● وكتبْتُ أنا إليه مُلغزاً^(٣) : [من الطويل]

ألا خَبَروني عن صَلاةِ امرِئٍ غَدَتْ يَحارُ بِسِيطٍ عِنْدَها وَوَجِيزُ
تَجورُ إذا صَلَّى إماماً ومُفَرِّداً وإن كانَ مأموماً فَلَيْسَ تَجورُ

● فكتبَ هو الجوابَ عن ذلك : [من الطويل]

أيا سَيِّداً قد زانَ أَهلَ زَمانِهِ بِما يَفْتَنِيهِ في العُلا وَيَحورُ
لَهُ كُلُّ عِلْمٍ قد تَدانَتْ فُروعُهُ عَلِيهِ من اللهِ العَزِيزِ حُرورُ
بِهِ قَلَمُ الإنشاءِ أَصْبَحَ كاتِياً وَمِنْهُ بِما تَحوي يَداهُ يَقورُ

(١) العجز مضمّن من قول أبي الحسين الجزار بعد موت حمارة : [الغيث المسجّم ٢٣٤/٢]

كَم مِن جَهورٍ رَأَني أَمشي لأَطلُبُ رِزقاً
فقالَ لي : صَرتَ تَمشي وَكُلُّ مَاشٍ مُلقَى
فقالَتُ : مَياتُ حِماري تَعيشُ أَنتَ وتَبقَى

أو من بيت البهاء زهير : [ديوانه ١٨٧]

تَعيشُ أَنتَ وتَبقَى أَنّا الَّذي مَثَّ حَقّاً

(٢) في صدر البيت خلل عروضي . ويصحّ لو قال : انظر إلى الزَّهر كيف قد [له] جَلِيَتْ x .

(٣) البيتان من قصيدة كتبها المؤلف إلى أحمد بن علي الشُّبكي - وسأني في ترجمته بعد هذه الترجمة

برقم ١٢ - وهي في الوافي ٢٥٠/٧ ونكت الهميان ٤٩ تتضمن لغزاً في صلاة الأعمى الأصم .

لَغَزَتْ الَّذِي فِي الصُّورَتَيْنِ صَلَاتُهُ
فَأَرْسَلْتُ فِكْرِي لَيْلَةً فِي بِلَاغَةٍ
فَأَصْبَحْتُ كَالْأَعْمَى بِهِ صَمَمٌ غَدَا
لَهُ مِنْ دَوَامِ الْفَهْمِ مِنْكَ كُنُوزٌ^(١)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَقَدْ انْقَطَعَتْ عَنِ الدِّيَّانِ^(٢) : [من الكامل]

أَصْبَحْتُ فِي الدِّيَّانِ وَخَدِي فِي عَنَا
كُنَّا بِهِ مُسْتَأْمِنِينَ وَلَقَطْنَا
وَبِهِ صَلَاحٌ لَمْ يَزَلْ مَعَ عِلْمِهِ
فَنَأَى فَصِرْتُ عَلَى الْبَلَاءِ مُسْتَوْقِفًا
وَبَلَوْتُ أَقْوَامًا لَيْسَتْ لِأَجَلٍ مَا
أَخْشَاهُ مِنْ تَنْكِيدِهِمْ دِرْعَيْنِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٤) : [من الكامل]

حَاشَاكَ تُصْبِحُ فِي عَنَا أَوْ فِي ضَنْئِي
وَالْقَصْدُ أَنْ تُمْسِيَ وَتُصْبِحَ سَالِمًا
وَإِذَا سَلِمْتَ وَدُمْتَ لِي مَا ضَرَّنِي
أَدْرِي مَحَبَّتَكَ الَّتِي صَحَّحَتْ وَمَا
مِنْ صِدْقٍ وَدُكَ تَشْتَكِي وَتَوَدُّ لَوْ
مَا هَذِهِ الْفِتْنُ الَّتِي إِنْ أُخِمِدَتْ
فَكَأَنَّهَا الْفِتْنُ الَّتِي تُحْكِي لَنَا
أَلْقَى الْعِدَى وَخَدِي وَمَا دِرْعِي سِوَى

(١) في ب : × له من دوام الفكر . . . وما بعد ذلك ساقط من س .

(٢) القطعة في أعيان العصر ٣٠٥/١ .

(٣) في م : × من نطقه . . .

(٤) القصيدة في أعيان العصر .

(٥) يشير إلى ما حدث من التحكيم بين الإمام علي ومعاوية ، رضي الله عنهما .

يَا دَهْرُ كُفَّ فَقَدْ كُفِّيتَ فَمَا أَنَا
وَمَنْ الَّذِي لَمْ يَهْتَضِمُهُ زَمَانُهُ
دَعْ ذَا فِإِقْبَالِي عَلَى شَأْنِي غَدَا
مَا بَعْدَ هَذَا الشَّيْبِ وَالسَّنِّ الَّتِي
وَاللَّهُ أَعْدَلُ حَاكِمٍ بَيْنَ الْوَرَى

● وَكَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْقَاضِي الْمَخْدُومِ نَاصِرِ الدِّينِ ، كَاتِبِ السَّرِّ
الشَّرِيفِ ، وَقَدْ تَخَلَّفْتُ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَرْجِ صُحْبَةَ الْمَوَالِي الْمُوقَّعِينَ : [من
مجزوء الرمل]

إِنَّ لِي فِي الْمَرْجِ سَادَةً
يَفْعَلُونَ الْخَيْرَ دَأْبًا
وَإِذَا جَادُوا يَفْضُلُونَ
قَدْ بَنَوْا لِلْمَجْدِ صَرْحًا
فَإِذَا غَابُوا وَفَاوُوا
فَإِذَا غَابُوا وَفَاوُوا
يَحْلُومُونَ لَا تُبَارَى
لَمْ يَكُنْ قَطُّ بِعَادِي
لَكِنْ الدَّهْرُ إِذَا حَظَّ
وَإِذَا كَانُوا بِخَيْرٍ

● فَكَتَبَ الْمَوْلَى نَجْمُ الدِّينِ الْجَوَابَ فِي غَيْرِ الْبَحْرِ : [من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ عَادَةً
يَا مَنْ رَكَتْ أَعْمَالُهُ
حُزَّتِ الرِّئَاسَةُ وَالسِّيَادَةُ
وَصَلَاتُهُ فِيهَا الزِّيَادَةُ

(١) في م : × . . . من دَيْنِ .

يَا مَنْ دَنَا مِنْ قَابِ قَوْ
نِلْتِ الْفَضَائِلَ وَالْوَسَا
بِإِلَهِ أَفْسِسُ أَنْ مِثْ
أَوْحَشَتْ مُقْلَةً مُغْرَمٍ
وَجَرَتْ مَحَاجِرُهُ دَمًا
وَنَفَى بِعَادُكَ وَالَّذِي
مَوْلَايَ رَفَقًا بِالَّذِي
وَالدَّهْرُ لَا يَرْتِي لَهُ
فَعَلَيْكَ مَنْ دُونَ الْعَشِيدِ
وَالِيكَ أَلْقَى يَا مُنْذِرِ
جَاءَتْ قَصِيدَتُكَ الَّتِي
تُجَلَّى عَرُوسًا قَدْ غَدَتْ
وَتَضَمَّنَتْ وَصَفَ الَّذِي
فَنَشَقَّتْ نَشْرَ عَيْبِهَا
وَوَدَدْتُ تَقْيِيلَ الْحُرُورِ

سَيْنِ الْوَفَاءِ إِلَى الْوِفَادَةِ
ئِلَّ وَالْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ
لَكَ مَا حَوَتْ دَائِرُ السَّعَادَةِ
وَأَذْبَتَ مِنْ أَسْفِ فُؤَادَةِ
أَجْرَى الشَّهَادُ بِهَا مِدَادَةِ
تَذْرِيه مِنْ حَالِ رُقَادَةِ
حَقَّقَتْ بِالْحُبِّ اعْتِقَادَةِ
أَيْضًا وَلَمْ يُزَكِّ عِنَادَةَ^(١)
رَّةَ فِي الدُّنَا أَلْقَى اعْتِمَادَةِ
بِ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ انْقِيَادَةِ
يَقْضِي بِهَا دَنْفُ مُرَادَةِ
شَمْسُ النَّهَارِ لَهَا قِلَادَةِ
قَدْ زَانَهُ رَبِّي وَزَادَةِ
وَجَعَلْتُ مِسْمَهَا وَسَادَةِ
فِ وَسَيِّدِي يُبْقِي وَدَادَةِ

● فكتبْتُ أَنَا الجوابَ إِلَيْهِ عَلَى هَذَا الْوَزْنِ : [من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ إِذَا أَبْدَى جِلَادَةَ
يَا فَارِسًا أَقْلَامُهُ
وَالضُّبْحُ أَشْبَهَ طَرَسَهُ
مَا خَطَّ سَطْرًا قَطُّ إِلَّا
لَمْ تَبْقَ فِي قَرْنِ جِلَادَةِ
يَوْمَ الطَّعَانِ غَدَتْ صِعَادَةَ
وَاللَّيْلُ قَدْ حَاكَى مِدَادَةَ
لَا زَفَّ لِلْأَبْصَارِ غَادَةَ

(١) في م : × . . ولم يترك عناده .

أَخَذَ الْكَوَائِبَ فِي الدُّجَى
مَوْلَايَ نَجْمَ الدِّينِ يَا
جَاءَتْ قَصِيدَتُكَ الَّتِي
حَيَّتْ فَأَخِيَتْ مُغْرَمًا
وَالدَّمْعُ عَنْ مَطَرٍ رَوَى
عَنْ وَاقِدِي ضُلُوعِهِ
فَاسْتَقْدَنْتُهُ مِنَ الْجَوَى
غَرَاءُ حَالِيَةِ الطَّلَى
نَاجَتْ بِلَفْظٍ قَدْ حَلَا
بِفَصَاحَةٍ وَبِلَاغَةٍ
وَعَيْنُ أَصْبَحَ عَبْدَهَا
وَيَعْدُ مِنْ أَجْنَادِهَا
رَفَّتْ حَوَاشِيهَا فَطَا

قَسْرًا وَنَظَمَهَا قِلَادَةَ
قَمَرِ الرِّئَاسَةِ وَالسِّيَادَةِ
أَهْدَتْ إِلَى طَرْفِي رُقَادَةَ
قَدْ فَازَ بَعْدَكَ بِالشَّهَادَةِ
وَالجَفْنُ حَدَّتْ عَنْ قَتَادَةِ^(١)
عَنْ مِسْعَرٍ أَزَكَّى فُؤَادَةَ^(٢)
وَزَنَتْ إِلَيْهِ بِمَا أَرَادَةَ
نَظَرِي مَحَاسِنَهَا عِبَادَةَ
أَدَّى لَهُ الشُّهُدُ الشَّهَادَةَ
تَرْمِي لَيْدًا بِالْبِلَادَةِ
وَالْبَحْرِي أَبُو عِبَادَةَ
إِنْ كَانَ تَرْضَاهُ جُنَادَةَ^(٣)
رَ لِحُسْنِهَا ابْنُ أَبِي جَرَادَةَ^(٤)

(١) التورية في الشطر الأول ، بين المطر وبين مطرٍ راوٍ للحديث ؛ وفي رجال الحديث غير واحد ممن يُسمى بمطر ، وليس المقصود شخصاً بعينه .

والقتاد في الشطر الثاني : شجر صلب له شوكة كالإبر . (القاموس) ولعل الإشارة إلى قتادة بن دعامة السدوسي ، تابعي ، توفي سنة ١١٧ هـ . (الوافي ٢٤ / ١٩١) .

(٢) الواقد : مشعل النار . والواقدي : محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، الإمام المدني ؛ توفي سنة ٢٠٧ هـ . (الوافي ٤ / ٢٣٨) .

والمسعر : ما أوقد به النار . ومسعر بن كدام ، الهلالي الكوفي الحافظ ؛ توفي سنة ١٥٥ هـ . (الوافي ٢٥ / ٤٩٢) .

(٣) لعل الإشارة إلى جنادة بن محمد الأزدي الهروي اللغوي ، العلامة الأديب ؛ قتله الحاكم سنة ٣٩٩ هـ . (الوافي بالوفيات ١١ / ١٩٢) .

(٤) ابن أبي جراد : هو أبو علي ، الحسن بن علي بن عبد الله بن محمد ، كان كاتباً فاضلاً ، شاعراً أديباً ؛ توفي سنة ٥٥١ هـ . (الوافي ١٢ / ١٧٣) .

لم يبقَ عِنْدِي زُبْدَةٌ من بَعْدِهَا لِفَتَى زِيَادَةَ^(١)
وابنُ الأثيرِ فَأَوْجُهُ مِنْ أَوْجِهِ سَكَنَتْ وَهَادَةَ^(٢)
والأرجاني ما جَنَى زَهَرَ الْقَرِيضِ وَلَا اسْتَفَادَةَ
عَطَلْتُ فِي الْإِنْشَاءِ فَتَدْ نَأْ كَانَ قَدْ أَعْلَى عِمَادَةَ^(٣)
[١٢] فَازْفُقْ بِعَبْدٍ نَقْصُهُ لِكَمَالِ فَضْلِكَ فِي زِيَادَةَ
وَأَجْرُهُ وَاجِرٍ عَلَى عَوَا إِدْ خَيْرِهِ فَالْخَيْرُ عَادَةَ
١٢ * أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تَمَام بن يوسف بن
موسى ابن تَمَام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عُثْمَان بن مسوار بن
سوار بن سُليْم^(٤) :

السَّيْنُخُ الإِمَامُ الْعَلَامَةُ ، قَاضِي الْقَضَاةِ ، بَهَاءُ الدِّينِ ، أَبُو حَامِدٍ ، ابْنُ
الْعَلَامَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، قَاضِي الْقَضَاةِ ، تَقِيُّ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ ، الْحَاكِمُ بِالشَّامِ
الْمَحْرُوسِ ، الْأَنْصَارِيِّ ، الْخَزَرْجِيِّ ، السُّبُكِيِّ ، الشَّافِعِيِّ .

- (١) ابن زِيَادَةَ : يحيى بن سعيد بن هبة الله الشيباني ، الكاتب الشاعر الفاضل ؛ توفي سنة ٥٩٤ هـ .
(مسالك الأبصار ٣١٢/١٢) .
(٢) ابن الأثير : نصر الله بن محمد بن محمد ، الجزري الكاتب ، صاحب الرسائل ؛ توفي سنة
٦٣٧ هـ . (مسالك الأبصار ٢٦٩/١٢) .
(٣) في أ : x قد كان . . . ! .
(٤) ترجمته في : المعجم المختصر ٢٩ والوافي بالوفيات ٢٤٦/٧ ووفيات ابن رافع ٥٧/٢ والذيل على
العبر ٣٣٤/٢ وتعريف ذوي العلا ٢١٣ والعقد الثمين ٣٨٣/٣ ودرر العقود الفريدة ٢٥٠/١ وتاريخ
ابن قاضي شعبة ٤٠١/٢ وإنباه الغمر ٢١/١ والذعر الكامنة ٢١٠/١ والنجوم الزاهرة ١٢١/١١
والمنهل الصافي ٤٠٨/١ والدليل الشافي ٦٢/١ والذيل التام ٢٥٣/١ والدارس ٣٦٦/١ وبغية
الرواة ٢٤٢/١ وحسن المحاضرة ٣٧٥/١ ودرّة الحجال ١٠٠/١ وشذرات الذهب ٣٨٨/٨ والبدر
الطالع ٨١/١ .

— مولده سنة ٧١٩ هـ . ووفاته سنة ٧٧٣ هـ .
— قال ابن قاضي شعبة : وكان اسمه تَمَاماً ، إِلَى أَنْ جَاوَزَ سِنَّ التَّمْيِيزِ ، ثُمَّ غَيَّرَ . وكذا في الدرر
الكامنة .

● كَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَقَدْ وَرَدَ إِلَى زِيَارَةِ وَالِدِهِ ، وَأَنَا
بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، فَاخْتَلَفْنَا فِي الطَّرِيقِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٧٤٥ : [من الطويل]

خَلِيلِي هَلْ مِنْ حَيْلَةٍ أَشْتَفِيْدَهَا وَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ فِي الْهَوَى أَشْتَرِيْدَهَا
وَلَيْسَ احْتِيَالِي فِي الْأُمُورِ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَنْ أَهْوَاهُ لَيْسَ يُرِيدَهَا
وَمَا قَصَّرْتُ مِنْ بُغْيَةِ الْوَصْلِ عَزَمَتِي وَلَكِنْ دَهْرِي لَا يَزَالُ يَكِيدَهَا^(١)
وَلَمَّا تَمَادَتْ شَقَّةُ الْبَيْنِ بَيْنَنَا وَشَقَّ تَمَادِيَهَا وَطَالَ وُجُودَهَا
وَلَمْ أَرْ فِي مَضِرِّ خَلِيلٍ مُتَوَاتِسًا وَلَا حَاجَةً إِلَّا تَصَدَّقْتُ حُدُودَهَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لِلشَّامِ زَائِرًا «أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي وَيَتَنَوَّبُعِيْدَهَا»^(٢)
وَتَسْهَلُ لِي حَتَّى أَلِمَّ بِجَلَّتِي وَلَوْ حَالَ دُونَ السَّهْلِ مِنْهَا صُعُودَهَا
أَتَيْتُ دِمَشْقًا كِي أَفُورَ بِقُرْبِكُمْ وَأُضْلِحَ أَحْوَالًا أَضَرَّ شَدِيدَهَا^(٣)
فَلَمْ أَرْ فِيهَا مِنْ صَلاَحٍ وَلَمْ أَجِدْ خَلِيلًا تَرَى نَفْسِي بِهَا مَا يُفِيدَهَا
وَعَايَنْتُ وَإِذْنَهَا تَفِيضُ عُيُونُهُ فَيَسْقُطُ مِنْ تِلْكَ الْقُلُوبِ جَلِيدَهَا
وَأُورَاقُهُ اضْفَرَّتْ فَمَا رَاقَ حُسْنُهَا وَأَفْنَانُهُ تَفْنَى وَيَذْبُلُ عُودَهَا
وَقَدْ بَكَتِ الشُّجْبُ الرُّبَا بِمَدَامِعِ تُجِيدُ لَهَا الشُّقْبَا إِذَا مَا تَجُودَهَا
وَنَارَ يَشُورَا نَمَّ فِي بَرْدِي الرَّدَى وَمَا زَادَ إِلَّا النَّقْصَ مِنْهَا يَزِيدَهَا^(٤)
وَقَفْتُ بِهَا كَالْمُسْتَجِيرِ مُرَوَّعًا مَوَاقِفَ تَكَلَّى ضَاعَ مِنْهَا وَلِيدَهَا
أُنَاشِدُ مَنْ لَا قَيْتُ بِاللهِ هَذِهِ دِمَشْقُ الَّتِي قَدْ كُنْتُ قَدِّمًا أُرُودَهَا؟

- (١) في م : . . . عن بغية الوصل . . . x .
(٢) العجز لكثير عزة ، في ديوانه ٢٠٠ من قوله :
وكنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ سَعَلْتُ بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي وَيَتَنَوَّبُعِيْدَهَا
مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيدَهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحَدُوهُ لَوْ تُعِيدَهَا
ونسبهما الخالديان في الأغنياء والمنظائر ١٩٨/١ إِلَى الْعَوَامِّ بْنِ عَقْبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ .
(٣) في ب : x . . . أَضَرَّ تَلِيدَهَا .
(٤) ثورا ويزيد : من فروع يردى .

فَمَا لِي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهَا مَعَاهِدًا
 أَمْ أَزْتَحَلْتُ عَنْهَا رَكَائِبُ مَنْ لَهُ
 أَقَامَ بِمِصْرٍ فَاسْتَقَامَتْ طَرِيقُهَا
 وَحَلَّ بِوَادِيهَا فَكَمْ مِنْ فُضَائِلٍ
 وَأَقْدَمَ فِيهَا كُلَّ سَعْدٍ قُدُومُهُ
 فَتَى لِلْمَعَالِي وَالْعَدَى مُتَقَيِّظُ
 بَسِيطُ الْأَيَادِي وَافِرُ الْفَضْلِ كَامِلُ
 وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْفُضَائِلِ وَالتَّقَى
 تَجَاوَزَ فِي نَظْمِ الْقَصِيدِ لِمَا يَغَايَا
 يَشِيبُ لَهَا رَأْسُ الْوَلِيدِ وَيَتَشَنَّى
 فَمَا ظَافِرٌ فِي بَهْجَةِ الشَّعْرِ ظَافِرٌ
 وَإِنْ عُذَّتِ الْكِتَابُ فَهَوَ عِمَادُهُمْ
 فَمَا الْفَاضِلُ الْمَشْهُورُ فِيهَا بِفَاضِلٍ
 وَفِي كُلِّ عِلْمٍ نَالٌ بِاعًا مُسَدَّدًا
 لَهُ هِمَّةٌ فَوْقَ الشُّهَا حَلَّ أَسْهًا
 وَعَزْمَةٌ حَزْمٌ مَا وَنَتْ عِنْدَمَا نَوَتْ
 وَغَادَزْتُهَا بِالْعَدْرِ ضَاعَتْ عَهْدُهَا
 مَنَاقِبُ مَجْدٍ لَا يُطَاقُ جُحُودُهَا
 وَعَادَ إِلَيْهَا بِالْمَسَرَّةِ عِنْدُهَا^(١)
 تَلُوحُ بِوَادِيهَا وَيَذْنُو شَرِيدُهَا
 وَجَدَّدَ نَعْمَى لَيْسَ يَتَلَى جَدِيدُهَا
 فَهَاتِيكَ يُبْدِيهَا وَهَذِي يُبْنِيهَا
 طَوِيلُ الْمَسَاعِي فِي الْعُلَى وَمَدِيدُهَا^(٢)
 فَطَارَ فِيهَا يَاوِي لَهُ وَتَلِيدُهَا
 حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ مِنْهَا قَصِيدُهَا
 لَيْدٌ عَنِ الْأَفْكَارِ وَهُوَ بَلِيدُهَا^(٣)
 يَتَلَكَّ وَلَا الْقَاضِي السَّعِيدِ سَعِيدُهَا^(٤)
 إِذَا صَنَعَةُ الْإِنْشَاءِ مَالٌ عَمُودُهَا^(٥)
 لَدَيْهِ وَلَا عَبْدُ الْحَمِيدِ حَمِيدُهَا
 وَآرَاءَ حَقٍّ لَيْسَ يَنْبُو سَدِيدُهَا^(٦)
 تَشُدُّ مَبَانِيهَا الْعُلَا وَتَشِيدُهَا
 وَلَا خَابَ مَسْعَاهَا وَخَانَتْ وَعُودُهَا^(٧)

(١) في أ : × بالمسيرة عيدها .

(٢) في ب : وافر الجود كامل × .

(٣) في أ : يشيب لها رأي الوليد . . . × .

(٤) ظافر : هو ظافر الحداد ، شاعر الإسكندرية ، وديوانه مطبوع مشهور .

والقاضي السعيد : هو ابن سناء الملك ، صاحب الديوان المشهور .

(٥) في م : × فهو إمامهم × .

(٦) في م : × ليس ينبو عيدها .

(٧) في ب : × وخانت عهدها . وفي م : وخابت وعودها .

وَمَكْرَمَةٌ فِي طَيْهَا كُلُّ نِعْمَةٍ
 وَسُخْبُ أَيَادٍ حَيْثُمَا وَكَفَّتْ كَفَتْ
 مَدَائِحُهُ تَكْسُو الْفَرِيضَ مَحَاسِنًا
 وَأَوْصَافُهُ مِثْلُ الْكَوَكِبِ كَثْرَةً
 أَقَمَتْ صَلَاحَ الدِّينِ فِي مِصْرٍ مُصْلِحًا
 وَأَظْلَمَ مِنْ أَيَّامِ جَلَّقَ يَنْصُهَا
 تَحَاسَدَتِ الْأَمْصَارُ فِيكَ وَنَافَسَتْ
 فَأَعْظَمَتْ كُلًّا مِنْ وَصَالِكَ حَفْظُهُ
 فَمَنْ لِي بِمِصْرٍ بَعْدَمَا كُنْتُ أَبْتَغِي
 وَبِالرَّغْمِ مِنِّي أَنْ أَكُونَ يَتْلِدُهُ
 إِذَا الْجَهْلُ أَسَى لِلْعُلُومِ مُدْرَسًا
 وَإِنْ سَادَ قَوْمٌ فِي الزُّورِ بِجُدُودِهِمْ
 وَكَمْ لَكَ مِنْ أَعْلَامٍ عِلْمٍ وَسُودِدَ
 قَدَامَتُ لَكَ التَّعْمَاءُ بَيْنَ سِيَادَةٍ
 [١٢ب] وَقَدْ نُشِرَتْ فِي الْخَافِقَيْنِ بُنُودُهَا
 وَعَمَّ نَدَاهَا فِي الْوُجُودِ وَجُودُهَا
 وَيَخْلُو بِأَفْوَاهِ الزُّوَارِ نَشِيدُهَا
 وَقَدْ نَظَّمَتْ فِي حُسْنِ سِلْكِ عُقُودُهَا
 فَطَافَتْ بِهَا بَعْدَ التُّحُوسِ سُعُودُهَا^(١)
 وَأَمْسَتْ لِيَالِي مِصْرٍ تُشْرِقُ سُودُهَا^(٢)
 وَزَادَتْ بِأَرْضِي أَنْتَ فِيهَا وَفُودُهَا
 فَطَابَتْ مَغَانِيهَا وَزَالَتْ حُقُودُهَا
 نَوَاهَا وَأَنْ تَنْفِكَ عَنِّي قِيُودُهَا^(٣)
 تُبَاعِدُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَنْدُهَا
 فَأَنْتَ وَلَا نَقْصُ عَلَيْكَ مُعِيدُهَا^(٤)
 فَعِنْدَكَ نَفْسٌ سَوَّدَتْهَا جُدُودُهَا
 وَأَوْصَافُ مَجْدٍ لَيْسَ يُحْصَى عَدِيدُهَا
 وَنَابَتْ بِسَعْدٍ لَا يَزَالُ يَزِيدُهَا^(٥)

● فَكَيْتُ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [من الطويل]

خَلِيلِي هَلْ مِنْ زُودَةٍ أَسْتَعِيدُهَا
 وَهَلْ مُقْلَتِي الْعَبْرَى يَزُورُ هُجُوعُهَا
 لَعَلَّ الْحِشَا يُطْفِئُ بِذَاكَ وَقُودُهَا
 لَعَلَّ جُفُونِي أَنْ يَزُولَ هُجُودُهَا

(١) في أ ، م : × نحو التُّحُوسِ سُعُودُهَا .

(٢) في س : وَأَظْلَمَ مِنْ أَفَاقِ جَلَّقَ . . . × .

(٣) في ب : × ولن تنفك . . .

(٤) في ب : مدارسًا × .

(٥) في ب : × وبانت . . .

وَهَلْ جَمْعُ شَمْلِي مُمَكِّنٌ بَعْدَ فُرْقَةٍ
وَدَخَ كُلُّ ذَا هَلٍ فِي مَدَى الْعُمُرِ فُسْحَةً
فَأَحْبَبَ بِأَيَّامٍ مَضَتْ لَمْ أَرَدْهَا
يُعَانِدُنِي دَهْرِي فَيَعْكِسُ مَقْصِدِي
قَصَدْتُ حِمَى مِصْرَ تَصَاحِبُنِي الْمُنَى
عَلَى أَنَّ مَنْ أَرْجُوهُ فِيهَا ذَخِيرَةٌ
وَيَغْدُو فَيُنْسِينِي مَحَاسِنَ مَوْطِنِي
فَمَا جِئْتُهَا إِلَّا وَعَالِي رِكَابِهِ
فَيَا حَيَّةَ الْأَمَالِ فِي مَا أَرُومُهُ
أَبَا حَامِدٍ قَلْبِي يَرِفُ عَلَى الْوَلَا
وَفِي كِبْدِي لِلْبَيْنِ لَا عِجْ لَوْعَةٍ
إِذَا كُنْتُ فِي مِصْرٍ يَطِيبُ هَوَاؤُهَا
وَأِنْ جِئْتُ أَرْضَ الشَّامِ رَوَّضَتْ رَبْعَهَا
وَبَاتَتْ بُرُوقُ الْجَوْ بِاسْمَةٍ كَمَا
وَيَنْدِي عَلَى الْأَكْبَادِ بَرْدُ نَسِيمِهَا
أَلَا يَا بَنِي قَاضِي الْقَضَاةِ عَلَوْتُمْ

تَكُذُّ قُوَى نَفْسِي ضَنْئِي وَتَكِيدُهَا^(١)
فَإِنَّ الْأَمَانِي لَا يَقِلُّ عَدِيدُهَا
وَأَقْبَحُ بِأَيَّامٍ أَتَتْ لَا أُرِيدُهَا
كَذَا هَذِهِ الدُّنْيَا يَكُونُ وُجُودُهَا
وَيُحْسِنُ مِنْ غَدِّ الظُّنُونِ وُجُودُهَا^(٢)
يَصُدُّ عَوَادِي غُرْبَتِي وَيَصِيدُهَا
يُحْسِنُ أَبَادٍ لَا يُطَاقُ جُحُودُهَا
يَسِيرُ بِهِ فِي كُلِّ أَرْضٍ بَرِيدُهَا
أَمَا أَنْ لِّلْأَقْدَارِ تَأْنِي سُعُودُهَا
«رَفِيفَ الْخِزَامِي بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا»^(٣)
وَنَارٌ عَلَى قَلْبِي بَطِيءٌ خُمُودُهَا^(٤)
وَيُعْشِبُ وَادِيَهَا وَيَخْضَرُّ عُودُهَا
وَفَاحَتْ شَدَى أَغْوَاظِهَا وَنُجُودُهَا
يَقْهَقُهُ مِنْ فَرْطِ الشُّرُورِ رُعُودُهَا^(٥)
وَتُضْفِي عَلَى الْأَزْهَارِ مِنْكَ بُرُودُهَا^(٦)
عَلَى رُتَبٍ فَوْقَ السَّمَاءِ مُهْودُهَا^(٧)

(١) في ب : × . . . عني وتكيدها .

(٢) في ب : × من غدا الظنون فهوذا .

(٣) العجز مضمر من قول الحسين بن مطير الأسدي : [ديوانه ٤٥]

يُمَيِّتُنَا حَتَّى تَرِفَ قَلْبُونَا رَفِيفَ الْخِزَامِي بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا

(٤) من قول الحسين بن مطير أيضاً : [ديوانه ٤٤]

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى عَلَى كِبْدِي نَارًا بَطِيئًا خُمُودُهَا

(٥) في م : وباتت نجوم الجو . . . × .

(٦) البيت ساقط من س .

(٧) في ب : × خلودها .

لَكُمْ مَعَ كَمَالِ الْمَجْدِ وَالْعِلْمِ وَالتَّقَى
وَكَمْ لَكُمْ مِنْ هِمَّةٍ تَبْلُغُ الْمَدَى
فَأَمَّا بِهِاءَ الدِّينِ أَحْمَدُ فَهَوَ مَنْ
غَدَا بَارِعًا فِي كُلِّ عِلْمٍ أَمَا تَرَى
تَرَاهُ إِذَا أَمْلَى فَوَائِدَ دَرْسِهِ
نَوْدٌ لِمَا يَأْتِي بِهِ مِنْ فَصَاحَةٍ
تَرَى ذِهْنَهُ الْوَقَادَ كَالسَّيْلِ طَافِحًا
مِنْ الْخَزَرَجِيِّينَ الَّذِينَ غَلَاهُمْ
أَمْوَلَايَ قَدْ حُزَّتِ الْمَحَاسِنُ كُلُّهَا
أُجَارِي بِهَا آدَابَكَ الْغُرَّ قَاصِرًا
لَكَ الْعَطْفُ مِنْ جَوْرِ الْمَعَانِي وَلِيْنَهَا
وَعِنْدِي مِنْهَا مَيْتُهَا وَقَدِيمُهَا
بَعَثَتْ عَلَى بُعْدٍ مِنَ الدَّارِ بَيْنَنَا
أَجَدَّتْ مَعَانِيهَا وَحَزَزَتْ لَفْظَهَا
فَعَيْنِي تَسْتَجْلِي حُلَاهَا وَكَلَمًا
إِذَا حَاوَلَ الْغُرَّ الدُّخُولَ لِيْغَابِهَا
قَضَى كُلُّ ذِهْنٍ أَنَّهَا قَدْ تَفَرَّدَتْ
كَأَنَّ قَوَافِيهَا حِسَانٌ تَبَرَّجَتْ
فَهَلْ أَلْفَاتُ فِي الشُّطُورِ تَعَدَّلَتْ

عَقُولٌ عَلَى جِنْدِ الزَّمَانِ عُقُودُهَا
وَتَخَفُّقُ مَا يَبِينُ الْعَوَالِي بُنُودُهَا
يُفِيْتُ الْأَعَادِي وَالْمَوَالِي يُفِيدُهَا
قَوَاعِدُهُ فِي الْبَحْثِ كَيْفَ يُشِيدُهَا
يُجَدِّلُ أَبْطَالَ الْوَعَى وَيُيِيدُهَا
«إِذَا مَا انْقَضَتْ أَخْذُوتُهُ لَوْ يُعِيدُهَا»^(١)
إِذَا مَا اغْتَرَى الْأَذْهَانَ يَوْمًا خُمُودُهَا^(٢)
بَطُولٍ يَقُوقُ الْفَرْقَدَيْنِ صُعُودُهَا^(٣)
[١٣٧] قَدَحَ لِي مِنْهَا فَضْلَةً أَسْتَفِيدُهَا
فَلِمَا أَدَارِيهَا وَإِمَّا أُرُودُهَا
وَلِي دَائِمًا إِعْرَاضُهَا وَصُدُودُهَا
وَعِنْدَكَ مِنْهَا حَيْثُهَا وَجَدِيدُهَا
مُشْرِقَةٌ قَدْ زَادَ فِيَّ حَسُودُهَا
قَفَاقَتْ قَوَافِيهَا وَرَاقَ نَضِيدُهَا
تَأَمَّلَهَا فَكُرِيَ غَدَا يَسْتَعِيدُهَا
أَسَاوِدُهَا تَغْتَالُهُ وَأَسُودُهَا^(٤)
يُحْسِنُ مَعَانٍ قَدْ تَزَكَّتْ شُهُودُهَا
وَهَاتَتْهَا فِي الصَّدْرِ مِنْهَا نُهُودُهَا
غُصُونٌ تَبَدَّتْ لِلْعُيُونِ قُدُودُهَا

(١) عجز ثاني بيتي كثير عزة - وفي أ : لا تعيدها ! .

(٢) البيت ساقط من س .

(٣) في س : × يطول بفرق الفرقدين صعودها .

(٤) في م : لبابها × .

نَعَمْ هَذِهِ الْآيَاتُ أَيْبَاتُ عَلَوَةٍ جَلَّتْهَا لِعَيْنِ الْعَاشِقِينَ زَرُودُهَا^(١)
تَرَاءَتْ لَهُمْ مِنْهَا مَنَازِلُ صَبَوَةٍ وَقَدْ خَطَرَتْ بَيْنَ الْمَضَارِبِ غِنْدُهَا
تَسُوقُ قُلُوبَ الشَّائِقِينَ إِلَى الْحِمَى إِذَا غَارَزَتْهَا رِقَّةٌ وَتَقُودُهَا
فَلَا أَعْيُنٌ إِلَّا تَفِيضُ دُمُوعُهَا وَلَا مُهَجٌ إِلَّا يَذُوبُ جَلِيدُهَا
لَقَدْ شَنَقَتْ سَمْعَ الْوَرَى بِنِظَامِهَا وَرَضَعَ فِي تَاجِ الزَّمَانِ فَرِيدُهَا
فَمَا فِي كِتَابِ « الْعَقْدِ » دُرٌّ كَتَّظَمِهَا وَلَا بَيْنَ أَصْوَاتِ « الْأَغَانِي » نَشِيدُهَا
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي زُرُودَ الْقَصِيدَةِ الدَّلَالِيَّةِ ، وَالْفَرِيدَةِ الَّتِي لَيْسَ لِلْأَفْكَارِ
عَلَى الْإِثْنَانِ بِمَثَلِهَا دَالِيَّةٌ ؛ لَقَدْ شَرَفَتْ حَرْفَ الدَّالِ حَتَّى نَصَبَتْ قَامَتَهَا مِنْ
رَقَدَتِهَا ، وَقَوَّمَتْ بَعْدَ الْإِنْجَاءِ مِثْلَ حَدْبَتِهَا ؛ وَأَقَامَتِ الْأَلْفَ فَانْتَصَبَتْ
لِخِدْمَتِهَا ، فَلِهَذَا زُرُقَتِ الْحَظُّ وَالْجَدُّ ، وَخُتِمَتْ بِهَا حُرُوفُ أَبْجَدٍ .

وَأَمَّا الْهَاءُ الَّتِي قَدْ جَاءَتْ بَعْدَهَا رِذْفًا ، فَأَلْفُ الْإِطْلَاقِ تَأَوَّدَتْ قَامَةً وَاهْتَزَّتْ
الْهَاءُ رِذْفًا ؛ فَلَا غَرْوَ أَنْ وَقَفَ الْحُسْنُ عَلَى ذَلِكَ الْقَدِّ الْمُتَأَوَّدِ وَالرِّذْفِ الْمُهْتَزِّ ،
وَأَصْبَحَ نَاطِمُهَا الْمُقْتَدِرُ مُوَفَّقًا لِمَا فَاقَ ابْنَ الْمُعْتَزِّ ، وَشَهِدَ النَّاسُ لِمَنْ حَاكَ
وَشَبَّهَهَا أَنَّهُ رَفِيعُ الْبَرِّ ، فَعَبْنُ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمِ ، وَالْمَحَاسِنِ الَّتِي مَنَّ عَارَضُهَا
فَقَدْ سَلَّمَ لَهَا ، وَمَنْ لَمْ يَتَعَرَّضْ فَقَدْ سَلَّمَ .

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ وَنَحْنُ بِدَمَشَقَ سَنَةِ ٧٤٤^(٢) : [مِنْ الْبَسِيطِ]

أَبَا حَامِدٍ إِنِّي بِشُكْرِكَ مُطَرَّبٌ كَأَنَّ ثَنَائِي فِي الْمَسَامِعِ شَيْزٌ^(٣)

لَقَدْ حُرِزَتْ فَضْلَ الْفَقْهِ وَالْأَدَبِ الَّذِي
وَقَّتْ الْمَدَى مَهْلًا إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي
فَأَصْبَحَتْ فِي حَلِّ الْعَوَامِضِ آيَةً
كَأَنَّ حُرُوفَ الْمُشْكِلَاتِ إِذَا أَتَتْ
وَأَثَرِيَتْ فَاصْرِفْ لِلْمَسَاكِينِ فَضْلَهُ
تُجِيدُ الْقَوَافِي وَالْقَوَى فِي بِنَائِهَا
سَأَلْتُ فَحَبَّرَ عَنْ صَلَاةِ امْرِئٍ غَدَتْ
تَجُوزُ إِذَا صَلَّى إِمَامًا وَمُفْرَدًا
فَأَوْفٍ لَنَا كَيْلَ الْهُدَى مُتَصَدِّفًا
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى وَأَنْتَ كَمَا نَرَى

● فَكَتَبَ الْجَوَابَ إِلَيَّ سَرِيعًا : [مِنْ الطَّوِيلِ]

يَقُوتُ الْغِنَى مَنْ لَا يَذَاكَ يَقُورُ^(١)
لَهَا عَنْ لِحَاقِ السَّابِقِينَ بُرُورُ
تَمِيلُ إِلَى طُرُقِ الْهُدَى وَتَمِيزُ
لَدَيْكَ عَلَى حَلِّ الْعَوِصِي رُمُورُ
فَعِنْدَكَ مِنْ دُرِّ الْبَيَانِ كُنُوزُ^(٢)
فَبَيْتِكَ لِلْمَعْنَى الشُّرُودُ حَرِيرُ^(٣)
يَحَارُّ بِسَيْطٍ عِنْدَهَا وَوَجِيزُ
وَأِنْ كَانَ مَأْمُومًا فَلَيْسَ تَجُوزُ
فَأَنْتَ بِمَضَرٍ وَالشَّامِ عَزِيزُ
مُجِيدٌ مُجِيبٌ لِلشُّوَالِ مُجِيزُ

أَيَا مَنْ لَشَاوِ الْعِلْمِ بَاتَ يَحُورُ وَمَنْ لِسِوَاهُ الْمَذْحُ لَيْسَ يَجُورُ^(٤)
وَمَنْ حَارَ فِي الْأَدَابِ مَا اقْتَسَمَ الْوَرَى [١٣ ب] فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عَنْهُ نُشُورُ
وَمَنْ ضَاعَ عَزْفُ الْفَضْلِ مِنْهُ وَلَمْ يَضِعْ يَجْدُوهُ عَزْفُ الْجُودِ فَهُوَ حَرِيرُ
سَأَلْتُ وَمَا الْمَسْئُولُ أَعْلَمَ بِالَّذِي أَرَدْتُ وَلَا مِنْهُ عَلَيْكَ بُرُورُ
وَقُلْتُ امْرُؤٌ لَا يَقْتَدِي غَيْرَ أَنَّهُ إِمَامًا وَفَرْدًا بِالْجَوَارِ يَقُورُ^(٥)
وَذَاكَ فَتَى أَعْمَى نَأَى عَنْهُ سَمْعُهُ وَلَيْسَ لِأَفْعَالِ الْأَنَامِ يَمِيزُ^(٦)
فَهَاكَ جَوَابًا وَاضِحًا قَدْ أَبْنَتْهُ وَمِثْلِي عَلَى حَلِّ الصُّعَابِ ضَمُورُ^(٧)

(١) في م : . . . فضل الله . . . × . . .

(٢) في ب : وأثرت . . . × . . . من ذاك البيان . . .

(٣) في ب : تجدد القوافي . . . × . . . وفي م : . . . في بيانها × . . .

(٤) في ب : أيا من لسان . . . × . . .

(٥) ساقط من س .

(٦) في هامش م : الضُّمُور - بضادٍ معجمة وزاي - الأسد . قاموس .

(١) زُرُود : رمالٌ بين الثعلبية والخزيمية ، بطريق الحاج من الكوفة . (معجم البلدان ١٣٩/٣) .

(٢) القصيدة والجواب عنها في الوافي ٢٥٠/٧ - ٢٥١ ونكت الهميان ٤٩ .

(٣) الشيز : لعله ضربٌ من الألحان . قال الصفدي في الكشف والتنبيه ١٢٤ : « والاشتراك في كيفية مسموعة كتشبيه أطيظ الرجل بأصوات الفرائيج . . . وتشبيه أصوات الضفادع بالشيز ، وصوت الدُّولاب بالزمر ، كقول الشاعر :

وَكأنَّمَا الدُّولَابُ يَزْمُرُ كُلَّمَا غَنَّتْ ، وَأَصْوَاتُ الضَّفَادِعِ شِيزُ

فَإِنْ كَانَ هَذَا مَا أَرَدْتَ فَإِنَّمَا
وَأِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَالَّذِي هُوَ لَازِمٌ
فَلَا زِلْتُ تُبْذِرُ مِنْ فَضَائِلِكَ الَّتِي
فَأَنْتَ صَلَاحُ الدُّنْيَا وَالنَّاسِ وَالْدُّنَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، مُلْغِزاً

فِي « النَّبْلِ » (٤) : [من الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
وَهَلْ لِي بِأَرْضِ الشَّامِ مَا عَشْتُ عَوْدَةً
أَرَى قَدَمِي لَمَّا تَجَاوَزْتُ جَلَقاً
فَصَبْرِي وَوَجْدِي ذَاكَ عَنِّي رَاحِلٌ
وَقَلْبِي وَطَرْفِي ذَاكَ مِنْ لَاعِجِ الْجَوِّ
وَفُودِي وَجِسْمِي ذَاكَ أَمْسَى سَوَادُهُ
قِصَارُ اللَّيَالِي مُنْذُ شَطَطَ بَيِّ النَّوَى
وَيَخْفِقُ قَلْبِي لِلْغُرَابِ وَخَفِيقِهِ
وَإِنِّي لَقَالٍ لِلْعَذُولِ وَلَوْ مِهِ
وَكَمْ رُمْتُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَيْكُمْ مَعَ الصَّبَا

بِوَادٍ وَحَوْلِي صَاحِبٌ وَخَلِيلٌ (٥)
فَيُنْعِشْنِي بَعْدَ الْبُعَادِ وَصُورُ
أَرَاقِ دَمِي وَالْوُدَّ لَيْسَ يَزُولُ
وَهَذَا لَهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَقِيلٌ
يَجِفُّ وَهَذَا بِالْدمَاءِ يَسِيلُ
يَحُولُ وَهَذَا بِالْفِرَاقِ نَحِيلُ
« طَوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ » (٦)
وَمَا لِي بِرَدِّ الْخَافِقِينَ سَبِيلُ
لِمِثْلِي قَالٌ لَا يُفِيدُ وَقِيلُ
لَتَسْكُنَ عَنِّي لَوْعَةٌ وَغَلِيلُ (٧)

(١) فِي أ : فَإِنْ كَانَ مَا أَرَدْتَ . . . !

(٢) فِي ب : وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا . . . × جَوَابٌ بِمَضْمُونِ . . .

(٣) فِي ب : . . . وَالتَّقَى × .

(٤) أَحَدُ عَشَرَ بَيْتاً مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي الْمُنْتَقَى مِنْ دَرَّةِ الْأَسْلَافِ .

(٥) مِنْ قَوْلِ سَيِّدِنَا بِلَالِ الْحِشِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : [الْمُسْتَطَرَفُ ٢/ ٢٦٣] :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خَرُّ وَجَلِيلُ

(٦) الْعَجَزُ لِلْمُتَنَبِّي ، وَصَدْرُهُ : [دِيوَانُهُ ٣/ ٩٥] :

لِيَالِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شَكُولُ × .

(٧) فِي ب : × . عَنِّي رَوْعَةٌ وَغَلِيلُ .

فَعَوَّقَنِي دَهْرِي وَمَا بِي عِلَّةٌ
وَحُلَفْتُ عَنْكُمْ لَا عُدُولاً لِيُغَيِّرَكُمْ
سِوَى أَنْ صَبَّأَ لَاحَ مِنْهُ لِمُقَلَّتِي
يَطُوفُ بِهِ السَّاقِي وَقَدْ رَقَّ وَاعْتَدَى
وَيَلْعَبُ فِي هَامِ الْمُلُوكِ إِذَا عَلَا
إِذَا عَانَقَ الْمَيَّاسُ صِرْفَ رَحِيقِهِ
يَسِيرُ وَيَسْرِي بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
وَيَقْطَعُهُ ضَرْبٌ مِنَ الْكَفِّ هَيِّنٌ
عَلَى الْبَحْرِ يَسْمُو مَعَ جَهَالَةِ أَصْلِهِ
وَيَتَعَدُّ أَخْيَاناً وَيَقْرُبُ تَارَةً
كَرِيمٌ عَلَى جِنِّارِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
وَكَمْ فِيهِ مِنْ قَصْرِ رَفِيعٍ عَلَى الْوَرَى
يُخَافُ وَيُزْجَى يَوْمَ جُودٍ وَسَطَوَةٍ
فَمَنْ قَاسَهُ بِاللَّيْلِ فَهُوَ مُقْصَرٌ
أَخُو بَدْعٍ لَا بِالْوَعْدِ يَقِي وَلَا
وَكَمْ فِيهِ مِنْ عَابٍ وَتَقْصِي وَعَوَزَةٍ
وَفِي قَلْبِهِ لَيْسَ الْقَضِيْبُ وَإِنَّهُ
وَلَيْسَ بِأَنْثَى كِي يُبَاحَ نِكَاحُهُ
لَهُ اسْمٌ حَوَى اسْمَاً ثُمَّ حَزَفَا مُسْكِنَا

وَسَارَتْ إِلَيْكُمْ وَالنَّسِيمُ عَلِيلُ (١)
وَهَلْ لَكُمْ بَيْنَ الْأَنْامِ عَدِيلُ
مِنْ الرَّاحِ مَا فِي الْكَاسِ مِنْهُ شَمُولُ
يَرُوقُ جَمِيعُ الشَّرْبِ حِينَ يَجُولُ (٢)
وَتَذْهَبُ مِنْهُ حَيْثُ بَانَ عَقُولُ
تَمِيدُ بِهِ أَغْطَافُهُ وَتَمِيلُ (٣)
لَهُ كُلُّ يَوْمٍ نَقْلَةٌ وَرَحِيلُ
وَإِنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلُ
عَلَى أَنَّهُ لِلْبَحْرِ سَوَافٌ يَوُولُ
لَنَا وَكِلا الْفُغْلَيْنِ مِنْهُ جَمِيلُ
عَلَيْهِمْ إِذَا جَادَ السَّحَابُ بِخِيلُ
وَلَيْسَ لِمَيْلِ الْقَلْبِ عَنْهُ ذُهُولُ
وَلَيْسَ لَهُ فِي الْحَالَتَيْنِ مَثِيلُ
وَمَنْ قَاسَهُ بِالسَّيْلِ فَهُوَ جَهُولُ
لَهُ عَنْ وَفَاقِ الْكَافِرِينَ عُدُولُ
وَفِيهِ عَلَى كُلِّ الْأَنْامِ فُضُولُ
يَزِيدُ عَلَى يُبْسِ الْحَصَى وَيَصُولُ (٤)
وَفِي الْأَرْضِ أَزْوَاجٌ لَهُ وَبُعُولُ
وَفِعْلاً وَهَذَا فِي الْأَنْامِ قَلِيلُ (٥)

(١) فِي ب : . . . وَمَا لِي عِلَّةٌ × .

(٢) فِي ب : . . . وَقَدْ رَاقَ وَاعْتَدَى × .

(٣) فِي م : . . . طَرَفَ رَحِيقِهِ × .

(٤) مَقْلُوبٌ لِيْن : نِيلُ .

(٥) الْأَسْمُ : هُوَ الثُّونُ = السَّمَكُ . وَالْحَرْفُ : الْيَاءُ السَّائِكَةُ . وَالْفِعْلُ : لَا مَ .

إِذَا أَنْتَ قَدْ صَحَفْتَهُ هَابَتِ الْعِدَى
[١٤] وَمِنْ عَكْسِهِ إِنْ زَالَ حَرْفٌ فَلَنْ يُرَى
فِيَا مَنْ زَكَّتْ مِنْهُ الْفُرُوعُ وَأَيَّعَتْ
وَيَا مَنْ لَهُ جَدُّ عَظِيمٌ وَنَائِلٌ
أَبْنٌ لِي مَا أَلْغَزْتُ فِيهِ فَإِنَّهُ
تَضَمَّنَ نَظْمِي ذِكْرَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُدْعَى سِوَاكَ لِحَلِّهِ
جَمَعْتَ بِحَارِ الشَّعْرِ ثُمَّ سَلَكَتَهَا
وَأَلْبَسَكَ الْعِزُّ الْمَمْنَعُ خُلَّةً
إِذَا غَابَ بَذْرُ التَّمِّ لَمْ تَبْغِ عَوْدَهُ
وَأِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ الْعَهْدَ تَوَاتَرَتْ
وَأِنْ فُلَّتِ الْبَيْضُ الصَّفَا حَمَيْتِنَا
وَأِنْ عَظُمَ الْخَطْبُ الْجَسِيمُ عَلَى الْوَرَى
وَأِنْ قُلْتَ لَمْ تَخْتَجِ إِلَى حُجَّةٍ وَهَلْ
صِفَاتُكَ تُمْلِنِي وَذِكْرُكَ مُسْعِفِي
وَإِذْ لَمْ أَقُمْ مِنْ فَرَضٍ مَدْحِكُمْ بِمَا
فَعُذْرًا فَإِنِّي عَاجِزٌ عَنْ حِسَابِهَا

حِمَاكَ وَقَالَتْ إِنَّهُ لَنَيْلٌ^(١)
لَدَيْهِ عَنِ الْمُسْتَقْبَلَاتِ نُصُولٌ^(٢)
وَطَابَتْ لَهُ فِي السَّالِفِينَ أُصُولُ
عَمِيمٌ وَمَجْدٌ شَامِخٌ وَأَثِيلُ
لَهُ مِنْكَ أَصْلٌ ثَابِتٌ وَأَصِيلُ^(٣)
صَرِيحاً لَهُ بَيْنَ الْعُيُونِ مَثُولُ
وَأَنْتَ زَعِيمٌ بِالْعُلُومِ كَفِيلُ^(٤)
فَأَنْتَ لَدَيْنَا صَاحِبٌ وَخَلِيلُ
لَهَا انْسَحَبَتْ فَوْقَ السَّحَابِ ذُبُولُ
فَإِنَّكَ مِنْهُ لِلْأَنَامِ بَدِيلُ
وَفَاضَتْ لَنَا مِنْ رَاحَتِكَ سُيُولُ
بِأَبْيَضٍ رَأْيٍ لَيْسَ فِيهِ فُلُولُ
وَمِلَتْ عَلَيْهِ عَادٌ وَهُوَ ضَبِيلُ
يُقَامُ عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ دَلِيلُ
وَقَلْبِي رَسِيلٌ وَالْغَرَامُ رَسُولُ^(٥)
يُوَازِي سَجَايَاكُمْ وَدَامَ نُكُولُ^(٦)
إِذَا هِيَ عُذْتُ وَالْفُرُوضُ تَعُولُ^(٧)

(١) تصحيف نيل : نيل .

(٢) عكسه : لين ، وإذا زال منه حرف : لن . وفي م : . . . فلن ترى × . . . فضول .

(٣) نيل : فيه حرفان من : خليل ، اسم الصفدي . وفي حاشية م : ط : وأصول .

(٤) في ب : . . . ندعو سواك لحله × .

(٥) في م : × ودمني . . .

(٦) في م : وإن لم . . . كما × .

(٧) سقط هذا البيت من ب . وفي أ : × . . . والفروض نقول ! . وتقول : تزداد .

سَادُّعُو لَكُمْ دَهْرِي بِإِخْلَاصٍ نَيَّةٍ يُقَارِنُهَا عِنْدَ الْإِلَهِ قَبُولُ
فَلَا زِلْتَ مَاوِي الْعِلْمِ مَا ذَرَّ شَارِقُ وَمَا عَادَ لِلْبَذْرِ الْمُتِيرِ أَفُولُ
مَقَامُكَ مَاهُوْلٌ وَظُلُوكُ وَارِفٌ وَفَضْلُكَ مَأْمُولٌ وَبَابُكَ سُورُ^(١)

يُقْبَلُ الْأَرْضَ الْعَالِيَةَ مَغْنًى وَمَغْنًى ، الدَّانِيَةَ إِخْسَاناً وَحُسْنًى ، الْجَامِعَةَ
لِشَوَارِدِ النَّعَمِ رَشَاداً وَيُمْناً ، الْمَانِعَةَ لِمَكَائِدِ النَّقَمِ فُرَادًى وَمَشْنًى ، الَّتِي ضَاعَ فِيهَا
نَشْرُ الْفَضَائِلِ وَفَاحٌ ، وَذَاعَ مِنْهَا بِشْرُ الْفَوَاضِلِ فَلَاخَ عَلَيْهَا الْفَلَاخُ : [من الكامل]

أَرْضٌ بِهَا فَلكُ الْمَعَالِي دَائِرٌ وَالشَّفْسُ تُشْرِقُ وَالبُودُورُ تُحُومُ
وَبِهَا مِنَ الزَّهْرِ الْمُتَضِدِ أَنْجُمٌ وَلَهَا عَلَى أَفْقِ السَّمَاءِ نُجُومٌ
وَالْيَدُ الَّتِي : [من الكامل]

هِيَ لِلنَّدَى مَمْدُودَةٌ مُنْشُورَةٌ وَعَلَى الرَّدَى مَزْدُودَةٌ مَقْصُورَةٌ
وَبِأَنْوَاءِ الدَّيَمِ وَآكِفَةٌ ، وَعَلَى إِشْدَاءِ النَّعَمِ عَاكِفَةٌ : [من الرافع]

يَدٌ دَرَّتْ وَرَدَّتْ كُلُّ بَاغٍ وَخَوَّلَتْ الْوَرَى كَرَمًا وَمَنَا
يُريكَ يَسَارَهَا أَوْقَى يَسَارٍ وَيَالِيُمْنَى تَنَالُ نَدًى وَيُمْنَا
وَالْكَفَّ الَّتِي عَمَّ جَوْدُ جُودِهَا النَّاسَ كَافَّةً ، وَتَمَّ فَضْلُهَا فَهِيَ بِالْخَيْرِ حَافَّةً
وَاللَّشْرُ كَافَّةً : [من الطويل]

إِلَيْهَا مَقَالِيدُ التَّقَالِيدِ تَنْتَهِي وَمِنْهَا مَنَاشِيرُ التَّبَاشِيرِ تَخْرُجُ^(٢)
وَشَابَهَتِ الْبَحْرَ الْخَضَمَ أَلَا تَرَى أَصَابِعَهَا فِيهَا التَّنْدَى يَتَمَوَّجُ
وَيُنْهَى دُعَاؤُهُ الَّذِي تُسَابِقُهُ الْإِنَابَةُ ، وَتُسَاقُفُهُ الْقَبُولُ وَالْإِجَابَةُ : [من الطويل]

(١) روايته في ب :

عطاؤك مأمول وظللك وافرٌ وفضلك مأمور وبابك سول

وفي أ : × . . . وبابك مسؤول ! .

(٢) في م : إليها مقاليد المقاليد . . . × .

فَإِنْ صَحَّ ظَنِّي وَاسْتَجِيبَ فَشَمَلْنَا سَيَجْمَعُهُ الرَّحْمَنُ فِي مَضَرٍ عَنْ قُزْبٍ
وَتَنَاءُ الَّذِي يَنْمُو عَلَى الْحَدَثَانِ ، وَيَسْمُو فَلَيْسَ لَهُ ثَانٍ وَلَا عَنْهُ ثَانٍ ، فَهُوَ :

[من مجزوء الكامل]

يُعْرَى مَحَاسِنِ وَصِفِكُمْ مُتَعَلِّقٌ مُتَمَسِّكُ
وَبِطْنِ رِيَّا ذِكْرِكُمْ مُتَعَطِّرٌ مُتَمَسِّكُ

وَوَلَاءُهُ الَّذِي : [من الطويل]

تَعَوَّدَ قَلْبِي اشْتِيَاقاً وَإِنَّمَا « لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا »^(١)
وَيَحْفَظُ لِلْوَصْلِ الْقَدِيمِ أَيَادِيَا « وَمَنْ لَكَ بِالْحَرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا »^(٢)

وَوُرُودُ^(٣) مُشْرِفُهُ الَّذِي [ب ١٤] شَرَحَ الصُّدُورَ ، وَمَنَحَ الْقَلْبَ الْفَرَجَ ، فَلَيْسَ
لَهُ عَنْهُ صُدُورٌ ، الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْإِحْسَانِ الَّذِي يَعْجُزُ عَنْ شُكْرِهِ لِسَانُ الْإِنْسَانِ ،
وَالْمُحْتَوِي مِنَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ ، عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ وَقَدِيمِ : [من الطويل]

تُقَصِّرُ عَنْ مَبْدَأِ غَايَةِ غَيْرِهِ « وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوُلُ »^(٤)
وَتَزْجِعُ أَيْدِي النَّاسِ دُونَ مَنَالِهِ وَأَيْنَ الثَّرِيَّا مِنْ يَدٍ تَتَنَاوَلُ
فَعَامَلَهَا الْمَمْلُوكُ بِالْإِعْظَامِ وَبَجَلَهَا ، وَقَابَلَهَا بِمَا يَجِبُ مِنَ الْإِكْرَامِ وَقَبَلَهَا :

(١) العجز للمتنبي ، من قوله : [ديوانه ٢٨١/١]

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

(٢) العجز للمتنبي ، من قوله : [ديوانه ٢٨٨]

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم وفي ب : ويحفظ للفضل ×

(٣) في أ : وورد . وفي م : ورد .

(٤) العجز لأبي العلاء المعري ، من قوله : [سقط الزند ٥٥٢/٢]

وإن كنت تبغي العيش فابغ توشطاً فعند التناهي يقصر المتطاول
وينظر الغيث المسجم ١١٩/١ - ١٢٠ .

[من مجزوء الكامل]

تَقْبِيلَ مُشْتَقٍ بَرَا هُ مِنْ التَّفَرُّقِ مَا بَرَا^(١)
عَبْدُ يَهِيْمُ إِذَا تَفَكُّ كَرَفِيكُم وَتَدَبَّرَا
طَابَتْ تَبَارِيحُ الْهَوَى خَبَرَا لَدَيْهِ وَمُخْبِرَا
وَيَشُوقُهُ مِنْ نَحْوِكُمْ عَزَفُ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى^(٢)
أَهْ عَلَى عَيْشٍ تَقْضُ ضَمِي فِي دِمَشَقٍ وَأَذْبَرَا
وَزَمَانِ أَنْبَسِ كَانَ ثَوُ بُلُّ اللَّهِ فِيهِ مُحَبَّرَا
أَزْتَاخٍ فِيهِ مَسَرَّةٌ وَأَشْمُ مِنْهُ الْعَنَبَرَا
وَأَلَى فَكُسْرِي بَعْدَهُ بِسَوَى اللَّقَالَنِ يُجْبَرَا

وَفَرَحَ الْمَمْلُوكُ بِصِحَّةِ مَوْلَانَا وَعَافِيَتِهِ ، وَتَشَرَّفَ بِمُرَاسَلَةِ مَوْلَانَا وَمُكَاتَبَتِهِ ،
وَابْتَهَجَ بِوُفُودِهَا عَلَيْهِ ، وَاسْتَغْطَمَ وَرُودَهَا إِلَيْهِ^(٣) : [من الطويل]

أَتَنِي فَأَتَنِي الَّذِي كُنْتُ طَالِبَا وَحَيْثُ فَاحِثٌ لِي مَنِي وَمَارِبَا^(٤)
وَقَدْ كُنْتُ عَبْدَاً لِلْكِتَابَةِ أَبْتَغِي فَرَقْتُ عَلَى رَقِي فَصِرْتُ مُكَاتِبَا

وَبَادَرَ الْمَمْلُوكُ إِلَى امْتِنَالِ الْإِشَارَةِ الْعَالِيَةِ ، وَلَمْ يُنْهَلْ مِمَّا رَسَمَ مَوْلَانَا شَيْئاً
بِالْجُمْلَةِ الْكَافِيَةِ ، وَقَدْ طَالَعَ عُلُومَ الْوَالِدِ - أَمْنَعَ اللَّهُ بِحَيَاتِهِ - بِمَا اتَّفَقَ ، وَأَعْلَمَهُ
بِمَا سَيُعْلَمُ بِهِ مَوْلَانَا وَيُزِيلُ عَنْهُ الْقَلْقَ ، وَاللَّهُ يُحَقِّقُ مَا تَعَلَّقْتُ بِهِ الْأَطْمَاعُ ،
وَيُقَدِّرُ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْاجْتِمَاعَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في أ : تفريق مشتاق . . . × وفي م : × من التشوق ما برا .

(٢) في س : × . . . إذا انبرى .

(٣) هما له في الذيل على العبر ٣٣٦/٢ وإنباء الغمر ٢٢/١ والمتقى من درة الأسلاك ٤١٤ وشفوات

الذهب ٣٨٨/٨ .

(٤) من ب : أتني فأتاني . . . × .

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك^(١) : [من الطويل]

أَزْهَرُ رِيَاضٍ جَادَهَا وَابِلُ الْحَيَا
فَأَصْبَحَ عَطْفُ الْغُضَنِ مِنْ مَرَحِ الصَّبَا
وفاءت على شاطي الجداولِ دَوْحَةً
وإنْ ذُرَّ فِي أَقْطَارِهَا مِسْكَةُ الدُّجَى
فَأَشْبَهَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ وَقَارَبَتْ
أَمَ الطُّرْسُ وَشَتَّه أَنَامِلُ فَاضِلِ
أَبِي حَامِدٍ رَبِّ الْمَحَامِدِ وَالْعُلَا
مَنْ الْخَزَوْجِينِ الَّذِينَ عَلَاهُمْ
يَشِيدُونَ مَجْدًا شَأْوُهُ غَيْرُ مُدْرِكِ
حَبَانِي بِهِاءِ الدِّينِ أَزْكَى نَحِيَّةِ
أَتَتْ تَهَادِي فِي حُلِيِّ بِلَاغَةِ
فَأَبْصَرْتُ مِنْهَا رَوْنَقَ الْأَدَبِ الَّذِي
وَحَقَّقَ لِي عِلْمِي بِأَنَّكَ وَاحِدٌ
تَقَرَّدَ فِيهَا حَارَهُ مِنْ فَضَائِلِ
مَبَاحِثُهُ فِي كُلِّ ظُلْمَةٍ مُشْكِلِ
يَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ قَوْلَهُمْ
« أَلَا يَا بِهِاءَ الدِّينِ إِنَّكَ سَيِّدُ
أَجَدَتْ نِظَامًا حِينَ أَغْرَبْتَ مَقْصِدًا
وطافت عليها لِلشَّمَالِ شَمُولُ
يَمِيدُ إِذَا هَبَّتْ صَبَاً وَيَمِيلُ
فَحَاكَتْ عِذَارَ الْخَدِّ وَهُوَ صَقِيلُ
أَسَالَ عَلَيْهَا الزَّعْفَرَانُ أَصِيلُ
بِأَنْجُمِ زَهْرٍ مَا لَهُنَّ أَفُولُ
تَقَرُّ لَهُ بِالْعَجَزِ عَنْهُ فُحُولُ
وَمَنْ لَا لَهُ فِيمَا يَرُومُ عَدِيلُ
غَدَا ظِلُّهَا فِي الْفَضْلِ وَهُوَ ظَلِيلُ
وطابت فروعُ مِنْهُمْ وَأُصُولُ
تَطِيبُ صَبَاً مِنْ نَشْرِهَا وَقَبُولُ
يَقُومُ الثَّنَافِي وَصَفِهَا وَيَقُولُ
يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ
« وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالِمٌ وَجْهُولُ »^(٢)
« وَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ »
« لَهَا غَرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ »
« وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ يَقُولُ »
« قَوْلُ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ »
وَلَطَفَتْ مَعْنَى حَيْثُ أَنْتَ جَلِيلُ

(١) منها اثنا عشر بيتاً في المتنقي من دُرَّةِ الْأَسْلَافِ ٤١٥ .

(٢) الأعجاز الخمسة الآتية من قصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، في ديوانه ٨٩ - ٩٠ .

وتنسب للشمول ، في ديوانه ١٠ - ١٢ .

وَأَلْغَزَتْ فِي جَارٍ كَثِيرٍ وَفَاؤُهُ
يَسِيرُ وَيَسْرِي مِثْلَمَا قُلْتَ دَائِمًا
تَجُرُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ فَاضِلٌ بُزْدَهَا
إِذَا أَعْجَبَ الْكُفَّارَ فَيَضُ نَوَالِهِ
عَدِيمُ الْوَفَا عِنْدَ الصِّفَا فَإِذَا بَدَا
تَرَاهُ بِلَا كَفٍّ وَكَمْ إِضْبَعُ لَهُ
وَأَخْرَهُ جَمْعٌ وَأَوْسَطُهُ نِدَاً
وإنْ قِيلَ : مَا هُوَ؟ قُلْتَ : مَا هُوَ حَقِيقَةٌ
أَخُو السَّرِّ كَمْ غَطَى مِنَ النَّاسِ عَوْرَةً
وَحُلُوْ خَفِيفٌ لِلْقُلُوبِ مُحَبَّبٌ
وَكُلُّ عَرُوضِي يَرَى أَنَّ بَخْرَهُ
ضَعِيفُ الْقَوَى مَا رَدَّ رَاحَةَ لَامِسِ
وَأَعْجَبُ مَا فِيهِ صَحِيحٌ لِعَايَةِ
تُرَاعُ يَرَاغُ الْأَرْضِ مِنْهُ إِذَا طَغَى
وَمَا يُنْصَرُّ السُّلْطَانُ إِلَّا بِكُشْرِهِ
قَطَعَتْ بِهِ لَيْلَ التَّمَامِ مُسَهَّدًا
فَأَوْضَحَ مَعْنَاهُ وَأَبْدَى غَمُوضَهُ
وَلَيْسَ يَدْعُ أَنْ يَرَى صِنُوكَ الْهُدَى
وَرَبَّتَمَا قَدْ رَاحَ وَهُوَ قَلِيلُ^(١)
[١٥] وَتَمَّ جِنَاسُ اللَّفْظِ حِينَ يَسِيلُ
فَيُضْبَحُ مِنْهُ الدَّنِيلُ وَهُوَ بَلِيلُ
فإِحْسَانُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَصُولُ
تَغْيِيرُهُ فَالْخَيْرُ مِنْهُ جَزِيلُ
تُعَدُّ أَيَادِيهَا وَذَاكَ يَطُولُ
وَأَوَّلُهُ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ يَزُولُ^(٢)
يَصُوبُ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى وَيَصُولُ^(٣)
وَجُرَّتْ عَلَيْهِ لِلْقَيْحِ ذُبُولُ^(٤)
وَأَمَّا سِوَاهُ بَارِدٌ وَتَقِيلُ
بَسِيطٌ مَدِيدٌ وَافِرٌ وَطَوِيلُ
صَبُورٌ لِأَثْقَالِ الْأَنَامِ حَمُولُ
فَيَا عَجَبًا وَالْقَلْبُ مِنْهُ عَلِيلُ^(٥)
وَيُؤْمِنُ لَمَّا أَنَّ يُخَافُ سَبِيلُ
وَذَاكَ مُرَادٌ لِلْأَنَامِ وَسُؤْلُ
وَلَمْ يَبْدُ لِي مِنْهُ عَلَيْهِ دَلِيلُ
أَخُوكَ جَمَالَ الدِّينِ دَامَ يُبِيلُ
وَفَكَّرُكُمَا فِي الْغَايَضَاتِ يَجُولُ

(١) غي س : - - - كبير وفأؤه × .

(٢) آخره لأم - بتسهيل الهمزة - : جمع . وأوسطه نداء : يا يا ، لاجتماع القوم . وأوله نون : سمك .

(٣) قوله : ما هو حقيقة : ما هو حقيقة .

(٤) في م : . . . علي الناس عورة × .

(٥) القلب منه عليل : أو وسطه حرف علة (نيل) .

فلا زِلْتَ مِثْلَ الْبَحْرِ يُبْدِي عَجَائِباً وَيُطْفَحُ مِنْ قِيَاضِ فَضْلِكَ نَيْلُ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ حَيْثُ سَحَابُ الْفَضَائِلِ تَجُودُ ، وَكَوَائِبُ الْبَدَائِعِ سَعُودُ ،
وَلِيَالِي الْمُخَالِفِ بَيْضُ وَأَيَّامُ الْمُخَالِفِ سُودُ ، وَمَعَانِي النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ لِلْفُصُولِ
فُصُوصٌ وَلِلْعُقُولِ عُقُودُ ، وَمَجَالِسُ الْجُودِ مِنْهَا لِحِبَاءِ الرَّاغِبِينَ فِيهَا مَجَالُ
سُجُودٍ : [من الخفيف]

فَهِيَ أَرْضٌ لَمَّا وَطِئْتَ عَلَيْهَا أَكْسَبَتْ عَنَبَرَ الْمَفَارِقِ طِينِياً
ويُثْبِتُ بَعْدَ وَلَاءٍ لَا يَزَالُ مِنْهُ بَيْنَ خَفَقِ أَلْوِيَةٍ وَبُنُودٍ ، وَدُعَاءِ لِيَصْدُقَ رَفْعُهُ إِذَا
حَضَرَ إِجَابَةُ مَشْهَدٍ فَالْمَلَائِكَةُ شُهُودُ ، وَثَنَاءُ يَنْبَلِّجُ وَيَتَأَرَّجُ بَيْنَ نُجُومِ نَرْجِسِ
وَشُمُوسِ وُرُودٍ : [من الخفيف]

فَتَرَاهُ فِي صَفْحَةِ الدَّهْرِ سَطِراً جَعَلْتَ نَقْطَهُ الْعُقُولُ قُلُوباً
وُرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، فَضَوْاً بِنُورِهِ الْوُجُودَ ، وَأَشْبَهَ طِرْسُهُ أَيَّامَ
الْوِصَالِ ، وَنَفْسُهُ لِيَالِي الصُّدُودِ ، وَحَكَى سَطْرُهُ الْجَدُولَ الْمُطَرِّدَ ، وَنَقَطَهُ
الْحَبَبَ الْمُتَضَدَّ ، وَهَمَزَتُهُ الطَّيْرَ الْغَرْدَ ، وَأَلْفَهُ الْغُصْنَ الْأُمْلُودَ : [من الخفيف]

فَبَكَتْ مُقْلَتِي سَحَاباً وَغَرَّ دَثَّ حَمَاماً ثُمَّ أَهْتَزَزْتُ قَضِييَا
وَرَأَيْتُ تِلْكَ الْجَنَّةَ الَّتِي أُرْلَفْتُ ، وَالرِّيَاضَ الَّتِي تَزَيَّنْتُ بِالْأَزْهَارِ
وَتَزَخَّرْتُ ، وَالْفَضَائِلَ الَّتِي فُرِّقْتُ فَضَائِلُهَا عَلَى الْمَحَاسِنِ الَّتِي تَأَلَّفْتُ ،
وَالْفَوَائِدَ الَّتِي رَسَبَتْ الْجَوَاهِرُ ثِقَالاً وَهَذِهِ لِلطُّفْهِهَا طَفْتُ ، فَلَوْ رَأَاهَا الْفَاضِلُ
لَنَقَصَ ، أَوْ ابْنُ الْأَثِيرِ لَاسْتَحَقَّهُ الطَّرْبُ وَرَقَصَ ، أَوْ ابْنُ النَّبِيهِ^(١) لَرَقَدَ طَرْفُهُ ، أَوْ

(١) ابن النيه : علي بن محمد بن الحسن ، كمال الدين ، الشاعر المصري المشهور ؛ توفي سنة ٦١٩ هـ . (فوات الوفيات ٦٦/٣) .

ابْنُ أَبِي الإِصْبَحِ^(١) لَا تَقْطَعْ عِنْدَهَا كَهْمُ ، أَوْ الْجَزَّارُ^(٢) لَعَدَّ نَفْسُهُ فِي الْأَنْعَامِ ، أَوْ
السَّرَاجُ^(٣) لَطْفَىءَ نُورُهُ وَمَشَى بِغَيْرِ هُدًى فِي الظَّلَامِ ، أَوْ ابْنُ النَّقِيبِ^(٤) لَشَقَّ
النَّاسَ عَصَا الطَّاعَةِ لَهُ فِي الْأَدَبِ ، أَوْ النَّصِيرُ الْحَمَامِيُّ^(٥) لَكَسَرَ قَسْطَلَّ نَضْرِهِ
وَحَمَدَ مَا عِنْدَهُ مِنَ اللَّهَبِ ؛ فَعَيْنُ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمِ السَّحَّارَةِ ، وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي
أَخْمَلْتُ مَا فِي الْأَحْدَاقِ [١٥ ب] مِنْ نَظَرَاتٍ وَمَا فِي الْحَدَائِقِ مِنْ نَضَارَةٍ ،
وَالْمَعَانِي الَّتِي مَا أَشْبَهَ الدِّيَاجِي مِدَادُهَا^(٦) إِلَّا وَهِيَ مِثْلُ الْكَوَائِبِ السَّيَّارَةِ ؛ لَقَدْ
نُفِثَ سِحْرُهَا مِنَ الْأَقْلَامِ فِي الْعُقَدِ ، وَشَدَّتْ كُلَّ لِسَانٍ يُحَاوِلُ الْجَوَابَ عَنْهَا
بِحَبْلِ مِنْ مَسَدٍ ، وَخَلَقَتْ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْعَصْرِ لَهَا الْحَسَدَ ، وَأَمْسَى كُلُّ سَطْرِ
فِي رَوْحَتِهَا مُسْتَهَيٍّ وَعَلَيْهَا مِنْ سَبَقِ مَوْلَانَا رَصْدٌ ؛ فَاحْسِنِ عِتَانَكَ فَمَا تَمَّ مَنْ
يُجَارِي ، وَأَخْبَأْ بَضَائِعَ إِنْشَائِكَ فَمَا تَصِلُ كَفُّ مُنَاوِيءٍ إِلَى هَذِهِ الدَّرَارِي ؛ فَإِنَّكَ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِ^(٧) : [من البسيط]

- (١) ابن أبي الإصبع : عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ، العداوني المصري ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٦٥٤ هـ . (الوفاء ٧/١٩) .
- (٢) الجزار : يحيى بن عبد العظيم ، أبو الحسين ، الأديب المصري ؛ توفي سنة ٦٧٩ هـ . (الفوات ٢٧٧/٤) .
- (٣) السراج الوراق : عمر بن محمد بن حسن ، الشاعر المصري المشهور ؛ توفي سنة ٦٩٥ هـ . (الفوات ١٤٠/٣) .
- (٤) ابن النقيب : الحسن بن شاور بن طرخان ، المعروف بالفقيسي ، أديب شاعر ؛ توفي سنة ٦٨٧ هـ . (الفوات ٣٢٤/١) .
- (٥) النصير الحمامي : النصير بن أحمد بن علي المناوي ، الأديب المصري ، توفي سنة ٧١٢ هـ . (الفوات ٢٠٥/٤) .
- (٦) في م : نفسها . وهما بمعنى .
- (٧) البيت للعنيدس الكلابي ، أو لابنه عبيد بن العنيدس ، في : الحماسة بشرح المرزوقي ١٥٩٥/٤ ويشرح الأعلام ٩٠٣/٢ وسمط اللآلي ٥٤٦/١ وكامل المبرد ١٠٦/١ وشرح العين ٤٢٣ ومعجم الشعراء ١٧٣ .

وهو لعقيل بن العنيدس في حماسة ابن الشجري ٣٥٩/١ . وبلا نسبة في تعبير الرُّؤيا ١١٢ .
- وفي هامش أ : يهدي . مقابل : يسري بها الساري .

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ الثُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
فَلَقَدْ تَقَسَّمَ ذَهْنُ الْمَمْلُوكِ فِي هَذَا اللَّغْزِ الْبَدِيعِ ، وَالنَّظْمِ الَّذِي سَلِمَ فِيهِ
خَاسِرٌ وَمُسْلِمٌ مِنْهُ صَرِيحٌ ، تَلَعَّبَ^(١) فِيهِ مَوْلَانَا بِأَنْوَاعِ عُلُومِهِ ، وَسَيَّرَ فِي لِيَالِي
سُطُورِهِ زَوَاهِرَ نَجُومِهِ ، فَمَا وَسَمَ الْمَمْلُوكُ فِيهِ غُفْلًا ، وَلَا فَتَحَ مِنْهُ قُفْلًا ، حَتَّى
أَبْرَزَهُ الْمَوْلَى الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ أَخُو مَوْلَانَا شَمْسًا تُسْفِرُ ، وَجَعَلَ آيَاتٍ مُعَمَّاهُ
وَعَوِيصُهُ خَالِيَةً تُصَفِّرُ ، فَالشُّكْرُ لَهُ بِحَقِّ وَاجِبٍ ، وَالثَّنَاءُ عَلَى إِفَادَتِهِ إِيَّانَا ضَرْبُهُ
لَا زَبٍ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَتَّخِذُ هَذِهِ الْحَالَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ نَضْبًا ، وَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ
كَعَيْشِ أَبِي الطَّيِّبِ لَمَّا قَطَعَهُ وَثِيًا ؛ وَاللَّهُ يَجْعَلُ كَوَاكِبَ الْمَحَامِدِ^(٢) لَهُ تَسِيرٌ فِي
الْآفَاقِ شَرْقًا وَغَرْبًا .

الْمَمْلُوكُ يُقَبِّلُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَخْدُومِ الْمُجَبِّي ، بَسَطَ اللَّهُ ظِلَالَهُ ، وَقَدْ
وَقَفَ عَلَى الْفَضْلِ الْمُخْتَصِّ بِهِ فِي كِتَابِ مَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَا أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ ،
فَأَنشَدَ : [من الكامل]

وَوَعَدْتَنِي يَا مَالِكِي بِزِيَارَةٍ فَبَقِيْتُ طُولَ اللَّيْلِ أَتْلُو ﴿ هَلْ أَتَى ﴾^(٣)
● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَهْنُهُ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَقَدْ رُسِمَ لَهُ أَنْ يَكُونَ مُفْتِي
دَارِ الْعَدْلِ الشَّرِيفِ بِالْأَبْوَابِ الْعَالِيَةِ ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةِ ٧٤٩ : [من

البيط]

عَجِبْتُ مِنْ دَارِ عَدْلٍ أَنْتَ مُفْتِيهَا وَكَوْنُهَا لَمْ تَطْرُ مِنْ عُجْبِهَا تَيْهَا
أَنْتِ تَطِيرُ فِيهَا مِنْكَ طَوْدُ حِجْجٍ عُلُومُهُ تَمَلَأُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

(١) في ب : نفث .

(٢) في أ ، المدائح . وفي هامشه : المحامد .

(٣) سورة الإنسان : ١ .

فَالآنَ قَدْ نَظَرَ الرَّأْيُ الشَّرِيفُ بِمَا فِيهِ السَّدَادُ وَأَعْطَى الْقَوْسَ بَارِيهَا
وَكَانَ دَسْتًا شَرِيفًا لَيْسَ يُغَوِّزُهُ إِلَّا جَوَاهِرُ فِي الْإِفْتَاءِ تُبْدِيهَا
تُهْنَأُ الدَّوْلَةُ الْغَرَاءُ مِنْكَ بِكَأ فِي فِي قُتُوتِهَا أَوْ فِي قَتَاوِيهَا
فَانْهَضَ بِعَزَمَتِكَ الْعُلْيَا إِلَى رُتَبِ أَوْجِ الثُّجُومِ حَضِيضٍ فِي مَرَاقِيهَا
وَدَغَ حَسُودَكَ فِي غَيْظِ فَرُبَّتَمَا كَانَتْ مَنَايَا الثُّفُوسِ فِي تَمَنِّيهَا^(١)
لَمْ يُذْنِكِ النَّاصِرُ السُّلْطَانُ مِنْهُ سُدَى وَلَمْ يَكُنْ أَمْرُكَ الْمَيْمُونُ تَمْوِيهَا
لَكِنْ مِنْهَا جَكَ الْوَضَاحُ مُشْتَهَرٌ فَمَا تُرِيدُ عَلَى عَلَيْكَ تَنْبِيهَا
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُهَيِّئُ نَفْسَهُ أَوْلَا يَهْدِيهِ الْوَظِيفَةُ السَّيِّئَةُ ، وَالْأَنَامُ ثَانِيًا ؛ فَإِنَّ
الْعُلَمَاءَ هُمْ أُولُو الْأَمْرِ الْمُطَاعِ فِي الْبَيْرَةِ ، وَمَوْلَانَا بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهُ ثَالِثًا^(٢) : [من
الكامل]

وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّنِي هَنَأْتُهُ وَأَنَا الْمُهْنَأُ فِيهِ بِالنَّعْمَاءِ
وَيُنْهِي مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الشُّرُورِ الَّذِي نَفَسَ عَنْهُ كُرْبَ الشُّوقِ ، وَالْفَرَحِ الَّذِي
أَبْهَجَهُ وَكَانَ الْبُعْدُ قَدْ جَرَّهَ إِلَى الْهَلَاكِ بِالطُّوقِ ، وَمَا يَظُنُّ الْمَمْلُوكُ ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ
مُقْلَعَةٌ تَنْتِجُ^(٣) أَمَانِي الثُّفُوسِ عَاجِلًا ، وَتُقَرُّ الْعُيُونُ بِرُؤْيَا مَوْلَانَا كَمَا نُجِبُّ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ لِقَدْهَا جَلَا ، « وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا »^(٤) ، [١١٦] « وَلَمَعَةُ الْبَرْقِ
يَأْتِي بَعْدَهَا الْمَطَرُ » ، « وَالْبَدْرُ أَوَّلُ مَا يَكُونُ هِلَالًا »^(٥) : [من البيط]

(١) في ب ، س ، م ، خ : كانت مَنَايَا ثَانِيًا .

(٢) البيت لأبي إسحاق الصائبي ، فِي بَيْتَةِ الدَّهْرِ ٢٨٣/٢ وَمَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ٣٧/١٢ .

(٣) في ب : تَهَيَّجَ .

(٤) من قول النابغة الجعدي : [ديوانه ٨٥]

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدُونَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

(٥) البيت للبحري ، فِي دِيْوَانِهِ ١٧١/١ .

وَرَوَاتِهِ فِي أ : وَأَزْرَقَ الْبَطْحَ ! . وفي ب : وَأَزْرَقَ الصَّحْبَ يَأْتِي × . . . ثم
يَنْهَمِلُ .

وَأَزْرَقُ الصُّبْحِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرُهُ ثُمَّ يَنْسَكِبُ
فَاللَّهُ يُوزِعُنَا - مَعَشَرَ الْأَوْلِيَاءِ - شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي لَا يُقَدِّرُهَا الْجَاهِلُ حَقَّ
قَدْرِهَا ، وَلَا يَتِمَكَّنُ الظَّرْفُ الْأَعْمَى مِنَ التَّمَلِّي بِسَنَا شَمْسِهَا ، وَلَا مِنْ اسْتِجْلَاءِ
وَجْهِ بَذْرِهَا ، وَقَدْ قَالَ الْمَمْلُوكُ : [من مجزوء الرمل]

حَاسِدَ الشُّبْكِيِّ بَغِيًّا بِتِّ فِي خَطْبٍ وَشِيكَ
أَنْتَ لِلشُّوْقَةِ تَفْتِي وَهُوَ يُفْتِي لِلْمَلِكِ
ولكنَّ هذه الوظيفة المباركة مَنَعَتْنَا التَّمَلِّي بِوَجْهِ مَوْلَانَا ، لَا أَخْلَى اللَّهُ مِنْ
إِحْسَانِهِ حَيْثُ كَانَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَرُورُ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيَرِيدُهَا
مَحَاسِنَ ، وَيَعْلَمُهَا مِنْ أَخْلَافِهِ اللَّطْفَ ، فَتَمْسِي وَنَسِيمُهَا مُتَأَرِّجٌ ، وَمَاوَاهَا غَيْرُ
أَسِينٍ ؛ وَلِلَّهِ الْقَائِلُ^(١) : [من الطويل]

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَنَا فِي نَفْسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِي مَنْ نُجِلُّ وَنُكْرِمُ
فَقُلْتُ لَهُ نِعْمَاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا وَدَغْ أَمَرْنَا إِنْ الْمُهِمَّ الْمُقَدَّمُ
وَاللَّهُ تَعَالَى يُكْمِلُ بِهِ الْمَسْرَةَ ، وَيُدِيمُ لَهُ الْمَبْرَةَ ، وَيَجْعَلُ عَلَى الْكَوَاعِبِ
مَقَرَّهُ ، وَإِلَى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ مَمَرَّهُ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من البسيط]

أَهْلًا بِهَا مِنْ عُقُودٍ ظَلَّ مُهْدِيهَا يُضْبِي الْعُقُولَ لِمَا أَبْدَى وَيَهْدِيهَا
وَمِنْ رِيَاضٍ بَكَّتْهَا الشُّجْبُ فَابْتَسَمَتْ مِنْهَا الْأَزَاهِرُ وَازْدَانَتْ مَغَانِيهَا
وَمِنْ كُؤُوسٍ مُدَامَ قَدْ زَحْفَنَ عَلَى جَيْشِ الْهَمُومِ يَلُطْفُ فِي مَعَانِيهَا^(٢)

(١) البيتان لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، في : أدب الكتاب ٢٣٤ والتذكرة الحمدونية ١٥٧/٤ ووفيات
الأعيان ٤١٨/٢ و ١٢١/٣ .

(٢) في أ ، س : قد زحفت على × .

لَهُ أَيْبَاتُكَ الْغُرَّ الْحِسَانُ لَكُمْ أَبَدَتْ بَدِيعَ الْقُوَى فِيهَا قَوَافِيهَا
يَكَاذُ بَذْرُ الدُّجَى لَوْلَا تَكَلُّفُهُ إِذَا بَدَا نُورُهَا الْوَضَاحُ يَخْكِيهَا
حَلَّتْ فَحَلَّتْ غُرَى الْأَحْزَانِ عَنْ خَلْدِي كَأَنَّمَا السَّحَرُ حَشَوُ فِي حَوَاشِيهَا^(١)
لَا عَيْبَ فِيهَا سِوَى إِتْعَابِهَا لِأَخِي جَهْلُ يَرُومُ لَهَا فِي الْحُسْنِ تَشْبِيهَا
وَأَنَّهَا أَنْقَلَتْ ظَهْرِي بِأَنْعُمِهَا وَقَصَّرَتْ يَدَ شُكْرِي عَنْ أَيَادِيهَا

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَدَامَ عَلَيْهِ النِّعَمَ وَوَالَى ،
فَقَبَّلَهُ الْمَمْلُوكُ ، وَقَابَلَهُ مِنَ الْإِجْلَالِ بِأَحْسَنِ الشُّلُوكِ ، وَاجْتَلَى مِنْهُ أَجْمَلَ
عَرُوسٍ ، وَاجْتَنَى ثَمَرَ الْأَدَابِ مِنْ تِلْكَ الْغُرُوسِ ، وَاجْتَلَى مِنْ كَلِمِهِ كُلِّ
مَا تَهَوَّى النَّفْسُ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ صَادَفَ مِنَ الْمَمْلُوكِ قَلْبًا يَتَقَلَّبُ عَلَى الْجَوَى ،
وَيَتَطَلَّبُ سَبِيلًا إِلَى الْفِرَارِ مِنَ النَّوَى ، وَيَتَصَلَّبُ عَلَى الْحُبِّ كُلَّمَا انْتَشَوَى ،
وَيَتَغَلَّبُ عَلَيْهِ دَاعِي الْهَوَى ، فَانْسَ مِنْ جَانِبِهِ نَارَ الْمُؤَانَسَةِ ، وَلَا يَسَ مِنْهُ مَا جَانِبَ
بِهِ وَسَاوَسَهُ ، وَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَافِيَةِ مَوْلَانَا الَّتِي هِيَ غُرَّةٌ فِي جَنْبَةِ الزَّمَانِ ،
وَقُرَّةٌ لِعُيُونِ الْأَعْيَانِ ؛ وَانْتَهَى إِلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنَ التَّهْنِئَةِ بِمَا هُوَ مَعْدُودٌ مِنْ
إِحْسَانِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَهُ عَلَى يَدِهِ وَلِسَانِهِ ؛ وَدُعَاءُ الْمَمْلُوكِ لِمَوْلَانَا لِهَذَا
مُتَضَاعِفٌ ، وَتَنَاوُهُ مُتَرَادِفٌ ، وَوَلَاؤُهُ عَلَى الْوَلَاءِ جَارٍ وَعَلَى الْبَابِ الْكَرِيمِ
وَاقِفٌ ، وَكَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُعَجَّلَ بِالْمُطَالَعَةِ ، وَيُقَابَلَ هَذِهِ الصَّدَقَةُ مِنَ الشُّكْرِ
بِأَشَدِّ الْمُسَارَعَةِ ، وَإِنَّمَا عَاقَتُهُ الْعَوَائِقُ ، وَشَغَلُهُ مَا شَغَلَ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ ، وَهُوَ
أَمْرُ هَذَا الْوَبَا ، وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ مِنَ النَّبَا ، فَإِنَّهُ قَدْ عَمَّ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وَغَمَّ
النُّفُوسَ وَأَذَابَ الْأَكْبَادَ ؛ وَقَدْ مِضَرَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ ، ١٦٦ هـ [فَقَدْ أَهْلُهَا
الْقَرَارَ وَالسَّنَةَ ، وَقَدِمَ بِعَسَاكِرِ الْمَنَايَا ، وَأَلْقَى الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْبَرَايَا ، وَأَبْقَى
فِي صُدُورِهِمُ الْبَلَايَا ؛ وَشَهَرَ لِكُلِّ أَحَدٍ نَصَابَهُ ، وَنَزَلَ بِبَابِ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ

(١) في س : × كَأَنَّمَا السَّحَرُ حَشَرُ . . .

عِصَابَةٍ ، فَالنَّاسُ بَيْنَ مَيِّتٍ وَمَائِتٍ ، وَمُتَوَقِّعٍ لِلْفَوَاتِ وَفَائِتٍ ؛ وَأَصْبَحَ كُلُّ جَبَّارٍ مِنْهُ وَهُوَ خَائِفٌ ، وَيَظُنُّ أَنَّ الْمَوْتَ عَلَى بَابِهِ وَاقِفٌ ، وَمَاتَ كُلُّ حَيٍّ بِالْقُوَّةِ ، وَجَهَّزَ أَهْبَ الْمَوْتَ نَحْوَهُ ، إِنَّ دَخَلَ بَيْتًا كَانَ آخِرَ أَهْلِهِ خُرُوجًا ، وَإِنْ عَدَلَ إِلَى فِنَاءٍ أَجَجَ نَارَ الْفَنَاءِ تَأْجِيجًا ، فَقَصُرَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَمَالُ ، وَكَثُرَتِ الْأَعْمَالُ ، وَعَظُمَ التَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ وَالصَّبِيحُ ، وَعَمِلَ النَّاسُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) : « إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ » .

غَيْرَ أَنَّ لَهُ خَلَائِقَ مَحْمُودَةً ، وَغَرَائِبَ لَيْسَتْ فِي سِوَاهُ مَوْجُودَةً ؛ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ الشَّخْصِ وَأَقَارِبِهِ ، وَلَا يُورِّقُ جَفْنَ الْمَوْجُوعِ عَلَى ذَاهِبِهِ ، بَلْ إِنْ أَخَذَ وَاحِدًا أَتْبَعَهُ بِجَمِيعِ أَهْلِهِ ، وَجَمَعَ شِمْلَهُ فِي الْفَنَاءِ بِإِعْدَامِ ذَلِكَ النَّسَبِ مِنْ أَصْلِهِ ؛ لَا تَطُولُ مَعَهُ الْأَمْرَاضُ ، وَلَا تَكْثُرُ عَلَى الْجَسَدِ فِيهِ الْأَعْرَاضُ ، وَقَدْ طَالَتْ مُدَّتُهُ عَلَى الْأُمَّةِ ، وَقَوِيَتْ شِدَّتُهُ عَلَيْهِمُ وَالْغَمَّةُ ؛ وَاشْتَرَكَتْ فِي مُصَابِيهِ الْخَلَائِقُ وَالْبُلْدَانُ ، وَعَمَّتِ الْأَشْجَانُ وَالْأَخْرَانُ .

وهذا أَمْرٌ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الْوُجُودِ ، وَلَمْ يَقَعْ نَظِيرُهُ فِي أَغْصَارِ الْجُدُودِ ؛ وَأَيُّ طَاعُونٍ دَخَلَ الْأَرْضِينَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَوَصَلَ إِلَى الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ؟ وَطَاعُونُ الْجَارِفِ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ، وَطَاعُونُ عِمَاسٍ كَالْقَطَرَةِ مِنْهُ فِي الْقِيَاسِ ، وَطَاعُونُ الْأَشْرَافِ خَاصُّ بَعْضِ الْأَصْنَافِ ، وَطَاعُونُ الْفَتَيَاتِ ، لِعَبْرِ الْأَبْكَارِ لَمْ يُوَاتِ ^(٢) ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي التَّضَرُّعِ (إِلَى اللَّهِ) فِي اِرْتِفَاعِ هَذِهِ النَّازِلَةِ ، وَانْقِطَاعِ هَذِهِ النُّقْمَةِ بِنِعْمَةٍ عَاجِلَةٍ .

وَأَمَّا عَدَمُ سَفَرِ الْمَمْلُوكِ إِلَى دِمَشْقَ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، فَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَلَامِ ^(١) : [مِن الْبَسِيطِ]

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَعْجِرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ وَمِمَّا سَنَحَ لِلْمَمْلُوكِ عِنْدَ وَصُولِهِ إِلَى هَاهُنَا : [مِن الْوَافِرِ]

أَجْبُوكَ لَا لِأَمْرِ دُنْيَوِيٍّ يُسَاعِدُنِي عَلَى طُرُقِ النَّجَاحِ وَلَكِنْ كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَدِينٍ وَجَدْنَاهُ يَمِيلُ إِلَى الصَّلَاحِ وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ التَّشْرِيفَ بِالْمَرَامِسِ وَالْخِدْمَ ، وَمَا تَجَدَّدَ مِنَ النَّظْمِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ .

أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الْمِعْمَارُ لِنَفْسِهِ ^(٢) : [مِن السَّرِيعِ]

يَا مَنْ تَمَنَّى الْمَوْتَ قُمْ وَاعْتَنِمْ هَذَا أَوَّانَ الْمَوْتِ مَا فَاتَا قَدْ رَخَّصَ الْمَوْتَ عَلَى أَهْلِهِ وَمَاتَ مَنْ لَا عُمرَ مَاتَا وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْمَعُ الشَّمْلَ بِمَوْلَانَا عَلَى أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ ، وَيُبْلَغُهَا نِهَآيَةَ الْأَمَالِ ، وَالْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَوَالِي وَيُجْلِلُهُمْ عَنِ التَّلَفُّظِ ^(٣) ، وَيَحْفَظُ لِسَانَهُ عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ التَّحْفَظِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يُكْثِرُ مِنْ تِلَاوَةِ سُورَةِ التَّمْلِ ، وَيَكْفِي ذَلِكَ فِي الْعِلْمِ بِهِمْ ، جَمَعَ اللَّهُ بِهِمُ الشَّمْلَ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [مِن الْكَامِلِ]

وَافَى الْمَشْرِفُ وَالْمُسْتَنْفُ مَسْمَعِي فَارْدَادَ فِيهِ تَوَلَّهِي وَتَوَلَّعِي ^(٤)

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢٣٦/٤ .

(٢) هما له في تعريف ذوي العلا ٦٢ والدرر الكامنة ٤٩/١ .

(٣) في س : بين يدي مَنْ يُجْلِلُهُمْ عَنِ التَّلَفُّظِ

(٤) في ب : × تَرْثِي وَتَوْجَعِي .

(١) موقوف ، من قول ابن عمر ، في الجامع الكبير للترمذي ١٥٩/٤ رقم ٢٣٣٣ .

(٢) انظر ذكر الطواعين وأوقاتها في : المعارف ٦٠١ والتعاوي للمدائني ١١٨ والتعاوي للمبرد ٢٠٩ والنجوم الزاهرة ١٤٠/١ و١٨٣ .

فَعَجِبْتُ مِنْ شُغْلِي بِبُعْدِكَ وَالتَّوَلَّى
وَافِي وَلَيْلُ الْهَمِّ قَدْ مَلَأَ الْمَلَا
فَتَفَى الْقَدَى عَنْ نَاطِرِي وَشَفَى الْأَدَى
إِنِّي بِهِاءِ الدَّيْنِ إِلَيْهِ إِنَّ لِي
وَكَذَاكَ لِي نَفْسٌ مَتَى تَزِنَ لِحَظِ
أَلْفَاظِكَ الْغُرِّ الَّتِي قَدْ زَيَّنَتْ
لَمَّا عَلَوَتْ ذُرَى الْبَلَاغَةِ فِي الْوَرَى

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي (٣) تُشْرِقُ أَقْمَارُ
مَعَانِيهِ ، وَتَزْهَرُ نُجُومُ لَفْظِهِ الَّتِي طَلَعَتْ مِنَ الْمِدَادِ فِي ظِلِّ دِيَاغِيهِ ، فَبُهِتَ لِذَلِكَ
الْحُسْنِ ، وَعَلِمَ كَيْفَ تَفَخَّرُ (٤) الْقَالَةُ الْلسُنُ ؛ وَقَالَ (٥) : [من البسيط]

هَذَا قَرِيضٌ عَنِ الْأَمْثَلِكِ مُحْتَجِبٌ فَلَا تُذِلُّهُ بِإِكْنَارٍ عَلَى الشُّوقِ
فَاللَّهُ يُمْنِعُ الْوُجُودَ بِكَمَالِ مَوْلَانَا ، الَّذِي لَا تَزَالُ تَدُورُ عَلَيْهِ الْبُدُورُ ، وَتُضْمُّ
عَلَى مَا يَصْدُرُ مِنْ سَطَوَرِهِ الْجَوَانِحُ فِي الصُّدُورِ ، وَلَكِنَّهُ وَرَدَ وَالنَّاسُ فِي وَرْدِ
الْمَيِّتَةِ ، وَكُلُّ نَفْسٍ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَمَّا (٦) حَلَّ بِهَا مِنْ شِدَّةِ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، قَوْلٌ مَنْ تَحَقَّقَ الطَّعَنُ دُونَ الْإِقَامَةِ ، وَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ وَتَعَوَّذَ
مِنْ شَرِّ النَّفْسِ الْوَلَوَامَةِ ؛ مَا نَقَابِلُ أَمْرَ اللَّهِ إِلَّا بِالرَّضَى ، وَلَا نَسْخَطُ لِمَا حَكَمَ بِهِ

من هذا الفناء وقضى .

يَا مَوْلَانَا ، أَوَّلُ مَا دَخَلَ هَذَا الطَّاعُونَ إِلَى الشَّامِ مِنْ غَرَّةَ ، وَأَدْخَلَ إَصْبَعَ
كُلِّ أَحَدٍ مِنْ رَزِيَّتِهِ تَحْتَ رِزَّةٍ (١) ، وَفَعَلَ فِيهَا وَفِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ مَا فَعَلَ ، وَرَمَى
فَلَمْ يُخْطِ الْمُقَاتِلَ ، كَأَنَّمَا هُوَ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ ، وَمَا قَطَّ عَنْهَا حَتَّى وَثَبَ إِلَى
قَطِيَا ، وَبَاتَ يَبْرِي سِهَامَهُ بِبَيْرُوتَ بَرْيَا ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من البسيط]

قَدْ قُلْتُ لِلطَّاعُونَ وَهُوَ بَغَزَّةَ قَدْ جَالَ مِنْ قَطِيَا إِلَى بَيْرُوتِ (٢)
أَخْلَيْتَ أَرْضَ الشَّامِ مِنْ سُكَّانِهَا وَحَكَمْتَ يَا طَاعُونَ بِالطَّاعُوتِ
وَقَالَ الْمَمْلُوكُ أَيْضًا ، وَأَرَادَ ضَبْطَ تَارِيخِهِ بِحُرُوفِ الْجُمْلِ : [من البسيط]

يَا عَامَ « طَامِيمَ ذَالِ » فِيكَ أَيُّ عَنَا قَاسَى الْأَنَامُ رَدَاهُ مِنْ فِلَسْطِينِ (٣)
كَمْ قَدْ رَأَيْنَا فِنَاءَ فِيهِ نَهْرُ فَنَّا تَدُورُ مِنْهُ طَوَاحِينُ الطَّوَاعِينِ
وَلَمَّا دَخَلَ إِلَى صَفَدَ ، أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ (٤) ، فَمَا تَرَكَ بِهَا
أَحَدًا مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَعَارِفِ ، حَتَّى اجْتَحَفَهُ سَيْلُهُ الْجَارِفُ ، فَكَمْ مِنْ صَاحِبٍ
جَاءَنَا عَنْهُ نَاعِيهِ ، وَدَعَاهُ إِلَى الْبَلَى دَاعِيهِ ؛ وَقَالَ الْمَمْلُوكُ (٥) : [من المنسرح]

لَمَّا افْتَرَسَتْ صِحَابِي يَا عَامَ تَسْبَعُ أَرْبَعِينَ
مَا كُنْتُ وَاللَّهِ تَسْبَعًا بَلْ كُنْتُ سَبْعًا يَتَيْنَا
ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَلَقَ إِلَى جَلَقٍ وَانْقَضَ ، وَدَخَلَهَا فَانْتَرَعَ عَقْدَ حَيَاةِ أَهْلِهَا

(١) الرِّزَّةُ : حديدٌ يدخل فيها القفل . (القاموس) .

(٢) قَطِيَا : قرية في طريق مصر ، في وسط الرمل ، قرب القَرَمَا . (معجم البلدان ٤ / ٣٧٨) .

(٣) قوله : يَا عَامَ طَامِيمَ ذَالِ الطاء بحروف الجُمْلِ = ٩ . والميم = ٤٠ . والنال = ٧٠٠
فالمجموع = ٧٤٩ سنة الطاعون المذكور .

(٤) من قول النابغة الذبياني : [ديوانه ٥]

أَضَحَّتْ قَفَارًا وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

(٥) البيتان مما قالهما المؤلف في رثاء ابن الرِّشَامِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيِّ ، كما في أعيان العصر ٣ / ٥٢٠ .

(١) في ب : . . . ونفى الأدى × .

(٢) العجز ، صدر بيت لابن سينا ، تمامه : [الوافي بالوفيات ١٢ / ٤٠٧ ووفيات الأعيان ٢ / ١٦٠]

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلُّل وتمنُّع
(٣) الذي : ساقطة من س .

(٤) في ب : تعجز .

(٥) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ٢ / ٦٧٧ .

(٦) في م : مما حصل بها من هذه البليَّة .

وَأَزْفَصَ ، وَكَانَ يَقْتُلُ بِالرَّائِحَةِ ، فَمَا دَخَلَ دَاراً إِلَّا تَحَقَّقَ كُلُّ مَنْ فِيهَا أَنَّ رُوحَهُ رَائِحَةٌ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من السريع]

دَارَتْ مِنَ الطَّاعُونَ كَأْسُ الْفَنَاءِ فَالْتَفَسُ مِنْ سَكْرَتِهِ طَافِحَةٌ
قَدْ خَالَفَ الشَّرْعَ وَأَحْكَامَهُ لِأَنَّهُ يُبْثُّ بِالرَّائِحَةِ
ثُمَّ إِنَّهُ قَتَلَ بِذَلِكَ جَمْعاً لَا يَعْلَمُ جُمْلَةً عِدَّتِهِمْ ، إِلَّا الَّذِي قَدَّرَ بِهِ نِهَايَةَ
مُدَّتِهِمْ ، وَظَهَرَ بَنُوعٌ آخَرٌ مِنَ الْفَنَاءِ ، مُبَالِغَةٌ فِي الْحِرْصِ وَالْإِعْتِنَاءِ ، فَكَانَ يَقْتُلُ
بِظُهُورِ حَبَّةٍ ، يَعْزُّ نَعْتَهَا عَلَى مَنْ وَصَفَ أَوْ شَبَّهَ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الكامل]

أَسْفَى عَلَى أَكْنَافِ جِلْقٍ إِذْ غَدَا الطَّاعُونَ فِيهَا ذَا زِنَادٍ وَارِي
[١٧] الْمَوْتُ أَرْخَصَ مَا يَكُونُ بِحَبَّةٍ وَالظُّلْمُ زَادَ قَصَارَ بِالْقَنْطَارِ
وَقَالَ الْمَمْلُوكُ أَيْضاً : [من الخفيف]

أَيَقْظَنَّا يَدَ الْغَلَاءِ مِرَاراً لِنُرَاعِيَ التَّقَى فَلَمْ نَتَّكِبْ
وَعَدَا الظُّلْمُ بِالْقَنَاطِيرِ فِينَا فَلِهَذَا الطَّاعُونَ صَارَ بِحَبَّةٍ
وَزَادَ أَمْرُهُ وَأَغْرَبَ ، فَكَمْ مِنْ خِلٍّ كَانَ فَقَدَ خِلَّهُ كَلَمَحَ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ،
وَحَلَّتْ عِدَّةُ مَسَاكِينَ مِنْ سُكَّانِهَا ، وَأَفْرَطَ الْأَمْرُ حَتَّى كَادَتْ دِمَشْقُ تَخْلُو مِنْ أَرْبَعَةٍ
أَزْكَانِهَا ، وَعَمَّتِ الْوَحْشَةُ ، وَمَحَى الْأَنْسُ مِنْ كُلِّ دَارٍ نَقْشُهُ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ :
[من الكامل]

أَمَّا دِمَشْقُ فِينِهَا قَدْ أَوْحَشَتْ مِنْ بَعْدِ مَا شَهِدَ الْبَرِّيَّةُ أَنْسَهَا
تَاهَتْ بِعُجْبٍ زَائِدٍ حَتَّى لَقَدْ ضَرَبَتْ بِطَاعُونٍَ عَظِيمٍ نَفْسَهَا^(١)
وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً يَجُولُ يَمِيناً وَشِمَالاً ، وَيَجُوبُ الدَّارَ^(٢) بِالْخَرَابِ

(١) في م : × . . . بطاعون كثير . . . !

(٢) في م : الدَّيَار .

جُنُوباً وَشِمَالاً ، فَظَهَرَ فَتْكُهُ بَيِّنَةٌ تَطْلُعُ خَلْفَ أُذُنِ الْإِنْسَانِ ، فَتَجُرُّهُ إِلَى مَضْرَعِهِ
بِمَقَاوِدَ وَأَرْسَانٍ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الطويل]

تَعَجَّبْتُ مِنْ طَاعُونٍ جَلَّقَ إِذْ غَدَا وَمَا فَاتَتْ الْآذَانَ وَقَعَةً طَغَنِيهِ
فَكَمْ مُؤْمِنٍ تَلْقَاهُ أَدْعَنَ طَائِعاً عَلَى أَنَّهُ قَدْ مَاتَ مِنْ خَلْفِ أُذُنِهِ
وَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ جِيناً ، لَا يُهْمِلُ كِنَاساً وَلَا يَنْسَى عَرِيناً ، حَتَّى جَاءَ بِكُبَّةٍ
تَخْرُجُ تَحْتَ الْإِبْطِ كَأَنَّهَا عُمْلَةُ السَّارِقِ ، أَوِ الْغَرِيمِ التَّكْدِ الَّذِي لَا يُفَارِقُ غَرِيمَهُ
أَوْ يُفَارِقُ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الوافر]

رَعَى الرَّحْمَنُ دَهْرًا قَدْ تَوَلَّى يُجَازِي بِالسَّلَامَةِ كُلَّ شَرِطٍ
وَكَانَ النَّاسُ فِي عَقَلَاتٍ أَمْنٍ فَجَا طَاعُونُهُمْ مِنْ تَحْتِ إِبْطِ
وَجَرَى عَلَى هَذَا النَّمَطِ مُدَّةً ، وَقَاسَى النَّاسُ مِنْهُ أَهْوَالاً وَشِدَّةً ، ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ
بِخِيَارَةٍ تَطْلُعُ فِي الْأَرْبِيَّةِ مَا كَانَ لِلنَّاسِ مَعَهَا الْخِيَرَةُ ، وَلَا نَجَاهُ التَّسْلِيمِ
وَالْإِنْقِيَادُ ، وَلَا التَّشَاؤُمُ وَالطَّيْرَةُ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الخفيف]

ثَلَّ هَذَا الطَّاعُونُ عَرْشَ دِمَشْقٍ بِقَضَاءٍ مِنْ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ
فَلَكَمْ مَاتَ بِالْخِيَارَةِ شَخْصٌ كَانَ يَبْدُو كَأَنَّهُ رِيحَانُهُ
وَاسْتَضَحَبَ الْحَالُ فِي ذَلِكَ زَمَاناً ، وَلَمْ يَجِدِ الْأَنَامُ مِنْهُ أَمَاناً ، ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ
بِالطَّائِمَةِ الْكُبْرَى ، وَالْمُصِيبَةِ الَّتِي جَعَلَتْ كُلَّ عَيْنٍ مِنْهَا عَبْرِيً ، فَمَنْ بَصَقَ دَمًا
مَاتَ ، وَحَلَّتْ بِهِ الْآفَاتُ وَفَاتَ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الكامل]

يَا رَحْمَتَا لِدِمَشْقٍ مِنْ طَاعُونِهَا فَالْكُلُّ مُغْتَبَقٌ بِهِ أَوْ مُضْطَبِّحٌ
كَمْ هَالِكٌ نَفَسَ الدِّمَاءِ مِنْ حَلْقِهِ أَوْ مَا تَرَاهُ بِغَيْرِ سَكِينٍ ذُبْحٌ
وَقَالَ أَيْضاً : [من السريع]

مُصِيبَةُ الطَّاعُونِ قَدْ أَصْبَحَتْ لَمْ يَخُلْ مِنْهَا فِي الْوَرَى بُقْعَةٌ

تَدْخُلُ فِي الْمَنْزِلِ لَوْ أَنَّهُ
وَقَالَ أَيْضاً : [من الكامل]

أَمَنْتُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مُقَدِّرِ الطَّ
كَمْ مَعْشَرَ فَقِدُوا بِهِ فِي جُمُعَةٍ
وَقَالَ أَيْضاً : [من الخفيف]

لَا تَبْقَى بِالْحَيَاةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ
فَكَأَنَّ الْقُبُورَ شُعْلَةً شَمْعٍ
وَقَالَ أَيْضاً : [من السريع]

قَدْ نَعَصَ الطَّاعُونَ عَيْشَ الْوَرَى وَأَهْلَكَ الْوَالِدَ وَالْوَالِدَةَ
كَمْ مَنْزِلٍ كَالشَّمْعِ سُكَّانُهُ أَطْفَالُهُمْ فِي نَفْكَةٍ وَاحِدَةٍ
وَمِنْ عَجَائِبِهَا الَّتِي لَا تُحْصَى ، أَنَّ الْوَصِيَّ يَمُوتُ قَبْلَ مَنْ أَوْصَى^(١) ، وَلَيْسَ
لِإِحْدٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ حِيلَةٌ ، وَلَا لَهُ إِلَى مَنْ قَدَرُهُ غَيْرُ التَّسْلِيمِ وَسِيلَةٌ .

● وَمِنْ أَعْجَبِ مَا وَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَيْهِ مِنَ التَّوَارِيخِ الْمَاضِيَةِ ، [١٨] عَلَى
الْبَرِّيَّةِ الْخَالِيَةِ ، وَهُوَ أَنَّ سِبْطَ [ابن] الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ، قَالَ فِي
« مِرَآةِ الزَّمَانِ » فِي سَنَةِ ٤٤٩ هـ^(٢) :

وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ : وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ بُخَارَى^(٣) ، أَنَّهُ وَقَعَ عَنْدهُمْ وَبَاءٌ
عَظِيمٌ ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ أَلْفَ جِنَازَةٍ ،

(١) فِي س : × أَتَرَاهُمْ تَخْلُقُوا مِنَ الْأَشْرَاسِ .

(٢) فِي أ : قَبْلَ أَنْ أَوْصَى . وَفِي م : قَبْلَ الْمَوْصِي .

(٣) سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ يَنْقُلُ عَنْ تَارِيخِ جَدِّهِ ، الْمُنْتَظَمِ ١٧/١٦ . وَانْظُرْ مَا رَوَاهُ ابْنُ تَغْرِي بِرْدِي فِي
النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ١٩٥/١٠ وَمَا بَعْدَ .

(٤) فِي الْمُنْتَظَمِ : مِنْ تَجَارَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ .

وَحُصِرَ مَنْ مَاتَ فَكَانُوا أَلْفَ أَلْفٍ وَسِتِّمِئَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا إِلَى تَارِيخِ
الْكِتَابِ ، وَخَلَّتِ الْأَسْوَاقُ ، وَأُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ ، وَتَعَدَّى الْوَبَاءُ إِلَى أَذْرَبَيْجَانِ ،
ثُمَّ إِلَى الْأَهْوَازِ وَالْبَصْرَةِ وَوَاسِطِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ .

وَكَانَتْ تُخَفَّرُ زُبَيْةٌ^(١) وَيُلْقَى فِيهَا عَشْرُونَ وَثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ ، وَسَبَبُهُ قَلَّةُ
الْقُوَّةِ وَالْجُوعُ ؛ وَمَنْ مَاتَ قَرِيبًا مِنْ دِجْلَةٍ سَحَبُوا بِرَجْلِهِ وَالْقُوَّةُ فِيهَا ؛ وَكَانَ
الصَّغَارُ يَنْبِشُونَ الْمَوْتَى وَيَشْوَوْنَهُمْ وَيَأْكُلُونَهُمْ .

وَكَانَ لِلْإِنْسَانِ أَرْضٌ يُسَأَلُ فِي بَيْعِهَا بِعَشْرَةِ دَنَانِيرٍ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَبَاعَهَا بِخَمْسَةِ
أَرْطَالٍ خُبْزٍ ، فَأَكَلَهَا وَمَاتَ مِنْ وَقْتِهِ .

وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ نُسخَةُ كِتَابٍ ، كُتِبَ مِنْ سَمَرْقَنْدَ إِلَى بَلْخِ ، أَنَّهُ يُذْفَنُ فِي
كُلِّ يَوْمٍ مِنْ صَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ خَمْسَةُ أَلْفٍ وَسِتَّةَ أَلْفٍ وَأَكْثَرُ .

وَاشْتَغَلَ النَّاسُ بِذَفْنِ مَوْتَاهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَكُلُّ دَارٍ يَدْخُلُهَا الْمَوْتُ يَأْتِي
عَلَى الْجَمِيعِ ، وَكَانَ الْمَرِيضُ يَنْشَقُّ قَلْبُهُ عَنْ دَمِ الْمُهِجَةِ ، فَيَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ قَطْرَةٌ
فَيَمُوتُ ، أَوْ دُودَةٌ لَا يُدْرَى مَا هِيَ فَيَمُوتُ ؛ وَغُلِقَ فِي الْبَلَدِ مِنْ دُورِ الْمُقَدَّمِينَ
وَأَعْيَانِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِي دَارٍ ، لَمْ يَبْقَ فِيهَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ وَلَا وَارِثٌ .

وَكَلُّ دَارٍ كَانَ فِيهَا خَمْرٌ يَمُوتُ أَهْلُهَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَمَنْ كَانَتْ مَعَهُ امْرَأَةٌ حَرَامٌ ، مَاتَا مَعًا . وَمَاتَ قَيْمُ مَسْجِدِ وَلِهَ خَمْسُونَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا أَحَدٌ ؛ وَوُضِعَتْ فِي الْمَسْجِدِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ ، فَدَخَلَ أَرْبَعَةُ أَنْفُسٍ
مِنَ الْخَلِيجِ لَيْلًا فَأَخَذُوهَا ، فَمَاتُوا عَلَيْهَا .

وَكَلُّ مَنْ أَوْصَى إِلَى إِنْسَانٍ ، مَاتَ الْوَصِيُّ قَبْلَ الْمَوْصِي .

(١) فِي ب : حَفِيرَةٌ . وَهِيَ بِمَعْنَى .

وكلُّ مُسْلِمَيْنِ كَانَ بَيْنَهُمَا تَهَاوُجٌ ، وَلَمْ يَضْطَلِحَا ، مَا تَا .

وكانَ عِنْدَ الْفَقِيهِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ^(١) ، سَبْعُمِئَةِ فَقِيهِ ، فَمَاتَ عَبْدُ الْجَبَّارِ وَالْفُقَهَاءُ بِأَجْمَعِهِمْ .

وَمَاتَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ خَمْسُونَ نَفَرًا ، فَمَاتَ الْجَمِيعُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَخَلَفُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِي أَلْفٍ دِينَارٍ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا طِفْلٌ صَغِيرٌ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ ؛ وَالْمَالُ جَمِيعُهُ فِي الدَّارِ لَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهَا .

وَنَزَلَ تُرْكِيٌّ مِنْ سَطْحٍ عَلَى مَرِيضٍ ، وَعَلَيْهِ لِحَافٌ دِيبَاجٌ ، (فَأَخَذَهُ التُّرْكِيُّ ، فَمَاتَ التُّرْكِيُّ)^(٢) وَيَدُهُ فِي طَرْفِ اللَّحَافِ وَطَرْفُهُ عَلَى الْمَرِيضِ .

وَلَا يَعْلَمُ مَنْ مَاتَ بِأَرْضِ الْمَشْرِقِ ، بَلْ قِيلَ : إِنَّ سَمَرْقَنْدَ مِنْ عَشْرَةِ فِي سُؤَالٍ وَإِلَى سَلْخِ ذِي الْقَعْدَةِ ، أُخْصِي مَنْ خَرَجَ مِنْ أَبْوَابِهَا مِنَ الْجَنَائِزِ ، فَكَانُوا مِئَتِي أَلْفٍ وَسِتَّةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا .

وَأَصْلُ هَذَا الْوَبَاءِ مِنْ تُرْكِسْتَانَ بِلَادِ الْكُفَّارِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى بِلَاصَغُونِ^(٣) وَكَاشَغَرِ وَالشَّاشِ وَفَرْغَانَةِ وَتِلْكَ التَّوَاحِي ، وَوَصَلَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ فِي سَابِعِ عَشْرِينَ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَلَمْ يَعُدْ النَّهْرُ ، حَتَّى إِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ بُخَارَى عَبَرُوا إِلَى بَلْخٍ ، فَنَزَلُوا فِي رِبَاطٍ مِنْهَا ، فَمَاتُوا جَمِيعُهُمْ دُونَ أَهْلِ بَلْخٍ .

وَكَانَ الْمَوْتُ فِي الشَّبَابِ وَالْكُهُولِ وَالصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ مِنَ الْعَوَامِّ ؛ فَأَمَّا الْمُلُوكُ وَالْعَسَاكِرُ وَالْمَشَائِخُ وَالْعَجَائِزُ ، فَلَمْ يَمُتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ .

(١) فِي الْمُنْتَظَمِ : أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهِ . . .

(٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مِنْ س .

(٣) فِي أ ، س ، م : بِلَادُ صُغُونِ ! وَفِي ب : بِلَادُ عَصُورَةِ ! ! .

وَبِلَادُ سَاغُونِ : بِلَادٌ عَظِيمٌ فِي نِغُورِ التُّرْكِ ، وَرَاءَ نَهْرِ سَيْحُونِ ، قَرِيبٌ مِنْ كَاشَغَرِ . (مَعْجَمُ الْبِلَادَانِ ٢٧٦/١) .

نَقَلَ الْمَمْلُوكُ هَذَا الْفَضْلَ مُخْتَصِرًا مِنْ كَلَامِ صَاحِبِ « الْمَرَاة » وَلَمْ يَذْكُرْ لِمَوْلَانَا إِلَّا لِأَنَّ هَذَا الطَّاعُونَ جَاءَنَا فِي سَنَةِ ٤٩ ، وَذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٤٩ أَيْضًا ، وَغَالِبُ هَذِهِ الْأَحْوَالِ [١٨ ب] شَاهَدْنَا وَقَوَّعَهَا ؛ وَكَانَ الْمَمْلُوكُ يَظُنُّ أَنَّ لَا نَظِيرَ لِهَذَا الطَّاعُونَ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى هَذَا الْخَبَرِ^(١) ، فَوَجَدَهُ مُطَابِقًا فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ .

اللَّهُمَّ إِلَّا أَنَّ هَذَا أَكْثَرُ عُمُومًا ، لِأَنَّهُ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ ، وَمَا خَلَّتْ مِنْهُ بَلَدَةٌ وَلَا قَرْيَةٌ ؛ إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ الْعَمُودِ لَمْ يُصِيبْهُمْ مِنْ هَذَا الطَّاعُونِ شَيْءٌ ، كَالْعَرَبِ وَالتُّرْكَمَانِ وَالْأَكَرَادِ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ مِنْ أَرْضٍ وَيَنْزِلُونَ فِي غَيْرِهَا .

وَهَذَا زَادَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الطَّوَاعِينِ ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْقِطَاطِ ، وَبَعْضِ الطُّيُورِ ، وَبَعْضِ الْجِمَالِ ، وَغَالِبُ الْأَوَابِدِ مِنْ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ ؛ فَإِنَّ جَمَاعَةً أَخْبَرُوا أَنَّهُمْ رَأَوْا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْآيَاتِلِ وَالْحُمُرِ الْوَحْشِيَّةِ مَطْرُوحَةً فِي الْبَرِّيَّةِ ، وَتَحْتَ آبَاطِهَا خَرَّاجٌ ، وَلَمْ يَمُتْ حَيَوَانٌ مِنْ هَذِهِ حَتَّى أَنْفَعِ كَالْحَيَّةِ ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ أَوَابِدُ .

وَلَقَدْ طَوَّلَ الْمَمْلُوكُ فِي هَذِهِ الْخِدْمَةِ ، وَهُوَ يَسْأَلُ بَسْطَ الْعُذْرِ فِي ذَلِكَ : [مِنَ الرَّمْلِ]

وَالَّذِي قَدْ رَاعَنِي الْأَمْرُ بِهِ يَقْتَضِي أَكْثَرَ مِمَّا قَدْ جَرَى يَا مَوْلَانَا ، هَذَا أَمْرٌ يُذْهِشُ الْعُقُولَ ، وَالسَّلَامَ .

وَفَرَعْتُ مَادَّةَ هَذَا الْكَلَامِ ، وَاللَّهُ يَعْنِي فِي مَوْلَانَا كُلَّ مَحْذُورٍ ، وَيُحَكِّمَ فِي عِدَائِهِ كُلَّ مَاضِي الشُّبَا مَطْرُورٍ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ مُلَغِزًا فِي « الْبَرْقِيَّةِ »^(٢) ، وَهُوَ مَكَانٌ مَعْرُوفٌ دَاخِلَ الْقَاهِرَةِ

(١) الْخَبَرُ : مِنْ س ، م .

(٢) الْبَرْقِيَّةُ : مَوْضِعٌ بِجَوَارِ مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقَاهِرَةِ .

المَحْرُوسَةُ : [من الوافر]

إِمَامَ النَّاسِ فِي أَدَبٍ وَفَقْهِ
أَجِبَ عَمَّا أَعْمَيْهِ فَإِنِّي
بِقَاهِرَةِ الْمُعِزِّ لَنَا مَكَانَ
يَرَاهُ أُولُو الثُّهَى بَرُّةً قَدْ
وَيَشْهَدُ لِي بِذَا الْجَمِّ الْغَفِيرُ
سَأَلْتُكَ أَيُّهَا الْمَوْلَى الْخَبِيرُ
خَوَاهُ الشُّورُ مَعْرُوفٌ شَهِيرُ
تَنَزَّلَ وَسَطُهَا جَبَلٌ كَبِيرُ

● فكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ : [من الوافر]

أَفَاضِلَ عَصْرِنَا إِنِّي بِمَا قَدْ
لَقَدْ أَبْدَاهُ فِي جُنْحِ الدِّيَاجِي
كَفَاهُ أَنَّ أَوْسَطَهُ مُحِيطُ
وَكَانَ لَهُ أَبُو حَيَّانَ يَأْوِي
فَإِنْ لَمْ أَلْقِ ثَانِي ذَاكَ أَوْ ذَا
بَعَثَ مِنَ الْمُعَمَّى لِي بِصِيرُ
وَمِيضُ الْبَرْقِ وَهَوَاهُ شَهِيرُ
بِكُلِّ الْأَرْضِ وَهَوَاهُ يَدُورُ^(١)
إِلَى أَنْ صَارَ تَحْوِيهِ الْقُبُورُ
أَعَزُّ بَقِيَّةٍ لَيْسَتْ تَبُورُ

● وَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من الوافر]

جَوَابٌ مِثْلَمَا سَفَرْتُ بُدُورُ
كَأَنَّ حُرُوفَهُ أَجْفَانُ حَبِّ
فِيَا لَكَ مِنْ جَوَابٍ لَا جَوَابِي
وَمَا أَلْعَزْتُ فِي الْبَرْقِيَّةِ اسْمًا
قَصَدْتُ إِلَيْهِ دُونَ سِوَاهُ عِلْمًا
كَذَا فَلْيَمُضْ فِي حَلِّ الْمُعَمَّى
أَوْ ابْتَسَمْتُ مِنَ الْغَيْدِ الثُّغُورُ
بِنَفْثِ السَّحْرِ أَغْرَاهَا الْفُتُورُ^(٢)
وَقَدْ وَافَى فَتَمَّ بِهِ الشُّرُورُ
سُدَى لَكِنْ لَهُ مَعْنَى خَطِيرُ
بِأَنَّ بُرُوقَ ذَهَبِكَ تَسْتَطِيرُ
أَخُو أَدَبٍ وَإِلَّا فَهُوَ زُورُ

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مَعَ سُكْرِ أَهْدَاهُ إِلَيَّ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةُ : [من السريع]

قَدِمْتُ فَاَنْهَلَ الْحَيَا فَالْوَرَى
مِنْ بُلْدَةٍ كُلُّ فَتَى أَمَّهَا
يَسْأَلُ فِي أَكْثَرِهَا سُؤْلَهُ^(١)
يُقْبَلُ كَذَا ، وَيَسْأَلُ قَبُولَ شَفَاعَتِهِ جَبَرُ الَّذِي : [من الطويل]

عَلَى خَجَلٍ وَافَاكَ حَتَّى كَأَنَّهُ
إِذَا أَنْتَ عَايَنْتَ اسْمَهُ يَتَنَكَّرُ^(٢)

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من الخفيف]

جَاءَنِي جُودُكَ الَّذِي جَعَلَ الْغَيْدُ
فَاقْتَسَمْنَا التَّصْحِيفَ لَفْظًا وَمَعْنَى
لَكَ مِنِّي شُكْرٌ وَلِي مِنْكَ سُكْرُ^(٣)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ لَمَّا جَلَسْتُ فِي تَوْقِيعِ اللَّذْسِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ

المَحْرُوسُ ، فِي سُؤَالِ سَنَةِ ٧٥٦ وَأَكْثَرَ مِنَ التَّوْرِيَّةِ : [من السريع]

لَمَّا اسْتَوَى دَسْتُ الْعُلَا بِالْصَّلَاحِ
وَاطْبَحَتْ فِيهِ لُحُومُ الْعِدَى
[١٩] غَلَا وَقَدْ فَاضَ نَدَى وَاعْتَلَى
ثُمَّ تَهَدَّى فَاهْتَدَى نَحْوَهُ
لَا رَيْمَ فِيهِ إِنْ حَلَلْتُمْ بِهِ
يَبِضُّهُ قَرْبُكَ فَاغْجَبْ لَهُ
وَقَّعْ بِهِ أَلْوَانَ مَا طَابَ مِنْ
وَامْلَأْهُ حَلًّا مُحْكَمًا يَفْتَضِي
وَابْعَثْ بِطَاقَاتِ الْمُنَى لِلْوَرَى
اغْتَرَفْتُ أَيْدِي الْأَنَامِ السَّمَاحِ
وَاشْتَعَلْتُ مِنْ فُورِهَا بِاقْتِدَاحِ
مَنَاصِبًا تَدْعُو لِطَيْبِ اضْطِبَاحِ
دَاعٍ يُنَادِي : عَجَّلُوا لِلرَّدَاحِ
إِلَّا النَّوَالِ الطَّافِحَ الْمُسْتَبَاحِ
مُسَوِّدًا تُشْرِقُ مِنْهُ الْبَطَاحِ
تَنْوِيْعَ مَنْ وَبَدِيْعَ اقْتِرَاحِ^(٤)
تَحْرِيكَ عَيْنٍ لِلْمَعَانِي الصَّحَاخِ
مُرْسَلَةً فَوْقَ جَنَاحِ النَّجَاحِ

(١) فِي س : من أكبرها . . .

(٢) يَتَنَكَّرُ : تَصْحِيفُهُ : سُكْرُ .

(٣) وَسَقَطَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ س ، حَتَّى نَهَايَةِ الْقَصِيدَةِ الدَّالِّيَّةِ الْآتِيَةِ .

(٤) لَعَلَّ الصُّوَابَ : × تَنْوِيْعَ فُ . . .

(١) يَرِيدُ : جَبَلٌ قَافٌ ، وَزَعَمَ الْأَقْدَمُونَ أَنَّهُ يَحِيطُ بِالْأَرْضِ .

(٢) فِي ب ، س : . . . أَجْفَانُ صَبَّ × .

حَتَّى يَطِيبَ النَّاسُ عَنْ دَهْرِهِمْ وَيَحْمَدَ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ فِي الْبَطَاخِ^(١)
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُهَيِّئُ الزَّمَانَ بِأَنْ خُفِّفَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَصُرِفَ عَنْهُ بَعْضُ
مَا تَكَاثَرَ مِنْ عَتَبِهِ ، وَزَالَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الشَّيْنِ ، وَوَقَّتْ ذِمَّتُهُ بِقِسْطٍ مَا كَانَ لَكُمْ
عَلَيْهَا مِنَ الدِّينِ .

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من السريع]

دُرُّ حَبَابٍ رَاحَ مِنْ فَوْقِ رَاخٍ فَزَانَ مِمَّنْ قَدْ سَقَى بَطْنَ رَاخٍ
أَمْ بَرْدٌ رَصَعَ تَاجَ الرُّبَا فَرَاخَ ثَغْرًا بِاسِمَاءَ عَنْ أَقَاخٍ
أَمْ مُقْلَةٌ مُذْ سَكَنْتُ مُهْجَتِي مَا حَفِظْتَ إِلَّا كِتَابَ الْجِرَاخِ^(٢)
أَمْ يَكْرُ فِكْرٍ خِذْنَهَا خِذْرُهَا فِيهِ مَغَانٍ لِلْمَعَانِي الْمِلَاخِ
قَدْ خَصَّنِي الْجُودُ الْبَهَائِي بِهَا فَصَاحَ لِي بِالْكَلِمَاتِ الْفِصَاخِ
فَشَرَّفَتْ قَدْرِي كَمَا شَفَقَتْ سَمْعِي فَمَا لِي فِي الْمَعَالِي اقْتِرَاخِ^(٣)
وَهِيَ عَلَى رَأْسِي تَاجٌ وَفِي أُنْزِي شَنْفٌ وَيَخْضِرِي وَشَاخِ
يَتَوَرِّبَاتٍ وَارِيَاتِ السَّنَا وَبِاقْتِدَارٍ زَنْدُهَا فِي اقْتِدَاخِ
فَمِنْ لُغَاتٍ لَوْ رَأَى الْجَوْهَرِي أَلْفَاظَهَا لَمْ يَتَخَيَّرْ بِالصَّحَاخِ
وَمِنْ مَعَانٍ لَوْ أَتَى مِثْلَهَا لِلْأَرْجَانِي لَمْ يَزَلْ فِي انْشِرَاخِ
وَلَمْ يَقُلْ مِنْ حُزْنٍ عِنْدَهُ «صَوْتُ حَمَامٍ الْأَيْلِكِ عِنْدَ الصَّبَاخِ»^(٤)

(١) في ب : × . . . في الصَّبَاخِ . وهو من المثل : عند الصَّبَاخِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ . (الميداني ٣/٢ والعسكري ٤٢/٢) .

وفي م : . . . عن ذكرهم × .

(٢) في م : . . . قد سَكَتُ . . . × .

(٣) في م : × . . . في المغاني . . .

(٤) مطلع قصيدة للأرجاني : [ديوانه ٨٠]

صَوْتُ حَمَامٍ الْأَيْلِكِ عِنْدَ الصَّبَاخِ جَدَّةٌ تَذَكَرِي عِنْدَ الصَّبَاخِ

أَوْ لِلْأَيْبُورِدِيِّ مَا فَاقَ فِي أَمَاطَ وَاللَّيْلُ أَثِثُ الْجَنَاحَ^(١)
أَوْ لِلرَّضِيِّ لَمْ يُرْضَ فِي قَوْلِهِ : تَبَهَّتُهُمْ مِثْلَ عَوَالِي الرَّمَاخِ^(٢)
أَوْ لِلتَّهَامِيِّ لَا تَهْمُنَا لَهُ مَا «قَالَ : لَا أَعْلَمُ كُلُّ أَقَاخِ»^(٣)
وَلَا بِنَ حَمْدِيسَ غَدَا رَاكِبًا «نَجَائِبُ اللَّهْوِ ذَوَاتِ الْمَرَاخِ»^(٤)
وَلَا الْحَرِيرِي إِذْ غَدَا قَائِلًا : «أَعْدِدْ لِحُسَادِكَ حَدَّ السَّلَاخِ»^(٥)
وَالْبُخْتَرِي مَا قَالَ مَنْ فَرَحَ : «بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاخِ»^(٦)
مِنْ لُطْفِهَا قَدْ أَذْكَرْتَنِي صَبَا كَمْ عَنِّي لِي فِيهِ ازْتِيَادُ ازْتِيَاخِ
سُقِيَا لَهُ مِنْ زَمَنِ سَالِفٍ كَمْ فُزْتُ فِيهِ بِحَيِّبٍ وَرَاخِ
مَهْلًا عَلَى ضَعْفِي أَبَا حَامِدٍ فَمَا أَرَانِي مِنْ قُرَيْشٍ الْبَطَاخِ
وَقَوْمُكَ الْأَنْصَارُ أَهْلُ التُّهَى وَيَذُرُّهُمْ زَانَ سَمَاءِ السَّمَاحِ
وَأَنْتَ بِالْخَزَرْجِ فِي ذُرْوَةِ سَالَ بِهَا وَادِي الْمَعَانِي وَسَاخِ
رُخْتُ إِمَامًا وَالْوَرَى مِنْ وَرَا فِي كُلِّ عِلْمٍ غَامِضٍ لَا ضِطْلَاخِ^(٧)
وَنَلْتَ قَبْلَ الْبَرْقِ أَقْصَى الْمَدَى لَوْ حُطَّ مِثْلِي عَنْهُ كَانَ اسْتِرَاخِ

(١) مطلع قصيدة للأبيوردي : [ديوانه ٤٦٢/١]

أَمَاطَ ، وَاللَّيْلُ أَثِثُ الْجَنَاحَ عَنْ مَبَسِّمِ الشَّمْسِ لِنَامِ الصَّبَاخِ

(٢) مطلع قصيدة للشرقي : [ديوانه ٢٥٤/١]

تَبَهَّتُهُمْ مِثْلَ عَوَالِي الرَّمَاخِ إِلَى الرُّغَى قَبْلَ تُمُومِ الصَّبَاخِ

(٣) من قول التهامي : [ديوانه ٩٧]

أَيُّهَا أَحْلَى تَرَى مَنْظَرًا فَقَالَ : لَا أَعْلَمُ ، كُلُّ أَقَاخِ

(٤) من قول ابن حمديس : [ديوانه ٨٩]

بَاكِرٍ إِلَى اللَّذَاتِ وَارَكِبٍ لَهَا سَوَابِقَ اللَّهْوِ ذَوَاتِ الْمَرَاخِ

(٥) مطلع قصيدة للحريري : [المقامات ٣٨٤ وشرح الشريشي ٢١٨/٥]

أَعْدِدْ لِحُسَادِكَ حَدَّ السَّلَاخِ وَأُورِدِ الْأَمْلَ وَرَدَ السَّمَاحِ

(٦) مطلع قصيدة للبختري : [ديوانه ٤٣٥/١]

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاخِ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوُشَاخِ

(٧) في ب : × . . . غَامِضُ الْاِصْطِلَاخِ .

فاغذِرْ أَخَا التَّقْصِيرِ وَالتَّقْصِصِ إِنَّ
وَحَلَّ لِي فَضْلَةً شِعْرُهَا أَشْتَعِطُفُ الْأَنْفُسَ ذَاتَ الْجِمَاحِ
فإِنَّنِّي مِنْ صَدَقٍ وَدِّي لَكُمْ قَدْ طَارَ فِي الْأَقْطَارِ عَنِّي وَطَاحَ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَزَادَ بِهِ
خِلَالَ الزَّمَانِ جَلَالاً ، وَجَعَلَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِثَالاً ؛ فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ مِنْهُ عَلَى
خَزَائِنِ آدَبٍ ، وَقَلَائِدِ ذَهَبٍ ، لَوْ ظَفَرَ بِهَا الْجَاحِظُ مَا مَضَى ذِكْرُهُ وَلَا ذَهَبَ ،
وَمَطَالِبِ فَضْلٍ لَا يَخْشَى مَالُهَا مِنَ الْفَقْرِ كَيْفَمَا وَهَبَ ؛ وَيَسْطَرُ بِالْإِعْدَاءِ كَفّاً
قَبَضَتْ عَلَى الْوَلَاءِ ، وَرَفَعَتْ إِلَى [ب ١٩] السَّمَاءِ بَصَراً طَالَمَا خَفَضَهُ الْخُضُوعُ
لِمَوْلَاهُ لَمَّا أَخَذَ فِي الرَّفْعِ وَالْإِعْلَاءِ ، وَانْتَهَى إِلَى تِلْكَ التَّوْرِيَّاتِ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ
إِلَيْهِ مِمَّا تَجَدَّدَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْوَظَافَةِ ، وَأَوْقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ
الْغِنَى نَظِيفَةٌ .

وَتَعَجَّبَ الْمَمْلُوكُ مِنْ ثَمَانِيَةِ آيَاتٍ ، ضَمَّتْ مِنَ التَّوْرَةِ ثَمَانِيَةَ وَعَشْرِينَ ،
وَرَأَى فِي وَرَقِهَا زَهْرَ الرَّبِيعِ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ جَاءَتْهُ فِي تَشْرِينَ ، وَجَنَى مِنْ تِلْكَ
الْوَرَقَةِ ضُروباً مِنَ الثَّمَرِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ هَذَا الْعَدَدَ وَفَقَ مَنَازِلَ الْقَمَرِ ؛ إِلَّا أَنَّ هَذِهِ
كُلُّهَا مَنَازِلُ سُعُودٍ ، وَبَدُرٌ مَعَانِيهَا لَا يَزَالُ فِي سُعُودٍ ؛ وَلِلَّهِ الْغَزِيُّ أَبُو إِسْحَاقَ
إِبْرَاهِيمَ^(١) إِذْ يَقُولُ : [من الوافر]

وَمَا أَنَا فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَّا كَمَنْ أَهْدَى إِلَى الصُّبْحِ الشَّهَابُ
فَلَا يَشْغَلُكَ طَوْلُكَ عَنْ قُصُورٍ فَمَنْ بَلَغَ الْمَدَى نَسِيَ الْهَضَابُ
وَنَظَّ بِي حُسْنِ رَأْيِكَ يَغْلُ كُغْبِي فَإِنَّ اللَّهَ نَاطَ بِكَ الصَّوَابُ
وَقَدْ اسْتَطَرَدَ الْمَمْلُوكُ بِهَذَا الْبَيْتِ الثَّالِثِ ، وَإِنْ كَانَ أَجَنَّبِيّاً مِنْ هَذَا الْمَقَامِ ،

(١) أَبُو إِسْحَاقَ ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَثْمَانَ الْكَلْبِيِّ الْغَزِّي . (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٤) .

وَدَوَاءٍ إِلَّا أَنْ يُعَالِجَ بِهِ مَنْ خَفِيَ عَلَى الطَّبِيبِ مَا عِنْدَهُ مِنَ السَّقَامِ ؛ وَهَذَا اسْتَطَرَّدَ
كَالْجُمْلَةِ الَّتِي تَعْتَرِضُ فِي بَعْضِ مَقَامَاتِ الْبَلَاغَةِ ، وَكَالذُّرَّةِ الَّتِي تَرِيدُ النَّجَّاحَ
حُسْنًا ، وَهِيَ شَيْءٌ آخَرُ مِنْ وَرَاءِ صِنَاعَةِ الصَّيَاغَةِ ، وَيَسْتَطَرُّدُ الْمَمْلُوكُ أَيْضاً إِلَى
قَوْلِ الْآخِرِ : [من الطويل]

وَمَنْ يَكُنِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ شَفِيعاً لَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ يَنْجَحُ
وَيَأْتِي فِيمَا بَعْدُ حُلٌّ هَذَا الْمُتَرْجِمِ ، وَكَشَفُ هَذَا السَّرِّ الْمُجْمَعِ ، أَوْ لَعَلِّي
أَشْرَحُهُ شِفَاهاً ، وَأَفْتَحُ بِهِ بَيْنَ يَدَيْكَ شِفَاهاً^(١) ، وَقَدْ كَشَفْتُ بِهِ لِمِثْلِكَ السَّرَّ ،
وَرَفَعْتُ لَكَ الْحِجْرَ^(٢) ، وَشَفَعْتُ الْوِثْرَ .

وَقَدْ طَوَّلَ الْمَمْلُوكُ بِهَذَا الْإِعْتِرَاضِ ، وَمَا بَقِيَ إِلَّا الدُّخُولُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهُ
عَنْ تَرَاوِيهِ ؛ فَيَعُودُ الْمَمْلُوكُ إِلَى وَصْفِ تِلْكَ الْآيَاتِ ، وَمَا أَوْدَعَتْهَا يَدُ الْقُدْرَةِ
مِنَ الْمَحَاسِنِ^(٣) فِي التَّوْرِيَّاتِ ، وَيَقُولُ : إِنَّ نَازِلَهَا لَوْ كَانَ كَشَاحِجٍ لَمَا زَادَ ،
بَلْ وَلَا عَدَى بِهَا ثَلَاثَةُ أَفْرَادٍ ، فَإِنَّهُمْ يَرْعُمُونَ أَنَّ كَانَ طَبَاحَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، لَا بَلْ
مُشْرِفاً لِنِلكِ الصَّوْلَةِ ؛ دَغَ ذَكَرَ كَشَاحِجٍ ؛ بَلْ لَوْ كَانَ الصُّوْلِيُّ وَمَا وَضَعَهُ مِنْ
الْمَنَاصِبِ ، وَتَحْيَلُهُ بِذِهِ لَمَّا تَحَيَّلَ عَلَى تِلْكَ الْأَعَاجِبِ ، لَمَا اتَّفَقَ لَهُ فِي
دَسْتٍ وَاحِدٍ هَذِهِ الثُّكُتُ الْعَدِيدَةُ ، وَالْفَرَاثِدُ الْمُفِيدَةُ ؛ وَبِاللَّهِ يُقْسِمُ الْمَمْلُوكُ أَنَّ
مَوْلَانَا مَا تَرَكَ وَرَاءَهُ فَضْلَةً ، وَلَا غَادَرَ لِمَنْ يُجَارِيهِ الْجَوَابُ إِلَّا عَضْلَةً .

وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ حَيَاةَ مَوْلَانَا لِأَهْلِ الْعُلُومِ عَامَّةً ، وَلِأَهْلِ الْآدَابِ خَاصَّةً
تَامَّةً ، حَتَّى يُكْمِلُوا نَقْصَهُمْ ، وَيُسَيِّغُوا غَضَبَهُمْ ، وَيَسْتَجْلُوا هَذِهِ الْأَبْكَارَ الَّتِي

(١) فِي م : شِفَاهَا .

(٢) فِي أ ، م : الْحَبْر . وَفِي ب : الْمَتْر ! وَكُلُّهُ تَصْحِيفٌ . وَالْحِجْرُ : مَا يُوصَلُ بِأَسْفَلِ الْخَبَاءِ إِذَا ارْتَفَعَ
مِنَ الْأَرْضِ لِيَكُونَ سِتْرًا . (النَّجَاحُ « حتر » ١٠/ ٥٢٥) .

(٣) فِي م : يَدُ الْقُدْرَةِ وَالْمَحَاسِنِ .

لا عَهْدَ لَهُمْ بِنَظِيرِهَا ، ولا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى نَصِيرِهَا ؛ فَمَا كَلَامُ مَوْلَانَا إِلَّا نَكْتُ ، وما أَتَقَقَ قَلَمُهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَدَبِ إِلَّا رَبَّتْ وَزَكَّتْ ؛ ولو وُفِّقَ مُجَارِيهِ لَفَعَّ رَأْسَهُ بِرِدَائِهِ حَيَاتِهِ وَسَكَتَ ، وَأَخَذَ قَضِيبَ يَرَاعِهِ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ خَجَلًا وَنَكَّتْ ، أَنْهِيَ ذَلِكَ .

● وكتبْتُ أنا إليه ، وقد ولَّاهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ شَيْخُو^(١) تَدْرِيسَ مَدْرَسَتِهِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ : [من السريع]

[٢٠] بُشِّرْهُ الْمَعَالِي يَا أَبَا حَامِدٍ بِدَرْسِكَ الْحَاصِدِ لِلْحَاصِدِ
جَدَّدَتْ بِاللِّدْرِسِ بُلُوغَ الْمُنى لِصَادِرٍ فِي الْعِلْمِ أَوْ وَارِدٍ
مَعْنَاهُ سَاوَى اللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ أَنَّ يُعَابَ بِالنَّاقِصِ وَالزَّائِدِ
كَمْ مُنْشِدٍ فِيهِ قَرِيضَ الْهِنَا وَطَالِبٍ بُغْيَتَهُ نَاشِدٍ
فَابْشُرْ بِعِزِّ لِلْعَدِيِّ شَائِنٍ وَاهْنَأُ بِسَعْدٍ لِلْعُلَا شَائِدٍ
إِنَّ أَنْتَ فَسَّرْتَ بِهِ آيَةَ أَمْسَيْتَ فِيهِ ثَانِي الْوَاحِدِ
وَكَمْ حَدِيثٍ فِي الصَّحِيحِينَ قَدْ أَسْنَدْتَهُ عَنْ ذَهْنِكَ الْوَاقِدِ
وَفِي أَصُولِ الدِّينِ كَمْ غَايَةِ قَدْ حُزَّتْ فِيهَا أَمَدَ الْإِمْدِ
هَذَا وَأَمَّا الْفَقْهُ لَوْ قَالَ لِي كُلُّ صَحِيحِ الذَّهْنِ أَوْ فَاسِدِ
مَنْ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ فِي عَصْرِنَا ؟ قُلْتُ لَهُ : هَذَا أَبُو حَامِدٍ

● وَأَنشَدَنِي^(٢) مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، فِي شَعْبَانَ الْمُكَرَّمِ سَنَةِ ٧٤٨ قَصِيدَةً مَدَحَ بِهَا الْقَاضِي علاء الدِّينِ عَلِيَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ ، كَاتِبَ السَّرِّ الشَّرِيفِ ؛ وَهِيَ : [من الكامل]

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ عَنْ الْهَوَى لَا أَنْتَهِيَ
فَعَقَالُ عَقْلِي أَمَكَّتْهُ يَدُ التَّوَى
شُكْرًا لِعَادِلِي الْجَهْلُولِ فَإِنَّهُ
أَزْتَاخَ جَيْنَ يَقُوهُ بِأَسْمِكَ ثُمَّ لَا
مَاذَا يُخَوِّفُنِي بِهِ وَأَنَا الَّذِي
لَا تَجْفُ صَبًّا لَوْ نَظَرْتَ لِأَمْرِهِ
وَاعْطِفْ عَلَيْهِ بِرَأْفَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ
وَاللَّهِ لَا أَخْشَى الْمَمَاتَ فَإِنَّهُ
لَكِنْ أَخَافُ مِنَ الْعَدِيِّ أَنْ يَنْسُبُوا
قَسَمًا بِوَجْهِكَ وَالْمَلَاخَةَ قَدْ نَمَتْ
وَبِعُزَّةٍ إِنْ تَحَكَّهَا شَمْسُ الضُّحَى
وَبِمَبْسَمٍ لَكَ لَوْلُؤِي أَشْنَبِ
وَبِمَاءِ حُسْنِ جَالٍ فِي حَدِّكَ لَمْ
وَبِجَمْعِكَ الضَّدَّيْنِ مِنْ شَعْرِ دُجَى
وَبِأَهْيَفِ الْمِثْلَيْنِ قَدْ كَ مَائِسًا
لَا حُلْتُ عَنْ أَخْلَى هَوَاكَ وَإِنْ يَكُنْ
وَلِغَيْرِ وَجْهِكَ لَمْ أَمِلْ دُنْيَا قَدْوَا
إِنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ رِيحِ الصَّبَا
أَمِنْ التَّنَاصُفِ أَنْ تَبَيَّتَ مُدَلَّلًا

حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْحَيَاةِ وَأَنْتَ هِيَ
وَعُقُودُ وَجْدِي مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَهِيَ
مَا زَادَ غَيْرَ تَوَلَّعِي وَتَوَلَّهِي
أَصْغِي لِغَيْشٍ بِالرَّشَادِ مُمَوِّهِ
أَسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ لَمْ أَتَكَّرْهُ
لَأَصْبِتَ ذَا جَفْنٍ قَرِيبٍ أَمْرِهِ
يَقْضِي عَلَى أَسْفٍ وَعَيْشٍ أَسْفَهُ
لَأَلْذُ مِنْ غَمْرِ الْبِعَادِ الْأَتَقَهُ^(١)
لَكَ قَسْوَةُ قَبْحَتِ عَلَى الْمُتَأَلِّهِ
فِيهِ وَمِنْهُ تَقَسَّمَتْ فِي الْأَوْجُهُ^(٢)
فَضَحَ التَّشْبُهُ شَيْمَةَ الْمُتَشَبِّهِ
عَذِبَ نَمِيرٍ عَاطِرِ الْمُسْتَنَكَةِ^(٣)
يُطْفِئُ لَهْيَهُمَا وَلَمْ يَسْتَنْهِ
وَجِيْنِ صُبْحٍ قَدْ تَجَلَّى أَجْلَهُ
وَبِهِ حَلَفْتُ وَغَضَنْ بَانٍ قَدْ زُهِى
سَقَّهَتْ أَخْلَامِي وَزِدَتْ تَأَوُّهُي
وَوَجْهَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِأَوْجِهِ
إِنْ عَانَقْتِكَ وَمِنْ فَمِ الْمُتَقَوِّهِ
وَمُجْجِكَ الْعَانِي بِقَلْبٍ مُدَلَّلِهِ

(١) فِي ب : × . . . مِنْ غَمِّ الْبِعَادِ . . .

(٢) فِي س : . . . قَدْ سَمِتَ × .

(٣) فِي ب : × . . . عَاطِرَةُ الْمُتَنَكِّهِ .

(١) تَرْجَمْتُهُ فِي : الْوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ ٢١١/١٦ وَالْدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٢٩٣/٢ وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٣٢٤/١٠ .

وَتُوفِيَ سَنَةَ ٧٥٨ هـ .

(٢) نِهَايَةُ السَّقَطِ فِي س .

أَنَحَلْتَنِي أَضْعَافَ سُقْمِ ذَوِي الْهَوَى
وَكَسَوْتَنِي دَنَسَ الْأَسَى فَبِمَدْمَعِي
أَوْ مَا خَشِيتَ اللَّهُ فِيَّ وَأَنْنِي
أَمْ خِلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ خَالٍ مِنْ فَتَى
وَاللَّهُ لَوْ يَذْرِي ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ مَا
فَلَكَمَ أَرَاخَ مِنَ الْأَنَامِ كَرِيهَةً
مَوْلَى إِلَى الْفَارُوقِ نِسْبَةً مَجْدِهِ
سَعِدَ الزَّمَانُ وَتَاءَ مِنْهُ وَازْدَهَى
جَارٍ عَلَى طُرُقِ الْهُدَى فَعُلُومُهُ
فَلِكُلِّ عَافٍ مِنْهُ عَيْنٌ تَفْقِدُ
(فَطِنٌ فَهَلْ مِنْ مُشْكِلٍ لَمْ يَذَرِهِ
يُخَيِّي الْمَمَالِكُ مِنْهُ رَأْيٌ ثَاقِبٌ
فَالْبَحْرُ لَوْ جَارَاهُ قَالَ : الْوَيْلُ لَا
وَالْبَذْرُ لَوْ ضَاهَى إِضَاءَةً وَجْهِهِ
وَالنَّسْرُ لَوْ عَالَاهُ قَالَ لَهُ السُّهَى :
ذُو رَفْعَةٍ جَازَتْ مَدَى الْجَوَازِ فِي
وَعُلَا تَحَاوَلُهَا الْعِدَاةُ فَتَشْنِي

وَنَحَلْتَنِي أَضْعَافَ جِسْمٍ قَدْ دُمِي (١)
لَمْ أَتَّقِهِ وَمِنْ الْجَوَى لَمْ أَتَّقِهِ (٢)
أَفْلَيْدِيكَ مِنْ تَعْلِيْبِهِ أَنْ يِيْدِهِ
يُخْدِي إِلَيْهِ تَوَجُّهُ الْمُتَوَجِّهِ (٣)
أَلْقَاهُ لَأَنْدَرَا الَّذِي لَا أَشْتَهِي
وَلَكُمْ أَرَاخَ بَدِيْعَ عَيْشٍ أَكْرَهَ
أَكْرَمَ بِنِسْبَةٍ ذَا النَّجَارِ الْأَنْوَهَ
بِالْلُّوْذَعِيِّ الْأَلْمَعِيِّ الْمَذَرَهَ
أَقْوَالُهَا اتَّجَهَتْ بِكُلِّ الْأَوْجِهَ
وَلِكُلِّ عِلْمٍ مِنْهُ حُسْنٌ تَفْقَهُ
عِلْمًا وَهَلْ مِنْ مُعْضِلٍ لَمْ يَذَرِهِ
إِنْ يَشْهَدُ الْخَطْبُ اِزْتَقَى لَمْ يَشْدَهُ
تَطْمَعٌ وَكُنْ مِثْلِي وَلَا تَتَشَبَّهَ
مَا كَانَ مِنْهُ تَكْلُفُ الْمُتَكَرَّرِ (٤)
حَاوَلْتُ قَبْلَكَ ذَا فَقِيلَ : مَهْ مَهْ (٥)
شَرَفِي يَفُوتُ الْمُشْتَرِي وَالْمُشْتَهَى (٦)
عَنْهَا وَلَمْ تَظْفَرْ بِغَيْرِ تَنْوُهُ (٧)

(١) في م : × . . . قد وهي .

(٢) في ب : . . . فبدمع × .

(٣) في أ ، س : × . . . المتجوه .

(٤) في ب : × ما كان منه تَكَوُّهُ بِالْمُكْرَه .

(٥) ما بين القوسين من ب ، س .

(٦) البيت من س فقط .

(٧) في س : × . . . بغير تنبيه .

[٢٠] ب] فِيهِمْ بَوَاطِنُ أَرْعَدَتْ بِتَشْوِشٍ
وَفَضَائِلُ لَمْ تَخْفَ إِلَّا عَنْ فَتَى
وَقَرِيحَةٍ فِي الْحَالَتَيْنِ مُرِيحَةٍ
وَبَدِيْعٌ نَظْمٌ لَوْ تَقَدَّمَ عَضْرُهُ
صَاغَتْ قَلَائِدُهُ الْعُقُولُ فَحُسْنُهُ
قُسُ الْفَصَاحَةِ ، لَوْ تَسَمَّعَ لَفَظُهُ
وَلَهُ مِنَ الْأَدَبِ النَّصِيرِ حَدَائِقُ
كَمْ أَسْمَعَتْ صُمًّا وَأَنْطَقَ فَضْلُهَا
أَقْلَامُهُ نُصِبَتْ كَأَعْلَامٍ عَلَى
مِنْ خَطِّهَا الْخَطِيئُ يَمْضِي هَارِبًا
مَا رَوْضَةٌ حَيَا الْحَيَا أَفْسَانُهَا
رَاقَتْ مَعَانِيهَا وَرَقَّ نَسِيمُهَا
فَالزَّهْرُ بَيْنَ مُفَضِّضٍ وَمُذْهَبٍ
يَوْمًا بِأَنْفَصَرَ مِنْ شُذُورِ سَطُورِهِ
إِلَيْهِ عِلَاءُ الدِّينِ مَنْ شَانِيهِ لَمْ
بِالرَّغْمِ مِنِّي أَنْ أَفَارِقَ مَوْطِنَا
مَا غِبْتُ عَنْ مَغْنَاكَ إِلَّا مُكْرَهًا
فَالْعِزُّ عِنْدَكَ لَا كَمَنْ هُوَ مُنْشِدٌ
خُذْهَا قَصِيْدَةً قَاصِرٍ لَوْلَاكَ لَمْ

وَلَهُمْ ظَوَاهِرُ أَرْعَدَتْ لِشَوْهٍ
أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَى
لِأَخِي الرُّوَايَةِ إِنْ بَدَا وَالْمُبْدَى
قَالَ الْوَرَى : أَفْ لِيْشَعْرِ الْأَفْوَى (١)
يُنْسِي إِصَابَاتِ الْأَدِيْبِ الْأَبْلَى (٢)
سَخْبَانُ لَا سَتَحِيْلُ وَلَمْ يَتَقَوَّه
بِنَظِيرِهَا لَمْ يَأْتِ كُلُّ مُفَوَّهٍ
خُرْسًا وَكَمْ لَاحَتْ لِعَيْنِ الْأَكْمَى
إِعْدَامِ بَاغٍ عَنْ هُدَاهُ مِنْهَنِي
وَيَفِيضُ عِنْدَ شَبَابِهَا الرُّزْقُ الشَّهِي
فَفِنَاوُهَا زَاهِي الْمَعَاطِفِ مُزْدَى
وَصَفَتْ بِمَا وَصَفَتْهُ لِلْمُنْتَزَى
وَالْتَهَرُّ بَيْنَ مُصَفَّقٍ وَمُفَهِّقِهِ
كَالْعَقْدِ مَنْظُومًا بِهِ الْبَذْرُ الْبَهِي
يُوهَبُ عُلَاً وَلِضِدِّهِ لَمْ يُؤْبَهُ
لَكَ طَالَمَا فِيهِ حِمْدُ تَوَجُّهِي
وَلَقَدْ مَحَى الرَّخْمُنُ ذَنْبَ الْمُكْرَهِ
الْعِزُّ فِي صَهَوَاتِ خَيْلِ الْأَجْبَهِ
تَسْمَحُ قَرِيحَتُهُ وَلَمْ يَنْتَبَهْ

(١) الأفوه الأودبي : صلاة بن عمرو المذحجي ، أبو ربيعة ؛ شاعر جاهلي حكيم . (الشعر والشعراء
٢٢٣/١) .

(٢) الأبله البغدادى : محمد بن بختيار بن عبد الله ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٥٨٠ هـ . (الوافي
٢٤٥/٢) .

أَفَعَنْتُ فِي إِنْشَائِهَا بِتَفْكَرِي
قَامَتْ عَلَى عُمِدِ الْبَيَانِ فَأَخْمَلْتُ
أَنْتَى تُسَاوِيهَا وَهَذِي قَدْ حَوَتْ
نَزْهَتَهَا عَنْ أَخْنَعِ اسْمٍ قَالَهُ
وَفَرَزْتُ مِمَّا لَمْ يَسْغُ لُغَةً فَلَمْ
وَقَصِيدَةُ الْكِنْدِيِّ تَكْذِي إِثْرَهَا
وَإِذَا هُمَا افْتَخَرَا عَلَيَّ وَأَنْتَ ذُو
وَلَيْتِنِ تَدَاعَيْنَا فِلَانُكَ حَاكِمٌ
هَذَا عَلَى أَنَّ الْقَرِيضَ فَضِيلَةٌ
هُوَ يَزْتَمِي حَوْلِي فَأَقْبَلَ عَفْوَهُ
لَمْ يَمْتَلِءْ جَوْفِي بِهِ خَوْفًا عَلَى
لَوْلَا امْتِدَاحُكَ لَمْ أَعِزَّهُ فِكْرَتِي
وَطَرَحْتُهُ حَتَّى يَكُونَ كَمَجَّةٍ
لَا زِلْتُ فِي نَعَمٍ يَدُومُ سُرُورُهَا

فَعِنْتُ مِنْ إِنْشَادِهَا بِتَفْكَرِي
ذَاتِ الْعِمَادِ الْكَاتِبِ الْمُتَمَدِّهِ (١)
بِكَ الْإِفْتِخَارَ وَتِلْكَ فِي فَرْخِشِهِ
مِنْ وَضْفِ غَيْرِ اللَّهِ بِالشَّاهِنَشِ
أَتْبَعُهُ فِي نَعْتِ الْعِتَاقِ الْفُرِّهِ
لَمْ يُفْتِهَا زَيْدٌ بِزَيْنٍ بَلْ سَهِي (٢)
مَذْحِي شَمَخْتُ إِذَا بِأَنْفِ الْأَنْبِي
بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا بِخَاطِرِكَ النَّهْيِ
لَهُمَا وَعِنْدِي فَضْلَةُ الْمُسْتَنْزِهِ
طَوْرًا وَأَتْرُكُ تَارَةً بِتَرْفُهُ (٣)
دِينِي وَلَمْ أَشْرَعْ إِلَيْهِ وَأَشْرَهُ
كَلًّا وَلَمْ أَنْظُرْ إِلَيْهِ وَأَكْثَرَهُ
فِي لُجَّةٍ أَوْ مُهْمَلٍ فِي مَهْمَةٍ
وَالذَّهْرُ عَنْ تَكْدِيرِ صَافِيهَا لَهْي (٤)

(١) في ب : . . . فأخمدت × . . . المتمة . والإشارة إلى العماد الكاتب ، صاحب الخريدة .

(٢) الإشارة إلى قصيدة العماد . في مدح الملك المنصور عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، وهي في ثلاثة وثمانين بيتاً ، مطلعها :

بَيْنَ أَكْرَحِلَاوَةِ الْعِيْشِ الشَّهْيِ وَهَوَى أَحَالِ غَضَارَةِ الزَّمَنِ الْهَيِ
وعارضها أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي ، تاج الدين ، بكلمة بديعة في وزنها ورويتها وحسن زيتها - وهي في تسعة وأربعين بيتاً - مطلعها :

هَلْ أَنْتَ رَاحِمٌ غَبْرَةٌ وَتَوَلَّاهُ وَمُجِيرٌ صَبٌّ عِنْدَ مَا مَنِيهِ دُهْيِ
[كتاب الزوضتين لأبي شامة ٣/ ١٣٠ - ١٣١] .

(٣) في ب : . . . فأقبل عذره × .

(٤) في ب : × . . . كهي .

وَوُقِيَتْ صَارِفَ فَضْلٍ مَجْدٍ أَرْفَعُ وَبَقِيَتْ وَارِفَ ظِلِّ سَعْدٍ أَرْفَعِ (١)
● فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، وَرَأَيْتُ مَا جَمَعْتُ مِنَ الْمَحَاسِنِ دُرَّتْهَا
الْفَرِيدَةُ ، تَقْتُ إِلَى تَقْرِيبِهَا نَظْمًا ، وَأَرَدْتُ أَنْ أُطْلِعَ قِبَالَ قَمَرِهَا التَّمَامِ فِي سَمَاءِ
الْبَلَاغَةِ نَجْمًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ كُلَّ نَارٍ لَيْسَ عِنْدَهَا سَلَامٌ ، وَكُلُّ صَبٍّ لَا يَجِدُ
السَّلَامَةَ عِنْدَ سَلَمِي ؛ فَنَظَّمْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي تَجُرُّ رِدَاءَ الْخَجَلِ ، وَتَقْمَقُصُ
أَزْدِيَةَ الْوَجَلِ ، وَأَيْنَ دُبَالَةُ السَّرَاحِ مِنَ الْكَوْكَبِ الْوَهَّاجِ ؟ وَالْجَدُولِ النَّاصِبِ مِنَ
الْبَحْرِ [٢١١] الْعَجَاجِ ؟

وَكَانَ عُمُرُ إِنْشَائِهَا فِي بُعْيِ لَيْلَةٍ ، لَا جَرَمَ أَنَّ الْإِتْقَانَ مَا جَرَّ عَلَيْهَا ذَيْلُهُ ،
وَلَا أَعْطَاهَا الْإِحْسَانَ حَيْلُهُ ؛ وَهِيَ : [من الكامل]

مَهْلًا فَإِنَّ الشَّرْعَ أَصْبَحَ يَزْدَهِي بِكَ فَرْحَةً وَالشَّعْرُ فِينَا قَدْ دُهِي (٢)
وَالْفَقْهُ لَمَّا أَنْ تَعَاظَمَ شَأْنُهُ بِعِلَاكَ لَمْ يَخْفَلْ بِذِكْرِ الْأَشْنَهِي (٣)
وَكَذَلِكَ الْمَعْقُولُ مَعْقُودُ الْعُرَى بِكَ لَمْ يُعْلَقْ بِنْدُهُ بِالْبَنْدَهِي (٤)
أَخْمَلْتُ أَرْبَابَ الْقَرِيضِ فَأَضْبَحُوا يُدْعَوْنَ بِالْمَجْنُونِ أَوْ بِالْأَبْلَه
أَمَّا الْوَلِيدُ فَشَابَ مِنْكَ وَهَكَذَا مُتَبَيِّئُ الْأَشْعَارِ لَمْ يَتَبَيَّه
وَصَرَعْتَ عَنْتَرَةَ الْفَوَارِسِ فَاثْنَتْنِي قَلَقًا يُسَادِي : يَا لَصَمْتِ الْأَفْوَه
لَوْ كُنْتُ تَفَخَّرُ بِالْقَرِيضِ تَوَجَّهْتُ مِنْكَ الْقَوَافِي نَحْوُ كُلِّ تَوَجَّه (٥)

(١) سقطت كلمة « فضل » من صدر البيت في أ . وفي م : . . . صارف كل مجد أرفع × .

(٢) في أ ، م ، × : . . . والشعر فينا . . . وفي م : × . . . قد زهي .

(٣) الأشنهبي : لعلة أحمد بن موسى بن جوشين ، أبو العباس ، كان فقيهاً فاضلاً ؛ توفي سنة ٥١٥ هـ .
(طبقات السبكي ٦/ ٦٦) أو : عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز ، صاحب الفرائض المشهورة .
وهما منسوبان إلى قرية أشنه بأذربيجان . (طبقات السبكي ٧/ ١٧١) .

(٤) البندهي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي الفقيه الشافعي الصوفي ؛ توفي سنة ٥٨٤ هـ . (وفیات الأعيان ٤/ ٣٩٠) .

(٥) في س : × . . . نحو كل تجوّه .

لكن عِلْمَتَ فلم تَزَلْ مُتَوَاضِعاً
وَسَعَلْتَ نَفْسَكَ بِالْحَقَائِقِ بُزْهَةً
قَلَمُ الشَّرِيعَةِ فِي بَصِيرَتِهِ كَمَا
هَذَا يَمِيسُ وَذَا يَمِيسُ مِنَ الْجَوَى
أَضْحَى الْوُجُودُ مُخْلَفاً بِأَصِيلِهِ
وَالْغُصْنُ فَوْقَ النَّهْرِ مَالٌ فَحَبَّذَا
يَا مَنْ تَرَفَّعَ شِعْرُهُ لَمَّا عَدَا
فُتَّ الْبَوَارِقُ وَهِيَ تُجْهِدُ نَفْسَهَا
وَعَلَوْتَ عَمَّنْ قَدْ عَدَا مُتَرَوِّباً
خَلَّ الْقَرِيبُ لَنَا نُجْرُغُ خَلَّهُ
وَاتْرُكْ لَنَا هَذِي الصَّنَاعَةَ نَزْتَرِقُ
فَالْتَجَمُ مَعْقُودٌ بِذِيكَ طَرْفُهُ
لَوْ شِئْتَ أَنْ تَضَعَ التُّجُومَ قَوَافِياً
بِقَصِيدَةٍ لَوْ كَانَ أَنْبُهُ شَاعِرٍ
لَوْ قِيلَ : أَيُّ قَصِيدَةٍ قَدْ رُيِّتَتْ
حَصَلَتْهَا مِنْ كَنْزٍ وَإِلَيْكَ الَّذِي
وَلِي الْقَضَاءُ بِسِيرَةٍ عُمَرِيَّةٍ
فَزِدْ غَدَا فِي الْبَحْثِ سَبْعاً أَغْلَبَا
كَمْ قَدْ أَبَانَ الْعَجَزُ يَوْمَ جِدَالِهِ
مَا جَاءَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ قَصْدَهُ

أَيْنَ اللَّطِيفُ مِنَ الْكَثِيفِ الْعُنْجُهِ
وَالْحَقُّ يَشْرُفُ لَا الْمَقَالُ التُّرْهِ
قَلَمُ الْقَرِيبِ غَدَا بِطَرْفِ أَكْمِهِ
شَتَّانَ بَيْنَ تَأَوُّدٍ وَتَأَوُّهِ
فَرِحاً وَحَقُّ لَهُ بِفَضْلِكَ يَنْتَهِي ^(١)
مُتَقَهِّقٌ يَبْدُو عَلَى مُتَقَهِّقِهِ
بَيْنَ الْكَوَاكِبِ عَنْ مَقَالِ مُزْهَرِهِ
سَبَقاً وَفِكْرُكَ فِي أَنَاءِ مُرْفِهِ
وَسَبَقَتْ بِالْإِحْسَانِ لِلْمُبْدَاهِ
فَالشَّهْدُ مَا شَاهَدْتُ لِلْمُتَقَهِّقِ
بِضَابَةِ مِنْ طَعْمِهَا الْمُسْتَهِّ
قَدْ رَاحَ بَيْنَ تَشَبُّثٍ وَتَشَبُّهِ
لَتَنَزَلَتْ طَوْعاً وَلَمْ تَتَنَزَّرْهُ
يَخْكِي فَصَاحَتَهَا لِأَضْبَحَ تَهْتَهِي
بِالنَّظْمِ فَوْقَ الْفَرْقَدَيْنِ ؟ لَقُلْتُ : هِيَ
بِكَمَالِهِ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ قَدْ رُهِ
وَالْعَدْلُ خَيْرٌ مُنَوَّعٌ لِمَنْوِهِ
مَا الطَّنْبِيُّ فِي اللَّفْيَا لَهُ بِمُجْهَجِهِ
مُسْتَوْدَعاً فِي خَضْمَةِ الْمُسْتَوْرِهِ ^(٢)
مَنْ يَشْكِي إِلَّا رَأَى مَا يَسْتَهِي

كَمْ سَمَّ سَهْمًا قِي قَضَاءُ حُكُومَةٍ
فَالْغَيْثُ يَزُورِي عَنْ عَطَايَا كَفِّهِ
أَمَّا الْحَدِيثُ فَإِنَّمَا هُوَ رُخْلَةٌ
وَالشَّافِعِيُّ الْأَشْعَرِيُّ مُبَرِّراً
قَدْ زَانَ بَسْطَةَ جِسْمِهِ وَعُلُومِهِ
خُذَهَا بِهَاءِ الدِّينِ نَفْثَةً نَاطِمِ
تَتَفَادُ فِي بُرْدِ الْفَصَاحَةِ رَقَّةً
خَالَصَتْ قَوَافِيهَا فَهَاءُ رَوِيَّهَا
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي لَمْ أَنْجَلِ
لَكِنْ إِذَا فَكَّرْتُ فِيمَا حُزَّتُهُ
فَأَنَا بِكَ الصَّبُّ الَّذِي مِنْ حُبِّهِ

وَرَمَى بِهِ فَأَصَابَ نَحْرَ السُّمَّهِ ^(١)
وَالْبَذْرُ يَخْجَلُ مِنْ مُحْيَاةِ الْبَهِي
فِيهِ فَلَا تَطْرُبُ لِذِكْرِ الْمَنْدَهِي ^(٢)
عَنْ قَوْلِ كُلِّ مُعْطَلٍ وَمُشَبِّهِ
فَالْعِلْمُ يَبْهِي تَحْتَ جِسْمِ بَهْهِي
قَدْ زَفَّهَا لَكَ فِي قَمِيصٍ لَهْلَه
وَتَشِفُّ عَنْ لَفْظٍ تَرَاهُ بَرَهْرَهِي
خَالٍ مِنَ الْإِضْمَارِ لَيْسَ بِهِ بِهِ
وُدِّي وَلَا أَنَا فِي هَوَاكَ بِمُكْرَه
أَمْسَيْتُ بَيْنَ تَفَكُّرٍ وَتَفَكُّهِ
أَضْحَى يَبْهِي وَجِسْمُهُ سَقْمًا يَبْهِي

● ثُمَّ إِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ نَظَّمْتُ قَصِيدَةً ، [٢١ ب] مَدَحْتُ بِهَا الْقَاضِي عَلَاءَ الدِّينِ
ابن فضل الله كَاتِبَ السَّرِّ الشَّرِيفِ ؛ وَهِيَ : [من الكامل]

حَاشَا عُهُودِي فِي الصَّبَابَةِ أَنْ تَهِيَ
يَا عَزَّ عِزِّي فِي هَوَاكِ مَذَلَّتِي
أَضْبَحْتُ مِنْكَ تَوَجُّعِي وَمِنْ الْعَجْفَا
فَتَرَفَّقْتَنِي بِي فِي الْهَوَى وَتَرَفَّقْتَنِي
قَدْ زَادَ فِيكَ تَأَلَّفِي بِتَأَلَّمِي
مَا تَلْتَقِي حَمَلَاتِ طَرْفِكَ مُهْجَتِي
فَالصَّبْرُ يَسْأَلُنِي إِذَا مَا سُمْتُهُ

أَوْ أَنْ يُحَسِّنَ لِي السُّلُوءَ فَأَنْتَهِي
وَتَوَلَّعِي بِكَ قَدْ قَضَيْتِ بَتَوَلَّعِي
تَوَجُّسِي وَإِلَى حِمَاكِ تَوَجُّعِي
عَنْ قَتَلْتَنِي وَعَنْ الصُّدُودِ تَرَفَّقْتَنِي
وَتَفَكَّرِي فِيكَ انْتَهَى لِتَفَكُّعِي
فَخَفَّنِي إِلَهْكَ فِي دَمِي يَا هَذِهِ
وَالْقَلْبُ إِنْ لَا يَتَنَّهُ لَا يَنْتَهِي

(١) فِي هَامِشٍ أ : أَيُّ الْمِبْطَلِ .

(٢) الْمَنْدَهِي : ابْنُ مَنْدَه ، الْحَافِظُ الْمَشْهُورُ .

(١) فِي م : × يَلْتَهِي .

(٢) فِي ب : × مَتَوَدَّعاً

ماذا يقول الواصفون وقد غدت
أما الشها فإلى جمالك قد سها
كخلاء أما أمرها في أذمعي
قد خصها الباري بلطف زائد
ولقد أقول وقد سرت أظعانها
يا من يريد الشمس قف لا تنخدع
من أين للشمس المنيعة مبسم
عطف علي قوامها يا من رأى
وتلفت نحوي بجيد أطلع
وصفي لها بروية ومدائح
ذي نسبة فرشية عدوية
فالعلم معلّم به لم يندرس
ما دبّر الأملاك مثل يراعيه
بسيادة مغبوبة وسياسة
وبلاغة لسموها ينجى لها
وفصاحة علوية علوية
وعلى عبارته طلاوة رونق
ويغوص في طلب المعالي ناقد
وكتابة مثل الأزاهر نضرة
بل كل حرف كوكب موقد
أقلامه مثل الحباب فلينه

(١) في أ : × عمن تحلت في المحافل . . .

تثني البدور على محياك البهي
وكذا المتقف قد بك قد دهي
فجري على عادات جفني الأمره
فتشف عن جسم براه برهرهي
ليلاً وجفن الصبح لم يتبّه
عمن تجلت في المحاميل فهي (١)
خلو المداقة طيب ألمي شهي
متأوداً يخنو على متأوه
بالله قل للطبّي لا تشبّه
لعلي بن فضل الله ذات تبّه
عمرية وإلى علي تنهي
رغياً له والحلم لم يسفه
حفظ النظام به فدام ولم يه
مضبوطة تغيا على المتفوه
ثمرا كل عبارة لم تجبه
نزل البليغ لها فأصبح تنهي
مترقبي الأمواه لم يسفه
ما يخفي بتفقد المتفقه
أو ما تراها غرة في الأوجه
قد صحّ ذلك بالقياس الأشبه
خط المحو وسمة للسهمي

وله معان كم أبان بيائها
وعقود نظم لو تعقل حسنها الـ
فكثير قد راح منها ناقصاً
يا من يحاول وصفه ازجج لا تقع
يا من يلوم نواله في بذله
أقول للغيث المثلث إذا همى
جم العطاء مع التيقظ للعلـ
يا من أتاح له الزمان خطوبه
لا تشكي صرّف الردى إلا إلى
إشرح له جور الزمان وكبده
فلو ارتحلت وسرت ما بين الملا
[٢٢] لم تلق مثل فخاره ونجاره
أفنى الليالي شكره وثناؤه
من سوء حظي البعد عن أبوابه
أما الذنوّ فإنه من بشره
قد يلفت السعد العنان فتمجي
يا سيّداً ملاً الزمان مهابة
خذاً متفحة القوافي أضحت
سلمت فما احتال الصمير لهايه

نكناً أقر لها البديع البدهي
مجنون لم تخطر ببال الأبله
وقضى لها الحكمي بصمت الأفوه
في مهمه لا ينتهي فمه مه
أسكت فما تدري إذا قلنا مه
مهلاً وقد روى بطاح المهمة
أسمعت قط بوهب بن مبه ؟
ورأى محاسنه بطرف أكمه
عليائه حتى ترى ما تشتهي
واشرح فلم يدرأه غير المذره
حتى يقول الناس هذا المندهي
بهما يسامرك النديم فتلهي (١)
فالناس بين مبخخ ومزهره (٢)
من لم يئل حظاً به لم يؤبه
بالروح منه فإنه لم يشره
عني قبائح حظي المشوه
لما تعاظم شأنه الشاهنشهي
أنس النديم وحضرة المتزّه
فيها ولم يختلها بتجوّه

(١) في م : . . . فخاره وثناؤه . ×

(٢) في م : . . . شكره وفخاره . ×

فَرَوَيْهَا مُتَحَرِّزٌ مُتَجَنِّبٌ مَكْرَ الضَّمِيرِ وَلَيْسَ فِيهِ بِمُكْرَهٍ^(١)
 إِنَّ الْعِمَادَ عَلَى وَجَاهَةِ فَضْلِهِ قَدْ قَالَ فِي بَعْضِ الْقَوَافِي وَجْهِهِ^(٢)
 وَتَعَمَّدَ الْمَمْلُوكُ فِيهَا غَلْطَهُ لَا بُدَّ مِنْ عَيْبٍ تَرَاهُ فَغَطَّطَهُ
 وَاسْلَمَ وَدُمَ مَا رَكَ شِعْرُ مُبَلِّدٍ فَأَتَاكَ يَحْمِلُهُ فَقُلْتَ لَهُ : هَيْهَيْ^(٣)^(١)

● وكتبْتُ أنا إليه وقد تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى ، وجاور بها في سنة ٧٦٠ وعادَ منها إلى القاهرة في سنة ٧٦١ : [من السريع]

جِئْتُ إِلَى الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ إِذْ جِئْتُ مِنْ مَكَّةَ لِلْقَاهِرَةِ
 فَلَيْهِنَهَا مِنْكَ الْغِنَى بَعْدَمَا قَدْ رُمِيتَ بِالْفَقْرِ وَالْفَاقِرَةِ
 دَجَّتْ لِيَالِهَا فَلَمْ تَتَبَلَّجْ شَوْقاً إِلَى أَنْجُمِكَ الزَّاهِرَةِ
 تَقَبَّلَ اللهُ تَعَالَى الَّذِي قَدْ أَخْرَزْتَ أَعْمَالِكَ الطَّاهِرَةِ
 وَلَمْ تَزَلْ يَرْفَعُكَ اللهُ فِي مَنَازِلِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
 كَمْ عُمْرَةٍ فِي الصَّوْمِ مَبْرُورَةٍ فَازَتْ بِهَا أَوْقَاتُكَ الْعَامِرَةِ
 وَكَمْ طَوَافٍ قَدْ طَوَّتْ فِي الدُّجَى وَفِي الضُّحَى أَشْوَاطُكَ الْمَاهِرَةِ
 أَقَرَّرْتَ عَيْناً فِيكَ غَادَرَتَهَا شَوْقاً عَلَى طُولِ الْمَدَى سَاهِرَةِ
 أَقُولُ فِي الصَّيْفِ إِذَا مَا بَكَتْ : يَا طُولَ هَذِي اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ
 لَمْ أَرْ عَيْناً بِالْبُكََا غَيْرَهَا تَخَجَّلُ مِنْهَا الْأَبْحُرُ الزَّاهِرَةِ
 فَبَرَّدَ الْآنَ لَظِي مُهَجَّتِي مِنْ حُرْقٍ فِي بَاطِنِي ظَاهِرَةِ
 وَابْعَثْ إِلَيَّ الْيَوْمَ نَفْسِي الَّتِي رَدَدْتَهَا بِالْأَمْسِ فِي الْحَافِرَةِ
 إِذَا أَتَى مِنْكَ كِتَابٌ إِلَيَّ عَبْدِكَ جَاءَتْهُ الْمُنَى سَافِرَةِ

(١) البيت ساقط من س .

(٢) سقط هذا العجز وصدر الذي يليه من ب ، فتلفق ما بقي .

(٣) وسقط ما بعد هذه القصيدة ، إلى نهاية الترجمة من ب ، س .

كَأَنَّ قَلْبِي غَابَ فِي جُنَّةٍ عَنِ الرَّدَى أَوْ جَنَّةٍ حَاضِرَةٍ
 أَوْ عَيْنِي الْقَرْحَى رَأَتْ فَرْحَةً أَوْ ذَهْنِي الْفَاتِرَ أَلْقَى تِرَةً
 وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الَّذِي طَرَسُهُ ضَمَّ فُنُونِ الْأَدَبِ الْفَاحِشَةِ
 وَسَلَّمِ الْأَقْوَامُ مِنْ عَجْزِهِمْ إِلَيْهِ حُسْنِ الْكَلِمِ السَّاحِرَةِ
 كَمْ نُكْتَةٍ فِي الْأَدَبِ الْمُتَنَقَّى جَاءَتْ بِهَا أَلْفَاظُكَ الْقَادِرَةِ
 تَغْلُو ذُرَى النَّظْمِ وَتَرْقَى فَعَنْ رُتْبَتِهَا يَنْحَدِرُ الْحَادِرَةِ^(١)
 لَا بَيْتَ إِلَّا وَالْبَدِيعُ انْطَوَى فِيهِ وَإِلَّا التُّكْتُةُ النَّادِرَةِ
 تَرَى الْقَوَافِي وَهِيَ فِي مَنَعَةٍ فَإِنْ دَعَا جَاءَتْ لَهُ صَاحِرَةِ
 قَدْ اطمَأْنَنْتَ مِنْهُ فِي بَيْتِهِ وَلَمْ تَكُنْ مِنْ قَلْقٍ نَافِرَةِ
 تَجْمَعُ شَمْلَ الْحُسْنِ لَا كَالَّذِي تُبْصِرُهَا فِي بَيْتِهِ حَائِرَةِ
 فَهُوَ قَرِيبُ شَائِعٍ فِي الْوَرَى سَارَتْ بِهِ أَمْثَالُهُ السَّائِرَةِ
 سُبْحَانَ مَنْ سَحَّرَ هَذَا لَهُ وَرَدَّنَا بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَزْوِهِ فَقَدْ أَمِنَا الزَّلَّةَ الْعَائِرَةِ

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ ، أَحْسَنَ اللهُ إِلَيَّ : [من السريع]

[٢٢ب] أَهْلًا بِهَا مِنْ رَوْضَةٍ نَاضِرَةٍ وَأَعْيُنِي بِاللُّطْفِ لِي نَاطِرَةٍ
 وَأُفْقٍ عَلِمَ أَشْرَقَتْ فِي الدُّجَى أَنْوَارُهُ بِالْأَنْجُمِ الزَّاهِرَةِ
 أَوْ قَهْوَةٍ حَلَّتْ وَحَلَّتْ عُرَى فَهَمِي لِحُسْنِ الْكَلِمِ السَّاحِرَةِ
 أَيْبَاتُ نَظْمٍ هَدَمَتْ لِلْوَرَى قُصُورَ فَهْمٍ وَاغْتَدَّتْ عَامِرَةِ
 وَصَيَّرَتْ أَشْعَارَهُمْ فَضْلَةً فَقُلْ دَوَابِنُهُمْ صَاحِرَةِ
 وَلَمْ تَقُمْ دَوْرٌ لَهَا بَعْدُ بَلْ دَارَتْ عَلَى أَبْحُرِهَا الدَّائِرَةِ

(١) الحادثة الدُّنْيَانِي : قطبة بن أوس ، شاعر جاهلي معروف . (ديوانه ٣٣) .

وحاذِرَ الشَّمَاخِ أَنْ يَغْتَلِي
 واشتَهَرَ بالحُسْنِ مَعَ أَهْلِهَا
 أَصْدَرَهَا صَدْرُ الْأَنَامِ الَّذِي
 يَقْصُرُ الْأَعْلَامُ عَنْهَا وَلَوْ
 شَيْخُ الْوَرَى وَاحِدُ عَصْرِ الْعُلَا
 وَمَنْ بِهِ الدَّهْرُ ازْدَهَى عَظْفُهُ
 لَهُ أَيْادٌ وَعُلَا لَمْ تَزَلْ
 تَكَادُ أَوْلَاهُنَّ مِنْ رَغْبَةٍ
 وَسِيرَةٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ قَدْ
 يَمْشِي بِهَا فِي الْأَرْضِ أَهْلُ التَّقَى
 يَا أَهْلَهَا الظَّنَّانُ رِدْ بَابَهُ
 وَيَا أَخَا التَّنَالِ بَادِرْ لَهُ
 شَوْقِي لَهُ وَالْوَجْدُ لَا يَنْقُضِي
 قَدْ قَهَرْتَنِي الشَّامُ فِي بُعْدِهِ
 وَكَمْ لَهُ عِنْدِي مِنْ نِعْمَةٍ
 لَا بَرَحَ الدَّهْرُ صَلَاحَ الْوَرَى
 فِي الْحَالِ وَالْعُقْبَى بَيْنِلِ الْمُنَى

● وكتبْتُ أنا إليه ، وقد ناب عنه في تدريس المنصورية ولده الشيخ الإمام

تقي الدين أبو حاتم ، في سنة ٧٦٣ : [من السريع]

فَوَائِدُ الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ جَدَّدَهَا دَرْسُ أَبِي حَاتِمٍ

(١) في أ : × . . . الأعين الساهرة ! . والمثبت من م .

(٢) في م : . . . من بعده × .

أَكْرِمَ بِهِ ابْنًا لِأَبٍ مَا جِدَ
 الْمُزْتَضَى ابْنُ الْمُجْتَبَى الْمُفْتَى
 يَا أَهْلَ سُبُكٍ وَبِدَائِي لَكُمْ
 بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَكَسْبِ الثَّنَا
 بِهَاؤُكُمْ لَوْ رُمْتُ أَحْصِي الثَّنَا
 أَقْتَى فَمَا خَالَفَهُ حَاكِمٌ
 قَدْ جَمَلَ الدَّهْرَ بِأَفْعَالِهِ
 يَرُوي عن الصَّادِقِ فِي وَغْدِهِ
 عَارٍ مِنَ الْعَارِ وَكَمْ نَشَرَ الثَّ
 وَتَاجُكُمْ قَاضٍ غَدَا فَضْلُهُ
 وَذُو التَّصَانِيفِ الَّتِي شَرَقَتْ
 وَالرَّافِعِي إِنْجَرَ إِلَى خَلْفِهِ
 وَرُبَّ حَرَّانٍ حَمَاهُ ظَمَا
 وَنَجْمُكُمْ هَذَا رَأَيْنَا السُّهَى
 [٢٣] فَهُوَ ابْنُ حَبَّانٍ إِمَامُ الْوَرَى
 قَدْ أَتَقَنَ الْآدَابَ حَتَّى لَقَدْ
 يَسْرُدُ أَسْمَاءَ الرَّجَالِ الَّتِي
 وَسَادَ فِي عَصْرِ الصَّبَا مَعْشَرًا

كَمْ مِنْ ثَنَاءٍ بِاسْمِهِ بِاسِمِ
 الْعَالِمِ ابْنِ الْفَاضِلِ الْعَالِمِ
 يَزُوي الشَّدَا عَنْ عَرْفِهِ النَّاسِمِ
 نَصَرْتُمْ دِينَ أَبِي الْفَاسِمِ
 عَلَيْهِ أَتَعَبْتُ يَدَ الرَّاقِمِ^(١)
 وَلَوْ يَكُونُ الْحَاكِمَ الْفَاطِمِي
 تَجَمَّلَ الْخِنْصَرِ بِالْخَاتِمِ
 وَيَقْتَدِي فِي الْغَيْظِ بِالْكَاطِمِ
 ثَنَا عَلَيْهِ حُلَّ النَّاطِمِ^(٢)
 يَزُوي لَنَا « مُسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ »^(٣)
 وَغَرَّكَ مَا بَيْنَ ذَا الْعَالِمِ
 وَلَمْ يَكُنْ فِي الثَّقَلِ بِالْجَارِمِ
 فَقَرَّ فَمَا صَارَ إِلَى حَارِمِ
 سَهَا لَهُ فِي لَيْلِهِ الْعَاتِمِ
 أَوِ السَّجِسْتَانِي أَبُو حَاتِمِ
 بَحَلَّ فِينَا أَذَبَ الْحَاتِمِي
 فَرَطَ فِي إِتْقَانِهَا الْحَازِمِي
 أَكْبَرُهُمْ فِي رُتْبَةِ الْخَادِمِ

(١) سقط صدر البيت من م .

(٢) في م :

عارٍ من العار ونشر الثنا عليه من حلل الناطم (٢) وفي هامشه : هكذا في الأم .

(٣) المستدرک علی الصحیحین ، للحاکم النیسابوری .

فَمَا لِلْمُ الشَّافِعِي مِثْلُهُ
فَيَا بَنِي الشُّبْكِيِّ قَدْ سُدَّتُمْ
لَوْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ ذَا لَمْ يُقَلَّ :
قَامَتْ بِكُمْ سُوقُ الْعُلَا فِي الْوَرَى
تَزُورُونَ فِيهَا الْجُودَ عَنْ نَافِعٍ
قَصَّزْتُ فِي مَدْحِي عُلاَكُمْ وَلَوْ

شَيْخٌ وَلَمْ يَتْلُغْ مَدَى الْحَالِمِ
فَمَنْ تَمِيمٌ وَبَنُو دَارِمِ
« خُزَيْمَةُ خَيْرُ بَنِي خَازِمِ » (١)
وَالنَّاسُ مَا زَالُوا مَعَ الْقَائِمِ
وَفِي الرَّدَى تَزُورُونَ عَنْ عَاصِمِ
أَتَيْتُ بِالصَّادِحِ وَالْبَاغِمِ (٢)

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من السريع]

شُكْرًا مِنَ الْعَبْدِ أَبِي حَاتِمٍ
مَنْظُومَةً مِنْ تَشْرِيرِ دُرِّ أَتَتْ
جَاءَتْ عَلَى شَرْطِ افْتِرَاحِي الَّذِي
حَلِيَّةٌ مُسْتَعْنٍ لِمَضَرِّ أَتَتْ
جَاءَتْ مِنَ الْبَحْرِ بِأَصْنَافٍ مَا
كَأَنَّهَا الرُّوضُ بِكَاهِ النَّدَى
فِي النَّظْمِ وَالْجُودِ سَمَتْ وَازْدَرَتْ
رَوَتْ حَدِيثَ الْعِلْمِ فَالْقَلْبُ قَدْ
فَقُلْ لِمَنْ يَطْمَعُ فِي مِثْلِهَا :
كُنْزٌ عَنْ نَظْمِهَا قَلَّ بَلْ

عَلَى جَمِيلٍ لِلدُّعَا حَاتِمِ (٣)
تَهَزَّأُ بِالنَّائِثِ وَالنَّاطِمِ
كَانَ لِفَعْلِ الْحَمْدِ كَالْجَازِمِ
فِي قِطْعٍ مِنْ تَحْفِ الْقَادِمِ
يُهْدَى فَقُلْ فِي قِطْعِ الْكَارِمِ
فَافْتَرَّ ثَغْرُ الزَّهْرِ الْبَاسِمِ
بِالْجُودِ أَوْ بِالْأَدَبِ الْحَاتِمِ
حَامٌ وَأَزُوتٌ غُلَّةَ الْحَائِمِ
أَنْتَ بِوَجْهِ الْمَاءِ كَالرَّاقِمِ
أَكْدَى فَقُلْ مَسْكِينُ الدَّارِمِ

(١) العجز صدر بيت لأبي نواس : [ديوانه ١/ ٢٨٨]

خزيمه خير بني خازم وخازم خير بني دارم

ودارم خير تميم ومما مثل تميم فسي بني آدم

(٢) الصادح والباغم : اسم كتاب لابن الهيثمي . (كشف الظنون ٢/ ١٠٦٩) .

(٣) في م : خاتم .

لَوْ رَامَهَا عَمَرُو دُعَى ظَالِمًا
عَادَ بِهَا لِي يَوْمَ عَيْنِدِ فَعَنْ
فَكَمْ بِهَا بَيْتٌ عُلا شَادَهُ
خَبِرَ كَرِيمٍ مَا جِدَ أَرْوَعَ
شَيْخٌ عُلُومٍ صَارَ فِي دَهْرِهِ
يُقَصِّرُ الْأَعْلَمُ عَنْ نَحْوِهِ
كَذَا الْمَعَرِّي زَعِيمُ الْعُلَا
حَتَّى أَبُو الْأَسْوَدِ عَنْهُ وَنَى
بِخِذْمَةِ الْعِلْمِ يَسُودُ الْوَرَى
ذُو رَاحَةٍ لِلْعُدْمِ مِنْ جُودِهَا النَّدَى
مَاءُ النَّدَى مِنْهَا جَرَى ثُمَّ كَمْ
فَعَلَ النَّدَى مِنْهَا تَعَدَّى إِلَى
وَنُورُ عِلْمٍ لَاحَ مَا مَا جَدُّ
إِنْ عَمَّ خَطْبُ فَازَوْ مِنْ عِلْمِهِ
قَامَ بِلا دُنْيَا لِنَفْعِ الْوَرَى
وَحُبُّهُ عَمَّ جَمِيعَ الْوَرَى
فَمَنْ خَلَا مِنْ حُبِّهِ قَلْبُهُ
يَا سَيِّدِي قُلْ لِي مَتَى أَرْتَوِي
وَأَجْتَلِي ذَاكَ الْمُحْيَا الَّذِي
فِي زُورَةٍ تَمِيمُونَ لَمْ يَكُنْ
[٢٣] ب [تَمْنَحُ ضَرْعُ الْهَمِّ فِيهَا لِمَنْ

كَاسِمِ أَبِيهِ قَبْلَهُ ظَالِمِ (١)
كَأْسِ التَّصَابِي لَسْتُ بِالصَّائِمِ
خَيْرُ إِمَامٍ لِلرَّدَى هَادِمِ
بَخِرَ خِصَمٌ عَامِلُ عَالِمِ
مَنْ غَيْرَ خَلْفٍ عَالِمِ الْعَالِمِ
قُصُورَ قَدْ مَ لَيْسَ بِالْفَاهِمِ
لِثُورِهِ فِي النَّظْمِ كَالْغَارِمِ
فَلَيْسَ يُدْعَى بِسِوَى ظَالِمِ
مَا سَيِّدُ الْقَوْمِ سِوَى الْخَادِمِ
نَاسِخٌ وَالْمَنْسُوخُ لِلْحَازِمِ
فِي الْوَجْهِ مِنْ مَاءِ حَيَا دَائِمِ
كُلٌّ وَمَنْعٌ ذَا صِفَةٍ بِاللَّازِمِ
لَهُ لِسْمُوسِ الْأُفُقِ بِالْعَادِمِ
عَنْ نَافِعٍ فِي الدُّنْيَا أَوْ عَاصِمِ
فَكَيْفَ وَالدُّنْيَا مَعَ الْقَائِمِ
كَطَيْبِ كَأْسِ الْمَاءِ لِلطَّاعِمِ
فَلَيْسَ عِنْدِي مِنْ بَنِي آدَمِ
مِنْكَ بِوَجْهِ الْقَادِمِ الْغَانِمِ
يَخْنِي وَيَجْلُو كَدَرَ الْهَائِمِ
صَاحِبُهَا لِلصَّخْبِ بِاللَّائِمِ
عَادَى وَقَزَعُ السَّنِّ لِلنَّادِمِ

(١) إشارة إلى اسم أبي الأسود الدؤلي : عمرو بن ظالم .

أَشْكُو إِلَى الدَّهْرِ جَفَاكُمْ وَمَا
وَالْحَزْمُ قَبْلَ الْعَزْمِ فَانْهَضْ إِلَى
وَأَشْرَبَ مِنَ الْمَلَأَحِ فِي النَّيْلِ مَا
وَالشَّامَ فَاغْدِلْ عَنْ مَلَايِيهِ
لَا جَعَلَ اللَّهُ أَنْتَظَارِي لَكُمْ
قَدُمُ بِرَغَمِ الْقَدَمِ شَانِكُمْ
لَا يَفْتَحُ الرَّاحَةَ عَنْ طَاعَةِ

١٣ * أحمد بن محمد بن قرصة^(١) :

● شهاب الدين بن شمس الدين الأنصاري ، الصعيدي الأصل ، المصري المولد .

● كَتَبَ إِلَيَّ عِدَّةَ قَصَائِدَ ، مِنْهَا قَوْلُهُ^(٢) : [من الكامل]

مَا لِي أَرَى الشُّعْرَاءَ تَكْسِبُ عَارًا
مَدَحُوا الْأَخِيَاءَ اللَّثَامَ فَضَيُّعُوا الدَّ
فَلِذَاكَ طُفْتُ بِبَابِ كُلِّ مُهَذَّبٍ
وَجَعَلْتُ فِي حَلَبِ الشَّامِ إِقَامَتِي
وَلَكُمْ دَعَا مَدْحِي نَوَالُ مُعْظَمِ
حَتَّى وَجَدْتُ لَهَا إِمَامًا عَالِمًا
لَوْلَا صَلَاحُ الدِّينِ لَمْ أَرِ جَلْفًا
بِهَجَائِهِمْ وَتَحَمَّلُوا أَوْزَارًا
أَشْعَارَ لَمَّا أَرْخَصُوا الْأَشْعَارَا
وَجَعَلْتُ شِعْرِي فِي الْكِرَامِ شِعَارَا
يَا حَبْذَا دَاوُ الْكِرَامِ جَوَارَا
فَأَبْتُ عُتُوءًا عَنْهُ وَاسْتِكْبَارَا
أَوْصَافُهُ تَسْتَغْرِقُ الْأَشْعَارَا
وَلَكُنْتُ مِمَّنْ جَانِبَ الْأَسْفَارَا

أَسْدَى الْمَكَارِمِ مَنْ أَكْفَتْ لَمْ يَزَلْ
وَصَنَائِعًا غُرًّا أَفْذَنَ مَنَاحِيَا
فَوَجَدْتُ فِي إِجْمَالِهِ وَجْمَالِهِ
مَوْلَى عَدْتُ يُمْنَاهُ يُمْنًا لَامْرِيءَ
حَلَى الزَّمَانَ وَكَانَ قَدَمًا عَاطِلًا
وَحَوَى مَعَالِي فِي دَمَشَقٍ مُقِيمَةً
بَلَّغْتُ بِهِ رُتْبًا قَرَعْنَ مَحَلَّةَ
زَانَتْ فَضَائِلُهُ بَدَائِعَ نَظْمِهَا
وَمُظَلِّقُ الْأَقْلَامِ كَمْ أُرْدَى بِهَا
عَجَبًا لَهَا تَجْرِي بِأَسْوَدَ فَاحِمِ
تَمْضِي بِحَيْثُ تَرَى الشُّيُوفَ كَلِيلَةً
تَجْرِي بِوَاحِدِهَا ثَلَاثَ سَحَابٍ
وَتَمُدُّهُ بِالْفَضْلِ حِينَ تَمُدُّهُ
إِنْ رَامَ نَائِلُهُ الْعُقَاةَ أَمَدَّهُ
مَلَأَ الْكِتَابَ تَهْدُدًا فَكَأَنَّمَا
تَجْنِي النَّوَاطِرُ مِنْ مَحَاسِنِ خَطِّهِ
خَطُّ رِمَاحِ الْخَطِّ مِنْ خُدَامِهِ
وَبِلَاغَةُ تَضْحَى بِأَذْنَى فِقْرَةٍ
وَيَشِيمُ رُؤَادُ النَّدَى مِنْ بَشِيرِهِ

مَعْرُوفُهَا يَسْتَعِيدُ الْأَخْرَارَا
عُونًا وَلَذَنَ مَدَائِحًا أَبْكَارَا^(١)
مَا يَمْلَأُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَا^(٢)
يَبْغِي نَوَالًا وَالْيَسَارُ يَسَارَا
وَأَعَادَ لَيْلَ الْأَمِلِينَ نَهَارَا
وَحَدِيثُهَا يَبْنِي الْوَرَى قَدْ سَارَا
أَمَسَتْ نُجُومُ سَمَائِهَا أَقْمَارَا
كَمْ مَغْصَمٍ أَضْحَى يَزِينُ سِوَارَا
مَلِكًا وَخَوْفَ جَخْفَلًا جَرَّارَا
يَكْسُو الطُّرُوسَ ظِلَامُهُ الْأَنْوَارَا^(٣)
وَتَطُولُ حَيْثُ تَرَى الرِّمَاحَ قِصَارَا
تَحْوِي الصَّوَاعِقَ وَالْحَيَا الْمَذَارَا
بِيَدَيْهِ لَا تُتَعَبُ الْأَفْكَارَا
كَرَمًا وَإِنْ رَامَ الْحَمِيْسُ مُغَارَا
مَلَأَ الْكِتَابَ أَسْنَةً وَشِعَارَا
رَوْضًا وَمِنْ أَلْفَاظِهِ أَزْهَارَا
إِنْ رَامَ دَمْرًا أَوْ أَعَزَّ ذِمَارَا^(٤)
تُغْنِي فَقِيرًا أَوْ تَقْدُّ فَقَارَا
بَرْقًا وَمِنْ إِخْسَانِهِ أَمْطَارَا

(١) في أ ، م : × . . . منائحاً أبكارا . وفي م : . . . مدائحاً × .

(٢) في ب : . . . في إجلاله وجماله × .

(٣) في م : × . . . أنوارا .

(٤) دمرًا : هلاكًا .

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٥١/١ والوافي بالوفيات ٨٣/٨ والذعر الكامنة ٢٩٣/١ .

- قتل بدمشق سنة ٧٥٢ هـ . ومولده بصعيد مصر سنة ٦٩٩ هـ .

- اسمه في أ ، م : أحمد بن يحيى بن قرصة .

(٢) القصيدة في أعيان العصر والوافي .

بِشَرِّ يُبَشِّرُ بِالْجَمِيلِ وَعَادَةُ الدَّ
وَنَدَى يَعْظُمُ وَلَا يَخْصُ كَأَنَّهُ
يَسْتَصْغِرُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ إِذَا عَرَا
وَيَرُدُّ غَرْبَ الْحَادِثَاتِ مُفْلِلًا
[٢٤] كَمْ ذَلَّكَتْ صَعْبًا وَرَدَّتْ ذَاهِبًا
وَلَقَدْ عَرَفْتُ النَّاسَ مِنْ أَوْطَارِهِمْ
يَا مَنْ عَرَفْتُ بِجُودِهِ وَجَهَ الْغِنَى
أَغْنَيْتَنِي بِمَوَاهِبِ مَوْضُوعِهِ
لَا زِلْتُ فِي عِزِّ يَدُومٍ وَنِعْمَةٍ

أَزْهَارٍ أَنْ تَتَقَدَّمَ الْأَثْمَارَا
هَامِي قِطَارٍ طَبَّقَ الْأَقْطَارَا
بِعَزِيمَةٍ تَسْتَسْهِلُ الْأَوْعَارَا^(١)
بِسَعَادَةٍ تَسْتَخْدِمُ الْأَقْدَارَا
وَحَمَتِ أَذَلَّ وَذَلَّكَتِ جَبَّارَا
سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْوَرَى أَطْوَارَا
حَقًّا وَكُنْتُ جَهْلَتُهُ إِنْكَارَا
لَمْ تُبْقِ لِي عِنْدَ الْحَوَادِثِ ثَارَا
تُوفِي عَلَى شَمِّ الْجِبَالِ وَقَارَا

● فَكَتَبْتُ أَنَا جَوَابَهُ عَنْ ذَلِكَ ارْتِجَالًا^(٢) : [من الكامل]

يَا شَاعِرًا مَلَأَ الطُّرُوسَ نَهَارَا
لَمْ تُهْدِ لِي نَظْمًا بَدِيعًا إِنَّمَا
فِي كُلِّ شَطْرِ بُرْجٍ سَعْدٌ ثَابِتٌ
لَا أَرْتَضِي بِالرَّوْضِ تَشْبِيهًا لَهُ
فَلَقَدْتَنِي مِنْهُ قِلَادَةً مِنْهُ
يَغْنَى النَّدِيمُ بِهِ فَإِنَّ قَوَافِيَا
وَتَرَى اللَّيْبَ إِذَا تَعَاطَى فَهْمُهُ
فَكَانَ ذَاكَ الطُّرْسَ وَجَنَةً أَعْيَدُ
فَاعْزِزْ شِهَابَ الدِّينِ مَنْ تَقْصِيرُهُ

وَأَسَالَ فِيهِ مِنَ الدُّجَى أَنْهَارَا
أَهْدَيْتُهُ فَلَكَا أَرَاهُ مُدَارَا
تَبْدُو مَعَانِيهِ بِهِ أَقْمَارَا
إِنَّ الزَّوَاهِرَ تَفْضُلُ الْأَزْهَارَا
تَسْتَوْقِفُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَا
مِنْهُ تُدِيرُ لِمَسْمَعَيْنِهِ عُقَارَا^(٣)
لَمْ يَذْكُرِ الْأَوْطَانَ وَالْأَوْطَارَا
وَالسَّطْرُ فِيهِ قَدْ أَسَالَ عِذَارَا
أَضْحَى يُلْفَقُ عِنْدَكَ الْأَعْذَارَا

أَنَا لَا أُطِيقُ جَوَابَ مَنْ أَشْعَارُهُ
وَإِذَا جَرَى فِي حَلْبَةٍ قَصَزْتُ عَنْ
إِنَّ الْغَدِيرَ وَإِنْ تَعَاظَمَ قَاصِرٌ
وَكَذَا أَخُو النَّظْمِ الْمُزَلْزَلِ رُكْنُهُ
فَخُذِ الْقَلِيلَ إِجَابَةً وَإِجَارَةً
وَاعْتَدِ أَنَّكَ لَمْ تَزُرْ فِي جِلْقِي
فَلَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّي لَمْ أَرْضَهَا
مَا قَدَرُهَا مِثْلَ لَوْ أَنِّي سَفْتُهَا

تَنْهَلُ حِينَ يَرُومُهَا أَمْطَارَا
غَايَاتِهِ بَلْ لَا أَشُقُّ غُبَارَا^(١)
عَنْ أَنْ يُقَاوِمَ بَحْرَكَ الزَّخَّارَا
لَا يَسْتَكِرُّ مَعَ الْجِبَالِ قَرَارَا
وَاعْزِزْ فَمِثْلُكَ مَنْ أَقَالَ عِثَارَا
أَحَدًا وَأَنَّكَ جِئْتَ تَقْبِسُ نَارَا
لَوْ أَنَّ دِزْهَمَهَا عَدَا دِينَارَا
إِبْلًا تَكُونُ حُمُولُهُنَّ بَهَارَا

● وَكَتَبَ هُوَ أَيْضًا^(٢) : [من المتدارك]

كَمْ سَيْفُ النَّظْمِ أُجِرْدُهُ
كَمْ أَنْظَمُ عَقْدَ جَوَاهِرِهِ
كَمْ أَجْمَعُ مِنْ مَعْنَى حَسَنِ
وَإِذَا أَفْسَدْتُ قَوَاعِدَهُ
حَبْرٌ بِخَرٍّ كَمْ فَاضٍ نَدَى
طَابَتْ فِي الذَّرِّ عَنَاصِرُهُ
لِسَمِي خَلِيلِ اللَّهِ نَدَى
وَلَهُ قَلَمٌ رَطْبٌ وَتَصَا
فَالْفَاضِلُ دُونَ عِبَارَتِهِ

كَمْ أَشْهَرُهُ كَمْ أُغْوِدُهُ
فِي مَدْحِ كَرِيمٍ أَقْصِدُهُ
وَيَبَانُ الشَّرْحُ يُشِيدُهُ
فَصَلَاخُ الدِّينِ يُسَدِّدُهُ
إِنْ غَاضَ الْبَحْرُ جَرَتْ يَدُهُ^(٣)
وَرَبَا مَرْبَاهُ وَمَوْلِدُهُ
لِذَوِي الْحَاجَاتِ تَفْقُّدُهُ
نَيْفٌ فِي الْبَحْثِ تُؤَيِّدُهُ^(٤)
وَكَذَا سَخْبَانُ وَمَغْبَدُهُ

(١) في م : فإذا جرى . . . × .

(٢) هذه القصيدة تُسَمَّى : قَطَرُ الْمِيزَابِ . وقد اكتفى الصَّفْدِي فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَابْنِ حَجَرٍ بِإِيرَادِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى مِنْهَا .

(٣) في ب : . . . كَمْ فَاقَ نَدَى . × .

(٤) في م : وَلَكُمْ قَلَمٌ رَطْبٌ وَتَصَانِيفٌ . . .

(١) في م : . . . إِذَا غَدَا × .

(٢) القصيدة فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

(٣) في م : . . . كَانَ قَوَافِيَا × . وَفِي هَامِشِهِ : فِي الْأَمِّ : فَإِنَّ .

وَصِيَانَهُ سِرِّ الْمُلْكِ لَهُ
غَرَسٌ وَالْعَبْرُ طَيْتُهُ
فَالْوَزْدُ عَلَى خَدَّيْهِ وَمِنْ
وَصْلَافَةِ نَفْسٍ قَدْ شَرُفَتْ
يَا مَنْ أَنْشَأَهُ اللَّهُ عَلَى الْ
بِالْبَرْدِ تَرَدَّدَ لِي كَانُوا
وَالْبَرْدُ يَشُقُّ عَلَى الْعُزْبَا
لَوْ كَانَ الْبَرْدُ حَدِيداً كُنْتُ
لَا تَسْأَلُ عَنْ شَخْصِي أَحَدًا
جِسْمِي وَرَقٌّ وَابْتَلَّ عَسَا
جَسَدٌ بِالنَّارِ تَحَرَّقَهُ
فَنَسِيمُ الصُّبْحِ يُشْرِخُهُ
وَيَطْوِلُ اللَّيْلُ عَلَى سَهْرِي
وَقِمَاشِي كَانَ لَهُ صَافَتْ
[٢٤ب] فَأَتَتْ فِي اللَّيْلِ لَهُ الْأَمْطَا
فَنَقُوطُ الدَّلْفِ يُصْفَرُهُ
فَاصْلِحْ حَالِي وَانْعِمْ بَالِي
فَاللَّهُ يُدِيمُ لَكَ الْإِفْضَا

قَيْدٌ فِي الْقَلْبِ يُخَلِّدُهُ
فَلَذَلِكَ جَلٌّ تَجَسَّدُهُ^(١)
إِشْرَاقِ الشَّمْسِ تَوَقُّدُهُ
وَمَكَارِمُ خُلُقِي يَغْضُدُهُ
إِنْشَاءً فَأَغْدَبَ مَوْرَدُهُ
نُ فَشَقَّ عَلَيَّ تَرَدُّدُهُ
نِ وَلَيْلُ الصَّخْوَةِ أَبْرَدُهُ^(٢)
سُتٌ بِحَدِّ الْمِبْرَدِ أَبْرَدُهُ^(٣)
شَخْصٌ كَالْمَيِّتِ تُلْجِدُهُ
كَ بِنِغْضِ فِرَاكِ تَجَلُّدُهُ
وَبِدَقِّ الْفَخْمِ تَرْمَدُهُ
وَجَلِيدُ الْأَرْضِ يُقَدِّدُهُ
فَأَقُولُ : مَتَى يَأْتِي غَدُهُ
بِيَخُورِ الْعُودِ أَعْوَدُهُ
رُفَا خُلُقٍ مِنْهُ تَجَدُّدُهُ^(٤)
وَدُخَانُ النَّارِ يُسَوِّدُهُ
فَبِصَادِ صَلاَحِكَ تُزْشِدُهُ
لِ وَبِالتَّغْمَاءِ يُؤَيِّدُهُ

- (١) في ب : وغراس العنبر . . . ×
(٢) في م : × وليل الصبح . . .
(٣) سقط هذا البيت من ب .
(٤) في أ ، م : × . . . تجلده .

١٤ * أحمد بن محمد^(١) :

الأمير الأجل شهاب الدين ، المعروف بالحاجبي .

● أَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِسُوقِ الْكُتُبِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ ٧٣٨^(٢) : [من

البيط]

أَقُولُ : شَبَّهَ لَنَا جَيْدَ الرَّشَا تَرْفَأُ يَا مُعْمِلَ الْفِكْرِ فِي نَظْمٍ وَإِنْشَاءٍ
فَظَلَّ يُجْهِدُ أَيَّاماً قَرِيبَ حَتِّهِ « وَشَبَّهَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْمَاءِ »
فَقُلْتُ لَهُ : أَطْلَقْتَ الرَّشَا هُنَا ، وَلَوْ قُلْتَ : الرَّشَا الَّذِي سَبَانِي ، أَوْ جَيْدَ
مُعَذِّبِي ؛ لَكَانَ أَفْعَدَ فِي التَّوْطِئَةِ .

● ثُمَّ أَنشَدَنِي فِيمَا بَعْدَ لِنَفْسِي^(٣) : [من البيط]

أَقُولُ : شَبَّهَ لَنَا كَأْساً إِذَا مَرَجَ السُّدُ سَاقِي طَلَاهَا اِهْتَدَى فِي لَيْلِهِ السَّارِي
فَظَلَّ يُجْهِدُ أَيَّاماً قَرِيبَ حَتِّهِ وَشَبَّهَ النَّارَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالنَّارِ
فَقَالَ : إِلَّا أَنَّنِي أَنَا أَتَيْتُ بِالْمَثَلِ السَّائِرِ .

● فَأَنشَدَنِي فِيمَا بَعْدَ لِنَفْسِي^(٤) : [من البيط]

أَتَى الْحَبِيبُ بِوَجْهِ جَلٍّ خَالِقُهُ لَمَّا بَرَاهُ بِلُطْفٍ فِتْنَةَ الرَّائِي
فَلَاحَ شَخْصٌ عَدُولِي وَسُطَّ وَجَنَّتِهِ فَقُلْتُ : شَبَّهَ لِي فِي فَرْطٍ لِأَلَاءِ^(٥)

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٦٦/١ والوافي بالوفيات ١٦١/٨ والذَرر الكامنة ٣١٢/١ والمنهل
الصابي ١٨٨/٢ والدليل الشافي ٨٧/١ .

ـ وفاته سنة ٧٤٩ هـ . ومولده بعد السبعمة بمدة .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي والغيث المسجم ١٥٧/١ .

(٣) البيتان في أعيان العصر .

(٤) الأبيات في أعيان العصر .

(٥) سقط هذا البيت من ب .

فَظَلَّ يُجْهِدُ أَيَّاماً قَرِيحَتَهُ وَشَبَّهَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْمَاءِ^(١)

● وَلَمَّا سَمِعَ قَوْلِي^(٣) : [من الكامل]

قَالَتْ لِأَبِيرِي وَهُوَ فِيهَا ضَائِعٌ كَالْحَبْلِ وَسَطَ الْبُثْرِ إِذْ تُلْقِيهِ :
قَدْ عَشْتُ فِي كَسٍّ كَبِيرٍ ، قُلْتُ : مَا كَذَبْتُ ، لِأَنَّ الْكَافَ لِلتَّشْبِيهِ

قَالَ هُوَ مُخْتَصِرٌ ، وَأَجَادَ^(٤) : [من السريع]

رُبَّ صَغِيرٍ حِينٍ وَلَفْتُهُ أَتَقْنْتُ لَا يُدْخِلُ إِلَّا الْيَسِيرَ
أَلْفَيْتُهُ كَالْبُثْرِ فِي وَسْعِهِ حَتَّى عَجِبْنَا مِنْ صَغِيرٍ كَبِيرٍ

● وَكَذَا لَمَّا سَمِعَ قَوْلِي^(٥) : [من الكامل]

يَا طِيبَ نَشْرِ هَبِّ لِي مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَنَارَ كَامِنَ لَوْعَتِي وَتَهْتِكِي
أَدَى تَحِيَّتِكُمْ وَأَشْبَهَ لُطْفَكُمْ وَرَوَى شَذَاكُمْ إِنَّ ذَا نَشْرِ ذَكِي

● نَظَّمَهُ أَيْضاً ، وَقَالَ^(٦) : [من الكامل]

لَا تَبْعَثُوا غَيْرَ الصَّبَا بِتَحِيَّةٍ مَا طَابَ فِي سَمْعِي حَدِيثُ سِوَاهَا
حَفِظْتُ أَحَادِيثَ الْهَوَى وَتَصَوَّعْتُ نَشْراً فَيَا لَلَّهِ مَا أَذْكَاهَا

وَلَمَّا أُنْشِدْنَاهَا قُلْتُ لَهُ : إِلَّا أَنَّكَ نَقَصْتَهَا صِفَةً عَمَّا وَصَفْتُهَا بِهِ ؛ فَاعْتَرَفَ .

١٥ * أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عماد الدين أبي الحرم مكِّي بن مسلم ابن
أبي الخوف^(١) ، شهاب الدين :

● كَتَبَ إِلَيَّ وَنَحْنُ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ ٧٣٦^(٢) : [من الطويل]

أَيَا سَيِّدَا سَادَ الْوَرَى بِفَضَائِلِ تَنَاهَتْ فَمَا أَضْحَى لَهْنٌ عَدِيلُ
تَقَمَّصَتْ ثَوْبَ الْعِلْمِ وَالْجَلْمِ وَالْتَدَى فَأَنْتَ صَلاَحٌ لِلْوَرَى وَخَلِيلُ
وَلَسْتَ خَلِيلاً بَلْ خَلِيجاً لِوَارِدِ غَلِطْتُ فَسَامِخْنِي فَنِيْلُكَ نِيْلُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ^(٣) : [من الطويل]

أَيَا ابْنَ أَبِي الْخَوْفِ الَّذِي أَمِنْتُ بِهِ طَرَائِقُ نَظْمٍ وَاسْتَبَانَ دَلِيلُ
لَقَدْ فَتَّ غَايَاتِ الْأُولَى سَبَقُوا إِلَيَّ نِهَائَاتِ فَضْلِ مَا لَهْنٌ سَبِيلُ
فَأَنْتَ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ كَثِيرٌ وَرَأَيْكَ فِي النَّظْمِ الْبَدِيعِ جَمِيلُ^(٤)

١٦ * أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المُجَلِّي بن دَعْجَان بن خَلَف
ابن أَبِي الْفَضْلِ نَصْر بن مَنْصُور^(٤) :

القاضي شهاب الدين ، أبو العباس ، ابن القاضي مُحْيِي الدين ، صاحبُ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٦٤/١ والوافي بالوفيات ١٦٠/٨ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٥٦٦/١
والدّرر الكامنة ٢٥٦/١ .

- وفاته سنة ٧٤٩ هـ وله أربعون سنة تقريباً .

(٢) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٣) في س : فأنت على هذا الزمان . . . والإشارة إلى الشاعرين : كُتِبَ عَزَّةً وَجَمِيلُ بَشِينة .

(٤) ترجمته في : المعجم المختص ٤٥ وذيول العبر ٢٧٥ وأعيان العصر ٤١٧/١ والوافي بالوفيات
٢٥٢/٨ والبداية والنهاية ٥١٠/١٨ ووفيات ابن رافع ٢٨٣/١ وتذكرة النبيه ١٢٥/٣ وفوات الوفيات
١٥٧/١ والمقفى الكبير ٧٣٢/١ وتعريف ذو العلا ٦٤ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٥٧٠/١ والدّرر
الكامنة ٣٣١/١ والنجوم الزاهرة ٢٣٤/١ والمنهل الصافي ٢٦١/٢ والدليل الشافي ٩٦/١ والدليل
التام ١٠٥/١ وحسن المحاضرة ٤٩٣/١ وشذرات الذهب ٢٧٣/٨ .

- ولادته سنة ٧٠٠ هـ . وفاته سنة ٧٤٩ هـ .

(١) في هامش أ : وللحاجبي أن يقول أيضاً : إِلَّا أَنِّي وَطَأْتُ لِلْمَثَلِ قَبْلَهُ بَيْتَ وَاحِدٍ ، وَأَنْتَ بَيْتَيْنِ .

(٢) قال المؤلف في أعيان العصر ٣٦٧/١ وعنه ابن شاعر في فوات الوفيات ١١٦/٣ . وينظر الغيث
١٥٧/١ : قلت : وأصل هذا المثل أن الوجه ابن الذروي دخل يوماً إلى الحمام ، ومعه ابن وزير
الشاعر ، فقال ابن وزير :

لله يومسي بحمام نعمتُ بها والماء ما بيننا من حولها جار
كأنه فوق شفاف الزحام ضحى ماء يسيل على أبواب قصار
فقال ابن الذروي [تصحّف في الغيث إلى ابن الرومي !] :

وشاعر أوقد الطبع الذكي له فكاد يحرقه من فرط إذكاء
أفام يُعملُ أياماً قريحته وشبه الماء بعد الجهد بالماء
(٣) البيتان في أعيان العصر والوافي والغيث المسجّم ٢٣٧/٢ .

(٤) البيتان في الوافي والدّرر الكامنة .

(٥) هما في أعيان العصر والوافي والمنهل الصافي وهامش الدّرر الكامنة والكشف والتنبيه ٢٥٨ .

ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس .

● كتب هو إليّ مُلغزاً في « رُبَيْدَة »^(١) : [من الخفيف]

[٢٥] أَيُّهَا الْفَاضِلُ الَّذِي حَارَ فَضْلاً
قَدْ تَدَانَى عَبْدُ الرَّحِيمِ إِلَيْهِ
أَيُّ شَيْءٍ سُمِّيَ بِهِ ذَاتُ خِذْرِ
هُوَ وَصَفُ لَذَاتِ سِتْرِ مَصُونٍ
مُذْ مَضَى حِينُهَا بِهَا لَيْسَ تَأْتِي
وَهِيَ مِمَّا يَبْشُرُ النَّاسَ طُوراً
وَحَلِيمٍ أَرَادَهُ لَا لِـلذَاتِ
ذَاكَ شَيْءٌ مَنِ ارْتَجَاهُ سَفِيهٌ
مَا عَلَيْهِ لِمِثْلِهِ مِنْ مَزِيدٍ
وَتَنَاءَى لَدَيْهِ عَبْدُ الْحَمِيدِ
تَائِهٍ بِالْإِمَاءِ أَوْ بِالْعَبِيدِ
وَهِيَ لَمْ تَخَفْ فِي جَمِيعِ الْوُجُودِ
وَهِيَ تَأْتِي مَعَ الرَّبِّيعِ الْجَدِيدِ
مِنْهُ مَا نَتَى وَكَثْرَةً فِي الْعَدِيدِ
بَلْ لِشَيْءٍ سِوَاهُ فِي الْمَقْصُودِ
وَهُوَ شَيْءٌ مُخَصَّصٌ بِالرَّشِيدِ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٢) : [من الخفيف]

يَا فَرِيداً أَلْفَاظُهُ كَالْفَرِيدِ
وَأَمَامَ الْأَنَامِ فِي كُلِّ عِلْمٍ
عَرَفَ الْعَالِمُونَ فَضْلَكَ بِأَلِ
مَنْ تَمَنَّى بِأَنْ يَرَى لَكَ شَبْهاً
طَالَ قَدْرِي عَلَى السَّمَائِينَ لَمَّا
شَابَهُ الدُّرُّ فِي النَّظَامِ وَلَمَّا
وَمُجِيداً قَدْ فَاقَ عَبْدَ الْحَمِيدِ
وَشَرِيكاً فِي الْفَضْلِ لِلتَّوْحِيدِ
عَلِمَ وَقَالَ الْجُهَّالُ بِالتَّقْلِيدِ
رَامَ نَقْضاً بِالْجَهْلِ حُكْمَ الْوُجُودِ^(٣)
جَاءَنِي مِنْهُ عَقْدُ دُرٍّ نَضِيدِ^(٤)
شَابَهُ السَّحَرُ شَابَ رَأْسُ الْوَلِيدِ

- (١) الأبيات في أعيان العصر والوافي .
(٢) الأبيات في أعيان العصر والوافي .
(٣) في م : × رَامَ نَقْضاً
(٤) في ب : × . . . دُرٌّ عَقْدُ نَضِيدِ .

هُوَ لُغَزٌّ فِي ذَاتِ خِذْرِ مَنِيحٍ
هِيَ أُمُّ الْأَمِينِ ذَاتِ الْمَعَالِي
أَنْتَ كُنْتَ الْهَادِي لِمَعْنَاهُ حَقّاً
دُمْتَ تُهْدِي إِلَيَّ كُلَّ عَجِيبٍ
نَزَلْتُ فِي الْعُلَى بِقَصْرِ مَشِيدٍ
مَنْ بَنَى هَاشِمٍ ذَوِي التَّأْيِيدِ
حِينَ لَوَّحْتَ لِي بِذِكْرِ الرَّشِيدِ
مَا عَلَيْهِ فِي حُسْنِهِ مِنْ مَزِيدٍ

● وكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مُلْغِزاً فِي « نَجْم »^(١) : [من السريع]

يَا سَيِّداً أَقْلَامُهُ لَمْ تَزَلْ
قُلْ لِي مَا اسْمُ لَمْ يَزَلْ قَلْبُهُ
وَكُلُّهُ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ
تُهْدِي لآلِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
مُعَذِّباً بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ^(٢)
وَتُلْثُهُ يَسْبَحُ فِي الْبَحْرِ^(٣)

● فكتبَ هو الْجَوَابَ إِلَيَّ^(٤) : [من السريع]

دُمْتَ خَلِيلِي سَائِرَ الذُّكْرِ
بَعَثَهَا نَجْمِيَّةٌ قَدْ حَلَّتْ
تَطْلُعُ بِالنَّجْمِ فَأَمَّا الَّذِي
عَجِبْتُ مِنْهُ كَيْفَ شَقَّ الدُّجَى
مِنْ صَنْعَةِ الْبَرِّ وَلَكِنَّهُ
أَقْسَمْتُ مِنْهُ قَسْماً بِالْغَا
لَقَدْ أَغْرَزْتَ الْغَيْدَ إِذْ لَمْ تَجِدْ
بِعَقْدِ دُرٍّ مَا لَهُ قِيَمَةٌ
مِثْلَ الَّذِي أَلْغَزْتَ فِي الْقَدْرِ
لَكِنَّهَا مِنْ سَكْرِ الشُّكْرِ
فِي مَطْمَحِ الزُّهْرِ أَوْ الزُّهْرِ
وَمَا أَتَى إِلَّا مَعَ الْفَجْرِ^(٥)
قَدْ جَاءَنِي فِي رَاحَةِ الْبَحْرِ
بِالْفَجْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي
شَبِيهَهُ فِي الْجَنِّدِ وَالثُّغْرِ
يَا حُسْنَهُ لِلْكَوْكَبِ الدَّرِّي

- (١) الأبيات في الوافي وأعيان العصر .
(٢) قلبُ نجم : مجن .
(٣) في الأرض : نَبَتْ عَلَى غَيْرِ سَاقٍ . وفي السماء : الكوكب . وتلثه : النون = السَّمَك .
(٤) القصيدة في أعيان العصر والوافي .
(٥) في س : . . . شَقَّ الدُّمَى × ! .

مُسَهَّدٌ تُذَكِّي لَهُ مُقْلَةً مَقْلُوبَةٌ كَالنَّظَرِ الشَّرِّ
وهو إذا حَقَّقْتَ تَعْرِيفَهُ عَرَفْتَ مِنْهُ مَنْزِلَ الْبَذْرِ
بِوَاحِدٍ عَدُّوا لَهُ سَبْعَةً تَقِيسُ ذَيْلَ اللَّيْلِ بِالشُّبْرِ
فَاعْزِزْ أَحْيَى الْيَوْمِ إِنْ قَصُرَتْ بَدِيهَتِي وَأَقْبِلْ لَهَا عُذْرِي
فَلْيَسِرْ بِالْأَلْغَازِ لِي عَادَةً وَلَا غَزَا فِي جَيْشِهَا فِكْرِي

● وكتب هو إليّ وقد تواترت الأمطارُ والثلوجُ والرعودُ والبروقُ في سنة ٧٤٤هـ (١) :

كَيْفَ أَصْبَحَ مَوْلَانَا فِي هَذَا الشِّتَاءِ الَّذِي أَقْبَلَ يُزْعِبُ مَقْدَمُهُ ، وَيُزْهِبُ تَقْدَمُهُ ، وَيُرِيبُ اللَّيْبَ مِنْ بَرَقِهِ الْمُؤَمِّضِ بَسْمِهِ ؟

وكَيْفَ حَالُهُ مَعَ (٢) رُعودِهِ الصَّارِخَةِ ، وَرياحِهِ النَّافِخَةِ ، وَوُجُوهِ أَيَّامِهِ الكَالِحَةِ ، وَشَرَرِ لِبَالِيهِ الَّتِي لَا يُبَيِّتُ مِنْهَا بِلَيْلَةٍ صَالِحَةٍ ، وَسَحَابِهِ وَأَمْوَاجِهِ ، وَجَلِيدِهِ وَالْمَشْيِ فَوْقَ رُجَاجِهِ ، وَتَرَاكُمِ مَطَرِهِ الْأَنْبِيثِ (٣) ، وَتَطَاوُلِ لَيْلِ قَرْعِهِ الْأَنْبِيثِ ، وَمَوَاقِدِهِ الْمَمْقُوتَةِ ، وَذَوَائِبِ جَمْرِهِ ، وَأَهْوُونِ بِهِ وَلَوْ أَنَّ كُلَّ حَمْرَاءٍ يَاقُوتَةٍ ، وَتَحْدُرُ نَوْرُهُ الْمُتَصَبِّبِ ، وَتَحْيِرُ [٢٥ب] نَجْمِهِ الْمُتَصَيِّبِ ؟

وَكَيْفَ هُوَ مَعَ جَيْشِهِ الَّذِي مَا أَطْلَّ حَتَّى مَدَّ مَضَارِبَ غَمَامِهِ (٤) ، وَظَلَّلَ الْجَوَّ بِمِثْلِ أَجْنِحَةِ الْفَوَاحِشِ مِنْ أَعْلَامِهِ ؛ هَذَا عَلَى أَنَّهُ حَلَّ غُرَى الْأَبْنِيَةِ ، وَحَلَّلَ مِمَّا تَلَفَ فِي ذِمَّةِ سَالِفِ الْأَشْيَةِ ؛ فَلَقَدْ جَاءَ مِنَ الْبَرْدِ بِمَا رَضَّ الْعِظَامَ وَأَنْخَرَهَا ، وَدَقَّ فَخَّارَاتِ الْأَجْسَامِ وَفَحَرَهَا ، وَجَمَدَ فِي الْفَمِ الرَّيِّقَ ، وَعَقَدَ اللِّسَانَ إِلَّا أَنَّهُ

(١) النص في أعيان العصر ٤٢٧/١ والوافي ٢٥٧/٨ ومسالك الأبصار ٥٠٢/١٢ .

(٢) في أ ، م : في رعوده .

(٣) الأنبيث : اللّين .

(٤) في ب : خيامه .

لِسَانُ الْمِنْطِيقِ ؛ وَيَبَسَ الْأَصَابِعُ حَتَّى كَادَتْ أَغْصَانُهَا تُوقِدُ حَطْبًا ، وَقَيَّدَ الْأَرْجُلَ فَلَا تَمْشِي إِلَّا تَتَوَقَّعُ (١) عَطْبًا ؛ وَأَتَى الزَّمْهَرِيرُ بِجُنُودِ مَا لِلْقُوَى بِهَا قَبْلُ ، وَحَمَلَ الْأَجْسَامَ مِنْ ثِقَلِ الثِّيَابِ مَا لَا يَغْصِمُ مِنْهُ مَنْ قَالَ : ﴿ سَاوِيَ إِلَى جَبَلٍ ﴾ [هود : ٤٣] وَمَدَّ مِنَ السَّيْلِ مَا اسْتَبْكِي الْعُيُونُ إِذَا جَرَى ، وَاجْتَحَفَ مَا أَتَى عَلَيْهِ ، وَأَوَّلُ مَا بَدَأَ الدَّمْعُ بِالْكَرَى .

فَكَيْفَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ ؟ وَكَيْفَ أَنْتَ فِي مُقَاسَاةِ هَذِهِ الْأَهْوَالِ ؟ وَكَيْفَ رَأَيْتَ مِنْهَا مَا شَبَّ بِثَلْجِهِ نَوَاصِي الْجِبَالِ ، وَجَاءَ بِالْبَحْرِ فَتَلَقَّفَ ثُعْبَانُهُ مَا أَلْقَتْهُ هَرَاوِثُ الْبُرُوقِ مِنْ عُصْبِي ، وَخَيَوطِ السُّحُبِ مِنْ جِبَالِ ؟

أَمَّا نَحْنُ فَبَيْنَ أَمْوَاجٍ مِنَ السُّحُبِ تَزْدَحِمُ ، وَفِي رَأْسِ جَبَلٍ لَا يَغْصِمُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ ؛ وَكَيْفَ سَيِّدُنَا مَعَ مَجَامِرِ كَانُونٍ وَشَرَارِ بَرْقِهَا الْقَادِحِ ، وَهَمِّ وَذُقِهَا الْفَادِحِ ، وَقَوْسِ قُرْجِهَا الْمُتَلَوِّنِ ؟ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ صَوَائِبَ سِهَامِهِ ، وَبَدَّلَ مِنْهُ بَوْشَائِعَ حُلُلِ الرَّبِيعِ وَنَضَارَةَ أَيَّامِهِ ، وَجَعَلَ حَظَّ مَوْلَانَا مِنْ لَوَافِحِهِ مَا يُذَكِّيهِ ذَهْنُهُ مِنْ ضَرَامِهِ ، وَمِنْ سَوَافِحِهِ مَا يُؤَلِّدُهُ فِكْرُهُ مِنْ تُوَامِهِ ، وَعَوَّضَنَا وَإِيَّاهُ بِالصَّنِيفِ وَاللَّهِ يَقْبَلُ ، وَأَرَاخَنَا مِنْ هَذَا الشِّتَاءِ وَمَشْيِ غَمَامِهِ الْمُتَبَخِّرِ بِكُمِهِ الْمُسْبِلِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ (٢) :

يَقْبُلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ هَذِهِ الرُّفْعَةِ الَّتِي هِيَ طِرَارٌ فِي حُلَّةِ الدَّهْرِ ، وَحَدِيقَةُ ذَكَرَتْ زَمَنَ الرَّبِيعِ وَمَا تُهْدِيهِ أَيَّامُهُ مِنَ الزَّهْرِ ؛ فَوَقَفَتْ مِنْهَا عَلَى الرُّوضِ الَّذِي تَهْدَلَّتْ فُرُوعُ غُصُونِهِ بِالْأَثْمَارِ ، وَنَظَرَ مِنْهَا إِلَى الْأُفُقِ الَّذِي كُلُّ كَوَاكِبِهِ شُمُوسٌ وَأَقْمَارٌ ، فَأَنْشَأَتْ لَهُ إِطْرَابَةً ، وَأَعْلَمَتْهُ أَنَّ قَلَمَ مَوْلَانَا يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ

(١) في ب : متوقَّعة .

(٢) الجواب في الوافي وأعيان العصر ومسالك الأبصار ٥٠٣/١٢ .

ما لا تَفْعَلُهُ نَغْمَةُ الشَّبَابَةِ ، وَأَزْشَفَتُهُ سُلَافاً كُثُوسُهَا الحُرُوفُ وَكُلُّ نُقْطَةٍ حَبَابَةٍ ؛
 وشاهدَ أوصافَ هذه الأَيَّامِ المُبَارَكَةِ القُدُومِ ، المُتَّصِلَةِ الطَّلَامِ ، فلا أَوْحَشَ اللهُ
 مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَحَاجِبِ الهِلَالِ وَغُيُونِ النُّجُومِ ؛ فَمَا لَنَا وَلِهَذِهِ السَّحَابِ
 السَّحَابَةِ ، وَالْغَمَائِمِ السَّكَابَةِ ، وَالرُّعُودِ الصَّخَّابَةِ ، وَالْبُرُوقِ اللَّهَّابَةِ ، وَالثُّلُوجِ
 الَّتِي أَصْبَحَتْ بِحَصْبَائِهَا حَصَابَةً ، وَالْبَرْدِ الَّذِي أَمْسَتْ إِبْرُهُ لِعُصُونِ الجُلُودِ
 قَطَابَةً ، وَالزَّمِينَاءُ^(١) الَّتِي لَا تَزُوي عَنْ أَبِي ذَرٍّ إِلَّا وَيَزُوي الغَيْثُ عَنْ أَبِي قِلَابَةٍ ؛
 كُلَّمَا أَقْبَلَتْ فَحِمَّةُ ظَلَامٍ ، قَدَحَتْ فِيهَا البُورِقُ شَرَارَ جَمْرَتِهَا ، وَكُلَّمَا جَاءَتْ
 سَحَابَةٌ كَحَلَاءِ الجُفُونِ ، رَجَعَتْ مَرْهَاءَ لِمَا أَسْبَلَتْهُ مِنْ عَبْرَتِهَا ؛ فَمَا هَذَا شَهْرُ
 طُوبَى^(٢) ، إِنْ هَذَا إِلَّا جَبَلٌ نَهْلَانٍ ، وَمَا هَذَا كَانُونٌ ، إِنْ هَذَا إِلَّا تَنْوَرُ الطُّوفَانِ ،
 فَإِلَى مَتَى قُطُنُ هَذِهِ الثُّلُوجِ يُطْرَحُ عَلَى جِبابِ الجِبَالِ ؛ وَإِلَى مَتَى تَفَاضُ دِلَاصُ
 الأنْهَارِ وَيَزْشُقُهَا قَوْسُ قُرْحٍ بِالنَّبَالِ ؟ وَإِلَى مَتَى تُشَقُّ السَّحَابُ مَا لَهَا مِنَ الحَلَلِ
 وَالحِجْرِ ؟ وَإِلَى مَتَى تُرْسِلُ خُيُوطُ المُنْزِنِ مِنَ الجَوِّ وَفِي أَطْرَافِهَا عَلَى الغُدْرَانِ
 إِبْرٌ ؟ وَإِلَى مَتَى تَجْمُدُ عُيُونُ [١٢٦] الغَمَامِ وَتُكْحَلُهَا البُرُوقُ بِالنَّارِ ؟ وَإِلَى مَتَى يَنْثَارُ
 هَذِهِ الفِضَّةُ وَمَا يُرَى مِنَ النُّجُومِ دِينَارٌ ؟ وَإِلَى مَتَى نَحْنُ نَحْنُو عَلَى النَّارِ حُنُوءَ
 المُرْضِعَاتِ عَلَى الفِطِيمِ^(٣) ؟ وَإِلَى مَتَى تَبْكِي المِيزَابُ : [من الوافر]

بُكَاءِ الأولياءِ بِغَيْرِ حُزْنٍ إِذَا اسْتَوَلَوْا عَلَى مَالِ الْيَتِيمِ
 وَإِلَى مَتَى هَذَا البَرَقُ تَتَلَوَّى بُطُونُ حَيَاتِهِ ، وَتَقَلِّبُ حَمَالِيْقُ العُيُونِ الْمُحْمَرَّةِ
 مِنْ أَسْوَدِ غَابَاتِهِ ؟ وَإِلَى مَتَى يُزْمَجِرُ عَتَبُ هَذِهِ الرِّيَّاحِ العاصِفَةِ ؟ وَإِلَى مَتَى يُرْسِلُ

(١) الزَّمِينَاءُ : الرُّقُور . (اللسان) .

(٢) طُوبَى : الخامس من شهور القبط ، ويبدأ في الخامس والعشرين من كانون الأول . (الأزمنة
 والأنواء ١٤٣) .

(٣) من قول المنازلي أو حمدونة الأندلسية في وصف وإد : [وفيات الأعيان ١/١٤٣] حَلَلْنَا دُوحَهُ فَحَنَّا عَلَيْنَا حُنُوءَ المُرْضِعَاتِ عَلَى الفِطِيمِ

الزَّمْهَرِيرِ أَعْوَاناً تُصْبِحُ حَلَاوَةُ الوجوهِ بِهَا تَالِفَةً ؟ أَتَرَى هَذِهِ الأمْطَارَ تُقَلِّبُ
 بِالْأَزْيَارِ ، أَمْ هَذِهِ المَوَالِيدُ الَّتِي تَنْتَهِي فِيهَا الأَعْمَارُ ؟ كَمْ مِنْ جَلِيدٍ يَدُوبُ بِهِ قَلْبُ
 الجَلِيدِ ، وَيُرَى رُجَاجُهُ الشَّقَافُ أَصْلَبَ مِنَ الحَدِيدِ ، وَوَحْلٍ لَا تَمْشِي هُرَيْرُهُ فِيهِ
 الوَحْيُ^(١) ، وَبَرْدٍ لَا تَنْطِقُ فِيهِ نَوُومُ الصُّحَى .

اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ، لَقَدْ أَصْجَرْنَا تَرَائِمُ الثِّيَابِ ، وَمُقَاسَاةُ مَا لِهَذِهِ
 الرَّحْمَةِ مِنَ العَذَابِ ، وَانْجِمَاعُ كُلِّ عَنِ الْفِيهِ ، وَإِغْلَاقُ بَابِ الْقِيَابِ ، وَتَخَلُّلُ
 الضُّبَابِ زَوَايا البُيُوتِ ، فَلَا أَطْفَالَ ضِبابُ الضُّبابِ ، كُلُّ ضَبٍّ مِنْهُمْ قَدْ أَلْفَ
 بَاطِنَ نَافِقَاتِهِ^(٢) ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ المَوْتَ بِدَايَةِ بَدَائِهِ ، قَدْ حَسَدَ عَلَى النَّارِ مَنْ
 أَمْسَى مُذْنِباً وَأَصْبَحَ عَاصِياً ، وَتَمَنَّى أَنْ يَرَى مِنْ فَوَاكِهِ الجَنَّاتِ عُتَاباً وَقَرَاصِيباً .

فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الأمْطَارُ تُكَاثِرُ مَكَارِمَ مَوْلَانَا ، فَيَا طُولَ مَا تَسْفَحُ ؛ وَإِنْ
 كَانَتْ العَوَاصِفُ تَشَبَّهُ بِبَاسِهِ ، فَيَا طُولَ مَا تَلْفَحُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ البُرُوقُ تُحَاكِي
 ذَهْنَهُ المُتَسَرِّعَ ، فَيَا طُولَ مَا تَتَأَلَّقُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ قَوْسُ قُرْحٍ تَتَلَوَّنُ حَجَلًا مِنْ
 طُرُوسِهِ ، فَيَا طُولَ مَا تَتَأَنَّقُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ الرُّعُودُ تُحَاكِي جَوَانِحَ أَعْدَائِهِ ، فَيَا
 طُولَ مَا تَشْهَقُ وَتَفْهَقُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ السُّيُوفُ تَجْرِي وَرَاءَ جُودِهِ ، فَإِنَّهَا تَجْرِي عَلَى
 طُولِ المَدَى وَمَا تَلْحَقُ .

وَالأَوَّلَى بِهَذَا النَّوْءِ البَاكِي ، أَنْ لَا يُحَاكِي ؛ وَالْآلِيقُ بِهَذَا الفَضْلِ
 المُبْغَضِ ، أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ ؛ فَارْحَمَ اللهُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ مَوْلَانَا فِي
 الوجودِ نَذْرَةٌ ؛ أَنْهِيَ ذَلِكَ .

(١) من قول الأعشى : [ديوانه ١٠٥] والوحي : الإسراع .

وَدَعُ هَرِيرَةً إِنَّ الرِّكَبَ مَرْتَحِلٌ وَهَلْ تَطِيقُ وداعاً إِلَيْهَا الرِّجْلُ
 غِرَاءَ فِرْعَاءٍ مَصْقُولٍ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الهَزِينِي كَمَا يَمْشِي الوَحْيُ الرَّجْلُ

(٢) النَافِقَاتُ : جحر الضَّبِّ . وسقطت كلمة «باطن» من م .

● فكتب هو الجواب أيضاً عن جوابي (١) :

ويُنهي ورود جوابه الكريم ، فوقف عليه ، وتَمَنَّى لِمَجَرَّدِ إقباله إليه ، وَقَبْلَهُ لِقُرْبِ عَهْدِهِ بِبَيْدِهِ ، وَأَعَدَّهُ لِحِلَاءِ الْمَرَّةِ ، فَأَمَرَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ ، وَشَكَرَهُ وَإِنْ لَمْ تَزَلْ حَقَائِبُ الشُّكْرِ مَحْطُوطَةً لَدَيْهِ ، لَا بَرَحَ الشَّهْدُ مِنْ جَنَى رَيْقِهِ الْمُعَلَّلِ ، وَالطَّرَبُ بِكَأْسِ رَحِيقِهِ الْمُحَلَّلِ ، وَالتَّيْبُ - وَحَاشَاهُ مِنْهُ - فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِ الْمُذَلَّلِ ، وَالسَّحَابُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِجَنَاحِ نِعْمَائِهِ الْمُبَلَّلِ ، وَالرَّوْضُ لَا يَبْرُزُ إِلَّا فِي ثَوْبِ زُخْرِفِهِ الْمُجَلَّلِ ، وَالْبَرْقُ لَا يَهْتَزُّ إِلَّا فِي مُسْبِلِ رِدَائِهِ الْمُشَلَّلِ ، وَالْجَهْدُ وَلَوْ كَلَّفَ لَا يَجِيءُ بِمَنْبِلِ سَيَرِهِ الْمُذَلَّلِ ، وَالتَّضَرُّ يُقْضِي لِمَوَاضِيهِ عَلَى حَدِّ حُسَامِيهِ الْمُفْلَلِ ، وَالْفَجْرُ لَوْلَا بَيَانُهُ الْوَضَاحُ لَمَا أَرْشَدَ لَيْلَةُ الْمُضَلَّلِ ، وَالْبَحْرُ لَوْلَا عِزُّهُ مِنْ حَيَاءِ كَرَمِهِ الزَّائِرِ لَمَا ذَمَّ عَلَى غَزَرِ الْمَادَّةِ (٢) نَوَالَهُ الْمُقَلَّلِ ، وَالْفَخْرُ وَإِنْ شَمَخَ أَفْنُهُ لَا يُنَافِسُ عِقْدَهُ الْمُوشَّحَ وَلَا يَتَطَاوَلُ إِلَى تَاجِهِ الْمُكَلَّلِ ؛ وَفَهْمُهُ فَهَامٌ ، وَاقْتَبَسُهُ فَجَلَا الْأَوْهَامَ ، وَنَظَرَ فِيهِ فَرَادَ صِقَالِ الْأَفْهَامِ ، وَقَصَرَ عَنْ إِدْرَاكِهِ فَمَا شَكَّ أَنَّهُ [ب ٢٦] إِلَهَامٌ ، وَانْتَهَى فِيهِ إِلَى الْجَوَابِ فِي وَصْفِ أَنْوَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ ، وَمَا مَوَّهَتْ الشُّحْبُ مِنْ ذَهَبِ بَرْقِهَا ، وَفَتَلَتْهُ الْأَنْوَاءُ مِنْ خُيُوطِ وَدْقِهَا ، وَنَفَخَتْ فِيهِ الرِّيَّاحُ مِنْ جَمْرٍ كَانُونِهَا ، وَأَظْهَرَتْهُ حَقِيقَةُ الرُّعُودِ مِنْ سِرِّ مَكْنُونِهَا ، وَمَا بَثَّنَتْهُ عَارِضَةُ ذَلِكَ الْعَارِضِ الْمُمَطِّرِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْ شَائِبِيهَا ، وَأَوْفَى مِمَّا أَرْقَتْهُ (٣) السَّمَاءُ مِنْ جَلَابِيْبِهَا ، وَأَسْرَى مِنْ بَرْقِهَا الْمُومِضِ فِي غَرَابِيْبِهَا ، وَأَسْرَعَ مِنْ سُرَى رِيَّاحِهَا ، وَقَدْ جَمَعَتْ أَطْوَاقَ السَّحَابِ (٤) وَأَخَذَتْ بِتَلَابِيْبِهَا .

وَسَبَّحَ الْمَمْلُوكُ مِنْ عَجَبٍ لِهَذِهِ الْبَلَاغَةِ الَّتِي كَمَلَتْ الْفَضَائِلَ (١) ، وَفَضَّلَتْ عَنْ الْعِلْمِ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ عِلْمُ الْأَوَائِلِ ، وَفَضَّلَتْ مُبْدِعَهَا (٢) وَحُقَّ لَهُ التَّفْضِيلُ ، وَأَتَتْهُ جُمْلَةُ الْفَضْلِ فِي ضَمْنِهَا التَّفْضِيلُ ، وَأَنْطَقَتْ لِسَانُ بَيَانِهِ وَأَخْرَسَتْ كُلَّ لِسَانٍ ، وَأَجَرَتْ قَلَمَ كَرَمِهِ وَأَخْرَزَتْ كُلَّ إِحْسَانٍ ، وَنَشَرَتْ عِلْمَ عِلْمِهِ وَأَدْخَلَتْ تَحْتَهُ كُلَّ فَاضِلٍ ، وَأَرْهَفَتْ شَبَابَ حَدِّهِ وَقَطَعَتْ بِهِ كُلَّ مُنَاطِرٍ وَمُنَاضِلٍ ؛ وَقَالَتْ لِلْسَّحَابِ وَقَدْ طَبَّقَ : إِلَيْكَ ، فَإِنَّ الْبَحْرَ قَدْ جَاءَكَ ، وَلِلنَّوَى وَقَدْ أَغْدَقَ : تَنَحَّ ، فَإِنَّ هَذَا قَدْ حَصَرَ أَرْجَاءَكَ ، وَلِلرَّعْدِ وَقَدْ صَرَخَ : أَسْكُتْ ، فَقَدْ أَنْ لِهَذِهِ الشَّقَاشِقِ أَنْ تَسْكُتَ ، وَلِلْبَرْقِ وَقَدْ نَسَخَ آيَةَ اللَّيْلِ : اسْتَدْرِكَ غَلَطَكَ لَيْلًا تَبْكُتَ .

أَمَا تَرَى هَذِهِ الْعُلُومَ الْجَمَّةَ وَكَيْفَ زَخَرَ بِخَرْهَا ، وَأَثَرُ فِي الْأَلْبَابِ سِخْرُهَا ؛ وَهَذِهِ الْفَضَائِلَ وَكَيْفَ تَفَنَّنَتْ فُنُونُهَا ، وَفَتَنَّتْ عُيُونُهَا ، وَتَهَدَّلَتْ بِالْأَنْمَارِ أَفْنَانُهَا ، وَتَزَخَّرَفَتْ بِالْمَحَاسِنِ جِنَانُهَا ؛ وَهَذِهِ الْأَلْمِيعَةَ وَكَيْفَ ذَهَبَتْ الْأَصَائِلُ ، وَهَذِهِ اللَّوْذِيعَةَ وَمَا أَبْقَتْ مَقَالًا لِقَائِلٍ ، وَهَذِهِ الْفَوَاضِلَ وَقَدْ تَوَقَّدَ دُبَالُهَا وَتَقَدَّدَ بِهَا أَدِيمُ الظَّلَامِ وَتَشَقَّقَ سِرْبَالُهَا ، وَهَذِهِ الْبَرَاعَةَ الَّتِي فَاضَتْ فَكُلُّ مَنْهَا سَكْرَانٌ طَافِحٌ ، وَهَذِهِ الْفَصَاحَةَ وَمَا غَادَرَتْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ ، وَهَذِهِ الْبَلَاغَةَ وَقَدْ سَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ بِهَا الْأَبَاطِحُ (٣) ، وَهَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَقَدْ اسْتَعِينَ عَلَيْهَا مِنْ أَهْلِهَا بِصَالِحٍ ، وَهَذِهِ الصِّيَاغَةَ وَمَا تَارِكُ فَنِّ الْجَوْهَرِ لَهَا إِلَّا رَابِحٌ ، وَهَذِهِ الْحِكْمَ

(١) في م : التي كملت بها الفضائل .

(٢) في م : مبتدعها .

(٣) من قول كثير عزة : [ديوانه ٥٢٥]

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

(١) الجواب في الوافي ومسالك الأبصار ٥٠٥/١٢ .

(٢) في م : على غرب الماء . . .

(٣) لعل الصواب : أرخته .

(٤) في م : أطراف السحاب .

البوالغ ، وهذه النعم السوابغ ، وهذه الدائم التي لا تملاً حوصها^(١) من إناء فارغ ، وهذه السيم التي لو تنكرت ثم مزجت بالفرات لما شرب لساغ ، (وهذه الهمم التي ترقّت بوجهها إلى السماء ، فكشفت غيابة عارضها)^(٢) وكفّت غواية البرق وقد ولع وخط مشيه بخط عارضها ، حتى جلاها وأضحها ، ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات: ٢٩] ، ونفخ رماد سحابها^(٣) المنجلي عن اللهب ، وصفح جوها الفضي بالجبين وسمرت الشمس بالذهب ، وجلا صداً تلك الليلة عن صفيحة ذلك اليوم المشمس ، وبذل بذلك الصحو المطمع من ذلك الغيم المؤيس ، ونقى لازورد السماء من تلك الشوائب ، ووقى عرض ذلك النهار اليتق من المعايير ، وأترع غدیر ذلك الصباح خالصاً من الرنق ، وضوع عنبر ذلك الثرى خالياً من اللثق ، وأطلع شمس ذلك اليوم توسع جانب مشرقها ، ويوشى بذوائب الذهب رداء أقيها ، فقلت^(٤) : [من السريع]

كأنما اليوم وقد موّهت مشرقه الشمس ولا جاحد
ثوب من الشرب ولكنّه طرّز منه كفه الواحد
[١٢٧] أستغفر الله ، بل بشر^(٥) ذلك البشر ، بل ذلك الملك الكريم ، وصفيحة وجهه المتهلل الوسيم ، لا بل صفيحة عمله ، وصفيحة أمّله ، وأنموذج إثارة ، وضوء يديه البيضاء ، وآثاره ، وشبيه ما يقضه لؤلؤه من نثاره ، وغير هذا من أياديه البيض على إقلال العدّة وإكثاره ، فله تلك اليد المقبلة ، وتلك

(١) في ب : جوفها .

(٢) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٣) في ب : سخامها .

(٤) البيتان في مسالك الأبصار ٥٠٧/١٢ .

(٥) في ب : بز . وفي س : بز ذلك البر .

اليّد المؤمّلة ، والله تلك المواهب المجزّلة ، والله تلك الراحة التي لا يقاس بها الثرى ولا تجيء الجوزاء أنملة ؛ والله ذلك البيان الساحر ، وذلك البنان الساحر ، وذلك اللسان المذرب والبحر الراخر ، وذلك الإنسان الذي طال باع علمه ، وطار فأوقد ضرام اليوم الشمس شعاع فهمه ، وطاب جنى عزه وجناب حلمه ، وطاف الأرض صيته ونفق كاسد الفضل باسمه ، والله والله لسيّد جاء بالفضل كلّ ، وأتى بالأمر على حله ، واقتبس من نوره وأوى إلى ظلّه .

لقد ألبس المملوك رداء الفخار ، وعرفه العوم ، وكان لا يطمع أن يشقّ بحر الزخار ، ومحا عنه صنيع دجنه تلك الليلة ، وقصر من ذيلها ، وفهقر من سنيلها ، وأخذ بعقيصتها ، وأغرق في تيار النهار سواد ليلها ، وأطلق لسانه من الاعتقال ، وأنطق بيانه فقال ، ووقفه في البيان ولولا توفيقه لما نطق ، ووقفه ولولا إيقافه لعبر على آثاره في وجه من سبق ، وقام وأقام الحجة على البلغاء حيث لا يجد من يقول إلا صدق . تمت .

● فلما رأيت ما هالني ، وغلّ عقلي وغالني ؛ كتبت الجواب عن ذلك نظماً ، وهو^(١) : [من الكامل]

جاء الجواب يزف منك فواضلا ويرف في روض البيان خمائلا
أغرقت غرّ الشخب حين وصفتها يا من غدا بخرأ يموج فضائلا
لو لم تكن يُمنّاك بخرأ زاخراً ما أرسلت تلك الشطور جدائلا
ضرب من السحر الحلال متى تشا أخرجته فيعود ضرباً داخلا
ما إن جلا راويه حور بيانه إلا وزان مشاهداً ومحافلا
فمتى يروم به اللحاق مقصّر والنجم أقرب من مداه تناولا

(١) القصيدة في الوافي ٢٦٣/٨ ومسالك الأبصار ٥٠٨/١٢ .

أَبْرَزَتْهُ أَفْقاً فَكُلُّ قَرِينَةٍ
فَكَأَنَّمَا يَلُوكَ الحُرُوفُ حَدَائِقُ
وَكَأَنَّ ذَاكَ الطَّرْسَ خَدٌّ رَائِقُ
مَهْلاً أَبَا العَبَّاسِ قَدْ أَفْحَمْتَنِي
بِاللهِ قُلْ لِي عِنْدَمَا سَطَرْتَهُ
أَقْسَمْتُ لَوْ جَارَاكَ فِي إِنْشَائِهِ
حَرَكْتُ مِنْكَ حَمِيَّةً عَدْوِيَّةً
كَمْ فِيهِ مِنْ لَامٍ كَلَامَةٍ فَارِسِ
هَلْ شِئْتَ أَنْ تُنْشِيَ الجَوَابَ سَحَابَةً
يَا فَارِسَ الإِنْشَاءِ رِفقاً بِالَّذِي
لَوْ رَامَ أَنْ يَجْرِيَ وَرَاءَكَ خُطْوَةٌ
فَاحْبِسْ عِنَانَكَ قَدْ تَجَاوَزْتَ المَدَى
وَالفَاضِلُ المِسْكِينُ أَصْبَحَ فُتْنَةً
فَاسْلَمْ لِنُبْلِيغِ النُّفُوسِ مَرَامَهَا
كَمْ فِيكَ لِي أَمَلٌ يَرُوقُ لِأَنَّنِي

● فَكَتَبَ الجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ أَيْضاً^(٣) :

وَافِي الكَمِيِّ بِهَا يَهْزُ مَنْاصِلًا
سَبَقَ الظَّلَامَ بِهَا بِزِينَةٍ لَيْلِيَةٍ

بُرْجٌ حَوَى مَعْنَاهُ بَذراً كَامِلاً
أَمْسَتْ مَعَانِيهَا تَصِيحُ بِلَابِلًا
وَالسَّطْرُ فِيهِ عَدَا عِذَاراً سَائِلًا
وَتَرَكْتَنِي بَعْدَ التَّحَلِّي عَاطِلًا
هَلْ كُنْتُ تَزْعُمُ أَنْ تُجِيبَ الفَاضِلَا
مَا كَانَ ضَمٌّ عَلَى البِرَاعِ أَنَامِلًا
مَلَأَتْ فُضَاءَ الطَّرْسِ مِنْكَ جَحَافِلًا
قَدْ هَزَّ مِنْ أَلْفَاتِ خَطِّكَ ذَابِلًا
تَتَدَّى فَجَاءَتْ مِنْكَ سَيْلاً سَائِلًا
نَازَلْتَهُ يَوْمَ التَّرْسُلِ رَاجِلًا
نَصَبْتُ لَهُ يَلُوكَ الحُرُوفُ حَبَائِلًا^(١)
وَتَرَكْتُ سَخْبَانَ الفَصَاحَةِ بَاقِلًا
[ب ٢٧] مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ رَاجَ فِينَا خَامِلًا
فَالْدَّهْرُ فِي أَبْوَابِ فَضْلِكَ مَائِلًا
أَذْرِي بِأَنَّكَ لَا تُخَيِّبُ آمِلًا^(٢)

وَيَذُمُّ صِبْغاً لِلشَّيْبَةِ نَاصِلًا^(٤)
وَلَوْ أَنَّهُ فِي الفَجْرِ حَلَّى العَاطِلَا^(٥)

حُمْرَاءُ قَانِيَةٍ يَذُوبُ شُعَاعُهَا
حُمْرَاءُ قَانِيَةٍ يَحُثُّ كُؤُوسُهَا
ذَهَبِيَّةٌ مَا عَزَقُ عَانَةً كَزَمَهَا
كَفُّ لِمُنْجِسِ النَّوَالِ كَأَنَّمَا
كَرَّمْ خَلِيلِي يُمِدُّ سِمَاطَهُ
وَلَهَيْبُ فِكْرِ لَوْ يَطِيرُ شَرَارَةً
يُذَكِّي بِهِ فِي كُلِّ صُبْحَةٍ قَرَّهَ
عَجَباً لَهُ مِنْ سَابِقِ مُتَأَخِّرِ
دَانُوهُ فِي شَبِّهِ وَمَا قَيْسُوا بِهِ
مَائِلٌ بِهِ الْبَحْرُ الْخَضَمُ فَإِنَّهُ
وَافَتْ عَقِيلَتُهُ وَلَوْ بَذَلَ امْرُؤُ
جَاءَتْ شَبِيهَ الخُودِ فِي حُلُلِ لَهَا
قَدْ خُضِبَتْ بِدَمِ الحَسُودِ أَمَا تَرَى
حُلُلٌ عَلَى سَخْبَانَ تَسْحَبُ بُرْدَهَا
خِلْتُ الْهَلَالَ يَلُوحُ طَلَعُ نِقَابِهَا
بِنْتُ القَرِيحَةِ مَا وَنْتُ فِي خِلْدِهَا
جَاءَتْ تَصَوُّغُ مِنَ العِنَاقِ أَسَاوِراً
قَبَّلْتُهَا وَأَعْدْتُ تَقْبِيلِي لَهَا
وَأَتَتْ وَجَيْشُ النُّوءِ مَرْهُوبُ السُّطَا

وَتَرَى حَصَا الْيَاقُوتِ مِنْهَا سَائِلًا
وَقَعَ الصَّوَارِمِ وَالْوَشِيحِ الذَّابِلَا
لَكِنَّهُ كَفَّ الْكَرِيمِ شَمَائِلًا
دَفَعُ السُّيُولِ تُمِدُّ مِنْهُ نَائِلًا
وَيَشِبُّ نَاراً لِلْقُرَى وَقَوَاضِلَا
مِنْهُ لَمَّا بَلَ السَّحَابُ الْوَابِلَا
فَهَمَّا لِيَنْزِلَانَ الْقَرَارِجِ أَكِلَا
فَاقَ الْأَوَاخِرَ ثُمَّ فَاتَ أَوَائِلَا
مَنْ ذَا تَرَاهُ لِلْغَمَامِ مُسَاجِلَا
لَا يَزْتَضِي خَلْقاً سِوَاهُ مُمَائِلَا
فِيهَا اسْتَقَلَّ مِنَ الْبُرُوجِ مَعَاوِلَا^(١)
حُمْرِ كَنُوزِ الشَّقِيْقِ مَوَائِلَا^(٢)
أَثَرَ السَّوَادِ بِهَا عَلَيْهِ دَلَائِلَا
وَتَجَرُّ مِنْ طَرْفِ الذُّيُولِ الْفَاضِلَا^(٣)
حَتَّى نَفَضَتْ قَرَأَيْتُ بَذراً كَامِلاً
حُسْنُ المَلِيحَةِ أَنْ تُوَاصِلَ عَاجِلَا
لَا بَلَّ تَخَوُّضُ مِنَ السُّيُولِ خَلَاخِلَا
إِنَّ الْمُتَيْمَمَ لَا يَخَافُ الْعَاذِلَا
مَلَأَ الْوُجُودَ لَهُ قَنَاءً وَقَنَابِلَا

(١) سَقَطَ الْبَيْتُ مِنْ م .

(٢) فِي ب : فِي حُلُلِ الْبَيْتِ خُمرًا

(٣) سَقَطَ الْبَيْتُ مِنْ س .

(١) فِي م : نُصِبَتْ . وَفَوْقَهَا : مَعَا .

(٢) فِي م : × . . . لَا تُخَيِّبُ الْأَمَلَا .

(٣) الْقَصِيدَةُ فِي الرَّوَايَةِ ٢٦٤ / ٨ وَمَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ٥٠٩ / ١٢ .

(٤) فِي م : × وَيَضُمُّ

(٥) فِي م : شَقَّ الظَّلَامَ . × .

والبزقُ مشبوبُ الضرامِ لأنَّه
وافَتْ ورأسُ الطودِ يشكو لَمَّةً
وَكأنَّما نَشَرَتْ قُرَاضَةً فُضَّةً
مَلَأَتْ بِهِ كُلَّ الْفَضَاءِ فلا تَرى
والأفقُ كالكَأْسِ الْمُقْصَصِ مَلُوهُ
أثناءَ يَوْمٍ قد تَهْفَءَ ضَوْؤُهُ
والجَوُّ مُنْخَرِقُ الْقَمِيصِ كأنَّه
والسَّيْلُ مُتَحَدِّدٌ يَسْلُ مُهَيَّداً
للهِ أَنْتَ أبا الصَّفَاءِ فَإِنَّنِي
أَنْتَ الَّذِي حَلَقْتَ صَفْراً أَجْداً
يا مَنْ يُنْفِقُ سُوقَ كُلِّ فَضِيلَةٍ
● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ دَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، يَصِفُ
الثلجَ الكائنَ في شهرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ ، سنة ٧٤٥ :

يَقْبَلُ كذا ، لا رَأْيَ في هذا الشَّتَاءِ كَيْفَ حَالُ أَوْدَائِهِ ، وَكَيْفَ حَالُ بَلَدِهِ
الَّذِي رَقَّتْ عَلَيْهِ حَتَّى الْقَاسِيَةِ قُلُوبُ أَعْدَائِهِ ، وَكَيْفَ حَالُ النَّاسِ تَحْتَ ذُبُولِ هَذِهِ
الْأَشْتِيَةِ الْمَجْرُورَةِ ، وَنَوَافِيسِ هَذِهِ [٢٨] الرُّعُودِ الْمَقْرُورَةِ ، وَقُرُوحِ شُقْرِ هَذِهِ
الْبُرُوقِ الْمَقْرُورَةِ ، وَغَرَرِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمَقْرُورَةِ ، وَسَوَافِي هَذِهِ الْغُيُوثِ
الْمَذْرُورَةِ ، وَضَرَرِ هَذِهِ الْأَنْوَاءِ الرِّوَاءِ بِالْأَرْضِ الْمَضْرُورَةِ ، وَشُيُوفِ هَذِهِ
السُّيُوفِ الْحَدَّةِ الْمَطْرُورَةِ ، وَنُزُولِ هَذِهِ الثَّلُوجِ بِعَقْدِ الْبَلَاءِ الْمَضْرُورَةِ ، وَمَشْيِ
الْخَلَائِقِ فِي أَرْضِيَّةِ هَذِهِ الشُّحْبِ الْمَزْرُورَةِ ، وَغُبُوسِ هَذِهِ الشَّنَايَا الضَّاحِكَةِ وَمَا

(١) في ب : . . . منحدرًا . . .

هِيَ مَسْرُورَةٌ ، وَنَوَازِلِ هَذِهِ الْأَمْطَارِ الَّتِي وُلِدَتْ بِمَوَاقِعِهَا الْقَضْبُ مَخْتُونَةٌ
وَدَارَاتُ النَّهْرِ مَسْرُورَةٌ ، وَعَوَاصِفِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا جَنَّةٌ أَوْ هِيَ لِكثْرَةِ
الْمُرُورِ مَقْرُورَةٌ ، وَكَلْبِ بَرْدِ هَذِهِ اللَّيَالِي الَّتِي أَصْبَحَتْ تَشْكَاهُ الْكُبُودُ
الْمَخْرُورَةُ ، وَيُعِدُّ مَوْلَانَا الَّذِي يَغْدِلُ عُمرَةً كَامِلَةً وَجِبَّةً مَبْرُورَةً .

فلقد أنسى السَّنةَ الْمَاضِيَةَ^(١) وَنَشَرَ مَيِّتَهَا الْمَذْرُوجَ ، وَأَعَادَ مَاضِيَهَا وَلَيْتَهُ إِذْ
جَمَعَ الثَّبَاتَ لَا كَرَّرَ سُكَّرَ الثَّلُوجِ ، وَسَاءَ أَحْوَالُ الْمَدِينَةِ ، وَطَافَ طُوفَانُهُ
بِالْجَامِعِ وَعَرَّقَ السَّيْفِيَّةَ ، وَأَشَابَ رَأْسَ النَّسْرِ وَغَطَّى الْهِلَالَ ، وَكَسَرَ الصَّخْنَ
وَأَكَلَ الْحَائِطَ الشَّمَالِيَّ بِالْيَمِينِ وَالشَّمَالَ ، وَأَذَى الْمَوَازِنَ وَالْمُؤَدِّنِينَ ، وَأَخْرَسَ
الْقُرَاءَ وَالْمُؤَمِّنِينَ ، وَأَفْشَعَتْ لَبَرْدُ أَيَّامِهِ الْبَرَادَةَ ، وَشَهِدَ الْمَشْهُدُ بِغَمَاءِ غَمَامِهِ ،
وَأَقَامَتْ سَبَابَاتِ الْمَوَازِنِ لِلشَّهَادَةِ ، وَبَطَلَتْ أَلْوَانُ بَابِ الْبَرِيدِ الْمُعَدَّدَةِ ، وَجَرَتْ
أَزْكَانُ جَنِيْرُونَ وَأَبْوَابُهُ فِي عَمِدٍ مُمَدَّدَةٍ ، وَجَالَ عَلَى الدَّهْمَاءِ وَالْخَضْرَاءِ بِشْهَبِ
خُبُولِهِ ، وَفَتَحَ أَفْوَاهَ أَوْدِيَّتِهِ وَالتَّقَمَّ أَزْقَمَ كُلِّ نَهْرٍ مُتَلَوٍّ وَشَرِبَهُ بِسُيُولِهِ ، وَسَاءَ
بَيَاضُ يَوْمِهِ سُودَ مَرَاتِعِهَا وَخُضْرَ مَرَابِعِهَا ، وَشَوَّهَ فِي هَذِهِ الشَّنَوَةِ الْأَلْوَانَ ،
وَبَسَطَ ذَيْلَهُ عَلَى الْوَهَادِ وَعَقَدَ حُبَاهُ عَلَى الْكُثْبَانِ^(٢) .

وجاءَ هذا الشَّتَاءُ بِالْعَجَبِ ، وَذَكَرَ دَمَشَقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِمَا خَلَا فِي الْخَالِيَةِ
مِنْ وَاقِعَةِ حَلَبَ^(٣) ، وَأَنْسَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي رَمَضَانَ لَيْلَةَ جُمَادَى ، وَدَفَنَ

(١) في م : فلقد أنشأ السَّنةَ الْمَاضِيَةَ .

(٢) ينظر ما يقوله المؤرخون في كاتبة الثلج سنة ٧٤٥ ، في : تذكرة النبيه ٦٣/٣ والبداية والنهاية ٤٧٧/١٨ والدليل التام ٦٨/١ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٤١٣/١ .

(٣) قال الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ٤٦٩/١٨ - ٤٧٠ : وفي صبيحة يوم السبت الخامس عشر منه [= شعبان سنة ٧٤٥] قبل الظهر ، جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس ليخفئها ، والله الحمد والمئة ؛ ثم تواترت الأخبار بأنها شغلت في بلاد حلب شيئاً كثيراً العمران حتى سقط بعض الأبراج بقلعة حلب ، وكثير من دورها ومساجدها ومشاهدها وجدرانها ؛ وأثنا في القلاع حولها فكثير جداً ؛ وذكر أن مدينة منبج لم يبق منها إلا القليل ، وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت =

ثَلْجُهَا سَوَاتِ ثَلْجِ سَنَتِنَا الْمَاضِيَةِ ، وَدَرَّ عَلَيْهَا رَمَاداً ، وَطَالَتْ أَيَّامُهُ وَالْأَعْمَارُ
الذَّاهِبَةُ بِهِ قِصَارٌ ، وَاسْتَطَالَتْ جُنُودُهُ الْمُهَاجِرَةُ وَقَلَّتِ الْأَنْصَارُ ، وَجَاءَتْ أَفْوَاجُهُ
وَكَانَتْ فِي عِلْمِ الْعَيْنِ ، وَقَدِمَتْ مِنْ وَرَاءِ الْبُرُوقِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَقَادِمُهَا
صُهَيْبٌ ، وَأَقْبَلَتِ الشُّحُبُ بِخُيُوطِ أَنْوَائِهَا وَتَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ ، وَفَتَحَتْ خَوْخَ
الْبُرُوقِ فِي السَّمَاءِ الْمُفْتَحَةِ الْأَبْوَابِ ، وَأَصْبَحَتْ بِغَارِبِ النَّوْءِ كُلِّ ذُرْوَةٍ كَأَنَّهَا
سَنَامٌ ، وَبِمُخْتَصَفِ السَّبِيلِ كُلِّ عَيْنٍ كَأَنَّهَا مَنَامٌ ، وَوَقَعَ كُلُّ جَبَلٍ عَلَى جَنْبِهِ وَقَدْ
عَصَبَ رَأْسُهُ مِمَّا تَصَدَّعَ ، وَفَاضَ كُلُّ وَادٍ امْتِلَاءً بَطْنُهُ مِمَّا شَرَبَ وَانْتَفَحَتْ رَوَابِيهِ
مِمَّا تَضَلَّعَ ، وَعَمَّتْ أَهْوَالٌ ، وَأَغَمَّتْ أَحْوَالٌ ، وَكَانَ لِلْمَدِينَةِ أَيُّ يَوْمٍ ، وَلِللَّيْلِهَا
فِي يَوْمِهِ أَيُّ نَوْمٍ ، وَدَخَلَتْهَا بِالْجَوَارِفِ الْبَقَرُ لَجَزْفِ الثَّلْجِ ، وَمَا دَخَلَتْ آلَةُ
الْحَزْزِ دَارَ قَوْمٍ ^(١) .

هذا بعدَ توالي أَيَّامٍ مَا نَعْرِفُ مَا نَقُولُ فِيهَا ، إِلَّا أَنَّهَا شَغَلَتْ الشَّيْخَ أَبَا تَمَّامٍ
وَشَيَّبَتِ الْوَلِيدَ ، وَحَجَبَتِ الدَّارَ فَمَا نَظَرَ إِلَيْهَا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ مِنَ الْجَلِيدِ ،
وَعَزَّ بِهَا حَتَّى عَلَى الْمَيِّتِ أَنْ يُقْبَرَ ، وَلَمْ يُرَ فِيهَا [٢٨ ب] قَتِيلٌ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَنَّهُ الْقَتِيلُ
الْمُصْبِرُ ، وَلَمْ يَبْدُ مِنْ شُهُودِ الْجِبَالِ ذَوَاتِ الذَّوَائِبِ ، إِلَّا كُلُّ مُعَذِّبٍ
بِالرَّحْمَةِ ، وَلَا مِنْ عُهُودِ الْغَمَامِ الْمُتَمَتِّدِ السَّحَابِ إِلَّا كُلُّ مَنْشُورٍ أَبْيَضَ
كَالْفَحْمَةِ .

فَلَمَّا رَاعِ الْمَمْلُوكُ مَنَظَرَهُ وَسَاءَهُ ، وَرَأَى نَهَارَهُ الطَّوِيلَ وَقَدْ جَعَلَ طَرَفَ
جَنَاحَيْهِ مَسَاءَهُ ، اسْتَضَرَّخَ عَلَى رُعُودِهِ الصَّارِخَةِ ، وَاسْتَعَانَ عَلَى بُرُوقِهِ النَّافِخَةِ ،

= الرِّدَمَ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

وينظر : تاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٣٦٠ - ٣٦١ وتذكرة النبيه ٣/ ٥٨ - ٦٠ .

(١) الإشارة إلى قول الرسول ﷺ عندما رأى سَكَةً وشيئاً من آلَةِ الْحَزْزِ : « لَا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ ، إِلَّا
أَدْخَلَهُ الدَّلُّ » . (صحيح البخاري ٣/ ٦٦) .

وَاسْتَنْصَرَ عَلَيْهِ بِكُلِّ مَنْ يَهْتَفُ بِهِ الدَّاعِي ، وَتَهَفُو إِلَيْهِ الْمَسَاعِي ، وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ
يَشْكُو سَعْيَ هَذَا الْمَطَرِ الْمُفْسِدِ ، فَجَاؤُوا يَجْرِي وَرَاءَهُمُ السَّاعِي ، وَلَمْ يُلْغِ
مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْتَرَشْ بِجَنَاحِهِ ، وَتُفْرَسَ عَادِيَةُ هَذَا الْعَدُوِّ بِسِلَاحِهِ ، وَيُرَدَّ بِهِ أَشَدُّ
بَأْساً مِنْ هَذَا الشَّتَاءِ ، فَأَمَّا هُوَ وَكَلْبُ بَرْدِهِ فَلَا يُنَحَّى بِحَجَرٍ لِبُجَاهِهِ .

وقد جَمَعَ الْمَمْلُوكُ ذَلِكَ كُلَّهُ - الْإِبْتِدَاءَ وَالْأَجُوبَةَ - بَيْنَ دَفْعِي دَفْعٍ ،
وَأَصَافَ إِلَيْهِ مَقَامَةً مِنْ ذَخَائِرِ مَوْلَانَا الَّتِي لَمْ يَزَلْ بِهَا يَتَكَبَّرُ ، وَأَثَبَتْ هَذَا
الْكِتَابَ ، وَأَخْلَى مَكَانَ الْجَوَابِ ، فَلَعَلَّهُ يُنْعِمُ بِهِ لَا بَرَحٍ مَنْعِماً ، وَلَا زَالَ سَالِماً
مَا عَلَيْهِ إِلَّا مَا يَرُدُّ مِنْ مَطَرِ السَّمَاءِ ، وَلَا فَتَىءَ يُكْمِلُ النُّقْصَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَالِكاً
لَمَا جُعِلَ ، وَحَاشَاكَ مِنَ الرَّيْبِ مُتَمِّماً ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ الَّتِي يَخْجَلُ السَّحَابُ مِنْ نَدَاهَا ، وَيَشْفِي لَثَمَ ثُرَابِهَا الْقُلُوبَ مِنْ
صَدَاهَا ، وَتَوْثُمُهَا الْأَيَّامُ بِالْمَنْ وَتَعْدُوها الْخُطُوبُ إِلَى عِدَاهَا ، تَقْبِيلاً يَزْدَادُ بِهِ
شَرْفًا ، وَيَعْتَادُ تَكَرَّارُهُ وَلَا يَعْتَدُهُ سَرْفًا ، وَيَجْعَلُ مَوَاطِنَهَا بِمَوَاقِعِ لَثَمِهِ رَوْضَةً أَنْفًا .

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْعَالِي ، تَجَلَّى حَبْرُهُ فِي حَبْرِهِ ، وَيَفْضَحُ زَهْرُ الْأَفْقِ
رَوْضَهُ بَزْهَرِهِ ، وَتَحَقِّقُ التَّوَاطُرُ حُسْنَ صَنَائِعِهِ وَمَا دَبَّجَهُ الْقَلَمُ فِيهِ بِأَثَرِهِ ، وَيُهْدِي
إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْعَامَ أَنْعَامِهِ ، وَيَجْلُو عَلَى الْعُيُونِ صُورَ سُورِهِ ؛ فَوَقَفَ لَهُ
وَانْتَصَبَ ، وَافْتَحَرَ بِوُرُودِهِ عَلَى بَنِي الْأَيَّامِ وَانْتَسَبَ ، وَانْتَهَى إِلَى الْإِشَارَةِ
الْكَرِيمَةِ فِي أَخْبَارِ الثَّلُوجِ الَّتِي طَمَّتْ وَعَمَّتْ ، وَأَوْضَحَتْ أَنْبَاءَهَا وَمَا عَمَّتْ ،
وَسَاقَتْ إِلَى الشَّامِ قَطَارَ الْقَطَارِ وَزَمَّتْ ^(١) ، وَنَمَتْ بِرَكَاتِ مَوَاقِعِهَا وَنَمَتْ
وَنَمَتْ ، وَهَمَّتْ سَحَابُهَا بِالْعَذَابِ وَأَهَمَّتْ ، فَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ فَقَدْ

(١) فِي ١ : وَذَمَّتْ .

هَمَّتْ ؛ فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ السَّنَةُ أَرْبَتْ بِالثَّلُوجِ عَلَى الْأُولَى ، وَزَادَتْ عَرَضَ الْأَرْضِ طُولًا ، وَجَعَلَتْ صَحِيحَاتِ التَّوَابِرِ حَوْلًا ، فَمَا يَطْلُ الْمَمْلُوكُ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَسَفَ جِبَالَ الشَّامِ ثَلْجًا ، وَجَعَلَ حَوَاجِبَهَا الْمُتَمَدِّدَةَ عَلَى عُيُونِ الْأَرْضِ بَلْجًا .

على أَنَّ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ فِي هَذَا الْعَامِ وَصَلَ إِلَيْهَا فَضْلُهُ ذَلِكَ الْبَرْدُ ، وَرَمَى أَهْلَهَا بِهَا^(١) لَا عَهْدُوهُ مِنْ مَزَاجِهَا الَّذِي كَانَتْ رَمَنَ الْوَرْدِ ، فَلَوْ تَرَى أَحَدُهُمْ وَقَدْ أَخَذَهُ النَّافِضُ ، وَنَحَاةَ الْقَرْ بِعَامِلِهِ الرَّافِعِ الْخَافِضِ ، لَا يَخِمِيهِ حِصْنُ فَرْوَةٍ وَلَا يُجِئُهُ ، وَلَا يَصُدُّ عَنْهُ نَفْحَةُ زَمْهَرِيرٍ وَلَا يُكِنُّهُ ؛ لَتَوَهَّمَتْهُ أَخَا وَجِدٍ يَهْتَزُّ طَرْبًا ، أَوْ غَضَبًا اغْتَوَزَ عَلَيْهِ رِيحًا شِمَالٍ وَصَبَا ، قَدْ رُكِبَتْ أَعْضَاؤُهُ مِنَ الرُّبُوبِ فَمَا تَسْتَقِرُّ ، وَجَعَتْ لَهَوَاتُهُ يُبْسًا فَمَا تَسْتَدِرُّ ، لَا يَمُدُّ كَفَّهُ وَلَوْ بَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى الْخِلَافَةِ ، وَلَا يُخْرِجُ يَدَهُ وَلَوْ كَانَ فَقِيرًا إِلَى كَيْسٍ ذَهَبٍ أَوْ نَدِيمًا إِلَى كَأْسٍ سُلَافَةٍ ، وَلَا يَنْبَغُ لِعَمَلٍ [١٢٩] كَانَتْ إِنْ وَقَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ مَا الْكَافَّةُ ، وَلَا يُصَدِّقُ حَدِيثَ شَمْسٍ وَلَوْ كَانَ بِالْقَطْرِ الْجَنُوبِيِّ شِتَاءً ، يَقُولُ : حَدِيثُ خُرَافَةٍ^(٢) : [من الكامل]

وَيَرَى عِتَاقَ الطَّيْرِ فِي وُكُنَاتِهَا تَخْتَارُ حَرَّ النَّارِ وَالسُّفُودَا
وَإِذَا رَمَى فَضْلَاتِ كَأْسٍ فِي الْهَوَى عَادَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقِيقِ عُقُودَا
كَمْ بَكَى أَنْفَهُ ، وَدَمَعُ جُفُونِهِ أَحَقُّ بِتِلْكَ الْعَبْرَاتِ ، وَكَمْ طَافَ بِكَعْبَةٍ كَانُونٍ
وَمَا أَتَى غَيْرَ الْجَمَرَاتِ ، يَكَادُ لِذَلِكَ الْبَرْدِ وَالْيُسِّ يَنْجَسِدُ حَتَّى الْكَلَامُ ، وَيَتَوَسَّدُ
الْإِنْسَانُ طَلَبَ الدُّنَارِ تَحْتَ الرَّجَامِ ، تَلْهَجُ الرَّغْدَةُ بِهِ لَهَجَ الشُّكُونِ بِحَرْفِ
الْعِلَّةِ ، أَوْ عُيُونِ الْعُشَاقِ بِالذُّمُوعِ الْمُسْتَهْلَةِ ، أَوِ الْبِدَائِعِ وَالبَدَائِهِ بِكَلِمَاتِ مَوْلَانَا
الْمُتَدَفِّقَةِ ، أَوِ الْفَهَاهَةِ وَالْعِيَّ بِعِبَارَةِ الْمَمْلُوكِ وَكَلِمَاتِهِ الْمُتَلَفِّقَةِ .

(١) سقطت « لا » من أ .

(٢) البيتان للباخرزي ، في ديوانه ١٠٠ - ١٠١ . وبلا نسبة في الكشف والتنبيه ٢٤٦ .

لَقَدْ تَحَقَّقَ أَنَّ عُصْرَ النَّارِ ذَهَبَ فَلَكُهُ ، وَأَنَّ الْأَثِيرَ تَقَطَّعَتْ حُبُّكُهُ ، يَا رَحْمَتَا لَهُ مِنْ عَارٍ يَحْسَبُ أَنَّ الثَّلْجَ^(١) نَحَا تَحْتَهُ فَتَكَ ، وَيَا عَجَبًا لَهُ مِنْ عَاجِزٍ عَنِ الْكَلَامِ وَكَمْ دَقَّ بِالْحَنَكِ ، هَذَا وَبَيْنَ الْإِفْلِيمَيْنِ مِنْ هَذَا الْبُعْدِ الَّذِي مَا لِلْجَهِّ سَاحِلٌ ، وَالْمَسَافَةِ الَّتِي إِذَا سَرَى فِيهَا طَيْفٌ شَبَّ أَصْبَحَ دُونَ الْغَايَةِ بِمَرَاحِلَ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا إِلَّا فُضَالَاتُ تِلْكَ الْعَوَاصِفِ ، وَلُفَاطَاتُ مَا يُنْفُثُهُ فَمَ الْجَوِّ مِنَ الرُّعُودِ الْعَوَاصِفِ ، فَهَذِهِ رُمُوزُ مَا هُنَاكَ مِنَ التَّصْرِيحِ ، وَبَعْضُ شَرَرٍ مَا يُنْفُخُهُ كَيْزُ الرِّيحِ ، فَكَيْفَ بِمَكَانٍ كَانَ فِيهِ الْمَضْرَعُ ؟ وَمَطَانٌ مَا يَنْشَأُ عَنِ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ ، وَمَوَاطِنَ إِذَا كَانَتْ الرِّيحُ رُخَاءً مَرَّتْ بِهِ وَهِيَ زَعَزَعٌ ، وَيَقَاعُ أَصْبَحَ الْغُرَابُ الْأَبْقُعُ بِثَلْجِهَا قُمْرِيًا ، وَبِلَادٍ تَتَخَذُ الشَّمْسُ فِي الْمَصِيفِ ظَهْرِيًا ، كَأَنَّهَا بِلَادُ أَبِي الطَّيِّبِ الَّتِي لَيْسَتْ عَلَيْهِ مَسَالِكُهُ ، وَغَدَتْ بِبَيَاضِهَا وَهِيَ سَوْدَاءُ حَالِكَةٍ ، فَأَقْبَحُ بِتِلْكَ الْأَرْضِ إِذَا أَصْبَحَتْ تُغَوَّرًا تَضْحَكُ ، وَأَبْعَدُ بِتِلْكَ الْأَنْدَاءِ الَّتِي يَنْحَلُّ مِنْهَا الْكَافُورُ وَيَنْحَلُّ ؛ وَلَقَدْ كَابَدَ الْمَمْلُوكُ ثُلُوجَهَا وَلَا إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، وَعَالَجَ أَنْوَاءَهَا وَلَكِنْ ذَلِكَ لَعِبٌ وَهَذَا جِدٌّ ، وَلَقَدْ أَذْكَرَنِي مَا قُلْتُهُ فِيهَا فِي وَقْتٍ ، وَهُوَ^(٢) : [من السريع]

تَبَّأَ لَهَا مِنْ بَلَدَةٍ لَا أَرَى فِيهَا مَقَامِي وَاضِحَ النَّهْجِ
لِأَنَّهَا فِي وَجْهِ سُكَّانِهَا وَأَهْلُهَا تَبْضُقُ بِالثَّلْجِ^(٣)

وَاللهِ الْوَدَاعِي^(٤) حَيْثُ يَقُولُ^(٥) : [من المنسرح]

أَقُولُ وَالثَّلْجُ قَدْ نُشِرْنَ لَهُ عَلَى وَجْهِهِ الْمَلَا مُلَاتٌ

(١) الثَّلْجُ : بساطٌ طوله أكثر من عرضه . (القاموس) .

(٢) البيتان في الغيث المسجم ١١٨/١ والكشف والتنبيه ٢٤٩ .

(٣) في ب : كَأَنَّهَا . × .

(٤) الوداعي : علي بن المظفر بن إبراهيم ، كاتب ابن وداعة ؛ توفي سنة ٧١٦ هـ . (الوافي بالوفيات

١٩٩/٢٢) .

(٥) البيتان في الكشف والتنبيه ٢٤٦ .

لَوْ لَمْ تَكُنْ قَامَتِ الْقِيَامَةُ مَا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ
وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ فِي الْإِعَانَةِ ، وَالْمَرْجُوُّ لِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَانَهُ ؛ وَمَوْلَانَا فِي وَقَايَةِ اللَّهِ تَكْفُفٌ عَنْهُ الْأَشْوَاءُ ، وَتَرْكُ الْأَذْوَاءِ ، وَتَصُدُّ
الْأَلْوَاءُ ، وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تُصَاحِبُهُ صَبَاحَ مَسَاءٍ ، وَتُبْلَغُهُ مِنَ الْمَارِبِ وَالْمَسَارِبِ (١)
حَيْثُ سَارَ وَحَيْثُ شَاءَ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَمْطَارُ فِي شَهْرِ شُبَّاطٍ ، مِنْ سَنَةِ ٧٤٦ : [م]

[البسيط]

هِيَ السَّحَابُ أَمَّا وَجْهَهَا فَتَدِي
خُضْرٌ تَسْرُ سَيُوفَ الْبَرْقِ آوَنَةً
مَا كَانَ أَمْشِيرٌ مِمَّنْ لَا يُشِيرُ بِمَا
جَاءَتْ بِجَمْرَةٍ كَانُونٍ وَقَدْ طُفِقَتْ
عَادَتْ عَلَيْنَا وَقَدْ وَلَّى الشِّتَاءُ بِمَا
وَجَاءَ شَهْرُ شُبَّاطٍ فَوْقَ عَاتِقِهِ
طَالَتْ عَلَيْنَا لَهُ أَيَّامٌ مُدَّتْ بِهَا
لَقَدْ جَرَى وَهُوَ مُمْتَدُّ الْعِنَانِ بِهَا
وَدَامَ يَهْمِي سِجَالُ الْمُزْنِ سَاكِبَةً
وَقَدْ خَفَى الْبَرْقُ فِي أَثْنَائِهَا وَجَرَتْ
فَأَرَمَدَتْ كُلَّ عَيْنٍ مَدُّ سَائِلِهَا
وَصَيَّبَ الرَّغْدُ لَا يَنْفَكُ يَزْجُرُهَا

طَلَّقُ وَأَمَّا نَدَاهَا فَهَوَ مِلْءُ يَدِي
إِنَّ السَّحَابَ لَجَلَاءٌ لِكُلِّ صَدِي
أَوَمْتُ إِلَيْهِ بِكَفِّ خُضْبَتِ وَيَدِ (٢)
نِيرَانُ كَانُونٍ لَا بِالمَاءِ وَالْبَرْدِ
[٢٩ب] فِيهِ وَفَاءٌ عَلَيْنَا الصَّيْفُ بِالْمَدَدِ
بِزَاخِرِ الْبَحْرِ تَحْتَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ
كَأَنَّ أَيَّامَهُ أَضَحَّتْ بِهَا عَدَدِ
نِهَآيَةٍ فِي مَدَى سَبَقٍ وَلَا أَمَدِ
وَالْبَرْقُ يَخْمُدُ مِنْهُ كُلُّ مُتَّقِدِ
سَوَاكِبِ الْمُزْنِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ الْبَدَدِ
لَكِنْ عُيُونُ الْحَيَا مِنْهُ بِهَا رَمَدِ
أَمَّا تَرَى الرَّغْدَ مِنْهَا مِثْلُ مُزْعِدِ

(١) فِي ب : وَالْمَشَارِبُ .

(٢) أَمْشِيرٌ : السَّادِسُ مِنْ شَهْرِ الْقَبْطِ ، وَيَبْدَأُ فِي السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ كَانُونِ الثَّانِي . (الْأَزْمَنَةُ
وَالْأَنْوَاءُ ١٤٥) .

يَزْمِي رَوَاشِقَ نَبْلِ صَوْبٍ سَاكِبِهِ
وَفَاخِئِي سَحَابٍ فَضْلُ مُطَرِّفِهِ
وَرُبَّ صَهْبَاءٍ فَوْقَ الزَّهْرِ سَائِرَةٍ
وَرُبَّ وَطْفَاءٍ كَخِلَاءِ الْمَدَامِيعِ مَا
وَرُبَّ رَيْقٍ مُزْنٍ طَعْمُ رَيْقَتِهِ
لَكِنَّهُ رُبَّمَا طَالَ الثَّوَاءُ بِهِ
فَرُبَّمَا جَاوَزَ الْفِقْدَارُ مَنْفَعَةَ
وَكَمْ تَضَرَّرَ بِأَدٍ مِنْ ثِقَافِهِ
وَكَمْ تَضَرَّرَ مِنْ ثِقَافِهِ

فَتَقْتِيهِ دُرُوعُ الرِّوَضِ بِالزَّرْدِ (١)
يَجْرُ فَوْقَ الثَّرَى ذَيْلًا بِكُلِّ يَدِ
حَمْرَاءَ تَعَبَقُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالزَّبَدِ
ذَرَّ الْكَرَى بَيْنَ جَفْنَيْهَا مِنَ الشُّهْدِ
أَشْهَى مِنَ الرَّاحِ أَوْ أَخْلَى مِنَ الشُّهْدِ
وَعَافَهُ النَّاسُ لِلتَّطْوِيلِ فِي الْمُدَدِ
وَجَاءَ بِالْعَيْثِ صَوْبُ الْعَيْثِ وَالتَّكْدِ
وَكَمْ تَضَرَّرَ مِنْهُ سَاكِنُ الْبَلَدِ

يُقْبَلُ كَذَا ، لَا زَالَتْ سَنَةٌ أَنْوَانِهَا مَاطِرَةٌ ، وَسِنَةُ الْكَرَى فِي مَقَلِ نَوَارِهَا
خَاطِرَةٌ ، وَسِنَةُ رِيَاضِهَا أَنْ تَتَبَرَّجَ مِنْهَا كُلُّ عَاطِرَةٍ ، وَلَا بَرَحَتْ أَلْسِنَةُ بُرُوقِهَا
لِقُلُوبِ الشُّحْبِ فَاطِرَةٌ ، وَأَسِنَّةُ دَوْحِهَا مِنْ ذَلَالِ الْأَنْدَاءِ قَاطِرَةٌ ، لِتُخَفِّظَ
لِمَوَاقِيقِ الشُّحْبِ الْعُهُودَ ، وَيُقَضَّ مِنْ وَثِيقِ الشُّحْبِ الْعُقُودُ ، وَتَعْلَمَ يَدُ الْأَنْوَاءِ
إِذَا ضَنْتَ بِالْجُودِ كَيْفَ تَجُودُ .

مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ ، وَإِنْ تَقَسَّمْتَ أَقْسَامًا ، وَسَرَّتْ أَقْوَامًا وَسَاءَتْ
أَقْوَامًا ، الْإِعْلَامُ بِأَخْبَارِ هَذَا الشِّتَاءِ ، وَأَحْوَالِ (٢) هَذَا الْحَوْلِ فِي الْهَرَمِ
وَالْفَنَاءِ (٣) ، وَأَنَّ الصَّيْفَ أَقَامَ إِلَى آخِرِ كَانُونٍ ، وَمَا أُوقِدَتْ فِيهِ لِغَيْرِ شَمْسِهِ
جَمْرَةٌ ، وَلَا عُرِفَ مِنْ قَوْسِ قُرْحٍ فِي غَيْرِ جَنَاحِ شُعَاعِهِ خُضْرَةٌ وَلَا حُمْرَةٌ ، وَلَا
فُتِحَتْ فِيهِ لِلسَّمَاءِ أَبْوَابٌ ، وَلَا بَرَزَتْ الْأَرْضُ مِنْ صَنْدَلِ الطَّيْبِ (٣) فِي إِزَارٍ وَلَا
أَثَوَابٍ ، حَتَّى إِذَا قَيِّظَ النَّاسُ ، وَقُضِيَ الْبَاسُ ، وَقِيلَ : هَذَا الشِّتَاءُ قَدْ أَذَنَ

(١) فِي ب : يَرْمِي سَوَاكِبَ

(٢) فِي م : وَأَهْوَالِ وَالْفَنَاءُ .

(٣) فِي س : الطَّيْنُ .

يَذْهَبُ ، وهذا البرق لا تفضيض منه لِمَنْثُورٍ مصاحفِ السماء ولا إذهاب ، آب منه ما ظنَّ أَنَّهُ لا يَؤُوبُ إِلَّا بَعْدَ آبٍ وَأَيْلُولَ ، ولا يُرى إِلَى السَّنَةِ الْآتِيَةِ رُذُنُ رَوْضٍ مَبْلُولٌ .

وَأَقْبَلَ وَقَدْ تَقَطَّعَ خَيْطُ مُزْنِهِ ، وَسَمَحَ مِنْهُ بِالكَثِيرِ بَعْدَ طُولِ خَزْنِهِ ، وَجَاءَ وَعَاءُ الْمَطَرِ فِي آخِرِ الشَّتَاءِ مَحْلُولِ الرِّبَاطِ ، وَكُلُّ مَا كُنِيَ عَنْهُ كَانُونُ صَرَخَ بِهِ شُبَّاطُ ، فَجَاءَ لَا تَعْرِفُ أَتِيَامَهُ مِنْ لَيَالِيهِ ، وَلَا زَوَائِحُهُ مِنْ غَوَادِيهِ ؛ وَتَوَاصَلَ مِذْرَارًا ، وَسَلَّ وَسَلَّ اسْتِمْرَارًا ، وَاسْتَذَرَكَ فَائِثَ الْعَمَامِ ، وَأَقْبَلَ بِالشَّحْبِ الثَّقَالِ وَالْبَحَارِ الْعِظَامِ ، وَدَنَا هَيْدَبُهُ مِنَ الْأَرْضِ وَأَقْتَرَبَ ، وَحَلَّ صَبِيئُهُ وَكَاءَهُ وَسَكَبَ بِأَفْوَاهِ الْقَرَبِ ، وَحَلَّ صَبِيئُهُ إِلَّا أَنَّهُ مَا جَاءَ بِدِمَقْسٍ^(١) حَرِيرِهِ الْأَبْيَضِ إِلَّا مَحْلُولًا ، وَلَا طَارَ جَنَاحُ عَمَامِهِ الْغَزِيْبِ الْأَسْوَدِ إِلَّا مَبْلُولًا ، وَمَثَلَ فِيهِ السَّحَابُ وَتَرَجَمَ عَنِ الْبَحْرِ بِفِيهِ ، وَهَبَّتْ فِيهِ عَوَاصِفُ الشَّتَاءِ [١٣٠] وَكَانَ يُقَالُ : إِنَّ رَوَائِحَ الصَّنِيفِ فِيهِ ، إِلَّا أَنَّ سَيُوفَهُ^(٢) لَمْ تُسَلَّ ، وَأَيْدِي مُزْنِهِ فِي سَلَسِلِهِ لَمْ تُغَلَّ ، وَصَوَارِخُ رُعُودِهِ مَا كَانَ مِنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَتَاشٌ ، وَطُرُقُ أَنْوَاثِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ رَشَاشٌ ، وَإِنَّمَا جَاءَتْ وَفَاقًا ، وَأَتَتْ عَمْدًا وَإِنَّمَا كَانَتْ اتِّفَاقًا ؛ وَالرَّكْبُ قَدْ حُبِسَ وَمَا انْطَلَقَ ، وَلَجَأَ إِلَى ذُرْوَةِ وَخَافَ الْغَرَقَ ، وَأَضْحَتِ الْإِبِلُ فِي حَوْرَانٍ قَبْلَ رَمْلِ عَالِجِ بَوَارِكِ ، وَسُرَّتْ فَلَجَّاتُ إِلَى الشَّامِ^(٣) بِمِثْلِ أَفْوَاهِ الْهَيْجَانِ الْأَوَارِكِ ، وَزَادَ الْأَمْرُ حَتَّى مُنِعَ طَوَارِقُ أَخْبَارِهِمْ أَنْ يَجِيبَ ، وَجُعِلَ زَادُ الْحُجَّاجِ وَفَائِيقُ أَخْبَارِهِمْ مِنْ عَجِيبِ ، هَذَا وَكَمْ مِنْ جَمَلٍ قَدْ كُسِرَ ، وَرَجُلٍ مُطْلَقٍ فِي سَبِيلِهِ فِي جِبَالِ الشَّتَاءِ وَقَدْ أُسِرَ ، وَذِي هِمَّةٍ كَانَ كَأَنَّ لَمْ يُغَارِقِ الْمَدِينَةَ قَدْ

(١) فِي أ ، م : بِدِمَقْسٍ .

(٢) فِي س ، م : أَنَّ سَيُوفَ بَرَقَ لَمْ تُسَلَّ .

(٣) فِي م : وَسُدَّتْ فَلَجَّاتُ الشَّامِ .

رَجَعَ ، وَآخَرَ صَمَمَ بِعِزِّ الْعَزْمَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَحْمَدِ الْمُتَتَجِعَ .

وَكَانَ الرَّكْبُ الْحِجَازِيُّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَخْرًا يَعْجُجُ عَجَاجُهُ ، وَبَرًّا يَضِيقُ بِنَازِلِيهِ فِجَاجُهُ ، وَأَكْثَرُ الْقَوْمِ غُرَبَاءُ ، فَجَاؤُوا مِنْ بَعِيدِ الْمَسْرِى ، وَأَتَوْا مِنْ خَلْفِ دَارٍ قَيْصَرَ وَكِسْرَى ، وَرَكِبُوا الْأَهْوَالَ ، وَبَدَلُوا الْأُمُورَ ، وَخَاضُوا الْأَوْحَالَ ، إِلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ .

وَقَدْ حَبَّرَ الْمَمْلُوكُ بَيْنَ الصَّحَائِفِ بِسَوَادٍ^(١) هَذَا الْخَبَرَ ، وَعَبَّرَ عَنْ بَعْضِ هَذِهِ الْعِبَرِ ، وَإِنَّمَا الْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ ، وَلَوْلَا هَذَا لَمَا قَاسَ ذِرَاعَ مَطِيئِهِ وَقَاسَى تِلْكَ الشُّقَّةَ ، وَمَنْ عَرَفَ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ مَا يَتَذَلُّ ، وَالصَّعْبُ فِي لِقَاءِ الْحَبِيبِ يَسْهُلُ ، وَهَؤُلَاءِ وَفَدُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ مَا يُضَيِّعُهُمْ ، وَلَا يُنْسَى لَدَيْهِ صَنِيعُهُمْ : [من الطويل]

وَطُوبَى لِمَنْ أَسْنَى عَلَى دَارَةِ الْحِمَى لَهْ مَنْزِلٌ أَوْ دُونَهُ بِقَلِيلٍ لَا زَالَتْ سَمَاوُهُ مَضِجِيَّةً ، وَشُمُوسُ أَيَّامِهِ مَضِجِيَّةً .

● فَكُنْتُ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ مَعْنَى ، وَإِلَّا فَأَيْنَ الْأَرْضُ ؟ وَيَتَوَهَّمُ وُجُودَهَا ذَهْنًا ، وَإِلَّا فَهِيَ مَفْقُودَةٌ لِيَوْمِ الْعَرْضِ ، غَطَّتِ الْأَمْطَارُ ثَرَاهَا ، وَشَطَّتْ مَنَازِلُهَا وَبَعَدَ حِمَاهَا ، وَحَطَّتْ بِهَا رَكَائِبُ السُّيُولِ فَاجْتَحَفَتْ تَرْبَهَا فَمَا نَرَاهَا (تَرْبًا) ، وَبَلَغَ السَّنَلُ الرُّبَا لَا الرُّبَى ، وَزَكَّى الْغَيْثُ وَنَمَتْ بَرَكَائِهُ وَرَبَا ، وَأَقْبَلَ شِبَاطُ فَمَا آبُ آبٍ ، وَوَلَّى تَمُورُ هَرَبًا ، فَأَيْنَ الْمَقَرُّ وَلَا عَاصِمٌ ؟ وَأَيْنَ الْخَلَاصُ وَنَحْنُ بِمُدَى هَذِهِ الْبُرُوقِ فِي حَزِّ الْغَلَاصِمِ ؟ وَكَيْفَ وَضُوحُ الْحُجَّةِ لِلنَّجَاةِ ، وَهَذِهِ الرُّعُودُ الْقَاصِفَةُ تَخَاصِمُ ؟ وَكَيْفَ وَكَيْفَ ؟ وَهَذَا الْبَرْدُ قَدْ فَعَلَ فِي الْأَجْسَامِ مَا لَا يَفْعَلُهُ

(١) فِي ب : لَيْسُودَ .

ذُبَابُ الصَّنِيفِ ، وَأَهْوَنُ بِهِ ، بَلْ وَلَا ذُبَابُ السَّنِيفِ .

ويُنْهِي ورودَ الأبياتِ الدَّالَّةِ تَجُرُّ رِداءَ حُسْنِهَا ، وَتَصِفُ شِدَّةَ حَلَّتْ بِنَا ، وما نَحْنُ وَزَنَ مُزْنِهَا ، وَتَسْرُدُ خَبَرَ النُّفُوسِ الَّتِي ارْتَاعَتْ فِي أَجْسَادِهَا ، وما كَانَتْ فِي كِنِّهَا ، وَتَتَّصِلُ بِرَوْضَةِ حَمَائِمِهَا سَاجِجَةً ، وَكَوَائِبُ فَضْلِهَا لِلِاسْتِقَامَةِ رَاجِعَةً ، وَغُبُونُ مُحَاسِنِهَا تَسْهَرُ لَهَا الْعُيُونُ وَهِيَ مِلءٌ جُفُونِهَا هَاجِعَةً ، فَشَغَلَهُ حَلْيُهَا الَّذِي لَا يُعَارِ لِسُوَاهَا ، وَبُهِتَ لِهَذِهِ النُّيُوتِ الَّتِي رَفَعَ [٣٠ ب] قَلَمُهُ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا ، وَتَنَزَّهَ فِي نَفْسِهَا الَّذِي أَغْطَشَ لَيْلُهَا ، وَطَرَسِهَا الَّذِي أَخْرَجَ ضُحَاهَا .

وقال : أَلَا هَكَذَا فَلْيَكُنْ كَلَامُ مَنْ أَنشَأَ ، وَأَبْطَنَ الْمَعَانِي الْبَلِيغَةَ وَغَشَّاهَا مِنْ الْأَلْفَافِ وما غَشَّى ، وَكَتَبَ وَهَذَا مَجَازٌ ، وَإِلَّا فَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ طَرَزَ وَطَرَفَ ، وَوَشَّعَ وَوَشَّى ، وما يَقُولُ الْمَمْلُوكُ إِلَّا أَنَّ مَوْلَانَا مَلَكَ هَذَا الْفَرْقِ وَالنَّاسُ عَلَيْهِ عِيَالٌ ، وَهُوَ يَمْشِي فِي نُورِ أَيَّامٍ وَالنَّاسُ يَخْبُطُونَ فِي ظُلُمَاتِ لَيَالٍ ، وَهُوَ يَقْطِفُ زَهَرَ الْكَلَامِ وَيَجْنِي ثِمَارَهُ ، وَغَيْرُهُ يَخْتَطِبُ سُوكَ السِّيَاحِ وَالسَّيَالِ .

فلقد وَصَفَ هَذِهِ الشَّدَائِدَ بِمَا وَصَفَ ، وَحَكَى الْحَالَ الَّذِي كَمَ بَارِقٍ فِيهِ لَمَعٌ ، وَكَمْ رَاعِدٍ قَصَفَ ، وَأَطْرَبَ الْأَلْبَابَ فَلَا خَدَّ وَزِدَ إِلَّا فِي خَجَلٍ ، وَلَا غُضْنَ بَانٍ إِلَّا أَنْقَصَفَ ؛ وَهُوَ حَرَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا وَصَفَ عَرَفَ مَا يَقُولُ ، وَأَتَى بِمَا تَنْقَصِمُ لَهُ عُقُودُ الْعُقُولِ ، وَحَسَنَ مَا يَهْوَنُ وَرَوَعَ مَا يَهُولُ ، وَأَوْضَحَ الْمَعَانِي فَمَا تَخْفَى إِلَّا عَلَى غَيْبٍ أَوْ جَهُولٍ ، فَاللهُ يُدِيمُ لَنَا هَذِهِ الْفَوَائِدَ الَّتِي هِيَ لِذُنُوبِ هَذِهِ الشَّدَائِدِ كَفَّارَةٌ ، وَلِهَذِهِ السَّيِّئَاتِ الشَّتَوِيَّةِ غَفَّارَةٌ .

وقد أَجَابَ الْمَمْلُوكُ عَنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الطَّائِلَةِ بِقُصُورِهِ ، وَأَتَى بِأَكْوَاجِهِ الصَّيِّقَةِ إِلَى مَلِكِ الْإِنْشَاءِ وَهُوَ فِي فَيْسِحَاتِ قُصُورِهِ ، وَمَا ثَمَّ إِلَّا سِتْرُ مَوْلَانَا الَّذِي عَوَدَ إِسْبَالُهُ ، وَحِلْمُهُ الَّذِي يَسْعَى هَفَواتٍ غَيْرِهِ ، وَلَوْ أَنْصَفَ تَتَفَ سِبَالُهُ ؛

وهي ^(١) : [من البسيط]

ما لِلْغَمَائِمِ قَدْ أَرَسَتْ عَلَى الْبَلَدِ
وَجِنَ لَاحَتْ عَلَى بُعْدِ طَلَائِعُهَا
خَاطَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَ السُّخْبِ فَالتَّامَتْ
وَلَمْ تَبْتَثْ أَغْيُنُ الْأَنْوَاءِ بِأَكِيَّةِ
كَمْ شَفَقَ الرَّعْدُ جَنِيًّا مِنْ سَحَابِهِ
يَا لِلْعَجِيبِ قِيَابَ السُّخْبِ قَدْ وَقَفَتْ
فَاسْمَعْ حَدِيثَ عَنَاءٍ قَدْ أَحَاطَ بِنَا
أَبُو قِلَابَةِ يَزُورِي الْيَوْمَ عَنْ مَطَرٍ
لَا يُوحِشُ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ يُقَالُ لَهُ
أَمَّا التُّجُومُ فَشَيْءٌ كَانَ فِي زَمَنِ
كَذَا الْفِرَاءِ وَكَانَتْ ذَاتَ مَنْفَعَةٍ
وَهَكَذَا كُلُّ لَيْسِدٍ كُنْتَ تَغْهَدُهُ
وَمُذْ نَشَدْتُ ثِيَاباً أَسْتَعِينُ بِهَا
قَدْ أَفْقَرْتُ رَاحَتِي مِنْ رَاحَتِي وَخَلْتُ
فَلَا تَقُلْ إِنَّ ذَا لِلزَّرْعِ مَضْلَحَةً

ولم تُفَارِقْ مَغَانِيهِ مَدَى الْأَبَدِ ^(٢)
سَاقَتْ إِلَيْنَا بَرِيدَ الْبَرْدِ وَالْبَرْدِ
هَذَا وَخَيْطُ الْحَيَا خَالٍ مِنَ الْعَقْدِ
إِلَّا وَلِلْبَرْقِ فِيهَا حُمْرَةُ الرَّمْدِ ^(٣)
وَقَلْبَ الْبَرْقِ فِيهَا قَلْبَ مُرْتَعِدِ
هَذَا الزَّمَانِ وَمَا قَامَتْ عَلَى عَمَدِ
مِنْ عَهْدِ نُوحٍ وَحَتَّى الْآنَ لَمْ يَرِدْ
عَنْ ثَابِتٍ عَنْ يَزِيدٍ وَاصِلَ السَّنَدِ
شَمْسُ النَّهَارِ فَمَا تَبْدُو لِمُرْتَصِدِ
مَضَى حَمِيداً فَقَدْ وَلَّى وَلَمْ يَعُدْ
« أَفَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ » ^(٤)
« أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لَيْدِ » ^(٥)
« عَيْتُ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ »
« وَلَمْ أَعْرِضْ أَبَيْتَ اللَّغْنِ بِالْصَّفَدِ »
« يَسْعَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدِ » ^(٦)

(١) ستة من هذه الأبيات في الكشف والتنبيه ٢٣٣ .

(٢) في ب ، س : × . . . مدى الأمد .

(٣) البيت ساقط من أ ، م .

(٤) الأعجاز الآتية مضمّنة من دالية النابعة الذبياني ، ديوانه ٢٦ - ٢ .

(٥) في س : . . . كنت أعهدُهُ × .

(٦) هذا المعجز والذي يليه مضمّتان من قول أسامة بن منقذ في ضرر له قلعة : [ديوانه ١٥٢] ومختصر

تاريخ دمشق ٢٦٠ / ٤]

وصاحب لا تمل الدهر صحبته يشقى لنفعي ويسعى سعياً مجتهداً

فَلَيْتَ هَذَا الشَّتَاءَ الصَّغْبُ مُذْ وَقَعَتْ
بَزْدُ لَوْ أَنَّ الْوَرَى جَاءَتْ تُبَايَعُنِي
مَا نَحْنُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ كِي يَطُوفَ بِنَا الطُّ
لَقَدْ سَكَّرْنَا مِنَ الْهَمِّ الْمُبْرَحِ لَا
فَالْوَكْفُ رَاوَقْنَا وَالْبَيْتُ بَاطِيَةٌ
فَالْأَنْفُ بَالِكٌ لِأَنَّ الْعَيْنَ جَامِدَةٌ
قَدْ مَرَّ كَانُونُ خِلْوًا مِنْ أَذَى وَقْدَى
[٣١] فَجَا شِبَاطُ بِسِيَابِ السَّحَابِ إِلَى
فَكَمْ رَمَى نَبْلٌ وَبَلٍ بَاتَ يَزْشُقْنَا
مَا كَانَ أَغْنَى الْوَرَى فِي ذَا الْقُطُوعِ وَذَا النَّ
فَلَا تَقُلْ إِنَّ هَذَا رَحْمَةٌ نَزَلَتْ
إِنْ دَامَ لَا دَامَ عَمَّ الْهَلْكَ أَجْمَعْنَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ عِنْدَ قُدُومِي مِنَ الْقَاهِرَةِ ، أَوَائِلَ سَنَةِ ٧٤٦ يَطْلُبُ مِنِّي
جَوَاباً كَتَبْتُهُ عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلِ - فَدَسَّ اللَّهُ رُوحَهُ - إِلَى
السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرِينِيِّ صَاحِبِ مُرَاكَشٍ ^(١) : [من الطويل]

رَعَى اللَّهُ قَلْبًا لَا يَزَالُ يَشُوقُهُ حَبِيبٌ عَلَى طُولِ الْمَدَى وَخَلِيلٌ
وَدَهْرًا أَعَادَ اللَّهُ فِيهِ زَمَانَنَا وَقَصَرَ ذَيْلٌ لِلْفِرَاقِ طَوِيلٌ
فَمَا مِثْلُ مَنْ قَدْ كُنْتُ فَارَقْتُ شَخْصَهُ وَعَادَ وَقَلْبِي بِالْبِعَادِ عَلِيلٌ
لَقَدْ جَلَّ يَوْمَ الْبَيْنِ قَدْرُ فِرَاقِهِ وَهَلْ كَخَلِيلٍ فِي الْفِرَاقِ خَلِيلٌ

الْمَمْلُوكُ يُقْبَلُ كَذَا ^(١) ، الَّتِي جَاءَتْ هِيَ وَبَوَاكِيُرُ الرَّبِيعِ عَلَى قَدَرٍ ، وَوَرَدَتْ
قَبْلَ الْوَرْدِ ، وَالْبَدْرَةُ لِمَنْ بَدَرَ ، وَعَادَتْ وَأَبْقَتْ النَّيْلَ بِحُمْرَةِ خَجَلِهِ ، لِأَنَّ أَبَا
الصَّفَاءِ لَا يُمَائِلُهُ أَبُو الْكَدَرِ .

وَيُنْهِي تَشْوِقُهُ إِلَى الرِّسَالَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَمَا كُتِبَ فِي جَوَابِهَا ، وَمَا يَشْكُ أَنَّهُ قَدْ
سَاقَ إِلَى الْمَغْرِبِ الشَّمْسِ ، وَأَنْسَى بِيَوْمِهِ فِي الدِّيَّانِ كُلِّ أَمْسٍ ، وَأَسْمَعَ
الْمَرِينِيَّ مَا لَمْ يَمُرَّ بِسَمْعِهِ مِنْ لِسَانٍ ، وَأَرَاهُ مِنْ مَقْدَمِهِ أَحْسَنَ مِنْ يَوْمٍ فَتَحَ
تِلْمَسَانَ ، هَذَا إِلَى مُتَجَدِّدَاتِ هَذِهِ الرَّحْلَةِ مِمَّا لَا يُؤْلَدُهُ مِنَ الدَّرِّ مَطَرُ نَيْسَانَ .

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من الطويل]

خَلِيلُكَ إِذْ وَافَى حِمَاكَ تَرَفَّعَتْ بِهِ رُتَبٌ أَذْنَتْهُ فَهَوَ جَلِيلٌ
وَصَالَ وَهَابَتُهُ التَّوَلَّى وَسَمَا بِهِ إِلَى الشُّهْبِ فَنُحْ لَا يُرَامُ طَوِيلٌ
وَعَادَ فَعَادَتُهُ الْمَسْرَةُ بَعْدَمَا مَضَتْ مُدَّةٌ بِالْبُعْدِ وَهَوَ عَلِيلٌ
وَمَنْ جَاءَ مِنْ مَضِرٍ إِلَى الشَّامِ قَاصِدًا إِلَيْكَ تَلَقَّاهُ بِجُودِكَ نَيْلٌ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الَّذِي خَسَفَ حُسْنُهُ الْقَمَرَ ، وَأَرَاهُ تَرَفَّعَ
الزَّهْرَ وَتَفَتَّحَ الزَّهْرَ ، وَفَضَحَ رَوْقَهُ الدَّرَارِي ، وَإِنْ تَنَازَلَ فَقَدْ أَخْجَلَ الدَّرَرَ ،
وَتَحَقَّقَ أَنَّهَا دَوْحَةٌ أَخْرَجَهَا مَنْ ضَرَبَتْ أَغْرَافُهُ الطَّيْبَةَ إِلَى عُمَرِ ، وَامْتَثَلَ مَا رَسَمَ
بِهِ مَوْلَانَا وَجَهَّزَهُ ، عَلِمًا بِأَنَّهُ قَدْ أَهْدَى الدُّبَالَهَ إِلَى النَّيْرِ الْأَعْظَمِ ، وَجَهَّزَ النَّيْلَ
الْمُخْتَرَقَ إِلَى الْبَحْرِ الْمُفْعَمِ ، وَعَرَضَ عَلَى غُوطَةِ قَاسِيُونَ حَاجِزَ الْمُقَطَّمِ ^(٢) ،
فَإَيْنَ جَوَابُ الْعَرْبِ مِمَّنْ مَلَأَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ ذِكْرُهُ ؟ وَأَيْنَ هَشِيمُ الْمُقِلِّ مِنْ
مُكْثِرِ سَدِّ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَا زَهْرُهُ ؟ فَإِنْ كَانَ فِيهَا مَا يَرُوقُ فَهَوَ مِنْ بَضَائِعِ مَوْلَانَا الَّتِي
رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَسَاقَ هَذِي هَدِيَّتَهَا إِلَيْهِ ، وَإِلَّا فَكَلَامُ الْعَاجِزِ عَجُوزُ ،

(١) فِي م : يَقْبَلُ الْأَرْضَ .

(٢) فِي ب : حَاجِزُ حِجْرِ الْمُقَطَّمِ .

= لَمْ يَدِّ لِي مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا لِنَظَائِرِي افْتَرَقْنَا فُرْقَةً الْأَبَدِ
(١) رِسَالَةُ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرِينِيِّ ، أَوْرَدَهَا الْمُقَرِّي فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ ٣٨٦/٤ . وَجَوَابُ الصَّفْدِيِّ عَنْهَا فِي
٣٩٤/٤ وَمَا بَعْدَ . وَيَنْظُرُ إِجَازَةُ الصَّفْدِيِّ بِرِوَايَةِ رِسَالَتِهِ فِي ٣٩٩/٤ .

ومُقَابَلَةُ الشُّهُبِ بِالْحَصَى لَا تَجُوزُ ، وَاللَّهُ يُدِيمُ فَوَائِدَ مَوْلَانَا الَّتِي تَهْدِي فَوَاكِهَ
أَيْلُولٍ إِلَى مَنْ فِي قَلْبِهِ حَرٌّ تَمُوزُ ، بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ ، وَأَنَا بِصَفْدِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ وَسَبْعِمِئَةِ
جَوَاباً :

لَا زَالَتْ فُطْنَتُهُ دَاعِيَةَ الْإِسْرَاعِ ، وَمَحَاسِنُهُ مِلْءَ الْأَبْصَارِ وَالْأَفْوَاهِ
وَالْأَسْمَاعِ ، وَيُنْهِي وَقْفَهُ عَلَى كُلِّ مِنَ الْجَوَابَيْنِ ، فَوَقَفَ النَّظَرُ عَلَيْهِ وَحَسَنَهُ ،
وَأَسْتَأْنَسَ بِهِ فَاَمَّنَ سَمْعُهُ وَأَنَسَهُ ، وَاجْتَنَى [ب ٣١] مَعَانِيهِ فَتَحَقَّقَ أَنَّهَا مِنْ ثَمَرَاتِ
ذَلِكَ الْغَرْسِ ، وَتَمَتَّعَ مِنْ مَحَاسِنِهِ بِجَنَاتٍ فِيهَا مَا تَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَتَسْتَهِي النَّفْسُ ،
وَعَلِمَ أَنَّهَا أَمِنَا أَنْ يُعَزَّزَ بِثَالِثٍ ، وَأَنْ يُضَاهِيَهُمَا إِلَّا عَابَثُ ، وَأَنَّهَا الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ ، وَالْبَحْرُ وَالْمَطَرُ ، وَاسْتَسَرَّ^(١) بِهِمَا وَتَهَنَّى ، وَقَالَ^(٢) : أَتَاكَ الْمَجْدُ مِنْ
هَئَا وَهَئَا^(٣) : [مِن الطَّوِيلِ]

سَمَتْ نَحْوَهَا الْأَبْصَارُ حَتَّى كَانَهَا بِنَارِيهِ مِنْ هَئَا وَهَئَا وَثَمَّ صَوَالِي
وَقَالَ : هَكَذَا فَلْيَكُنْ مَنْ يُكَاتِبُ ، وَبِمِثْلِ هَذَا فَلْيُجَاوِبْ مَنْ يُجَاوِبُ ،
وَتَسَاوَتْ قِيَمَتُهَا فَلَمْ يَذَرِ أَيُّهُمَا يُفْضَلُ ، وَبَهَرَتْ أَنْوَارُهُمَا حَتَّى دَهَشَ ، أَيُّهُمَا
يَبْدَأُ بِهِ وَيَتَأَمَّلُ ؛ إِلَى أَنْ وَجَدَ أَحَدَهُمَا مُوْشَعًا بِالْخَطِّ الْكَرِيمِ الْبَهَائِيِّ مَرْقُومُ ،
مُسْتَمْتَلًا عَلَى رِيَاضِ صَدْرَتِ مَنْ أَنَامِلِهِ الشَّرِيفَةُ عَنْ غُيُومٍ ، وَمَا جَعَلَهُ فِي أَتْنَاءِ
ذَلِكَ الْكِتَابِ إِلَّا خَشْيَةً أَنْ يَبْدَعَ الْعُقُولُ فَيَشْدَهُهَا^(٤) بِالْخَيَالِ ، وَمَا كَانَ مَوْضِعُهُ
الْحَوَاشِي إِلَّا لِئِشْهَادِ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ عَلَيْهِ خَطُّ الْكَمَالِ ، وَلَا عَدِمَ الْمَمْلُوكُ مِنْ عَوَارِفِهِ

(١) فِي س : وَاسْتَسَرَّ . وَفِي م : وَاسْتَبَشَرَ .

(٢) صَدَرَ بَيْتٌ لِأَبِي وَجْزَةِ السُّعْدِيِّ ، فِي دِيَوَانِهِ ١٦٠ . وَعِجْزُهُ :

(٣) الْبَيْتُ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ ، فِي سَقَطِ الزُّنْدَقِ ١١٦٤/٣ .

(٤) فِي م : فَيَدْهَشُهَا .

فِي تَالِيدِ الْفَضْلِ وَطَارِفِهِ : [مِن الْخَفِيفِ]

مُحْسِنًا لَمْ يَدْعُ لَنَا بِأَيَادِيهِ عَلَى كَثْرَةِ الرَّجَاءِ رَجَاءُ
جَادَ قَبْلَ السُّؤَالِ بِرَأً فَلَمَّا لَمْ نَسْلُ مِنْ نَدَاهُ جَادَ ابْتِدَاءً

وَلَقَدْ اسْتَدْرَجَ كَرَمُهُ لِسَانَ الْمَمْلُوكِ ، عَمَّا كَانَ بِصَدْدِهِ مِنْ ذِكْرِ الْمُشْرِفِ
الْوَارِدِ ، وَوَصَفَ مِنْتَهُ الَّتِي تَثْبُتُ فِي الْأَعْنَاقِ كَالْقَلَائِدِ ؛ فَإِنَّ الْمَمْلُوكَ كَانَ قَدْ
سَكَّرَ بِمَا أَدَارَهُ الْقَلَمُ الْبَهَائِيَّ مِنْ كُؤُوسٍ تَصْرَعُ الْأَلْبَابَ ، وَتَضْرِبُ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَعَقْلِهِ بِحِجَابٍ ، وَقَدْ أَنَّ لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يَصْحُو ، وَأَنْ يَقْصِدَ طَرِيقَ الْأَدَبِ
وَيَنْحُو ، فَيَقُولُ : إِنَّ الْمُشْرِفَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ وَإِنْ ثُلُثْنَا^(١) عَدَدًا ، وَسَلَكْنَا طَرِيقًا
قِدْدًا ، فَذَرُّهُمَا مُؤْتَلِفٌ ، وَبِرُّهُمَا لَا يَخْتَلِفُ ، وَوَصَلَ قَرِينَهُمَا مَا أَنْعَمَ بِإِنْفَاذِهِ
مِمَّا كَانَ الْمَمْلُوكُ التَّمَسُّهُ مِنْ كَرَمِهِ ، وَاسْتَهْدَاهُ^(٢) مِنْ مَوَاهِبِ قَلَمِهِ .

وَأَمَّا مَا كَانَ بَلَغُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْجَنَابِ الزَّيْنِيِّ ، فَالْجَوَابُ عَنْهُ قَوْلُ
مِهْيَارِ .

وَأَمَّا الْمَرَاثِي الشُّهَابِيَّةُ ، فَنَظَمَ الْجَنَابَانِ الشَّرِيفَانِ الْعَلَائِيَّ وَالشُّهَابِيَّ وَلَدَا
غَانِمِ أَبْقَاهُمَا اللَّهُ تَعَالَى قَصِيدَتَيْنِ ، بَلْ فَرِيدَتَيْنِ ، وَكَانَ الْجَنَابُ الْعَالِي ابْنُ نُبَاتَةَ
غَائِبًا عَنْ مَوْتِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ عَمِلَ قَصِيدَةً هَتَفَ بِهَا كُلَّ سَامِعٍ ، وَاسْتَبْكِي بِهَا
حَتَّى أَغْنَيْنِ الثُّجُومَ الطَّوَالِعَ ؛ وَعَمِلَ الْأَدِيبُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْخِيَّاطُ مَرْثِيَةً
لَمْ يُرْفَعْ لَهَا عِلْمٌ ، وَلَا تَلَجَّلَجَ بِهَا نَعَمٌ ؛ وَتَقَدَّمَ مِنَ الْمَمْلُوكِ نَظْمٌ وَاحِدَةٌ ، وَبَلَغَ
الْمَمْلُوكُ أَمْرًا اقْتَضَى كَتْمَهَا^(٣) ، وَيَتَأَنَسَى مَا فِيهَا ؛ وَعَقَبِيَّتُهَا يُجَهِّزُ بِهَا وَرَقَةً
مُحَبَّسَةً لِبَدَائِعِهَا وَحَابِسَةً ، لِيَقِفَ عَلَيْهَا فَيَدْفَعِ الْأَرْبَعَةَ وَيَكْتُمِ الْخَامِسَةَ ، وَأَوْصَلَ

(١) فِي أ ، ب ، س : ثَلَاثًا ! .

(٢) بِدَايَةِ سَقَطِ فِي ب مَقْدَارُهُ وَرَقَةٌ .

(٣) فِي س : اقْتَضَى أَنْ يَخْفِيَهَا .

المَمْلُوكُ إِلَى الْيَدِ الْكَرِيمَةِ النَّاجِيَةِ ، ابْنِ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِي ، كِتَابُهُ وَقَدْ وَعَدَ فِيهِ بِالزِّيَارَةِ ، فَأَوْقَفَ اللَّوَاخِظَ دِبَادِبَ السُّبُلِ تَتَرَقَّبُ أَنْتِظَارُهُ ، وَالْمَسَامِيعَ رَيْبَةَ الرُّسُلِ لِتَسْمَعَ أَخْبَارَهُ ، وَالْمُسْتَمَدَّ مِنْ تَفْضِيلِهِ أَنْ يُوَاصِلَ بِخِدْمِهِ مَا دَامَ فِي قَوْسِ الْقَطِيعَةِ مَنْزَعٌ ، وَلِلرَّأْيِ تَرَدُّدٌ يُخْشَى وَيَتَوَقَّعُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُقَرِّبُهُ مَقِيلًا ، وَلَا يُعْذِمُ الْمَمْلُوكَ^(١) خَلِيلًا عَلَى الْحَقِيقَةِ جَلِيلًا ، بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٢٠ جَوَابًا عَنْ كِتَابِ عَطْفَتِهِ عَلَى مُوشَّحَةٍ نَظَّمْتُهَا مُعَارِضًا [١٣٢] بِهَا الْمُؤَصِّلِي أَحْمَدُ بْنُ حَسَنٍ ، وَسَوْفَ يَأْتِي ذِكْرُهَا فِي ذِكْرِ جَمَالِ الدِّينِ يَوْسُفَ الصُّوفِيِّ فِي حَرْفِ الْبَاءِ :

لَا زَالَتْ^(٢) الْبَلَاغَةُ جَنَى غَرْسِهَا ، وَالْبَرَاةُ شَأْنُ نَفْسِهَا ، وَقَبَّلَ الْمَمْلُوكُ تِلْكَ الْعَقَائِلَ الطَّالِعَةَ ، وَاسْتَشْفَى بِتِلْكَ الْمَوَاهِبِ النَّافِعَةِ ؛ وَفَهِمَ الْمَمْلُوكُ الْإِشَارَةَ فِي تَأْخِيرِ الْجَوَابِ الْبَهَائِيِّ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ الْمُسْتَرْفَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ حِينَ وَرَدَ ، اسْتَبَقَ نَظْرَ الْمَمْلُوكِ وَبَنَانُهُ إِلَى تَأْمُلِهِ وَالْإِجَابَةَ عَنْهُ ، وَازْدَحَمَتْ فِي طَرِيقِ نَظْمِهِ أَلْفَاظُهَا ، وَالْأَلْفَاظُ الْمَنْقُولَةُ مِنْهُ ، وَجَهَّزَهُ مَعَ قَاصِدٍ ، لَا شَكَّ أَنَّ عَرَفَ أَنَّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ، فَتَبَدُّهُ ظَهْرِيًّا ، وَجَعَلَهُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ، وَلَمْ يَتَأَخَّرِ الْمَمْلُوكُ مُحْجِمًا ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ الْإِخْجَامَ كَانَ بِمِثْلِهِ أَلَيَّ ، لِيَسْتَرْ تَقْصِيرُهُ ، وَيُخْفِيَ عُيُوبَ فَهَاهُتِهِ ، وَيُحِيلَ الْمُحْسِنَ عَلَى إِحْسَانِهِ الَّذِي يَكْفِيهِ مُجَازِيًّا وَيُمَازِلُهُ مُجَازِيًّا .

وَقَدْ أَعَادَ الْمَمْلُوكُ إِلَى الْجَنَابِ الْبَهَائِيِّ خِدْمَةً ثَانِيَةً ، لَعَلَّ فَصَاحَةَ الْمَوْلَى فِي الْإِيرَادِ تُعْذِيهَا فَتَلْبِسُهَا الْمَحَاسِنَ ، وَتُكْسِيهَا الْمَيَامِنَ .

وَأَمَّا إِشَارَةُ الْمَوْلَى إِلَى الْمُوشَّحَةِ الَّتِي عَارَضَ بِهَا الْمُؤَصِّلِي فِي الْوِزَنِ

وَالرَّوْيُ مُلْتَزِمًا مَا جَاءَ بِهِ الْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي عَفْوِ قَرِيحَتِهِ مِنَ الْعُصُونِ وَالْأَقْفَالِ ، وَنَسْجِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْوَالِ ، فَقَدْ تَأَمَّلَهَا الْخَادِمُ وَاسْتَمَلَّهَا ، وَاسْتَجَلَّهَا وَاسْتَحْلَاهَا ، وَأَخْضَرَهَا مَعَ مُوشَّحَةِ الْمُؤَصِّلِي ، فَأَقْسَمَ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، وَذَكَرَ بِهَا فَرِيدَةَ الْجَمَالِ ، فَقَالَ : وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا ، وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا ، وَاللَّيْلُ مِنْ سَوَادِ وَجْهِ مُعَارِضِهَا إِذَا يَغْشَاهَا ؛ وَتَمَثَّلَ الْقَوَافِي عَلَى غُصُونِهَا حَمَائِمَ ، وَالْحَشَوُ عَلَى سَجَعَاتِهَا كَمَائِمَ ، وَعَذَرَهَا فِي اتِّخَاذِ الْأَقْفَالِ عَلَى مَا صَانَ مِنْ دُرِّهَا وَصَاعَ مِنْ تَبْرِهَا ، وَقَابَلَهَا بِكُلِّ مَا قِيلَ فِي هَذَا النَّوعِ فَوَجَدَهَا كَاسِفَةً ، وَمِثْلَهَا بِأَمْثَالِهَا فَغَدَّتْ عَلَى حَظِّهَا إِذَا قِينَسَتْ أَحَاسِنُ الْمَحَاسِنِ آسِفَةً ، وَلَقَدْ وَقَعَتْ مَوْقِعَ الْإِسْتِحْسَانِ ، وَأَتَتْ كَامِلَةَ الْإِحْسَانِ ؛ لَوْ اهْتَدَتْ الْعَرَبُ الْأُولَى إِلَى طَرِيقِهَا لَعَدَلَتْ إِلَى الْمُوشَّحَاتِ عَنِ الْقَصَائِدِ ، وَلَوْ أَلْفَهَا الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ لَاسْتَفْتَحَ بِفَرَائِدِهَا مَا أَلَفَ مِنَ « الْقَلَائِدِ » ، وَقَدْ عَطَفَهَا الْمَمْلُوكُ عَلَى مُوشَّحَةِ الْمَوْلَى جَمَالِ الدِّينِ مُفْتَضِّلَةً مِمَّا كُتِبَ عَلَيْهَا^(١) مِنْ أَثْنِيَّةِ بُلْغَاءٍ لَمْ يُقَدِّرُوا حَقَّ قَدْرِهَا ، وَلَا نَهَضُوا بِشُكْرِهَا ، مَعَ إِطَالَةِ تَفْضِيلِهَا بِمُطَالِعِهَا^(٢) إِلَى الْمَلَلِ ، وَتَشْرِخُ بَدَائِعِهَا عَلَى وَجْهِ الْجُمَلِ ، عَارِيَةً مِمَّا حُلِيتَ بِهِ مِنْ وَصْفِهِمْ ، إِذَا كَانَتْ الْمَلِيحَةُ تَغْنَى عَنْ حُلِيِّ وَعَنْ حُلَلٍ ؛ فَإِنَّ الْمَمْلُوكَ أَثَرُ اسْتِنْسَاحِهَا ، وَاسْتَكْثَرَ نُسَاحَهَا ، لَكِنْ ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ^(٣) ، وَشَهِادَتُهَا لِنَفْسِهَا بَيِّنَةٌ لَا تُدْفَعُ ، وَحَسَبُ الْمَلِيحَةِ أَنْ تَأْتِيَ سَافِرَةً وَلَا تَتَبَرَّقَعَ .

مُحِبُّ الْمَوْلَى الْجَنَابِ الرَّيْنِيِّ يُنْحِفُهُ بِسَلَامٍ أَرِيحُ النَّفْحَةَ ، بِهِيْجُ اللَّمْحَةِ ، اغْتَرَضَ بِهِ وَظَائِفَ الْأَدْعِيَةِ الَّتِي يَسْتَغْرِقُ بِهَا أَوْقَاتَهُ ، فَقِيلَ : هَلِ هِيَ شَذْرَةٌ فِي سُبْحَةٍ ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) نِهَاجَةُ السَّقَطِ فِي ب .

(٢) « بِمُطَالِعِهَا » : سَاقِطَةٌ مِنْ أ ، م .

(٣) فَوْقَهَا فِي أ : كَذَا .

(١) فِي س : وَلَا يَعْدِمُ الْمَمْلُوكُ مِنْ بَقَائِهِ خَلِيلًا .

(٢) فِي م : يَقْبَلُ الْيَدَ ، لَا زَالَتْ .

● وكتب إليه كتاباً ، جواباً عن الأمير سيف الدين طغرتم^(١) نائب الشام المحروس ، وقد طلب إلى الباب الشريف تحت الاختراز ، فلما وصل إلى بليس جاء بالإفراج [ب ٣٢] عنه ، وأن يعود إلى الشام في سنة ٧٤٣ :

بَسَطَ اللهُ ظِلَّ الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ^(٢) الشَّهَابِيِّ ، وَخَارَ لَهُ فِي الظَّنِّ وَالْإِقَامَةِ ، وَأَقْدَمَهُ عَلَى مَا يَسُرُّ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ السَّلَامَةِ ، وَأَطْلَعَ وَجْهَهُ الْوَضَّاحَ عَلَى مَحَبَّتِهِ ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الظَّلَامَ وَالظُّلَامَةَ .

المَمْلُوكُ يُقْبَلُ الْبَيْدَ الشَّرِيفَةَ الَّتِي تُخْجِلُ الْغَمَامَةَ ، وَيَخْدُمُ بِدُعَاءِ بَيْنِهِ وَيَبْنِي أَعْلَامَ الْقَبُولِ عِلَامَةً ، وَيَصِفُ وَدّاً مَا سَامَهُ مِنَ الْإِخْلَاصِ سَامَةً ، وَيَذْكُرُ مَحَبَّةَ مَا لَهَا فِي الْغَرَامِ غَرَامَةً ، وَيُثِّثُ ثَنَاءً يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ مَا لَا تَفْعَلُهُ الْمُدَامَةُ .

وَيُنْهِي إِلَى الْعِلْمِ الْكَرِيمِ وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، فَقَابَلَ مِنْهُ مُحِبّاً يَتَلَأَلُ نُوراً ، وَحَبَاهُ خُبوراً ، وَمَلَأَ حِجْرَ سَمْعِهِ لَوْلُؤاً مَثُوراً ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَوْلَانَا يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْروراً ، وَانْتَهَى مِنْهُ إِلَى الْإِشَارَةِ الْعَالِيَةِ مِنْ مُسَابَقَتِهِ بِالْصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ ، وَتَلْقِيهِ إِلَى بَلِيْسَ بِمَا اسْتَقَرَّ بِهِ خَاطِرُهُ الْكَرِيمُ ، لِيَدْخُلَ مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِناً ، وَيَسْتَشِيرَ لَهُ مِنَ السَّعْدِ مَا هُوَ فِي ضَمِيرِ اللَّطْفِ كَامِناً ، وَيَجِدَ بِهِ مَقْعَدَ الْعُلَا مُتَطَامِناً ، وَحُصُولَ الرِّضَى الشَّرِيفِ عَلَيْهِ ، وَالْإِفْرَاجَ عَنْهُ وَعَمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ .

فَسَرَّ الْمَمْلُوكُ هَذَا الْبِنَاءَ الْكَرِيمَ ، وَالْحَبْرَ الَّذِي أَثَرَهُ اللَّطْفُ الْإِلَهِيُّ بِالْقَدِيمِ ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَعَادَهُ إِلَّا لِأَنَّ الْعَوْدَ أَحْمَدُ مِنْ أَحْمَدَ وَأَحْسَنُ ؛ وَلَا رَدَّهُ إِلَى أُمِّهِ إِلَّا كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ .

(١) ترجمته في : الوافي بالوفيات ١٦ / ٤٦٥ .

(٢) في م : المقر الكريم الشهابي .

وَأَمَّا الْإِشَارَةُ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْ كِتَابُ الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ الْعَلَائِيِّ ، أَخِي مَوْلَانَا ، مِنْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا اتَّفَقَ بِمُطَالَعَةِ الْمَمْلُوكِ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، وَفِيَامِ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ السَّنْفِيِّ الدَّوَادَارِ ؛ فَقَدْ عَلِمَ الْمَمْلُوكُ ذَلِكَ ، وَقَابَلَهُ بِشُكْرِ تِلَا سُوْرَةِ حَمْدِهِ ، وَسَلَكَ فِيهِ طَرِيقاً أَنْعَبَ مَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَمَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ إِلَّا أَنَّ الشُّكْرَ لِلرِّيَّاحِ لَا لِلْسَّحَابِ ، وَلِمَنْ أَدَّى الرِّسَالَةَ لَا لِمَنْ خَطَّ الْكِتَابَ ، وَلِمَنْ تَلَطَّفَ لِلْإِسْتِعْطَافِ لِمَا أَنْ أَعْلَظَ الْعِتَابَ ؛ وَاللَّهُ يُدِيمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ وَيُخَلِّدُ مُلْكَهُ ، وَيَجْعَلُ الْمَمَالِكَ دُرّاً لَا تُودَعُ إِلَّا سِلْكُهُ ، وَيُفِيضَ مَلَاسَ إِحْسَانِهِ عَلَى مَنْ أَمَّ حَرَمَهُ ، وَيَجْبِرُ بِعُظْمِهِ مَنْ كَسَرَهُ الزَّمَانُ وَحَرَمَهُ .

وَإِذْ أَخَذَ مَوْلَانَا حَظَّهُ مِنْ رُؤْيَةِ أَخِيهِ ، وَتَبَيَّنَتْ بِرُؤْيَتِهِ قَوَاعِدُ سَعْدِهِ وَتَمَكَّنَتْ أَوَاخِيهِ ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَعُودَ إِلَى وَطَنِهِ لِنُجْدَدَ الْخِدْمَةَ بِعَهْدِهِ ، وَنَهْتَهُ شِفَاهَا بِتِمَامِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَكَمَالِ سَعْدِهِ .

فَإِنَّ مَوْلَانَا صَاحِبَ قَدِيمٍ وَأَخَّ كَرِيمٍ ، وَكُلُّنَا نَشْءُ ذَلِكَ الرَّوْضِ النَّاصِرِيِّ النَّاصِرِ ، وَكَوَاكِبُ ذَلِكَ الْأُفُقِ الَّذِي مَا طَلَعَ فِيهِ إِلَّا بَدْرٌ نَبِيْرٌ أَوْ شَهَابٌ زَاهِرٌ .

فَلْيَعُدْ قَرِيباً لِيُقَرَّرَ طَرْفَ وَطَنِهِ الدَّامِعِ الدَّامِي ، وَيُقَارَنَ بِدَرَّةِ السَّامِي الشَّامِي ؛ فَمَا ضَلَّ مَنْ سَارَ بَيْنَ بَدْرَيْنِ ، وَلَا ظَمِيَ مَنْ تَرَدَّدَ بَيْنَ بَحْرَيْنِ ، وَمَا أَحْسَنَهُ مُبْتَدَأُ رَفَعَ الْخَبْرَيْنِ .

فَإِنَّ مَوْلَانَا إِنَّمَا حَلَّ حَلِّي ، وَكُلَّمَا جَلَّ جَلِّي ، وَعَوَاطِفُ هَذِهِ الْأَيَّامِ تَضَمَّنُ لَهُ الْحُسْنَى ، وَتُضْمِرُ لَهُ الْمَوْرِدَ الْأَهْنَى .

وَأَمَّا إِشَارَتُهُ الْعَالِيَةِ فِي الْفَضْلِ الثَّانِي ، فِي فَكِّ الْخَتَمِ عَنْ دَارِهِ بِحُضُورِ مَنْ وَضَعَ خَتَمَهُ عَلَيْهَا ، فَقَدْ عَلِمَ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ مِمَّا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَوَاطِفَ الشَّرِيفَةَ شَمَلَتْ مَوْلَانَا ، وَالْحَاسِدُ حَاصِدُ الْخُسْرَانِ ، [١٣٣] وَالْوَاشِي غَاشِي

الجزمان ؛ والمملوك مترقبٌ طلوع شهابه النّير في أفق السّام المحروس قريباً ،
ومتطلعٌ إلى أن لا يرى له في فلك السّعود مغيباً ؛ فيحيط علمه الكريم بذلك ،
والله يُقدّر له الخير في ما هنا أو هنالك ، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى .

● وكتب هو إليّ من بلّيس :

يُقبلُ كذا ، لا شانَ صفوها كدّر ، ولا شابَ ودّها تعيّر الغير ، ولا شاد الله
معلمَ مجدٍ إلّا ولها على صدره الورود وليسواها الصّدّر ، ولا شاء بخير إلّا ولها
منه نصيبٌ مُعجلٌ أو مُنتظرٌ ، ولا شالَ بضيقٍ ماجدٍ إلّا ليُجلّها حيثُ السّمسُ
والقَمَرُ ، ولا شاعَ حديثٌ وفاءٍ إلّا بما يُحدّثُ منها خليلُ الصّفاء ويقولُ : كانت
فلتةٌ عمر .

ونتهي أنّه كتبها من بلّيس ، قد عاجله بحمد الله الفرج قبل قدومه على
قلعة الجبل ومعاينة أهوالها ، وقبل حلوله بمصر وتوقع زلزالها ، وقبل
مقابله^(١) القاهرة ورؤية أطلالها ، وقيل : « أدخلوا مصر إن شاء الله آمين »
[يوسف : ٩٩] وعودوا إلى دمشق بمشيئة الله سالمين ، وكفاه الله خطرات تلك
الوساوس ، وخطرات تلك الهواجس ، وخطوات تلك البقعة ورؤية أولئك
الآبالس ؛ والموقف المخشّي هوله ، والسائل الثقيل قوله ، « والعز في البدو
ليس العز في الحضر » ، وحسب المرء من المساءة النّظر .

فالحمد لله الذي تدارك بلطفه ، وغلّ يد المُنبطل وسيُسقط رأسه على كفه ؛
وأُنعمت الصدقات الشريفة السلطانية الملكية الصّالحيّة بالإطلاق ، وفكّ الختم
وحلّ الوثاق ، وجاءت مراحمه عُقيب ذلك السّمّ أسرع تخلصاً من الدّزياق ،
وجاءت البشري بما منّ الله به بصدقات سلطاننا الملك الصّالح لا يسبب من

(١) في س : مقاربة .

الأسباب ، ولا بالسّعي إلى أحد ، ولا بالوقوف لأحد على باب ، ولا بإبداء
عذرٍ بقولٍ ولا بكتاب ، بل جاء هذا من عند الله بمنّته لا بمنّته مخلوق ، ولا
بسّعي سابقٍ ولا مسبقٍ ، حتّى أذكره كلمة عائشة رضي الله عنها نوبة
الإفك^(١) ، وأذكرته هذه القضية تلك القضية ، وتمّت الأمور بحمد الله على
أكمل الوجوه المرضية .

اللّهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك
لك ، اعتقاداً هو الذي لم نزل نرجع إليه ، وننّجع ولا نُعرج إلّا عليه ، ونهجع
ثم ننّيه بتذكيره ، ونفجع ثم نسّر بمقاديره ، ولم يبق بإذن الله إلّا أن يُصرف إليه
وجه السّرى ، ويصدف في طلب السّرة المقدوم عليه عائق الكرى ، ويسعف
اللّقاء به وبالأوطان ، ويُنصف الزمّ الجائر بلطف الله وعدل السلطان ،
ويُتحف القدر بجمع السّمل ، ويعلم أنّها كانت نزعة من نزغات الشيطان ؛
ومولانا يعدر في التّقصير ، فما هو وقت الإطالة ، وهذا كثير على الرّاكب
المجدّ في ما يُقدّم له من العجالة .

● فكتب أنا الجواب إليه عن ذلك : [من السريع]

وَنِعْمَ جَاءَتْ كَمَا نَشْتَهِي	من عند ربّ العرش مسراها
أَتَتْ وَقَدْ جَرَتْ ذِيولُ الهنا	بأيّ شكرٍ نتلقّاها
رَوَتْ فَرَوَتْ أَنْفُساً تَلْتَظِي	من حذرٍ قد كان عثّاها
فَالْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى أَنَّنا	نَحْمَدُ أَوْلَاهَا وَأُخْرَاهَا
فَاللُّطْفُ فِي مَبْدِئِها كَامِنٌ	والسّعدُ في مَضْمُونِ عُقْبَاهَا
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ وَلَعَتْ بِالْمُنَى	مُهْجَتُهُ : أَسْتَغْفِرُ الله

(١) قالت - رضي الله عنها - : بحمد الله لا بحمدك . وثمة روايات أخر بهذا المعنى . (حديث الإفك ،
للمقدسي) .

إِنَّكَ إِنْ أَبْصَرْتَهَا مَرَّةً أَكْبَرْتَهَا أَنْ تَتَمَّاهَا
يُقْبَلُ الْأَرْضَ أَوَّلًا عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ شُكْرًا ، وَثَانِيًا عَلَى عَادَةِ خِدْمِهِ
مُسْتَمِرًّا ، وَثَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا وَهَلُمَّ جَرًّا ، حَتَّى يَسْتَعْرِقَ الْوَاوَ الْعَطْفُ وَيَنْقَدَ
فِي السَّجْعِ حَرْفَ الرَّا .

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي كَانَ أَمَانًا مِنَ الْحَذَرِ ، وَمُخْلَصًا لِقَلْبِ
الْمُحِبِّ الَّذِي افْتَتَحَ الْحُزْنَ وَاخْتَمَمَهُ وَمَا شَعَرَ ، وَبِرَاءَةً مِنَ الْخُطْبِ الَّذِي لَوْ
عَالَجَهُ اللَّيْلُ لَانْصَدَعَ أَوْ الصُّبْحُ لَانْفَجَرَ ، وَفَكَأَنَّ لِنَفْسِ الْأَوْلِيَاءِ مِنَ الْجَزَعِ الَّذِي
لَوْ حَلَّ بِالْجِبَالِ حَجَرٌ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْحَجَرِ ، وَشَدَّوْا لِأَصْوَاتِ الْبَلَاغَةِ الَّتِي مَنْ
لَمْ يَطْرُبْ لَهَا قُلْنَا لَهُ مَا قَالَتْهُ النَّسْوَةُ مِنْ قُرَيْشٍ^(١) : أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفْظُ يَا عَمْرُ :
[من الطويل]

أَلَيْسَ لِأَخْبَارِ الْأَجَبَةِ فَرْحَةٌ وَلَا فَرْحَةَ الْعَطْشَانِ فَاجَأَهُ الْقَطْرُ
فَقَبَّلَ الْمَمْلُوكُ شَفَقَتِي عُثُونِهِ ، وَتَخَيَّلَ لَعَسَ مِدَادِهِمَا إِثْمِدًا فَكَحَلَ بِهِ رَمَدَ
أَجْفَانِهِ ، وَكَرَّرَ السُّجُودَ حَتَّى قِيلَ : هَذَا هُدْهُدٌ بَيْنَ يَدَيِ سُلَيْمَانَ زَمَانِهِ^(٢) ؛
وَفَضَّهُ فَلَمَّا لَمَحَ تَاجَ اسْمِهِ ، قَامَ لَهُ وَلَبَسَهُ لُثْمًا ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَرَكَاتِ تَنْزَلَتْ عَلَيْهِ
لَمَّا سَمِعَى ، وَأَحَبَّ جَمْعَ مَا فِيهِ مِنْ مَالِ الْبَلَاغَةِ حُبًّا جَمًّا ، وَأَكَلَ ثَرَاتِ أَشْوَاقِهِ
الْمُخْلَفَةِ مِنْ حُرُوفِهِ أَكْلًا لَمًّا ، وَذَكَرَ مِنْ حَدِيثِهِ الْيَانِعَةِ مَا أَنْسَاهُ نَخْلَتِي حُلُوانَ^(٣)

وَمَحَلَّتِي سَلْمَى : [من البسيط]

وَرُخْتُ أَسْقِيهِ مِنْ دَمْعِي وَالْثُمَّ وَكَادَ يَذْهَبُ بَيْنَ الدَّمْعِ وَالْقَبْلِ
ثُمَّ تَأَمَّلَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ جَنَاتٍ تَزْخَرُفَتْ ، وَبُرُوقٍ مَعَانٍ تَأَلَّفَتْ ،
وَسَحَائِبٍ سَطُورٍ تَأَلَّفَتْ ، وَنَزَعَاتٍ^(١) فَاضِلِيَّةٍ اقْتَدَرَتْ عَلَى الْكَلَامِ فَتَصَرَّفَتْ ؛
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، بَلْ فِي كَلَامِ الْفَاضِلِ جُزْئِيَّاتٌ تُشْبِهُ هَذِهِ الْكُلِّيَّاتِ ، وَمَعَابِرُ كَانَ
يَغُوصُ فِكْرُهُ فِي لُجَّةِ بَيَانِهَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ اللَّوْلُؤِيَّاتِ ، وَزَهْرَاتِ كَانَ
يَقْتَطِفُهَا مِنْ هَذِهِ الرِّيَاضِ ، وَقَطَرَاتِ كَانَ يَرْتَشِفُهَا فَمُ قَلَمِهِ مِنْ هَذِهِ الْحِيَاضِ ،
فَلَقَدْ أَتَى وَادِي مَوْلَانَا فَطَمَّ عَلَى قَرْنِهِ ، وَجَاءَتْ جِيَادُهُ وَغُبَارُ سَبْقِهَا يُنْفَضُ مِنْ
هُوَادِي مَطِيَّةٍ : [من الطويل]

وَمَا زَالَ يُنْبِي النَّاسَ فَضْلُ كَلَامِهِ بِأَنَّ كَلَامَ الْعَالَمِينَ فُضُولُ
فَاتَّخَذَهَا مَقَامًا ، وَحَنَا عَلَى جَوَاهِرِهَا لِأَنَّهَا يَتَامَى ، وَتَحَقَّقَتْ بَرَكَتُهَا فَإِنَّ نَارَ
الْخَلِيلِ رَجَعَتْ بِهَا بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَرَشَفَ مِنْ أَلْفَاظِهَا مُدَامًا يُسَمِّيهِ النَّاسُ
كَلَامًا ، وَخَلَبَ لُبُّهُ سِخْرُهَا الْحَلَالَ ، وَكَانَ يَظُنُّ السُّخْرَ حَرَامًا ، وَفَهُمْ مِنْهَا
مَا وَقَرَّ فِي قَلْبِهِ فَسَبَقَ النَّاسَ إِلَى الْبُشْرِى ، وَصَحَا قَلْبُهُ وَصَحَّ لَمَّا تَفَرَّقَ غَمَامُ غَمِّهِ
وَتَفَرَّى ، وَوَدَّ لَوْ شَهِدَ بَطْنَ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى الْهَزِيرُ أَخَاهُ بِشْرًا^(٢) ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ

= ومحلنا سلمى : عبارة وردت في شعر جرير : [معجم البلدان ٢٥٢/٥]

أمنزلتي سلمى بناظرة اسلما وما راجع العرفان إلا توهمها
وفي ديوانه ٩٧٩/٢ : أمنزلتي هند . . .

وفي شعر البحتري : [ديوانه ١٩٥٤/٣]

أمنزلتي سلمى بكأظمة اسلما وتعلما أن الجوى ما هجتمما
في م : وبراعات فاضلية .

(٢) من قول بشر بن عوانة : [مقامات البديع ٢٥٠ ومتن الطلب ٢٥٦/٨ وحياة الحيوان «الهزير»]

أفأطم لو شهدت بطن خبت وقد لاقى الهزير أخاك بشرا

(١) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ٩٦/٤ و ٩٣/٧ ومسلم (٢٣٩٦) وأحمد في مسنده ١٧١/١ و ١٨٢ .

(٢) يضرب المثل بسجود الهدهد ، فيقال : أسجد من هدهد . (معجم الأمثال ٣٥٦/١ وثمار القلوب ٧٠٧/٢) .

(٣) نخلنا حلوان : كانتا بعقبة حلوان [= حلوان العراق] من غرس الأكاسرة ، فضرب بهما المثل في طول الضحبة وقدم المجاورة . (الميداني ٤٣٨/١ وثمار القلوب ٨٤٢/٢ وفي حاشيته مزيد تخريج) .

تعالى أَرَادَ لِمَوْلَانَا أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ عَزِيزاً ، وَيَجْعَلَ طِينَهَا الْإِبْلِيزَ مِثْلَ كَلَامِهِ
إِبْرِيْزاً ، وَأَنْ لَا يَرَى فِيهَا مَا يُرَوِّعُ رُوعَهُ ، وَأَنْ لَا يَرَى نَجْمَ اسْتِقَامَتِهِ يُخَالِفُ
رُجُوعَهُ ، فَحَفِظَهُ بِمُعَقَّبَاتٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَلَمْ يُخَوِّجْهُ إِلَى غَيْرِ
مَا يَعْهَدُهُ مِنْ خَفِيِّ لُطْفِهِ^(١) : [من الخفيف]

رُبَّ أَمْرِ أَتَاكَ لَمْ تَحْمَدِ الْفُجْوَ عَالَ فِيهِ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَ
فَاللَّهُ يُوزَعُنَا - مَعَاشِرَ [١٣٤] الْأَوْلِيَاءِ - شُكْرَ هَذِهِ النَّعَمِ الَّتِي تَحَيَّلْنَا وَقُوعَهَا ،
وَتَحَيَّلْنَا بِصِخَةِ الْيَقِينِ عَلَى عَوْدِهَا فَنَلْنَا رُجُوعَهَا ، وَمَا لَنَا إِلَّا الدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ بِأَنْ
نَرَى بَذَرَ وَجْهِهِ وَقَدْ طَلَعَ مِنْ ثِيَابِ الْوَدَاعِ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ يَحُثُّ سَعُودَهُ وَانْقَطَعَ
الْخَصْمُ وَبَطَلَ النِّزَاعُ : [من البسيط]

مَنْ كَانَ ذَا أَمَلٍ فِي الدَّهْرِ يَقْصِدُهُ فَلِنَّمَا أَمَلِي فِي أَنْ تَرَى أَمَلَكَ
وَمَا أَمْرٌ بَلِيْسٌ مِمَّا يُلْتَبَسُ ، وَلَا تَحْيِسُ عَادَةَ السَّعَادَةِ مِمَّا يُحْتَبَسُ ، وَمَا
بَقِيَ إِلَّا عَوْدُ رِكَابِهِ إِلَى وَطَنِهِ ، وَرُجُوعُ دُرِّهِ إِلَى لُجِّهِ ، وَذَهَبُهُ إِلَى مَعْدِنِهِ ، لِنَأْمَنَ
تَوَثُّبَ الْبَاغِي وَنَزَوَاتِهِ ، وَنَعْنَمَ الصَّفَاءِ مِنْ وَدِّ يَحْمِيهِ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَنَزَغَاتِهِ :
[من الطويل]

وَكَمْ لِظُلَامِ اللَّيْلِ عِنْدِي مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ^(٢)
وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ بَسْطَ الْعُذْرِ عَنْ جُرْأَتِهِ فِي هَذَا الْجَوَابِ ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّيْثَ
الْأَعْلَبَ مِنْ وَقَاحَةِ الذَّنَابِ ، لَا بَلْ لِحَاجَةِ الذُّبَابِ ، فَأَيْنَ عُجَالُهُ ذَلِكَ الرَّائِبِ
مِنْ مُهْلَةِ هَذَا الْمُطْمِئِنِّ ؛ وَأَيْنَ ذَلِكَ الرُّوحِ الطَّاهِرِ مِنْ هَذَا الْجَسَدِ الْمُسْتَحْجِنِ ؟
وَأَيْنَ مَنْ ارْتَجَلَ مِمَّنْ تَرَوَّى ؟ وَأَيْنَ قَلْبَ الْأَسَدِ مِنَ الْعَوَا^(٣) ؟ : [من الخفيف]

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ١٣٨/٣ .

(٢) في س : . . . عندك من يد . والبيت للمتنبي ، في ديوانه ١٧٨/١ . وفي هامش م : خ : عندك .

(٣) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ٤٥٦/١ .

قَدْ أَجْنَبَا قَوْلَ الشَّرِيفِ بِقَوْلٍ فَأَثْبَتَا الْحَصَى عَنِ الْمَرْجَانِ
● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ ٧٢٧ وَهُوَ بِالشَّامِ
الْمَحْرُوسِ ، جَوَاباً عَنْ كِتَابٍ وَرَدَّ مِنْهُ ، وَأَهْتَتْهُ بِوَلَايَةِ وَالِدِهِ الْقَاضِي مُحْيِي
الدِّينِ كِتَابَةَ السَّرِّ الشَّرِيفِ : [من الطويل]

أَيَا سَيِّدَا حَارَ الْعُلَا وَحَوَاهَا وَجَارَ نَهَايَاتِ الثُّهَى وَمَدَاهَا
وَعَبَّرَ فِي وَجْهِ الْأَوَائِلِ سَبْقُهُ فَفَاتَ مَدَى غَايَاتِهَا وَشَاهَا
وَجَاءَتْهُ أَشْرَابُ التُّجُومِ حَوَاسِرَا بِكَفِّ الثَّرِيَّا تَسْتَعِيرُ حُلَاهَا
فَأَبْهَجَهَا حَتَّى أَضَاءَتْ بِجَوَّهَا وَالْحَفَهَا إِشْرَاقُهَا وَسَنَاهَا
أَتَانِي مِثَالُ مِنْكَ مِثْلُ خَرِيدَةٍ تَضَوُّعَ فِي صُبْحِ الْوَصَالِ شَذَاهَا^(١)
وَأَلْطَفَ مِنْ نَفْسِ بَرَاهَا الْهَوَى وَقَدْ عَدَتْ تَشَكُّي لِلْحَبِيبِ عَنَاهَا
وَأَلْعَبَ بِالْأَلْبَابِ مِنْ بِنْتِ كَرَمَةٍ يَحُثُّكَ مَحْبُوبٌ لِحَسْرِ طَلَاهَا
تُطِيلُ إِلَيْهِ الزَّاهِرَاتُ تَأْمُلَا وَتَعَجَّبُ مِنْ أَلْفَاظِهِ وَبِنَاهَا^(٢)
فَوَاسَفَا إِذْ لَمْ أَحُلْ بِجَلْقِ وَأَقْضِ بِقَايَا مُدَّتِي بِحِمَاهَا
أَشَاهِدُهَا فِي دَوْلَةِ مُخَيَّوِيَةِ سَقَاهَا الْحَيَا وَسَمِيَهُ وَرَعَاهَا
لَيْسَ كَانَتْ الْأَدَابُ أُحْمِلَ قَدْرُهَا فَقَدْ عَادَ مَنْ كَانَتْ بِهِ تَبَاهِي
وَأِنْ كَانَ قِذْمًا قَدْ عَرَاهَا كَسَادُهَا فَهَا هِيَ قَدْ شَدَّ الزَّمَانُ عُرَاهَا
وَيُعْمَلُ فِي دَاجِي الْمُهْمَّاتِ فِكْرُهُ فَيُطْلَعُ فِيهَا شَمْسُهَا وَضَحَاهَا
أَنَامَ بِهَا عَيْنَ الْأَنَامِ فَرَدَّهَا مُوسِنَةً مَنْ بَعْدَ فَقْدِ كَرَاهَا^(٣)
إِذَا رَأَيْتُ أَغْنَاكَ عَنْ نَشْرِ رَايَةٍ لِأَيَّةِ حَالٍ تَسْتَطِيلُ قَنَاهَا

(١) في م : . . . شبه خريدة . ×

(٢) في م : . . . ونباها . ×

(٣) في م : . . . عين الزمان . × مؤنسة . . .

فِيَا فَؤُوزَ عَصْرِ أَنْتُمْ ذُخْرُ أَهْلِهِ وَبُشْرِي لِيَالِنَا بِكُمْ وَهَنَاهَا
يُقْبَلُ الْأَرْضَ لَا زَالَتْ مَرْكَزاً لِدَائِرَةِ التَّهَانِي ، وَقُطْباً لِفَلَكَ تِرْدِ الْمَسَرَّةِ فِي
مَجَرَّتِهِ عَلَى الدَّفَاقِ وَالْثَوَانِي ، وَمَعْقِلاً يَخْتَصِمُ بِهِ وَسَائِلُ الْأَمَالِ وَعَقَائِلُ
الْأَمَانِي ، وَحَرَمًا تُحِثُّ إِلَيْهِ نَجَائِبُ الْبَشَائِرِ فَلَا يَكُونُ لَهُ عَنْهَا تَوَارِي وَلَا لَهَا عَنْهُ
تَوَانِي : [من الوافر]

إِلَى أَنْ يَجْتَنِيَّ مِنْهَا قُطُوفُ الدِّمَسَرَّةِ وَهِيَ طَيِّبَةُ الْمَجَانِي
وَيُبْدِعُ فِي غَلَاهَا كُلَّ مَعْنَى فَتَنْظَرُ بِالْمَعَالِي وَالْمَعَانِي
تَقْبِيلَ مَنْ أُجِيبَتْ دَعَوَاتُهُ ، وَشُغِلَتْ بِذَلِكَ لَهَوَاتُهُ ، وَمُلِثَتْ بِمَا يُمْلِيهِ مِنْهَا
خَلَوَاتُهُ ، وَيَسْتَمِرُّ عَلَى وَلَائِهِ الَّذِي لَمْ يَخْتَجْ - إِذْ يَخْتَجُّ بِهِ - [٣٤ ب] إِلَى دَلِيلٍ ،
وَلَمْ يَجِدْ - إِذْ يَجِدُ - فِي سُلُوكِهِ مَشَقَّةَ سَبِيلٍ ، وَيَصِفُ مَا يَجِدُهُ مِنْ شَوْقٍ شَقَّتْ لَهُ
بِالْجَوَى جَوَانِحُهُ ، وَمَلَأَتْ الْفُؤَادَ فُؤَادِحُهُ ، وَأَذَابَتْ الْقُوَى قُؤَادِحُهُ .

وَيُنْهِي مَا عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْهَنَاءِ الَّذِي عَمَّتِ الْوُجُودَ بِشَائِرُهُ ، وَحَقَّقَ اللَّهُ بِهِ ظَنَّ
كُلِّ مُؤَمِّلٍ فَمَا خَانَتْ ضَمَائِرُهُ ، وَوَجَدَتْ الْقُلُوبَ لِأَخْبَارِهِ مَا يَجِدُهُ الْمَشُوقُ إِذَا
تَرَنَّمَ فَوْقَ الْأَيْلِكِ طَائِرُهُ ، فَالآنَ أَعْطَى اللَّهُ الْقَوْسَ بَارِنِهَا ، وَأَنْزَلَ الدَّارَ بِالطَّالِعِ
السَّعِيدِ بَانِنِهَا ، وَتَقَلَّدَتْ الْمَمَالِكُ عُقُودَ الْجَوَاهِرِ مِنْ بَحْرِ مُنْشِيهَا ، فَيَا لَهُ يَوْمًا
حَلَّى بِهِ الدَّهْرُ جِيدَهُ مِنْ عَطْلِهِ ، وَظَفَرَ الْمُلُوكَ بِالرَّأْيِ الْبَرِيِّ مِنْ خَطَائِهِ وَخَطْلِهِ ،
وَعَلِمَ أَنَّ الْبَدْرَ فِي الْوَهْنِ كَمَا هُوَ فِي سَحَرِهِ ، وَأَنَّ الشَّمْسَ فِي رَأْدِ نَهَارِهَا كَمَا
هِيَ فِي طَفْلِهِ ؛ وَلَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّ السَّيْفَ قَدْ عَادَ إِلَى قِرَابِهِ ، وَالْمَالَ خَرَجَتْ مِنْهُ
زَكَاتُهُ وَعَادَ إِلَى نِصَابِهِ ، وَالْأَسَدَ أَبَ بَعْدَمَا غَابَ إِلَى غَايِهِ ، وَالذَّرَّ تَرَقَّى إِلَى
التَّاجِ بَعْدَ أَنْ تَحَدَّرَ مِنْ سَحَابِهِ ، وَالْهَالَالَ تَقَلَّ فِي مَنَازِلِ السُّعُودِ حَتَّى طَلَعَ بَدْرًا
فِي اِزْتِقَابِهِ ؛ فَاللَّهُ يُمْتَنِعُ الْآيَاتُ وَالْأَنَامُ بِهِذِهِ النُّعْمَةِ الْكُبْرَى ، وَالْمَسَرَّةِ الَّتِي
أَضَحَّتْ بَعْدَ فِتْرَةٍ وَرُسُلُهَا تَتَرَى ، وَيُوزَعُ الْأَوْلِيَاءُ شُكْرُ هَذِهِ الْمَائَةِ الْجَمَّةِ وَالْيَدِ

الطُّولَى ، وَيُعَرِّفُهُمْ قَدَرُ هَذِهِ الْكَرَّةِ ، فَإِنَّ الْأُخْرَى خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الْأُولَى ؛ بِمَنِّهِ
وَكَرَمِهِ .

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابُ : [من الطويل]

رَدَدْتَ عَلَى عَيْنِي لَذِيذَ كَرَاهَا فَعَاوَدَهَا طَيْفُ أَطَالِ نَوَاهَا
سَرَى فِي الدُّجَى حَتَّى تَجَلَّتْ نُجُومُهُ فَوَاقِعَ تَطْفُو فَوْقَ بَحْرِ دُجَاهَا
وَهَبْتَ لِمَسْرَاهُ نَوَافِجَ رَوْضَةٍ تَجُرُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ ذَيْلَ صَبَاهَا
أَيَادِي لَوْ أَخْفَيْتُ حُسْنَ صَنِيعِهَا لَنَمَّ عَلَيْهَا ضَوْؤُهَا وَشَذَاهَا
فَكَمْ مُزْنَةً أَخَجَلْتَ وَجْهَ سَحَابِهَا بِجُودِكَ حَتَّى غَاضَ مَاءَ حَيَاهَا
وَقَرَّخْتَ بِالسَّبْقِ الْمُبَرِّزِ قَلْبَهَا فَضَمَّتْ عَلَى نَارِ الْبُرُوقِ حَشَاهَا
يُقْبَلُ كَذَا ، مَتَعَ اللَّهُ بَيَانَ قَلَمِهَا الْمُؤَاوِرَ ، وَحَكَمِهَا الَّتِي تَزُمُّهَا التُّجُومُ
بِطَرْفِ مُتَخَاوِرٍ ، وَكَلِمِهَا الَّتِي تَبِيْتُ الْقَرَائِحُ دُونَ أَبْكَارِهَا مَشْدُودَةَ الْمَازِرِ .

وَيُنْهِي وَرُودَ مُشْرِفِهِ بِلِ مُشْتَفِهِ ، فَأَطْنَبَ فِي نَعِمِهِ ، وَأَطْرَبَ بِنَعِمِهِ ،
وَأَطْرَفَ بِمَا تَحَلَّى مِنْ صِبَاغَةِ قَلَمِهِ ، فَاجْتَنَى الْمَعَانِي مِنْ ثَمَرَاتِ غَرْسِهِ ،
وَاجْتَلَى مِنْهُ نَيْلَ مِصْرَ فِي غَرْسِهِ ، وَالتَّقَحُّ بِهِ ذَهْنُهُ فَأَحْسَنَ التَّوْلِيدَ ، وَالتَّمَحُّ مِنْهُ
عَجَائِبَ بَيَانِ شَيْبَتِ الْوَلِيدِ ، وَانْتَهَى إِلَى عَهْدِهِ الَّتِي اهْتَرَبَهَا لِذِكْرِ إِنْفِهِ ، وَاعْتَرَّ
بِهَا ثُمَّ بَرَّ بِالْإِنْعَافِ إِلَى عِطْفِهِ ، وَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ الْهَيَّةِ مِنْ رَقْدَتِهَا ، وَحَلَّ
هَذِهِ الْهَيَّةِ مِنْ عُقْدَتِهَا ، وَاسْتَشَبَّتْ أَنَّ صَحِيفَتَهُ مَخْمُورَةٌ بِلُطْفِهِ فَوْقَهَا حَدًّا مِنْ
الْقُبْلِ ، مَسْحُورَةٌ بِبَيَانِهِ فَلَمَّا تَمَثَّلَهَا ذَرَّتْ عَلَى أَغْطَافِ فِتْرَةِ الْكَسَلِ ، فَقَعَدَ
لَا يُجَارِيهَا وَلَا يُبَارِيهَا ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْهَا وَشَكَرَهَا بِمَعَانِيهَا .

● وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ قَرِينُ أَغْنَامٍ لِلضَّحَايَا^(١) : [من الطويل]

(١) البيهقي في الوافي وتعريف ذوي العلا وأعيان العصر ١/ ٤٢٣ .

أَيَا سَيِّدَا أَرْجُو دَوَامَ ظِلَالِهِ عَلَيْنَا وَأَنْ يُمْسِي بِخَيْرٍ كَمَا يُضْحِي وَحَقِّكَ مَا هَذِي ضَحَايَا بَعَثْتَهَا وَلَكِنِّي سَفْتُ الْأَعَادِي إِلَى الدُّبْحِ

● فَكَتَبَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ ^(١) : [من الطويل]

أَتَنِّي ضَحَايَاكَ الَّتِي قَدْ بَعَثْتَهَا لَتُصْبِحَ كَالْأَعْدَاءِ فِي بُكْرَةِ الْأَضْحَى [١٣٥] وَحَقِّكَ أَغْدَانَا كِلَابٌ جَمِيعُهُمْ وَحَاشَاكَ لَا تَجْزِي الْكِلاَبُ لِمَنْ ضَحَّى

● وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِحِمَاةٍ ، وَنَحْنُ بِشَاطِئِ الْعَاصِي ^(٢) : [من البسيط]

لَقَدْ نَزَلْنَا عَلَى الْعَاصِي بِمَنْزِلَةٍ زَانَتْ مَحَاسِنَ شَطِئِهِ حَدَائِقُهَا تَبْكِي نَوَاعِيزُهُ الْعَبْرَى بِأَذْمُعِهَا لِكُونِهِ بَعْدَ لُقْيَاهُ يُفَارِقُهَا

● فَأَنشَدَنِي أَنَا أَيْضاً لِنَفْسِي ^(٢) : [من الطويل]

وَنَاعُورَةٍ فِي جَانِبِ النَّهْرِ قَدْ غَدَتْ تُعَبِّرُ عَنْ شَوْقِ السَّجِيِّ وَتُعْرِبُ تُرْقِصُ عَطْفَ الْغُضَنِ نَيْهَاً لِأَنَّهَا تُغْنِي لَهُ طُولَ الزَّمَانِ وَيَشْرَبُ

● وَأَنشَدَنِي هُوَ أَيْضاً لِنَفْسِهِ ^(٣) : [من الكامل]

إِنَّا نُقِيمُ عَلَى حِمَاةٍ حُجَّةً فِي حُسْنِهَا وَلَهَا جَمَالٌ يَبْهَتْ وَمِنَ النَّوَاعِيرِ الْفَصَاحِ خُصُومُنَا وَلَهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ لَا يَسْكُتُ

● فَأَنشَدَنِي أَنَا أَيْضاً لِنَفْسِي ^(٣) : [من السريع]

نَاعُورَةٌ أَنْتَ وَحَثْتَ فَقَدْ شَوَّقْتَ الدَّانِيَّ وَالْقَاصِي قَدْ نَبَّهْتَنِي لِلْهُدَى وَالتَّقَى لَمَّا غَدَتْ تَبْكِي عَلَى الْعَاصِي

● وَأَنشَدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِي ، وَقَدْ طَالَ عَلَيْنَا الْمَرْكَزُ مِنْ شَمْسِينَ ^(١) إِلَى حِمَصٍ ^(٢) : [من السريع]

مُخْبَوْبُ قَلْبِي مِثْلُ بَذْرِ السَّمَاءِ أَذْنِيهِ غُمْرِي وَهُوَ لِي يُفْصِي بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّبْرِ فِي حُبِّهِ مَا بَيْنَ شَمْسِينَ إِلَى حِمَصٍ

● فَأَنشَدَنِي هُوَ أَيْضاً لِنَفْسِهِ ^(٢) : [من الرجز]

لَقَدْ تَمَادَيْتَ مَدَى يَا رَسْتَنُ كَأَنَّمَا قُرْبُكَ مَا لَا يُمَكِّنُ ^(٣) لَمَّا جَعَلْنَاكَ ضَمِيرَ قَصْدِنَا غَدَوْتَ مِمَّا لَا تَرَكَ الْأَعْيُنُ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، أَنْقَاضُهُ مَا وَعَدَنِي بِهِ ، مِنْ قَلْعِ شَجَرَةٍ لَيَمُونٍ مُخْتَمٍ وَتَجْهِيزِهَا إِلَيَّ ؛ وَالتَزَمْتُ الْيَاءَ قَبْلَ النَّوْنِ ^(٤) : [من مixel البسيط]

يَا سَيِّدَا فِيهِ لِي وَلَاءٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْوَرَى تَبَيَّنَ لِلَّهِ لَيَمُونَةٌ أَرَاهَا لِي مُونَةٌ غَضْبُهَا تَزَيَّنُ كَأَعْيُنِ الْحَاسِدِينَ بَغِيَا لِأَجْلِ ذَا قَلْعُهَا تَعَيَّنُ

● فَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ ، وَالتَزَمْتُ نُونًا قَبْلَ النَّوْنِ ^(٤) : [من مixel البسيط]

يَا فَاضِلًّا مَا لَهُ عَدِيلٌ لِأَنَّهُ فِي الْوَرَى تَفَنَّنَ ^(٥) وَكُلُّ شَيْءٍ عَانَاهُ فِينَا عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى تَفَنَّنَ أَمْرُكَ حُكْمٌ فِي كُلِّ عَقْلٍ مَا عَاقَ إِلَّا مَنْ قَدْ تَجَنَّنَ

(١) شَمْسِينَ : قرية تقع إلى الجنوب من مدينة حمص ، على طريق دمشق ؛ لا تزال معروفة بهذا الاسم .

(٢) البيتان في أعيان العصر .

(٣) الرستن : بلدة بين حمص وحماة .

(٤) الأبيات في أعيان العصر .

(٥) في س : × . . في الوري تَعَيَّنَ .

(١) البيتان في الوافي وتعريف ذوي العلا وأعيان العصر ١/٢٢٣ .

(٢) البيتان في النجوم الزاهرة والمنهل الصافي وأعيان العصر .

(٣) البيتان في أعيان العصر .

١٧ * أحمد بن يوسف بن هلال بن أبي البركات (١) :

الحكيم الفاضل ، شهاب الدين ، الطبيب الصفدي .

أحد أطباء السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ،
بالقاهرة المحروسة .

● وقف بالقاهرة على شيء كتبه من نظمي بالأزورد والذهب ،
ورمته (٢) ، فكتب إلي في سنة ٧٢٧ (٣) : [من الكامل]

ومزملك بالأزورد كتابة ذهباً فقلت وقد أتت بوفاق (٤)
أأخذت أجزاء السماء خللتها أم قد أذبت الشمس في الأوراق
أكتب بالوجنات حمرتها كما مخضرها بمرائير العشاق
هبك النجوم علوت ثم سبكتها أنى أطاعك رونق الأخداق (٥)

● وكتب هو إلي أيضاً (٣) : [من الطويل]

معانك والألفاظ قد سخر الوري لكل من الأبواب قد أعطيا حظاً
فهبك سبكت التبر معنى وصغته فكيف أذبت الدر صيرته لفظاً

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٤٣٥/١ والوافي بالوفيات ٢٩٥/٨ ووفيات ابن رافع ٦١/١ والدرر الكامنة ٣٤١/١ والنجم الزاهرة ٣١٧/٩ والمنهل الصافي ٢٧٩/٢ والدليل الشافي ٩٩/١ .
- مولده سنة ٦٦١ هـ . ووفاته سنة ٧٣٨ هـ .

(٢) التزميك : التزويق والتذهيب .

(٣) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٤) قبل البيت زيادة في ط :

فقت الأنعام سيادة وزيادة وعلوت [بياض]
أعطى الذي قسم الفضائل في الوري للناس قراطاً وأنت الباقي

(٥) هذا البيت من م فقط . وفي هامشه : هذا مفقود في نسخة الأصل .

وروايته في ط والوافي : ورمته بياضها وسودها ×

● فكتب أنا إليه (١) : [من الطويل]

وحقك لم أكتب يتبر كما ترى سطوراً غدا في وضعها مئة النفس
ولكنما هذي أشعة وجهك الكريم غدت تلقى على صفحة الطرس

١٨ * إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد
ابن نصر (٢) :

القاضي عماد الدين بن القاضي شرف الدين [ب٣٥] بن صاحب فتح الدين ،
ابن القيسراني ، المخزومي ، الخالدي ، كاتب السر الشريف بحلب المحروسة ،
وموقع الدست الشريف بالشام المحروس .

● كتب هو إلي من دمشق المحروسة ، وأنا بالقاهرة سنة ٧٣٢ (٣) : [من الطويل]

إليك صلاح الدين شوق امرئ غدا وقد صح دون الجسم فيك وداؤه
ترحلت عن معنى دمشق فشوقنا إليك طوال الدهر تجري جياؤه (٤)
إذا كنت في أرض يحل صلاحها وإن كنت في معنى يزول فسادؤه

● فكتب أنا الجواب إليه (٣) : [من الطويل]

أتاني مثال منك يفسد سواده بعيني بل يغلو عليها مداؤه
أمنت به دهري وولت بوضله على الخطب حتى خاف مني عناده
وصرفت في صرف الزمان أنا ملي إلى أن غدا في حكم أمري قياده

(١) البيتان في أعيان العصر .

(٢) ترجمته في : أعيان العصر ٥١٦/١ والوافي بالوفيات ٢١٧/٩ وذيل العبر ١٩٣ والبداية والنهاية

٣٩٠/١٨ والمقفى الكبير ٦٩/٢ وتذكرة النبيه ٧٣٢/٢ والدرر الكامنة ٣٧٨/١ والنجم الزاهرة

٣١١/٩ والمنهل الصافي ٤٢٣/٢ والدليل الشافي ١٢٩/١ وشذرات الذهب ١٩٨/٨ .

- وفاته سنة ٧٣٦ هـ .

(٣) الأبيات في أعيان العصر .

(٤) في ب : × . . . يجري جواؤه .

وَأَطْفَاءَ جَمْرًا فِي الْجَوَانِحِ كُلَّمَا
وَلَوْ لَمْ يَرِدْ هَذَا الْمِثَالُ لَمَا بَقِيَ
لَقَدْ أَصْبَحَ الْمَمْلُوكُ عَبْدًا مُكَاتَبًا
فَلَا غَزْوَ أَنْ يَبْنِي عَلَى الْأَفْقِ مَجْدَهُ
وَأِنْ صَلَاحًا نَالَ عَظْفَكَ فِي الْوَرَى
أَيَا مَنْ لَهُ سَبْقُ الْمَعَالِي إِذَا جَرَتْ
وَمَنْ يَسْخَلِي الدَّهْرُ مِنْهُ بِمَا جِدَ
وَمَنْ لاقَ مِنْ عَيْنِ الْكَمَالِ انْتِقَاؤُهُ
وَمَنْ فَرَّعَتْهُ ذَوْلَةُ خَالِدِيَّةٍ
لِيَهْنِيءَ بَنِي مَخْزُومٍ فَخْرُ غَدَا إِلَى
وَفَاحَتْ خُزَامِي مَجْدٍ مَخْزُومٍ فِي الْوَرَى
وَلَمْ لَا وَسَيْفُ اللَّهِ خَالِدٌ مِنْهُمْ
فَكَمْ طَالَ مِنْهُ لِلْعَدَى صَدْرُ أَتْبَرٍ
بَقِيَتْ عِمَادُ الدِّينِ دُخْرُ أَمْرِي صَفَتْ
وَأَخْلَصَ فِيكُمْ حُبُّهُ وَوَلَاءُهُ
١٩ * أَلْطَبُّنَا (٣) :

الأمير الأجل ، علاء الدين الجاؤلي ، رحمه الله تعالى .
كانت بيني وبينه مُجاراةٌ ومُباراةٌ يَطْرَبُ لها الجمادُ ، ويَهْتَرُ لها الفاضِلُ

(١) في أ ، م : حكمه وسداده .

(٢) في ب : وَمَنْ فَرَّعَتْهُ مِنْ دُوحَةِ خَالِدِيَّةٍ . وفي س : وَمَنْ فَرَّعَتْهُ دُوحَةُ خَالِدِيَّةٍ .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ١/٦١٠ والوافي بالوفيات ٩/٣٦٦ وفوات الوفيات ١/٢٥٥ وتذكرة النبيه ٣/٥٠ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/٣٧٩ والدرر الكامنة ١/٤٠٧ والنجوم الزاهرة ١٠/١٠٥ والمنهل الصافي ٣/٧١ والدليل الشافي ١/١٥٢ .
- وفاته سنة ٧٤٤ هـ .

والعِمَادُ ، ولكن لم أجِدْ منها شيئاً عند تعلّقي هذه الأخرى ، ولم أقف على
ما لَعَلَّهُ يَسْمَحُ أَوْ يُطْرِفُ ، غيرَ ما أَذْكُرُهُ هُنَا وَأُسْطَرُّهُ ، وهو :

ما كَتَبَهُ إِلَيَّ وَقَدْ وَرَدَتْ الْقَاهِرَةُ سَنَةَ ٧٣٦ . وهي من مَزْدُولِ شِعْرِهِ (١) : [من

الطويل]

إِلَيْكَ صَلَاحَ الدِّينِ أَهْدِي تَحِيَّةً كَنَشْرٍ عَبِيرٍ فِي الْجُيُوبِ إِذَا فُضِّا
وَمِنْ عَجَبِي أَنَّ الدِّيارَ قَرِيبَةً وَمَا فُزْتُ مِنْكُمْ بِالْوِدَادِ الَّذِي أَرْضَى
فَمِنْ بُعْدِكُمْ قَلْبِي تَأَلَّفَ بِالْأَسَى وَمِنْ بَعْدِكُمْ لَمْ أَذِرْ نَوْمًا وَلَا غَمَضًا
وَأَنِّي عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي تَعْهَدُونَهُ مُقِيمٌ أَرَى حِفْظَ الْوِدَادِ لَكُمْ فُرْضًا
وَأَقْسَمَ قَلْبِي لَا يَقْرُ قَرَارُهُ وَلَا يَرْعُوِي حَتَّى يَرَى بَعْضُنَا بَعْضًا

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ازْتِجَالًا (١) : [من الطويل]

أَيَا جَبْرَةَ قَدْ عَوَّدُوا الْجِلْمَ وَالْإِغْضَا وَحُبُّهُمْ قَدْ مَارَجَ الرُّوحَ وَالْأَغْضَا
وَحَقَّكُمْ مَا أَهْمَلَ الْعَبْدُ خِدْمَةً لَكُمْ وَجَبَتْ لِكُنْهَا بَعْدَ ذَا تَقْضَى
أَأَنْسَى جَمِيلًا مِنْكُمْ قَدْ أَلْفَتْهُ وَحُسْنُ وِدَادٍ يُشْبِهُ الزَّهَرَ الْعَضَا
وَلُطْفًا يُحَاكِي نَسْمَةَ الرُّوضِ سَحْرُهُ فَإِنَّ لَهَا فِي الْعَاشِقِ الْبَسْطَ وَالْقَبْضَا
وَأَيَّامَ لَهْوٍ قَدْ تَقَضَّتْ بِقُرْبِكُمْ نُدَاوِي بِهَا مِنْ دَهْرِنَا أَنْفَسًا مَرْضَى
أَلَا خَفَّفُوا مِنْ عَتَبِكُمْ عَنْ مُحِبِّكُمْ [١٣٦] فَذَاكَ ضَعِيفٌ لَا يُطِيقُ بِهِ نَهْضَا
فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ وَيَذْكُرَ عُذْرَهُ فَإِنْ تَقَبَّلُوهُ رَحْمَةً قَبْلَ الْأَرْضَا

● وَأَنْشَدَنِي يَوْمًا لِنَفْسِهِ (٢) : [من البسيط]

انْهَلْ أَدْمُعُهَا دُرًّا وَفِي فَمِهَا دُرٌّ وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ وَتِمْثَالُ (٣)

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) هما في : أعيان العصر والوافي والفوات وتذكرة النبيه والدرر الكامنة والنجوم الزاهرة والمنهل .

(٣) روايته في م : انْهَلْ تَدْمُعُهَا دُرًّا وَتِمْثَالُهَا دُرًّا

لَأَنَّ ذَا جَامِدٍ فِي الثَّغْرِ مُنْتَظَمٌ وَذَاكَ مُنْتَشِرٌ فِي الْخَدِّ سَيَّالٌ

● فَأَنْشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي ^(١) : [من السريع]

غَانِيَّةٌ فِي فَمِهَا جَوْهَرٌ بِمِثْلِهِ تَبْكِي هَوَى هَائِلَا
فَرَاخٌ ذَا فِي نَظْمِهِ وَاقِفَاً وَلَاخٌ ذَا مَبْعٌ نَثَرَهُ سَائِلَا

● وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضاً ^(٢) : [من الوافر]

وَسُودَ صَيَّرْنَهَا السُّودَ بِنِضَا فَلَا تَطْلُبُ مِنَ الْأَيَّامِ بِنِضَا
فَبَعْدَ السُّودِ تَرْجُو الْبَيْضَ ظُلُمَاً وَقَدْ سَلَّتْ عَلَيْهَا السُّودُ بِنِضَا

● فَأَنْشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي ^(٣) : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِدَهْرِ سَرَّنِي زَمَنَ الصَّبَا وَكَدَّرَ عَيْشِي بِالْمَشِيبِ انْتِقَاضُهُ
فَبَيْضَ عُمْرِي مِنْ شَبَابِي سَوَادُهُ وَسُودَ دَهْرِي مِنْ مَشِيبِي بَيَاضُهُ

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ صَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧١٨ أَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ وَهُوَ بِدِمَشَقَ

الْمَحْرُوسَةِ ، مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ ^(٣) : [من البسيط]

بِاللَّهِ يَا بَارِقاً مِنْ قَاسِيُونَ بَدَتْ أَعْلَامُهُ خَافِقَاتٍ فِي دِيَاغِيهِ
قَفَّ لِي بِتِلْكَ الرُّبَا إِنْ شِئْتَ تُسَعِّفُنِي وَأَنْشُدُ فُوَادَ شَجٍّ قَدْ عَزَّ فَادِيهِ ^(٤)
وَبَبِّهِ الْوُزْقَ وَالظُّلْمَاءُ عَاكِفَةً لَيْلَا لَتَحْكِي نَوَاحِي فِي نَوَاحِيهِ
وَتُخَذُ أَحَادِيثَ مَا تَرْوِيهِ مِنْ خَبِيرٍ وَحَالِكِ جِسْمِي ضَنْئٍ إِنْ كُنْتُ تَحْكِيهِ
وَقُلْ قَضَى نَحْبَهُ الْعَانِي أَسَى وَجَوَى وَمَا قَضَى مَا تَرْجَى مِنْ أَمَانِيهِ ^(٥)

(١) هما في : أعيان العصر والوافي والفوات وتذكرة النبيه والدرر الكامنة والنجوم الزاهرة والمنهل .

(٢) هما في : الوافي وأعيان العصر .

(٣) الأبيات في أعيان العصر .

(٤) في ب : × وأنشد فؤاد شجّي عزّ فاديه .

(٥) في ب ، م : × وما قضى ما يُرجى . . .

كَأَنَّمَا كَانَ عَيْشٌ مَرَّ غَانِيَّةً تُجْلَى بِكُمْ وَلَا لِيهَا لِيَالِيهِ ^(١)
أَخْبَابَنَا إِنْ تَمَادَى الْبُعْدُ وَانْصَلَّتْ أَيَّامُهُ وَاسْتَقَلَّتْ فِي تَرَاحِيهِ ^(٢)
فَلَا تَضُنُّوا عَلَى الْمُضْنَى بِطَيْفِكُمْ فَفِيهِ لِلْوَالِيهِ الْمُشْتَاكِ مَا فِيهِ
يَكْفِيهِ إِنْ زَارَهُ طَيْفُ الْخَيَالِ وَلَا يَكْفِيهِ مِنْكُمْ بَلَى وَاللَّهِ يَكْفِيهِ
فَالصَّبُّ إِنْ عَاقَتْ الْأَيَّامُ مَطْلَبَهُ يَرْضَى بِدُونِ الْمُنَى أَوْ مَا يُدَانِيهِ ^(٣)

* * *

حَرْفُ الْبَاءِ

٢٠ * أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَلْمَانَ بْنِ فَهْدٍ ^(٤) :

القاضي البليغ الرئيس ، شَرَفُ الدِّينِ ، كَاتِبُ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالْقَاهِرَةِ
وَبالشَّامِ ، ابْنُ الْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ،
ابْنُ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَأَنَا بِالذَّيَّارِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ،

يَطْلُبُ مِنِّي الْحُضُورَ إِلَى الشَّامِ لِيُجَهِّزَنِي إِلَى الرَّحْبَةِ مُوقِعاً ^(٥) : [من الكامل]

(١) كذا في أ ، ب . وفي أعيان العصر : كأنما مرَّ عيشٌ كان غانيةً × تجلّى

(٢) في ب : × في مراخيه .

(٣) بعد ذلك في س : فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك . قلت : وليس ثمة جواب .

(٤) ترجمته في : أعيان العصر ١٢/٢ والوافي بالوفيات ٢٥٩/١٠ وذيول العبر ٢٣٨ ووفيات ابن رافع

١٨٨/١ وتذكرة النبيه ٥٦/٣ وتعريف ذوي العلا ٢٧ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٦٩/١ والدرر الكامنة

٤٦٤/١ والنجوم الزاهرة ١٠٦/١٠ والدليل الشافي ٨٢٢/٢ .

- مولده سنة ٦٩٣ هـ . ووفاته سنة ٧٤٤ هـ .

(٥) الأبيات في أعيان العصر .

يا فاضلاً فَخَرَّ الْوَرَى بِخِلَالِهِ
شَرَفٌ دِمَشَقٌ إِنْ ارْتَضَيْتَ بِزُورَةٍ
فَقَلُّونَا مِنْ شَوْقِهَا جَمْرَاتُهَا
فَلَقَدْ مَلَأَتْ دِيَارَ مِصْرَ فَضَائِلًا
فاجْعَلْ لَنَا مِنْ نِيرِ فَضْلِكَ فَضْلَةً
إِنَّ الْكَرِيمَ هُوَ الْجَوَادُ عَلَى الَّذِي

● فكتبتُ أنا الجوابَ إليه^(٢) : [من الكامل]

وعَلا عَلَى أَفْقِ الْعُلا بِجَلَالِهِ
وَاشْفِ الْجَوَى مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِهِ
لَمْ يُطْفِئْهَا بِالدَّمَاعِ فَيَضُضْ سِجَالِهِ
كَمْ فَاضَ مِنْهَا النَّيْلُ عِنْدَ نَوَالِهِ
يَغْنَى بِهَا الْمَضْرُورُ عِنْدَ سُؤَالِهِ^(١)
قَدْ رَاحَ يَسْأَلُ مَالَهُ فِي مَالِهِ

قُمْ فِي الدُّجَى حَتَّى الصَّبَاحِ وَوَالِهِ
وَأَمِلْ بِمَا تُنِيلِيهِ أَعْطَافَ الْوَرَى
وَاسْجَعْ فَإِنَّكَ مَا بَرَحْتَ مُطَوَّقًا
مَوْلَى غِفْلَتِ وَنِمْتَ عَنْ نَيْلِ الْمُنَى
[٣٦ب] وَاسْتَأْقَهَا غُرًّا إِلَيْكَ وَأَنْتَ لَمْ
وَالِبِرُّ أَفْضَلُ مَا أَتَى عَفْوًا وَلَمْ
هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي فَضَحَ الْحَيَا
تَلْهَوْ بَنُو الْأَمَالِ عَنْ مَطْلُوبِهَا
كَرَمٌ يَفِيضُ عَلَى الْعَفَاةِ سَحَابُهُ
لِللَّهِ سَعْيُكَ فِي الْمَعَالِي إِنَّهُ
وَعَدَا يَجُزُّ عَلَى الْمَجَرَّةِ سَاجِبًا
وَسَعَى فَأَذْرَكَ غَايَةً مَنَ أَمَّهَا

(١) سقط البيت من ب .

(٢) القصيدة في أعيان العصر .

مَا عَاقَ نَائِلُهُ عَنِ الْعَافِي مَدَى
يَا آلَ مَحْمُودٍ لِيَهْنَأَ مَجْدُكُمْ
أَقْسَمْتُ مَا لِشِبَا الشُّيُوفِ إِذَا مَضَتْ
كَلًّا ، وَلَمْ نَرَ قَطُّ بَخْرًا مَدَّ مِنْ
خَطِّ أَظْلَى الرُّوْضِ جَوْدَ عِنْدَمَا
وَتَلَقُّظٌ إِنْ قُلْتَ سِحْرٌ لَمْ يَسْعُدْ
وَحَلَاتِقٌ كَالرُّوْضِ أَهْدَى نَشْرَهُ
وَسِيَّاسَةٌ طَاشَ الْعَدُوُّ لَهَا وَقَدْ
فَالَهُ يُخْرُسُ لِلزَّمَانِ بَقَاءَهُ

وَعَدٍ وَلَا شَانَ الْعَطَا بِمِطَالِهِ
شَرَفٌ أَنْافَ عَلَى الْوَرَى بِجَلَالِهِ
فِي يَوْمٍ مَعْرَكَةٍ جِلَادُ جِدَالِهِ
أَمْوَاهِهِ مَا بَثَّ مِنْ أَمْوَالِهِ
شَقَّتْ كِمَامُ الزَّهْرِ تَحْتَ مِثَالِهِ
نِي أَنْ يَكُونَ حَرَامٌ ذَا كَحَلَالِهِ
مَرُّ النَّسِيمِ عَلَى ذَوَائِبِ ضَالِهِ
سَكَنَ الْوَلِيِّ وَقَرَّ مِنْ زَلْزَالِهِ
وَيُمَتِّعُ الدُّنْيَا بِفَضْلِ كَمَالِهِ

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ وَنَحْنُ عَلَى الْأَهْرَامِ صُحْبَةَ الرُّكَّابِ الشَّرِيفِ ، مُلْغِزًا فِي

« الْقَرْطُ »^(١) : [من مجزوء الرجز]

مَا اسْمٌ ثَلَاثِي تُرَى
اغْمَدِ إِلَى تَرْكِيبِهِ
تَجِدُ جَنَى يُبْطِئُ فِيهِ
وَاعْكُشْهُ إِنْ تَرَكْتَهُ
تَرَى بِهِ ذَا طُرُقٍ
أَبْنَاهُ يَا مَنْ فَضْلُهُ

حُلَّتْهُ مُؤَوَّقُهُ
فِيهِ وَصَحَّفَ أَحْرَفُهُ
عَوْدٍ بِهِ مَنْ قَطَفَهُ^(٢)
مِنْ بَعْدِ أَنْ تُحَرَّفَهُ^(٣)
يَبِينُ الْوَرَى مُخْتَلَفُهُ^(٤)
يُعْجِزُ مَنْ قَبْدَ وَصَفَهُ

(١) الآيات في الوافي وأعيان العصر .

(٢) يريد : قَرَطَ . والقارطان : يذكر بن عترة وعامر بن رهم ، وكلاهما من عترة ، خرجا في طلب القَرَطَ ، فلم يرجعا .

فَقِيلَ فِي الْمَثَلِ : لَا آتِيكَ أَوْ يُوْبُّ الْقَارِطُ . وحتى يُوْبُّ الْقَارِطُ الْعَتَرِي . (القاموس « قَرَطَ ») .

(٣) عكسه : طَرَقَ . وتحريفه : طَرَفَ .

(٤) في ب : ترى به من طرق × .

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك ^(١) : [من مجزوء الرجز]

يا سيِّداً قَدْ زَانَهُ رَبُّ الْعُلا وَشَرَّفَهُ
وَقَدَّرَ الصَّوَابَ فِيهِ أَقْلَامِهِ الْمُحَرَّرَفَهُ
وَأَوْضَحَ الْفَضْلَ لِمَنْ يَطْلُبُهُ وَعَرَّفَهُ
أَبْدَعْتَ لُغْزاً حَسَناً صِفَاتُهُ مُسْتَظَرَّفَهُ
مُنَّاكَ الحُرُوفِ كَمْ رَبِّعَ رَبِّ مَعْرِفَهُ
خَضِرْتُهُ يَانِعَةً بِهِئَتُهُ مُشَرَّفَهُ
كَمْ زَانَ أَرْضاً أَقْفَرَتْ وَوَجَّهَتْ مُزَخْرَفَهُ
فَالْتُلْتُ مِنْهُ سُورَةً آيَاتُهَا مُشَرَّفَهُ ^(٢)
بَلْ جَبَلٌ أَحَاطَ بِالنَّظَرِ لِثَلَاثِيهِ تَجِدُ
بَقِيَّتَ مَا جَرَّ النَّسِيءُ مُمْ فِي الرِّيَاضِ مُطَرَّفَهُ ^(٣)
فِي ظِلِّ سَعْدٍ تَزْتَقِي مِنَ النَّعِيمِ عُرْفَهُ ^(٤)

● وكتبَ هو أيضاً إِلَيَّ مُلْغِزاً فِي « حَلْفَا » ^(٥) : [من السريع]

يا ماجداً نَجَّهْتُ فِي وَصْفِهِ وَفَضَّلُهُ مِنْ بَعْدِ ذَا أَوْفَى
مَا اسْمٌ إِذَا مَا رُمْتَ إِنْصَاحَهُ عَزَّ وَعَنْ فِكْرِكَ لَا يَخْفَى
وَهُوَ رَبَّاعِيٌّ وَفِي لَفْظِهِ تَرَاهُ حَقّاً نَاقِصاً حَرْفاً

صَحَّفَهُ وَاحْذِفْ رُبْعَهُ تُلْفِهِ
وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ تَصْحِيفُهَا
وَأِنْ تَصَحَّفَ بَعْضُهَا فَهِيَ مَا
وَذَلِكَ الْاسْمُ عَلَى حَالِهِ
لَمْ يَرْ ذَا حَرْبٍ وَكَمْ شَبَّ مِنْ
وَأِنْ تَشَأْ صَحَّفَهُ وَانْظُرْ تَجِدُ
أَبْنَهُ يَا مَنْ لَمْ يَزَلْ فِكْرُهُ
لَا زِلْتَ تُبْدِي لِلوَرَى كُلِّ مَا

● فكتبْتُ أنا الجوابَ عن ذلك ^(٥) : [من السريع]

مَدِينَةً كَمْ قَدْ حَوَتْ لُطْفَا ^(١)
خَلَقَ يَقُوتُ الْحَدَّ وَالْوَصْفَا ^(٢)
زَالَتْ تُرَى فِي أُذُنِ شَنْفَا ^(٣)
حَرَّفَهُ يَزْجِعُ لِلصَّبَا « حَلْفَا »
نَارٍ لِغَيْرِ الرُّوعِ مَا تُطْفَا ^(٤)
« خَلْفَا » سَوِيّاً قَطُّ مَا أَغْفَى
يَزْفَعُ عَنْ بَكْرِ الثَّهَى سَجْفَا
يَسْتَوْقِفُ الْأَسْمَاعَ وَالطَّرْفَا

يا سيِّداً أَلَسُنُ أَقْلَامِهِ كَمْ صَرَّفَتْ عَنْ عَيْنِهِ صَرْفاً
وَمُحْسِناً مَا زَالَ طَيْبُ الثَّنَا عَلَيْهِ حَتَّى زَيَّنَ الصُّخْفَا
أَلْغَزَتْ شَيْئاً لَمْ يَلْنِ مَسُّهُ فَرَّاحَ إِنْ صَحَّفْتَهُ حَلْفَا
وَمُفَرِّدَ إِنْ أَلَفْتَ عَوَّضْتَ أَوْلَاهُ يَزْجِعُ بَعْدَ ذَا « أَلْفَا »
وَنِصْفُهُ « حَلَّ » وَإِنْ تَحَذِفِ الْوَلَيْسَ بِالْبَذْرِ عَلَى أَنَّهُ
أَمَّا هُنَا فِي يَرْ مِضَرٍّ وَإِنْ بِاللَّيْلِ كَمْ قَدْ نَزَلَ الطَّرْفَا ^(٦)
إِنْ زَا حَمَ الشَّاعِرِ يُذَكِّرُ بِهِ صَحَّفَتْ يُصْبِحُ بَعْدَ ذَا خَلْفَا
كَشَاجِماً فِي الْحَالِ وَالطَّرْفَا

(١) يريد : جلق .

(٢) خلق ، تصحيف جلق .

(٣) خلق .

(٤) نار الحلفا : يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي سُرْعَةِ الْإِقْدَادِ . (ثمار القلوب ٢ / ٨٣١) .

(٥) القصيدة في الوافي وأعيان العصر .

(٦) في ب : . . . ولو أنه × .

(١) القصيدة في الوافي وأعيان العصر .

(٢) سورة ق .

(٣) جبل قاف ، بزعهم .

(٤) يريد : طر .

(٥) القصيدة في الوافي وأعيان العصر .

لا زِلْتَ تَرْقَى فِي الْعُلَا صَاعِدًا مَا نَظَمَ الشَّاعِرُ أَوْ قَفَى
فِي ظِلِّ عَيْشٍ قَدْ صَفَا وَرَدُهُ وِرَاحَ بِالْإِقْبَالِ قَدْ حُقَا
[٣٧] ● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مُلْغِزًا فِي «الهواء» (١) : [من المتقارب]

أَيَا مَا جِدَا مَا وَهَى فَضْلُهُ وَنَجْمٌ مَكَارِمِهِ مَا هَوَى
أَبْنُ أَيُّمَا اسْمٍ خَفَى مِنْظَرًا وَخَفَّ وَيُلْفَى شَدِيدَ الْقَوَى
وَلَا وَزْنَ فِيهِ وَفِي وَزْنِهِ إِذَا أَنْتَ حَقَّقْتَ عَمْدًا سَوَى
● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ (١) : [من المتقارب]

أَيَا مَنْ تَقَصَّرُ أُنْدَاخُنَا وَأَوْصَافُنَا فِيهِ عَمَّا حَوَى
كَأَنَّكَ أَلْغَزْتَ لِي فِي الَّذِي غَدَا وَلَهُ الشُّرُفُ فِيمَا انْطَوَى
إِذَا مَرَّ فِي الرُّوْضِ خَرَّتْ لَهُ غُصُونُ الْأَرَاكِ وَبَانُ اللَّوَى
يُمَدُّ وَيُقْصَرُ فِي لَفْظِهِ فَلِلْجَوِّ هَذَا وَذَا لِلْجَوَى
● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ صَفْدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٣٣ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيَّ نَقْدَةً

ذَهَبٍ (٢) : [من البسيط]

يَا نَسَمَةَ لِأَحَادِيثِ الْجَمَى نَقَلْتُ أَمَلْتُ قُضِبَ اللَّوَى مِنْ بَعْدِ مَا اعْتَدَلْتُ
خَطَرْتُ مَا بَيْنَهَا فَاغْتَادَهَا طَرَبُ فَرَنَحْتُ عِطْفَهَا بِالشُّكْرِ وَانْفَتَلْتُ (٣)
فَإِنْ تُكُنْ فَهَمَّتْ مَعْنَى ظَفِرْتُ بِهِ فَعُدُّهَا وَاضِحٌ فِي كُلِّ مَا فَعَلْتُ
قَدْ كَانَ لِلْمِسْكِ أَنْفَاسٌ تَضُوعٌ شَدَاً فَمُذْ أَتَيْتَ بِأَخْبَارِ الْجَمَى خَمَلْتُ
بِاللَّهِ كَيْفَ أَحِبَّائِي الَّذِينَ نَأَتْ بِي الْمَنَازِلُ عَنْ أَقْمَارِهِمْ وَخَلْتُ

(١) الأبيات في الوافي وأعيان العصر .

(٢) القصيدة في أعيان العصر .

(٣) في ب : × وانفعلت .

قَدْ كُنْتُ أَبْدَيْتُ أَعْدَارًا لِقَلْبِي فِي الْـ بَقَاءٍ مِنْ بَعْدِهِمْ بِاللهِ هَلْ قِيلْتُ
وَهَلْ - عَفَا اللهُ عَنْهُمْ - حَالُ عَهْدُهُمْ فَمُهَجَّتِي مَا أَتَشَتُّ عَنْهُمْ وَلَا انْتَقَلْتُ
أَهَا مِنْ الْبُعْدِ أَهَا إِنَّ لِي كِبْدًا تَضَرَّمْتُ بِلَطَى الْأَشْوَاقِ وَاشْتَعَلْتُ
وَأَدْمَعًا إِنْ جَرَى ذِكْرُ الْوِصَالِ جَرَتْ شُؤْنُهَا فَتَخَالَ الشُّخْبِ قَدْ هَطَلْتُ
وَمُهَجَّةٌ سَأَلْتُ لَوْ كَانَ يَنْفَعُهَا : بَأَيِّ ذَنْبٍ عَلَى التَّحْقِيقِ قَدْ قُتِلْتُ
وَعَزَمَةٌ عَاقَهَا حَظٌّ بِهِ ابْتَلَيْتُ لَوْلَاهُ كَانَتْ عَلَى الْمَطْلُوبِ قَدْ حَصَلْتُ
أَشْكُو اللَّيَالِي وَمَا لِي فِي الْوَرَى حَكَمٌ يَكْفُ عَنِّي عَوَادِنِهَا الَّتِي انْصَلْتُ
يَا دَهْرُ هَلْ نَهَضْتُ مِنْكَ الْجِبَالُ بِمَا نَهَضْتُ فِيكَ مِنَ الْبَلَوَى أَوْ اخْتَمَلْتُ
يَا دَهْرُ إِنْ عَادَتْ الْأَيَّامُ تَجْمَعُنَا عَفَرْتُ مَا عَرَفْتُ مِنِّي وَمَا جَهِلْتُ
وَإِنْ ظَفِرْتُ بِلِثَمِ التُّزْبِ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أَرْتَجِي زَالَتِ الْبُاسَاءُ وَازْتَحَلْتُ
ذَاكَ الَّذِي إِنْ عَلَتْ زُهْرُ الْكَوَكِبِ فِي مَحَلِّهَا تَلْقَاهَا عَنْ تُزْبِهِ نَزَلْتُ
ذَاكَ الَّذِي لَا أَرَى إِلَّا سَجِيَّتَهُ عَلَى الْهُدَى وَالثَّقَى وَالْبِرِّ قَدْ جَبِلْتُ
ذَاكَ الَّذِي خُلِقْتَ لِلْجُودِ رَاحَتُهُ فَفَاقَتْ الْعَيْثُ إِذْ تَهْمِي وَمَا اخْتَمَلْتُ (١)
أَقُولُ إِذْ عَمَّنِي بِالتَّبَرِّ نَائِلُهُ هَذَا إِلَى الشُّخْبِ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ تَخَلْتُ
مَكَارِمُ فَهَمَّتْ مَا أَرْتَجِي فَهَمَّتْ وَهَمَّةٌ فَعَلْتُ مَا لَمْ يُطَوِّ فَعَلْتُ (٢)
كَمْ زِلْتُ خَمَسَ مِنِّي مِنْ بَعْدِ خَمَسِ مِنِّي كَذَا أَعَدُّهَا يَوْمًا وَمَا انْفَصَلْتُ
مَاذَا تَرَى فِي آيَادِ مَا أَقَابِلُهَا بِالشُّكْرِ إِلَّا أَرَاهَا وَهِيَ قَدْ فَضَلْتُ (٣)
لَوْلَا عَلَا شَرَفُ الدِّينِ الَّتِي بَهَرَتْ كَانَتْ شَمُوسُ النَّدَى وَالْفَضْلِ قَدْ أَفَلَتْ
أَقْلَامُهُ الْحُمُرُ فِي صَوْنِ الْمَمَالِكِ لَوْ تَكُونُ سَطَوْتُهَا لِلْبَيْضِ مَا نَكَلْتُ

(١) في س : × وما احتفلت .

(٢) في ب ، س : . . . ما أشتكى فهمت × .

(٣) في ب : × بالشكر لم أراها إلا وقد فضلت .

تَهْتَزُّ فِي كَفِّهِ مِنْ فَوْقِ مُهَرِّقِهِ
وَكَانَ فِيمَا مَضَى لِلسَّخْرِ تَرْجَمَةٌ
عِبَارَةٌ هِيَ أُنْدَى مِنْ نَسِيمِ صَبَاً
وَأَسْطَرٌّ إِنْ أَقْلٌ مِثْلَ الْعُقُودِ فَمَا
[٣٧ب] وَأَوْخَشْنَا لِمُحْيَاةِ الَّذِي نَقَصَتْ
فَلَسْتُ أَحْسَدُ إِلَّا مَنْ تَكُونُ لَهُ
هَلِ اللَّيَالِي تُرِينِي نُورَ طَلْعَتِهِ
يَا آلَ مَحْمُودٍ لَا تُلِّتْ عُروَشُكُمْ
وَلَمْ تَزَلْ مِنْكُمْ الْأَغْنَاءُ حَالِيَّةً

● فكتب هو إليّ الجواب عن ذلك^(٢) : [من البسيط]

لأنّها من معاني لفظه ثملت^(١)
حتى تكلم أضحت وهي قد بطلت
مرّت على زهرات الرّوض وانصقلت
أرى العقود إلى تلك العلى وصلت
لحسنيه طلعة الأقمار إذ كملت
عين بمرآة دوني في الوري كجلت
فرّبما غلّطت أو ربّما عدلت
ولا دوت زهرة منكم ولا خملت
فإنّها إن خلت من فضلكم عطلت

يا فاضلاً منه أقمار العلى كملت
ومن محاسنه للناس قد بهرت
لله دُرّ قوافٍ قد بعثت بها
لقد أطاعتك أنواع البلاغة في
وما أظنك إلا قد بعثت لنا
فالله يشكر إحساناً حبوت به
ما إن وعث أذن معنى بلاغتها
فالزهر قد أطلعت والدُرّ قد نظمت
شوقي إليك صلاح الدين ما علمت
وهل يحس جماد بالذي فعلت

(١) في س : × . . . من معاني لطفه . . .

(٢) القصيدة في أعيان العصر .

وما أطلّ النوى أمست تزيد على
كأنني بك قد أقبلت مُتّصراً
وقد تراجع فيك الدهر وانقطعت
فاضبر فما الصبر إلا شيمة كرمت
والله يبيحك في خير وفي دعة

● وكتب إليّ^(١) : [من البسيط]

وفى لها الحس طوعاً بالذي افترح
كأنها البذر في ليل الدوائب قد
صحت على سقم أجفانها وكذا
تفري حشاي وتغنيها لواحظها
مهاة حسن أداريها إذا نفرت
قد حار في وصف أغزالي العذول بها
بدلت في وضيها رُوحى فقد خسرت
زارت لتمنحني من وضيها منناً
أقسمت ما سجت وُزق الحمايم في
وكلما اعتدلت بالميل قامتها
وما اكتسى خدّها من لؤلؤ عرقاً
ولي أمانى نفس طالما كذبت
وربّ ليل خفيف الغيم أنجمه
ينلو الهلال الثريا في مطالعها

هذا وقد فعلت فينا الذي فعلت
يوماً على فئة بالحق قد خذلت
عصابة الجور عما فيك وانخرلت
وما التجلّد إلا رتبة نبئت
ما حرّك الغصن أعطافاً قد انفتلت

فلو رآنها بدور التّم لا فتصحت
تقلدت بالتجوم الزهر واتشحت
أعطافها وهي سكرى بالشباب صحت
ما ضرّ تلك الصفاح البيض لو صفحت
عني وأعطفها بالعتب إن جمحت
وقال : كيف حلت في غادة ملحت
تجارة الحب في رُوحى وما ربح
أهلاً بها وبما منّت وما منحت
رُوض على مثل عطفيها ولا صدحت
رأيتها فوق حسن الغصن قد رجحت
لكنّها وزدة بالطل قد رشحت
فيها ولو جححت نحو الوفا نجحت
أزاهر قد طفت في لجة طفحت
كأنه شفة للكأس قد فتحت

(١) القصيدة في أعيان العصر .

وَلِلنَّسِيمِ رِسَالَاتٌ مُرَدَّدَةٌ
وَالزَّهْرُ قَدْ أُوقِدَتْ مِنْهُ مَجَامِرُهُ
تَحْكِي بِذَلِكَ الشُّدَا الْفَيَّاحِ طَيْبَ ثَنًا
سَهْلُ الْخَلَائِقِ لَا وَاللَّهِ مَا اغْتَبَقَتْ
مُسَدَّدُ الرَّأْيِ لَمْ تَقْصُرْ إِصَابَتُهُ
[٢٣٨] رَفَى إِلَى غَايَةِ مَا نَالَهَا أَحَدٌ
بِهَمَّةٍ لَجَمِيعِ النَّاسِ عَالِيَةٍ
يُدَبِّرُ الْمُلْكَ مِنْ مِصْرِ إِلَى حَلَبٍ
يَسْتَعْمِلُ الْحَزَمَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَكَمْ
خَصَّتُهُ عَاطِفَةُ السُّلْطَانِ فَهَوَّ بِهَا
حَتَّى لَقَدْ نَسَخَتْ آيَاتُ سُؤْدَدِهِ
يَهْدِي عِدَاهُ وَلَيْسَ الْبَذْرُ يُفَكِّرُ مَعَ
أَضْحَتْ عَلَى الْجُودِ تُبْنِي رَاحَتَهُ وَمَا
كَانَتْ مَعَانِي الْهُدَى وَالْجُودِ قَدْ خَفِيَتْ
وَكَانَ لِلْجُودِ أَخْبَارٌ فَمَذُورِيَتْ
لَوْ لَا الْوُلُوعُ بِأَنْ نَلْقَى لَهَا شَبَهًا
دَغْنِي مِنَ الْوُزَرَاءِ الذَّاهِبِينَ فَمَا
هَذَا الَّذِي إِنْ تَكُنْ أَرَاؤُهُمْ فَسَدَتْ
لَا زَالَ يَزْقَى وَيَلْقَى السَّعْدَ مُقْتَبِلًا
وَمَا تَأَلَّقَ بَرْقٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ

وَجَمْرَةُ الْبَرْقِ فِي فَحْمِ الدُّجَى قَدَحَتْ
فَكُلَّمَا لَفَحَتْ رِيحُ الصَّبَا نَفَحَتْ
عَلَى عُلَا شَرَفِ الدِّينِ الَّتِي مُدَحَتْ
بِمِثْلِهَا عُضْبَةٌ سَكْرَى وَلَا اضْطَبَحَتْ
عَنِ الْهُدَى إِنْ دَنْتَ قُصْوَاهُ أَوْ نَزَحَتْ
وَلَا سَمَتْ نَحْوَهَا عَيْنٌ وَلَا طَمَحَتْ
وَيَّةَ لِمَلِكِ الْعَصْرِ قَدْ نَصَحَتْ
بِعَزْمِ كَافٍ بِهِ الْأَيَّامُ قَدْ فَرِحَتْ
قَدْ جَدَّ لَمَّا رَأَى بِنِصْرِ الطُّبَا مَرَحَتْ
يَأْسُ جَوَانِحِ دَهْرِ طَالَمَا جَرَحَتْ
آيَاتٍ مَنْ قَدْ مَضَى مِنْ قَبْلِهِ وَمَحَتْ
مَحَلَّهُ فِي كِلَابِ الْأَرْضِ إِنْ تَبَحَتْ
زَالَتْ كَذَاكَ وَمَا انْفَكَّتْ وَمَا بَرَحَتْ
عَنَّا وَمَنْ مَجْدِهِ الْوَضَّاحُ قَدْ شَرَحَتْ
أَنْبَاؤُهُ نُسَيْتَ هَاتِيكَ وَأَطْرَحَتْ
لَمَّا رَنْتَ مُقْلَةً لِلشَّمْسِ إِذْ وَضَحَتْ^(١)
رَأَتْ لَوَاحِظُهُمْ هَذَا وَلَا لَمَحَتْ
فَلِإِنِّهَا مِنْهُ بِالتَّأْيِيدِ قَدْ صَلَحَتْ
مَا أَنْهَلَتْ الشُّحْبُ بِالْأَنْوَاءِ وَأَنْسَفَحَتْ
إِلَّا دِمَاءَ أَعَادِيهِ الَّتِي دُبِحَتْ

(١) في س، م . . . نلقى له شبيهاً × .

● فكتب هو الجواب إلي عن ذلك^(١) : [من البسيط]

حَمَائِمُ الْأَيْكِ فِي الْأَفْنَانِ قَدْ صَدَحَتْ
أَمْ رَوْضَةٌ دَبَّجَتْهَا كَفُّ ذِي أَدَبٍ
يَا فَاضِلًّا فَاقَ فِي الْآفَاقِ كُلِّ سَنًا
أَوْحَشْتَنَا شَهِدَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فَكَمْ
فَلَا رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا حَوَادِثُهَا
أَهْلًا بِغَادَتِكَ الْحَسَنَاءِ إِنْ لَهَا
أَقْسَمْتُ مَا ظَفِرْتُ يَوْمًا بِمُشِيهِهَا
خَرِيدَةٌ وَلَدَتْهَا فِكْرَةٌ قَذَفَتْ
فَلَا بَرِحْتَ تُرِينَا كُلَّ أَوْنَةٍ
أَمْ نَسْمَةُ الزَّهْرِ فِي الْأَصْبَاحِ قَدْ نَفَحَتْ
غَضٌّ لِعَيْرِ صَلَاحِ الدِّينِ مَا صَلَحَتْ
بُنُورِ طَلَعَتِهِ الْغُرَاءُ مُذْ لَمَحَتْ
جَوَارِحُ بَسُيُوفِ الشُّقْمِ قَدْ جُرِحَتْ
عَلَى تَفَرُّقِنَا قَهْرًا قَدْ اضْطَلَحَتْ
مَحَاسِنًا فِي بُدُورِ التَّمِّ قَدْ قَدَحَتْ
قَرِيحَةً مِنْ أَخِي نَظْمٍ وَلَا فَرِحَتْ
بِالذُّرِّ مِنْ لُجَّةٍ بِالْفَضْلِ قَدْ طَفَحَتْ
قَصِيدَةً لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ لَافْتَضَحَتْ

● وكتب إلي من الديار المضريّة المحروسة ، وقد توجّه منها إلى الشام

المحروس ، في شعبان سنة ٧٣٣ : [من مجزوء الكامل]

الصَّبْرُ بَعْدَكَ مَا وَفَى
وَالْجِسْمُ ذَابَ فَلَوْ أَرَا
وَالدَّمَعُ سَلَّ خَدَّيْ عِنْدَ
وَالْعَيْشُ لَا وَصَفَاءِ وَدُ
أَفَمَا أَشْتَقِي مِنِّْي الْحُسُو
يَا نَارِحًا خَانَ الزَّمَا
وَمُودَّعًا أَصْبَحْتُ إِذْ
أَنَا لَا أَقُولُ فَقَدْ ذُتُّهُ
وَالنُّومُ أَشْرَفَ فِي الْجَفَا
دَعْنِ الْمَيِّتَةَ لَاحْتَفَى
هُ فَقَدْ جَرَى مَا قَدْ كَفَى
دِي بَعْدَ بَعْدِكَ مَا صَفَا
دُ بَلَى أَقُولُ قَدْ أَشْتَقَى
نُ مُنَايَ فِيهِ وَمَا وَفَى
فَارَقْتُهُ مُتَخَلِّفًا
بَلْ نُورُ عَيْنِي أَنْطَفَا

(١) القصيدة في أعيان العصر .

إِنْ كَانَ عَبْدُكَ لَمْ يُمْثُ
لَمْ يَنْسَ ذِكْرَكَ سَاعَةً
كَمْ حَسْرَةً قَدْ أَغْمَدَتْ
وَمَذَلَّةً أَخْنَى الزَّمَانِ
تُغْضِي جُفُونِي إِنْ وَجَدَ
وَأَرْوَحُ مَا بَيْنَ الْأَسَا
وَاللَّهِ مَا أَفْنَى الدُّجَى
وَتَتَلَدَّمُ مَا وَتَأَلَّمُ
يَا سَيِّدًا قَدْ جَرَّ مِنْ
وَعَدَا يَبْرَأُ يَمِينِهِ
وَطُرُوسُهُ مَا تَرْتَضِي
[٣٨ ب] وَنَشَارُهُ وَنِظَامُهُ
لَوْ شَاءَ صَكَ قَفَا أَمْرِي أَلْ
وَنَوَالُهُ مَنْ قَاسَهُ
كُنْ حَيْثُ كُنْتَ فَلَا أَرَى
مِنْ أَيْنَ أَلْقَى مِثْلَ جَبْ
أَوْ مِثْلَ جُودِكَ لَمْ يَزَلْ
فَلِذَا قَسَا زَمَنِي عَلَى
وَأَعَادَ لِي زَمَنَ الصَّبَا

فَعَلَى الْمَيِّتَةِ أَشْرَفَا
لَا وَالتَّيِّبِي الْمُضْطَفَى
لَكَ فِي حُشَاهُ مُزْهَفَا
نُ بِهَا عَلَيَّ وَأَشْرَفَا
تُ كَرِيَّ عَلَى وَخَزِ السَّفَا
وِدِ وَالْأُسُودِ مُصْرَفَا
إِلَّا أَسَى وَتَأَسَّفَا
وَتَضَرُّمًا وَتَلَهَّفَا^(١)
فَوْقِ الْمَجَرَّةِ مُطْرَفَا
يَوْمَ الْمُهِمِّ مُتَقَفَا
بِالرَّوْضِ فِيهَا أَخْرَفَا
حَلَّى الْبَيَانِ وَشَفَا
قَيْسِ الَّذِي نَادَى « قِفَا »
بِحُبِّهَا الْحَيَا مَا أَنْصَفَا^(٢)
لِي عَنْ جَنَابِكَ مَضْرَفَا^(٣)
لِي مُسْعِدًا أَوْ مُسْعِفَا
جِلْدِي الضَّعِيفِ تَعَطَّفَا
بَعْدَ الْمَشِيبِ وَأَخْلَفَا

(١) في ب : وشدائد . . . × .

(٢) في س : × بحيا الحيا . . .

(٣) في س : × لي عن جنانك . . .

(٤) تصحيف جبرك : خيرك .

هَيْهَاتَ لَمْ يَضْلُخْ سِوَا
فَمَتَى يَرَى يَغْفُوبُ حُزْ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، لَا قَطَعَ اللَّهُ لَهَا عَنْ الْأَوْلِيَاءِ بَرًّا ، وَلَا أَمْطَرَ الْإِعْدَامَ سِوَى
سُخْبِ جُودِهَا ، فَكَمْ دَرَّ غَيْثُهَا دُرًّا وَتَبْرًا ، وَلَا رَفَعَ فِي السَّمَاءِ بَارِقَةً غَيْرَ نَارِ
قِرَاهَا ، فَكَمْ رَفَعَتْ ذَوَائِبُهَا فِي اللَّيْلِ أَلْوِيَةً حُمْرًا ؛ وَلَا نَظَّمَ فِي سِلْكِ طَرِيقِهَا
غَيْرَ جَوَاهِرِ التَّقْبِيلِ ، فَكَمْ أَدَارَ اللَّثْمُ عَلَيْهَا دُرًّا ؛ وَلَا نَفَضَ مِنَ الْعَيُونِ الرَّمَدَ إِلَّا
تُرَابُهَا^(١) ، فَإِنَّهَا تَبَرُّ بِذَلِكَ وَتَبْرَا ؛ وَلَا يَزِدُّ الْأَخْشَاءَ الظَّامِئَةَ إِلَّا بِلْثَمِ أَغْنَابِهَا ،
فَقَدْ أَضْحَى ثَنَاؤُهَا مُسْتَقَرَّى عَلَى الْمَعَالِي مُسْتَقِلًّا مُسْتَقَرًّا ، وَلَا أَخْلَى حِمَاها مِنْ
الْعَفَاةِ ، فَإِنَّ النَّجَاحَ غَدَا بِهَا مُسْتَمَلًّا مُسْتَمَدًّا مُسْتَمِرًّا ؛ وَلَا أَنْزَلَ بِجَنَاتِ جَنَابِهَا
غَيْرَ الشَّرَفِ ؛ فَإِنَّهَا مَا فَارَقَتْهُ مُذْ عَرَفْتَهُ وَهَلُمَّ جَرًّا^(٢) : [من البسيط]

هِيَ الشِّفَاءُ لِدَائِي لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا
لَأَنَّهَا أَحَقُّ فِي الْوَصْفِ بِقَوْلِ الْأَوَّلِ : [من الطويل]

وَرَبُّعُ الَّذِي أَهْوَاهُ يُرْوِي تُرَابُهُ الْـ
عِطَاشَ وَيَشْفِي تُرْبُهُ الْأَعْيُنَ الرُّمْدَا
وَمَا أَظُنُّ الْقَائِلَ عَنِي غَيْرَهَا فِي قَوْلِهِ : [من الوافر]

تُرَابُهُمْ وَحَقُّ أَبِي تُرَابٍ
أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ عَيْنِي الْيَمِينِ
وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ الْآخَرَ أَرَادَ سِوَاهَا فِي قَوْلِهِ : [من الكامل]

وَحِمَى يُدَاسُ تُرَابُهُ بِنِعَالِهِمْ
مِنِّي بِأَخْدَاقِ الْجُفُونِ يُيَاسُ
وَيُنْهَى مَا يَجِدُهُ الْمَمْلُوكُ مِنَ الْأَشْوَاقِ الَّتِي يَسْتَعِرُّ بِهَا الْقَلْبُ جَمْرًا ، وَلَمْ

(١) في س : وَلَا نَفَضَ فِي الْعَيُونِ الرُّمْدَ إِلَّا تُرَابُهَا .

(٢) البيت لهشام بن عتبة ، أَخِي ذِي الرِّمَّةِ ، فِي شَرْحِ آيَاتِ سَبِيحِهِ ٤٢١/١ وَشَرْحِ شَوَاهِدِ الْمَغْنِيِّ

يَسْتَعِزُّ لَهَا عَلَى ذَلِكَ صَبْرًا ، فَهُوَ يَتَأَسَّى وَيَتَأَسَّفُ ، وَيَتَلَهَّبُ وَيَتَلَهْفُ ، وَيَتَحَرَّى
فَيَتَحَرَّقُ ، وَيَسَلِّي بِالْأَمَانِي وَعَلَيْهَا يَسَلِّقُ ، وَيَمَلِكُ بِهَا وَلَهَا يَتَمَلِّقُ ، فَأَهَا عَلَى
تِلْكَ اللَّيَالِي الْمَاضِيَةِ ، وَالْمُدَّةِ الَّتِي كُنْتُ بِقُرْبِ مَوْلَانَا فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ^(١) : [من
الطويل]

ذَكَرْتُ بِهَا وَضَلًا كَأَن لَمْ أَفُزْ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبَا
● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ : [من مجزوء الكامل]

أَنْتَ الْخَلِيلُ أَبُو الصَّفَا وَالْحِفْظُ شَأْنُكَ وَالْوَفَا
وَالْفَضْلُ كَانَ مُنْكَرًا وَبِمَا صَنَعْتَ تَعَرَّفَا
وَأَنْزَلْتَ هَذَا الْفَنَّ فِينَا بَعْدَمَا كَانَ أَنْطَقَا
فَالطَّرْسُ فِي يَمْنَاكَ كَمْ حَبَزْتَهُ فَتَزَحَرْفَا
وَاللَّفْظُ مِنْكَ إِذَا وَعَا هُ السَّمْعُ عَادَ مُشْتَفَا
أَفَأَنْتَ تَنْظُمُ أَمْ تُدِيدُ رُ عَلَى الْمَسَامِعِ قَرْقَفَا
دُمْ يَا صَلاَحَ الدُّيْنِ فِي نَعِمِ الْإِلَهِ مُشَرَّفَا
وَأَدُمِ هَدَايَاكَ الَّتِي تَهْدِي إِلَى الْمُضْنَى الشُّفَا
فَمُشَرَّفَاتُكَ قَدْ حَكَّتْ وَزُقَ الْحَمَامُ الْهُتَفَا
مَنْ قَالَ إِنَّكَ كَاتِبٌ أَوْ شَاعِرٌ مَا أَنْصَفَا
مَا أَنْتَ إِلَّا وَاحِدٌ فِي فَنِّهِ لَنْ يُخْلَفَا
حَقُّ الْبُودُورِ إِذَا بَدَتْ لَكَ فِي السَّمَاءِ أَنْ تُكْسَفَا
وَالْبَزُقُ إِنْ جَارَاكَ أَوْ بَارَاكَ أَنْ يَتَوَقَّفَا
فَاللَّهُ يَجْمَعُ شَمْلَنَا بِكَ فِي سُورٍ قَدْ صَفَا

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٥٨/١ .

[١٣٩] قَدْ آنَ لِلدَّهْرِ الَّذِي قَدْ خَانَ أَنْ يَتَعَطَّفَا
يُقْبَلُ كَذَا^(١) لَا زَالَتْ تُدْبِجُ الْمَهَارِقَ ، وَتُهْدِي فِي طُرْسِهَا وَنَفْسِهَا مَا يُدْرُ
كَافُورُهُ وَعَنْبَرُهُ فِي الْمَفَارِقِ ، وَتَبْعُثُ مِنَ الْمَعَانِي النَّيِّرَةِ مَا يُخْجِلُ بُدُورَ الْمَغَارِبِ
وَشُمُوسَ الْمَشَارِقِ .

وَيُنْهِي بَعْدَ دُعَاءٍ أَخْلَصَ فِي رَفْعِهِ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَثَنَاءٍ يَسْتَعِيرُ الرُّوضُ مِنْهُ
زَهْرًا وَالْأَفَقُ زُهْرًا ، وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، بِلِ الْعَقْدِ النَّظِيمِ ، بِلِ الْأَفَقِ الَّذِي
كُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ بَذَرٌ يَجْلُو اللَّيْلَ الْبَهِيمَ ؛ فَوَقَفَ لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَقَبَلَ سَطُورَهُ وَهُوَ
يَخَالُهَا أَنَامِلَ مَوْلَانَا الَّتِي فِي يَدَيْهِ ، وَانْتَهَى إِلَى مَا ذَكَرَهُ مِنَ الشُّوقِ الَّذِي أَمْلَأَهُ
عَنْ خَاطِرِ الْمَمْلُوكِ وَقَلْبِهِ ، وَوَصَفَهُ فَتَعَجَّبَ كَيْفَ اطَّلَعَ مَوْلَانَا عَلَى ضَمِيرِ
الْمَمْلُوكِ الَّذِي فِي جَنْبِهِ ، فَرَادَ نَارَ الْمَمْلُوكِ لَهَبًا ، وَجَدَّدَ حُزْنًَا وَحَرْبًا ، وَبِاللَّهِ
الاسْتِعَانَةَ عَلَى هَذَا النَّوَى ، وَالْحَادِثَةِ الَّتِي هَدَّتِ الْقَوَى^(٢) : [من الكامل]

فَلَرُبَّمَا نُثِرَ الْجُمَانُ تَعَمُّدًا لِيَكُونَ أَحْسَنَ فِي النُّظَامِ وَأَجْمَلًا
وَاللَّهُ يُرِينَا ذَلِكَ الْوَجْهَ الَّذِي يَغْلُو نُورُهُ فَرْقَ الْفَرْقِدِ ، وَيُقَرِّبُ مَرَارَ مَوْلَانَا
بِلُطْفِهِ الْحَفِيِّ ، وَفَضْلِهِ الْحَفِيِّ ، وَكَأَنَّ قَدِ .

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَيْضًا : [من المتقارب]

أَلَا هَلْ أَتَى طَيْفُكُمْ أَوْ سَرَى فَمِنْ بَعْدِكُمْ مَا عَرَفْتُ الْكَرَى
وَأَيُّ مَنَامٍ لِمَنْ دَمَعُهُ بِنُوءِ الثَّرِيَّا يَبُلُّ الثَّرَى
وَأَيُّ قَرَارٍ لِعَيْنٍ غَدَتْ وَمَحَجَّرُهَا بِالْبُكَاسْتَبَحَرَا^(٣)

(١) قوله : كَذَا . كلمة وضعها المؤلف تواضعًا ، بدلًا من : يدا . وفي ب : يُقْبَلُ الْأَرْض . .

(٢) البيت لابن خفاجة ، في ديوانه ٣٦١ ونفح الطيب ١٠٦/١ .

(٣) في ب : . . . بالبكاء انبرى . وفي م : . . . استحجرا .

أَحْبَبْنَا هَلْ بَعَثْتُمْ لَنَا
وَمَا يُبْعَدُ الْآنَ أَنْ الْأَصِيلَ
لِأَنَّ تَحِيَّاتِكُمْ تَحْتَوِي
بَعْدْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ فَاسْتَوْحِشْتُ
وَأَقْسِمُ مَا الْقَلْبُ فِي يَقْظَةٍ
وَفَارَقَنِي رَاغِمًا وَاغْتَدَى
وَلَكِنْ إِلَى الْآنَ فِي لَذَّةِ الرِّزِّ
وَلَوْ كَانَ يَذْرِي قَضَى نَحْبَهُ
حُرِمْتُ الرِّضَا مِنْكُمْ إِنْ رَأَتْ
وَلَا سُرَّ قَلْبِي إِنْ حَالَ عَنْ
وَلَا فَرَّجَ اللَّهُ بَلْـؤَايَ إِنْ
وَأَنْ قُلْتُ لَا ذَنْبَ لِي فِي التَّوْبِ
وَلَكِنْ أَتَانِي الرَّدَى بَعْتَهُ
لِأَنِّي بِإِحْسَانِكُمْ وَائْتِ
وَحِلْتُ السَّلَامَةَ فِي هَذِهِ
وَأِنْ تَطَلَّبُوا الْحَقَّ فِي قِصَّتِي
وَمَا لَمْ يَرَى فِي الْقَضَا حِيلَةً
فِي مَا جَرَى مَذْمَعِي بَعْدَكُمْ

● فكتب هو الجواب عن ذلك : [من المقارب]

أَرَوْضُ مِنَ الْحَزَنِ قَدْ أَزْهَرَا وَإِلَّا فَافُوقُ وَقَدْ أَقْمَرَا

(١) في م : × سُلَانًا

أَمْ الْفَاضِلُ الْبَارِعُ الْأَوْحَدُ الـ
أَرَادَ الْغِنَى بَعْدَ فَقْرِي لَهُ
وَشَرَّفَنِي بِالْقَرِيضِ الَّذِي
أَمْوَلَايَ بَعْدَكَ هَذَا الْقُوَى
وَعَادَرَ قَلْبِي مِنْ صَبْرِهِ الـ
فَوَاللَّهِ لَمْ أَنْسَ عَيْشًا مَضَى
وَإِنِّي لِأَذْكُرُ إِحْسَانَكُمْ
فَلَا تَحْسُبُوا أَنَّ قَلْبِي سَلَا
وَلَا بُدَّ لِلدَّهْرِ أَنْ يَزْعَوِي

● وَأَنْشَدَنِي يَوْمًا لِنَفْسِهِ مُلْغِزًا فِي « لَيْلٍ »^(١) : [من الخفيف]

[٣٩ ب] أَيُّمَا اسْمٌ يَغْنَى الْأَنَامَ جَمِيعًا وَإِذَا مَا فَكَّرْتَ « لِي » ثُلَاثُهُ
إِنْ تُزَلَّ فِي هِجَائِهِ مِنْهُ حَرْفًا « لَكَ » مِنْهُ مُصَحَّفًا طَرْفَاهُ

● فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِي مُلْغِزًا فِي « فِيلٍ »^(٢) : [من الخفيف]

أَيُّمَا اسْمٌ تَرْكِيبُهُ مِنْ ثَلَاثٍ وَهُوَ ذُو أَرْبَعٍ تَعَالَى الْإِلَهُ
حَيَّوَانٌ وَالْقَلْبُ مِنْهُ نَبَاتٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ جُوعِهِ يَزْعَاهُ^(٣)
« فَيْكَ » تَضْحِيْفُهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا رُمْتُ عَكْسًا يَكُونُ « لِي » ثُلَاثُهُ

● وَأَنْشَدَنِي يَوْمًا لِنَفْسِهِ^(٤) : [من الطويل]

بَعَثْتُ رَسُولًا لِلْحَبِيبِ لَعَلَّهُ يُبْرِهِنُ عَنِ وَجْدِي لَهُ وَيُتَرْجِمُ

(١) البيتان في الدرر الكامنة وأعيان العصر .

(٢) الأبيات في أعيان العصر . وبلا نسبة في المستطرف ٣/ ١٤٧ وحياة الحيوان « الفيل » .

(٣) يريد : ليف .

(٤) البيتان في أعيان العصر وتاريخ ابن قاضي شهبة والدرر الكامنة .

فَلَمَّا رَأَاهُ حَارَ مِنْ فَرْطِ حُسْنِهِ وَمَا عَادَ إِلَّا وَهُوَ فِيهِ مُيَّمٌ

● فَأَنْشَدَتْهُ لِنَفْسِي^(١) : [من الخفيف]

بِئْسَ غَزَالٌ لَمَّا أَطْعُمْتُ هَوَاهُ أَخَذَ الْقَلْبَ وَالتَّصَبُّرَ غَضِبَا
مَا أَفَاقَ الْعَذُولُ مِنْ سَكْرَةِ الْعَذْلِ عَلَيْهِ حَتَّى غَدَا فِيهِ صَبَا

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَهْنَهُ بِالْقُدُومِ مِنَ الْحِجَازِ الشَّرِيفِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ

سنة ٧٣٣ : [من الوافر]

قَدِمْتُ مِنَ الْحِجَازِ مَعَ السَّلَامَةِ
وَوَجْهِ تَشْتَهِي الْأَقْمَارُ لَمَّا
مُحَيًّا إِنْ يَضِلَّ الرُّكْبُ لَيْلًا
وَأَقْسِمُ لَوْ تَحَيَّرَ فِيهِ عَافٍ
فِيَا لَكَ طَائِفًا بِالْبَيْتِ يَسْعَى
وَيَا لَكَ مُحَرِّمًا عَرَفْتَهُ يَلُكُ الْ
وِطَافَ وَلَمْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ لَكِنْ
وَلَمَّا أَنْ رَأَى الْحَجَرَ الَّذِي قَدْ
تَلَقَّاهُ بِوَضَّاحِ الثَّنَائِيَا
وَلَمَّا لَامَسَ الرُّكْنَ الْيَمَانِي
وَفِي عَرَفَاتٍ كَمْ قَدْ فَاحَ عَرْفُ
(وَلَمَّا أَنْ أَفَاضَ النَّاسُ فَاضَتْ
وَكَمْ أَوْلَى الْمُنَى بِمُنَى فَقِيرًا
بِعَزْمٍ تَعْرِفُ الْعُلِيَا اهْتِمَامَهُ
بَدَتْ فِي الْأَفْقِ لَوْ نَالَتْ ثُمَامَهُ^(٢)
كَفَاهُمْ مِنْكَ أَنْ تُرْخِي لِشَامَهُ
تَعْرِفُ لِلْمُؤْمَلِ بِالْوَسَامَةِ
وَقَدْ شَكَّرَ الْإِلَهَ لَهُ مَقَامَهُ
مَشَاعِرُ قَبْلَ أَنْ يَضَعَ الْعِمَامَةَ
ثَنَاهُ يَقْضُ عَنْ مِسْكِ خِتَامِهِ
غَدَا فِي صَحْنِ خَدِّ الْبَيْتِ شَامَهُ
يُقْبَلُهُ وَمَا أَخْلَى الثَّامَةَ
تَمَنَّى أَنْ يُدِيمَ لَهُ التَّزَامَةَ
لَهُ مِنْ عُرْفِ يُنْمَاهُ عِلَامَهُ
يَدَاهُ بِمَا حَكَى الْغَيْثُ أَنْسِجَامَهُ
رَأَى بِرَقِّ الثَّدْيِ مِنْهُ وَشَامَهُ

(١) البيتان في أعيان العصر .

(٢) في م : × تمامه .

وَجَاءَ يَزُورُ خَيْرَ النَّاسِ طُرًّا
وَمَلَّى طَرْفَهُ لَمَّا مَلَاهُ
وَفَازَ بِقُرْبٍ مَنْ يُعْتَدُّ دُخْرًا
وَصَلَّى وَالْمَعَالِي مَنْ وَرَاهُ
فَأَثَرِي مَنْ يَيْثُرُ مِنْ نَدَاهُ
فَكَمْ مِنْ مُعْسِرٍ أَوْلَاهُ يُسْرًا
مَكَارِمُ مَنْ لَهُ فِي الْجُودِ عَشْقُ
فَذَا رَأْسُ الْمَكَارِمِ وَالْعَطَايَا
فَمَا يَذْهَبُ النَّدَامَةُ حِينَ يَسْخُو
وَلَمَّا أَنْ قَضَى وَطْرًا وَوَلَّى
أَتَى وَالذَّهْرُ يَخْدُمُهُ بِسَعْدٍ
وَمُلْكُهُ سِيَادَةُ كُلِّ قَوْمٍ
أَيَا مَوْلَى إِذَا مَا خَطَّ سَطْرًا
وَأِنْ نَظَرَ الْعَوَاقِبَ فِي خُطُوبٍ
وَأِنْ أَمْلَى عَلَيْنَا الْكُتُبَ نَثْرًا
وَأِنْ يَنْظُمُ فَمَنْ أَعْطَى السَّلَالِي
بِأَلْفَاظٍ تَلَدُّ لِكُلِّ سَمْعٍ
تَخَيَّرَكَ الْمَلِيكَ لِسِرِّ مُضِرٍ
وَزَادَكَ مِنْهُ قُرْبًا وَاعْتِنَاءً
تَجَرَّدَ مِنْكَ لِلْأَعْدَاءِ رَأْيًا

وَمَنْ شَرُفَتْ بِمَبْعَثِهِ تِهَامَهُ
بِأَنْوَارِ الْمُظْلَلِ بِالْعِمَامَةِ
لِيَوْمِ الرَّوْعِ فِي هَوْلِ الْقِيَامَةِ
يُسَلِّمُ وَالرَّسُولُ غَدَا أَمَامَهُ^(١)
وَشَرَعَ بِالثَّدْيِ فِيهَا خِيَامَهُ
وَنَوَّلَهُ مِنَ الْجَدْوَى مَرَامَهُ
فَلَا سُعْدَى هُنَاكَ وَلَا أَمَامَهُ
فَدَغْنِي بَعْدَ مَنْ كَعَبَ بِنِ مَامَهُ
يَقُولُ لِمَنْ لَحَاهُ عَلَى الثَّدْيِ : مَهْ
إِلَيْنَا وَجْهَهُ رُزِقَ السَّلَامَهُ
تَبَرَّأَ فِيهِ مِنْ كَذِبِ النَّجَامَةِ
وَقَدْ أَلْقَى الزَّمَانُ لَهُ زِمَامَهُ
فَمَا ابْنُ هِلَالٍ إِلَّا كَالْقَلَامَةِ
قَدْ أَسْوَدَتْ فَرْزَقَاءَ الْيَمَامَةِ
فَمَا سَجْعُ الْمُطَوَّقِ وَالْحَمَامَةِ
بِحَيْدِ الْغَيْدِ أَنْ تَحْكِي نِظَامَهُ
فَمَا سَامَتْ عِبَارَتُهُ سَامَهُ
لَأَنَّكَ كُنْتَ قَدْ حَلَيْتَ شَامَهُ
فَأَنْتَ وَلِيُّهُ وَلَكَ الْكَرَامَهُ
فَلَمْ تُخَوِّجْهُ أَنْ يَبْرِي سِهَامَهُ^(٢)

(١) ما بين قوسين ساقط من أ ، م .

(٢) في ب : يَجْدَد . . . × .

وَقَدْ أَغْنَيْتَهُ إِنْ جَاءَ خَطْبٌ
مَتَى أَعْمَلْتَ رَأْيَكَ فِي مُهِمٍّ
فَأَصْحَتْ مِضْرُ تُجَلَّى فِي ثِيَابِ الدِّ
مَتَى سَمِعَ التَّدَامِي عَنْكَ ذِكْرًا
وَلَا يَتَغَزَّلُونَ بِذِكْرِ سَلَمِي
[١٤٠] وَمَنْ أَضْعَى لِمَدْحٍ فِيكَ يُثْلَى
وَقَدْ عَطَفَ الزَّمَانُ عَلَى بَيْنِهِ
وَقَدْ نَفَقَتْ بِضَائِعُ كُلِّ عِلْمٍ
فَحُزْ مِضْرًا وَقُلْ حَمْدًا لِرَبِّ
وَحَقِّ مَكَارِمٍ أَوْ لَيْتَنِيهَا
لَقَدْ طَابَتْ بِظِلِّكَ لِي حَيَانِي
فَلَا زَالَتْ سُعُودُكَ فِي صُعُودٍ
وَنِلْتَ مُنَاكَ مَا زَهَرَتْ نُجُومٌ

٢١ * أبو بكر بن محمد بن سلمان (٣) :

القاضي البليغ ، بهاء الدين بن القاضي شمس الدين ابن غانم ، كاتب السُّرِّ
الشَّريف بصَفَدَ وبَطْرَابُلسَ المحروستين .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ وَأَنَا ضَعِيفٌ بِصَفَدَ المحروسة ، سنة ٧٢٤ : [من البسيط]

(١) سقط البيت من س .

(٢) في ب : × القيامة .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٥/٢ والوافي بالوفيات ٢٥٣/١٠ وتذكرة النبيه ٢٦٠/٢ والدرر الكامنة ٤٥٨/١ .

- وفاته سنة ٧٣٥ هـ .

- في أ ، ب ، س : أبو بكر بن محمد بن غانم . وفي م : أبو بكر محمد بن غانم .

يَا سَيِّدًا بِأَسْأَلُهُ فِينَا وَنَائِلُهُ
هَذَا السَّقَامُ الَّذِي مَا كُنْتُ أُؤْثِرُهُ
أَوْ خَضِرَ هَيْفَاءَ يَبْرِينِي تَلَفْتُهَا
أَمَا وَقَدْ عَاثَ فِي جِسْمِي السَّقَامُ فَلَا
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، صَرَفَ اللَّهُ الصُّرُوفَ عَنْ حِمَاها ، وَحَفِظَ سَاحَتَهَا مِنَ الْغَيْرِ
وَحِمَاها ، وَجَعَلَ حَرَمَهَا لِأَوْلِيَائِهَا عُودَةً مِنَ الْأَسْوَاءِ ، فَإِذَا قَبِلَتْهُ شِفَاهُ مَرَضَاهَا
شِفَاهَا شَفَاهَا .

وَيُنْهِي ، لَا بَلْ يَشْكُو حَالَهُ الَّتِي لَيْسَ لَهُ مِنْهَا بَدَلٌ ، وَالْأَمَةُ الَّتِي كَلَمْتُ أَعْضَاءَهُ
وَلَمْ يُطِقْ جَلْدُهُ قَطْعَ ذَلِكَ الْجَدَلِ ، وَحُمَاهُ الَّتِي يَلْدَعُهُ مِنْهَا عَقْرَبٌ وَتَرْمِيهِ قَوْسٌ ،
فَلَيْتَ جِسْمَهُ مَعَ ذَاكَ حَمَلٌ ، وَاتَّصَالَ عِزِّي عَرَقِهَا الَّذِي لَا يُقَالُ مَعَهُ : سَأَوِي مِنْ
جَمِيلِ الصَّبْرِ إِلَى جَبَلٍ (١) : [من الوافر]

إِذَا مَا فَارَقْتَنِي عَسَلْتَنِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاثَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
وَيَعْجُزُ الْمَمْلُوكُ عَنْ وَضْفٍ مَا حَصَلَ لِرَأْسِهِ مِنَ الصُّدَاعِ وَلِجِسْمِهِ مِنَ
الصُّدُوعِ ، وَلِأَمَالِهِ الْمُعَلَّقَةِ مِنَ الْقَطْعِ ، وَلِحِظِّهِ مِنَ الْقُطُوعِ ؛ وَمَا أَظُنُّ مَوْلَانَا
تَرَكَ الزِّيَارَةَ إِلَّا لِعِلْمِهِ أَنَّ الْمَمْلُوكَ بَسَطَ جِسْمَهُ لِنَعْلِهِ وَهُوَ لَا يَمُشِي عَلَى غَيْرِ
الصَّحِيحِ ، وَلَمْ يُسْمِعْ نَقْلَ الرِّيَّاحِ الْهَابَةِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الثَّنَاءِ ، لِأَنَّهُ لَا يَقْنَعُ مِنَ
الْمَوَدَّةِ بِالرَّيْحِ ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ بِبِرَكَةِ سَلَفِهِ ، وَرَقَى قَلَمِهِ فِي عَاقِبَةِ الْعَاقِبَةِ ،
وَعُودِ الصَّحَّةِ الَّتِي عُودَ لُبْسِ بُرُودِهَا الصَّافِيَةِ ، وَوَرَدَ مَنَاهِلُهَا الصَّافِيَةِ .

● فَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من المتقارب]

(١) البيتان للمتنبي ، في ديوانه ١٤٦/٤ .

وَقَفْتُ عَلَى دَوْحَةٍ أَتَنَعْتُ رِياضُ غُلَاهَا بِغَزَسِ الْعُلُومِ
سَمَا لَفْظُهَا عَنْ نَسِيمِ الصَّبَا وَزَهْرِ الرِّيَاضِ وَزَهْرِ الثُّجُومِ
وَقَدْ بَشَّرْتَنِي بِأَنْ الشِّفَاءَ بِلُطْفِ الرَّحِيمِ سَرِيعِ الْقُدُومِ
يُقْبَلُ كَذَا ، مَتَعَ اللَّهُ بِفَضَائِلِهَا الَّتِي رَقَّتْ وَرَاقَتْ لَفْظًا وَمَعْنَى ، وَبَيَّادِيعِهَا
الَّتِي سَرَّتِ الْأَبْصَارَ وَالْمَسَامِعَ رَوْفًا وَحُسْنًا ، حَلَّتْ حِينَ تَحَلَّتْ بِدُرِّ
الدَّرَارِي ، وَجَلَّتْ حِينَ تَجَلَّتْ فِي حُلَلِ فَضْلِهَا السَّهْلِ الْمُتَمَتِّعِ عَلَى السَّمَاعِ
وَالْقَارِي فَمَتَّعَ بِمَحَاسِنِهَا وَتَمَلَّى ، وَتَلَا عِنْدَ مُعَايَنَةِ خَطِّهَا وَخِطَابِهَا ﴿وَالَّذِينَ إِذَا
يَقُتُّوا﴾ [النَّارِ إِذَا تَجَلَّى] [الليل : ١-٢] وَبَشَّرَهُ بِشَرِّهَا ^(١) بِقُدُومِ الْعَاقِبَةِ ، وَسَرَّهُ حَالُ
فِكْرِهَا الَّذِي لَا بَدَلَ لِقَدِيمِ خَبَرِهَا الْمَرْفُوعِ عَنْ حَافِظِ تِلْكَ [٤٠ ب] الْمُقَدَّمَةِ
الْكَافِيَةِ .

فَلَوْ تَتَوَجَّعَتِ الثُّرَيَّا بِأَكَالِيلِ الْبَهَاءِ ، وَرَقَّتْ عَلَى فَرْقِ الْفَرْقِدِ ، لَكَانَتْ عِنْدَ
نِظَامِ دُرِّهَا كَالشَّهَى ، وَلَوْ حَمَلَ مِيزَانَ الْبِرَاعَةِ أَسَدُ الْبِرَاعَةِ لَدِهَشَ مِنْ حُسْنِ
صِنَاعَةِ صِبَاغَتِهَا وَسَهَا ؛ فَبَا لَهَا مِنْ رَوْضَةِ عَذْبَةِ الْمَجَانِي ، وَدَوْحَةِ جَنَى مِنْ
غَرْسِهَا ثَمَرَ الْأَمَانِي ، وَحَدِيقَةِ سَرَاحَتِ الْعُيُونِ فِي لُطْفِ رَوْفِهَا حِينَ شَرَحَتْ
الصَّدْرَ بِحُسْنِ مَنْطِقِهَا .

وَكَانَ نَتِيجَةَ هَذِهِ الْمُقَدَّمَةِ تَحْصِيلُ الشُّرُورِ وَالتَّهَانِي ، وَنُزْهَةٌ أَبَدَتْ مِنْ
شِعْرِهَا حِكْمَةً وَمِنْ بَيَانِهَا سِحْرًا ، قَدْ اشْتَمَلَا عَلَى أَحْسَنِ الْأَلْفَافِ وَالْمَعَانِي ؛
وَاللَّهُ يُوضِّحُ بِفَضَائِلِهِ إِلَى الْمَعَالِي سَبِيلًا ، وَيَجْعَلُ لَهُ حِزْرَ السَّلَامَةِ وَالْعَاقِبَةِ عَلَى
الدَّوَامِ خَلِيلًا .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ طَرَائِلُسِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِدَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَقَدْ

(١) فِي س : بِرَّهَا

انْقَطَعَتْ عَنْهُ مَكَاتِبَاتِي ^(١) : [مَنْ السَّرِيعِ]

سُبْحَانَ مَنْ غَيْرَ أَخْلَاقَ مَنْ أَحْسَنَ فِي حُسْنِ الْوَفَا مَذْهَبًا
كَانَ خَلِيلًا فَعَدَا بَعْدَ ذَا لَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا طُقُصْبًا
وَكَتَبَ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ فِي ذَيْلِ ثَلَاثَةِ أَوْصَالٍ بِنِصِّ وَجْهَازِهَا إِلَيَّ ، وَلَمْ يَكْتُبْ
غَيْرَهَا .

وَهَذَا طُقُصْبًا كَانَ شَابًّا حَسَنًا نَجْتَمِعُ بِهِ ، وَلَهُ عَمُّ أَسْوَدُ يُدْعَى خَلِيلًا وَكُنَّا
نُكْرَهُهُ ، فَعَرَّضَ بِذَلِكَ ^(٢) .

● فَكْتُبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ ^(٣) : [مَنْ السَّرِيعِ]

يَا بَاعِثَ الْعَثَبِ إِلَى عَبْدِهِ وَمَا كَفَاهُ الْعَثَبُ أَوْ نَدَبًا
وَمُذَكِّرِي عَهْدًا لِبَسْنَا بِهِ ثَوْبَ سُرُورٍ بِالْبَهَا مُذْهَبًا
مَرًّا فَلَمْ يَخُلْ لَنَا بَعْدَهُ عَيْشٌ وَلَمْ نَلَقِ الْهَوَى طَيِّبًا
مَا كُلُّ ذِي وَدٍّ خَلِيلٌ وَلَا كُلُّ مَلِيحٍ فِي الْوَرَى طُقُصْبًا
فَحَبَّذَا تِلْكَ اللَّيَالِي الَّتِي كَمْ يَسَّرَ اللَّهُ بِهَا مَطْلَبًا
مَا أَحَدٌ فِي مِثْلِهَا طَامِعٌ هَيْهَاتَ فَاتَتْ فِي الْمُنَى أَشْعَبًا

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي - بَعْدَ دُعَاءٍ يَرْفَعُهُ فِي كُلِّ بُكْرَةٍ وَأَصِيلٍ ، وَوَلَاءٍ
حَصَلَ مِنْهُ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ ، وَلَا يَقُولُ : وَقَعَ فِي الْعَرِضِ الطَّوِيلِ ؛ وَثَنًا إِذَا مَرَّ
فِي الرِّيَاضِ النَّافِحَةِ صَحَّ بِهِ أَنْ نَسِيمَ السَّحَرِ عَلِيلٌ ؛ وَحِفَافٌ وَدٌّ يَتَمَنَّى كُلُّ مَنْ

(١) الْبَيْتَانِ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْوَافِي وَالْغَيْبِ الْمُسَجَّمِ ١٧٦/٢ .

(٢) قَالَ الْمُؤَلِّفُ فِي مَصْدَرِي الْخَبَرِ : أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَمْرِ طُقُصْبًا الْمَذْكُورِ ، وَكَانَ لَهُ عَمُّ أَسْوَدُ زَوْجُ أُمِّهِ
يَدْعَى خَلِيلًا ، وَكَانَ يَنْغُصُ عَلَيْنَا الْاجْتِمَاعَ بِحَضُورِهِ ؛ وَلَمَّا كَتَبَ هَذِهِ كَانَ طُقُصْبًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ
تَوَفَّى بِصَفْدٍ مِنْ مَدَّةٍ ، فَحَسُنَ لَذَلِكَ إِبْرَازُ الْبَيْتَيْنِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ .

(٣) الْجَوَابُ بِشِعْرِهِ وَنَثَرِهِ فِي الْأَعْيَانِ وَالْوَافِي وَالْغَيْبِ الْمُسَجَّمِ ١٧٧/٢ .

جالسه لو كان له مثل المملوك خليل - ورود المثال الكريم ، فقابل منه اليد البيضاء ، بل الذئمة الوطفاء ، بل الكاعب الحسناء ، وتلقى منه طرة صبح ليس للذئبة عليها أذيال^(١) ، وغرة نجح ما كدر صفاءها خيبة الآمال ، فلو كان كل وارد مثله لفضل المشيب على الشباب ، ونزع المتصابي عن التستر بالخضاب ، وزفض السواد ولو كان خالاً على الوجنة ، وعد المسك إذا در على الكافور هجنة ؛ وأين سواد الذئبة إذا سجد من يابس النهار إذا انهار ، وأين وجنات الكواعب النقية من الأصداغ المسودة بدخان العذار ؛ وأين نور الحق من ظلمة الباطل ؛ وأين العقد الذي كله درر من العقد الذي فيه السج فواصل ؟ يا له من وارد تنزه عن وطء الأفلام المسودة ، وعلا عن السطور^(٢) التي لا تزال وجوها بالمداير مريدة ، حتى جاء يتلأل بياضاً ويتقد ، وأتى يهادي في النور الذي تعتقد فيه المجوسية ما تعتقد .

ولكن توهم المملوك أن تكون صُحف الود أمست مثله عفاء ، وظن بأبيات العهود السالفة أن [١٤] تكون مثل المراسلة من الرقوم خلا^(٣) : [من الكامل]

لو أنها يوم المعاد صحيفتي ما سر قلبي كونها بيضاء
فلقد سودت حال المملوك ببياضها ، وعدم من عدم الفوائد البهائية ما كان يغارله من صحيفات الجفون ومراضها .

يا عجباً من مولانا كيف اتخذ هذا الصامت رسولا بعد هذه الفترة ، وكيف

(١) من مقصورة ابن دريد : [شرح التبريزي ١٣]

إما تزي رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الذئبة
(٢) في م : الطروس .

(٣) البيت لشهاب الدين محمد بن يوسف ، المعروف بالتلعفري ، في ديوانه ١٣٤ والغيث المسجم ١٧٦/٢ .
وروايته في م : × . . . أنها بيضاء .

ركن إليه في إبلاغ ما في ضميره ولم يحمله من درر الكلام ذرة ، وكيف أهدي عروس تحيته ولم يملأها من كلامه بشذرة ؛ وما أحق تلك الأوصال الواردة بلا إفادة ، الجائدة بزيارتها التي خلّت من الجود بالسلام ، وإن لم تخل زورتها من الإجابة ، أن ينشدها المملوك قول البحري أبي عبادة^(١) : [من الكامل]

أخجلتني بندي يدك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالوصل حتى إنني متخوف أن لا يكون لقاء
وما نطق هذا الوارد إلا بالعتاب مع ما نذر ونذب ، وأبدى غير ما قرره من الإهمال وقرب : [من الطويل]

على كل حال أم عمرو جميلة وإن لبست خلقاتها وجديدها
وبالجملة فقد مر ذكر المملوك في خاطر مولانا الكريم ، وطاف من حنوه طائف على المودة التي أصبحت كالصريم ؛ وإذا كان الشاعر قد قال : [من مجزوء الكامل]

ويذل هجركم على أني خطرت ببالكم
فكيف بمن دخل ذكره الضمير وخرج ، وذكر ثم على ما فيه من عوج ، وما استخف بي من أمرني ، ومن ذكرني فما حقرني ؛ والله تعالى يديم حياته التي هي الأمان والأمان ، ويمنع بالفاظه الفريدة التي هي أطرب من المثلث والمثنائي ؛ بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى .

● فكتب هو إليّ الجواب عن ذلك^(٢) : [من السريع]

يا هاجراً من لم يزل قلبه إليه من دون الوري قد صبا

(١) ديوان البحري ٢١/١ - ٢٢ .

(٢) الجواب شعره ونثره ، في الأعيان والوافي .

أَرْسَلَتْ مِنْ بَعْدِ الْجَفَا أَسْطُورًا أَرْقَصَ مِنْهَا السَّمْعَ مَا أَطْرَبَا
 شَفَتْ فُؤَادًا شَقَّهُ وَجَدُهُ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَادَ أَنْ يَذْهَبَا
 قَالَ لَهَا الْعَبْدُ وَقَدْ أَقْبَلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ يَا مَرْحَبَا
 أَحَلَّهَا قَلْبًا صَحِيحَ الْوَلَا مَا كَانَ فِي صُحْبَتِهَا قَلْبًا
 وَلَا نَسِيَ عَهْدَ خَلِيلٍ لَهُ قَدِيمَ عَهْدٍ كَانَ مَعَ طُقُصْبَا
 قَبْلَ مَوَاقِعَ تِلْكَ الْأَنَامِلِ الَّتِي يَحْنُ إِلَيْهَا^(١) التَّقْبِيلُ ، وَقَابَلَ بِالْإِقْبَالِ تِلْكَ
 الْفَضَائِلَ الْمَخْصُوصَةَ بِالتَّفْضِيلِ ، وَقَابَلَهَا بِالشَّئِءِ الَّذِي إِذَا مَرَّ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ جَرَّ
 عَلَيْهِ مِنْ كَمَائِمِ كُمِّهِ فَضْلَ الْمَنْدِيلِ ، وَتَأَمَّلَهَا بِطَرْفٍ مَا خَلَا مِنْ تَصَوُّرٍ مُحَاسِنٍ
 صَدِيقٍ ، وَلَا أَحَلَّ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ^(٢) مِنَ التَّلَقُّفِ إِلَى مَوَدَّةِ خَلِيلٍ ، وَشَاهَدَ مِنْهَا
 الرُّوضَةَ الْغَنَاءَ ، بِلِ الدَّوْحَةِ الْفَيْحَاءَ ، بِلِ الطَّلَعَةِ الْغَزَاءَ ، فَوَجَدَهَا قَدْ تَسَرَّبَتْ
 مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيعِيَّةِ بِأَحْسَنِ سِرْبَالٍ ، وَتَحَلَّتْ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ بِمَا هُوَ أَخْلَى
 فِي عَيْنِ الْمُحِبِّ الْمَهْجُورِ وَقَلْبِهِ مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ ؛ لَكِنَّ مَوْلَانَا غَابَ عَنْ مُجِبِّهِ
 غَيْبَةً مَا كَانَتْ فِي الْحِسَابِ ، وَهَجَرَهُ وَهُوَ مِنْ خَاطِرِهِ بِالْمَحَلِّ الَّذِي كَانَ يَظُنُّ^(٣)
 أَنَّهُ إِذَا نَادَاهُ بِالْأَشْوَاقِ أَجَابَ ، وَاتَّخَذَ بِدَعَةِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْقَائِمِ بِغَرَضِ الْوَلَاءِ
 سُنَّةً ، وَاشْتَغَلَ عَمَّنْ لَهُ عَيْنٌ رَضِيَ عَنْ نِسْيَانِ مَا مَضَى كَلِيلُهُ [ب ٤١] بِدِمْنَةٍ ،
 فَخَشِيَ الْمَمْلُوكُ مِنْ تَطَاوُلِ الْمُدَّةِ ، وَخَامَرَ قَلْبُهُ^(٤) تَقَلُّبَاتِ الْأَيَّامِ فَخَافَ أَنْ تَبْقَى
 أَسْبَابُ الْمُقَاتَلَةِ مُنْتَدَّةً ، وَوَثِقَ^(٥) بِمَا تَيَقَّنَ مِنْ حُسْنِ الْوَفَاءِ وَيَعْتَقِدُ ، فَاقْتَضَى
 حُكْمُ التَّذَاكُرِ لُطْفَ الْإِخْتِصَارِ ، تَوَضُّلاً إِلَى تَقْقُدِ التَّوَدُّدِ ، وَمِنْ عَادَاتِ السَّادَاتِ

- (١) فِي ب ، س : الَّتِي يَحْنُ لَهَا .
 (٢) « عَلَيْهِ » سَاقِطَةٌ مِنْ أ ، م .
 (٣) فِي م : يَظُنُّ بِهِ أَنَّهُ .
 (٤) فِي م : وَجَّاشَ قَلْبَهُ .
 (٥) فِي س : وَوَفَّقَ .

أَنْ تَقْتَقِدَ ، بِذِكْرِ أَيَّامِ خَلَّتْ مَسَرَّةً وَهَنَاءَ ، وَلِيَالٍ أَخْلَى مِنْ سَوَادِ الشَّبَابِ أَوْلَتْ
 بِوِصَالِ الْأَخْبَابِ الْيَدَ الْبَيْضَاءَ : [مِن الْكَامِلِ]

لَوْ أَنَّ لَيَالِي الْوِصَالِ يُعْذَنَ لِي كَانَتْ لَهَا رُوحُ الْمُحِبِّ فِدَاءً
 فَيَا لَهَا مِنْ مَلِيحَةٍ أَقْبَلْتُ بَعْدَ إِعْرَاضِهَا ، وَلَطِيفَةٍ رَمَقَتْ بِإِيمَاءِ جَفْنِ
 مُوَاصِلَتِهَا وَإِيمَاضِهَا ، وَبَدِيعَةٍ اسْتَخْرَجَ غَوَاصُ مَعَانِيهَا مِنْ بَحَارِ مَعَالِيهَا كُلِّ
 دُرَّةٍ ، وَصَنِيعَةٍ أَبَدَى نِظَامَ لَالِيهَا مِنْ غَرَرِ أَيَادِيهَا أَجْمَلَ غُرَّةٍ ، وَرَفِيعَةٍ جَدَّدَتْ
 الشُّرُورَ ، وَشَرَحَتْ الصُّدُورَ ، فَعَلَتْ - بِمَا فَعَلَتْ - إِكْلِيلَ الْمَجَرَّةِ ، وَمُتَطَوَّلَةَ
 رَغَبِ الْمُقْصَرِّ فِيمَا يَخْتَصِرُ وَحَبِيبَتِ ، وَمُتَفَضِّلَةَ قَضَتْ بِحَقِّ تَفْضِيلِهَا عَلَى
 مَا سَبَقَ وَإِنْ كَانَ وَأَوْجَبَتْ : [مِن الطَّوِيلِ]

مَوَدَّتُهَا فِي مُهْجَتِي لَا يُزِيلُهَا بَعَادٌ وَلَا يُبْلِي الزَّمَانُ جَدِيدَهَا
 وَاللَّهُ تَعَالَى يَشْكُرُ مَا حَوَاهُ مِنْ فَضْلِ هَذِهِ الْمَعَالِي وَالْمَعَانِي ، وَيُمْتَعِ
 بِفَضَائِلِهَا الَّتِي تُغْنِي أَغَانِيهَا فِي مَعَانِيهَا عَنِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَأَخْبَرَنِي يَوْمًا أَنَّهُ زَارَ قَبْرَ طُقُصْبَا الْمَذْكُورِ ، فَوَجَدَ قَبْرَهُ قَدْ نَبَتَ بِهِ أَنْوَاعُ
 مِنَ الزَّهْرِ ، وَطَلَبَ مِنِّي نَظْمَ شَيْءٍ فِي ذَلِكَ ، فَأَنْشَدْتُهُ^(١) : [مِن الطَّوِيلِ]

بِنَفْسِي حَبِيبًا قَبْرُهُ رَاحَ رَوْضَةً خَمَائِلُهَا مَسْرُوقَةٌ مِنْ مَخَائِلِهِ
 دَرَى أَنَّهُ لَا صَبْرَ لِلنَّاسِ بَعْدَهُ فَأَهْدَى لَهُمْ أَنْفَاسَهُ فِي شَمَائِلِهِ

● وَأَنْشَدْتُهُ أَيْضًا^(٢) : [مِن الْبَسِيطِ]

- (١) الْخَبَرُ وَالْبَيْتَانِ فِي الْأَعْيَانِ وَالْوَاثِي .
 (٢) الْبَيْتَانِ فِي الْأَعْيَانِ وَالْوَاثِي .

لا تُنْكِرُوا زَهْرًا مِنْ حَوْلِ تُرْبَتِهِ
هَذِي مُحَاسِنُ ذَاكَ الْوَجْهِ غَيْرَهَا

● وَأَنشُدْتُهُ أَيْضًا^(٢) : [من البسيط]

أَفْدِي حَبِيبًا غَدَا فِي التُّرْبِ مَضْجَعُهُ
تَحْكِي نُجُومَ السَّمَاءِ أَزْهَارُ تُرْبَتِهِ

٢٢ * أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُثْمَانَ^(٤) :

الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الصُّوفِيُّ ، عُرِفَ بِابْنِ الْعَجَمِيِّ .

● كَتَبَ إِلَيَّ : [من الكامل]

مَا لِي عَلَى جَوْرِ الْهَمُومِ نَصِيرُ
مَشْمُولَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَنْقُضِي
طَابَتْ شَذَا فَعَبِيرُهَا بِالشُّكْرِ فِي
أَذْكَى الْمِزَاجِ لَهَيْبِهَا فَعَجِبْتُ مِنْ
لَوْ لَمْ يُجِدْ نَسْجَ الْحَبَابِ شَبَاكُهَا
قَدْ لَقَّبُوهَا بِالْعَجُوزِ ذَوِ الْحِجَا
مُذْ غُبْتُ عَنْ وَجْدِي وَتَهْتُ بِسُكْرَتِي
وَافِي بِهَا فَرَأَيْتُ شَمْسًا فِي يَدَيَّ

(١) في م : . . . من فوق تُرْبَتِهِ × .

(٢) البيتان في الأعيان والوافي .

(٣) وسقط ما بعد ذلك من س حتى ترجمة حسن بن جعفر الفاضل ، الآتي برقم ٢٥ .

(٤) ترجمته في : الدرر الكامنة ٤٤٨/١ ودرر العقود الفريدة ١٥١/١ نقلًا وتاريخ ابن قاضي شبهة

٣/ ٤٨٤ والنجوم الزاهرة ١٣٥/١٢ والدليل الشافي ٨١٧/٢ ونزهة النفوس ٣٦٨/١ .

- وفاته سنة ٧٩٥ هـ . وولادته قبل ٧٢٠ هـ .

(٥) في ب : . . . فعبيرها بالمسك في × .

(٦) الخيزور : الخيزران .

يَخْتَالُ كَالْغُضَنِ النَّصِيرِ وَمَا لَهُ

إِنْ ظَلَّ مِنْهُ الْخَدُّ سَهْلًا فَالْجَنَّا

أَلِفَ التُّفَارِ فَلَامَ فِيهِ عَاذِلِي

عَجَبًا لِغُضَنِ قَوَامِهِ ، كُلُّ الْوَرَى

وَكَذَاكَ نَضْرَةُ طَرْفِهِ وَنَشَاطُهُ

حُصِرَتْ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيهِ كَمَا غَدَتْ

الْعَالِمُ الْخَبْرُ الْكَرِيمُ الْأَرْيَحِي

مَوْلَى يَرَى مَا قَدْ حَوَاهُ جَمِيعُهُ

وَكَذَاكَ خَطْبُ الدَّهْرِ يَضْعُرُ عِنْدَهُ

مَا إِنْ يُرَى فِي دَهْرِهِ مُتَظَلِّمٌ

عَدْلًا وَجُودًا بَاعَ كِسْرَى عَنْهُمَا

حَازَ الْأَثَالَ وَالْمَنَايَا وَالْكَرِي

لُطْفًا يَذُوبُ الصَّخْرُ مِنْهُ وَعَزْمَةٌ

خَجَلَتْ لَدَيْهِ السُّحْبُ لَمَّا أَفْلَعَتْ

فَكَأَنَّ بَارِقَهَا لَهَيْبٌ فِي الْحَشَا

فَيْسَارُهُ يُمْنَى الْغَمَامِ لِمُجْدِبِ

لَا الْعُذْرَ يَذْرِيه سِوَى بَعْدَ الْعَطَا

وَافَى السَّمَاحَ مَسِيحُهُ فَأَعَادَهُ

وَلَقَدْ أَتَى حَيْنَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ

فِي حُسْنِهِ فِي الْعَالَمِينَ نَظِيرُ

مِنْهُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ عَسِيرُ

فَأَجَبْتُهُ إِنْ الْغَزَالَ نَفُورُ

[٢٤، ١] بِالْعَدْلِ قَدْ وَصَفُوهُ وَهُوَ يَجُورُ

وَالِيهِ تُغْزَى كَسْرَةٌ وَقُتُورُ

ذَاتُ الصَّلَاحِ بِهَا الثَّنَا مَخْصُورُ

يُ الْأَلَمَعِيُّ الْبَارِعُ التَّخْرِيرُ^(١)

لِلسَّائِلِينَ بِأَنَّهُ مَحْفُورُ

وِيرَاهُ سَهْلَ الدَّفْعِ وَهُوَ خَطِيرُ

أَبْدًا وَلَا يَبِينُ الْأَنَامُ فَقِيرُ

قَدَمًا وَقِصْرَ عَاجِزٍ وَقَصِيرُ

سُ عَلَى الْإِرَادَةِ وَالرَّدَى مَقْطُورُ^(٢)

جَمَدَ الزَّلَالِ لَهَا وَكَادَ يَغُورُ

وَنَدَاهُ فِي طُولِ الزَّمَانِ غَزِيرُ

مِنْهَا وَصَوْتُ الرَّغْدِ مِنْهُ زَفِيرُ

وَيَمِينُهُ فِيهَا الْيَسَارُ يَسِيرُ

وَالْعَفْوُ إِلَّا وَهُوَ ثَمَّ قَدِيرُ

خَلَقًا جَدِيدًا زَنْعُهُ مَخْفُورُ

شَيْئًا يُظَنَّ بِأَنَّهُ مَذْكُورُ

(١) في م : . . . البحر الهمام . × .

(٢) الأثال : المجد والشرف . (القاموس) . وفي ب : حاز المعالي . × . وفي م : حاز

الأماني . × .

أَفْقَى وَأَغْنَى مُوقِعاً وَمُوقِعاً
بِأَنَامِلٍ فِي الطَّرْسِ شَاهِدُنَا التَّدْيِ
إِنْ سَطَرَتْ بَلْ طَرَسَتْ بَلْ طَرَزَتْ
حُرُّ الْمَقَالِ عَيْنِدُ بَغْضِ عَيْنِهِ
بِسَجِيَّةٍ يَهْدِيهِ وَاضِحُ نُورِهَا
وَمَهَابَةٌ لَوْلَا طَلَاقُهُ بِشْرِهِ
يُزْجِي وَيُخْشَى وَعْدُهُ وَوَعْدُهُ
سَاسَ الْمَمَالِكِ فَانْتَشَتْ مَخْفُورَةٌ
فَكَأَنَّهُ وَالذَّهْرُ مِنْ خُدَامِهِ
مِنْ مَعَشَرٍ إِنْ سَوَّجَلُوا أَوْ جَوَلَسُوا
لِلْمُجْتَرِي وَالْمُجْتَدِي وَالْمُجْتَلِي
كَمْ قَدْ تَرَاوَجَ فِي سَمَاءِ سُمُومِهِمْ
فَارْتَدَّ مُتَقَلِّباً كَلِيلًا خَاسِئاً
عَايَنْتُ فِي طُرُقِ الْعُلَى مُذْ جَاذَهَا
وَجَلَبْتُ حِينَ وَرَدْتُ بَحْرَ نَوَالِهِ
سَبَبَ الصَّبَا لُطْفاً وَصَحَّتْ فَالْصَّبَا
أَجْرِبْتُهَا عَرَبِيَّةً لِحَوَادِهِ
قَدْ زَانَهَا طُولٌ وَفِي آيَاتِهَا
مَنْ لَيْسَ يَخْضُرُ وَضْفُهُ إِنْ قَصَرَتْ
وَلَكِنْ قَصَرْتُ أَوْ اقْتَصَرْتُ فَإِنِّي
وَبِعْذَرِهِمْ لَمْ يَنْظَفَرُوا بِمِثَالِهِ
فِيهِ سَمَا شِعْرِي سُمُومٌ لَيْسَ لِلشِّ

فَالْعَزْمُ نَارٌ وَالنَّوَالُ بُحُورُ
مِنْهَا عَلَى الْأَوْرَاقِ كَيْفَ يَسِيرُ
طَرَسَا يَرَاعَتُهُ عِلَاةُ الثُّورِ
وَلِشَاوِهِ لَمْ يَجِرْ قَطُّ جَرِيرُ
أَنْتَى دَجَتْ يَوْمَ الْهِيَاجِ أُمُورُ
فِي الدَّسْتِ طَاشَ إِذَا رَأَهُ وَقُورُ
كَالشُّخْبِ فِيهَا رَحْمَةٌ وَتُبُورُ
إِذْ زَانَهَا مِنْ رَأْيِهِ التَّذْيِيرُ
يَجْرِي بِمَا يَخْتَارُهُ الْمَقْدُورُ
ذَلَّ النَّضَارُ وَعَزَّ ثَمَّ نَظِيرُ
حَزْبٌ وَبَحْرٌ عِنْدَهُمْ وَبُدُورُ
بَصَرٌ وَمَا فِيهَا لَدَيْهِ فُطُورُ
كَمَدَا إِلَى أَهْلِيهِ وَهُوَ حَسِيرُ
دُرُّ الدَّرَارِي عَقْدُهُ مَثُورُ
أَيْتَامُ دُرِّ ضِلُّهَا الْمَقْهُورُ
مُغْتَلَّةٌ وَلَهَا الْغَدَاةُ هَرِيرُ
عِلْمًا بِأَنْ تَبَاجَهَ التَّيْسِيرُ
عَنْ حَضِرٍ أَوْصَافِ الصَّلَاحِ قُصُورُ
عَنْهُ قَصِيدِي إِنِّي مَعْدُورُ
بِمَدِيحِهِ لِلْسَّالِفِينَ أَخِيرُ
بَحْرٌ لَنَا مِنْ دُرِّهِ التَّخْيِيرُ
شِعْرِي الْعَبُورِ عَلَى عِلَاةِ غُبُورُ

وَنَشَرْتُ حَمْدًا فِيهِ يُخَمِّدُ نَشْرُهُ
يُضْيِي الصَّبَا وَيَرَى الْقَبُولَ قَبُولُهَا
يَا مَنْ بِهِ دَسْتُ الرِّئَاسَةَ قَدْ زَهَا
إِنْ شَرَفْتُ يُمْنَاكَ فَايَ بَلْثَمِهَا
دُمُ بِالْمَعَالِي سَاعِيًا أَوْ بِالْمَسَا
لَا زِلْتَ بِالْجِدِّ السَّعِيدِ تَقُورُ بِالسَّ
وَلَيْهَنَ دَهْرًا أَنْتَ مِنْ حَسَنَاتِهِ

فِي طَيْهِ طَيْبُ الشِّذَا مَثُورُ
لُطْفًا فَيَذِيرُ عَنْ ذِكَاةِ دَبُورُ
وَعَلَا ذُرَاهُ مِنَ السَّعَادَةِ نُورُ
[١٤٣] فَلَيْلِثَمَنَّ يَمِينِي الْجُمُهورُ
عِي عَالِيًا فَبِذَاكَ أَنْتَ جَدِيرُ
سَعْدِ الْجَدِيدِ وَسَعْيِكَ الْمَشْكُورُ
يَا ابْنَ الْكِرَامِ فَذَنْبُهُ مَغْفُورُ

● فكتبتُ أنا الجوابُ إليه عن ذلك ازتجالاً من رأسِ القلمِ : [من الكامل]

أَرِيَاضُ حَزَنِ نَبْتِهَا مَمْطُورُ
أَمْ هَذِهِ نَفَثَاتُ سَخَرٍ قَاتِلِ
أَمْ هَذِهِ آيَاتُ شِعْرِ نَظْمِهَا
وَنَعَمْ فَهَذَا نَظْمٌ مِنْ مَلَأَ الْمَلَا
مَعْنَى يَشْفُ ضِيَاؤُهُ وَبِإِزَارَةٍ
فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْقَوَافِي أَكُوسُ
وَكَأَنَّمَا الْأَلِفَاتُ أَغْصَانُ الثَّقَا
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الشُّطُورُ جَدَاوِلُ
أَكْرَمَ بِهَا مِنْ دَوْحَةِ أَغْصَانِهَا
وَنَسِيمُهَا فِي يَقْظَةٍ وَرَقِيئِهَا فِي
وَالظِّلُّ مَمْدُودُ الرِّوَاقِ بِرَبْعِهَا
لَوْ هَبَّ أَيْسَرُ نَفْحَةٍ مِنْ تَرْبِهَا
لَا عَيْنَ فِيهَا غَيْرُ مَذْحِ مُقْصَرِ
حَسْبِي بِهَا فِي خَلُوتِي لِي جَلُوةٌ

وَنُجُومُ أَفْقِي ضَمَمَها الدَّيْجُورُ
لِلصَّبِّ حِينَ رَنْتَ إِلَيْهِ الْحُورُ
يُزْهِي فَيَخْجَلُ عِنْدَهَا الْمَثُورُ
فَضْلاً وَفَاضَتْ مِنْ لَهَاةِ بُحُورُ
مِنْهَا تَضَوُّعٌ فِي الزَّمَانِ عَيِّرُ
بِالرَّاحِ قَدْ رَاحَتْ عَلَيَّ تَدُورُ
وَكَأَنَّمَا هَمَزَاتُهُنَّ طَيُورُ
فِيهَا الْبَدِيعُ يَفُوحُ ثَمَّ يَفُورُ
مَزْفُوعَةٌ وَغَدِيرُهَا مَجْرُورُ
غَفْلَةٌ وَنَدِيمُهَا مَسْرُورُ
وَالْحُسْنُ فِي سَاحَاتِهَا مَقْصُورُ
لَأَفَاقَ مِنْ ذَاكَ الشِّذَا الْمَخْمُورُ
هُوَ مَعَ مَسَاوِي ذَاتِهِ مَشْكُورُ
إِنْ ضَمَّنِي ثُوبُ الدُّجَى الْمَزْرُورُ

لي من معانيها نديمٌ مؤنسٌ
أنا لا أقومُ بشُكرٍ مُهديها ولو
هيهات ذاك أَمِيرُ نظمٍ فائقٍ
فإذا اجتهدتُ يَكُونُ غايةُ قُدْرَتِي
فإِلَيْكَ زَيْنَ الدِّينِ مَعْدِرَةُ امْرِئٍ
فَالنَّاسُ ما فِيهِمْ بِفَضْلِي عَالِمٌ
فَاللَّهُ يُجْعَلُنِي كما قد قُلْتُهُ
بِجَمِيعِ لَذَاتِ الْأَنَامِ بَصِيرُ
قَصْرَتْ عَنْهُ فَإِنِّي مَعْدُورُ
ولوَاؤُهُ مِنْ فَوْقِنَا مَنُشُورُ
أَنِّي عل حُسْنِ الثَّنَاءِ قَدِيرُ
في بَاعِهِ عِنْدَ الْجَوَابِ قُصُورُ
وَبِفَضْلِ نَظْمِكَ يَشْهَدُ الْجُمْهُورُ
وَتَرَوْحُ أَنْتَ وَذَنْبُكَ الْمَغْفُورُ

* * *

حَرْفُ الْجِيمِ

٢٣ * جَوَادُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ غَالِبِ التَّنُوخِيِّ (١) :
الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ ، عَزَّ الدِّينُ ، أَمِيرُ الْغَرْبِ .

● أَهْدَى إِلَيَّ شَيْئًا مِنْ طَرَائِفِ الْجَبَلِ وَهَدَايَا بَيْرُوتَ ، فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ (٢) :

[من السريع]

يَا سَيِّدًا جَاءَتْ هَدَايَاهُ لِي
أَنْتَ جَوَادُ سَابِقُ بِاللَّدَى
عَلَى الْمُئْنَى مِنِّْي وَوَفَّقَ الْمُرَادُ
مَنْ ذَا الَّذِي يُنْكِرُ سَبَقَ الْجَوَادُ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ١٦٦/٢ والوافي بالوفيات ٢١٣/١١ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٨٣/٢ والذَّور الكامنة ٥٤٠/١ والمنهل الصافي ٣١/٥ والدليل الشافي ٢٥٣/١ .
- مولده في ٧٠٥ هـ . ووفاته سنة ٧٥٨ هـ .

- أمير الغرب : يعني أمير بيروت . (ينظر تاريخ بيروت لصالح بن يحيى) .
(٢) الخبر والآيات جميعاً في : أعيان العصر والوافي والمنهل الصافي ؛ والأول والثاني من أبيات المترجم في الذَّور الكامنة .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ جَوَاباً (١) [من البسيط]

وَافِي مِثَالِكَ مَطْوِيًّا عَلَى نَزْوِ
فَالْعَيْنُ تَزْتَعُ فِيمَا خَطَّ كَائِدُهُ
وَالسَّمْعُ يَنْعَمُ فِيمَا قَالَ شَاعِرُهُ
وَإِنْ وَقَفْتُ أَمَامَ الْحَيِّ أَنْشِدُهُ
يَحَارُ مَسْمَعُهُ فِيهَا وَنَاطِرُهُ
وَدَّ الْخَرَائِدُ لَوْ تَقْنَى جَوَاهِرُهُ (٢)

* * *

حَرْفُ الْحَاءِ

٢٤ * (حسن بن علي (٣) :

الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ الْعَبَّاسِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَنَّا .

● كُتِبَ إِلَيَّ وَأَنَا بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ :

[من الكامل]

هِيَ مُقْلَةٌ إِنْ لَمْ تُعْنِكَ فَلَا حِيَا
لِلظَّاعِنِينَ عَلَيْكَ حَقٌّ فَاقْضِهِ
فَسَمَّا حِيَا بِالذَّمْعِ عَيْنٌ فَلَا حِيَا
مِنْ عَبْرَةٍ وَقَفْتُ عَلَى سَفَا حِيَا
وَقَفْتُ صَبَاحُ أَمَامَ صُبْحِ رَحِيلِهِمْ
فَغَنَيْتُ عَنْ مِصْبَاحِهِمْ بِصَبَاحِهَا

(١) الخبر والآيات جميعاً في : أعيان العصر والوافي والمنهل الصافي ؛ والأول والثاني من أبيات المترجم في الذَّور الكامنة .

(٢) في ب : لو تغني جواهره .

(٣) ترجمته في : تذكرة النبيه ٢٧٣/٣ والمتنقي من دَرَةِ الْأَسْلَافِ ٣٦٥ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢٤٩/٢ وتعريف ذوي العلا ١٦١ والذيل على العبر ١٧٥/١ ولحظ الألفاظ ١٤٥ والذَّور الكامنة ٢١/٢ والنجوم الزاهرة ٨٤/١١ والمنهل الصافي ١٠/٥ والدليل الشافي ٢٦٥/١ .

- وفاته سنة ٧٦٥ هـ . عن نحو سبعين سنة .

- هذه الترجمة ساقطة من أ ، س ، م ، وهي من ب .

وَكَاَنَّ طَلَأً سَاقِطاً مِنْ دَمْعِهَا
وَكَاَنَّ رَاحاً مِنْ لَمَاهَا خَامَرَتْ
وَإِذَا الرِّيَاضُ زَهَتْ بِفَاجِرِ زَهْرِهَا
زُهِيتْ بِوَجْنَتِهَا وَوَزِدْ شَقِيقِهَا
وَكَاَنَّ غُرَّتْهَا الْغَزَالَةُ نَبَّهَتْ
يَا حُسْنَ فَاتِنَةِ الْعُقُولِ أَهْكَذَا
حَلَلْتَ حَظَرَ دِمِي ، كَذَا فَعَلَ الَّذِي
سَمِّمَ اللُّحَاةَ تَجَبَّبِي لِمَلَامِهِمْ
لَمْ أَثْنِ عَنْ حَلَبِ عِنَانِ إِقَامَةٍ
كُلُّ الَّذِي أَشَدَّتْ إِلَيَّ مَعَارِفِي
وَالدَّهْرُ يَقْرَعُ بِالنَّوَائِبِ عَادِيَا
هِيَ مَوْطِنُ النَّائِي الْمَقْلُ كَاَنَّمَا
تَسْرِي بِهَا الْأَرْوَاحُ بَيْنَ مَرَوِضٍ
لَمْ تَبْرَحِ الشَّهَاءُ مِنْ شُهْبِ السَّمَاءِ
لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ
وَافِي صَلَاحِ الدِّينِ كَاتِبَ سِرِّهَا
زُفِعَتْ تَوَاقِيْعُ الْبِلَادِ بِفَاضِلِ
فَكَأَنَّهَا تَزْمِي بِسَهْمِ إِصَابَةٍ
إِذْ أُنْشِرَتْ مِنْهَا الْمَنَاشِيرُ الَّتِي
بَحَرُ الْفَضَائِلِ فِيهِ يُوجَدُ دُرُّهَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ مَوْرِدُ رَهْطِهَا

تَخْكِي فَرَائِدُهُ عُقُودَ وَشَاحِهَا
عَقْلِي تَلَاهَا رَاحُهَا مِنْ رَاجِهَا
فَالزَّهْرُ مِثْلُ الزُّهْرِ مِنْ وَضَاحِهَا
وَسَنَا ثَنَائِهَا وَنُورِ أَقَاحِهَا
فِي الْحَيِّ حُورِ الْعَيْنِ مِنْ فَضَاحِهَا
تُسْتَجَلِبُ الْأَرْوَاحُ مِنْ أَشْبَاحِهَا
يَقْضِي عَلَى الْإِقْبَالِ عِنْدَ طِمَاحِهَا
وَقَدْ اطمَأَنَّ الْقَلْبُ مِنْ إِنْحَاحِهَا
جَنَفْتُ عَلَيَّ وَقَدْ أَقَمْتُ بِسَاحِهَا^(١)
سَلَبْتُهُ مِنْ عَقْلِي عُيُونُ مِلَاحِهَا
مَنْ لَا يُفِيْقُ الدَّهْرَ مِنْ أَتْرَاحِهَا
وَقَفْتُ مَقَامَتُهُ عَلَى أَفْرَاحِهَا
عَنْ مُزْنَةٍ مُثْنٍ عَلَى سَخَاحِهَا
بِمَنَاحٍ كَالشُّهْبِ مِنْ مُرْتَاحِهَا
إِضْلَاحُهَا شَأْنًا وَبَسْطُ جَنَاحِهَا
قَسَمًا تَعَيَّنَ وَهُوَ عَيْنُ صَلَاحِهَا
أَفْكَارُهُ وَقَفْتُ عَلَى اسْتِضْبَاحِهَا
مَنْ رَامَهُ مَا طَاشَ عِنْدَ كِفَاحِهَا
مَاتَتْ وَصَحَّ الْبَغْتُ مِنْ أَرْوَاحِهَا
فَصِحَاحُهُ تُوْهِى عُقُودَ صِحَاحِهَا
كَالشَّمْسِ عِنْدَ غُدُوِّهَا وَرَوَاحِهَا

سَلَكَ السَّبِيلَ إِلَى مَشَارِقِ جِلِّهِ
كَشَفْتُ مَعَارِفُهَا الْغَوَامِضَ لَمْ تَزَلْ
مُتَقَلِّدٌ فِيهَا بِعِزِّ مُزْهَفَا
وَإِذَا الصَّحَائِفُ شَحَّ وَذُقْ سَحَابِهَا
وَكَاَنَّمَا أَقْلَامُهُ عِنْدَ الْعِدَى
آخَى صَلَاحُ الدِّينِ كُلَّ فَضِيلَةٍ
وَإِذَا الْفَضَائِلُ رَجَّحَتْ أَزْبَابِهَا
يَسْتَضِيحُ السَّارِي بِهِ فِي نَظْمِهِ
تَمَثَّلَتْ بِهِ رُتَبُ الْمَعَالِي حَيْثُمَا
فِي جِلْمِ نَفْسٍ لَا يَطِيشُ وَقَارُهَا
وَكِتَابَةُ السَّرِّ الَّتِي صَلَحَتْ بِهِ
وَافَتْ إِلَيْهِ فَسَدَّ خِلَّةَ أَمْرِهَا
تَسْرِي صَحَائِفُهُ كَاَنَّ بَرِيدَهَا
الْيَمْنُ مَشُورٌ بِهَا فِي طَيْهَا
وَبَدَائِعُ الصُّخْفِ النَّفِيسَةِ أَوْجُهُ
يَا مَنْ فِرَاضُ الْمَجْدِ دَلَّتْ أَنَّهُ
وَمُذَلَّلُ الْمُسْتَضْعَبَاتِ كَاَنَّمَا
أَهْدَى إِلَى هَجَرِ تِجَارَةِ بَائِسِ
حَازَ الْمُعْلَى مِنْ عِلَاقٍ بِمَدْحِهَا
وَهُوَ الَّذِي خَتَمَ الْقَرِيضَ بِشَعْرِهِ
حَمَلْتُ مَعَارِفَنَا اللَّيَالِي سَالِفَا

عَرَفَ الصَّوَابَ الْحَقَّ مِنْ أَضْبَاحِهَا
مَضْرُوفَةً مِنْهَا عَلَى إِنْضَاحِهَا
يُغْنِيهِ عَنْ خَطِّهَا وَصِفَاحِهَا^(١)
قِرَاعُهُ السَّامِي مَهَبُّ رِيَاحِهَا
شُهْبُ النُّجُومِ تَحْطُّ سُمْرَ رِمَاحِهَا
فَكَأَنَّهُ قَدْ جَاءَ لِاسْتِفْتَاحِهَا
رَجَّحَتْ فَصَائِلُهُ عَلَى رَجَّاحِهَا
فَقَرَّ الْبَلََاغَةُ يَقْتَدِي بِسَمَاحِهَا
كَانَتْ تَكُونُ بِهِ مَدَارُ نَجَاحِهَا
الْجِلْمُ مُنْسُوبٌ إِلَى أَسْجَاحِهَا
أَحْوَالُهَا ، وَالرَّأْيُ فِي إِضْلَاحِهَا
سَدًّا تُمَيِّزُهَا عَلَى نَضَاحِهَا
مِنْ سَابِحَاتِ الشُّخْبِ مِنْ مِسْبَاحِهَا
وَالنَّصْرُ مَقْرُونٌ إِلَى أَلْوَاحِهَا
تَتَطَلَّبُ الْحَاجَاتِ عِنْدَ صِبَاحِهَا
مُغْرَى بِهَا وَبِنَذْبِهَا وَمُبَاحِهَا
وَقَفَا جِيَادُ الْخَيْلِ عِنْدَ جِمَاحِهَا
تَمُرُّ بِهَ صَغِيدَ بَطَاحِهَا
وَهُوَ الْمُصِيبُ ثَنًا بِضَرْبِ قِدَاحِهَا
إِذْ كَانَ دَامَ عِلَاقَ مِنْ مُدَاحِهَا
فَزَكَ النَّجَاحُ وَطَابَ عَقْدُ لِقَاحِهَا

(١) في ب : لم اين غر . . . ! وأثبت ما في أعلاه اجتهداً .

(١) في ب : متلد فيها بعزم مرهف . ولعل ما ذهبت إليه هو الصواب .

إِنَّ المعارِفَ كالرَّكَايَا بَعْضُهَا الـ
ولقد أُتِيَتْ بِمَا تَجُرُّ مِنَ الْحَيَا
لا زَالَتِ الْأَقْلَامُ عِنْدَكَ تَقْتَفِي
ما فَضَّ خَتَمَ الزَّهْرِ أَنْفَاسُ الصَّبَا
٢٥ * حسن بن جعفر (٢) :

الفاضل بندر الدين بن شمس الدين البليسي ، الطبيب بالقاهرة
المحرّوسة .

● كتب إليّ في سنة ٧٤٥ وأنا بالقاهرة ، على وزن قصيدة نظمها أنا
ووقف هو عليها ، فقال : [من البسيط]

قَامَتْ مَقَامَ الْحُمَيَّا رِيْقُهُ الْخَضِرَةُ
وَحَالَ فِي مِعْطَفِيهِ الْبَانُ مِنْ هَصَرَةٍ
وَلَمْ يَكُنْ لِلْحُمَيَّا طِيبُ رِيْقَتِهِ
[١٤٣] مِنَ الْإِنْسِي فِي أَحْدَاقِهِ حَوْرٌ
وَسِحْرُ أَجْفَانِهِ لَوْ كَانَ عَاصِرَهُ
فِي نَفْسِهِ صَلَفٌ ، فِي قَدِّهِ هَيْفٌ
تَنَالُ مِنْ خَضِرِهِ وَضَلًا مَنَاطِقُهُ
كَمَثَلِ لَفْظِ صَلَاحِ الدِّينِ مُحْتَوِيَا
فَنَظْمُهُ اللَّوْلُؤُ الْمُنْظُومُ تَحْسَبُهُ

فَظَنَّتْهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعَصْرِ مُعْتَصِرَةً
فَقَالَ فِي مِعْطَفِيهِ الْبَانُ مِنْ هَصَرَةٍ
وَلَا نَضَارَتِهِ لِلْبَانَةِ النَّضِيرَةِ
تَمَنَّتِ الْحَوْرُ فِي أَحْدَاقِهَا حَوْرَةً
فِرْعَوْنُ مُوسَى لِأَغْنَاهُ عَنِ السَّحَرَةِ
صَبٌّ بِهِ كَلِفٌ ، أَمْرَاضُهُ خَطِرَةٌ (٣)
وَذَاكَ مَعْنَى دَقِيقٌ وَهِيَ مُخْتَصِرَةٌ
عَلَى مَعَانٍ مِنَ الْإِيجَازِ مُبْتَكِرَةٌ (٤)
وَتَحْسَبُ اللَّوْلُؤُ الْمُنْظُومُ مَا نَثَرَهُ

(١) وليس في ردّ الصفدي .

(٢) لم أقف له على ترجمة .

(٣) في ب : × صَبٌّ بِهِ دَقَفٌ . . .

(٤) في س : × . . . مع الإيجاز . . .

يَا شَاعِرًا شَتَّفَ الْأَسْمَاعَ مَا شَعَرَهُ
عَادَ الشُّرُورُ لِمَضِرٍ حِينَ عُدَّتْ لَهَا
كَانَتْ وَقَدْ غَبَّتْ عَنْهَا مَا لَهَا قَمَرٌ
حَلَلَتْهَا فَلَهَا بِالْفَخْرِ أَلْوِيَّةٌ
قَالَتْ دِمَشْقُ وَقَدْ جَانِبَتْ جَانِبَهَا :
يَا مَنْ إِذَا عَبَرْتَ أَرْضًا رَكَائِبُهُ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ارْتِجَالًا : [من البسيط]

أَهْدِيهِ رَوْضَةً أَنْفَاسُهَا عَطِرَةً
أَمْ قِطْعَةً مِنْ قَرِيضٍ رَاقٍ قَافِيَةً
فَمَا يُمُرُّ عَلَى سَمْعِ امْرِئٍ وَلَهُ
بَالِغَتْ مَوْلَايَ بَدْرُ الدِّينِ فِي مَدْحِي
غَرِيبُ مَضْرِكٍ لَمَّا حَلَّ رَبْعَكَ قَدْ
أَنْتُمْ أَنْاسٌ مَطَايِبُ بِمَضْرِكِكُمْ
وَنَظْمُكُمْ يَخْلُبُ الْأَلْبَابَ رَوْنَقُهُ
وَفِي عِبَارَاتِكُمْ لُطْفٌ يَزِيدُ عَلَى
وَلَفْظُكُمْ قَدْ حَلَا فِي ذَوْقِ سَامِعِهِ

أَمْ أَفْقٌ لَيْلٍ جَلَا لَمَّا أَنْجَلِي قَمَرَهُ
وَرَقٌّ لَفْظًا كَدَوَّحٍ تَجْتَلِي زَهْرَهُ
ذَوْقٌ فَيُلْغُ مِنْ تَكَرَّارِهِ وَطَرَهُ
وَالْبَدْرُ كَيْفَ نَرَاهُ يَمْدَحُ الشَّرَرَهُ
أَضْحَى يُنْفِقُ فِيمَا بَيْنَكُمْ عُجْرَهُ
أَهْدِي الشَّامُ لَكُمْ مِنْ أَرْضِهِ بَقَرَهُ
وِمَضْرُ مَعْرُوفَةٍ فِي النَّاسِ بِالسَّحَرَهُ
رِيحُ الصَّبَا حِينَ شَقَّتْ رَوْضَةً نَضِرَهُ
وَلَيْسَ نَظْمِي فَيْكُمْ يَانِعَ الثَّمَرَهُ

٢٦ * حسن [بن عمر بن الحسن] بن حبيب (١) :

القاضي الفاضل ، بدر الدين الحلبي .

(١) ترجمته في : الذيل على العبر ٤٦٨/٢ وتعريف ذوي العلا ٢٧٥ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٥٥٩/٢
وإنباء الغمر ١٤٩/١ والدرر الكامنة ٢٩/٢ والنجوم الزاهرة ١٨٩/١ والمنهل الصافي ١١٥/٥
والدليل الشافي ٢٦٧/١ وشذرات الذهب ٤٥١/٨ والبدر الطالع ٢٠٥/١ .
- هو صاحب « تذكرة النبيه » و« درة الأسلاك في دولة الأتراك » .
- وفاته سنة ٧٧٩ هـ . ومولده سنة ٧١٠ هـ .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ وَقَفْتُ لَهُ عَلَى قَصِيدَةٍ^(١) امْتَدَحَ بِهَا الْقَاضِي شَرَفَ الدِّينِ
ابن المرحوم شمس الدِّين بن العلامة المرحوم شهاب الدِّين أَبِي النَّشَاءِ مُحَمَّدٌ ،
عَلَى هَذَا الْوَزْنِ :

وَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى الْقَصِيدَةِ الَّتِي سَلَبَتْ لُبَّهُ ، وَكَشَفَتْ لَهُ عَنِ الْبَيَانِ
حُجْبَهُ ، وَوَصَفَتْ مَنَاقِبَ مَمْدُوحِهَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ نَاطِمُهَا وَتَبَّهَ ، وَسَرَدَتْ مَآثِرَهُ
الَّتِي كَفَّرَتْ خَطِيئَةَ الزَّمَنِ بِوُجُودِهَا وَمَحَتْ ذَنْبَهُ ، وَذَلَّتِ الْغَفَاةُ عَلَى نَسَمَاتِ
جُودِهِ الَّتِي كَمَ لَهَا مِنْ هِبَةٍ فِي كُلِّ هَبَةٍ ، وَاخْتَارَتْ لَهَا مِنْهُ كُفُوءًا أَضْحَتْ الْمَجْرَةُ
طَرِيقَهُ ، وَالْثَرَيَّا نَعْلَهُ ، وَالْهَلَالُ فَلَامَتَهُ ، وَأَزِيدُهُ شَرَفًا إِذَا قُلْتُ قَلْبُهُ .

فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا مَعَ حَسَدِهِ ، وَقَالَ : فَذَيْنَاكَ مِنْ رَنْعٍ وَإِنْ
زِدْتَنَا كُرْبَةً ، وَطَافَ بِهِ عَلَى عَيْنِهِ وَرَأْسِهِ لَمَّا كَانَ فِي الْأَدَبِ كَعْبَةً ؛ فَلَوْ تَعَاطَاهَا
الْعَرَبُ الْفِصَاحُ لَكَانَتْ لِقُلُوبِهِمْ طَابِخَةً وَعَلَى أَذْهَانِهِمْ ضَبَّةً ، وَلَوْ رَأَاهَا ابْنُ نُبَاتَةَ
لَوَجَدَ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ خُطْبَهُ ، وَلَوْ اسْتَعْمَلَهَا الْفَاضِلُ فِي تَرْشُلَاتِهِ مَا عَمِلَ اللَّهُ لَهُ
- كَمَا قِيلَ - حَذْبَةً ، وَلَوْ نَظَرَ فَضْلُهَا الْكِسَائِيُّ لَتَحَقَّقَ تَجَرُّدُهُ فِي الْعِلْمِ^(٢)
وَسَلْبَهُ ، وَلَوْ عَاصَرَهَا ابْنُ يَعِيشَ لَقَضَى فِي الْوَقْتِ نَحْبَهُ ، وَلَوْ أَنْشِدَتْ لِحَمَادٍ
الرَّأَوِيَّةَ لَقِيَّ مِنْهَا عَرَقُ الْقَرْيَةِ ، وَلَوْ [٤٣ ب] شَاهَدَ ابْنُ الْبَوَّابِ سَطُورَهَا لَتَأَخَّرَ عَمَّا
يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الرُّتْبَةِ ، وَلَوْ نَظَرَهَا ابْنُ مُقَلَّةَ لَتَمَتَّى أَنْ تَكُونَ أَلْفَانِهَا هُدْبُهُ ، وَلَوْ
سَمِعَهَا ابْنُ الرُّومِيِّ لَقَطَعَ الرُّعْبُ مِنْهُ وَمِنْ أَضْلِهِ ضَلْبُهُ ، وَلَوْ سَعَى خَلْفَهَا ابْنُ
سَهْلٍ لَعَلِمَ أَنَّ طَرِيقَهَا فِي النَّظْمِ صَعْبَةٌ ، وَلَوْ حَاوَلَ ابْنُ الْخَيَّاطِ مَعَانِيهَا لَكَانَ

(١) بعض هذه القصيدة في تذكرة النبيه ٢٦٨/٣ - ٢٦٩ والمتنقى من دُرَّةِ الْأَسْلَافِ ٣٥٤ - ٣٥٥ ،
ومطلعها :

بين جسمي وبين خضركِ نَشْبَةٌ كيف عني مَنَعْتَ يَا غُضُنْ قُرْبَةً
(٢) في ب ، س : من العلم .

الْعَجَزُ وَقَعَ فِي قَبِّهِ^(١) وَضَرَبَ عَلَيْهِ قُبَّةً ، وَلَوْ تَعَوَّذَ بِكَلِمَاتِهَا عُمَارَةُ الْيَمَنِ لَأَمِنَ
خَرَابَ عُمْرِهِ وَصَلْبَهُ ، وَلَوْ وَلَوْ وَلَوْ^(٢) : [من الخفيف]

بَيْنَ قَطْرِ النَّدَى وَشِعْرِكَ نِسْبَةً فَلِهَذَا أَلْفَاظُهُ الْغُرُّ عَذْبَةً
مَا حَبِيبُ الطَّائِي يَا ابْنَ حَبِيبٍ حَامِدًا فِي الْقَرِيضِ بَعْدَكَ كَسْبَةً
وَأَرَى مَا نَظَّمْتَ زَهْرًا وَلَكِنْ هُوَ عِنْدِي بِالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ أَشْبَهُ
وَعَجِيبٌ مِنْ عَقْدٍ دُرٍّ نَقِيسٍ كُلُّ قَلْبٍ شَرَاهُ مِنْكَ بِحَبَّةٍ
لَوْ غَدَا لَفُظُهُ هَدِيَّةً صَبَّ لِحَبِيبٍ لَكَانَ فِي الْبُعْدِ قُرْبَةً
هُوَ حَالِي فِي كُلِّ حَالٍ أَرَاهُ نَضَبَ عَيْنِي وَالحَالِ يَطْلُبُ نَضْبَهُ
لَيْسَ عِنْدِي فِي الْأَفْقِ وَالْقَوْلُ حَقٌّ شُبْهَةٌ أَنْ تَبِيتَ تَنْظُمُ شُبْهَهُ
فَرِحْتَ جَلَّقَ بِقُرْبِكَ حَتَّى كَانَ حِنَّا الْأَصِيلِ فِي الْأَفْقِ خَضْبَهُ
وَحَمَامُ الْغُصُونِ بِالسَّجْعِ أَضْحَى يَتَغَنَّى وَرَقَصَ الرُّوضُ قُضْبَهُ
يَا أَدِيبًا أَتَى بِشِعْرِ يَرَاهُ كُلُّ صَبٍّ يَقُوقُ وَضَلَّ الْأَحْبَةَ
وَجَوَادًا جَرَى فَجَلَّى فَكَانَتْ حَلَبٌ فِي الْقَرِيضِ لِلنَّاسِ حَلْبَهُ
وَكَمِيًّا مَا مَدَّ فِي النَّظْمِ بَاعًا فَاقتَضَى بَاعُهُ إِذَا مَدَّ قَلْبَهُ
خَاضَ بَحَرَ الْقَرِيضِ غَيْرُكَ لَكِنْ لَمْ يَذُقْ مِنْ زُلَالِكَ الْعَذْبِ نُعْبَهُ
أَيُّ شَيْءٍ أَلْهَاكُمْ يَا بَنِي الْعَصْ رٍ فَلَمْ تَلْحَقُوا لَهُ قَطُّ رُبْنَهُ
هُوَ عِنْدِي بِالنَّصْرِ فَازَ وَتَبَّتْ يَدُ مَنْ قَدْ غَدَا بِهِ يَشْبَهُ^(٣)

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ :

يُقْبَلُ كَذَا ، وَيُنْهَى بَعْدَ وَلَاءٍ اتَّخَذَهُ إِلْفًا وَقَرِينًا ، وَدَعَاءٍ اسْتَفْتَحَ بِهِ بَابَ

(١) في ب : قلبه .

(٢) معظم هذه القصيدة في تذكرة النبيه ٢٦٩/٣ - ٢٧٠ وبعضها في المتنقى من دُرَّةِ الْأَسْلَافِ ٣٥٥ .

(٣) وسقط ما بعد ذلك من س حتى نهاية الترجمة .

القبولِ فقلَّ له : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح : ١] وثناءً به يُعرفُ عَزْفُ الرِّياضِ ،
وانتماءٍ ليس له انتهاءٌ ولا انقراضٌ ، وشوقٍ إلى قُرْبِ أَيَّامِهِ المُسْتَنِيرَةِ ، التي
يَطُولُ الشَّرْحُ فِي وَصْفِ مُحَاسِنِهَا وَإِنْ كَانَتْ قَصِيرَةً^(١) : [من الطويل]

تَفَضَّلْتَ الْإِيَّامَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا فَلَمَّا حَمِدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ
جَعَلْنَا وَدَاعِي وَاحِدًا لِثَلَاثَةِ جَمَالِكَ وَالْعِلْمِ الْمُبْرَحِ وَالْمَجْدِ
وَصَوْلِ الْإِنْعَامِ الشَّرِيفِ الَّذِي أَغْدَبَ شُرْبُهُ ، وَأَمَطَرَ سَخْبُهُ ، وَأَذْهَبَ غَيْظُهُ
عَلَى الذَّهْرِ وَعَتَبُهُ ، وَرَفَعَ لَهُ بَيْنَ الْمَلَأِ رُبَّةً وَأَيَّ رُبَّةٍ ، وَأَعْلَى قَدْرَهُ إِلَى أَنْ زَاخَمَ
فِي أَفْقِ التَّوْفِيقِ شُهْبَهُ ، وَبَنَى مِنْهُ حَظًّا نَامَ دَهْرًا وَصَارَ لَهُ بِهِ فِي النَّاسِ نِسْبَةٌ .

فَيَا لَهِ ذَٰلِكَ الْبِرِّ الشَّامِلِ وَمُهْدِيهِ ، وَالْفَضْلِ الْكَامِلِ وَمُبْدِيهِ ، وَأَحْسَنَ بَطْرِسٍ
يُضْبِي أَهْلَ الْعِلْمِ بِأَعْلَامِهِ وَأَفْوَافِهِ ، وَالْفَاظِ أَخْجَلَتِ الدُّرَّ فَرَاخَ مُسْتَخْفِيًّا فِي
أَصْدَافِهِ ، وَفَصَاحَةِ تَعْقِلَ عُقُولَ ذَوِي الْفِطْرِ السَّلِيمَةِ ، وَفَقْرٍ يَفْتَقِرُ أَجْيَادُ الْإِنْسَانِ
إِلَى جَوَاهِرِ عُقُودِهَا النَّظِيمَةِ ، وَتَرَشُّلٍ يُظْهِرُ نَقْصَ الْفَاضِلِ وَخُمُولَ ابْنِ النَّبِيِّ ،
وَحَظًّا لَوْ شَاهَدَهُ ابْنُ الْبَوَابِ [١٤٤] عَادَ قَلَمُهُ كَعَصَا أَبِيهِ^(٢) : [من الطويل]

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صُنْعُ سَحَابِهِ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهُوَ مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ
لَقَدْ تَنَزَّهَ الْمَمْلُوكُ فِي رَفْعِ أُنَامِلِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَاجْتَنَى أَزْهَارَ أَلْفَاظِهِ الْعَذْبَةِ
وَأَبْكَارَ مَعَانِيهِ اللَّطِيفَةِ ؛ يَا لَهَا مَعَانِي ظَهَرَتْ مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي أَحْسَنِ الْأَنْوَاعِ ،
وَشَرَفَتِ الْأَبْصَارُ وَشَقَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَسَبَّتِ الْأَلْبَابُ وَسَلَبَتِ الثُّقُوسُ ، وَأَعْنَتِ
عَنْ تَرْتُّمِ أَلْسِنِ الْعِيدَانِ وَازْتِشَافِ شِفَاهِ الْكُؤُوسِ^(٣) ، مَا أَحْسَنَ مَا جَاءَتْ تَرْفُلُ
فِي ثَوْبِ طِرْسٍ رَاقِمِهِ عَلَى أَهْلِ الْعَصْرِ مُبَرَّرٌ ، وَمَا أَحَقُّهَا بِقَوْلِ ابْنِ

الرُّومِيِّ^(١) : [من الكامل]

وَحَدِيثُهَا السَّخَرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَهُ الَّذِي طَوَّقَ الْأَجْيَادَ ، وَنَفَعَ بِفَضَائِلِهِ الْوَارِيَةَ الزَّانِدَ ،
وَأَدَامَ سَخَّ سَحَابِهِ الَّذِي جَادَ وَأَجَادَ^(٢) ، وَجَعَلَ أَنْوَارَ سَمَائِهِ وَنَارَ شَمْسِهِ ، هَذِهِ
تَهْدِي قُلُوبَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَهَذِهِ تَتَّجِحُ فِي أَكْبَادِ الْحُسَادِ .

وَقَدْ خَدَمَ الْمَمْلُوكُ بِهِذِهِ الْأَيَّاتِ الْمُعْتَرِفَةَ بِالْقُصُورِ ، الْمُسْتَرَّةَ مِنَ الْحَيَاءِ
فِي طَيِّ رَفْعِهَا الْمَنْشُورِ ، الطَّامِحَةَ إِلَى سَدِّ ظِلِّهَا^(٣) لَدَى السَّبْرِ ، الطَّامِعَةَ فِي أَنْ
تُلَمَّحَ عِنْدَ الْمُقَابَلَةِ بِالْجَبْرِ ، وَهِيَ : [من السريع]

سَفَكَ دِمَا عَشَاقِهِ قَدْ أَبَاخَ لَمَّا انتَضَى مِنْ مُقْلَتَيْهِ الصَّفَاخَ
أَهْيَفُ مَا هَزَّ قَنَاقَةً قَدْ أَهْيَفُ مَا هَزَّ قَنَاقَةً قَدْ أَهْيَفُ مَا هَزَّ قَنَاقَةً
وَلَا تَبَدَّى وَجْهُهُ سَافِرًا إِلَّا وَخَلَّتِ الصُّبْحُ فِي الشَّرْقِ لَاحَ
ذُو مُقْلَةٍ كَحَلَاءِ سَحَابَةٍ لَا تُحَوِّجُ الصَّبَّ إِلَى شُرْبِ رَاخِ
كَمْ أَطْلَقْتَ سَهْمًا وَكَمْ قَيَّدْتَ لَا تَسْأَلُوهَا أَبَدًا عَنْ دَمِي
يَا غُضْنَ بَانَ قُصَّ لَمَّا نَأَى مِنْ طَائِرِ الْقَلْبِ جَنَاحُ النَّجَاحِ
أَزْفَعَ قِتَالِي فِي حُرُوبِ الْهَوَى فَمَا عَلَى الْمَرْضَى الشَّكَارَى جُنَاحِ
أَنْظُرْ إِلَى الْأَجْفَانِ وَاعْجَبْ لَهَا مَكْسُورَةٌ تُسَبِّي الْعُقُولَ الصَّحَاخَ
إِنْ أَفْسَدَتْ أَسْيَافُهَا مُهْجَتِي ظُلْمًا تَعْلَقْتُ بِعَذْلِ الصَّلَاحِ
مَوْلَى لَهُ أَعْلَامُ عِلْمٍ إِذَا مَا ظَهَرَتْ تَهْدِي لِطُرُقِ الْفَلَاحِ

(١) ديوانه ١١٦٤/٣ .

(٢) في م : جاد وأعاد .

(٣) في م : سدَّ خَلِّهَا .

(١) البيتان للمتنبي ، في ديوانه ٦٩/٢ .

(٢) البيت ثالث ثلاثة لابن الحلاوي الموصلي ، في خزانة الأدب للحموي ٩٦/٣ .

(٣) في م : أفواه الكؤوس .

رُبَّ مَعَانٍ عَذْبَةٍ أَخْرَسَتْ
خَبْرُ الْهُدَى بَحْرُ النَّدَى مَا جَدُّ
يُثْنِي عَلَى مَعْرُوفِهِ مَنْ غَدَا
ذُو قَلَمٍ قَدْ جَلَّ عَنْ قَادِحٍ
إِنْ جَادَ قُلْنَا يَا حَيَاءَ الْحَيَا
يَا حَبَّذَا طَرْسٍ أَتَى مُنْعَمًا
مُسْتَمْلَحَ الْوَصْفِ بِرَوْضَاتِهِ
مُحَقِّقَ الْمَنَسُوبِ مِنْ خَطِّهِ
لَمْ أَنْسَ إِذْ وَافَى وَفِي طَيْبِهِ
لَمَّا دَنَا أَكْرِمَ بِهِ زَائِرًا
لَا زَالَ يُهْدِي دُرَّةً كَغَبَّةٍ

أَلْفَاظُهَا الْعُزْبُ السَّرَاةُ الْفِصَاخُ
يَزْتَاحُ لِلْإِحْسَانِ أَيْ ازْتِيَاخُ
إِلَى جِمَى نَادِي نَدَاهُ وَرَاخُ
يَنْقُذُ فِي الْأَمْرِ نَفُودَ الْقِدَاخِ
أَوْجَالَ غَارَتْ مِنْهُ بَيْضُ الصَّفَاخِ
مَنْ رَبْعِهِ الْحَاوِي سَمَاءَ السَّمَاحِ
زَهْرٌ يُغَيِّرُ الزُّهْرَ عِنْدَ الصَّبَاخِ
يُخْجِلُ رِيحَانُ خُدُودِ الْمِصْلَاخِ
نَشْرُ نَفَى عَنَّا الْعَنَا جِينِ فَاخِ
حَلَّ الْهَنَا وَالْبَشْرُ وَالْإِنْشِرَاخِ
لِلْقَصْدِ مَا هَبَّتْ نَسِيمُ الرِّيَاخِ

٢٧ * حسن بن علي^(١) :

الشيخ بذر الدين ابن المحدث الكاتب .

● كَتَبَ إِلَيَّ أُنْيَاتًا لَامِيَّةً [فِي سِنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةً]^(٢) التزمَ فِيهَا
الْجِيمَ^(٣) ، فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ وَالتَزَمْتُ الْمِيمَ : [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّجَزِ]
[٤٤ ب] يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي فِي الْعِلْمِ فَاقٍ وَالْعَمَلِ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢/٢١٠ والوافي بالوفيات ١٢/١٧٨ والذرة الكامنة ٢/٢٥ وفوات
الوفيات ١/٣٤٨ المقفى الكبير ٣/٤١٣ .

- وفاته سنة ٧٣٤ هـ .

(٢) الزيادة من أعيان العصر .

(٣) في ب ، س : وهي . ثم ترك الناسخ بياضاً يتسع لثلاثة أسطر .

وقال المؤلف في الوافي ١٢/١٨٠ : وكان قد أنشدني شيئاً من شعره ، وكتب إليَّ أبياتاً ملزومةً ،
والتزمت الميم قبل اللام ، ولم أجذ أبياته لعدمها عند تعليق هذه الترجمة .

وَمَنْ حَاوَى فَضَائِلًا
وَمَنْ لَكُهُ تَجَمُّلٌ
وَالْبَدْرُ لَا يَبْذَعُ إِذَا
أَبْيَاتُكَ الْغُرُّ أَتَتْ
حَلَّتْ مَعَانِيهَا النَّيْ
رَقِّصَ أَغْطَافِي بِهَا
وَأَبْرَأْتُ جُرْجِي الَّذِي
مَوْلَايَ أَنْتَ صَادِقٌ
وَلَوْ بَدَا عَنْ مُوجِبٍ
فَاخْلَعْ وَدَادَا قَدْ غَدَا
فَغَالِبُ النَّاسِ إِذَا
فَانْرُكْ مَنْ اسْتَنْكَرَتْهُ
وَاسْلَمْ وَدُمْ فِي نِعْمَةٍ

كَالْقَطْرِ لَمَّا أَنْ هَمَلُ
أَزْبَى بِهِ عَلَى الْجَمَلِ
تَمَّ عِلَالُهُ وَاكْتَمَلُ
وَالرَّوْضُ مِنْهَا قَدْ خَمَلُ
كَالشَّمْسِ حَلَّتْ فِي الْحَمَلِ
لَخْنُ الْخَفِيفِ وَالرَّمَلِ
لَوْلَمْ تَجْنُنِي مَا انْدَمَلُ
وَذَاكَ بِالْعَارِ اشْتَمَلُ
مِنِّْي لَكَانَ يُخْتَمَلُ
مَنْ قَدِمَ الْعَهْدِ سَمَلُ
صَحْبَتُهُ جَفَا وَمَلُ
فِي الْوُدِّ يَزْعَى فِي الْهَمَلِ
مَا لَذَّ لِلْمَرْءِ أَمَلُ

٢٨ * حسن بن علي بن حمد بن حميد بن إبراهيم بن شنار^(١) :

القاضي البليغ ، بذر الدين الغزي ، كاتب الإنشاء الشريف بالشَّام
المحروس .

● كَتَبَ إِلَيَّ وَأَنَا بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ ٧٣٣ : [مِنَ الطَّرِيلِ]

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢/٢١٤ والوافي بالوفيات ١٢/١٨٤ وفوات ابن رافع ١/٣٠٧ وتذكرة
النبه ٣/١٦٧ والمتقى من درة الأسلاك ٢٨٨ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/٣٩ والذرة الكامنة ٢/٢٢

والنجوم الزاهرة ١٠/٢٨٨ والمنهل الصافي ٥/١١٠ والدليل الشافي ١/٢٦٧ .

- مولده سنة ٧٠٦ هـ . ووفاته سنة ٧٥٣ هـ .

- شنار : ضبطها المؤلف بقوله : بفتح الشين المعجمة ، والنون ، وبعد الألف راء .

تَقَلَّبَ فَلَيْسَ النَّارُ عَارًا عَلَى النَّبْرِ
وما السَّيْفُ مَسْلُولا بِشَيْءٍ وَإِنَّهُ
وما زالَ لَيْثُ الْغَابِ يَأْلَفُ غَيْلَهُ
وفي الْحَجَرِ الصَّلْدِ الشَّرَارُ فَإِنْ جَرَى
لقد صَانَتِ الْأَيَّامُ حَدَّكَ أَنْ يُرَى
وإنْ جَعَلْتِكَ الْحَادِثَاتُ رَهِينَةً أَلْ
فَلَيْسَ بِمُخَفِّي سَنَا الشَّمْسِ إِنْ بَدَتْ
يَمِينًا لَقَدْ سَاءَتْ مُعَامَلَةُ الْعُلَى
أَيْمَنُ مَا أَبْرَزْتَهُ مِنْ بِلَاغَةٍ
وقد سَارَ مِنْ ذِكْرَاكَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
تَبَسُّمُ تَرْدِ حُسَادِ فَضْلِكَ غَمَّةً
وقُلْ أَنْتَ يَا رَبَّاهُ مَفْرَعٌ لَاجِئٍ
فإنَّ احْتِمَالَ الْمَرْءِ مَا يُعْجِزُ الْقَوَى
وَكُلُّ احْتِياجٍ لَيْسَ يُعْقَبُ ذِلَّةً
سِوَى مَا أَصَابَ الدَّهْرُ مِنْكَ فَلَ تَخَفْ
إذا ذَهَبَتْ دُنْيَاكَ فَالذِّينُ مَكْسَبُ
ولا بُدَّ بَعْدَ الْيَأْسِ أَنْ يُثْمِرَ الرَّجَا
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ خَلِيلٍ وَفَاوُهُ

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من الطويل]

وَلَيْسَ ثِقَافُ السَّمْهَرِيِّ بِهِ يُزْرِي
لَفِي الْغَمْدِ أُخْرَى أَنْ يُضْمَّ إِلَى الصَّدْرِ
وَيَأْنَفُ تَرْدَادُ السَّفَاهَةِ مِنْ كِبَرِ
عَلَى صَفْحِهِ زَنْدٌ أَثَارَ لَطَى الْجَمْرِ
حَمَائِلُهُ تَزْهِي عَلَى عَاتِقِ الدَّهْرِ
إِقَامَةٌ فِي بَيْتِ مُنِيفِ ذُرَى الْجَدْرِ
ولا الْقَمَرِ الْمَرْيُّ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ
لَدَيْكَ وَقَدْ سَارَتْ عَلَى مَنَهْجِ الْعَذْرِ
تُضِيءُ بِهَا أَفَقَ الدَّفَاتِرِ وَالشُّعْرِ
نُجُومٌ وَهَلْ يَخْفَى سَنَا الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
تَبِيْتُ لَهُمْ فِي كُلِّ جَانِحَةٍ تَسْرِي^(١)
رَمَتْهُ بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
أَدُلُّ عَلَى الْأَصْلِ الْكَرِيمِ مِنَ الْفَخْرِ
تَقُومُ مَقَامَ الْوَفْرِ وَالنَّائِلِ الدُّنْجِ
فَمَا اللَّيْلُ مَحْشِيًّا عَلَى طَلْعَةِ الْبَدْرِ
وما زَهْرَةُ الدُّنْيَا بِأَنْفَسِ مَا تَشْرِي
وطُولُ احْتِياسِ الْغَيْثِ أَوْفَرُ لِلْقَطْرِ
وفَاءُ أَقَاحِي الرُّوضِ لِلْوَابِلِ الْغَمْرِ

أَشْعُرُكَ أَمْ رَوْضُ تَبَسُّمٍ عَنْ زَهْرِ
وَلَفْظُكَ أَمْ عِقْدُ تَضَّادٍ مِنْ دُرٍّ

(١) في م : × . . . في كل جارية . . .

بَعَثَتْ بِأَيَّاتٍ بِهَا شَغِفَ التُّهَى
وَأَوْدَعَتْهَا مِنْ لَفْظِكَ الْعَذْبِ قَهْوَةً
وَأَطْلَعَتْ هَاتِيكَ الْمَعَانِي كَوَاكِبًا
فَهَوَّنَتْ مَا أَلْقَاهُ مِنْ حَادِثِ الرَّدَى
وَلَدْتُ لَدَيَّ الصَّبْرُ إِذْ أَمَرْتُ بِهِ
وقَاسَمْتَنِي فِيهَا هُمُومًا حَمَلْتُهَا
وَبِالرَّغْمِ أَنْ أَلْقَى مُحَيَّاكَ سَافِرًا
وَهَلْ لَاقَ بِالظُّمَانِ مِثْلِي إِذَا أَلْتَظْتُ
ولَكِنَّ عُدْرِي وَاضِحٌ فِي تَخْلُفِي
وَحَسْبِي بِأَنِّي أَقْطَعُ اللَّيْلَ سَاهِرًا
وَهَبْ أَنْتَ صَبَّرْتُ قَلْبِي عَلَى الْأَذَى
أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لِيَالِيَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، سنة ٧٣٢^(٢) : [من البسيط]

لَيْلُ التَّجَنُّبِ مِنْ أَجْفَانِنَا شُهْبَةٌ
ما لِلنَّوَى أَطْلَعَتْ فِي غَارِبِ قَمَرًا
تَنْظَمَتْ عِبْرَاتِي فِي تَرَائِبِهِ
يا مَنْ وَفَى الدَّمْعُ إِذْ خَانَ الْوَدَادَ لَهُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ صَبْرِي لَا يُذْمُ وَقَدْ
يا نَارِحًا سَكَنَ الْقَلْبُ الْخَفُوقَ وَمِنْ

(١) كذا صدره في أ ، س ؛ وفي ب : وَلَدْتُ لَدَيَّ الصَّبْرَ وَالْأَمْرُ مِنْكَ لِي × . وسقطت كلمتا « إِذْ أَمَرْتُ »

(٢) القصيدة في الروافي وأعيان العصر .

(٣) في م : . . . لا يدوم وقد × وفي . . .

ما لاح بَرْقٌ ولا ناحَتْ مُطَوَّقَةٌ
إِلَّا تَسَاعَدَ قَلْبِي وَالدَّمُوعُ وَأَخْ
حَكَيْتُ يَا بَرْقُ قَلْبِي فِي الْخُفُوقِ وَلَمْ
مَنْ لِي بِأَعْيَدَ بَدْرِ التَّمِّ حِينَ بَدَا
مُمْنَعٌ بِالَّذِي ضَمَّتْ غَلَائِلُهُ
بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مَحْجُوبٌ وَلَوْ قَدَرُوا
سَلْبَنَتْنِي بِالضَّنَا لَحَمِي لَوَاحِظُهُ
لَوْ لَمْ تَكُنْ رِيْقُهُ خَمْرًا وَمَرْشَفُهُ
كَذَا ابْنُ أَبِيكَ لَوْلَا مَا حَوَاهُ لَمَا
ذَاذِ الْأُولَى عَنْ طَرِيقِ الْمَجْدِ ثُمَّ نَحَا
وَأَبَ يَقْطِفُ مِنْ أَغْصَانِهِ نَمْرًا
أَقْلَامُهُ فَرَحًا بِالْفَضْلِ أَنْمُلُهَا
تَكَادُ أَلْسُنُهَا تَمْتَدُّ مِنْ شَغَفِ
بِرَاعَةٍ رَوَّعَتْ لَامَاتُ أَحْرُفِهَا
أَضَحَتْ مُسَبِّبَةَ الْأَزْزَاقِ حِينَ حَكَتْ
يَا مَنْ يُجْبِلُ قِدَاحَ الْمَيْسِرِ ازْمِ بِهَا
وَاقْصِدْ جَنَابَ صَلَاحِ الدِّينِ تَلَقَّ فَتَى
بَنَتْ عَلَى عُنُقِ الْعِيُوقِ هِمَّتُهُ
قَدْ أَتَعَبَتْ رَاحَتَهُ الْكَاتِبِينَ وَلَمْ
فَاعْجَبْ لَهَا رَاحَةً تَسْقِي الْبِرَاعَ نَدَى

ولا تَنَاقَحَ مِنْ بَابِ الْحِمَى عَذْبُهُ
سَاءَ الضُّلُوعِ عَلَى شَوْقٍ عَلَا لَهْبُهُ
يَقْتُكُ إِلَّا لَهَيْبُ الْوَجْدِ لَا شَبَّهُهُ
قَدْ سَاءَ إِذْ رَامَ تَشْيِيهًا بِهِ أَدْبُهُ
مِنْ الْقَنَا وَبِمَا أَصَمَّتْ بِهِ هُدْبُهُ
مَا قَوْسُ حَاجِبِهِ أَغْنَتْهُمْ حُجْبُهُ
وَهُمْ أَسَدُ الشَّرِّ الْمَسْلُوبُ لَا سَلْبَهُ (١)
كَأَسَا لَمَا كَانَ يَخْكِي نَغْرَهُ حَبِيبُهُ
عَنِ الْكَتَائِبِ أَغْنَتْ فِي الْوَعَى كُتْبُهُ
أَنَارَهُ فَعَلَتْ أَجْبَالُهُمْ هُضْبُهُ
إِذَا أَتَى غَيْرُهُ بِالشَّوْكِ يَخْطِبُهُ
كُلُّ مُخْلَقٍ ثَوْبِ الْمَجْدِ مُخْتَضِبُهُ
إِلَى أَجَلٍ مَعَانِي الْقَوْلِ تَقْتَضِبُهُ
أَخْشَاءُ مُنْخَرِفٍ لَامَاتُهُ يَلْبَهُ (٢)
سَبَابَةٌ لِعَدُوٍّ قَدْ وَهَى سَبِيهُ
وَازِمُ الْفِجَاجِ لِيُسْرِ نَجْمُهُ طَلْبُهُ
يَهْرُهُ حِينَ يُتْلَى مَدْحُهُ طَرَبُهُ
بَيْتًا يُمَدُّ عَلَى هَامِ السُّهْلِ طُنْبُهُ
يُذْرِكُهُ حِينَ جَرَى نَحْوَ الْعُلَى تَعْبُهُ
إِذْ لَمْ تَكُنْ أَوْرَقَتْ فِي ظِلِّهَا قُضْبُهُ

(١) « سلبني » ساقطة من م .

(٢) في م : يراعه . . . × .

تَنَاسَبَ الدُّرُّ مِنْ أَلْفَاطِهَا وَإِلَى
يَرْضَى وَيَغْضَبُ فِي حَالِي نَدَى وَرَدَى
رِضَاهُ لِلطَّالِبِي جَذْوَاهُ ثُمَّ عَلَى
بَحْرِ النَّدَى لَا إِلَى بَحْرِ الدُّنَا نَسْبُهُ
وَبَيْنَ هَذَيْنِ مَنُهَوِّكُ الْحِمَى نَسْبُهُ
مَا تَحْتَوِي يَدُهُ مِنْ مَالِهِ غَضْبُهُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَشْكُرُهُ (١) : [من البسيط]

أَغْضَنْ قَدْ أَقَلْتُ بَانَهُ كُتْبُهُ
أَمْ دُرُّ نَغْرِ حَبِيبٍ زَانَهُ شَبَبُهُ (٢)
أَمْ رَوْضُ حَزْنٍ جَدِيدُ الثَّبَتِ قَدْ بَسَمَتْ
فِيهِ أَقَاحِيهِ لَمَّا أَنْ بَكَتْ سُحْبُهُ
أَمْ جَانِبُ الْأَفْقِ قَدْ دَجَّتْ حَنَادِسُهُ
لِلْعَيْنِ لَمَّا أَزْدَهَتْ فِي لَمْعِهَا شُهْبُهُ
أَمْ بِنْتُ فِكْرِ جَلَاها لِي أَخُو أَدَبٍ
خِطَابُهُ زَانَ جِيدِ الدَّهْرِ أَوْ خُطْبُهُ (٣)
قَرِيضُهُ تَغْرِفُ الْأَسْمَاعَ جَوْهَرُهُ
فَلَوْ هَمَى الشَّعْرُ قَطْرًا قَبْلَهُ لَغَدَا
وَنَشْرُهُ لَمْ يُدَاخِلْ مَسْمَعِي أَحَدٍ
إِلَّا وَرَنَحَ مِنْهُ عِطْفُهُ طَرَبُهُ
وَخُطْبُهُ مِثْلُ صُدُغٍ زَرَفْتَهُ يَدُ الْ
حُسْنِ الْبَدِيعِ وَقَانِي الْحَدِّ مُلْتَهَبُهُ (٤)
لَوْضِعِهِ شُهْدَةٌ بِالْحُسْنِ قَدْ شَهِدَتْ
وَلَا بِنِ مَقْلَةٍ عَيْنٍ مَا رَأَتْ حَسَنًا
هَذَا وَلَوْ عَايَنْتُهُ مَا انْقَضَى عَجْبُهُ (٥)

(١) القصيدة في أعيان العصر .

(٢) في م : أَعْضَنْ بَانَ أَقَلْتُ بَانَهُ كُتْبُهُ × .

(٣) في ب : × خُطَابُهُ

(٤) في ب : مثل صدغ زركشته . . . × .

يقال : وقد زَرَفَنَ صُدُغَهُ ؛ جَعَلَهُمَا كَالزَّرَفَيْنِ . وَالزَّرَفَيْنِ حَلَقَةُ الْبَابِ . (القاموس) .

(٥) في هامش م : شُهْدَةُ الْكَاتِبَةِ : معروفة ، من مشايخ الخط ، ولها سند عالٍ في الحديث ، أَلْحَقَتْ فِيهِ الْأَصَاغِرُ بِالْأَكْبَارِ ، وَنَسَبَهَا مَعْرُوفٌ ، وَاسْمُهَا زَيْنَبُ ؛ وَقَدْ ذَكَرَهَا الْمُؤَرِّخُونَ كَالدَّهْبِيِّ فِي الْبُلَاءِ وَغَيْرِهِ .

ياقوت : معروف ، من مشايخ الخط . [وطمس ما بعد ذلك] .

قلت : هو المعروف بياقوت المستعصي ، صاحب كتاب « أسرار الحكماء » وفيه ترجمته .

هَذَا هُوَ الْبَدْرُ لَا النَّجْمُ الْبَصِيفُ فَقَدْ
جَزَاكَ رَبُّكَ بَدْرَ الدِّينِ خَيْرَ جَزَى
بِالْغَتِ فِي مَدْحِهِ فَاللَّهُ يَجْعَلُهُ
مُدَّتْ عَلَى ابْنِ هِلَالٍ فِي الْعُلَى طُنْبُهُ
عَنْ أَمْرِيءٍ لَمْ يَطْلُ نَحْوَ الْعُلَى سَبَبُهُ
كَمَا تَقُولُ لِتَغْلُو فِي الْوَرَى رُبْنُهُ

● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ مُلَغَزاً فِي « ضَبْعٍ »^(١) : [من الخفيف]

أَيُّهَا الْفَاضِلُ الَّذِي مَنْ يُجَارِيهِ
وَالَّذِي مَنْ أَرَادَ يُنْصِرُ فُسّاً
هَاتِ قُلْ بِاللَّهِ مَا حَيَوَانُ
عَيْنُهُ إِنْ قَلَعْتَهَا يَبِيدُ
هِيَ تَقْوَى فِيمَا ادَّعَى وَتَقَوْلُ
فَعَلَيْهِ دُونَ الْبَرِيَّةِ عَوْلُ^(٢)
ثَابِتُ الْخَلْقِ قَطُ لَا يَتَحَوَّلُ
حَيَوَاناً غَيْرَ الَّذِي كَانَ أَوَّلُ^(٣)

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(١) : [من الخفيف]

يَا إِمَاماً طَالَ الْوَرَى بِمَعَانٍ
وَإِذَا أَغْضَلَ الشُّوَالَ فَمَا زَا
أَيُّ زَهْرٍ أَهْدَيْتَهُ غَضَّ عَنْهُ
حِينَ أَلْغَزْتَ فِي مُعَمَّى هِدَانِي
حَيَوَانٌ إِنْ صَيَّرُوا رَأْسَهُ الْعَيْدِ
فَاقْبَقْ وَاسْلَمْ تُفِيدُ عِلْماً وَجُوداً
فِي الْمَعَالِي يَفُوتُ مَنْ قَدْ تَطَوَّلُ
لَ عَلَيْهِ فِي الْمُغْضَلَاتِ الْمُعَوَّلُ
طَرْفُهُ ، وَاسْتَحَالَ زَهْرَ الْمُحَوَّلُ
نَحْوَهُ الْفِكْرُ حِينَ سَوَّى وَسَوَّلُ
مَنْ رَأَوْهُ إِلَى الْجَمَادِ تَحَوَّلُ^(٤)
فَهُمَا لَيْسَ لِأَمْرِيءٍ مَتَأَوَّلُ^(٥)

● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ شَرِبَ دَوَاءً : [من الطويل]

شَرِبْتُ الدَّوَا فِي طَالِعِ السَّعْدِ وَالْمُنَى
وَطَرْفُ الْأَعَادِي عَنْ مَحَلِّكَ مَطْرُوفُ

فَكَرَّرْتُ عَلَى بَيْتِ الْخَلَا غَيْرَ قَاصِرٍ
عَلَى رَغَمِ أَنْفِ الصَّلِّ وَالْقَصْدُ مَعْرُوفُ
قَوْلِي : عَلَى رَغَمِ أَنْفِ الصَّلِّ ؛ أَرَدْتُ بِهِ قَوْلَهُ مِنْ آيَاتِ نَظْمِهَا فِي شَخْصِي
هَجَاهُ وَشَبَّهَهُ بِالصَّلِّ .

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ : [من الوافر]

أَيَا شَيْخِي الرَّئِيسُ لَقَدْ أَتَانِي
كَلَامٌ رَقٌّ حَتَّى كَادَ لُطْفاً
شَدَذْتُ بِهِ قُوَايَ فَصَحَّ عِنْدِي
وَحَقَّقَكَ أَنَّهُ بُشْرَى الصَّلَاحِ
شِفَاءٌ مِنْكَ رِيْشَ بِهِ جَنَاحِي
يَسِيلُ وَسَلَّ عَنِ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ

● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ وَقَدْ جَاءَتْهُ بِنْتُ^(١) : [من الوافر]

تَهَنَّنَ بِهَا وَإِنْ جَاءَتْكَ أَنْثَى
« وَمَا التَّائِيْتُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ
« وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ أَتَانَا
لَأَنَّ الشَّمْسَ بَارِعَةً الْجَمَالِ^(٢)
وَلَا التَّذَكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ^(٣)
لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ »

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ^(١) : [من الوافر]

أَتَانِي مِنْ هَنَائِكَ يَا رَئِيساً
وَمِنْ آثَارِ جُودِكَ مَا أَرَانِي
وَكَمْ أَقْرَأْتَنِي وَقَرَأْتَ فَضْلاً
تَيْنُهُ بِهِ الْمَعَانِي وَالْمَعَالِي
حَيّاً أَهْدَيْتَهُ لِي رِيْحُ الشَّمَالِ
يَفُوتُ الْحَضَرَ مِنْ أَدَبٍ وَمَالٍ
وَكُنْتُ قَبْلَهَا قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ قَلِيلَ
وَكُتِبْتُ إِلَيْهِ مَعَ أُبْلُوجَةٍ سَكَّرِ ،

فَطَرِ^(١) : [من المجتث]

أُبْلُوجَةً بَعَثْتَهَا
مَحَبَّةً لَكَ عِنْدِي

(١) الآيات في أعيان العصر .

(٢) في أ : . . . أَنْ يَصِرَ وبه ينكسر الوزن .

(٣) ضَبَّ .

(٤) عَضِبَ .

(٥) في ب : × بمؤول .

(١) الآيات في أعيان العصر .

(٢) في م : وقد جاءتك × .

(٣) البيتان للمتنبي ، في ديوانه ١٨/٣ . ورواية الثاني منهما : وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا × . وكذا ورد

في م ! .

فِي اللَّوْنِ وَالْكَوْنِ أَضَحَتْ تَخَالُهَا نَهْدَ هِنْدٍ

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ^(١) :

يُقْبَلُ كَذَا ، وَيُنْهَى وُصُولَ صَدَقَتِهِ الْجَارِيَةِ ، وَهَدِيَّتِهِ الَّتِي جَاءَتْ بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ مُتَهَادِيَةً ، وَهِنْدِيَّتِهِ الَّتِي قَامَ نَهْدُهَا مَقَامَ ثَغْرِ الْغَايَةِ ، [٤٦] وَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِنُورٍ وَجْهَهَا ، وَكَأَنَّ الْقَمَرَ فِيهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، نَهْدُ أَبْرَزَةِ الصَّدْرِ ، وَشَهِدَ مَا تَجَرَّعَتْ دُونَ اجْتِنَاءِ حَلَاوَتِهِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ مَرَارَةَ الصَّبْرِ ، وَهَرَمَ أَكْسَبَ رَوْنَقَ الشَّبَابِ وَجْهَ الدَّهْرِ ، وَوَجْهَ طَبَعٍ عَلَى دَائِرَتِهِ لَيْلَةٌ تَمَامِهِ الْبَدْرُ .

فَقَابَلَ الْمَمْلُوكُ تِلْكَ الْمُنْحَةَ^(٢) بِدُعَائِهِ ، وَشَكَرَهُ الْمُفْرِطِ وَثَنَائِهِ ، وَمَدَحِهِ الَّذِي تَنْدَرِجُ شَوَاهِدُ وَدِّهِ الصَّادِقِ فِي أَثْنَائِهِ ، وَتَذَكَّرَ بِهَا مَا مَضَى ، وَشَكَرَ يَدَ الْكَرِيمِ الَّذِي اسْتَأْنَفَ إِحْسَانَهُ السَّابِقَ وَمَا انْقَضَى ، فَذَكَرَ بِنُضَارِ الْقَطْرِ السَّائِلِ ، وَلُجَيْنِ هَذَا الْمَاءِ الْقَائِمِ قَوْلَ الْقَائِلِ^(٣) : [من الكامل]

وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِلَدَةٍ سَالَ النُّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ فِي سَنَةِ ٧٥١ وَنَحْنُ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي يَوْمٍ وَقَعَ فِيهِ

ثُلُجٌ كَثِيرٌ إِلَى الْغَايَةِ :

يُقْبَلُ^(٤) الْمُسْرِفَةُ بِتَرْبِهَا ، الْمُسْرِفَةُ عَلَى كَيْوَانِ الْأَشْرَفِ بِعُيُونِ شُهِبِهَا ، الْمُسْرِفَةُ بِمَا تَبْسُطُ مِنْ أَرْزَاقِ الْأَمِلِينَ أَيْدِي شُحْبِهَا ، الْمُسْرِفَةُ فِي الدَّهْرِ الْمُدْلِهِمْ بِنُورِ رَبِّهَا .

وَيُنْهَى أَنَّهُ سَطَّرَهَا وَالثَّلْجُ قَدْ نَفَسَ صُوفُهُ ، وَنُشِرَتْ شُفُوفُهُ ، وَدَلَّيْتُ عَلَى

تَرَائِبِ الْجُذُرَانِ ذَوَائِبُهُ الشَّائِبَةُ وَدَلَّيْتُ قُطُوفَهُ ، وَلُبِسَ عَلَى رَسْمِ الْمُتَعَمِّمِينَ لِنَظَرِ هَذَا الْيَوْمِ الْمُقْبِلِ تَشْرِيفُهُ ، وَبُسِطَ عَلَى بَطَائِنِ الطُّرُقِ قُطْنُهُ الطَّائِرُ بِقَوْسِ الْغَمَامِ نَدِيفُهُ ، وَلَيْثَ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى خِمَارُهُ ، وَعَلَى أَرْذَافِ الرُّبَا نَصِيفُهُ ، وَأَرْخِيَتْ عَلَى أَعْطَافِ الْأَغْصَانِ عَذْبُهُ ، وَبَرَقَتْ فِي جِبَاهِ الْأَنْهَارِ أَسَارِيرُهُ ، وَبَدَأَ فِي ثُغُورِ الْجَدَاوِلِ شَنْبُهُ ، وَأُزْسِلَتْ بِلُزُومِ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ نُجْبُهُ ، وَأُسْدِلَتْ عَلَى وَجْهِهِ الْمَسَالِكِ سُتُورُهُ الْمَانِعَةُ وَحُجْبُهُ ، وَحُمِلَتْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَغْصَانِ وَعُيُونِ الزَّهْرِ أَمْوَاجُهُ الزَّاخِرَةُ وَكُتْبُهُ ، وَأَخَذَ الْأَبْصَارَ الرَّامِقَةَ بَرِيقَهُ وَرَدَّهَا بِصَيْصُهُ ، وَرُصِعَتْ فِي بَدَنَاتِ الْأَبْنِيَةِ قُصُوصُهُ ، وَشُدَّ بِهِ خِصَاصُ كُلِّ بَيْتٍ لَوْلَاهُ مَا ثُلَّتْ غُرُوشُهُ وَلَا هُدِمَتْ خُصُوصُهُ ، وَضَعُفَتْ قَوَائِمُ الْجُذُرَانِ مِنْهُ عَنْ حَمَلِ مَا ثَقُلَ عَلَى الثُّبَيَّانِ الْمَرْصُوصِ مَرْصُوصُهُ ، وَتَطَايَرَتْ صُحُفُهُ الْبَيْضُ ، وَنُشِرَ ثَوْبُهُ الطَّوِيلُ الْعَرِيضُ ، وَسَقَطَ طَائِرُهُ وَمَا كُلُّ جَنَاحُهُ وَلَا هَيْضَ^(١) ، وَدَنَا فَرَّاشُهُ مِنْ سُجُجِ الْعُيُونِ الرَّامِقَةِ إِلَى وَمِيضِ ، وَانْكَدَرَتْ نُجُومُهُ الْمُنْحَدِرَةُ فَلَزِمَتْ الْحَضِيضُ ، فَكَمْ مِنْ ثُرَيَّا عُلِقَتْ بِأَمْرَاسٍ كَتَّانِهِ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ^(٢) ، وَكَمْ عَاوَدَتْ يَدُ الرِّيحِ بِهِ مِنْ فُتَاتِ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ، وَقَدْ سَلَسَ قِيَادُ اللَّذَّةِ ، وَأَصْبَحَتْ جَوَامِحُ خُيُولِ اللَّهِوِ الَّتِي هِيَ إِلَى غَايَاتِ الْأَفْرَاحِ مُغْدَّةٌ ، وَلَانَ جَانِبُ السُّرُورِ ، وَفَكَ جَنْبُ اللَّهِوِ الْمَزْرُورِ ، وَأُدْبِلَ مِنَ الظُّلْمَةِ الثُّورُ ، وَأَتَى أَمْرُ التَّبَرِّدِ بِلُزُومِ الْمَنْزِلِ فَقَبِلَ وَقَدْ فَارَ التَّنُورُ ، وَالْحُزْمَةُ تَقْتَضِي إِكْرَامَ هَذَا الضَّيْفِ ، وَتُلْزِمُ قَبُولَهُ فَإِنَّهُ نَازِلٌ رِخْلَتُهُ لِلشَّيْءِ لَا لِلصَّنْفِ ، وَإِكْرَامُ نُزُلِهِ مِنْ شَوَاهِدِ الْكَرَمِ ، وَالْإِعْتِدَادُ لِمِثْلِهِ أَوْلَى مَا شُدَّتْ بِهِ أَوَاصِرُ الْحَرَمِ ، وَهُوَ فَمَا [٤٦ ب] خَرَجَ عَنْ الْعَادَةِ وَلَا

(١) « ولا هيض » ساقطة من م .

(٢) من قول امرئ القيس : [ديوانه ١٩]

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

(١) النص في أعيان العصر .

(٢) في أ : المحنة ! وفي م : المحبة .

(٣) البيت للمتنبي ، في ديوانه ١٩/١ .

(٤) في ب ، س ، م : يقبل الأرض المشرقة . . .

خَرَمَ ، وقد أتى والزَّمانُ في شَبِيهَتِهِ فَسَّرَ ، ومِثْلُهُ لا يَأْتِي على (الهُمومِ و) الهَرَمِ .

والخادِمُ يَتَوَسَّلُ إلى أخلاقِ مَولانا السَّريَّةِ ، وطِباعِهِ التي خالفت من الشُّوءِ

ما في الطِّباعِ البَشَريَّةِ ، وشَمائِلِهِ التي : [من الطويل]

هِيَ المَاءُ أو أُنْدَى من المَاءِ رِقَّةً وَلُطْفاً إِذَا شَبِثَ بِهِ الرِّاحُ وَاللَّمَى
تُجِيبُ إِذَا هُمَزَتْ بِعَزْمٍ كَأَنَّهُ صَفِيحَةُ هِنْدِي إِذَا هُمَزَ صَمَمَا

بِأَيَّامِ الصُّبَا التي خَلَّتْ عَهْدُهَا المَواضِي ، وَلِبَالِي الوَصْلِ التي حُلَّتْ
عُقُودُهَا من خَلْفِ القَاضِي ، والتَّنَفُّسِ المُطَمَّئِنَّةِ بِالتَّزَامِ المَعشُوقِ إِذَا حَصَلَ
التَّرَاضِي ، في الاِسْتِغْصافِ بِنَظَرِهِ ، وَقَضَاءِ وَطَرِ العَبْدِ الأَصْغَرِ وَوَطَرِهِ ؛ فَإِنَّ
النَّارَ قَدْ التَّهَبَّ جَمْرُهَا ، واشْتَهَبَتْ سُودُهَا وَحُمُرُهَا ، وَلَبَسَتْ المَسَالِكُ
الثَّلُوجَ ، وَحَبَسَتْ عَنِ الدُّخُولِ إِلَّا فِي لَذَّةٍ لا يَخْسُنُ مَعَهَا الحُرُوجُ ؛ والعَبْدُ
عَاكِفٌ فِي البَيْتِ لا يَرِيمُ ، وَمَولانا البَادِيءُ وَلَهُ الفَضْلُ وكَذَا الكَرِيمُ ، والرَّأْيُ
أَعْلَى ، وَأَحَقُّ بِأَنْ يُمَثَّلَ ما يَفْتَضِيهِ وَأَوَّلَى ، إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

● فكتبتُ أَنَا الجَوابَ إِلَيْهِ عن ذلك :

يُقْبَلُ الأَرْضَ ، وَيُنْهِي وُرُودَ المُشْرِفِ الكَرِيمِ في هذا اليَومِ الذي ابْتِضَّتْ
رَأْيَتُهُ ، وَعَظَمَتْ في الآياتِ آيَتُهُ ، وَجُعِلَتْ إلى القِيَامَةِ غَايَتُهُ ، وَتَطَايَرَتْ
صُحُفُهُ ، وَنُشِرَتْ مُلَاءَتُهُ ، وَغَطَّتِ الأَرْضَ لُحْفُهُ ، وانتَشَرَ في الجَوِّ جَرادُهُ ،
وَمَلَأَ الفُضَاءَ انْعِكَاسُهُ واطِّرادُهُ ، وَدَرَّ على الوجودِ مِنَ الكَآبَةِ رَمادُهُ ، وَمُنِعَ كُلُّ
جَفْنٍ كَرَاهٍ فَمَا يَرِجُّ بِرُفَاهِ رُقادُهُ ، وَبَهَرَ كُلَّ عَارِفٍ بِبَيَاضِهِ^(١) حَتَّى انْتَهَمَهُ
سَوادُهُ ، وَأَذْهَلَ كُلَّ صَبٍّ عَنِ إلفِهِ فَمَا تُلْهِمُهُ رَبَّابُهُ ولا سَعَادُهُ ، فَأَفْخِجَ بِهِ وَإِنْ
كَانَتْ تُغَوِّرُهُ ضَحَاكَةُ ، وَيَدُهُ لِحْصَا الكَافُورِ فَرَاكَةُ ، وَأَبْعَدَ بِهِ وَإِنْ مَلَأَ الفُضَاءَ

فِضَّةً ، وَجَعَلَ الوِهادَ والرُّبَا بَعْدَ قَشْفِهَا وَكَلَفِهَا غَضَّةً بَضَّةً .

فوقَفَ المَمْلُوكُ مِنْهُ على حَدائِقِ ذاتِ بَهْجَةٍ ، ورَأَى بِهِ طَرِيقَ البَيانِ وَنَهْجَهُ ،
وفَدَاهُ بِما لَهُ مِنْ عَيْنٍ وما يَمْلِكُهُ مِنْ مُهْجَةٍ ، وَغَرِقَ مِنْ عَجَائِبِهِ فِي لُجَّةٍ بَعْدَ
لُجَّةٍ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ قَلَمَ مَولانا مَجَّ فِيهِ دُرَّةٌ يَتِيمةٌ فِي كُلِّ مَجَّةٍ ، فَهالَهُ ما وَقَفَ عَلَيْهِ
مِنْ هَذِهِ الأَوْصافِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الاِغْتِرافَ لَهُ بِالْعَجْزِ مِنْ جُمْلَةِ الإِنْصافِ ، فَمَا
يَصْلُحُ هَذَا البَرُّ لَابِنِ المُعْتَزِّ ، ولا هُوَ مِمَّا يُومِي إلى ابْنِ الرُّومِي ، ولا هَذَا التَّمَامُ
مِنْ رِيحانِ أَبِي تَمَامٍ ، ولا هَذَا المُعْجِزُ الَّذِي يُشَيِّبُ مِمَّا افْتَحَرَ بِهِ أَبُو الطَّيِّبِ .

وبِلاغَةُ المَعانِي قَرَنَها مَولانا بِفَصاحَةِ العِبارَةِ ، وإِتقانِ التَّشْبِيهِ ضَمَّهُ إلى
حُسْنِ الاسْتِعارَةِ ، فَلِلَّهِ هَذِهِ الكَلِمُ التي صاغَها لِسانُهُ ، وَأَتَى بِها حَسَنَةً ،
وَأَهْدَاهَا إِحْسانَهُ .

وقد قَابَلَ المَمْلُوكُ أَمْرَ مَولانا بِامْتِثالِهِ ، وهو في عَزْمِ الحُضُورِ إلى بابِهِ
العالي لا زَالَ أُولِيائِهِ في ظِلَالِهِ ؛ هذا إِنْ تَقَشَّعَ هَذَا السَّحابُ ، وَشَمَّرَ ذَيْلُهُ
السَّحابُ ، وَأَقْلَعَ هَذَا النُّوءُ الَّذِي زادَ نَدْفَ قَطَّانِهِ ، وَضَيَّقَ فُسْحَ المَنْزِلِ على
قَطَّانِهِ ، وإِلَّا فَالطَّرُقُ قد طُمَّتْ خَنادِقُها ، وَجالَتْ [١٤٧] في رُفْعَتِها أَوْلادُ الرُّنا
وَتَفَرَّزَتْ بِيادِقُها ، وَكُلُّ خَمْسَةٍ أو سِتَّةٍ قد وَقَفُوا عِنْدَ سَبْعِ صَنْعُوهُ ، وَإِذا مَرَّ بِهِمْ
أَحَدٌ تَناءَلُوهُ بِكَراتِ الثَّلْجِ وَشَقَّعُوهُ أو سَقَّعُوهُ ؛ وما يُسْمَعُ لَهُ كَلامٌ ، وَاللهُ
المُسَلِّمُ مِنْهُمْ ؛ والسَّلَامُ .

وَإِنْ أَمَكَنْتِ الفُرْصَةُ حَضَرَ المَمْلُوكُ إلى مَولانا ، وَنالَ مَعروفَةَ ، وإِلَّا فَنادِرُهُ
خَبِيرٌ طَرَى معَ الأَشْرَفِ في مِثْلِ هذا اليَومِ مَعروفَةً . أَنهِيَ ذلكَ .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضاً^(١) : [من مِخلَعِ البَسيطِ]

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(١) في م : وبهر كل طرف بياضه .

يا ماجداً لم يزل نداءه
ومن غدا بالصفاء يُكنى
نحنُ افتراقاً بنات نعش
فيسر إلينا نكن ثرياً
ولا تدعنا نثر شوقاً
ولا تقل للرسول: إني

● فكتبتُ أنا الجواب عن ذلك^(٢) : [من مخلص البسيط]

أيأتك الغرُّ قد أتني
شعركُ فيها ظريف لفظ
قد أنقلت كاهلي بشكر
فإن أقر بالمثول فيكم
وإن تخلفت عن حماكم
يا طول دقي في الجرن حزني^(٣)

● وكتب إلي وقد توالى الأمطارُ والثلوجُ في العشرِ الأخير من شهرِ
رمضان المعظم ، سنة ٧٥٢ وذلك في تشرين الثاني^(٤) :

كيف مولانا ، ألحف الله ظله ، وأزشف ظله ووبله ، وحمل على أغناقِ
الأيام كله ، وجعل مثله السحاب الجود ولا أعرف مثله ، وضاهى برزقه هذا
الغيث الواقع على خلاف القياس كله ؛ فإن هذا اليوم قد عزز الصن والصبر^(٥)

(١) في م : نحن افترقنا . . . × .

(٢) الأبيات في أعيان العصر .

(٣) العجز مكسور الوزن ، ولو قال : يا طول دقي بجرن حزني ، لصح الوزن . وسقطت « دقي في
الجرن » من م ومكانها فراغ .

(٤) النص في أعيان العصر .

(٥) الصن والصبر : من أيام برد العجز ؛ قال الشاعر :

فإذا انقضت أيام شهلتننا
بالصن والصبر والوبر

وعجز الصبر ، وعزى سگان الأحداث بالأحياء فكل بيت قبر^(١) : [من مجزوء
الكامل]

يَوْمَ كَأَنَّ سَمَاءَهُ حُجِبَتْ بِأَجْنِحَةِ الْفَوَاحِشِ

جاء بالطوفان والبحر المحيط ، وجاب الصخر بوادي الرنوة دم سيله
العيب ، وجال في وجه البسيطة حياؤه ، فما انبسطت الخواطر لجوهره
البسيط ، أخفت النجوم في ليله ، وأطلع الحي القيوم على زنته الراححة
وكيله ، وتراكت سحبه السائرة فضاء الأفق بفضل ذيله ، وأجلب على الوهاد
والربا برجليه الطامة وخيله ، فكأنما وهت غرى ذلك الزمهرير فهبط ، أو هبط
جناح السحاب الجون فسقط ، أو حل سلك النجوم الزاهرة ففرط جوهر ذلك
القطر لما انفرط ، فالجدران لهيبته مطرقة ، والعمران^(٢) قد تداعت فلا تقبل
البناء جموعها المفرقة ، والطرق قد شرفت بالشوول فلا تنطق آثارها المغرقة ولا
المشركة ، وقد قص جناح الارتكاض ، وحصت قوادمه فما تنهض ، وعظمه
منهاض ، والسيل قد بلغ الزبي ، وسوى بين الوهاد المتطامنة والزبي ، وبكت
الشقوق بعيون الدلف ، وحملها المطر بيده العادية على خطه خسف ،
واستدل لها بمنطق الرعد على أن [٤٧] قدأماها الخير ، فقالت : هذا خلف ،
وشهر الصوم قد بلغ غايته ، وعيد الفطر قد نصب رايته ، وتلا آيته ، وطلب منه
الموسر والمعسر كفايته ؛ فأعاد الله مولانا من الطلب فيه ، ولا ألجأه إلى

= وبأمر وأخيه مؤتمر ومعلل ومطفيء الجمر
ذهب الشتاء مؤلياً عجلاً وأتاك وإفدة من الحر
[ثمار القلوب ١/ ٤٨٣ - ٣٨٤] .

(١) البيت لابن المعتز ، في ديوانه ٢٢٣/٢ ومن غاب عنه المطرب ١٠٧ (شعلان) و١٣٠ (سامرائي)

والكشف والتنبيه ٢٢٨ .

(٢) في م : والبنان .

السَّعْيِ لَابْتِغَاءِ فَضْلِ اللَّهِ إِلَّا بِفِيهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

● فكتبتُ أنا الجواب إليه ^(١) :

العَجَبُ من سُؤَالِ مَوْلَانَا عن المَمْلُوكِ بِكَيْفِ حَالِهِ ، وعِنْدَهُ عِلْمُ هَذَا الْعَنَاءِ الذي نُصِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ ، وَالتَّصَبُّ بِتَمْيِيزِهِ وَحَالِهِ ، وَهِيَ حَالُ أَبِي الطَّيِّبِ وَمَا عِلْمُ ابْنِ مَنْصُورٍ بِهَا ، وَلَوْ عِلْمُ اسْتِعْمَالِ التَّبَالُهِ ؛ أَمَا تَرَى هَذَا النَّوْءَ الذي ذُمَّ نَوَالُهُ وَحُمِدَ نَوَاهُ ، وَأَذْهَلَ الصَّائِمَ عَنْ صَوْمِهِ ، فَمَا بَيَّتَ أَمْرُهُ وَلَا نَوَاهُ ، وَشَغَلَهُ عَنْ حِسِّهِ فَمَا يَذْهَبُ أَفْطَرُ عَلَى تَمَرَةٍ أَمْ نَوَاهُ ^(٢) ؛ قَدْ هَالَجَ الْجِبَالَ أَمْرُهُ ، فَشَابَتْ مِنَ الْفَرْقِ إِلَى الْقَدَمِ ، وَغَمَرَتْ سُيُولُهُ الْأَبَاطِحَ وَالرُّبُيَّ ، وَلَكِنْ مِنَ الزِّيَادَةِ بِدَمٍ ، كَيْفَ يَهْنَأُ الْعَيْنُ وَبُرُوقُ الْجَوْ سُبُوفٌ تُخْتَرَطُ ، وَنَفْسُ هَذِهِ الرُّعُودِ يَخْرُجُ بَعْدَهَا حُسْنٌ فِي حَشَى السَّحَابِ وَانْصَغَطَ ، وَالْحَاحُ سَائِلٌ هَذَا الْمَطَرِ ، فَلَوْ كَانَ قَطْرُهُ دُرًّا لَمَا مَدَّ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ كَفًّا وَلَا النَّقْطُ ، وَتَوَالِي هَذِهِ الْغِيُوثِ الَّتِي لَوْ عَايَنَهَا ابْنُ هَانِي لَمَا قَالَ ^(٣) : [من البسيط]

الْوَلُؤُ دَمْعُ هَذَا الْغَيْثِ أَمْ نَقَطُ

كَأَنَّ الْأَيَّامَ قَوَافِي أَنْدَمَجَتْ فِي اللَّيْلِ ، أَوْ النُّجُومَ أَقَاحِي وَلَكِنْ غَطَّاهَا تَرَافُكُ السَّحَابِ السَّحَابِ لِلدَّلِيلِ ، أَوْ كَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الزَّمَانَ سَرْمَدًا ، فَلَا يَتَعَاقَبُ فِيهِ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ ، وَلَا تَصْفُو لُجَّةُ الْأَفْقِ بَصُوءٌ وَلَا تَزْمِيهَا الدِّيَاجِي بِكَدَرٍ ، قَدْ تَرَاحَمَتِ الْغِيَاهِبُ عَلَى الْمَوَاقِيتِ بِالْمَنَاقِبِ ، وَجُهِلَتِ الْمُدَدُ ، فَيَا وَحْشَتَنَا لِحَاجِبِ الشَّمْسِ وَمُحَيِّ الْقَمَرِ وَعُيُونِ الْكَوَاكِبِ ، أَكُلَّ هَذَا تَشْرِيعٍ تَشْرِينٍ ، وَشَرِّهِ شَرِّهِ حَتَّى نَتَجَرَّعَ مِنْ أَمْرِهِ الْأَمْرَيْنِ ، وَشَهْرُهُ شَهْرِهِ ، فَيَا أَيَّامَ كَانُونٍ إِذَا

(١) النص في أعيان العصر .

(٢) في أ : نواها .

(٣) ديوانه ١٩٥ . وعجزه : ما كَانَ أَحْسَنَهُ لَوْ كَانَ يُلْتَقَطُ .

جِئْتُ مَاذَا تَبِيعِينَ وَتَشْرِينَ ؟ أَمَّا الْمَسَاكِينُ فَأَهْلُهَا مَسَاكِينُ ، وَأَفْوَاهُهُمْ مِنَ الْحُزْنِ مُطْبِقَةٌ فَمَا تَفْتَحُهَا السَّكَاكِينُ ، قَدْ انْتَبَذَ كُلُّ مِنْهُمْ زَاوِيَةً مِنْ دَارِهِ ، وَتَدَاخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضِهِ لِتَضَمُّهُ بَقْعَةً عَلَى مِقْدَارِهِ ، هَرَبًا مِنْ تَوْقِيعِ أَكْفِ الْوَكْفِ ، وَخَوْفًا مِنْ رُكُوعِ الْجِدَارِ وَسُجُودِ السَّقْفِ .

وَمَا يَعْتَقِدُ الْمَمْلُوكُ أَنَّ فِي كَانُونٍ مِثْلَ هَذِهِ الْجَمَرَاتِ ، وَلَا أَنَّ سَابَاطَ شُبَاطٍ وَأَذَى آذَارٍ يَزِمِي الْقُلُوبَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحَسَرَاتِ ، وَتَمَامُ التَّعْثِيرِ فِي الرُّكُوبِ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ ، وَالْكِتَابَةِ الَّتِي صَارَتْ فِي هَذَا الزَّمَانِ زِيَادَةً فِي نَقْصِ السَّيَادَةِ ؛ وَاتَّسَاعَ هَذِهِ الْأَهْوَالِ ، وَضِيقِ ذَاتِ الْيَدِ ، مُضَافًا إِلَى ضِيقِ الثُّقُوسِ ، وَبُصَاقِ هَذَا التَّلْجِ فِي وَجْهِ الصَّاحِكِ مِنَّا وَالْعَبُوسِ ، وَسُكْرِ هَذِهِ الْمَيَازِينِ الَّتِي لَا تَبُولُ إِلَّا عَلَى الرُّؤُوسِ ، وَأَشْغَالِ الدِّيَوَانِ الَّتِي تُكَاثِّرُ الْمَطَرِ ، وَلَا تَبْلُغُ الْغَايَةَ مِنَ الْوَطَرِ ؛ فَتَحْنُ مِنَ الدِّيَوَانِ فِي جَامِعَةٍ لَا جَامِعَ ، وَبَابُ الْبَرِيدِ عَلَى عَدَدِ السَّاعَاتِ وَذِفَّةُ هَامِغٍ ، وَبَرْقُهُ لَامِعٍ ، لَا يَفْتَرُّ وَرُودُهُ ، وَلَا يَزَالُ يَصِلُ حَدِيدُهُ [٤٨] وَتَصِلُ وَفُودُهُ ، وَكُلُّ كِتَابٍ يَصِلُ مَعَهُ تَفَرَّغُ مِنْهُ أَشْغَالٌ عَدَدَ حُرُوفِهِ ، وَتُطْلَبُ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ ، فَلَوْ كَانَتْ بِالطَّابِعِ لَانْهَارَتْ جَوَانِبُ جُرُوفِهِ ؛ وَصَاحِبُ الدِّيَوَانِ أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَالَهُ فِي تَنْفِيزِ الْمُهِمَّاتِ أَسْرَعَ مِنْ هَذِهِ الْبُرُوقِ ، وَأَنْفَذَ مِنَ السَّهْمِ فِي الْقَضَاءِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَا يَصُدُّ وَلَا مَا يَعُوقُ ، فَهوَ إِذَا دَبَّرَ الْمُهِمَّاتِ نَجَزَ ، وَدَمَّرَ الْعُدَاةَ وَخَنَزَ ، وَهَذَا الْعَيْدُ قَدْ أَقْبَلَ وَمَا لَنَا بِتَكَالُفِهِ قَيْلٌ ، وَكُلُّ مَنْ يَخْتَصُّ بِشَيْءٍ مِنْهَا يَلْحَظُكَ بِطَرَفٍ مُتَخَازِرٍ كَأَنَّمَا بِهِ قَبْلٌ ، وَالْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ عَلَى هَذِهِ الشُّرُورِ الَّتِي انْصَلَتْ نَقْطُ خَطِّهَا ، وَالْفِرَارُ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْخُطُوبِ الَّتِي تَعَجَّزُ عَنْ شَيْلِ سَيْلِهَا وَحَدَّ حَطِّهَا ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَوْلَانَا وَإِيَّاهُ حَلَاوَةَ الصَّبْرِ ، وَيَجْعَلُ الْعَدُوَّ بَيْنَ جَانِحَتَيْ قَبْرِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

الشيخ الإمام ، البارغ ، البليغ ، الخطيب ، نجم الدين ، أبو محمد ، بن الشيخ كمال الدين القرطبي ، خطيب الجامع الظاهري [بصفد] ، وكاتب السر الشريف بها .

● كتب هو إلي يوماً ، وقد فارقتُه مُتَأَذِياً^(٢) : [من السريع]

بِالله لَا تَغْضَبُ لِمَا قَدْ بَدَا فَأَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ عَيْنِي الْيَمِينِ
مَا أَتَعَبَ النَّفْسَ سِوَى مَنْ عَدَا يَجْحَدُ مَا أَوْلَيْتُهُ أَوْ يَمِينِ
وَأَنْتَ عِنْدِي جَوْهَرٌ قَدْ صَفَا مِنْ دَنْسِ الدَّمِ نَفِيسٌ ثَمِينِ
وَوَالَّذِي يَغْلَمُ مَا قُلْتُهُ إِنْخِبَارٌ مَنْ أَخْلَصَ فِي ذِي الْيَمِينِ
مَا حُلْتُ عَنْ حُسْنِ الْوَفَا فِي الْهَوَى وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْأَمِينِ^(٣)

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٢) : [من السريع]

بَرَزْتَ فِيمَا قُلْتَ يَا سَيِّدِي وَلَسْتَ تَحْتَاجُ إِلَى ذِي الْيَمِينِ
وَاللهِ لَمْ أَغْضَبْ وَحَاشَا لِمَنْ أَرَاهُ عِنْدِي مِثْلُ عَيْنِي الْيَمِينِ
وَلَمْ يَكُنْ غِيْظِي إِلَّا لِمَنْ يَمِيلُ عَنْ طُرُقِ الْوَفَا أَوْ يَمِينِ
وَيَفْتَرِي الْبَاطِلَ فِي قَوْلِهِ عَنِّي وَلَيْسَ النَّاسُ عَنْهُ عَمِينِ
وَيُظْهِرُ الْوُدَّ الَّذِي إِنْ بَدَا ظَاهِرُهُ وَالْغِشُّ فِيهِ كَمِينِ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢٣٢/٢ والوافي بالوفيات ٢٥٦/١٢ وذبول العبر ١٣١ وتذكرة النبيه ١٤٠/٢ والدرر الكامنة ٤٤/٢ والمنهل الصافي ١٣٤/٥ والدليل الشافي ٢٦٩/١ وشذرات الذهب ١١٠/٨ .

- مولده سنة ٦٥٨ هـ . ووفاته سنة ٧٢٣ هـ .

- ما بين حاضرتين زيادة لازمة من الأعيان .

(٢) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٣) في ب : × وأنت في ذا المكين الأمين . وفي س : × وأنت في هذا المكين الأمين .

فَعَثُّهُ غَثَى نَفُوسِ الْوَرَى مِمَّنْ تَرَى وَالشَّمُّ مِنْهُ سَمِينِ

● وَنَظَمَ يَوْمًا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فِي سَنَةِ ٧١٩ بِصَفْدِ الْمَحْرُوسَةِ : [من السريع]

فَمَنْ نَتَهَزْ فُرْصَةً أَوْ قَاتِنَا فَالْوَقْتُ قَدْ رَاقَ وَغَثَى الْحَمَامِ^(١)
وَالزَّهْرُ قَدْ أَبْدَى لَنَا ثَغْرَهُ طُولَ ابْتِسَامٍ مِنْ بُكَاءِ الْغَمَامِ
فَمِنْهُ مَا أَطْلَعَ شَمْسَ الصُّحَى وَمِنْهُ مَا أَبْدَعَ بَذَرَ التَّمَامِ
وَمِنْهُ مَا لَاحَتْ يَوَاقِيتُهُ مِثْلَ كُؤُوسٍ مُلْتَثَمٍ مِنْ مُدَامِ
إِذَا أُبْرِتْ فَوْقَ أَغْصَانِهَا جَلَّتْ بُرُوقًا فِي بَقَايَا غَمَامِ
تُذَكِّرُ الْعُشَّاقَ مَحَبَّوْبَهُمْ إِذَا تَبَدَّى مُسْفِرًا عَنْ لِثَامِ
يُضْرِمُ فِي الْأَخْشَاءِ نَارَ الْأَسَى وَوَجْهَهُ يَدْخُلُ دَارَ السَّلَامِ
فَكَمْ لَهُمْ مِنْ نَشْوَةٍ فِي الْهَوَى وَكَمْ لَهُمْ مِنْ سَكْرَةٍ بِالْغَرَامِ
وَلَا تُسَوِّفُ فَسْیُوفُ الرَّدَى لَيْسَ لَهَا دَأْبٌ سِوَى الْإِنْتِقَامِ
أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ مِمَّنْ مَضَى وَأَيْنَ مَنْ قَدْ سَادَ مِنْ عَهْدِ حَامِ
وَلَا تَقُلْ قَدْرِي غَدَا سَامِيًا فَكَمْ سَمَا مِثْلُكَ مِنْ قَبْلِ سَامِ

● واقترح عليَّ أَنْ أَنْظِمَ فِي مَعْنَاهَا وَوَزَنَهَا وَرَوَّيْهَا ، فنظمتُ حَسْبَمَا

اقترحَه : [من السريع]

بَادِرْ صَفَا الْعَيْشِ وَصَفَوِ الْمُدَامِ واغْتَنِمِ اللَّذَاتِ قَبْلَ الْجَمَامِ
[٤٨ ب] وَاثْبِ جُيُوشَ الْهَمِّ إِنْ جَاوَزَتْ بِنْتٌ كَرَمًا أَوْ بِنْتُ الْكِرَامِ
فَالزَّهْرُ فِي الدَّوْحِ كَزَهْرِ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّتْ فِي أَدِيمِ الظَّلَامِ
كَمْ سَحَبَتْ رِيحَ الصَّبَا ذَيْلَهَا عَلَيْهِ حَتَّى انْشَقَّ مِنْهُ الْكِمَامِ
فِي رَوْضَةٍ حَاكَتْ أَكْفُ الْحَيَا لَهَا بُرُودًا مَا حَكَاهَا الْأَنَامِ

(١) في ب : × . . . قدرق و غثى الحمام .

واستخرجت مكنون أزهارها
وجرد النهر بها صارماً
فدغ زماناً مراً بالمنحنى
وبادر الفُرصة ما أمكنت
فليست الدنيا وإن أقبلت
فحام لماً سام فيها البقا
وكم أباد الدهر من معشر
وأودع الأملاك بطن الثرى

● وجاءني منه كتاب من صفد المحروسة ، وأنا بدمشق المحروسة ، في سنة ثمان عشرة وسبعمئة ، فيه نظم ونثر عديمته^(٢) ، فكتبت أنا إليه^(٣) : [من

الطويل]

تذكرت عيشاً مراً قد خلا
فهاجت لي الذكرى غراماً ألفتها
وأذكت دموع العين نار صبايتي
ولله صبري في الرزايا فإنه
وقيل : أتبكي في دمشق من الأسى
زماناً تقضى أو ربوعاً تطاولت
ففاضت جفوني بالدموع لقولهم
وهل نافع أن الرياض تدبجت

وربعاً عمرناه بلهو وقد خلا
وشئت على الأخشاء حزناً مقسطاً
وجدد لي وجدي أخيراً وأولا
جميل ولكن خان فيكم وبدلاً
وإن حل جيش الهمة فيها ترخلاً
عهودك منها وانمحت بيد البلى
وقلت لهم : أبكي حبيباً ومنزلاً
بساحاتها أو صوت قمرها علا

(١) في ب : وجدد التبر . . . × .

(٢) في أ ، ب : عُد منه ! . والإشارة إلى ضياع كتاب المترجم بما تضمن من نثر وشعر .

(٣) القصيدة في أعيان العصر .

وللوزق من زهر الرياض مجامير
وقد راح فيها الدوخ لابس حلة
وغنى حمام الأيك ثم تراقصت
فمالت سكارى ثم صفق جدول
فمن جدول أضحى حساماً مجرداً
وللبين في الأخشاء ما لو أقله
كأن اجتماع الشمل عقد تعلقت
ففارقته مخدوماً حمى الله ربه
سقاني طِفلاً فهوة العلم والنهى
وأكسبني لماً اتصفت ببرقه
وكم نعم لو رمت تغادها أثبت
إذا غبت عن أبوابه فهباته
وإن قدفتني غربة كان جوده
ووافى كتاب منه من بعد فترة
لقد أنشأته راحة كف كفها
تمنى مليك الغيث لو كان بطنها
على أن كتبي لا تزال كتاباً
أقبل فيها الأرض أغني مؤدياً
وإن كان في الأخشاء ما يمنع الفتى
فلا زال محروس الجناب مظفراً

● فكتب هو الجواب عن ذلك^(١) :

إذا حرّكت عوداً تحرق مندلاً
وصاغ من الأزهار تاجاً مكللاً
غصون سقتها الريح كاساتها ملا
فألقت عليه من معاطفها الحلى
ومن هيف أغصان تحرك دُبلاً
ثبير قليلاً مل ثم تمللاً
بأسلاكه كف النوى فتفصلاً
من الدهر يوماً ما أبر وأجلاً
وزاد إلى أن طال قدري واغتنى
من الفخر والعلواء مجداً مؤثلاً
وكانت من الإخفاء للذر أسهلاً
إلى كأنفاس النسيم توصلاً
سحاباً يوافيني فأعطى ونؤلاً
فأضحى به دمني على الخد مرسلاً
من الخطب ما أغنى الأنام فأغضلاً
وودت بها الأنهار لو كن أنملاً
ألاقي بها في ساحة الوجد جحفلاً
[٤٩] بذلك فرضاً ما أراه تنفلاً
من الوجد والتبريح أن يكرسلاً
بأعدائه ما هيج الشوق مبتلى

(١) الجواب نثراً وشعراً في أعيان العصر .

يُجَبِّلُ البَاسِطَةَ ، أَلْهَمَهَا اللهُ الْوَفَاءَ لِمَنْ وَفَى بِعَهْدِهِ ، وَأَطْلَعَ نَجْمَهَا الْمُتَّقِدَ
فِي مَطَالِحِ سُعُودِهِ ، وَأَعَادَ غُصْنَهَا إِلَى مَنبَتِ سَمَا مِنْهُ رَافِلاً فِي خِلْعِ بُرُودِهِ ،
مُثْمِراً بِدَوْحَةٍ مَنَشِيهِ الَّذِي مَا تَفْتَحُ وَرْدُهُ إِلَّا لَمَّا سَقَى مَاءَ وَرْدِهِ عِنْدَ وَرُودِهِ .

ويُنْهِي بَعْدَ وَصْفِ شَوْقِهِ الَّذِي تَطَاوَلَ عَلَيْهِ لَيْلُهُ فَادْلَهَمَهَا ، وَلَمَعَ فِي دُجْنَتِهِ
بَارِقُ اللَّوَاعِجِ فَأَضْرَمَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ نِيرَانَ الْخَلِيلِ لَمَّا ، وَأَجْرَى مِنْ جَفْنِهِ الْقَرِيحَ
طُوفَانَ نُوحٍ ، فَلَا جُلَّ ذَلِكَ هَجَرَهُ الْوَسْنُ وَمِنْ بَعْدِ الْهَجْرَانِ أَلَمٌ^(١) بِهِ مَا أَلَمًا ،
وَكَا بَدَ فُؤَادُهُ هَمًّا ، وَالَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَغْنَيْنِ بِالسُّلُوكِ مَا هَمًّا ، وَعَاهَدَهُ عَلَى
الْأَخْذِ بِسُنَّةِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَلَمْ يَفِ بِعَهْدِهِ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً ، وَأَرَادَ الْقَلَمُ أَنْ
يَصِفَ مَا وَجَدَهُ بَعْدَ الْبُعْدِ مِنَ الْأَسْفِ نَثْراً ، فَأَبَتِ الْبَلَاغَةُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَظْماً ،

وهو : [من الطويل]

نَأَيْتُمْ فَأَمْسَى الدَّمْعُ مِنِّي مُوَرِّدَاً عَلَى صَخْنٍ خَدَّ صَارَ بِالسَّقْمِ عَسَجِدَاً
إِذَا مَا بَدَا فِي وَجْنَتِي مِنْهُ صَيَّبَ رَأَيْتَ مِنَ الْيَاقُوتِ نَثْراً مُبَدِّدَاً
وَأِنْ نَظَّمْتَهُ فَوْقَ نَخْرِي صَبَابَةً تَبَيَّنْتَ عِقْدَاً بِالشُّذُورِ مُنْضَّدَاً
وَمَا حَثَّهُ إِلَّا بِرَيْقٍ تَتَابَعَتْ لَوَامِعُهُ يُبْدِينَ نَضْلاً مُجَرِّدَاً
وَكَمْ أَذْهَبَ التَّذْهِيبُ مِنْهُ حُشَاشَةً وَأَوْدَعَ حُزْناً فِي الْفُؤَادِ مُجَدِّدَاً
بَدَا مِنْ سَنِينٍ مُسْتَطِيرَاً ضِيَآؤُهُ فَانْسَتْ نَاراً فِي الدُّجْنَةِ مَذْ بَدَا^(٢)
وَأَمْسَى فُؤَادِي كَالْكَلِيمِ وَلَمْ يَجِدْ عَلَى النَّارِ لَمَّا أَنْ تَحَقَّقَهَا هُدًى
وَكَيْفَ اهْتَدَاءَ الصَّبِّ وَالْقَلْبُ وَالْهَ يَهِيمُ إِذَا هَبَّتْ نُسَيْمَةُ جَلَّقِ
وَادْرَاكُهُ مَذْ غَبَتْ عَنْهُ تَشَرَّدَاً وَيَضْبُو إِذَا نَاحَ الْحَمَامُ وَغَرَّدَاً

(١) « أَلَمٌ » من م .

(٢) في م : مستطيراً فؤاده × . وسنير : جبل بين حمصي وبيعلبك . (معجم البلدان ٢٦٩/٣) .

وَيَذْكُرُ أَيَّاماً تَقَضَّتْ بِسَفْحِهَا وَيَبْدِيءُ نَوْحاً فِي الظَّلَامِ مُرَدِّدَاً^(١)
لِيَالِي يُجْلِي الرُّوضُ فِي حُلَلِ الْحَيَا وَغُضُنُ النَّقَا يُبْدِي عَلَيْهِ تَأَوُّدَاً
تَبَسَّمَ نَغْرُ الزَّهْرِ لَمَّا بَكَى أَسَى وَلَا حَ كَصُنِجٍ بِالظَّلَامِ قَدْ اِزْدَدَى^(٢)
أَحْبَابَنَا غِنْبُكُمْ فَكَمْ لِي وَقْفَةٌ عَلَى صَفْدِ الْقَلْبِ مِنِّي تَصَقُّدَاً
وَكَمْ لِي بِهَاتِيكَ الطُّلُولِ مَوَاقِفُ وَقَفْتُ عَلَيْهَا الدَّمْعُ إِذْ رُحْتُ مُنْشِدَاً
تَنَاءَى خَلِيلُ يَا خَلِيلِي فَاسْعِدَا بِدَمْعٍ يُضَاهِي الْمُنَّ إِنْ كُنْتَ مُسْعِدَاً
وَأَبْدَى صُدُوداً وَالصُّدُودُ مَلَامَةٌ وَأَنْجَزَ هَجْرَانَا وَأَخْلَفَ مَوْعِدَاً
كَذَا شَيْمَةُ الدَّهْرِ الْخُؤُونِ وَدَأْبُهُ يَخُونُ وَفِيَّ أَوْ يُكَدِّرُ مَوْرِدَاً

● وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ عَلَى طَرِيقِ ابْنِ رَشِيقٍ فِي الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ^(٣) : [من

الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ بَيْنَ مُشْتَجِرِ الْقَنَا وَالْمَوْتُ يَخْتَطِفُ النَّفْسَ بِمِخْلَبِ
وَأَسِنَّةِ الْمُرَّانِ مِثْلُ كَوَاكِبِ تَبْدُو أَشْعَثُهَا بِظُلْمَةٍ غَنِيهِ
وَلَوَامِعُ الْبَيْضِ الرِّقَاقِ كَأَنَّهَا بَرَقَ تَأَلَّقَ مُذْهَباً فِي مُذْهَبِ
وَالْحَتَفُ قَدْ لَبِثْتُ كُؤُوسُ مُدَامِهِ بِعُقُولِنَا وَالذِّكْرُ غَايَةُ مَطْلَبِي

(١) في م : × فيدي نوحاً

(٢) في م : تبسم زهر الروض × .

(٣) الأبيات في أعيان العصر .

قلت : وأبيات ابن رشيقي ، هي : [ديوانه ٤٨ - ٤٩ والغيث المسجم ٣٩/٢]

ولقد ذكرتُك في السفينة والسردي مُوْتَعٍ بِتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ
والجؤ يهطل والرياح عواصف والليل مُسَوِّدُ الدُّوَابِ دَاجِ
وعلى السَّوَابِجِلِ لِأَعَادِي غَارَةٌ يُرَقَّعُونَ لِغَارَةٍ وَهِيَاجِ
وَعَلَّتْ لِأَصْحَابِ السَّفِينَةِ ضَجَّةٌ وَأَنَا وَذِكْرُكَ فِي أَلْدُ تَنَاجِي

● وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظِمَ عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ ، فَقُلْتُ^(١) : [من الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكُمْ بِحَرْبٍ يَشْتَبِي عَنْ بَأْسِهَا اللَّيْثُ الْهَزْبُ الْأَغْلَبُ
وَالصَّافِنَاتُ بِرُكُضِهَا قَدْ أَنْشَأَتْ لَيْلًا وَكُلُّ سَنَا سِنَانٍ كَوَكَبُ
وَالْبَيْضُ تَنْشُرُ كُلَّ مَا نَظَّمَ الْقَنَا [٤٩ ب] وَالتَّبَلُّ يُشْكِلُ وَالْعَجَاجُ يُزْبُ
وَحُشَّاشَةُ الْأَبْطَالِ قَدْ تَلَفَتْ ظَمًا وَدَمَ الْفَوَارِسُ مُسْتَهْلٌ صَيِّبُ
وَالنَّفْسُ تَنْهَبُ بِالْفَوَارِسِ وَالْقَنَا وَأَنَا بِذِكْرِكُمْ أَمِيلٌ وَأَطْرَبُ

● وَكَتَبَ يَوْمًا إِلَيَّ فِي الْإِعْذَارِ مِنْ وَدَاعِ الْحَبِيبِ^(٢) : [من الكامل]

يَوْمَ الْوَدَاعِ بَدَتْ شَوَاهِدُ لَوْعَتِي نَارُ الْخَلِيلِ تُشَبُّ فِي الطُّوفَانِ
وَأَزْدْتُ أَغْتَبِقُ الْحَبِيبَ فَخِفْتُ أَنْ يَغْشَاهُ يَمٌّ أَوْ لَظَى نِيرَانِ

● وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَنْظِمَ شَيْئًا فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ ، فَقُلْتُ^(٣) : [من الكامل]

لَمْ أَطْرِخْ يَوْمَ الْوَدَاعِ عِنَاقَهُ مَلَأَ وَدَمْعُ الْمُقْلَتَيْنِ سَكُوبُ
إِلَّا مَخَافَةَ أَنَّهُ يَفْتَرُّ عَن بَرْدٍ وَتَبْدُو حُرْقَتِي قَيْدُوبُ

٣٠ * الْحُسَيْنُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ رِيَّانٍ^(٤) :

القاضي الفاضل ، البليغ ، شَرَفُ الدِّينِ بْنِ الصَّحْبِ جَمَالَ الدِّينِ الطَّائِي ،

مَوْقِعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِحَلَبِ المحروسة ، وناظرُ الدَّوَاوِينِ المَعْمُورَةِ بِحِمَاةِ
المحروسة .

● كَتَبْتُ أَنَا مِنْ رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ إِلَى أَخِيهِ الْقَاضِي بِهِاءِ الدِّينِ الْحَسَنِ
كِتَابًا ، وَفِيهِ عَتَبٌ عَلَيْهِ بِسَبَبِ انْقِطَاعِ مُشْرِفَاتِهِ عَنِّي ، فَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ فِي سَنَةِ
٧٢٩^(١) : [من الكامل]

قَرَرْتُ بِمَنْصِبِكَ الْجَلِيلِ عُيُونُ وَرَنَتْ إِلَيْكَ مِنَ الشُّعُودِ جُفُونُ
وَأَتَيْتُكَ مِنْ رُتَبِ السَّعَادَةِ غَادَةً يَسْبِيكَ مِنْهَا الْحَاجِبُ الْمَقْرُونُ
وَدَعَيْتُكَ لِلرُّتَبِ الْعَلِيَّةِ فَارَقَهَا فِي نِعْمَةٍ وَقَرَيْتُكَ التَّمَكِينَ^(٢)
وَأَضَعْتُ إِلَى دَرَجِ الْمَعَالِي رَاقِيًا أَعْلَى الْعُلَى فَلَأَنْتَ ثُمَّ أَمِينُ
وَالْبَسَ بِهَا الْخَلْعَ النَّفِيسَةَ دَائِمًا وَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الْأُمُورِ تُعِينُ
فَلَسَوْفَ تَعْلُو بَعْدَهَا وَيَطِيرُ مِنْ أَرْجَائِهَا لَكَ طَائِرٌ مَيِّمُونُ
وَلَقَدْ أَتَى مِنْكَ الْمِثَالُ إِلَى أَخِي وَعَلَيَّ فِيهِ مِنَ الْعِتَابِ فُنُونُ
وَزَعَمْتَ أَنِّي حُلْتُ عَنْ ذَاكَ الْوَفَا لَا كَانَ ذَاكَ وَلَا أَرَاهُ يَكُونُ
أَنَا لَا أَحُولُ وَلَا أَمِيلُ عَنِ الْوَفَا أَبَدًا وَفِي ذَا الْقَوْلِ لَسْتُ أَمِينُ
سَلَّ مِنْ ضَمِيرِكَ عَنِ وِدَادِي إِنَّهُ عِنْدِي الْأَمِينُ وَقَوْلُهُ الْمَأْمُونُ
لَا تَسْبَبْنِي لِلْمَلَالِ فَإِنَّنِي أَذْرَى بِمَا عِنْدِي وَسَوْفَ يَبِينُ

وَفِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ بَيِّنَاتَانِ ، وَهُمَا : [من الكامل]

أَبَشِرُ بِهَا مِنْ رَحْبَةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ كَهْفَ الْغَرِيبِ وَمَأْمَنًا لِلْسَّالِكِ^(٣)
وَحَلَلْتَهَا يَا مَالِكِي فَلِأَجْلِ ذَا قَدْ أَصْبَحَتْ تُدْعَى بِرَحْبَةِ مَالِكِ

(١) القصيدة في الوافي .

(٢) سقط البيت من أ ، م .

(٣) « كهف الغريب » ساقطة من م .

(١) الأبيات في أعيان العصر والغنيب المسجم ٤٣/٢ .

(٢) البيتان في أعيان العصر والذرة الكامنة .

(٣) البيتان في أعيان العصر .

(٤) ترجمته في : الوافي بالوفيات ٣٦٩/١٢ والذيل على العبر ٢٧١/١ وتذكرة النبيه ٣٢٢/٣ والمتقى من درة الأسلاك ٣٩٠ ودرر العقود الفريدة ٤١/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٢٨/٢ والذرة الكامنة ٥٥/٢ والمنهل الصافي ١٥٦/٥ والذيل الشافي ٢٧٣/١ .

- مولده سنة ٧٠٢ هـ . ووفاته سنة ٧٧٠ هـ - وقيل : ٧٦٩ هـ - .

- في م : الحسن بن سليمان

● فكتبْتُ أنا الجوابُ إليه^(١) : [من الكامل]

جاءتْ سطورُكَ والشُّرورُ قَرِينُ
اللهُ أَكْبَرُ كَمْ تَلَطَّطَتْ قَبْلَهَا
ولَكُمْ سُورُ غَابَ عن سِرِّي وَكَمْ
حَتَّى أَنتَ غَرَاءَ يُفْضِلُ حُسْنَهَا
يا حُسْنَهَا من رَوْضَةٍ هَمَزَاتُهَا
أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ غَلِطْتُ في
اعْذُرْ فِإِنِّي من بَقَايا دَهْشَتِي
بَلْ دِيْمَةُ الفَضْلِ التي كَمْ قد سَقَتْ
وَعَلِطْتُ أَيْضاً بل هيَ البَحْرُ الذي
وَأنا أَقِيمُ أدْلَةً يَرْضَى بِهَا
مِنْ وَزْنِهَا بِخَرٍّ وَمِنْ أَلْفَاظِهَا
ما هَذِهِ عِنْدِي بِأَوَّلِ مَنَّةٍ
[١٥٠] عِنْدِي لِفَضْلِكَ كُلُّ طَوْلٍ سَايَغُ

● وكتبْتُ في أَثناءِ الكِتَابِ أَيْضاً : [من الكامل]

وَلَقَدْ حَلَلْتُ بَبْلَدَةٍ حَاشَا لَظِيٍّ
وَسَعَتْ لِأَنْوَاعِ العَذَابِ على الفَتَى
وَقَبِيحَ مَنَظَرِهَا الشَّنِيعِ الحَالِكِ
فَلِذَاكَ سَمَّوْهَا بِرَحْبَةِ مالِكِ

● وكتبْتُ أنا إليه من صَفَدِ المحروسة - وهو بحلب المحروسة^(٤) - ،

أَتَشَوِّقُ إليه ، في سنة ٧٢٤ : [من البسيط]

هَبَّتْ نَسِيمُ الصَّبَا لي من رُبَا حَلَبِ
فِيَا لَهَا نَسَمَةٌ أَخِيَتْ فُؤَادِي إِذْ
أَدَّتْ رَسَائِلَ وُزُقِ الدَّوْحِ تَرْجَمَهَا
فَهَمْتُ لَمَّا فَهَمْتُ السَّرَّ حِينَئِذِ
سَحَّ السَّحَابُ على السَّاحَاتِ من حَلَبِ
وإنْ ونى حَنَّةَ حادي الرُّعودِ وإنْ
إِنْ شَحَّ بُخْلًا على تِلْكَ الدِّيَارِ وَلَمْ
فإنْ لي مَدَمْعاً يُغْنِي مَعَالِمَهَا
أَوْطَانُهَا لِي أَوْطَارُ بِهَا وَمَعَا
لا تَسْكُنُ النَّفْسُ إلَّا في مَسَاكِينِهَا
فيا نَسِيمُ الصَّبَا لا زِلْتَ تَخْطُرُ في
إِنِّي أعِذُّ لي حَدِيثاً لَدَّ مَوْقِعِهِ
وَحُذِّ بِنَا فِيهِ أَيْضاً فَهُوَ أَغْدَبَ لي
وَكَرَّرَ القَوْلَ لا تَسْأَمُ فِإِنَّكَ إِنْ
ولا تَقُلْ لَمْ أَقُمْ بالوَاجِبَاتِ على
فإنْ شُكْرِي عن سُكْرِي لَهُ شُغْلٌ

فَأَسْكَرْنِي إلى أَنْ مِلْتُ من طَرَبِي^(١)
تَنَفَّسْتُ نَفْسْتُ عن مُهْجَتِي كُرْبِي
وَسَطَّرَ البَرْقُ ما أَمْلَنَهُ بِالذَّهَبِ^(٢)
وَرُحْتُ من راجِها والشُّوقُ يَلْعَبُ بي
وَجَادَ أَكْنَافُهَا بالوَائِكِ السَّرْبِ^(٣)
ضَلَّ الطَّرِيقَ اهْتَدَى بالبَرْقِ من كُتُبِ
يَسِخَّ وَبَلَاً على الأَجْرَاعِ والكُتُبِ
إِذَا تَذَكَّرْتُهَا عن مَنَّةِ الشُّحْبِ
نِيهَا غَنَائِي وفي تِلْكَ الرُّبَا أَرْبِي^(٤)
والقَلْبُ عن سَاكِينِهَا غَيْرُ مُنْقَلِبِ
رَوْضِ الخَزَامِي بِذِيْلٍ مِنْكَ مُنْسَجِبِ^(٥)
في مَسْمَعِي وَشَفَى قَلْبِي من الوَصْبِ
على عَذَابِي بِهِ من نَعْرِ ذِي شَنْبِ
كَرَّرْتَهُ لي حَلَا أَوْ زِدْتَهُ يَطِبِ
مِثْلِي لِمِثْلِكَ فَالْمَعْرُوفُ لَمْ يَجِبِ^(٦)
حَتَّى أَفِيقَ من الوَجْدِ المُبْرِحِ بي^(٧)

(١) في ب : . . . من ورا حلب × .

(٢) في م : . . . الدَّوْحِ حين سَرَتْ × . وفي هامشه : خ : ترجمها .

(٣) في م : × . . . بالوَابِلِ السَّرْبِ .

(٤) « فيها غَنَائِي » ساقطة من م .

(٥) في م : × ذيل الخَزَامِي . . .

(٦) في أ ، م : ولا تقُلْ لي أَقْمُ . . . × .

(٧) في م : فإنْ شُكْرِي عن سُكْرِي . . . × .

(١) القصيدة في الوافي .

(٢) في ب : . . . التي بك كم سقت × . . . عيون .

(٣) في ب : . . . سائغ × . . . من علاك . . .

(٤) الجملة المعترضة من س .

لا تَحْسَبَنَّ جَنَّةَ الْمَأْوَى سِوَى حَلَبٍ
وَكَمْ تَمَتَّعْتُ فِي بَابِ الْجَنَانِ بِهَا
مَوْلَايَ يَا شَرَفَ الدِّينِ الَّذِي انْتَضَحَتْ
وَفَاقَ بِالْفَضْلِ فِي الْأَفَاقِ كُلِّ فَتَى
وَأَخَذَقْتُ بِعِلَالِهِ كُلَّ مَكْرُمَةٍ
أَعِنْدُ فَضْلَكَ يَا شَمْسَ الْعُلُومِ وَيَا
أُولِيَّتِي نِعْمًا لَوْ رُمْتُ أَنْكِرُهَا
وَكَيْفَ أَنْسَى الَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ كَرَمٍ
فِيَا رَعَى اللَّهَ أَيَّامًا نِعِمْتُ بِهَا
مَا لِي سِوَى مَخْضٍ وَدِّي إِنْ رَضِيتَ بِهِ
بَلَى وَطِيبُ ثَنَاءٍ عَنْكَ أَنْشُرُهُ
وِخْدَمَةٌ أَنْتَ تَذَرِي حَقَّ قُرْبَتِهَا
فَعُدَّ عَلَيَّ بِكُتُبٍ مِنْكَ تُنْجِدُنِي
لَا تَنْسَ حَاشَاكَ عَهْدًا بَيْنَنَا أَبَدًا

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ ، وَأَنَا بِحَلَبَ المحروسة ، في شهر رمضان سنة

٧٥٩هـ (٥) : [من المقارب]

كَلَامُ الْعَوَادِلِ مَا يُسْمَعُ
شَوَاهِدُهَا لَهَبٌ فِي الضُّلُو
وَدَعَوَى الْمَحَبَّةِ مَا تُدْفَعُ
عِ وَفَيْضُ الدُّمُوعِ الَّتِي تَهْمَعُ

(١) في م : . . . جنة الدنيا . . . ×

(٢) في م : . . . أوليتني كرمًا ×

(٣) في ب ، س : × . . . من أنفع . . .

(٤) وسقط ما بعد ذلك في س إلى قوله : وكتب أني إليه أعز به في والده . . .

(٥) في م : سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْهَوَى مَا لَهُمْ
عَرَامٌ يَغِيبُ بِهِ وَغِيَّهُمْ
يُرْجُونَ عَوْدَةَ أَفْهَامِهِمْ
وَكَيْفَ يَعُودُ لِأَهْلِ الصَّبَابِ
[٥٠هـ] ولي صاحب وُدّه في الحشا
أَلْفَتْ بِهِ فِي زَمَانِ الصَّبَا
تَمَكَّنَ مِنْ مُهَجَّتِي حُبُّهُ
صَلاحي خَلِيلِي أَمِيرِي أَخِي
لَقَدْ فَاقَ فِي الْفَضْلِ أَهْلَ الزَّمَا
وَكَمْ قَدْ صَحِبْتُ مِنَ الْعَالَمِينَ
وَلَمْ أَرِ فِيهِمْ مُقِيمًا عَلَى الدِّ
وَقَدْ كُنْتُ فِي حَلَبٍ شَيْقًا
أُرْجِي اجْتِمَاعِي بِهِ وَالنَّوَى
وَكُنْتُ كَرِهْتُ مُقَامِي بِهَا
وَضَاعَ بِهَا الْعُمْرُ لَا فَاضِلَ
وَمَا زَالَ فِي أَمْلِي أَنَّيَا
إِلَى أَنْ قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْبَعَا
فَجَاءَ مِنَ الشَّامِ فِي رُبُوعٍ
فَلَدُّ مُقَامِي بِهَا وَانْجَلَتْ

مُعِينٌ وَلَا شَافِعٌ يَشْفَعُ
فَمَا يَعْرِفُ الصَّبُّ مَا يَصْنَعُ
إِلَيْهِمْ ، وَمَا فَاتَ لَا يَرْجِعُ
وَعُيٌّ وَمُسْتَبْعَدٌ أَنْ يَعُوا
لَهُ مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعُ
فَمَا لِي عَنْ حُبِّهِ مَرْجِعُ
فَمَا لِسِوَاهُ بِهَا مَوْضِعُ (١)
صَدِيقِي ذَخْرِي الَّذِي يَنْفَعُ (٢)
نِ وَرَاقَتْ مَحَاسِنُهُ أَجْمَعُ
نَ أَنْسَا وَهُمْ قَلَّ أَنْ يَنْفَعُوا
سُودَادِ سِوَاهُ إِذَا ضَيَّعُوا
إِلَيْهِ وَقَلْبِي بِهَا مُوَجَّعُ (٣)
تَحُولُ وَتَنَاقَى بَيْنِي الْأَرْبَعُ
وَضَاقَ عَلَيَّ الْفَضَا الْأَوْسَعُ
إِذَا قُلْتُ يَنْفَعُهُمْ أَوْ يَنْفَعُ
نَبَالَ اللَّقَاءَ وَنَسْتَجْمَعُ
دَ يَزُولُ وَشَمْلِي بِهِ يُجْمَعُ
عَلَتْ وَهُوَ مِنْ قَدَرِهَا أَرْفَعُ
هُمُومِي وَطَابَ لِي الْمَرْبَعُ

(١) في أ ، ب : × فما لسواها . . . ! والمثبت من م .

(٢) في م : × صديقي وذخري . . .

(٣) في م : × . . . به موجه .

وَيَهْنِيكَ شَهْرُ الصَّيَامِ الَّذِي
وَلَا زِلْتَ فِي نِعْمَةٍ مَا شَدَتْ
هَلَالُ السُّعُودِ بِهِ يَطْلُعُ
عَلَى الْإِيكِ قُمْرِيَّةٌ تَسْجَعُ

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ : [من المتقارب]

أَرَوْضُ غَدَتْ وَزَقَهُ تَسْجَعُ
وَهَيْهَاتَ بَلْ هَذِهِ رُفْعَةٌ
بَلِيغٌ إِذَا فَاهَ فِي مَخْفَلٍ
وَأَقْلَامُنَا فِي الطُّرُوسِ اغْتَدَتْ
فَضَائِلُهُ قَدْ سَرَى ذِكْرُهَا
يُوشِي الطُّرُوسَ وَلَكِنَّهُ
إِمَامُ الْقَرِيضِ إِمَامُ الثُّحَاةِ
إِذَا قِصَّةٌ خَطَّ فِيهَا فَمَا
أَخِي صَاحِبِي شَرَفِي سَيِّدِي
صَفَا إِذْ تَكَدَّرَ وَزْدَ الْعِدَى
تَغَرَّبْتُ عَنْ جَلْقٍ وَائِقَا
فَأَلْفَيْتُ أَنْسِي بِهِ حَاضِرَا
وَذَكَرَنِي طَيْبَ عَيْشٍ مَضَى
فَمَا كَانَ أَهْنَا زَمَانَ الصَّبَا
يَجِيءُ السُّرُورُ كَمَا نَشْتَهِي
وَكَمْ قَدْ أَعَدْنَا سُورَا مَضَى
أَمِ الْأَنْفُ أَقْمَارُهُ تَطْلُعُ
جَنَابُ الَّذِي خَطَّهَا أَرْفَعُ
فَحَظُّ الْأَفَاضِلِ أَنْ يَسْمَعُوا
لِتَعْظِيمِ إِنْشَائِهِ تَزَكُّعُ
فَلَمْ يَخُلْ مِنْ حُسْنِهَا مَوْضِعُ^(١)
يُوشَعُهَا بِالصَّبَا يُوشَعُ
إِمَامُ الْمَعَانِي الَّتِي تُبَدِّعُ
يُوقِعُ بَلْ بِالْعِدَى يُوقِعُ^(٢)
رَفِيقِي إِمَامِي الَّذِي أَتْبَعُ
وَمَنْ لَا صَفَا كَيْفَ لَا يُضْفَعُ
بِهِ أَنْ خَطَبَ النَّوَى يُذْفَعُ
وَمَا أَرْتَجِي عَنْدهُ أَجْمَعُ^(٣)
سَقْتُهُ دُمُوعِي الَّتِي تَهْمَعُ
وَأَوْقَاتُهُ بِالْمُنَى تُقَطِّعُ
وَيَكْمُلُ مِنْ قَبْلِ مَا نَشْرَعُ
بِعِزٍّ وَأَنْفِ الْعِدَى يُجْدَعُ

(١) في ب : . . . قد سما ذكرها × .

(٢) في م : × . . . بل في العدى . . .

(٣) في م : . . . بها حاضراً × .

وَأَحْكَامُنَا فِي الرَّدَى قَدْ مَضَتْ
وَكُلُّ فَرِيقٍ إِذَا مَا اشْتَكَى
فَاهٍ عَلَى عَوْدٍ دَهْرٍ مَضَى
وَمَا لِي وَذِكْرُ صَبَا فَائِتٍ
وَلَكِنْ عُلالَةُ ذِي أُلْفَةٍ
أَيَا شَرَفَ الدِّينِ أَنْتَ الَّذِي
لَأَنَّكَ لِي شَرَفٌ رُكْنُهُ
وَأَنْتَ مَعَاذِي الَّذِي أَرْتَجِي
فَهَيْتَ شَهْرَ الصَّيَامِ الَّذِي
تَصُومُ وَتُقَطِّرُ فِي صَحَّةٍ
وَيُؤْمِنُكَ اللَّهُ مَا تَخْتَشِي

فَلَا تَخْشَى وَلَا نَخْضَعُ^(١)
إِلَيْنَا ظُلَامَاتُهُ تُزْفَعُ^(٢)
وَلِنْ كَانَ مَا فَاتَ لَا يَرْجِعُ
وَمَا فِي لَوْ عَادَ مُسْتَمْتَعُ
بِتَذْكَارِهِ لِلصَّبَا يُنْزَعُ
بِهِ رُحْتُ لِلخَطْبِ لَا أَضْرَعُ
بِفَرْقِ السَّمَاءِ غَدَا يُوَضَعُ
إِذَا عَصَفَتْ لِلرَّدَى زَعْنُ
غَدَا نُورُهُ فِي الدُّجَى يَسْطَعُ
صَفَا لَكَ مِنْ وَرْدِهَا الْمَشْرَعُ
وَمَا تَقْيِيهِ وَمَا تَجْزَعُ

● وَكَتَبَ إِلَيَّ أَيْضاً ، وَأَنَا بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ^(٣) : [من الطويل]

أَيَا فَاضِلاً فِي الْعِلْمِ مَا زَالَ بَارِعاً
لَقَدْ سَمِعَ الْمَمْلُوكُ بَيْنَيْنِ فِيهِمَا
لَنَا إِبِلٌ مَا رَوَّعَتْهَا الصَّفَائِحُ
إِذَا سَمِعَتْ أَضْيَافَنَا مِنْ رُعَاتِهَا
فَمَا مُقْتَضَى رَفَعِ الذَّبَائِحِ فِيهِمَا
أَجِبْ عَنْ سُؤَالِي وَاعْتَنِمْ أَجَرَ سَائِلٍ
إِمَاماً لَدَيْهِ مُشْكِلُ النَّحْوِ وَاضِحُ
سُؤَالٍ لِأَرْبَابِ الْجَهَالَةِ فَاضِحُ
وَلَا نَقَرَتْهَا بِالصَّبَاحِ الصَّوَائِحُ
أَتَيْنَ سِرَاعاً يَتَتَدَرْنَ الذَّبَائِحُ
وَوَجْهُهُ وَجُوبُ النَّصَبِ فِي الْحَالِ لَائِحُ
لَهُ فِي صِفَاتِ الْفَاضِلِينَ مَدَائِحُ

[٥١] فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ارْتِجَالاً^(٣) : [من الطويل]

(١) في ب : . . . في الوردى . . . × .

(٢) « فَرِيقٌ » ساقطة من م .

(٣) الأبيات والجواب ، في الطبقات السَّيِّئَةِ ١٤٨/٣ .

أَيَا فَاضِلًا أَضَحَّتْ رِياضُ عُلُومِهِ
وَمَنْ حَارَ ذَهْنًا نَارُهُ قَدْ تَوَقَّدَتْ
سُؤَالُكَ فِي رَفْعِ الذَّبَائِحِ ظَاهِرٌ
« إِذَا سَمِعْتَ » يَحْتَاجُ ذَا الْفِعْلِ فَاعِلًا
و« أَضْيَافُنَا » الْمَفْعُولُ، فَاسْمَعْ مَقَالَ مَنْ
وَحُذِّ قَوْلَ شَيْخٍ قَدْ تَدَانَى مِنَ الْبَلَى
● وَكُتِبَ إِلَيَّ أَيْضًا ، وَأَنَا بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ : [مَنْ الرِّجْز]

يَا فَاضِلًا فِي النَّحْوِ وَالْقُرْآنِ يَا
مَا اسْمٌ أَتَى فِي الذِّكْرِ وَهُوَ مُفْرَدٌ
أَجِبْ سُؤَالِي وَاغْتَنِمْ شُكْرِي فَمَا
أَبْذُلُهُ إِلَّا لِذَهْنٍ أَظْهَرَ

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ : [مَنْ الرِّجْز]

يَا مَنْ إِذَا رَاحَتُهُ تَنَاوَلَتْ طَرْسًا فَقَدْ رَوَّضَهُ وَزَهَّرَهُ
أَرَى الَّذِي أَرَدْتَهُ « آلِهَةً » وَبَعْدَ « دُونَ اللَّهِ » فَاعْرِفْ خَبْرَهُ
فَإِنَّ دُونَ مُفْرَدٌ مُعَرَّفٌ وَقَدْ أَتَى وَصْفًا لِجَمْعٍ نَكْرَةٍ (١)
وإنْ تَشَأْ فَمِثْلُهُ « آلِهَةً » إِلَّا الْإِلَهَ فَاتَّخِذْهَا تَذَكُّرَةً

أَرَدْتُ بِذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ أَيْفَاءَ آلِهَةٍ دُونَ اللَّهِ يُرِيدُونَ ﴾ [الصافات : ٨٦] أَوْ قَوْلَهُ
تَعَالَى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٢) [الأنبياء : ٢٢] والمعنى : غَيْرُ اللَّهِ .

● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ اعْزِيهِ فِي وَالِدِهِ الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَقَدْ
تُوَفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٧٤٩ (٣) : [مَنْ الْبَسِيط]

(١) فِي ب : X وَقَدْ أَتَى وَصْفَ الْجَمْعِ نَكْرَةً .

(٢) « لَفَسَدَتَا » مِنْ م فَقَط .

(٣) الْقَصِيدَةُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ ٢/٤٢٨ - ٤٣٠ .

أَظْمَأَتْ نَفْسَ الْمَعَالِي يَا ابْنَ رِيَّانَا
وَانْهَلْ دَمْعُ الْعَوَادِي فِيكَ مِنْ حَزَنِ
وَمَزَقَ الصُّبْحُ أَثْوَابَ الدُّجَى وَرَمَى
وَكُلُّ سَاجِدَةٍ فِي الْأَيْكِ نَائِحَةٌ
أَتَتْ دِمَشْقَ بَكَ الْأَخْبَارُ مِنْ حَلَبِ
وَدِدْتُ مِنْ حُزْنِي لَوْ كُنْتُ ذَا صَمَمٍ
تَكَادُ صُمُّ الصَّفَا تَنْشُقُ مِنْ حَزَنِ
تَكَادُ تَبْكِي الْمَعَالِي فِيكَ مِنْ جَزَعٍ
مَنْ لِلظُّلَامِ إِذَا نَامَ الْأَنَامُ غَدًا
وَمَنْ لِمُحْرَابِكَ الزَّاكِي فَلَيْسَ يَرَى
كَمْ قَدْ خَتَمْتَ كِتَابَ اللَّهِ مُتَعَطِّيًا
وَكَمْ حَنَنْتَ الْخُطَا نَحْوَ الصَّلَاةِ لِأَجْرِ
تَوَاطُبِ الصُّومِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ وَفِي الدِّ
وَكَمْ مَمَالِكٍ قَدْ دَبَّرَتْ حَوَزَتَهَا
وَتَسْتَقِيمُ بِكَ الْأَحْوَالُ مَا شِئَتْ
لِلَّهِ دَرْكُ كَمْ جَمَلْتِ مَدْرَسَةً
فَكُنْتُ فِي الْجُودِ غِيثًا وَالْهُدَى عِلْمًا
حَتَّى تَوَقَّدَتْ الْأَحْشَاءُ نِيرَانَا
وَشَقَّقَ الْبَرْقُ فِي الْأَفَاقِ أُرْدَانَا
حَلَى الثُّجُومِ وَأَضْحَى فِيكَ عُزْيَانَا
تُمْلِي مِنَ الْوَجْدِ فِي الْأَسْحَارِ أَشْجَانَا (١)
يَا بِنْسَ مَا خَبَرَ النَّاعِي وَنَاجَانَا
وَمَا سَمِعْتَ الَّذِي أَنْكَى وَأَبْكَانَا
لَوْ أَنَّ لِلصَّخْرِ قَبْلَ الْيَوْمِ آذَانًا
بِالدَّمْعِ لَوْ وَجَدَتْ لِلدَّمْعِ أَجْفَانَا
« يَقْطَعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا » (٢)
مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ فِيهِ قَطُّ إِنْسَانَا
وَفِي تَدَبُّرِهِ كَمْ رُحْتَ وَلَهَانَا
لِلِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ فِي الْأَسْحَارِ عَجَلَانَا
اِثْنَيْنِ حَتَّى لَقَدْ أَمْسَيْتِ خُمْصَانَا
فَكُنْتُ خَيْرَ وَزِيرٍ قَطُّ مَا خَانَا
حَتَّى تَفِيضَ بِكَ الْأَمْوَالُ طُوفَانَا (٣)
وَبِالْكِتَابَةِ كَمْ شَرَّفْتَ دِيْوَانَا
وَفِي الْحِجَى حُجَّةً وَالْعِلْمَ ثَهْلَانَا (٤)

(١) فِي أ ، م : X فِي الْأَشْجَارِ أَشْجَانَا .

(٢) فِي أ ، م : مَنِ لِلْأَنَامِ X .

وَالْعَجَزُ مَضْمُونٌ مِنْ قَوْلِ حَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي رِثَاءِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ : [دِيْوَانُهُ ٩٦/١ « عُرْفَات »]

صَحَّحُوا بِأَشْمَطِ عَنَوَانِ الشُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا

(٣) فِي س : صَدَرَ هَذَا الْبَيْتُ مَعَ عَجَزِ الَّذِي يَلِيهِ ، ثُمَّ صَدَرَ الَّذِي يَلِيهِ مَعَ عَجَزِ هَذَا الْبَيْتِ !

(٤) فِي ب : X سُلْطَانًا .

ثُمَّ اغْتَرَلَتِ الْوَرَى مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبِ
وَمَنْ أَرَادَ مِنَ الْأُخْرَى جَوَاهِرَهَا
وَكَانَ أَرْجَحَ مَالاً عِنْدَ خَالِقِهِ
فَاذْهَبَ فَأَيُّ ضَرِيحٍ بَتَّ سَاكِنُهُ
[٥١ ب] وَلَمْ يُمْتْ مَنْ بَنُوهُ سَادَةٌ تُجِبُ
وَجَمَلُوا الْمُلْكَ إِذْ زَانُوا مَنَاصِبَهُ
إِنْ كُوْنُوا أَوْ لُقُوا أَوْ خُوْطِبُوا وَجَدُوا
بِهَآؤُهُمْ مَا يُبَاهِي عَزْمَهُ أَحَدٌ
وَمَا شِهَابُهُمْ خَافٍ بِمُطْلَعِهِ
تَعَزَّى يَا شَرَفَ الدِّينِ الَّذِي قَبَضَتْ
بَيَانُهُ ظَاهِرٌ لَوْ أَنَّ رَوْفَقَهُ
تَاللَّهِ مَا دَارَ كَأْسٌ مِنْ بِلَاغَتِهِ
لَهُ عِبَارَاتٌ نَظْمٌ كُلَّمَا سَحَبَتْ
مِثْلَ « الْعِيُونِ » الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ
فَالنَّاسُ فِي حَلَبٍ حَلَّتْ بِهِمْ تَهَمٌ
فَلَا يُرْعَ لَكُمْ سِرْبٌ بِحَادِثَةٍ
وَلَا يُكْدِرُ لَكُمْ سِرْبٌ بِنَازِلَةٍ
تَحْفُكُمُ بَرَكَاتٌ مِنْ تَقَاهُ فَقَدْ

إِلَّا لِيَتَلَبَّبَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا^(١)
أَبَاعَ أَغْرَاضَ هَذِي الدَّارِ مَجَانًا^(٢)
وَرَاخَ أَرْجَحَ يَوْمَ الْحَشْرِ مِيزَانَا
تَرَى الثَّرَابَ بِهِ رَوْحاً وَرَيْحَانَا
لَمَّا بَنَى مَجْدَهُمْ شَادُوهُ إِتْقَانَا
وَأَلْبَسُوها مِنَ الْعَلْيَاءِ تِنْجَانَا
فِي الْخَطِّ وَاللَفْظِ وَالْهِنَاءِ فُرْسَانَا
وَفِيهِمْ شَرَفٌ بَاقٍ لَهُمْ زَانَا
كَمَا كَمَالُهُمْ قَدْ حَازَ إِخْسَانَا
يُمْنِي عُلَاهُ مِنَ الْعِيُوقِ أَرْسَانَا
لِلْبَدْرِ لَمْ يَخْشَ عِنْدَ السَّيْرِ نُقْصَانَا
عَلَيَّ إِلَّا أَهْزُ الْعُطْفِ نَشْوَانَا
ذِيولَهَا أَغْثَرَتْ فِي الْحَالِ سَحْبَانَا
فَقَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنَ قَتْلَانَا^(٣)
وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ خُرْساً فِي خُرَاسَانَا
وَلَا رَمَى شَأْنَكُمْ خَطْبٌ وَلَا شَانَا^(٤)
وَلَا حَدَثَ لَكُمْ الْأَخْدَاثُ أَظْعَانَا^(٥)
أَخَذْتُمْ مِنْهُ حِزْزاً مِنْ سُلَيْمَانَا

(١) عجزه من بيت عمران بن حطان : [شعر الخوارج ٢٦]

يا ضربةً من تقى ما أراد بها

(٢) في م : × ابتاع أغراض هذا الذكر مجانا .

(٣) البيت لجريز : إن العيون . . . [ديوانه ١٦٣/١] .

(٤) لفق في أ وأعيان العصر من صدر هذا البيت وعجز الذي يليه بيتاً .

(٥) في م : ولا [بياض] لكم شرب بنازلة × .

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَلَمِ^(١) لِهَذِهِ النَّازِلَةِ ، وَالْقَلَى لَهُدِهِ
الرَّزِيَّةَ الَّتِي جَعَلَتِ الدُّمُوعَ هَامِيَةً هَامِلَةً ، وَالْجَزَعَ لَهُدِهِ الْحَادِثَةَ الَّتِي تَرَكَتْ
الْجَوَانِحَ حَامِيَةً ، فَلَبِثَ الْقَوَى لَوْ كَانَتْ حَامِلَةً ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، قَوْلُ
مَنْ فَقَدَ جَمَالَهُ ، وَعَدِمَ صَبْرَهُ وَاحْتِمَالَهُ ، وَفَجَعَهُ الدَّهْرُ بِوَاحِدِهِ الَّذِي مَا رَأَتْ
عَيْنُهُ مِثَالَهُ ؛ رَحِمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَجْهَ الْجَمِيلَ ، وَقَدَسَ تِلْكَ السَّرِيرَةَ الَّتِي كَانَ
الْصَّفَاءُ لَهَا أَلْزَمَ زَمِيلٍ ، وَمَا بَقِيَ غَيْرُ الْأَخْذِ فِي مَا وَقَعَ بِالسُّنَّةِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى فَقْدِ
مَنْ أَثَارَ النَّارَ فِي الْفُؤَادِ وَسَكَنَ الْجَنَّةَ .

وقد جهَّز المملوك هذه القصيدة التي يسبح نونها في الهم في يم ، ويشرخ
في هذا المأتم ما تم ، إن شاء الله تعالى .

● فكتب هو الجواب إلي^(٢) :

يُقْبَلُ كَذَا ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الشَّرِيفِ ، يَتَضَمَّنُ تَغْزِيَةً حَسَنَ لَفْظُهَا ،
وَأَثَرَ فِي الْقُلُوبِ وَعَظْهَا ، وَتَعَيَّنَ تَسْطِيرُهَا فِي صَحَائِفِ الْأَفْكَارِ وَحِفْظُهَا ؛
فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى مَحَاسِنِهَا وَأَحَاسِنِهَا ، وَشَمَلَتْهُ مِنْ مَكَامِنِهَا بِمَيَامِنِهَا ،
وَتَسَلَّى بِمَا حَوَتْهُ مِنْ مُفْصَلِ الرِّثَاءِ وَمَجْمُوعِهِ ، وَأَسَالَ مِنْ أَجْفَانِهِ دَمًا بَدَلَ
دُمُوعِهِ ، فَيَا لَهَا مِنْ رَزِيَّةٍ عَظُمَتْ فِيهَا الْمَائِمُ ، وَمُصَابٍ كَشَفَتْ حُجْبَهُ السُّلَيْمَانِيَّةُ
عَنْ حَزَنِ لَهُ خَاتَمٍ ، وَتَحَقَّقَ الْمَمْلُوكُ مِنْ أَثْنَاءِ آيَاتِ الْقَصِيدَةِ التَّوْنِيَّةِ بَرَكَاتِ ذِي
التُّونِ ، وَنَظَرَ إِلَى نُونِهَا وَقَدْ غَاصَ فِي بَحْرِ الْفَضَائِلِ ، فَاسْتَخْرَجَ دُرَّةَ الْمَكُونِ .

وقد كتب المملوك جواب مولانا مُعْتَرِفاً فِيهِ بِالتَّقْصِيرِ ، مُعْتَرِفاً مِنْ مَنَهْلٍ

فَضِيلِهِ الْغَزِيرِ ؛ وَهُوَ^(٣) : [من البسيط]

(١) « من الألم » ساقطة من أ ، م .

(٢) الجواب بشره وشعره في أعيان العصر .

(٣) منها تسعة أبيات في المتنقى من درة الأسلاك ٢٤٧ .

جَدَّدَتْ فِي الْقَلْبِ آلاماً وَأَحْزَاناً
فَاعْجَبَ لِجَفْنٍ يُغِيضُ الْمَاءَ مَدْمَعُهُ
عَزَّيْنَا فِي أَيْبِنَا فَاكْتَسَبَتْ بِهِ
أَكْرِمَ بِهِ مِنْ أَبٍ شَاعَتْ مَنَاقِبُهُ
كَمْ بَاتَ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ مُتَنَصِّباً
كَمْ خَتَمَتْهُ قَدْ تَلَاهَا فِي النَّهَارِ وَكَمْ
[١٥٢] وَلَا زَمَ الصَّوْمَ أَوْقَاتَ الْهَوَاجِرِ لَا
وَكَانَ يُخْشَنُ فِي دِينِ الْإِلَهِ تُقَى
وَكَانَ يُخْشَى وَيُزَجَّى فِي نَدَى وَرَدَى
شَبْنَا وَأَذْهَلْنَا عَظُمَ الْمُصَابِ بِهِ
سَارَتْ جِنَازَتُهُ وَالْخَلْقُ تَتَّبِعُهَا
حَتَّى مَلَائِكَةُ الرُّضْوَانِ مُذْ عَلِمُوا
نَعَى الثُّعَاةَ وَضَجَّجُوا بِالنَّعْيِ لَهُ
جَارَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَقْصِدْ بِمَضَرَعِهِ
إِنَّ الْخُطُوبَ الَّتِي سَاقَتْ مَيِّتَهُ
مَنْ ذَا يُوقِي عُلَاهُ بِالرِّثَاءِ وَلَوْ
لَمْ أَقْضِ بِالشَّعْرِ حَقًّا مِنْ عُلَاهُ وَلَوْ
لَوْ قِيلَ مَنْ فَاقَ أَرْبَابَ الصَّلَاحِ تُقَى

أَسَالَتْ الدَّمْعَ مِنْ جَفْنِي طُوفَانَا
وَمُهْجَةٍ تَلْتَلِي بِالْحُزَنِ نِيرَانَا
أَجْرًا وَأَوْلَيْتَنَا فَضْلًا وَإِحْسَانَا
فِي النَّاسِ وَاشْتَهَرَتْ بِالْجُودِ إِغْلَانَا
فِي خِدْمَةِ اللَّهِ يَقْضِي اللَّيْلَ يَقْطَانَا
أَفْنَى الْحَنَادِسَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا
يَزِيدُ عَنْ صَوْمِهِ دِينًا وَإِيمَانَا
«عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَنَا» (١)
وَالصَّعْبُ مِنْ رَأْيِهِ تَلْقَاهُ قَدْ هَانَا
فَكُلُّ صَبٍّ بِهِ ذَهْلُ بْنُ شَيْبَانَا
وَالْحُزْنُ قَدْ عَمَّهُمْ فِيهَا وَغَشَانَا
«طَارُوا إِلَيْهِ زُرَفَاتٍ وَوُحْدَانَا» (١)
فَأَوْرَثُوا الْقَلْبَ أَحْزَانًا وَأَشْجَانَا
إِلَّا لِيَهْدِمَ لِلْمَعْرُوفِ أَرْكَانَا
«قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا» (٢)
كَانَ الْمُرْتِي لَهُ قَسًا وَسَحْبَانَا
نَظَّمْتُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِيهِ دِيُونَا
كَانَ الْجَوَابُ سُلَيْمَانَ بْنَ رِيَّانَا

(١) العجز مضمّن من قول قريظ بن أنيف : [شرح الحماسة للمرزوقي ٢٥/١]

(٢) العجز مضمّن من قول جرير : [ديوانه ١٦٣/١]
إِذَا لِقَامَ بَنَصْرِي مَعَشَرَ خُثُنٍ
قَوْمٌ إِذَا الشُّرُ أَيْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ
عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَنَا
طَارُوا إِلَيْهِ زُرَفَاتٍ وَوُحْدَانَا
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا
إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ

إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ
حَيْرَتَنَا بِمِثَالٍ فِيهِ تَعَزُّبَةٌ
فِيهِ قَرِيضٌ بَدِيعُ النَّظْمِ مُشْتَمِلٌ
إِنْ رُمْتُ تَشْبِيهَهُ بِالرَّوْضِ كَانَ لَهُ
الرَّوْضُ يَذُبُّ فِي وَقْتِ (٣) وَنَظْمُكَ قَدْ
أَوْ قُلْتُ أَلْفَاظُهُ مِثْلُ الْكَوَكِبِ لَمْ
إِذِ الْكَوَكِبُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ أَرَى
لَكِنْ أَقُولُ هُوَ الْعِفْدُ الثَّمِينُ وَقَدْ
فِي أَحْمَرِ الطَّرْسِ قَدْ سَطَرَتْ أَخْرَفُهُ
حَفِظَتْ عَهْدَكَ فِي حَالِ الْحَيَاةِ وَمَنْ
كَذَا تَكُونُ صِفَاتُ الْحُرِّ يَحْفَظُ مَنْ
بِذَا جَرَتْ عَادَةُ الْأَصْحَابِ تَحْفَظُ فِي
لَا ذُقْتُ فَقَدْ حَبِيبَ بَعْدَهَا وَحَمْتُ

«أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا» (١)
بِهِ اتَّعَظْنَا وَعَزَّانَا وَسَلَّانَا (٢)
عَلَى مَعَانٍ حَسَانٍ فَقُنَّ حَسَانَا
فَضَّلَ عَلَى الرَّوْضِ لَا يَخْتَا جُزْءَانَا
وَقَاهُ فِكْرُكَ طُولَ الدَّهْرِ مَا شَانَا
أَكُنْ مُوقِفِهِ بِالْوَصْفِ تَيَّانَا
أَنْوَارَهَا تَخْتَفِي فِي الْجَوْ أَخْيَانَا
نَظَّمْتُ أَلْفَاظَهُ ذُرًّا وَعَفْيَانَا
كَالدُّرِّ خَالِطَ يَاقُوتَا وَمُزْجَانَا
بَعْدَ الْمَمَاتِ فَحَيَّا اللَّهُ مَوْلَانَا
يُحِبُّهُ وَيُؤَافِي كَيْفَ مَا كَانَا
عَهْدِ الْمَوَدَّةِ أَصْحَابًا وَإِخْوَانَا
وَقَايَةَ اللَّهِ مَوْلَانَا وَإِيَّانَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضًا ، وَهُوَ بِطَرَابُلُسَ ، لُغَزَا فِي الْمِثْدَنَةِ ، وَهُوَ (٤) :

مَا اسْمُ إِنْ قُصِدَ تَعْرِيفُهُ فَهُوَ مَعْرُوفٌ ، وَإِنْ طُلِبَ وَجِدَ فِي جُمْلَةِ الظُّرُوفِ ،
خُمَاسِيٍّ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعَةُ حُرُوفٍ ؛ حَارَ النَّحْوِيُّ فِي تَصْرِيفِهِ ، وَعَجَزَ عَنْ
تَأْلِيفِهِ ؛ مَفْعُولٌ وَهُوَ مَرْفُوعٌ ، مَحْمُولٌ وَهُوَ مَوْضُوعٌ ، مَبْنِيٌّ يَدْخُلُهُ الْإِغْرَابُ ،
مَرْفُوعٌ وَهُوَ بَاقٍ عَلَى الْإِنْتِصَابِ ، يَقْبَلُ التَّصْغِيرَ وَالتَّكْبِيرَ ، وَفِيهِ التَّأْنِيثُ

(١) العجز مضمّن من قول عمران بن حطان : [شعر الخوارج ٢٦]
إِنِّي لِأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
(٢) فِي س ، م : جَبَرْتَنَا . . .
(٣) « وَقْتُ » سَاقِطَةٌ مِنْ م .
(٤) النَّصُّ فِي الْوَاقِعِ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْغَيْثِ الْمَسْجُومِ ٢١٩ . وَعِبَارَةٌ « هُوَ إِلَيَّ أَيْضًا » مِنْ م .

والتذكير ، لا يصح فيه معنى العطف ، ولا يدخله من الحركات إلا الوقف ، لا يستعمل إلا في النداء ، ولا يُعرب إلا وهو باقٍ على البناء ؛ وفيه نوعان من أدوات الشرط والجزاء ، له هيئة إلى التبصرة مُفْتَقَرَةٌ ، وشكلُ خطوطه في الهندسيات مُعْتَبَرَةٌ ، وأضلاعُ قامت في البسيط على كُرَّة ، وزوايا قائمة حدثت على مُنْفَرَجَةٍ ، ومعانٍ دَقِيقَةٌ زادت على دَرَجَةٍ ، والفقهاء يرى أنه مُحَرَّمُ الابتِيع ، ويُندب إلى المُنَاداة عليه بشرطِ الابتِيع ، مع أنه عينٌ طاهرةٌ يصحُّ بها الانْتِفاع ؛ كم صَلَّى خَلْفَ إمام ، واقتدي به وهو أمام ، حيناً يوجد في الشام ، وحيناً في بيت الله الحرام ، وحيناً تراه قائماً في ظلام الليل والناس نيام ؛ والعروضي [٥٢ ب] يعلم أنه بيتٌ برع حسناً ، واستقام وزناً ، ونظم على البسيط وهو طويل ، وزُكِبَ من سببين خفيفٍ وثقيلٍ ، ينزجف بحذفِ فاصلةٍ صُغْرَى^(١) ، ويتغيّر وزنه فترى فيه كسراً ، خُمُساءَ حَرْفٍ من الحروف^(٢) ، وبَعْضُهُ في بَعْضِهِ يطوف ، وإن حُذِفَ أَوَّلُهُ فَباقِيهِ بَلَدٌ معروف^(٣) ، ومع ذلك فكلُّ حَرْفٍ منه ساكنٌ يصحُّ عليه الوقوف ، وفيه أعمالٌ أَفْصَرَتْ عنها ، واختَصَرَتْ منها ، خِيفَةُ المَلَلِ ، وتَخْفِيفُ في العَمَلِ ، وقد قَصَدْتُ بَيانَ الجَوَابِ ، ورَصَدْتُ إِحْسَانَ الجَنَابِ ، والله الموفقُ إن شاء الله تعالى (للصواب) .

● فكتبُ أنا إليه^(٤) : [من البسيط]

وإن صَخْرًا لتأتُم الهداة به كأنه عَلمٌ في رأسِه ناز^(٥)

(١) في س : فاصلة كبرى . خطأ .

(٢) يريد : إذ .

(٣) يريد : أذنة .

(٤) النص في الوافي حتى نهاية الأبيات الأربعة الآتية .

(٥) البيت للخنساء ، في ديوانها ٣٨٦ .

لَحِيقٌ بأن يَصِفَهُ مولانا وَصَفَ الخَنساء ، ويُعَدُّدُ محاسنَهُ التي أَرَبَتْ كَثْرَتُهَا على رَمْلَةِ الوَعساء ، ويستغرق أوصافُهُ التي استوعَبَ في سَرْدِهَا ، ويركض في مَيَادِينِ البَلَاغَةِ على مُطَهَّماتِ نُعُوتهِ وَجُزْدِهَا ، حتَّى أَبْدَعَ في مقاصِدِهِ التي وَقَفَ لها كُلُّ سائلٍ ، وقال فلم يترك مَقَالاً لِقَائِلٍ ، وفتح باباً ليس للناس عليه طاقة ، وأصبح في التَقَدُّمِ لِعِصَابَةِ الأدبِ رَأْساً والناس ساقَةً ، لا جَرَمَ أَنَّ هذا المُلغَزَ فيه ، قال بعضُ واصفيه^(١) : [من الخفيف]

عَلِمَ مُفْرَدٌ فَإِنْ رَفَعُوهُ رَفَعُوهُ قَصْداً لِأَجْلِ النَّدَاءِ
أَنَّهُ وَمِنْهُ قَدْ عُرِفَ التَّذْكِيرُ فَاَنْظُرْ تَنَاقُضَ الْأَشْيَاءِ
وأما المملوكُ فإنه يقول فيه : إنه صاحبُ الرِّباطِ والزَّاويَةِ ، والمقام الذي يُعَالُ لِقَاعِدَتِهِ : الجَبَلُ يا سارية ، والقِسْمَةُ التي هي على صِحَّةِ الاختلافِ مُساوِيَةٌ ، كم في الزوايا من خَبِيَّةٍ خَبِيَّةٍ ؟ وكم عُلقَ عليه ذُرِّيَّةٌ من الكواكبِ الدُّرِّيَّةِ ؟ كم رأى النَّاسُ في قِيامِهِ من قَاعِدَةٍ ، وكم لَشهادَتِهِ من كَلِمَةٍ إلى العَرْشِ صَاعِدَةٍ ؟ وكم تُلِيَتْ على الصَّحْنِ مِنْهُ آيَةٌ من المائدةِ ؟ يكادُ مَنْ عَلَاهُ يُسامِرُ التُّجُومَ في الدُّجْنَةِ ، ويُزَفَى كُلَّ حينٍ وليس به في النَّاسِ جَنَّةٌ ؛ هِلَالُهُ لا يَزِيدُ ولا يَنْقُصُ في الطَّرَفِ ، وراقِيهِ يَعْبُدُ اللهَ على حَرْفٍ ، قد حَسَنَ مِنْهُ عَكْسُهُ الْمُصَحَّفُ ، وعَظُمَ قَدْرُهُ في البناءِ فلا يَدْعُ إِذَا تَشَرَّفَ ؛ عَجِبَ العَرُوضِيُّ من بَحْرِهِ الطَّوِيلِ الوافر^(٢) ، وَوَقَفَ على ساقٍ واحدةٍ ، وكم كان له من حافرٍ ، واستقامَ خَطُّهُ وفيهِ الدَّائِرُ ، وشاهدنا القَرْنَصَةَ فيه وهو غَيْرُ طائرٍ ، وأقامَ مَكَانَهُ وَنداءُهُ لِسائِرِ المُسلمين سائِرٌ ؛ يُجِيبُ نِداءَهُ المُلُوكُ والمَلائِكُ ، ويُرَى من يعلوه وهو مُتَكَيِّئٌ على الأرائِكِ^(٣) : [من الطويل]

(١) البيتان من قطعة لابن خلكان ، في الغيث المسجوم ٢١٩/٢ .

(٢) في ب : من بسطة الطويل الوافر . وفي م : من بحره الطويل الزاخر .

(٣) الثالث والرابع من الأبيات في الغيث المسجوم ٢١٩/٢ .

إِذَا مَا أَطْمَأْنَنْتُ دُونَهُ الشُّخْبُ إِنَّهُ لَهُ هِمَّةٌ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّأْهِيا
وَحَسْبُكَ أَنَّ الْقَائِمِينَ بِحَقِّهِ يَحْزُونَ فِي الدَّارَيْنِ مِنْهُ الْمَعَالِيا
شَهَادَتُهُ مَا رَدَّهَا غَيْرُ كَافِرٍ وَيَقْبَلُهَا مَنْ كَانَ بِالْحَقِّ قَاضِيا
يَقُولُ مُعَانِي الطَّبِّ يَا عَجَباً لَهُ يَصْخُ وَقَدْ ضَمَّتْ حَشَاهُ الْمَرَاقِيا
التَّقَطَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مِمَّا غَادَرَهُ سَيْلُ مَوْلَانَا الْمُجْتَحِفُ ،
وَتَذَكَّرَهَا مِنْ قَوَائِدِهِ الَّتِي مَا يَزَالُ يَخْتَفِلُ بِهَا إِذْ يَلْتَحِفُ ، فَإِنْ صَادَفَتْ مَحَلًّا مِنْ
خَاطِرِهِ فَقَدْ تَرَقَّى إِلَى مَا تَرَقَّبَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَوْقِعٌ فَأَيْنَ كَلَامُ مَوْلَانَا ، وَهُوَ
الدُّرُّ الَّذِي تَنْظُمُ ، مِنْ كَلَامِ الْمَمْلُوكِ وَهُوَ الْجَزْغُ الَّذِي لَمْ يُقَبِّبْ^(١) .

وَلَمَّا وَصَلَ فَلَانَ الدِّينَ ، أَوْفَقَ الْمَمْلُوكُ [١٥٣] عَلَى هَذَا اللَّغْزِ الَّذِي أَنْشَأَهُ
مَوْلَانَا ، فَأَنْشَأَ لَهُ الطَّرَبَ ، وَأَخَذَتْ لَهُ الْعَجَبَ ، وَتَأَمَّلَ تِلْكَ الْمَقَاصِدَ الَّتِي
قَصَدَهَا وَوَرَّاهَا ، وَأَخْفَى مَأْخَذَهَا وَعَمَّاهَا ، فَوَجَدَهَا مَسَالِكَ لَا يَهْتَدِي مِنْهَا
الْبِزْبُوعُ لِإِنْفِقَائِهِ ، وَقَالَ : كَذَا يَكُونُ سُلُوكُ الْأَدَبِ الَّذِي طَالَ عَهْدُ الزَّمَانِ بِهِ
وَبِأَنْبَائِهِ ؛ وَالزَّمَّ الْمَمْلُوكُ الْمَوْلَى فَلَانَ الدِّينِ بِالْجَوَابِ ، فَاسْتَعْفَى مِنْ هَذَا
الْمَقَامِ الَّذِي تَرَلَّى فِيهِ أَقْدَامُ التَّخَيُّلِ ، وَيَعْمَى الصَّوَابُ فِيهِ عَنْ طَرِيقِ التَّخَيُّلِ ، فَمَا
أَقَالَهُ مِنْ هَذِهِ الْوَرِظَةِ ، وَقَالَ : أُرِيدُ الْجَوَابَ وَشَرْطُهُ ؛ فَأَخَذَ الْمَمْلُوكُ عَلَى
مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْهَمُومِ الَّتِي تَغْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ ، وَتَنَاقُلَ الْقَلَمَ ، وَالْقَلْبُ فِي ضَيْقِ
أَنْبُوبِهِ ، وَالْوَرَقَ وَالْحَالَ أَرْقَ مِنْ طَرَسِهِ ، وَالْمِدَادُ وَالْوُجُودُ فِي عَيْنِهِ أَشَدَّ سَوَاداً
مِنْ جَبْرِهِ ؛ وَكَتَبَ وَقَدْ أَعْجَبَهُ طَيْنُ رَأْسِهِ ، وَسَوَدَ وَجْهَ حَظِّهِ بِخَطِّهِ لَا صَفْحَةَ
قُرْطَاسِهِ ، وَقَدْ عَطَفَهَا عَلَيْهِ وَارَاؤُهُ الْعَالِيَةُ فِي كَيْتَمَانِ سِرِّهِ مِنْ مَسَاوِيهِ ، وَالْوُقُوفِ
عَلَيْهِ إِنْ كَانَ هَذَا الْقَدْرُ يُسَاوِيهِ .

(١) من قول امرئ القيس : [ديوانه ٥٣]

كَأَنَّ عَيْونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خَبَائِثِهَا وَأَرْحَلُنَا الْجَزْغُ الَّذِي لَمْ يُقَبِّبْ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ طَبْرِئَةٍ ، وَنَحْنُ بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ ٧٢٠^(١) : [من الكامل]

وَلَقَدْ نَزَلْنَا الْبَحْرَ مِنْ طَبْرِئَةٍ وَقُلُوبُنَا مِنْ شَوْقِهَا تَنْصَرَّمُ
وَكَمَا عَلِمْتَ لِكُلِّ بَحْرِ سَاحِلٍ وَالْمَوْجُ يَنْزِلُ فِي قَفَاهُ وَيَلْطِمُ
وَاللُّجُ عَبَسَ وَجْهَهُ مِنْ مَوْجِهِ غَيْظاً وَفِي حَافَاتِهِ يَنْبَسِمُ
وَحَبَابُ ذَاكَ الْمَوْجِ تَحْسَبُ أَنَّهُ دُرٌّ تُبْتُ عَلَى الْمِيَاهِ وَتُنْظَمُ
وَالْبَذْرُ قَدْ كَتَبَتْ أَشِعَّةَ نُورِهِ سَطِراً عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ يُنْزَجُمُ
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ مِنْ سَوَسَنِ يَجْرِي بِهَا لِلتَّبْرِ نَهْرٌ مُنْعَمُ
وَكَأَنَّمَا شَرَرَّ حَوَاهُ دُخَانُهُ لَمَّا تَرَاءَتْ فِي حَشَاهُ الْأَنْجُمُ
مَا شَاقْنَا إِلَّا مُحَيَّاكَ الَّذِي أَبْدَأَ بِهِ ظَلَمُ الدُّجَى تَنْصَرَّمُ
فَنَفْسُنَا تَشْقَى لِبُعْدِكَ وَخَشَةَ وَجَوَى وَلَكِنَّ الْعُيُونَ تَنْعَمُ
وَالْأَنْسُ بَعْدَكَ وَخَشَةَ فَقَدْ اغْتَدَى وَجْهَ الْمَسَرَّةِ كَالِحاً يَنْجَهَّمُ
مَا كُنْتُ أَذْرِي أَنَّ قُرْبَكَ جَنَّةُ الْـ مَأْوَى وَأَنَّ الْبُعْدَ عَنْكَ جَهَنَّمُ
حَتَّى ازْتَحَلْتُ وَفِي الْحَشَا مَا فِي الْحَشَا وَالْوَجْدُ أَقْتَلُ وَالتَّصَبُّرُ أَرْحَمُ
لَا تَسْأَلَا عَنْ حَالَتِي وَصَبَابَتِي اللَّهُ وَالشُّوقُ الْمُبْرَحُ أَعْلَمُ^(٢)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ حَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ ٧٥٣ : [من الطويل]

تَرَقَّى إِلَى الْعَلِيَاءِ مَنْ لَيْسَ أَهْلُهَا وَلَوْ حَصَلَ الْإِنْصَافُ نِلْتُ أَجَلَهَا
تَرَقُّوا بِقُرْطِ الْجَهْلِ وَالْمَالِ فِي الْعُلَا إِلَى رُتَبٍ كَانَتْ مُنَاهِمُ أَقْلَهَا
بُلِيَّتُ مِنَ الْإِيَّامِ فِيمَا أَرُومُهُ بِطَائِفَةٍ قَدْ رَكَّبَ الْمَالُ جَهْلَهَا
وَقَدْ أَصْبَحُوا بَيْنَ الْبَرَايَا أَعَزَّهَا وَكَانُوا قَدِماً قَبْلَ ذَاكَ أَذْلَهَا

(١) في م : سنة خمس وعشرين وسبع مئة !

(٢) في ب ، م : لا تسألن

صُرُوفُ اللَّيَالِي قَدْ تَصَاعَفَ جَوْرُهَا
أَرْجِي بُلُوغَ الْقَصْدِ مِنْ رُتَبِ الْعُلَا
لَعَلَّ لَهَا عُدْرًا عَنْ الْغَدْرِ بِي وَلِي
وَلِي عُقْدَةٌ فِي الرِّزْقِ أُحْكِمَ عَقْدُهَا
أَعَالِجُ فِيهَا كُلَّ وَفَتٍ فَتَلْتَوِي
وَمَا جَادَ شِعْرُ ابْنِ الْحُسَيْنِ لِأَنَّهُ
هِيَ النَّفْسُ لَا تَرْضَى بِعَيْشٍ مُنْغَصٍ
فَأَصْدَرْتُهَا عَنْ مَوْرِدِ الْحِزْصِ وَالْعَنَا
[٥٣ ب] أَصَوِّغُ مِنَ الذَّرِّ النَّفِيسِ قَصَائِدًا
إِذَا أُنْشِدَتْ فِي مَخْفَلٍ قَالَ أَهْلُهُ
وَلَوْ فَهَمُّوا حُسْنَ الْبَدِيعِ الَّذِي بِهَا
تُعَابُ بِقُرْبِ الْعَهْدِ لَوْ أَنَّ عَهْدَهَا
وَبِي غَادَةٌ كَالْغُضَنِ أَوْرَاقُ شَعْرِهَا
تَرَامِي عَلَى أَقْدَامِهَا مُشْتَقًّا
حَوَاجِبُهَا مِثْلُ الْقَيْسِيِّ إِذَا رَنَتْ
وَحْضَرُ دَقِيقُ أَثْقَلَتْهُ رَوَادِفُ
فَقُلْتُ لِقُضْبِ الْبَابِ : مَا أَنْتِ قَدْهَا
مِنَ التُّرْكِ ضَاقَتْ عَيْنُهَا بِوَصَالِهَا
إِذَا مَا أَحَسَّ الْقَلْبُ مِنْهَا بِسَلْوَةٍ
تَجَنَّتْ عَلَى ضَعْفِي وَأَبْدَتْ مَلَالَةً

أَمَّا حَلَّهَا أَنْ يَبْسُطَ الدَّهْرُ عَذْلَهَا
إِذَا لَمْ يَنْتَلِ مِثْلِي الْمَعَالِي فَمَنْ لَهَا
مِنْ اللَّهِ أَلْطَافٌ تَهَوُّنُ فِعْلَهَا
بِغَيْرِ الرِّضَا وَالصَّبْرِ لَمْ أَرِ حَلَّهَا
عَلَيَّ وَأَمَالِي تَقُولُ : لَعَلَّهَا
فَصِيحٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَفْتَحُ اللَّهُهَا^(١)
وَتَأْتُفُ مِنْ أَنْ تَقْتَضِيَ الْحَالُ ذُلَّهَا
وَأَوْرَدْتُهَا حَزْنَ الْأُمُورِ وَسَهْلَهَا
وَأَيْنَ الَّذِي فِي النَّاسِ يَعْرِفُ فَضْلَهَا
جَوَاهِرُهَا فِي الْحُسْنِ لَمْ نَرِ مِثْلَهَا
أَقْرُوا وَقَالُوا : مَا سَمِعْنَا قَبْلَهَا
قَدِيمٌ لَكَانَتْ تُفْجِمُ الْعُرْبَ كُلَّهَا
عَلَى عِطْفِهَا قَدْ أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَّهَا^(٢)
إِلَيْهَا بِهَا فِي مُغْرَمٍ رَامَ وَضْلَهَا
لَوَاحِظُهَا تَزْمِي إِلَى الْقَلْبِ تَبْلَهَا
إِذَا مَا مَسَتْ يَسْتَعْظِمُ الْخَضِرُ حَمْلَهَا
وَأَزْدَافُهَا : يَا حِقْفُ مَا أَنْتِ حَمْلَهَا
تَضَائِقُهَا بِالْوَصْلِ أَوْجَبَ بُخْلَهَا
تَشَفَّعَ بِالْوَدِّ الصَّحِيحِ فَسَلَّهَا
فَقُلْتُ وَقَدْ قَبَّلْتُ إِذَا ذَاكَ رِجْلَهَا

(١) ابن الحسين : أحمد بن الحسين المنيبي .

(٢) في ب : ولي غادة

أَتَرْضَيْنَ أَنْ أَقْضِيَ ؟ وَكَانَ جَوَابُهَا :
إِذَا اجْتَهَدَ السُّوَامُ فِي بَعْدْلِهِمْ
وَإِنْ أَظْلَمْتُ سُبُلَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
خَلِيلِي خَلِيلٌ لَسْتُ أَنْسَى وِدَادَهُ
تَغَافَلَ عَنْ وَدِّي وَأَهْمَلَ جَانِبِي
لَقَدْ أَوْحَشْتُ دَارِي لِئُعِدَّ مَزَارِهِ
فَهَلْ يُمَكِّنُ الدَّهْرُ الْخَوُونَ اجْتِمَاعَنَا
أَلَيْسَ لِهَذَا الْبُعْدِ مِنْكَ نِهَآيَةٌ
مُحِبٌّ عَلَى صِدْقِ الْوِدَادِ مُحَافِظٌ
عَلَيْكَ سَلَامِي مِثْلَمَا هَبَّتِ الصَّبَا

إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ أُمُّ قَشْعَمَ رَحْلَهَا
تَصَامَمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْمَعُ عَذْلَهَا
وَجَدْتُ صِلَاحَ الدِّينِ يُوضِحُ سُبُلَهَا
وَلِي نَفْسٌ حُرٌّ قَطُّ لَمْ تَنْسَ خِلَّهَا
بِتَأْخِيرِ كُتُبٍ لِي وَأَعَشَقَ وَضْلَهَا
وَأَنْسَ دَارًا بَعْدَ ذَلِكَ حَلَّهَا
بِجَلْقٍ أَوْ أَنِّي أَهْلُ مَحَلَّهَا
فَأَرْصُدُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ مَحَلَّهَا
وَصُحْبَتُهُ قَدْ أَبْرَمَ الدَّهْرُ حَبْلَهَا
عَلَى الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ تَنْفُضُ طَلَّهَا

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ الَّتِي مَا بَرَحَ يَسْتَأْفُهَا ، وَالْيَدَ الشَّرِيفَةَ الَّتِي مِنْهَا فِي الْأَعْنَاقِ
أَطَوَاقُهَا ، وَيَتَشَوَّفُ إِلَى مُشَاهَدَةِ طَلْعَتِهِ الْكَرِيمَةِ فَقَدْ أَلَمَهُ فِرَاقُهَا .

وَيُنْهِي بَعْدَ أَدْعِيَةٍ يَسْخُ فِي أَفْلَاكِ الْقَبُولِ نِطَاقُهَا ، أَنَّ أَمِثْلَةَ مَوْلَانَا الْعَالِيَةِ قَدْ
تَنَحَّرَتْ عَنِ الْمَمْلُوكِ أَوْرَاقُهَا ، وَمُنِعَ عَنْهُ إِطْلَاقُهَا ، وَكَانَ يَجِدُ بِهَا مَسْرَّةً يَمْتَدُّ
رِوَاقُهَا ، وَنَشْوَةٌ تُشْرِقُ بِهَا مَشَارِقُ الْقُلُوبِ وَأَفَاقُهَا ، وَلَذَّةٌ لَوْ اخْمَرَتْ طُرُوسُهَا
حَصَلَ لَهَا فِعْلُ الْمُدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا ، فَأَرْسَلَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَدْعَاةً لِمَوَدَّتِهِ ،
وَتَذْكَارًا بِمَا سَبَقَ مِنْ صُحْبَتِهِ ؛ وَهُوَ يَسْأَلُ دَوَامَ الْإِحْسَانِ فِي الْإِتْحَافِ بِأَمِثْلَتِهِ ،
وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي عُلُوِّ مَرَاتِبِهِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [مِن الطويل]

مُشْرِفَةٌ أَلْفَحْتَنِي مِنْكَ ظِلَّهَا وَبَرَدَتْ قَلْبِي حِينَ أَهْدَيْتَ طَلَّهَا
وَأَعْلَيْتَ قَدْرِي حِينَ أَعْلَيْتَ قِيَمَتِي بِلَامِيَّةٍ قَالَ الْجَمَالُ : تَمَلَّهَا
فَلَمْ أَلَقَ مَا بَيْنَ الْحَدَائِقِ شِبْهَهَا وَلَمْ أَرِ مَا بَيْنَ الْكَوَكِبِ مِثْلَهَا

مُخَدَّرَةٌ وَأَفَتْ عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي
مُهَذَّبَةٌ جَاءَتْ فَجَادَتْ تَكْرُمًا
كَأَنِّي قَيْسٌ وَهِيَ لَيْلَى مَلَاخَةٌ
فَأَكْرِمُ بِهَا مِنْ بِنْتٍ فِكْرٍ تَبَرَّجَتْ
وَزَارَتْ بِإِحْسَانٍ وَقَدْ زَارَتْ بِهَا
وَلَمَّا أَنْتَ نَحْوِي سَجَذْتُ وَلَمْ أَطْلُ
فِيَا حُسْنَهَا مِنْ غَادَةٍ قَدْ تَنَازَلَتْ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا جُودُ مُرْسِلِهَا أَرَى
أَتَنِّي وَمَا أَبْقَى لِي الشَّوْقُ مُهْجَةً
فَقَدْ عَسَلْتُ بِاللَّدْمِ أَذْرَانَ وَجَنَّتِي
وَكَانَتْ بِأَحْشَائِي بَقَايَا تَصْبِرُ
فَأَلَزَمْتُ نَفْسِي بِالْجَوَابِ فَلَمْ يَجْزُ
وَأَيْنَ مَدَى قَدْرِي فَإِنْ شِئْتَ قُلْ لَهَا
وَخَيْلِي مَا تَجْرِي بِمِيدَانٍ رَكُضِهَا
وَجَزَعُ قَرِيضِي مَا يُقَاسُ بِدُرِّهَا
لَئِنْ عُلِقْتُ لِلْجَاهِلِيِّ قَصِيدَةٌ
وَلَكِنَّهَا رَضَتْ فُؤَادِي إِذْ شَكَّتْ
وَقَدْ يَضِيرُ الْحُرُّ الْكَرِيمُ عَلَى الْأَذَى
فَإِنْ تَمَهَّلْ إِنْ أَصَابَتْكَ مِخْنَةٌ
عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ غَضَبَةٌ
وَلِي فِيكَ أَمَالٌ قَضَى لِي تَقَرُّسِي

بِإِدْرَاكِهَا تَسْمُو الْخَلَائِقَ كُلَّهَا
عَلَى مُغْرَمٍ مَا زَالَ يَغْهَدُ فَضْلَهَا
رَأَى ذَلَّهَا يَوْمًا فَرَاخَ مُدْلَهَا
وَرُقَّتْ إِلَى مَنْ لَيْسَ تَرْضَاهُ بَعْلَهَا
[١٥٤] أَسْوَدُكَ فَاسْتَجَلَى الضِّيَا وَاسْتَجَلَّهَا (١)
إِلَى تَاجِهَا ذُلًّا فَقَبَّلَتْ نَعْلَهَا
إِلَيَّ وَإِنْ كَانَ السَّمَاءُ مَحَلَّهَا
عَيْونِي أَهْلًا أَنْ تُقَارِبَ وَضْلَهَا
أَعْلَلَهَا بِالْقُرْبِ حَتَّى أَبْلَهَا
وَقَدْ نَفَضْتُ عَيْنِي مِنَ الدَّمْعِ كُلَّهَا
فَمَدَّ إِلَيْهَا الدَّهْرُ كَفًّا وَسَلَّهَا
لَهَا أَنْ تُعَانِي أَوْ تُعَارِضَ جَزْلَهَا
فَكُثْرِي عِنْدِي مَا يُقَاوِمُ قُلَّهَا
كَذَا يَاسْمِينِي مَا يُوَازِنُ رَطْلَهَا
كَذَلِكَ خَلِّي مَا يُشَابِهَ بَقْلَهَا
فَقَدْ عَلَقْتُ هَذِي عَلَى النَّاسِ قُلَّهَا
صُرُوفَ زَمَانٍ مَا يَرَى الْحُرُّ حَمْلَهَا
إِذَا شِدَّةٌ حَلَّتْ وَبِالْصَّبْرِ حَلَّهَا
فَإِنَّكَ جَرَّعْتَ الْأَعَادِي مُهْلَهَا
فَكَمْ قَدْ عَلَا فِيهَا امْرُؤٌ كَانَ سُفْلَهَا
بِصَدَقِ ظُنُونٍ فِيكَ أَنْ لَا أَمَلَهَا

(١) في أ: . . . وقد رزأت بها × ! وفي م: وراحت بإكرام . . . × .

وَالَا فَهَوْنٌ مَا تَرَاهُ مِنَ الْأَذَى
فَهَلْ نَاصِرٌ تَلْقَاهُ أَوْ هَلْ مُسَاعِدٌ
قَدْ اسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ مِنْهَا عَلَى الْهُدَى
وَكَيْفَ يَجُودُ النَّظْمُ وَالْبُخْلُ قَدْ فَشَا
أَمْوَلَايَ لَا تَجَزَعُ فَإِنَّكَ فَارِسُ الْ
سَتَبْلُغُ مَا أَمَلْتَ يَا مَنْ صِفَاتُهُ
وَيَا مَنْ غَدَتْ أَفْلَامُهُ سَمَهْرِيَّةٌ
نَشَرْتَ لَطِيَّ بِالْمَحَامِدِ بُزْدَةً
وَزِدْتَ بَنِي رِيَّانَ رِيًّا تَضَوَّعَتْ
وَفُقَّتْ بِمَا قَدْ نَلْتَهُ مِنْ فَصَاحَةٍ
فَقَدْ دُسْتُ دَوْسًا حِينَ غَالَبْتَ تَغْلِبًا
فَلَا بُدَّ أَنْ تَحْظَى بِقُرْبِكَ جَلْقٌ
فَأَنْتَ فَرِيدٌ فِي اللَّيَالِي تَهَنَّاهَا

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وُرُودَ الْمِثَالِ الْعَالِي ، أَعْلَاهُ اللَّهُ وَأَجَلُهُ ، وَوَضَعَهُ
تَاجًا عَلَى فَرْقِ الْفَرْقِدِ وَأَحْلَهُ ، فَوْقَ لُورُودِهِ ، وَحَلَّى أُذُنَهُ وَجِيدَهُ بِشُفْهِهِ
وَعُقُودِهِ ، وَانْتَشَقَ مِنْ آثَارِ أَنَامِلِ مَوْلَانَا أَرْجَ بَانَ الْجَمِيِّ وَزُرُودِهِ ، وَقَبَّلَ شِفَاهَ
سُطُورِهِ (٤) الَّتِي لَعَسَهَا مِدَادٌ ، وَغَارَلَ مَعَانِيهِ الَّتِي لَمَّا تَمَلَّأَ بِهَا مَلَأَتْ مَحَاجِرَهُ
بِالشُّهَادِ ، وَقَابَلَ مِنْهَا مُحِبًّا مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ تِمَامُهُ ، وَبِيَاضِ طُرْسٍ مِنْ أَيْنَ لِلصُّبْحِ
ضِيَاؤُهُ ، وَسَوَادِ نَفْسٍ مِنْ أَيْنَ لِلَّيْلِ ظِلَامُهُ ، وَسِحْرِ أَلْفَاظٍ مِنْ أَيْنَ لِلدُّرِّ قِيَمَتُهُ أَوْ

(١) في أ، م: × فأبعدها في حقّه

(٢) أزلها: ضيبتها .

(٣) في ب، س، م: × شملها .

(٤) في م: طروسه .

لِلْعَقْدِ انْتِظَامُهُ^(١) : [من الخفيف]

قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرٍ فِي نِظَامٍ وَدُّهَا أَنَّهَا بِفِيكَ كَلَامٍ
وَحَاوَلَ الْمَمْلُوكُ الْجَوَابَ فَجَاءَتْ هَذِهِ الْعَوَائِقُ الَّتِي مَا اخْتَسِبْتُ ،
وَالْحَوَادِثُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ كَيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَإِنَّ [هـ ٥٤ ب] لِكُلِّ نَفْسٍ فِيهِ مَا كَسَبَتْ
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ .

يَا مَوْلَانَا ، هَذِهِ مَصَائِبُ طَمَتْ وَعَمَتْ ، وَصَرَّحَتْ بِالشَّرِّ وَمَا عَمَتْ ،
وَقَيَّدَتْ لِيُنْهَا الْأَهْوَالَ وَرَمَتْ ، وَدَعَتْ الْجَفْلَى إِلَى مَادِبِهَا ، وَأَصَمَّ الْمَسَامِعَ نَعْيٍ
نَوَادِبِهَا ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، قَوْلٌ مِنْ ضَاقَتْ بِهِ حِيلَتُهُ ،
وَاتَّسَعَتْ عَلَيْهِ بِالْهُمُومِ لَيْلَتُهُ^(٢) : [من البسيط]

قَدْ كَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظَنَّ شَرًّا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ
وَنَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى فِي حُسْنِ الْخَاتِمَةِ ، وَفَجَّرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ الْعَانِيَةَ ، فَقَدْ بَلَغَتْ
الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ ، وَحَزَّتِ الْغَلَاصِمُ بِالْخَنَاجِرِ ، وَكَسَرَتْ بَرَانِي الصَّبْرَ ، وَحَسَدَ
مَنْ امْتَطَى ظَهَرَ الْأَرْضِ لِمَنْ اسْتَكَنَّ فِي جَوَانِحِ الْقَبْرِ ، وَهَذِهِ رَزَايَا شُمُوسُ
التَّثَبُّتِ بِهَا كَاسِفَةٌ ، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨] .

اللَّهُمَّ اكْشِفْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَنِ الْبَرِّيَّةِ ، وَلَقِ الثُّفُوسَ الظَّالِمَةَ وَوَقِّ الْبَرِّيَّةَ ،
وَأَجِرْنَا عَلَى عَادَةِ أَجْرِنَا ، وَعَجِّلْ فَكَّ أَسْرِنَا بِأَسْرِنَا ؛ إِنَّكَ بِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ ،
وَعَلَى كَشْفِ هَذِهِ الْأَوَاءِ قَدِيرٌ .

ويعودُ الْمَمْلُوكُ إِلَى ذِكْرِ الْجَوَابِ ، فَقَدْ أَثَابَ الْحَصَا عَنْ الْمُرْجَانِ ،

(١) البيت للمنتبهي ، في ديوانه ١٠٠/٤ .

(٢) البيت لابن المعتز ، في وفيات الأعيان ٧٨/٣ . وهو مما أهمله محقق ديوانه ، ينظر ٢٥١/٢
[الحاشية رقم ١]

وَجَارَى مَعَ ضَيْقِ دَائِرَتِهِ مَنْ لَهُ الْبَلَاغَةُ وَالْفَصَاحَةُ مُرْجَانٌ ، لَكِنَّهُ وَثِقَ بِجِلْمِ مَوْلَانَا
وَعَفْوِهِ ، وَبِمَا حَازَهُ مِنْ صِفَاتِهِ الرَّائِقَةِ اللَّائِقَةِ وَصَفْوِهِ^(١) : [من البسيط]
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا شِئْتُ غَيْرَ مُخْتَشِمٍ
وَاللَّهُ يُدِيمُ فَوَائِدَ مَوْلَانَا لِأَهْلِ الْأَدَبِ ، وَيَجْعَلُ بَابَهُ كَعْبَةٍ يَنْسِلُونَ إِلَيْهَا مِنْ
كُلِّ حَدَبٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٣١ * الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْكَافِي^(٢) :

الإمامُ الْفَاضِلُ ، أَقْضَى الْقَضَاةَ ، جَمَالَ الدِّينِ بْنِ مَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيَّ
الدِّينِ ، الشُّبْكِيِّ ، الشَّافِعِيِّ ، نَائِبُ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ^(٣) : [من الكامل]

عِنْدِي جَمَالُ الدِّينِ مَسْأَلَةٌ غَدَا تَبَيَّنَتْهَا فِيمَا لَدَيْكَ مُحَرَّرَا
إِذْ أَنْتَ مِنْ بَيْتٍ جَمِيعٌ بَيْنَهُ قَدْ فَازُوا بِمَا حَازُوا وَقَدْ سَادُوا الْوَرَى
إِنْ جَاوَدُوا أَلْفَيْتُهُمْ صَوْبَ الْحَيَا أَوْ جَادَلُوا أَبْصَرْتَهُمْ أَسَدَ الشَّرَى^(٤)
فَاطْلَعَ بِأَفْقِ الْفَضْلِ شَمْسًا أَشْرَقَتْ لَا تَرْضَى أَنَّكَ فِيهِ بَدْرٌ أَسْفَرَا
وَأَعِذْ جَوَابِي عَنْ سُؤَالِي إِنَّهُ لَكَ وَاضِحٌ إِنْ رُخْتَ فِيهِ مُفَكَّرَا

(١) البيت ثاني اثنين لمحمد بن كناسة ، أوله : [الإعجاز والإيجاز ٢١٨] .

فِي انْقِبَاضٍ وَجْهٌ مُشْمَةٌ فَإِذَا لَقِيتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
(٢) ترجمته في : المعجم المختص ٨٨ وأعيان العصر ٢٧٣/٢ وذيول العبر ٢٩٩ ووفيات ابن رافع
٣٢٤/٢ والبداية والنهاية ٥٦٣/١٨ وطبقات السبكي ٤١١/٩ وتذكرة النبيه ١٨٦/٣ وتعريف ذوي
العلا ٩٧ والمقفى الكبير ٦١٨/٣ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٦٧/٢ والذوق للكامنة ٦٢/٢ والمنهل
الصافي ١٦٦/٥ والدليل الشافي ٢٧٥/١ والذيل التام ١٤٠/١ والدارس ٢٣٩/١ وحسن المحاضرة
٣٧٦/١ وشذرات الذهب ٣٠٤/٨ .

- مولده سنة ٧٢٢ هـ . ووفاته سنة ٧٥٥ هـ .

(٣) القصيدة في أعيان العصر ، وبعضها في طبقات السبكي .

(٤) في م : x . . . أَلْفَيْتُهُمْ أَسَدَ الشَّرَى .

فَكَزَتْ وَالْقُرْآنُ فِيهِ عَجَائِبُ
فِي ﴿ هَلْ أَقَّ ﴾ لَمْ ذَا أَنَا شَاكِرَا
فَالشُّكْرُ فَاعِلُهُ أَتَى فِي قِلَّةِ
فَعَلَامَ مَا جَاءَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ
لَكِنَّهَا حِكْمٌ يَرَاهَا كُلُّ ذِي
فَأَبْنَاهُ لَا زَلَّتِ الْجَوَادُ بِفَضْلِهِ
بَهَرَتْ لِمَنْ أَمْسَى لَهُ مَتَدَبَّرَا
حَتَّى إِذَا قَالَ ﴿ الْكُفُورُ ﴾ تَغَيَّرَا
وَالْكُفْرُ فَاعِلُهُ أَتَى مُتَكَثِّرَا
إِنَّ التَّوَاظُنَ فِي الْبَدِيعِ تَقَرَّرَا
لُبٌّ وَمَا كَانَتْ حَدِيثاً مُفْتَرَى
لِمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ لِإِشْكَالِ طَرَا

● فكتب الجواب إليّ عن ذلك سريعاً^(١) [من الكامل]

قَبْلْتُ أَسْطَرَ فَاذِلَّ بِهِرَ الْوَرَى
قَدْ نَالَ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ رُتْبَةً
وَأَرَادَ مِنِّي حَلَّ مُشْكَلَةٍ غَدَا
وَجَوَابُهُ أَنَّ الْكُفُورَ وَلَوْ أَتَى
بِخِلَافٍ مَن شَكَرَ الْإِلَهَ فَإِنَّهُ
فَإِذَنْ مُرَاعَاةَ التَّوَاظُنِ هَا هُنَا
[١٥٥] فَاصْفَحْ فَعَجَزِي عَنْ جَوَابِكَ ظَاهِرٌ
مِمَّا لَدَيْهِ عَجَائِبُ لَنْ تُحْصَرَا
عَنْهَا غَدَا عَبْدُ الرَّحِيمِ مُقْصَرَا^(٢)
تِيَانُهَا عِنْدِي كَصُبْحِ أَسْفَرَا
بِقِلِيلٍ كُفْرٍ كَانَ ذَاكَ تَكْثُرَا
بِكَثِيرٍ شُكْرٍ لَا يَعْدُ مُكْثُرَا
مَحْظُورَةٌ لِمَنْ اهْتَدَى وَتَفَكَّرَا
كَظُهُورِ مَا بَيْنَ الثَّرَيَا وَالثَّرَى

● وكتب هو إليّ أيضاً مُلَغِزاً^(٣) : [من البسيط]

يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ عِلْمًا وَالْغَمَامُ نَدَى
أَشْكُو إِلَيْكَ حَبِيبًا قَدْ كَلَفْتُ بِهِ
خُمْسَاءَ قَدْ أَصْبَحَا فِي زِيٍّ عَارِضِهِ
لَا رَيْبَ فِيهِ وَفِيهِ الرَّيْبُ أَجْمَعُ
وَمَنْ بِهِ أَضْحَتِ الْإِيَّامُ مُفْتَحِرَةً
مُورَدَ الْخَدِّ سُبْحَانَ الَّذِي فَطَرَهُ
وَفِيهِ بِأَسْنٍ شَدِيدٌ قَلٌّ مَن قَهَرَهُ
وَفِيهِ يُيَسُّ وَلَيْسَ الْبَانَةُ النُّصْرَةُ

وَفِيهِ كُلُّ الْوَرَى لَمَّا تُصَحَّفُهُ
وَضِيْعَةُ بِلَادِ الشَّامِ مُشْتَهَرَةٌ
وَفِيهِ سِرٌّ لَطِيفٌ لَا أَبُوحُ بِهِ
فَافْهَمُهُ يَا مَنْ زَكَتْ أَنْفَاسُهُ الْعَطَرَةُ
وَقَدْ ذَكَرْتُ اسْمَهُ فِي غَيْرِ تَوْرِيَةٍ
تَبَيَّنُ كَالْبَذْرِ وَالظَّلْمَاءِ مُعْتَكِرَةٌ
دَامَتْ مَعَالِيكَ يَا أَزْكَى الْوَرَى نَسْبًا
وَمَنْ لَهُ طُرُقٌ لِلْمَجْدِ مُخْتَصِرَةٌ

● فكتب أنا الجواب ، وهو في « ريباس »^(١) .

٣٢ * الحسين بن علي بن أبي بكر محمد^(٢) :

الْعَدْلُ الْفَاضِلُ ، الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ بْنِ تَاجِ الدِّينِ ، الْمَوْصِلِيُّ ، الْحَنْبَلِيُّ ،
شَيْخُ الْحَدِيثِ بِالْعَسَاكِرِيَّةِ^(٣) ، بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مُلَغِزاً^(٤) : [من الطويل]

وَمَا اسْمٌ إِذَا فَكَزَتْ فِيهِ وَجَدْتُهُ
يَحُلُّ بِتَضْجِيفٍ مَحَلًّا مُسْتَرَا^(٥)
بَدِيعُ فِعَالٍ لَيْسَ يُدْرِكُ صُنْعُهَا
إِذَا فَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِيهِ تَحْيَرَا
وَيُزْرِي بِهِ مَعْكُوسُهُ مُطْلَقًا فَلِنْ
أَتَى فِيهِ تَضْجِيفٌ فَلَا تَسْأَلِ الْقِرَى^(٦)

(١) في هامش أ : لم نجد الجواب في نسخة تلميذ المصنف . قلت : واللغز بلا جواب شعري في أعيان العصر . والرَّيباس : نبت ينفع الحصى والجذري والطاعون . (القاموس) .

(٢) ترجمته في : أعيان العصر ٢٧٧/٢ والذِّر الكامنة ٥٩/٢ والمقصد الأرشد ٣٤٦/١ والمنهج الأحمد ١٠٩/٥ وشذرات الذهب ٣٢١/٨ .

- مولده سنة ٦٩٠ هـ . ووفاته سنة ٧٥٩ هـ .

- في س : الحسين بن علي بن أبي بكر موسى ! .

(٣) بدل هذه العبارة في س : أحد عُدول المسمارية . قلت : والعبارة صحيحة ، كما في مصادر ترجمته . فالمدرسة المسمارية : قبلي القيمرية الكبرى داخل دمشق ، بالقرب من مئذنة فيروز ؛ وافقها الشيخ مسمار - وقيل : الحسن بن مسمار - الحوراني . (الدارس ١١٤/٢) . والعساكرية : أراها دار الحديث النورية ، التي بناها السلطان نور الدين الشهيد للحافظ ابن عساكر . (الدارس ٩٩/١) .

(٤) القطعة في أعيان العصر .

(٥) يحل : تصحيف نخل .

(٦) معكوسه : لحن . وتصحيفه : بُخْل .

(١) القصيدة في أعيان العصر ، وبعضها في طبقات السبكي .

(٢) عبد الرحيم : هو القاضي الفاضل .

(٣) خمسة منها في أعيان العصر والذِّر الكامنة وشذرات الذهب ، وبيتان في المقفى الكبير .

فَتَصْخِيفُهُ مِنْهُ دَقِيقٌ وَبَعْضُهُ
وَأِنْ صُحِّفَ التَّصْخِيفُ مِنْ عَيْنِ فِعْلِهِ
وَقَدْ جَمَعَ الضَّدَّيْنِ نَفْعاً وَضِدَّهُ
وَقَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ آيٌ بِذِكْرِهِ
وَجُمْلَتُهُ فِي اللَّيْلِ يُمَكِّنُ حَضْرَهَا

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ ، وهو في « نحل » (٤) : [من الطويل]

قَرِئُصُكَ فِينَا قَدْ عَدَا شَامِخَ الدَّرَى
تَعَوَّضْ عَلَى الْمَعْنَى الْحَفِيَّ بِفِكْرَةٍ
أَحَاشِيكَ مِنْ عَكْسِ الَّذِي قَدْ أَرَدْتَهُ
وَحَاشَاكَ مِنْ تَصْخِيفِهِ فَهُوَ خُلَّةٌ
فَلَا زِلْتَ تُهْدِي لِلْأَنَامِ بَدَائِعاً

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضاً مُلْفِزاً (٨) : [من السريع]

وَصَاحِبٍ مُسْتَحْسَنٍ فِعْلُهُ
فَقِيَ وَلَكِنْ سِنُّهُ رُبَّمَا
لَيْسَ لَهُ ثِقْلٌ عَلَى صَاحِبٍ
زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الْغَالِبِ (٩)

- (١) الدَّقِيقُ : نَحِيلٌ . وَالْقَصِيرُ : نَجِيلٌ . وَالْمَتَجَبِّرُ : نَخِيلٌ .
- (٢) الْمُحْبُوبُ : نَجِيلٌ .
- (٣) الضَّدَّانِ : عَسَلٌ وَلَسَعٌ .
- (٤) الْآيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .
- (٥) عَكْسُهُ : لَحْنٌ .
- (٦) تَصْخِيفُهُ : يُخَلُّ .
- (٧) فِي هَامِشِ أَرْوَايَةِ أُخْرَى :
- فَلَا زِلْتَ تُهْدِي لِلْأَنَامِ آيَادِيَا × مِنْ اللَّطْفِ
- (٨) الْآيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالذَّرَرُ الْكَامِنَةُ .
- (٩) فِي م : . . . سَنَّهُ فِي الْوَرَى × .

قُلْتُ وَقَدْ قَالُوا : أَبْنِ مَا اسْمُهُ
« ظَنَنْتُمْ » تَصْخِيفَ مَعْكَوسِهِ
لِيُعْلِمَ الشَّاهِدُ لِلْغَائِبِ
يَخْفَى وَلَيْسَ الظَّنُّ بِالْكَاذِبِ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ ، وهو في « مشط » (١) : [من السريع]

أَفْدِي بِهِاءَ الدِّينِ مِنْ فَاضِلٍ
أَلْغَزَ فِي شَيْءٍ غَدَا حَمْلُهُ
تَرَاهُ لَا تَضَحَكَ أَسْنَانُهُ
كَمْ غَاصَ فِي لَيْلِ شَبَابٍ وَكَمْ
فِي النَّظْمِ لَمْ يَخْرُجْ عَنِ الْوَاجِبِ
عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ فِي الْغَالِبِ
يَا حُسْنَهُ مِنْ أَصْفَرِ شَاحِبٍ
قَدْ لَاحَ فِي صُبْحٍ مِنَ الشَّايِبِ

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضاً مُلْفِزاً (١) : [من مجزوء الرجز]

وَصَاحِبٍ بِكَرَمٍ
يَجُودُ بِالنَّفْعِ عَلَى
وَلَيْسَ يُكْسَى حُلَّةً
وَلَا يَزَالُ عَارِيَا
وَعَكْسُهُ مُصَحَّفَاً
يَنْعَتُهُ مَنْ وَصَفَهُ (٢)
مَنْ دَهَرَهُ مَا عَرَفَهُ
إِلَّا بِهَِا قَدْ أَتَحَفَهُ
وَبَزَدَهُ قَدْ أَنْحَفَهُ
تَقْبِيلُ ثَغْرِ بِشَفَهُ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ ، وهو في « ميل » (١) : [من مجزوء الرجز]

[هه ب] هَذَا بِهِاءَ الدِّينِ لَا
أَلْغَزَ فِي شَيْءٍ حَكَى
وَفِيهِ مِنْ ذَاكَ الَّذِي
بَطُولِ شِبْرِ رَأْسُهُ
إِنْ غَاصَ فِي شِقِّ فَمَا
يَزَالُ يُبْدِي طَرَفَهُ
مِنْ كُلِّ قَدْ هَيَفَهُ
حُوشِيَّتَهُ بَعْضُ الصَّفَةِ
أَمْلَسُ رَابِي الْهَدَفَةِ
يُيْلُ إِلَّا طَرَفَهُ

- (١) الْآيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .
- (٢) فِي م : وَصَاحِبٍ مَكْرَمٍ × .

● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ مُلَغِزاً فِي « دَرَهَم » : [من مجزوء الرجز]

يَا فَاضِلاً لَا يَفْتُرُ عَنْهُ الشَّاءُ الْمُعْطَرُ
وَطِرْزُسُهُ مُوَفَّرُ عَلَى رِيَاضِ تَزْهَرُ
وَلَفْظُهُ الْمُجَوَّهَرُ بِهِ الزَّمَانُ يَفْخَرُ
مَا مُفَرَّدٌ مُذْكَرُ وَصَرَفُهُ لَا يَنْكَرُ
مُرَبَّعٌ مُدَوَّرُ كَالْبَذْرِ لَمَّا يَتَلَدُّ
مَنْ حَارَهُ مُسْتَبْشِرُ وَفِيهِ هَمْ يُبْصَرُ
وَدُوهُ لَا يَنْشُرُ كَلَامُهُ مُفَسَّرُ
مُؤَرَّخٌ مُسَطَّرُ يَنْنُهُ فَهُوَ يُسْفَرُ
وَالْوَجْهُ مِنْهُ نَيْرُ

لَا زِلْتَ غَيْثاً يُنْطَرُ صَوَابُهُ فَيُشْكَرُ
مَا دَامَ وَزُقَ تَهْدِيرُ وَصَوْنُهُ يَكْرُرُ

● فَكُتِبَ الْجَوَابُ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ : [من مجزوء الرجز]

يَا مَنْ بِهِ أَفْتَحِرُ مَعِ أَنْتَنِي أَعْتَزِرُ
لَأَنْتَنِي مُقَصِّرُ وَلَسْتُ مَعِ ذَا أَقْدِرُ
عَنْ فَضْلِهِ أَعْجِرُ لَهُ الشَّاءُ الْعَطِرُ
فِيهِ الْبَيَانُ يُخْصَرُ وَاللَّفْظُ مِنْهُ جَوْهَرُ
كَحْطِهِ إِذْ يَسْطَرُ مَاذَا يَقُولُ الْمُكْثِرُ
سُؤَالُهُ الْمُجَبَّرُ مَا مُفَرَّدٌ مُذْكَرُ
وَصَرَفُهُ لَا يَنْكَرُ جَوَابُهُ مُحَرَّرُ
فَجَمْعُهُ مُكَسَّرُ لِكُنْهُ قَدْ يَعْسُرُ
مَنْ حَارَهُ يَسْتَكْبِرُ وَفِيهِ هَمْ يُبْصَرُ

لَا بِهِجَاءٍ يُذْكَرُ وَدُوهُ لَا يَنْشُرُ
خَفِيفٌ وَزِنْ يَكْسَرُ وَوَجْهُهُ مُدَوَّرُ
أَبْيَضٌ حِينَ يُسْفَرُ نَعَمٌ وَفِيهِ أَسْطَرُ
كَلَامُهُ مُفَسَّرُ لِمَنْ قَرَاهُ يَظْهَرُ
وَعَكْسُهُ الْمُعْتَبَرُ بِهِ أُمُورٌ تَبْدُرُ
ضَارِبُهُ وَالْمُظْهِرُ عَبْدُ الْمَلِكِ الْأَبْخَرُ
وَأَفْتَكُ مِنْهُ بِلَدَرُ وَتَابَعْتُهَُا بِبِلَدَرُ
وَلَا زَمْتُكَ الشَّيْرُ وَزَالَ عَنْكَ الْخَلْدَرُ
وَلَا بَرِخْتُ تَنْصَرُ

٣٣ * الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُصَدِّقٍ ^(١) :

الشيخ الإمام، شرف الدين، أبو عبد الله، الشيباني، الواسطي، الصوفي.

● أَنَشِدَنِي لِنَفْسِهِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، سَنَةِ ٧٢٨ ^(٢) : [من الطويل]

وَأَخَوَرُ أَخَوِي فَاتِنِ الطَّرْفِ فَاتِرِ مَسِيرُ بُدُورِ التَّمِّ مِنْ دُونِ سَيْرِهِ
إِذَا جِئْتُ أَشْكُو طَرْفَهُ قَالَ قَدُهُ : « وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بَغِيرِهِ » ^(٣)

● فَأَنَشِدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي فِي مَلِيحِ نَائِمٍ ^(٤) : [من الطويل]

سَبَانِي خَدٌّ مِنْ فَتَى كَانَ نَائِماً فَقَالَ عَذُولُ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ :
« وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بَغِيرِهِ »

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢٧٢/٢ والوافي بالوفيات ٢٤/١٣ والذَررُ الكامنة ٦٤/٢ .

- مولده سنة ٦٦٠ هـ ! [كذا عند ابن حجر] ولم يذكر أحد تاريخ وفاته .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي والذَررُ الكامنة .

(٣) العجز مضمّن من قول ابن نباتة السعدي : [وفيات الأعيان ١٩٣/٣]

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بَغِيرِهِ تنوعت الأسباب والداء واحد

(٤) البيتان في أعيان العصر والحسن الصريح ٥٥ و ٣٩ .

● وَأَشْدُّهُ أَنَا لِنَفْسِي فِي مَلِيحٍ يُقَابِلُ كِتَابًا^(١) : [من الرجز]

قَابَلْتُ كُتُبًا مَعَ حَبِيبٍ هَاجِرٍ فَسَرَّ قَلْبًا كَادَ أَنْ يَفْنَى وَلَهُ
فَقُلْتُ : يَا وَارِثَ قَلْبِي فِي الْهَوَى جَمَعْتَ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ

● فَأَشْدَّنِي هُوَ لِنَفْسِهِ^(٢) : [من الرجز]

قَابَلَنِي الْمَحْبُوبُ يَوْمًا وَعَدَا يَمْنَحُنِي جَمَالَهُ وَنَائِلَهُ
قُلْتُ لَهُ : يَا سَيِّدِي جَبَزْتَنِي فَهَلْ أَرَى مِنْ بَعْدِهَا مُوَاصِلَهُ
فَقَالَ لِي : هَذَا الَّذِي فَعَلْتُهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ

٣٤ * الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٣) بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُظَفَّرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَوْكَلَانِيِّ^(٤) بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ بْنِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ بْنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ ابْنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ^(٥) عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

السَّيِّدُ الْإِمَامُ ، الْبَلِغُ ، الْمُنْشِئُ ، الشَّرِيفُ ، [٥٦] شِهَابُ الدِّينِ ، مُوقَّعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالْقَاهِرَةِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَكَاتِبُ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِحُلْبِ الْمُحْرُوسَةِ .

(١) البيتان في أعيان العصر والحسن الصريح ٥٥ و ٣٩ .

(٢) الآيات في أعيان العصر والذعر الكامنة .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٢٨٣/٢ والوافي بالوفيات ٥١/١٣ ودرر العقود الفريدة ٤٧/٢ والذعر الكامنة ٦٦/٢ ووفيات ابن رافع ٣٧٠/١ ولحظ الألفاظ ٣١ والنجوم الزاهرة ١٠/١١ والمنهل الصافي ١٦٩/٥ والدليل الشافي ٢٧٦/١ والبدر الطالع ٢٢٨/١ .

- مولده سنة ٦٩٨ هـ . ووفاته سنة ٧٦٢ هـ .

- في أ ، م : الحسين بن علي . . . ! .

(٤) ضبط المؤلف هذه النسبة في الأعيان بقوله : بالعين المهملة المفتوحة ، والواو الساكنة ، وبعدها كاف مفتوحة ، ولام ألف ، ونون ، وباء النسبة .

(٥) في أ : بن علي ! .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الرَّحْبَةِ الْمُحْرُوسَةِ ، سَنَةِ ٧٢٩^(١) : [من الخفيف]

مَا لِقَلْبِي عَنْ حُبِّكُمْ قَطُّ سَلَوَةٌ كُلُّ حَالٍ مِنْكُمْ لَدَى الصَّبِّ حُلُوهُ
إِنْ بَخَلْتُمْ - حَاشَاكُمْ - بِوَفَاءٍ أَوْ تُتَّكِمَ بَعْدَ التَّعَطُّفِ قَسْوَةٌ
فَلَكُمْ قَدْ قَضَى وَمَا نَقَضَ الْعَهْدُ سَدَ مُحِبٍّ وَلِي بِذَلِكَ أَسْوَةٌ
يَا ابْنَ بِنْتِ النَّبِيِّ قُلْ لِي وَقَوْلِي يَا ابْنَ بِنْتِ النَّبِيِّ أَفْضَلُ دَعْوَةٌ
هَلْ بَدَا فِي الْوَفَاءِ مِنِّي نَقْصٌ أَوْ جَرَى فِي الْحِفَاطِ مِنِّي هَفْوَةٌ
فَعَلَامَ الْإِعْرَاضِ وَالصَّدِّ عَمَّنْ لَمْ يَجِدْ فِي سِوَى مَعَالِيكَ صَبْوَةٌ
كَيْفَ أَتَسَى سَاعَاتٍ وَضَلَّ تَقْصُصُ وَبِعِطْفِي مِنْهَا بِقِيَّةٍ نَشْوَةٌ
مَا خَلَّتْ خُلُوهٌ وَلَمْ أَلْقَ فِيهَا مِنْ عَذَارَى حَدِيثِكَ الْعَذَبِ جُلُوهُ
حَيْثُ لِي مِنْ فُنُونِ نَظْمِكَ وَالتُّدَّ رِ مَتَى مَا أَرَدْتُ كَاسَاتِ قَهْوَةٍ
وَمَعَانٍ كَالْحُورِ زَفَّ حُلَاهَا مُنْطِقُ تَشَخُّصِ الْأَفَاضِلِ نَحْوَةٍ
كَانَ فِي مِصْرٍ لِي بِقُرْبِكَ أَنْسٌ عَنْ أَنَاسٍ لَهُمْ عَنِ الْخَيْرِ نَبْوَةٌ
وَأَرَى رَقَّةَ الْحَوَاشِي الَّتِي عِنْدَ لَدَكَ تُغْنِي عَمَّنْ عَدَا فِيهِ جَفْوَةٌ
وَإِذَا مَا أَتَيْتُ أَلْفَيْتُ صَدْرًا مِنْكَ لِي فِي حِمَاهُ حَظٌّ وَحُظْوَةٌ
وَاقْتَعَدْتَ الْفَخَارَ بَيْنَ الْبَرَايَا وَتَسَنَّمْتَ فِي السِّيَادَةِ ذُرْوَةٌ
وَأَرَى أَنَّ لِي إِذَا زُرْتُ أَرْضًا أَنْتَ فِيهَا الشَّارِفُ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ
كَيْفَ لَا وَالْوَلَاءُ فِي قَوْمِكَ الْغُرُ رِ أَرَاهُ فِي الدُّبْنِ أَوْثَقَ عُزْوَةٍ
مُنِيَّيْ أَنْ أَرَى حِمَاكَ بَعِيْنِي لَا أَرَاكَ الْجَمِيَّ وَلَا دَارَ عَلْوَةٍ
أَهْ لَوْ تَنْصِفُ اللَّيَالِي إِذَا مَا حَكَمْتَ بِالْبِعَادِ مِنْ غَيْرِ عُنْوَةٍ
أَوْ لَوَانَ الْفِرَاقَ يَقْبَلُ مِنِّي فِي اقْتِرَابِ الدِّيَارِ مِنْ مِصْرَ رِشْوَةٍ^(٢)

(١) القصيدة في أعيان العصر والوافي بالوفيات ؛ والنص الشري لم يرد فيهما .

(٢) في أ : أو لوان الفراق . . . ! .

يَا زَمَانًا بِمَضَرٍ وَلَّى حَمِيدًا هَلْ يُجِيبُ الْإِلَٰهَ لِي فِيكَ دَعْوَةَ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي - بَعْدَ وَلائِهِ الَّذِي تَنْطِقُ بِهِ مَخَايِلُهُ ، وَتَشْهَدُ لَهُ
دَلَالَتُهُ ، وَيَحْمِلُ لَوَاءَهُ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ حَامِلُهُ ، وَوَفَائِهِ الَّذِي يَصْحَبُهُ إِلَى
وَفَائِهِ ، وَيَرِفُّ عَلَى رُفَاتِهِ ، وَتَشِفُّ عَنْ صَفَاءِ صِفَاتِهِ فِي سَمَاءِ سِمَاتِهِ ، وَثَنَائِهِ
الَّذِي تَسَمَّتِ الرِّيَاضُ بِهِ فِي أَسْحَارِهِ ، وَتَبَسَّمَتْ مِنْ حَدِيثِهِ تُغَوِّرُ أَزْهَارِهِ ،
وَتَنْظُمَتْ أَسْجَاعُ ذِكْرِهِ فِي تَغْرِيدِ أَطْيَارِهَا - أَنَّهُ قَدْ شَغَلَهُ أَلَمُ الْإِغْرَاضِ عَنْ أَلَمِ
الشُّوقِ ، وَضَاقَتْ الرَّحْبَةُ بِفَضَائِلِهَا ، عَلَى أَنَّهُ لَا رَحْبَةَ لِابْنِ طَوْقٍ ، وَتَحَرَّرَ
بِالْمُكَاتَبَةِ إِلَى مَوْلَانَا ، فَجَاءَ بِطُوفَانٍ هَجَرَهُ مِنْ فَوْقٍ ، وَتَطَلَّبَ الْأَعْذَارَ فِي تَرْكِ
الْجَوَابِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا فِي النَّفْسِ ذَوْبٌ قَبُولٍ وَلَا ذَوْقٌ ؛ عَلَى أَنَّ الْمَمْلُوكَ فَارِقَ
مَوْلَانَا وَمَا صَفَّ لَهُ جَفَاءً ، وَلَا جَفَّ لَهُ صَفَاءً ، وَلَا تَوَسَّسَ مِنْ عَوَاطِفِهِ رَذِيٍّ^(١)
رَذً ، وَلَا سَمِعَ مِنْ عَوَارِفِهِ صَدِيٍّ صَدً^(٢) : [من الطويل]

وإنَّ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَزْنَ أَلُوفُ
وَقَدْ جَهَّزَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةَ ، وَهِيَ لِعَوَاطِفِهِ مُتَطَلِّبَةٌ مُتَطَلَّعَةٌ ، مُتَضَرِّمَةٌ
الْأَحْشَاءِ مُتَضَرِّعَةٌ ، مُتَجَرِّدَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ كَانَتْ لِعُصْصِهَا مُتَجَرِّعَةٌ ؛ وَمَا
أَجْدَرَ مَكَارِمَ مَوْلَانَا أَنْ يُجِيبَ سُؤَالَهَا وَيُجِيدَ ، وَيُعِينَ نَوَالَهَا وَيُعِيدَ ، وَيُقَيِّتَ
وَبَالَهَا وَيُقَيِّدَ^(٣) : [من الطويل]

[٥٦ ب] وَإِنْ كَانَ ذَنْبٌ عَنْ أَوْ تَكَ هَفْوَةٌ عَلَى خَطَأٍ مِنِّي فَعُذْرِي عَلَى عَمْدٍ
وَاللَّهُ لَا يَعْطِفُ عَنْ وَلِيِّهِ عَطْفَهُ ، وَلَا يَصْرِفُ عَنْ صَفِيَّتِهِ لُطْفَهُ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ^(١) : [من الخفيف]

أَنْسَيْمُ الصَّبَا عَلَى الرَّوْضِ غُدْوَةً أَنْسَيْمُ الصَّبَا عَلَى الرَّوْضِ غُدْوَةً
وَسَرَى لُطْفُهَا إِلَى الدَّوْحِ فَازَتْهَا وَسَرَى لُطْفُهَا إِلَى الدَّوْحِ فَازَتْهَا
أَمْ سَقِطُ النَّدَى عَلَى الْوَرْدِ كَالْيَا أَمْ سَقِطُ النَّدَى عَلَى الْوَرْدِ كَالْيَا
أَمْ تَشْنِي الْعُصُونِ فِي حُلْلِ الزَّهْدِ أَمْ تَشْنِي الْعُصُونِ فِي حُلْلِ الزَّهْدِ
أَمْ مَسِيلُ الْمِيَاهِ بَيْنَ رِيَاضٍ أَمْ مَسِيلُ الْحَمَامِ غَرْدَ فِي الْبَا
أَمْ نُجُومُ السَّمَاءِ زُهْرٌ أَمْ الْبَدُ أَمْ نُجُومُ السَّمَاءِ زُهْرٌ أَمْ الْبَدُ
أَمْ وَصَالُ الْحَبِيبِ بَعْدَ صُدُودٍ أَمْ وَصَالُ الْحَبِيبِ بَعْدَ صُدُودٍ
أَمْ بَشِيرُ الْأَمَانِ مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ أَمْ بَشِيرُ الْأَمَانِ مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ
أَمْ حَدِيثُ الْعُذْيَبِ يَغْدُبُ فِي أَمْ حَدِيثُ الْعُذْيَبِ يَغْدُبُ فِي
أَمْ كِتَابٌ قَدْ جَاءَنِي مِنْ خَلِيلٍ أَمْ كِتَابٌ قَدْ جَاءَنِي مِنْ خَلِيلٍ
رَخْبٌ بَاعَ لِرَحْبَةِ الشَّامِ وَافَى رَخْبٌ بَاعَ لِرَحْبَةِ الشَّامِ وَافَى
سَامِقٌ فَوْقَ هَضْبَةِ الْمَجْدِ وَالْعِزِّ سَامِقٌ فَوْقَ هَضْبَةِ الْمَجْدِ وَالْعِزِّ
نَاطِمٌ نَائِرٌ بَلِيغٌ بَدِيعٌ نَاطِمٌ نَائِرٌ بَلِيغٌ بَدِيعٌ
خَيْثُمَا حَلَّ فِي الْمَمَالِكِ حَلَّى خَيْثُمَا حَلَّ فِي الْمَمَالِكِ حَلَّى
بَعْدَ حَوْلَيْنِ قَدْ أَتَانِي فَأَهْلًا بَعْدَ حَوْلَيْنِ قَدْ أَتَانِي فَأَهْلًا
وَعَنَانِي مِنْ بُعْدِ دَارٍ وَلَكِنْ وَعَنَانِي مِنْ بُعْدِ دَارٍ وَلَكِنْ
وَأَرَادُوا خُمُولَ ذِكْرِي فَعَارُوا وَأَرَادُوا خُمُولَ ذِكْرِي فَعَارُوا
سَحَبَتْ ذَيْلَهَا عَلَى كُلِّ رُبُوءَةٍ سَحَبَتْ ذَيْلَهَا عَلَى كُلِّ رُبُوءَةٍ
حَ فَكَمْ رَنَحَتْ مَعَاطِفَ سَرْوَةٍ حَ فَكَمْ رَنَحَتْ مَعَاطِفَ سَرْوَةٍ
قُوتٍ إِذْ يَجْعَلُ اللَّالِيَّ حَشْوَةً قُوتٍ إِذْ يَجْعَلُ اللَّالِيَّ حَشْوَةً
رِ سَقَاها السَّحَابُ كَاسَاتِ قَهْوَةٍ رِ سَقَاها السَّحَابُ كَاسَاتِ قَهْوَةٍ
بُنْضَارِ الْأَصِيلِ أَمْسَتْ ثَمْوَةً بُنْضَارِ الْأَصِيلِ أَمْسَتْ ثَمْوَةً
نِ وَأَضْحَى بِهِ يُرْجِعُ شَدْوَةً نِ وَأَضْحَى بِهِ يُرْجِعُ شَدْوَةً
رُ مُنِيرٌ أَمْ مُشْرِقُ الشَّمْسِ ضُخْوَةً رُ مُنِيرٌ أَمْ مُشْرِقُ الشَّمْسِ ضُخْوَةً
فَآتَى ذَا لِيَذَا فَاسْرَعَ مَحْوَةً فَآتَى ذَا لِيَذَا فَاسْرَعَ مَحْوَةً
لِخَلِيعِ رَأَى الرَّيِّعَ وَزَهْوَةً لِخَلِيعِ رَأَى الرَّيِّعَ وَزَهْوَةً
كُلُّ لَهَاةٍ لِمَنْ تَذَكَّرَ لَهْوَةً كُلُّ لَهَاةٍ لِمَنْ تَذَكَّرَ لَهْوَةً
بَارِعِ فَالْخَلِيلُ لَمْ يَنْحُ نَحْوَةً بَارِعِ فَالْخَلِيلُ لَمْ يَنْحُ نَحْوَةً
ذَا وَفَاءٍ وَعَفْوَةٍ وَقُتْوَةً ذَا وَفَاءٍ وَعَفْوَةٍ وَقُتْوَةً
زِ سَبُوقٌ لَمْ يُذْرِكِ النَّاسُ شَأْوَةً زِ سَبُوقٌ لَمْ يُذْرِكِ النَّاسُ شَأْوَةً
مَاهِرٌ بَاهِرٌ الْمَقَالَةَ أَفْوَةً^(٢) مَاهِرٌ بَاهِرٌ الْمَقَالَةَ أَفْوَةً^(٢)
وَعَدَا وَإِرْدَا مِنْ الْحَمْدِ صَفْوَةً وَعَدَا وَإِرْدَا مِنْ الْحَمْدِ صَفْوَةً
وَحَبَانِي عَذْبَ الْكَلَامِ وَحُلْوَةً وَحَبَانِي عَذْبَ الْكَلَامِ وَحُلْوَةً
عَصْبَتُهُ أَيْدِي الْحَوَاسِدِ عُنْوَةً عَصْبَتُهُ أَيْدِي الْحَوَاسِدِ عُنْوَةً
مِنْهُ لَمَّا أَعْلَى بِذِكْرِي وَنَوَةً مِنْهُ لَمَّا أَعْلَى بِذِكْرِي وَنَوَةً

(١) القصيدة بتمامها في الروافي ، وتقص أبياتاً في أعيان العصر ؛ وأربعة من أوائلها في الدرر الكامنة ، وقال : وهي نحو السبعين بيتاً .

(٢) في م : . . . بديعٌ بليغٌ × .

(١) الرَّذِي : الضعيف . (القاموس) . وفي م : ولا توهم من عواطفه . . .

(٢) البيت للمنتبي ، في ديوانه ٢٩٢/٢ .

(٣) البيت لأبي تمام ، في ديوانه ١١٧/٢ .

حَجَبُوهُ عَنِّي فَأَظْهَرَهُ اللَّهُ
قُمْتُ لِلَّهِ شَاكِرًا ثُمَّ حَلَيْدُ
غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ فِيهِ عِتَابًا
قَالَ : إِنِّي بَخِلْتُ بِالْوُدِّ ؛ كَلَّا
وَرَمَى أَشْهُمًا تَمَزَّقَ ثَوْبُ الصَّبْرِ
إِلْزَمَ الذَّنْبَ قَبْلَ ذَنْبٍ فَأَنْصِفْ
لَمْ يَكُنْ شَأْنِي الصَّدُودُ بِلا جُرْ
لَيْسَ مِثْلِي مِمَّنْ يَحُولُ عَنِ الْوُدِّ
كَيْفَ يَهْفُو ثَبِيرُ حِلْمِكَ يَا ذَا الدِّ
أَذْكَرْتَنِي أَيْبَاتِكَ الْغُرَّ أَيْبَا
سَابِقٌ قَدْ هَدَى إِلَى التُّنْجِ قَضِي
وَمَعَ الْبُعْدِ كَانَ يُذْنِي لِي اللَّطْفُ
كَانَ لِي وَالِدًا وَبَرًّا شَفِوقًا
منها :

يَا صَلاَحَ الدِّينِ الْبَلِيغِ نِظَامًا
لَا تَلْمَنِي عَلَى تَأَخُّرِ كُتُبِي
كُنْتُ فِي شِدَّةٍ وَقَدْ فَرَّجَ اللَّهُ
وَنَسِيتُ الصُّنَاعَتَيْنِ لِأَنِّي
يَرْجِعُ الْحِظُّ الْفَهْقَرَى فَإِذَا مَا
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ مَضَى الْهَمُّ إِذْ مَرَّ
[٥٧] وَأَعَادِي ظُلْمًا وَأَفْهَرُ مِمَّنْ
والذي مِنْ إِنْشَائِهِ لِي نَشْوَةٌ
إِذْ أَتَلَّتُ بِحَدِّ ذَهْنِي نَبْوَةٌ
وَنَجَّى فَصَرْتُ مِنْهَا بَنَجْوَةٌ
حُجَجٌ قَدْ مَضَتْ وَلَمْ أَلْقِ حُظْوَةٌ
رُمْتُ أَنْ يَمْشِيَ عَاجِلَتُهُ كَبْوَةٌ
رَمَاءٌ أَرَى الْمَسَاءَةَ غَدْوَةٌ
مَهْلِي لِلْفَخَارِ يَسْبِقُ عَدْوَةٌ^(١)

(١) سقط البيت من س .

أَنَا سَبِطُ النَّبِيِّ وَابْنُ عَلِيٍّ شَرَفٌ شَامِخٌ لَأَرْفَعَ ذُرْوَةً
وَإِذَا مَا اعْتَزَانِي الدَّهْرُ بِالْعُدِّ وَإِنْ أَمْسَكْتُ مِنْهُمَا أَيْ عَزْوَةً
وَكَانَتْ تِسْعَةً وَسِتِّينَ بَيْتًا ، وَهَذَا الْقَدْرُ الَّذِي أَتَيْتُهُ^(١) مِنْهَا كَافٍ .

● وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ مِنْ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ أَهْنُهُ بِالذُّخُولِ إِلَى الدَّسْتِ الشَّرِيفِ ،
وَقَدْ رُسِمَ لَهُ بِالتَّوْقِيعِ بَيْنَ يَدَيِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ شَعْبَانَ^(٢) ، خَلَدَ اللَّهُ
مُلْكُهُ ، فِي سَنَةِ ٧٤٦ : [من الطويل]

أَيَا فَخَرَ مُلْكٍ أَنْتَ فِيهِ تُوَقَّعُ وَيَا عَزَّ دَسْتٍ فِيهِ لَنْظُكَ يُسْمَعُ
وَيَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا بِمَجْدٍ تُشِيدُهُ وَتَنْصُبُ رَايَاتِ الطُّرُوسِ وَتَرْفَعُ
فَأَقْسِمُ مَا الْأَقْلَامُ غَيْرَ أَسِنَّةٍ بِكَفِّكَ فِي نَحْرِ الْمُحَارِبِ تُشْرِعُ^(٣)
غَدَا الْمُلْكُ مِنْهَا فِي غِنَى عَنْ قَوَاضِي تَجَرَّدُ سَمًّا لِلْأَعَادِي تُجَرِّعُ
وَتُوَلِّي النَّدَى مَنْ أَخْلَصَ الْوُدَّ قَلْبُهُ وَتَوَقَّعُ بِالْأَعْدَاءِ لَمَّا تُوَقَّعُ
وَكَمْ أَطْرَبَتْ أَسْمَاعُنَا بِبَيَانِهَا فَهَلْ هِيَ فِي الْأَوْرَاقِ وَزَقَاءُ تَسْجَعُ
وَلَيْسَتْ سَطُورٌ فِي طُرُوسٍ تَخْطُهَا وَلَكِنْ كُؤُوسٌ لِلْسَّلَافِ تُشْعِشِعُ
فَمَا أَنْتَ إِلَّا لِلْعَدُوِّ مُشَرَّدٌ وَمَا أَنْتَ إِلَّا فِي الْبَيَانِ مُشْرِعُ^(٤)
وَلَفْظُكَ بِالسَّخْرِ الْحَلَالِ مُقْنَدٌ وَطِرْسُكَ فِي بُرْدِ الْبَيَانِ مُقْنَعُ
وَإِنْ قُلْتَ بَيْتًا فِي الْقَرِيضِ مُصَرَّعًا فَمَا هُوَ إِلَّا بِاللَّالِي مُرَصَّعُ
وَإِنْ كُنْتَ فِي حَفْلٍ فَمَا يَسْعُ الْوَرَى سَوَى أَنْ تُوَالِيَ الْقَوْلَ وَالنَّاسُ تَسْمَعُ
فِيَا سَعْدَ مَنْ يُلْقَى لَدَيْكَ رِدَاءُهُ وَيَلْقَظُ دُرَّ الْقَوْلِ مِنْكَ وَيَجْمَعُ

(١) « الَّذِي أَتَيْتُهُ » مِنْ س .

(٢) ترجمة الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون ، فِي الْوَافِي بِالْوُفَايَاتِ ١٥٣/١٦ وَفِيهِ مَصَادِرُ
تَرْجُمَتِهِ .

(٣) فِي ب : × . . . تَسْرِعُ .

(٤) فِي ب : × . . . إِلَّا لِلْبَيَانِ . . .

وَبَا فَوْزَ عَيْنٍ لَحَظْتَكَ فَأَصْبَحْتَ
وَلِنْ وَطَّئْتَ رِجْلَكَ صَهْوَةً مَنِيرٍ
فَلَا قَلْبَ إِلَّا وَهُوَ بِالنَّارِ يَلْتَظِي
وَلِنْ كَانَ فِي الْأَقْوَامِ رَبُّ فَضِيلَةٍ
فَمَا لِعُيُونِ الزَّهْرِ عِنْدَكَ مَطْمَعُ
مُحَيَّاكَ بَدْرُ الْجَمَالِ مُنَوَّرُ
وعافيتك بالإحسان فيك مَرْوُحُ
كَأَنَّ نُجُومَ الزَّهْرِ فِي الْأَفْقِ أَغْنِي
كَذَا يَا أَبْنَ بِنْتِ الْمُصْطَفَى فَلَتَكَ الْعُلَا
فَقُلْ لِلْمُجَارِي : قِفْ مَكَانَكَ تَسْتَرِخْ
وَحُذِّهَا رِياضاً جَادَهَا فِكْرُ مُخْلِصِ
يُسْرُ إِذَا مَا جَدَّدَ اللَّهُ رِفْعَةً
وَيُخْلِصُ فِيكَ السَّرَّ إِنْ بَاتَ دَاعِيَاً
وَيَسْأَلُ جَمْعَ الشَّمْلِ مِنْ بَعْدِ فُرْقَةٍ
أُعِيذُكَ مِنْ عَيْنِ الْحَسُودِ وَبَغْيِهِ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي أَنْ مَحَبَّتَهُ الْقَدِيمَةَ ، وَوَدَّهَ الَّذِي هُوَ وَالْوَفَاءُ كَنَدْمَانِي
جَذِيمَةَ ، وَوَلَاءَهُ الَّذِي يَعُدُّ الْإِخْلَاصَ فِي دَهْرِهِ غَنِيمَةً ، يُوجِبُ لَهُ الشُّرُورَ بِكُلِّ
مَا يَتَجَدَّدُ لِمَوْلَانَا مِنْ غُلُوِّ غُلُوٍّ ، وَيَتَأَكَّدُ لَهُ مِنْ إِشَادَةِ مَجْدٍ سَمَكُهُ يُبَيُّ عَلَى
السُّمُوِّ ، وَيَتَرَدَّدُ لَهُ مِنْ إِقْبَالِ نَمَامِ عَزْفِهِ فِي نُمُوٍّ ، وَيَتَأَبَّدُ لَهُ مِنْ دَوَامِ سَعْدٍ يُكْمِدُ
مَسَاءَ الْمُسَيِّءِ وَيُنَكِّدُ غُدُوَّ الْعَدُوِّ ، لِأَنَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَالُ الْمَرَاتِبِ ، وَجَمَالُ
[٥٧] الْمَنَاصِبِ ، وَثِمَالُ الْمَنَاسِبِ .

بِمَزَاكَ مِنْ دُونِ الْأَنَامِ تُمْتَعُ
وَرُحْتَ بِزَجْرِ الْوَعْظِ لِلْسَّمْعِ تَقَرُّعُ
وَلَا طَرْفَ إِلَّا وَهُوَ بِالذَّمِّ يَهْمَعُ
تُعَدُّ فِكْلُ الْفَضْلِ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
وَلَا لِجُرُوقٍ فِي لِحَاقِكَ مَطْمَعُ
وَيُمْنَاكَ بِحَرِّ الْجَمِيلِ مُنَوَّعُ
وَشَانِيكَ بِالْأَخْزَانِ مِنْكَ مُرَوَّعُ
تَبَيُّتُ إِلَى عُليَاكَ وَهِيَ تَطْلُعُ
فَمَا فِي قِسِي الْفَضْلِ بَعْدَكَ مَنْزَعُ
أَمَا لَامِعَاتُ الْبَرْقِ خَلْفِي طُلُعُ
لَهُ بِالْوَلَاءِ الْمَخْضِ فِيكَ تَطْوُعُ
لِقَدْرِكَ عِلْمًا أَنَّهُ بِكَ يُزْفَعُ
وَتُوبُ الدِّيَاغِي بِالْبُرُوقِ مُلْمَعُ
تَكَادُ حَصَاةُ الْقَلْبِ مِنْهَا تَصَدَّعُ
فَذُو النَّفْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلَّعُ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي أَنْ مَحَبَّتَهُ الْقَدِيمَةَ ، وَوَدَّهَ الَّذِي هُوَ وَالْوَفَاءُ كَنَدْمَانِي
جَذِيمَةَ ، وَوَلَاءَهُ الَّذِي يَعُدُّ الْإِخْلَاصَ فِي دَهْرِهِ غَنِيمَةً ، يُوجِبُ لَهُ الشُّرُورَ بِكُلِّ
مَا يَتَجَدَّدُ لِمَوْلَانَا مِنْ غُلُوِّ غُلُوٍّ ، وَيَتَأَكَّدُ لَهُ مِنْ إِشَادَةِ مَجْدٍ سَمَكُهُ يُبَيُّ عَلَى
السُّمُوِّ ، وَيَتَرَدَّدُ لَهُ مِنْ إِقْبَالِ نَمَامِ عَزْفِهِ فِي نُمُوٍّ ، وَيَتَأَبَّدُ لَهُ مِنْ دَوَامِ سَعْدٍ يُكْمِدُ
مَسَاءَ الْمُسَيِّءِ وَيُنَكِّدُ غُدُوَّ الْعَدُوِّ ، لِأَنَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَالُ الْمَرَاتِبِ ، وَجَمَالُ
[٥٧] الْمَنَاصِبِ ، وَثِمَالُ الْمَنَاسِبِ .

أَمَّا النَّسَبُ ، فَإِنَّهُ مُتَّصِلٌ بِالْبَتُولِ وَحَيْدَرَةٍ ، وَمَنْ كَانَ فَرَعُهُمَا فَأَكْرَمُ بَعْضُنِ

تَهْدَلُ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ .

وَأَمَّا الْفِقْهُ فَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ^(١) صَلَّى خَلْفَهُ وَسَلَّم ، وَصَاحِبُ « التَّنْبِيهِ »^(٢)
أَغْمَضَ طَرْفَهُ وَهَوَّمَ .

وَأَمَّا الْأَصُولُ ، فَالسَّيْفُ الْأَمْدِيُّ^(٣) فَلَّ حُدُّهُ وَتَشَلَّمَ ؛ وَابْنُ الْحَاجِبِ^(٤)
تَأَخَّرَ بَعْدَمَا تَقَدَّمَ .

وَأَمَّا الْخَطَابَةُ ، فَابْنُ نُبَاتَةَ^(٥) بَقِيَ مَعَهُ فِي شِمَاتِهِ ، وَابْنُ الْمُتَنَبِّهِ^(٦) ذَهَلَ مَعَهُ
وَتَحَيَّرَ .

وَأَمَّا الْأَدَبُ ، فَالْجَاحِظُ جُحْدَ بَيَانِهِ ، وَابْنُ بَسَامٍ^(٧) بَكَى لِرِمَانَتِهِ زَمَانُهُ .
وَأَمَّا الْخَطُّ ، فَهُوَ بَعْدَ ابْنِ مُقْلَةٍ^(٨) إِنْسَانُهُ ، وَابْنُ هِلَالٍ^(٩) ظَهَرَ بَعْدَ كَمَالِهِ
نُقْصَانُهُ .

(١) هو أبو المعالي ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، شيخ الشافعية ؛ توفي سنة ٤٧٨ هـ .
(سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨) .

(٢) هو الإمام الشيرازي ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشافعي ؛ توفي سنة
٤٧٦ هـ . (سير أعلام النبلاء ٤٥٢/١٨) .

(٣) هو العلامة علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي ، فارس الكلام ؛ توفي سنة ٦٣١ هـ .
(سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٢٢) .

(٤) هو جمال الأئمة أبو عمرو ، عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي ، الفقيه النحوي ؛ توفي سنة
٦٤٦ هـ . (سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٢٣) .

(٥) مضت ترجمته في حواشي هذا الكتاب .

(٦) هو ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور الجذامي ، الإسكندراني ، له مصنفات مفيدة ؛ توفي سنة
٦٨٣ هـ . (فوات الوفيات ١٤٩/١) .

(٧) هو أبو الحسن ، علي بن بسام الشنتريني الأندلسي ، صاحب كتاب « الذخيرة في محاسن أهل
الجزيرة » . (المغرب لابن سعيد - قسم الأندلس - ٤١٧/١) .

(٨) هو أبو علي ، محمد بن علي بن الحسين بن مقلة ، يُضْرَبُ بِخَطِّهِ الْمَثَلُ ؛ توفي سنة ٣٢٨ هـ .
(ثمار القلوب ٣٤٥/١) .

(٩) هو أبو الحسن ، علي بن هلال ، المعروف بابن البواب ، الكاتب المشهور ؛ توفي سنة ٤٢٣ هـ .
(وفيات الأعيان ٣٤٢/٣) .

وَأَمَّا التَّرْسُلُ ، فَالْعِمَادُ^(١) مَالَ رُكْنُهُ ، وَتَهْدَمُ بُنْيَانُهُ ، وَالْجَزَرِيُّ^(٢) صَوَّحَ رَوْضَهُ وَأَمْلَحَ بُسْتَانَهُ .

وَأَمَّا النَّظْمُ فَأَبْنُ الْمُعْتَزِّ أَحَاطَ بِهِ ذُلُّهُ وَهَوَانُهُ ، وَالشَّرِيفُ الرَّضِيُّ غَضِبَ لَمَّا أَهْمِلَ دِيوانَهُ .

هذا إلى غير ذلك من محاسن تَعَدَّدَتْ ، وَفَوَائِدُ كُلِّمَا تَقَدَّمَ^(٣) الدَّهْرُ عَلَيْهَا تَجَدَّدَتْ ، وَفَوَاضِلُ جَمْعِهَا التَّدْوِينُ وَخُلِدَتْ فِي الدَّفَائِرِ وَجُلِدَتْ ، وَمُرُوءَةٌ تَحَمَّلَتْ كُلَّ مَشَقَّةٍ ، وَلَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ^(٤) ، وَرِثَاسَةٌ تَتَوَعَّتْ مِنْ عَوَارِفِهَا الْأَجْنَاسُ .

وقد أنهى المملوك إلى العلم الكريم ما تجدد له من البهجة والشروع ، وشارك فيها محبِّي مولانا ، وهم غالبُ الناسِ وخلاصةُ الجمهورِ ؛ فالحمد لله على هذه النعمة التي انتبه لها الدهر بعد إغفائه ، ولحظ حظ الفضل وخصَّ أبناء إنشائه ، والله تعالى يديم لنا - معاشير الأرقاء والمُحِبِّينَ - هذه النعمة ، ويُمَتِّعَ الأبصارَ والبصائرَ بطلوع هذا الشهاب الذي أخرج البدرَ وريمته ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فكتب هو الجواب إليَّ عن ذلك : [من الطويل]

خَلِيلُ سَرَى عَنِّي وَقَلْبِي مُودَعٌ لَدَيْهِ فَلَيْتَ الْجِسْمَ لَوْ كَانَ يَتَّبِعُ

(١) عماد الدين الأصبهاني ، محمد بن محمد بن حامد القرشي ، صاحب « الخريدة » ؛ توفي سنة ٥٩٧ هـ . (مسالك الأبصار ١٢/٢٥٣) .

(٢) هو نصر الله بن محمد بن محمد ، ابن الأثير الجزري الكاتب ؛ توفي سنة ٦٣٧ هـ . (مسالك الأبصار ١٢/٢٦٩) .

(٣) في ب ، س : تقادم .

(٤) من قول المتنبي ، ديوانه ٣/٣٧٨ :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقر والإقدام قُتِلَ

خَلِيلُ صَفَاءُ ذُو وَفَاءٍ بِعَهْدِهِ
بَدِيعُ الْحُلَى وَافِي الْعُلَا وَاجِبُ الْوَلَا
وَعَيْتٌ لِأَقْصَى الْأَرْضِ يُهْدِي سَحَابًا
تَنَوُّةً قَدْرِي حِينَ وَافَى كِتَابُهُ
كِتَابُ حَكَمٍ فِي لُطْفِهِ نَسَمَةُ الصَّبَا
أَتَانِي فِي مُحَمَّرٍ طَرَسٍ كَأَنَّهُ
تَضَوَّاتِ الْأَفَاقِ نُورًا بِهِ كَمَا
فَقُلْتُ لِأَرْيَابِ الْبَرَاعَةِ كُلِّهِمْ :

وَهَنَّا مَنْ بَقِيََاكَ أَقْصَى مُرَادِهِ
بِتَوْقِيعِ دَسْتِ الْمُلْكِ وَالْمَجْلِسِ الَّذِي
وَسَرَكَ مَا قَدْ سَرَّنِي مِنْ وَظِيفَةٍ
وَشَبَّهْتُ بِالرَّايَاتِ نَشْرَ رِقَاعِهَا
وَصَلَّتْ عَلَيَّ بَعْدَ الْمَسَافَةِ مُخْلِصًا
وَمَا رُمْتُهَا لِلْمَعْلُوباتِ تَدْرُجًا
وَلَكِنْ إِمَامُ الْفَضْلِ وَابْنُ إِمَامِهِ
وَمَنْ قَدَرُهُ الْعِلْيَاءُ قَدْ شَرَفَتْ بِهِ
تَصَدَّقَ فِي أَمْرِي مِرَارًا وَجَادَ لِي
[٥٨] بِهِ انصَرَفَتْ عَنِّي مِكَائِدُ حُسَيْدٍ
وَكَمْ مِنْهُمْ مِنْ كَادِحٍ بَلَغَ الْمُنَى

إِلَى مَكْرُمَاتٍ سَابِقُ مُتَسَرِّعٍ
لَهُ جَمٌّ بِرٍّ وَاصِلٌ يَتَبَرَّعُ^(١)
تَمُرٌ بِأَفْطَارِ الْبِلَادِ فَتَمُرُ
بِفَضْلِ لَهُ مِضْرًا وَشَامًا تَتَوَّعُ
وَأَسِيرُ مِنْهَا فِي الْبِلَادِ وَأَشْيَعُ
سَنَا الشَّمْسِ فِي إِشْرَاقِهَا حِينَ تَطْلُعُ
تَأَزَّجَتْ الْأَرْجَاءُ إِذْ يَتَضَوَّعُ
كَذَا فَاسْلُكُوا نَهْجَ الْبَلَاغَةِ أَوْدَعُوا
وَلَفْيَاكَ أَسْمَى مَالَهُ يَتَطَّلَعُ
تُزَالُ بِهِ شَكْوَى الضَّعَافِ وَتُسْمَعُ
تَسَامَتْ فَكَمْ مِنْهَا عَدُوٌّ مُرَوِّعُ
فَحَاكَتْ أَكْفَأَ بِالذُّعَا لَكَ تَضَرَّعُ
وَعَيْرُكَ بِي مَعَ قُرْبِ دَارِي يَقْطَعُ
وَلَا رَغْبَةً فِي رُتْبَةٍ هِيَ أَرْفَعُ
عَلَيَّ بِنَ يَحْيَى الْحَاكِمُ الْمُتَسَرِّعُ
وَمَنْ صَدْرُهُ الدَّهْنَاءُ بَلْ هُوَ أَوْسَعُ
بِجَبْرِ وَطُولِ فَضْلِهِ الْمُتَطَوِّعُ^(٢)
عَلَى ضَرَرِي بِالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ أَجْمَعُوا^(٣)
وَمَعَ جَمْعِهِ الدُّنْيَا لَهُ لَيْسَ يَشْبَعُ

(١) في ب : × متبرع .

(٢) في م : × بخير

(٣) في م : × مكاره حُشِدَ .

إِذَا نَزَعْتَ عَنْ مَنْكِبِ الْحُرِّ حُلَّةً
وإن دَفَعُوهُ عَنْ وَلَايَةِ مَنْصِبٍ
وَمَا بِيَدِ الْمَخْلُوقِ مَنَعٌ وَلَا عَطَا
وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ
وَمَا الْقَوْمُ إِلَّا هَالِكٌ بَعْدَ هَالِكٍ
إِلَيْكَ صَلَاحُ الدِّينِ زَادَ تَشَوُّقِي
بِعَاذُكَ عَنِّي لَمْ يَكُنْ بِإِرَادَتِي
لَكَ الْأَدَبُ الْغَضُّ الَّذِي قَدْ حَلَّاهُ
وَأَقْلَامُكَ الْحُسْنَى بِهَزَنٍ مَحَاسِنَا
هِيَ الْأَغْصَنُ الْخُضْرُ الَّتِي تُثْمِرُ الْغِنَى
لَقَدْ أَلْبَسْتَ عِطْفِي لِلْفَخْرِ حُلَّةً
قَرِيضاً يُسَيِّنَا الْغَرِيضَ وَمَعْبِداً
وَيَبْعُهُ نَشْرَ جَلَّتْهُ كِتَابَةٌ
وَحُسْنُ مَقَاطِيْعٍ تَقَطَّعَ دُونَهَا
وَكَمْ كَلِمَاتٍ كَامِلَاتٍ مَحَاسِنَا
وَعَالِي تَعَالِيْقٍ أَبْنٌ غَرَائِبَا
وَجَمُّ مَجَامِيْعٍ أَفْذَنَ لَطَائِفَا
إِذَا قُلْتَ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلِ
فَمَا رِقَّةُ الْوَرَّاقِ ، كَمْ مِنْ مَحَاسِنِ

- (١) في م : وإن دفعوه . . .
(٢) الغريضة ومعبد : من أعلام الغناء في العصر الأموي .
(٣) الإشارة إلى محمود الورّاق ، شاعر الزُهْدِيَّات في العصر العبّاسي ؛ وإلى أبي الحسين الجزار ، الشاعر المصري المعروف .

يَعُودُ التَّعَاوِيْذِي عَجْزاً كَمَا غَدَا
وَذِكْرُكَ بَعْدَ الْخَالِدِيَّيْنِ خَالِدُ
فَأَنْتَ خِتَامٌ لِلْأَفَاضِلِ آخِرُ
يَفُوقُ عَلَى الْعَبْدَيْنِ حُرُّ كَلَامِهِ
فِيَا سَابِقاً فِي حَوَازِ كُلِّ بَدِيعَةٍ
تَجَمَّلَ كِتَابُ الرِّسَائِلِ إِذْ غَدَا
وَأَضْحَى لِعَقْدِ الْفَضْلِ وَاسِطَةً بِهَا
رَعَيْتَ لَكَ الْحَقَّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
فِلَانِي مِنْ آلِ النَّبِيِّ ذَوِي الصِّفَا
فَلَلْتَرَحُّمَةُ الْغُبَرَاءِ عَنَّا تُفَرِّجُ
عَلَى رَبَّنَا مِنَّا صَاحِبُ تَوَكُّلِ
وَدُونِكَ مِنِّي فِي الْبِعَادِ تَحِيَّةٌ
يَفُوقُ رَضِيّاً مُرْتَضِيّاً قَوْلُهَا الَّذِي
تَحِيَّةٌ ذِي وَدٍّ يَوَدُّ تَقَرُّباً

- (١) التَّعَاوِيْذِي : أبو الفتح محمّد بن عبيد الله بن عبد الله ، الشاعر المشهور ، والكاتب المعروف ؛ توفي سنة ٥٨٤ هـ . (وفيات الأعيان ٤/٤٦٦) .
والبارع : هو أبو عبد الله الحسين بن محمّد بن عبد الوهاب ، الشاعر المشهور ، الأديب النَّدِيم البغدادي ؛ توفي سنة ٥٢٤ هـ . (وفيات الأعيان ٢/١٨١) .
(٢) الْخَالِدِيَّان : أبو بكر سعيد ، وأبو محمّد ، ابنا هاشم ، الموصليان . (ترجمتهما في مقدّمة ديوانيهما) .
والبديعان : بديع الزّمان الهمداني ، صاحب المقامات ؛ والبديع الإسطرابليّ ، الطّبيب والفيلسوف والفلكي والشاعر .
(٣) أرى أنّه يقصد بالعبدین : عنترة بن شدّاد ، وسحيم عبد بني الحسحاس .
(٤) في م : نطمع .
(٥) سقط هذا البيت من ب . وفي م : يُفزع .
(٦) إشارة إلى الشّريفيّين : الرضويّ والمرتضويّ .

وَلَوْ لَمْ تُطَارِحْنِي طَرَحْتُ مَقَالَتِي لِنَظْمٍ وَتَشْرِ مِنْهُمَا الْيَدُ أَنْزَعُ
وَلَكِنْ مُكَافَأَةُ الْجَمِيلِ تَعَيَّنَتْ عَلَيَّ لِمَنْ لِي مِنْهُ يَغْدُبُ مَشْرِعُ
وَوَازَنْتُ دُرَّ الشَّعْرِ مِنْكَ بِرَمْعِي وَمَا يَسْتَوِي فِي الشَّعْرِ دُرٌّ وَيَرْمَعُ^(١)
وَمَا صَنَعَةُ الْأَدَابِ إِلَّا شَقَاوَةٌ فَعَنْهَا الَّذِي يَهْوَى السَّعَادَةَ يُفْلِحُ
كَفَاكَ الْغِنَى عَنْ أَنْ تَكُونَ مُوقَّعًا فَمَا ذُو الْعَنَا وَالْفَقْرُ إِلَّا الْمَوْقِعُ
يُقْبَلُ الْأَرْضُ الْمُتَوَالِيَةَ [هـ ٨٨] الدَّيْمَةُ ، الْغَالِيَةُ الْقِيَمَةَ ، الزَّاكِيَةُ الشَّيْمَةَ ،
الْكَافِيَةُ وَلَيْهَا بِمَا تَسْمَحُ بِهِ مِنَ الْمِنَحِ أَنْ يَلْمَحَ الْبَرْقُ أَوْ يَشِيْمَهُ ، لَا زَالَتْ نِعْمُهَا
لَهَا الْمَوَاهِبُ الْعَمِيْمَةُ ، وَهَمَمُهَا لَهَا الْكَوَائِبُ ضَمِيْمَةُ .

وَيُنْهَى - بَعْدَ مُوَالَاةٍ صَحِيْحَةٍ صَمِيْمَةٍ ، وَمُتَالَاةٍ مَدِيْحَةٍ الَّذِي يَحْسُدُ الْمِسْكَ
شَمِيْمَةً ، وَمُغَالَاةٍ فِي ذِكْرِ مَحَاسِنِهِ الَّتِي يُوَالِي إِلَى كُلِّ سَامِعٍ إِذَا ذُكِرَ الْخَلِيلُ
تَحِيْمَةً وَتَسْلِيْمَةً - وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، الْمُشْرِفِ لِقَدْرِهِ ، الْمُسْعِفِ بِبَرِّهِ ،
الْمُسْلَفِ لِحَبْرِهِ ، الْمُوَجِفِ^(٢) لِمَنْمُونِ نَصْرِهِ ، الْمُنْصِفِ دُونَ أَهْلِ عَصْرِهِ ،
الْمُتَنَحِفِ بِالْإِنْعَامِ وَالْجُودِ مِنْ شَامِ الْوُجُودِ لِمَضْرِهِ ؛ فَلْتَمَّ أَثَارُ أَنْامِلِهِ ، وَغَنِمَ إِثَارَ
فَوَاضِلِهِ ، وَتَقَلَّدَ عُقُودَ جَوَاهِرِهِ ، وَوَجَدَ سُعُودَ زَوَاهِرِهِ ، وَجَنَى يَانِعَ ثَمَرِهِ
وَاجْتَلَى طَالِعَ قَمَرِهِ ، فَوَقَّرَ لَهُ جَيْنَ عَادَ بِجَمِيلِهِ أَنْسَا ، وَذَكَرَ مَنْ كَادَ لِحُمُولِهِ
يُنْسَى ، وَأَثْلَجَ بِصُدُورِهِ صَدْرًا وَأَبْهَجَ نَفْسًا ، وَعَرَّجَ عَلَى طَلَلٍ بِالِ أَنْثَرِ فِيهِ امْتِهَانُ
الزَّمَانِ دَرْسًا ، فَسَقَى هَتَانُهُ غَرْسًا ، وَوَقَى إِحْسَانُهُ بَأْسًا ، وَانْتَقَى مِنْ نُطْقِهِ طُرْزًا
بَدِيْعًا فَأَوْدَعَهُ لِرِقِّهِ طُرْسًا ، وَرَفَعَ الْمَمْلُوكُ لَهُ بِالْإِبْتِهَالِ خُمْسًا ، وَغَنِمَ مِنْهُ
الْإِفْضَالَ الَّذِي أَلْفَ غَمْرًا وَغَرَفَ فِيهِ غُمْسًا ، وَحَكَّمَ لَهُ الْإِتِّصَالَ بِالصَّلَاحِ أَنْ
يَقْضِلَ شَهَابُهُ فِي غَرَاةِ الْإِنَارَةِ شَمْسًا .

(١) اليرمع : الخذروف يلعب به الصبيان ، وحجارة رخوة إذا فُتَّت انفتت . (القاموس) .

(٢) في ب ، س : المرجف .

وَرَأَى الْمَمْلُوكُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ بَذَاةٍ إِفْضَالٍ ، وَإِفَاءَةٍ ظِلَالٍ ، وَافْتِتَاحٍ
بِإِجْمَالٍ ، وَإِنْجَاحِ آمَالٍ ، وَشُمُولٍ بِإِحْسَانٍ لَا يُحْسِنُ شُكْرَ لَسَنِهِ اللَّسَانُ ،
وَمَقُولٍ مِنْ بَدِيْعِ بَيَانٍ ، تَعَجُّزِ الْعُقُولِ بِمِثْلِهِ عَنِ الْإِتْيَانِ ، وَإِنْ تَعَدَّدَتِ الْأَحْيَاءُ
وَتَجَدَّدَتِ الْأَحْيَانُ ؛ فَإِذَا هُوَ قَدْ كَسَاهُ مِنْ حُلَلِهِ ، وَوَاسَاهُ بِتَفْضِيلِهِ ، وَمَا تَنَاسَاهُ
مِنْ تَطَوُّلِهِ ، وَبَجَلَهُ أَوْصَافًا ، جَمَلَتْ لَهُ أَعْطَافًا ، وَخَوَّلَهُ إِسْعَافًا ، يُدِيمُ بِهِ
اعْتِدَادًا وَلَهُ اعْتِرَافًا ؛ فَجَلَّ أَنْعَامُهُ أَنْ يُكَافَى ، وَاسْتَهَلَّ غَمَامُهُ بِسُقْيَا الرَّحْمَةِ
وَوَافَى ، وَدَلَّ نِظَامُهُ عَلَى أَنَّ بَحْرَهُ لَا يُهْدِي الدَّرَّ إِلَّا كِبَارًا ، وَلَا يُنْهِي الْجَوْهَرَ
إِلَّا شَفَافًا .

فَقَلَّدَ الْمَمْلُوكُ صَنَائِعَهُ ، وَخَلَّدَ بَدَائِعَهُ ، وَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ حَفِظَ بِهِ
صِنَاعَةَ الْأَدَبِ الصَّائِعَةِ ، (وَعَضَّدَ الْمُلُوكَ بِسَهَامِهِ النَّابِلَةَ الرَّاشِقَةَ ، الصَّائِلَةَ
الرَّائِعَةَ) ،^(١) وَنَصَّدَ السُّلُوكَ بِفَرَائِدِ فَوَائِدِهِ الشَّائِعَةِ ، الَّتِي تَأْتِيهَا الْمَعَانِي الطَّائِلَةُ
وَهِيَ طَائِعَةٌ .

فَأَمَّا الشَّعْرُ : فَمَا أَبُو الطَّيِّبِ غَيْرَ عَزْفِهِ ، وَمَا حَبِيبٌ غَيْرَ لُطْفِهِ ، وَمَا
الْبُخْتَرِيُّ إِلَّا قَصِيرٌ عَنْ وَصْفِهِ ، وَمَا بَشَّارٌ إِلَّا أَعْمَى عَنْ إِذْرَاكِ طُرْفِهِ بِطُرْفِهِ (دُونَ
حَتْفِهِ) ، وَمَا أَبْنَا الْهَانِئِينَ^(٢) إِلَّا كَالْوَانِئِينَ مِنْ خَلْفِهِ ، وَمَا جَرِيرٌ غَيْرَ أُسِيرٍ فِي
قَبْضَةِ كَفِّهِ ، وَمَا الْفَرَزْدَقُ وَإِنْ طَبَّقَ شِعْرُهُ الْأَرْضَ إِلَّا عَاجِزٌ عَنْ إِذْرَاكِ شَأْوِهِ وَلَمْ
يُؤْفِهِ .

وَأَمَّا النَّثْرُ فَمَا ابْنُ عَبَّادٍ إِلَّا كَعَبْدِهِ ، وَمَا الْخَوَارِزْمِيُّ إِلَّا مِنْ بَعْضِ جُنْدِهِ ،
وَمَا ابْنُ خَاقَانَ إِلَّا مُلْقِطُ دُرِّ قَلَائِدِهِ مِنْ عِقْدِهِ ، (وَمَا ابْنُ عَبْدٍ رَبِّهِ إِلَّا مُغْتَبِطُ
بِجَوَاهِرِهِ ، لِيَجْعَلَهَا زِينَةَ عِقْدِهِ) ،^(١) وَمَا عَبْدُ الْحَمِيدِ إِلَّا مُسْتَفِيدٌ فِي رِسَالَتِهِ مِنْ

(١) ما بين قوسين ساقط من أ .

(٢) الحسن بن هاني (أبو نواس) ، وابن هاني الأندلسي .

رُشِدِهِ ، وما عبدُ الرَّحِيمِ الْفَاضِلُ إِلَّا مُتَزَيِّدٌ مِنْ رِفْدِهِ ، نَاقِصٌ عَنْ مَجْدِهِ .

وَأَمَّا اللَّغَةُ فَمَا ابْنُ فَارِسَ مِنْ فُرْسَانِهِ ، وما الْجَوْهَرِيُّ غَيْرَ بَيَانِهِ ؛ [٥٩] وما صَاحِبُ الْمُحَكَّمِ^(١) غَيْرَ إِنْقَانِهِ ، وما النَّهْيَةُ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ ، وما الْأَصْمَعِيُّ إِلَّا دَعْيِي عِنْدَ إِيْقَانِهِ ، وما الصَّاعِنِيُّ إِلَّا مَا صَاغَهُ إِبْرِيْزُ لِسَانِهِ .

وَأَمَّا الْحِفْظُ فَمَا حَمَّادٌ عِنْدَ رِوَايَتِهِ ، وما ابْنُ دُرَيْدٍ عِنْدَ دِرَايَتِهِ ، وما الْخَلِيلُ سَمِيئُهُ إِلَّا مُتَخَلِّ عَنْ السُّمُوِّ لِغَايَتِهِ ، وما السَّيرَافِيُّ إِلَّا سَائِرٌ فِي نُورِ هِدَايَتِهِ ، وما خَلْفُ الْأَحْمَرِ إِلَّا تَحْتَ بَيَضَاءِ رَايَتِهِ .

وَأَمَّا التَّأْلِيفُ فَمَا لَابْنِ رَشِيقٍ عُمْدَةٌ عَلَى غَيْرِ مَقَالِهِ ، ولا الْمِيدَانِيُّ ذُو الْأَمْثَالِ مِنْ أَمْثَالِهِ ، ولا ابْنُ الْقَطَاعِ إِلَّا قَاصِرٌ عَنْ أَفْعَالِهِ ، ولا ابْنُ حَمْدُونَ إِلَّا مُقْتَدٍ فِي تَذَكُّرَتِهِ بِأَقْوَالِهِ ، ولا الْعَسْكَرِيُّ إِلَّا مُنْهَزَمٌ مِنْ نِزَالِهِ ، ولا النَّحَّاسُ إِلَّا مُحْتَدٍ فِي صِنَاعَتِهِ بِتَمْثَالِهِ ، ولا ابْنُ مَضَاءٍ إِلَّا وَاقِفٌ عِنْدَ حِدَّةِ ذَهَبِهِ مُقَرَّبٌ بِكَلَالِهِ .

وَأَمَّا الْكِتَابَةُ فَمَا ابْنُ هِلَالٍ إِلَّا مُسْتَتِرٌ عِنْدَ تَمَامِهِ ، وما ابْنُ مُقَلَّةٍ إِلَّا غَاضٌ بَصَرُهُ عَنْ رِفْعَةِ مَقَامِهِ ، وما الْوَلِيُّ^(٢) عِنْدَ اسْتِزْسَالِ خَطِّهِ وَأَنْسِجَامِهِ ، وما ابْنُ الْعَدِيمِ^(٣) عِنْدَ وَجْدِهِ إِلَّا تَابِعٌ لِأَبِيهِ فِي إِعْدَامِهِ ، وما ابْنُ الشَّيرَازِيِّ^(٤) أَهْلًا أَنْ يُوَازِيَ قُلَامَةً مِنْ أَقْلَامِهِ .

فَأَخِيَا اللَّهَ تَعَالَى مَوْلَانَا لِلْأَدَبِ يُجَدِّدُ دَائِرَتَهُ ، وَيُوجِدُ مَائِرَتَهُ ، وَيُنْجِدُ

(١) في أ ، ب ، س : وما صاحب الحكم ! والمثبت من م . وصاحب المحكم : هو ابن سيده ، علي ابن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المشهور توفي سنة ٤٥٨ هـ . (وفیات الأعيان ٣/ ٣٣٠) .

(٢) هو ولي الدين العجمي ، علي بن زكري ، أخذ الخط المنسوب عن ياقوت المستعصمي ، وعنه أخذ عفيف الدين محمد الحلبي . (صبح الأعشى ١٤/ ٣) . ولعل الصواب : وما الولي [بولي] .

(٣) ابن العديم : الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراحة صاحب كتاب « بغية الطلب في تاريخ حلب » . توفي سنة ٦٦٠ هـ . (الوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٢١) .

(٤) لم أعرفه .

عَائِرَتَهُ ، وَيُرْشِدُ نَاطِمَتَهُ وَنَائِرَتَهُ ، وَيَبْرِزُ أَهْلَهُ ، وَيُقَرِّزُ سَهْلَهُ ، وَيُعْذِبُ نَهْلَهُ ، وَيُذْهِبُ جَهْلَهُ ، وَيُؤَلِّفُ جَمْعَهُ ، وَيُسْلِفُ صُنْعَهُ ، وَيُهَيِّئُ نَفْعَهُ ، وَيُبَوِّئُ مِنْهُ الرِّفْعَةَ .

ولا أَعْدَمَ أَصْحَابُهُ سَخَانَهُ^(١) ، ولا أَفْقَدَ إِخْوَانَهُ أَمْتِنَانَهُ ، وَرَأَى لَهُ سَبْقَهُ ، وَرَعَى لَهُ حَقَّهُ ، فَقَدْ وَصَلَ فِي الْفُرْقَةِ ، دُونَ الرُّفْقَةِ ، وَأَوْصَلَ رِفْقَهُ ، إِذْ قَطَعَ الرُّفْقَةَ ؛ وَقَرَّبَ جَبْرَهُ عَلَى بُعْدِ الشُّقَّةِ ، فَأَذْهَبَ الْمَشَقَّةَ ، وَأَبْقَى بَرَّهُ الَّذِي مَا ضَرَّهُ مَعَهُ مَنْ عَقَّهُ ، بَلْ أَسْعَدَهُ بِمَا اسْتَعْبَدَهُ وَاسْتَرْفَقَهُ .

وما يترك المملوك المواصلَةَ بِخِدْمِهِ مَعَ كُلِّ بَرِيدٍ يَسِيرُ ، وَالْمُرَاسَلَةَ بِكَلِمِهِ لِيَلْتَمِسَ مِنْ نَحْوِهِ الْإِفَادَةَ وَيَسْتَمِيرَ ، إِلَّا تَخْفِيفًا عَنْ خَاطِرِهِ الشَّرِيفِ مِنَ التَّثْقِيلِ ، وَتَسْوِيفًا بِأَيَّامِ الْبُعْدِ لَعَلَّ الْقُرْبَ يَكُونُ عَنْ قَلِيلٍ ، فَيُشَاهِدَ ذَاكَ الْمُحَيَّا^(٢) الْجَمِيلَ ، وَيُسَاعِدَ عَلَى سُبُوحِ التَّأْمِينِ وَيُلَوِّغِ التَّأْمِيلِ ، وَيُعَاضِدُ مِنْ كَرَمِ مَوْلَانَا الْجَلِيلِ ، يَنْعَمُ الْخَلِيلُ ، فَيُتَمَسَّى وَقَدْ أَقَامَ بَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ فِي أَعَزِّ قَبِيلٍ ، وَيُضْبِحُ وَمَا لَا هِتْصَامَ الْأَيَّامِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ .

وَفِيهِمُ الْمَمْلُوكُ الْإِشَارَةُ الْكَرِيمَةُ ، إِلَى إِحْسَانِ الْمَوَالِي السَّادَةِ كُتَابُ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِدَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ ، حَمْدُ اللَّهِ صَنِيعَهُمْ ، وَأَيَّدَ جَمِيعَهُمْ ، وَجَمَعَ فِي رُبُوعِ الْعُلْيَا شَمْلَهُمْ ، وَسَمِعَ مَرْفُوعَ الدُّعَاءِ لَهُمْ ، فَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ إِبْلَاجَهُمْ سَلَامَهُ ، وَالنِّيَابَةُ عَنْهُ فِي شُكْرِ عَوَارِفِهِمُ الْعَامَّةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُ بِطَوْلِ بَقَائِهِ لِلْأَدَبِ نِظَامَهُ ، وَيَلْحَظُ بِجَمِيلِ انْتِقَائِهِ رُتَبَ الرِّعَايَةِ فِيهِ وَالْإِمَامَةِ ، فَمَا عِنْدَ نَقْدِهِ نَقْدُ أَسَامَةِ ، أَمْ مَنْ قُدَامَةُ قُدَامَتِهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ سَيَّرَ إِلَيَّ يَطْلُبُ عِبَادَةً سَوْدَاءَ لِيَلْبَسَهَا ، تَوَاضَعًا مِنْهُ ،

(١) في أ ، ب ، س : سحابه . والمثبت من م .

(٢) في ب : الوجه الجميل . وهما بمعنى .

فَجَهَّزْتُهَا إِلَيْهِ ، وَمَعَهَا هَذِهِ الْآيَاتُ ^(١) : [من الكامل]

يا سَيِّدَا مَا زَالَ يُدْعَى سَيِّدَا حَازَ الْمَكَارِمَ وَالْعُلَى وَالشُّوَدَا
شَرَّفْتَنِي بِأَوَامِرِ دَأْبِي لَهَا مَهْمَا أَتَى مَزْسُومُهَا أَنْ أَسْجُدَا
وَطَلَبْتَ بُشْتَا أَسْوَدَا مِنْ جَلَّتِي [ب٥٩] وَلَوْ اقْتَصَرْتَ لَبَسْتَ حَظِي الْأَسْوَدَا
لُبْسُ الْعَبَاءَةِ وَالْعَيُونُ قَرِيرَةٌ خَيْرٌ مِنَ الْحُلْلِ الْحَرِيرِ مَعَ الرَّدَى
فَالْبَسُهُ فَضْفَاضَ الذُّيُولِ حَكَى الدُّجَى لَوْنَا فَوَجْهَكَ فَوْقَهُ بَدْرٌ بَدَا

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ ^(٢) : [من الكامل]

حَيَّا دِمَشْقَ وَأَهْلَهَا غَيْثُ النَّدَى وَسَقَى مَعَاهِذَهَا الْحَيَا مُتَعَهِّدَا
دَارُ خَلِيلِ الصَّدَقِ سَاكِنُ رَبْعِهَا مَا عَنْهُ مَنِّي بِالرُّضَى أَنْ أُبْعِدَا
الْفَاضِلُ الْمُتَفَضِّلُ الْحَبْرُ الَّذِي جَمَعَ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا فَتَفَرَّدَا
النَّاظِمُ الْعِفْدَ الْفَرِيدَ قَرِينُضُهُ وَالنَّائِرُ الدَّرُّ النَّفِيسَ مُنْضِدَا
وَالكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ فِي صُحُفٍ لَهُ بِيضُ لَهَا اسْوَدَّتْ وَجُوهٌ لِلْعِدَى
الصَّاحِبُ الْمَوْلَى الْجَمِيلُ صَحَابُهُ مُتَفَضِّلًا مُتَطَوِّلًا مُسَوِّدَا
وَصَلَتْ وَصَلَتْ إِلَيَّ مِنْكَ عَوَارِفُ قُرْبَا وَبُعْدَا بِرُّهَا لَنْ يُفْقِدَا
وَأَتَى إِلَيَّ الْبُشْتُ مُقْتَرِنَا بِمَا لَكَ مِنْ يَدِ بَيْضَاءَ كَمْ وَهَبَتْ يَدَا
صُوفٌ بِهِ لِدَوِي الصَّفَاءِ تَلَفُّعُ شَعْرُ شِعَارُ مَنْ اغْتَدَى مُتَعَبِّدَا
قَدْ جَاءَ مِنْ جِهَةِ الصَّلَاحِ فَجَبَّدَا هُوَ مِنْ لِبَاسِ ثَقَى بِهِ قَدْ أَسْعَدَا
هُوَ حَالِكٌ لَوْنَا كَلَخَظَ أَغْيَدَ أَوْ مِثْلَ حَظِي جِئِنْ أَمْسَى أَسْوَدَا
قَدْ قُمْتُ فِي لَيْلِ الشِّتَاءِ بِهِ إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ أَدْعُو لَهُ مُتَهَجِّدَا ^(٣)

(١) الآيات في أعيان العصر .

(٢) القصيدة تنقص آياتاً في أعيان العصر .

(٣) إلى هنا في أعيان العصر .

طَلَبِي لَهُ تَزَكَا لِدُنْيَاهُمْ لَهَا وَخَرَجْتُ عَنْهَا زَاهِدَا مُتَجَرِّدَا
فَلِمَ التَّعَلَّقْتُ بِالْخَطَامِ وَأَهْلِهِ وَعَفَافُ نَفْسِي مَانِعٌ أَنْ أَجْهَدَا
وَالْأَمْسُ فَاتَ وَلَيْسَ يَوْمِي خَالِدَا لَكِنْ بِوَعْدِ اللَّهِ لِي ثَقَّةٌ غَدَا
فَاللَّهُ يُنْهَضُنَا لِنَعْمَلَ صَالِحَا وَاللَّهُ يُوقِظُنَا لِيَذَا قَبْلَ الرَّدَى
وَاللَّهُ يَجْمَعُ بِاقْتِرَابِكَ شَمْلَ مَنْ يَغْدُو لِمَذْحِكٍ مُضْدِرَا أَوْ مُورِدَا
يُقْبَلُ كَذَا ، الَّتِي مَا زَالَ يَأْوِي ظِلَّهَا ، وَيَخْوِي فَضْلَهَا ، وَيَرْوِي عَنْهَا
الْمَحَاسِنَ جَمِيعَهَا وَالْمَيَامِنَ كُلَّهَا ، لَا يَبْرَحُ تَهْمَعُ وَبَلَّهَا ، وَتَتَبَرَّعُ بِالْجُودِ لِمَنْ
قَصَدَهَا وَأَمْلَهَا ، كَمَنْ وَرَدَهَا وَحَلَّهَا .

وَيُنْهِي بَعْدَ أَدْعِيَةٍ تَصِلُ مِنْ أَبْوَابِ الْإِجَابَةِ سُبُلَهَا ، وَأُثْنِيَّةٍ مَا التَّدْنِذُهَا وَلَا
الْمِسْكُ مِثْلَهَا ، وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي عَلَى يَدِ مَوْلَانَا الشَّيخِ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي
حَامِدٍ ، وَلَدِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيَّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ ، أَعَزَّ اللَّهُ
أَحْكَامَهُ ، وَوَقَى الْأَسْوَءَ الْأَضْلَ وَالْفَرْعَ ، وَأَبْقَى ^(١) فِي يَدِ عَدْلِهِمَا زِمَامَ
الشَّرْعِ ، فَأَفْضَى الْمَمْلُوكُ إِلَيْهِ بِالْقَبْلِ قَبْلَ أَنْ يَقْضَهُ ، وَأَدَّى مِنْ تَكْرِيرِ التَّكْرِيمِ
فَرْضَهُ ، وَتَسَلَّمَ الْمَمْلُوكُ مَا اقْتَرَنَ بِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَعَمَّتْ جَوَارِحُهُ نِعَمَ مَوْلَانَا ،
فَقَامَ عَنْهَا لَا بِسَا السَّوَادَ بِالْحَمْدِ خَطِيبُ لِسَانِهِ ؛ وَمَا أَخَّرَ الْجَوَابَ عَنْ وَقْتِهِ إِلَّا
لِشَوَاغِلِ أَفْكَارِهِ ، بِتَوَاضُلِ أَكْدَارِهِ ، وَإِقْبَالِ أَيَّامِهِ بِإِفْحَامِهِ وَإِدْبَارِهِ ، وَقِلَّةِ
أَنْصَارِهِ ، وَذِلَّةِ إِفْتَارِهِ ^(٢) ؛ وَلَكِنْ عِزَّةَ نَفْسِهِ مُسْتِنْدَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِقْلَالِهِ
وَإِكْثَارِهِ ، مُعْتَمِدَةً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَهْوَالِهِ وَأَخْطَارِهِ .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَقَدْ طُلِبْتُ إِلَى الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٤٥ : [من

المقارب]

(١) فِي أ ، ب ، م : وَأَلْقَى .

(٢) فِي ب : اِفْتَارِهِ .

خَلِيلَ الصِّفَا مَرْحَبًا مَرْحَبًا
وَجِئْتَ إِلَى مُلْجَأِ الْقَاصِدِينَ
وَمُنْجِدِ هَذَا الْوَرَى بِالسَّمَاكِ
وَمَنْ أَسْلَفَ الْخَيْرَ وَالْمَكْرُمَا
وَحَافِظِ أَسْرَارِ مَوْلَى الْمُلُو
وَتَجْرِي الْأَجُورُ بِأَقْلَامِهِ
وَتَهْزَأُ إِنْ جُرِدَتْ لِلْكَفَا
وَمَنْ فَاقَ مَنْ قَبْلَهُ فِي الْفَخَا
لَهُ الرُّتَبُ الْبَاهِرَاتُ الْعُلَى
وَإِنْ جَهَّزَ الْبُرْدَ السَّائِرَا
وَسَطَرَ مِنْ خَطِّهِ فِي الطُّرُو
وَقَدْ مَلَأَ الصُّخْفَ إِمْلَاؤُهُ
وَأَعْجَزَ إِنْدَاعُهُ الْقَائِلِينَ
وَبَخَّرَ الْعُلُومَ الْمُفِيدُ الصَّوَا
فَعَلِيَاؤُهُ بَزَغَتْ مَشْرِقًا
وَاللُّجُجُ أَبْوَابُهُ جُرِّبَتْ
وَصَيَّرَنِي جُودُهُ خَادِمًا
وَحَيِّثُ فِي رُبْعِ مَوْلَى الْكِرَا
جَعَلْتُ حَوَالَتَهُ فِي غَدٍ

طَلَعَتْ بِأُفُقِ الْعُلَا كَوَكَبَا
عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْجَزِيلِ الْجَبَا
وَمَنْ لَمْ يَزَلْ غَرْسُهُ مُنْجِيَا
تِ وَمَنْ شَرَّفَ الدَّهْرَ وَالْمَنْصِبَا
لِكَ [١٦٠] يُودِعُهَا صَدْرُهُ الْأَزْحَبَا
فَكَمْ لِلْكَرَامِ قَدْ اسْتَكْتَبَا^(١)
حِ بِسْمِ الرِّمَاحِ وَبِيضِ الظُّبَا^(٢)
رِ وَصَارَ لِمَنْ بَعْدَهُ مُنْعِبَا
لَهُ الْكُتُبُ الْعَاطِرَاتُ النَّبَا
تِ أَبَادَ الْعِدَى مِقْتَبَا مِقْتَبَا
سِ مَا عِنْدَهُ ابْنُ هِلَالٍ هَبَا
لَطَائِفَ كَمْ أَنْجَحَتْ مَطْلَبَا
نَ إِنْ هُوَ أَوْجَزَ أَوْ أَسْهَبَا
بِ وَطُودُ الْحُلُومِ إِذَا مَا اخْتَبَى^(٣)
وَنَعْمَاؤُهُ بَلَغَتْ مَغْرِبَا
وَإِنِّي لِمَنْ بَعْضُ مَنْ جَرَّبَا
وَأَمْطَرَنِي جُودُهُ صَيِّبَا
مِ وَمَنْ لِلْوَسَائِلِ مَا خَيَّيَا
عَلَى جَدِّي الْمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى

(١) فِي أ، م : وَمَجْرِي ×

(٢) فِي ب : وَتَهْتَزُّ ×

(٣) فِي م : مُفِيدُ الصَّوَابِ ×

وَأَدْعُو لَهُ إِنْ دَعَوْتُ الْبُتُو
قَدَامَ غِيَاثًا لِأَهْلِ الزَّمَا
أَأَعْلَى الْوَرَى رُبَّةً فِي الْبَيَا
عَلَا يَلْقَائِكَ شَأْنُ الشَّأَا
لَكَ الْأَدَبُ الْحُلُو غَضُّ الْجَنَى
وَأَبْدَعْتَ نَظْمَ عُقُودِ الْقَرِيدِ
رَقِيقُ الْحَوَاشِي أُنِيقُ الْحُلَى
فَمِنْهُ مَطَالِعُ تَخْوِي الثُّجُورِ
وَنَضَّدْتَ نَثْرًا كَزَهْرِ الرِّيَا
بَدِيعُ الْفُصُولِ صَنِيعُ الْمَقُورِ
وَدُونِكَ فِي الْعِلْمِ مَنْ أَلْفَ التَّدَا
فَإِنَّ الْخَلِيلَ إِمَامَ الْكَلَا
وَأَنْتَ الْجَوَادُ الَّذِي مَا كَبَا
وَقَدْ خَطَبْتِكَ لَهَا الْمَعْلُورَا
وَعُدْتَ إِلَى مِضَرَ عَوْدِ الرِّيَا
وَأَنْسَتَ لِمَا رَجَعْتَ الدِّيَا
فَأَلْبَسَ بِرَاعِكَ ثَوْبَ السَّوَا
وَقَلَّدَ تَقَالِيدَكَ الْفَاخِرَا
وَأَبْدَ الْغَرَائِبَ مِمَّا ابْتَكُرَا

لَ أُمًّا وَخَيْدَرَةً لِي أَبَا
نِ يُرْتَعُهُمْ رَوْضَةُ الْمُخْصِبَا^(١)
نِ وَمَنْ لِلْبِدَائِعِ قَدْ رَتَّبَا
مِ وَرَاعَ يِرَاعُكَ مَاضِي الشَّبَا^(٢)
فَكَمْ مَرَّ بِالسَّمْعِ مُسْتَعْذِبَا
ضِ وَأَبْدَيْتَ مَذْهَبَكَ الْمُذْهَبَا
يُقَارِنُ مُرْقِصُهُ الْمُطْرِبَا
مِ وَمِنْهُ الْمَرَابِيعُ تَأْوِي الظُّبَا
ضِ حَازَ حُلَى الْحُسْنِ مُسْتَوْعِبَا
لِ يَسْتَعْمِلُ الْأَلْيَقَ الْأَنْسَبَا
تَصَانِيفَ مَنْ قَبْلُ أَوْ هَذَبَا
مِ كَمْ لِلْأَنَامِ بِهِ دَرَبَا
وَأَنْتَ الْحُسَامُ الَّذِي مَا نَبَا
تُ وَحُقَّ لِمِثْلِكَ أَنْ يُخْطَبَا
بِ حَلٍّ فَأَنْعَشَ بِنْتَ الرُّبَا^(٣)
رِ وَجَمَّلْتَ ذَا الْبَلَدِ الطَّيِّبَا
دِ وَمُزَّهُ بِسَجْعِكَ أَنْ يُخْطَبَا
تِ مَنْ شَهِدَ الدَّسْتَ وَالْمُؤَكِّبَا
تِ وَلَيْسَ بِدِيْعِكَ مُسْتَعْرِبَا

(١) فِي م : حَوْضَةُ الْمُخْصِبَا .

(٢) فِي س : عَلَا بِمَقَامِكَ × . فِي م : عَلَا بِمَقَامِكَ شَاو ×

(٣) فِي م : نَبَتِ الرُّبَا .

بَسَدَائِعُ مَنْ حَاذَهَا لَمْ يَزَلْ
رَوَائِعُ كَمْ أَبْهَجَتْ وَاعِيَا
كَطِيبِ الزَّمَانِ وَظِلُّ الْأَمَا
قَدُمْتَ جَلِيلًا بِكُلِّ الْبِلَا
يُصَاحِبُهُمْ مِنْكَ خُلُقٌ جَمِيعُ
تَعْلَمَ مِنْ لُطْفِ أَوْصَافِكَ أَلْ
فَمُنِيَّةُ نَفْسِي هَذَا الدُّنُو
وَسَامِخٌ مُقْلًا مُخْلًا بِمَا

● فكتبتُ أنا إليه الجواب عن ذلك : [من المتقارب]

أَسَيَّدَنَا الْفَاضِلَ الْمُجْتَبَى
وَمَنْ سَارَ بَيْنَ الْوَرَى ذِكْرُهُ
وَمَنْ خَطُّهُ مِثْلُ زَهْرِ الدُّجَى
وَمَنْ رَفَّ لِي فَضْلُهُ غَاذَةٌ
فَشَرَّفَ قَدْرِي وَأَعْلَاهُ لِي
فَأَهْدَى الشُّرُورَ إِلَى خَاطِرِي
وَأَعْرَبَ عَنِ سُودِدِ ظَاهِرِ
وَنَزَّهَ طَرْفِي فِي رَوْضَةِ
وَكَمْ كَفَّ عَنِّي مِنْ مَهْلِكِ

(١) سقط البيت من س .

(٢) في ب م : . . . داعياً × وفي م : × وكم نهجت منهجاً أصوباً .

(٣) في م : بطيب الزمان × . . .

(٤) في م : قدمت خليلاً . . . × جليلاً . . .

(٥) في م : فميتت نفسي . . . × .

فَلَوْ صَاغَ قُسٌّ خُلَى مَذْجِهِ
وَلَوْ سَابَقَ الْبَرْقَ فِي حَلْبَةِ
[٦٠ ب] تَرَفَّقَ بِمَنْ ذَهْنُهُ مُظْلِمُ
فَلِإِنَّكَ أَصْبَحْتَ فِي غَايَةِ
وَعَبْدُكَ أَفْكَارُهُ أَجْبَلْتُ
وَعَالَجَ خَمْسِينَ عَامًا مَضَتْ
يُسَاقِيكَ فِيهَا كُؤُوسَ الْوَفَا
وَيَخْمِلُ فِيكَ لِوَاءَ غَدَا
لَكَ الْحَسَبُ الطَّاهِرُ الْمُتَّقَى
لَهُ صَلَافٌ بَنِيَّ الْهُدَى
لَقَدْ سَادَ مَنْ أَضْلُهُ قَدْ عَلَا
وَأَمَّا حُضُورِي إِلَى بَابِ مَنْ
فَلِإِنَّ السَّعَادَةَ قَدْ لَاحَظَتْ
أَمَّا تَنْظُرُ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ
وَأَكْرَمَ نُزْلِي بِإِفْضَالِهِ
أَمِينٌ عَلَى الْمُلِكِ فِي سِرِّهِ
وَيُخْجِلُ صَوْبَ الْحَيَا كَفُّهُ
لَقَدْ جَمَّلَ الْمُلُوكَ تَذْيِيرُهُ
تَحُوطُ الْأَقَالِيمِ أَقْلَامُهُ

(١) في م : × . . . أطيا .

(٢) في س : . . . في يره × .

(٣) في م : تجوب الأقاليم . . . × .

فَعُذِرًا إِذَا فِكْرَتِي قَصَّرَتْ وَكَانَ جَوَابِي جَوِيٍّ مُتَعَبَا
فَإِنِّي بِنَظْمِي أَلُوكُ الْحَصَا وَنَظْمُكَ عِنْدَكَ كَالشُّورِبَا^(١)
بَقِيَتْ مَلَاذًا لِأَهْلِ النَّهْيِ تَقُلُّ لِحَطْبِ الرَّدَى مُضْرِبَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَإِلَى الْقَاضِي بَذَرِ الدِّينِ حَسَنَ الْغَزْيِ ، وَقَدْ تَوَجَّهْنَا لِتَلْقَى
الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَرْغُونَ الْكَامِلِي لَمَّا رُسِمَ لَهُ بِنْيَابَةُ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ؛ وَكَانَ
السَّيِّدُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ قَدْ حَضَرَ مَعَهُ ، فَكَانَ الْمُلتَقَى فِي حِمَصِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَكُنَّا قَدْ
نَزَلْنَا فِي الْمَيْدَانِ ؛ وَالتَّرَمَّ حَرْفُ الْمِيمِ : [من البسيط]

كُتَابٌ جَلَّقَ قَدْ جَمَلْتُمْ حِمَصَا وَقَدْ تَسَرَّلْتُمْ حُسْنَ الشَّنَا قُمْصَا
مِنْ ثَمَرِ رَوْضِكُمْ طَيَّرَ اللَّهُ النَّقَطَ عَادَتْ بَطَانًا وَرَاحَتْ نَحْوَكُمْ خُمْصَا
نِعْمَ الْحَلِيلُ تَلَاهُ رَفْعَةً حَسَنًا فَلَمْ يُطِقْ فَرْقَدًا أَفْقُ السَّمَاءِ غُمْصَا
هُمَا رَضِيْعَا لَبَانِ الْفَضْلِ لَا فُطْمَا فَكَمْ لِنُدِيِّ الْعُلَا وَالْعِلْمِ قَدْ مَصَا^(٢)
وَتَيَّرَا مَطْلِعَ الْإِبْدَاعِ كَمْ بَهَرَتْ أَشِعَّةُ لَهُمَا مِنْ مُقْلَةٍ رَمَصَا

يُقْبَلُ وَيَلْتُمُ الْأَرْضَ أَمَامَهُمْ ، وَيُقَدِّمُ الْفَرَضَ إِمَامُهُمْ ، وَيُخْجِمُ عَنْ لِقَائِهِمْ
حَيْثُ لَا يَبْلُغُ مَقَامُهُ مَقَامَهُمْ ؛ وَيُنْهِي أَنَّهُ سُرَّ بِسَمَاعِ أَنْبَائِهِمْ ، لَوْ رَجَا^(٣) أَنْ يَقَرَّ
عَيْنًا بِالْأَنْبَاءِ ، لِأَنَّهُ الصَّادِقُ فِي اعْتِقَادٍ وَلَا يَهْمُ ، النَّاطِقُ بِإِيرَادِ حَمْدِهِمْ
وَنِنَائِهِمْ ؛ فَتَوَجَّهَ الْمَمْلُوكُ إِلَى سَعِيدِ مَحَلِّهِمْ ، وَأَوَجَّهَ إِلَى مَدِيدِ ظِلِّهِمْ ، فَاعْتَرَاهُ
سُوءُ الْحَظِّ بِالْحِزْمَانِ ، وَأَرَاهُ الْعَجَزَ عَنْ لِحَاقِهِمْ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ لَهُمْ غُبَارًا ، وَلَا
يَلْحَقُ السَّوَابِقَ فِي الْمَيْدَانِ ، فَاسْتَنَابَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْأَحْزَفَ ، لِتَسْعَدَ بِلِقَائِهِمْ
وَتَشْرُفَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْمَعُ شَمْلَهُمْ ، وَيُمَتِّعُ الْأَدَبَ بِمِثْلِهِمْ ، وَلَا أَعْرِفُ

مِثْلَهُمْ ؛ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ .

● فَكَتَبَ الْجَوَابَ إِلَيْهِ الْمَوْلَى بَذَرُ الدِّينِ الْغَزْيِي : [من البسيط]

يَا مَنْ بِأَجْمَلِ أَوْصَافِ الْعُلَا خُصَا وَعَنْهُ جُلُّ أَحَادِيثِ النَّدَى قُصَا
وَمَنْ بِهِ حِمِصُ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا عَلَتْ مَحَلًّا ، فَمَنْ قَدْ جَمَلُوا حِمَصَا
أَنْلَتْ طَارِفَ مَجْدٍ لِلتَّلِيدِ بِهِ زِيَادَةَ لَيْسَ يَخْشَى بَعْدَهَا نَقْصَا^(١)
وَطُلْتَ كُلَّ عَلِيٍّ يَا حُسَيْنُ فِطْرُ فَرَدَا فَكُلُّ جَنَاحٍ عَنْكَ قُصَا
وَأَفْخَرُ بِجَدِّكَ وَالْجَدِّ الشَّرِيفِ فَمَا تُقْصِي إِذَا قُلْتَ فِي الْقُرْبَى وَلَا تُغْصِي
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُخْصَرُ فِي نَظْمٍ وَلَا يُحْصَى^(٢)
وَقَدْ جَرَيْتَ عَلَى أُسْلُوبِهِ فَأَقِمَّ [٦١] إِلَيْهِ وَجْهَكَ وَأَقْصُصْ أَثَرَهُ قُصَا

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ : [من الخفيف]

أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي سَوَّدَتْهُ فِي الْبَرَايَا مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
وَالْعَدِيمُ النَّظِيرِ فِي كُلِّ فَنٍّ فَعَدَا سَيِّدًا بِالْإِسْتِحْقَاقِ
لَمْ تُزَفْ الدُّنْيَا إِلَيْكَ عَرُوسًا قَطُّ إِلَّا قَابَلَتْهَا بِالْإِطْلَاقِ
سُنَّةٌ سَنَهَا أَبُوكُمْ عَلَيَّ فَيُكْمُ عُذَّةٌ لِيَوْمِ التَّلَاقِ
فَتَعَطَّفَ عَلَى تَطْلُعِ مِضْرٍ فَهِيَ فِي غَايَةِ مَنْ الْأَشْوَاقِ
تَتَجَلَّى لِنَاطِرِيكَ عَرُوسًا فَازْتَشَفَ رَيْقَ نَيْلِهَا الرَّفَاقِ
وَأَمَلِ سَاحَاتِهَا نِظَامًا وَنَثْرًا فِي رِقَابِ الْأَيَّامِ كَالْأَطْرَاقِ
أَنْتَ صَبٌّ فِي دَهْرِنَا بِالْمَعَالِي وَالْمَعَالِي قَلِيلَةُ الْعُشَاقِ
وَالَّذِي قَدْ تَرَكْتَهُ عَنْكَ فَايَ وَالَّذِي رُمْتَهُ مِنْ اللَّهِ بَاقِ

(١) في أ، م : × ونظمتك عندي

(٢) في م : . . . لا عددا × .

(٣) في م : ورجا .

(١) في م : أتيت ×

(٢) في ب : × في حدٍّ ولا يحصى .

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ : [من الخفيف]

يا خليلَ الوفا ويا ذا الوفاق
والذي لَفْظُهُ فَرَّائِدُ عَقِيَا
وإمامَ الشَّامِ نَظْماً وَنَثْراً
كَاتِبَ خَاطِبٍ مُفِيدٍ مُجِيدٍ
لَكَ فِي مِضَرٍ وَالشَّامِ أَيْادٍ
أَسْعَدَتْنِي بِالرَّفْقِ مِنْهَا وَلَمْ يَبْ
لَمْ تَزَلْ جَابِراً بِفَضْلِكَ قَلْباً
لَا تَلْمَنِي عَلَى نَزُولِي عَنِ الشُّهْبَا
كُنْتُ مَعَ شَرِّ مَعْشَرٍ كَمْ رَمَوْنِي
لَمْ أَزَلْ مُذْ جَاوَزْتُهُمْ فِي شَقَاءٍ
لَوْ أَقَامُوا بِمَغْرِبِ الشَّمْسِ كَانَ الشُّدَّ
فَخَرُوا بِالْخَيْلِ الْعِتَاقِ عَلَى مَنْ
نَحْنُ أُنْبَاءُ الطُّهْرِ فَاطِمَةَ الزَّهْدِ
وَعَلَى جَدَّنَا تُسَلِّمُ شَمْسُ الدِّ
وَأَبُونَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَا
منها :

أَنَا مِنْ سَادَةِ كِرَامِ السَّجَايَا
جَدَّنَا اخْتَارَ دَارَ أُخْرَى عَلَى دُنْ
وَهُمَا ضَرَّتَانِ مَا اجْتَمَعَا عِنْدَ
فَعَلَيْنَا الدُّنْيَا لَهَا الْغَيْظُ وَالْحَقْفُ
فِي الْعُلَا مَا لِسَبْقِهِمْ مِنْ لَحَاقٍ
يَا غُرُوراً وَرَاعَهَا بِالطَّلَاقِ
سَدَّ امْرِئٍ وَالْخِيَارُ لِلْحُذَّاقِ
سُدَّ وَأَجْرُ الْأُخْرَى لَنَا الْعَدَّ بَاقٍ

● وكتبَ هو عن الأميرِ سيفِ الدِّينِ أَرْغُونِ الْكَامِلِي^(١) ، نَائِبِ السَّلْطَنَةِ
الشَّرِيفَةِ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ ، كِتَاباً قَرِينِ خَمْسِينَ غَزَالاً جَهَّزَهَا مِنْ صَيِّدِهِ إِلَى
الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَيْتَمِش^(٢) نَائِبِ السَّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ :

يُقَبَّلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهَى - بَعْدَ ابْتِهَالِهِ بِالْأَذْيَةِ الصَّالِحَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ
يَجْعَلَ أَعْدَاءَهُ كَطَرَائِدِ الصَّيْدِ ، وَيُلْقِي حُسَّادَهُ فِي حَبَائِلِ الْكَيْدِ ، وَيَرْمِي شَانِئَهُ
بِمَرَامِي الْمَنَايَا ، وَيَحْمِي حِمَاهُ بِالْقُوَّةِ وَالْأَيْدِ - أَنَّ الْمَمْلُوكَ مِنْ جُمْلَةِ أَوْلِيَائِهِ
الْمُتَمَتِّينَ ، وَأَصْفِيَائِهِ الَّذِينَ مَا زَالُوا بَاغِتْنَاهُ مُكْرَمِينَ ، فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ سُلُوكُ سَبِيلِ
الْخِدْمِ ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى الْخَاطِرِ الْكَرِيمِ بِعَادَاتِ الْوَسَائِلِ وَالْخِدْمِ .

وَكَانَ الْمَمْلُوكُ قَدْ تَوَجَّهَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَى مَنَزَلَةِ الْبَابِ [٦١ ب] لِلْإِشْرَافِ
عَلَى مَا هُنَاكَ مِمَّا أَنْعَمَتْ بِهِ عَلَيْهِ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ وَالْكَرِيمَةُ مِنَ الْخَيْلِ
الْعِرَابِ ؛ وَضَرَبَ الْمَمْلُوكُ حَلَقَتِي صَيِّدٍ عَلَى الْأَرَامِ ، وَظَفَرَ مِنْهَا بِسَعَادَةِ مَوْلَانَا
بِمَا رَامَ ، وَجَهَّزَ الْمَمْلُوكُ مِنْ بَعْضِهَا عَلَى سَبِيلِ الْأَرْمَغَانِ^(٣) إِلَى الْمَطَابِخِ
السَّعِيدَةِ خَمْسِينَ غَزَالاً عَلَى يَدِ الْوَلَدِ سَيْفِ الدِّينِ بِهَادِرِ الزَّرْدَكَاشِ .

وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ إِحْسَانَ مَوْلَانَا الْعَمِيمِ فِي قَبُولِهَا ، وَبَسْطِ الْعُذْرِ فِي قَلِيلِهَا ،
جَبِراً لَخَاطِرِ الْمَمْلُوكِ ، وَبِزْراً لَا يَزَالُ يَسْلُوكُ بِوَلِيَّتِهِ مِنْ مُوَالَةِ الْإِحْسَانِ أَحْسَنَ
سُلُوكٍ ؛ وَاللَّهُ يُمَتِّعُ بِبَقَائِهِ عَصَائِبَ الْإِسْلَامِ ، وَيُوقِعُ بِأَعْدَائِهِ نَوَائِبَ الْإِنْتِقَامِ ،
وَيُمَتِّعُ بِكَفَالَتِهِ الْعَلِيَّةِ الشَّانِ حِمَى الشَّامِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) .

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ :

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٣٥٦/٨ .

(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات ٤٨٢/٩ .

(٣) الأرمغان : كلمة تُركِيَّة ، تعني الهدية .

يُقْبَلُ الْأَرْضَ بِالْمَقَرِّ الشَّرِيفِ السِّنْفِي ، لَا زَالَتْ أَعَادِيهِ كَأَشْلَاءٍ مَا يَصِيدُ ،
وَأَيَادِيهِ تُعْجِزُ عَنْ مُكَافَأَتِهَا أَوْ مُكَافَحَتِهَا الْمُلُوكُ الصَّيْدُ ، وَمَوَاضِيهِ الْمُرْهَقَةُ
لَا الْمُرْهَقَةُ تُبِيدُ بِهَا وَحُوشَ الْبَيْدِ ؛ تَقْبِيلًا يَنْظُمُ دُرَّهُ شِفَاهَا ، وَيُعْظِمُ بِهِ ثَغْرًا
وَشِفَاهَا .

وَيُنْهِي بَعْدَ أَدْعِيَةٍ يَزْفَعُهَا إِلَى مَنْ يَعْرِفُهَا ، وَأَثْنِيَّةٍ يَصْرِفُهَا إِلَى مَنْ يُنْصَدُّ
جَوَاهِرُهَا وَيَرْصُفُهَا ؛ أَنَّ الْمِثَالَ الْعَالِي ، أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَرَدَّ عَلَى يَدِ
الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بَهَادُرِ الزَّرْدَكَاشِ مَمْلُوكِ مَوْلَانَا أَعَزَّ اللَّهُ
أَنْصَارَهُ ، فَبَادَرَ إِلَى تَقْبِيلِ تَاجِهِ ، وَهُوَ اسْمُ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ مَا يُوَاجِهُ
الْمُوَاجِةَ ، وَنَزَّهَ نَازِرُهُ فِي تِلْكَ الشُّطُورِ الَّتِي تَرَفَّرَتْ مِبَاهُ بِلَاغَتِهَا ، وَتَأَنَّقَتْ
الْمَحَاسِنُ فِي صِيَاجَتِهَا ، وَشَرَفَ بِذَلِكَ قَدْرَهُ ، وَشَنَّفَ سَمْعَهُ ، لِمَا أَوْدَعَ صَدْفُهُ
دُرَّهُ ، وَوَصَلَ مَا أَنْعَمَ بِهِ مَوْلَانَا مِنَ الْهَدِيَّةِ وَهِيَ خَمْسُونَ غَزَالًا ، فَرَأَى مِنْهَا
مَا هَالَهُ ، وَشَاهَدَ كُلًّا مِنْهَا وَكَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِهِ قَمَرُ هَالَةٍ ، وَتَعَجَّبَ مِنْهُ كَوْنُهُ أُصِيبَ
بِسِهَامِ مَوْلَانَا ، وَكَمْ أَفْلَتَ مِنْ حِبَالِهِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ كُلًّا مِنْهَا غَزَالٌ مَا طَلَعَتْ عَلَى
مِثْلِهِ الْغَزَالَةُ ؛ فَيَا حُسْنَهَا مِنْ أَشْلَاءٍ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى طَرِيحَةٍ ، وَيَا صِحَّةَ
مَا وَجَدْتُهُ النَّفْسُ مِنَ اللَّذَّةِ لَمَّا أَصْبَحَتْ جَرِيحَةً ، كَمْ عَزَّ عَلَى غَيْرِهِ مَرَامُهَا ،
وَكَمْ اطَّرَدَتْ فِي الْفَلَا أَرَامُهَا ، وَكَمْ فَاحَرَتْ سَوَادَ الدِّيَاجِي بِأَخْدَاقِهَا ، وَكَمْ
طَاوَلَتْ التُّجُومَ بِأَرْوَاقِهَا ، وَكَمْ نَشَرَتْ مَلَاءَةَ غُبَارٍ فَتَسْتَرَّتْ بِرَوَاقِهَا ، وَكَمْ
مَضَعَتْ شَيْحًا ، وَكَمْ تَسَمَّتْ مِنْ أَرْضٍ نَجْدٍ رِيحًا ، وَكَمْ أَغَارَتْ الْغَيْدَ بِحُسْنِ
الْمُلْتَفَتِ وَالْجَيْدِ ، وَكَمْ مَلِيحٌ ^(١) يَفُوقُ الْبُدُورَ وَيَسُودُ ، تَمَتَّى مَا حَارَتْهُ دُونَهُ مِنَ
الْعُيُونِ السُّودِ ، حَتَّى بَدَتْ لَهَا جَيَادُ مَوْلَانَا الْمُسَوِّمَةِ ، وَطَلَائِعُ جُرْدِهِ الْمُطَهَّمَةِ ،

(١) « مليح » سقطت من أ ، م .

وَسَبَقَتْ إِلَيْهَا سِهَامُهُ الْمُقَوَّمَةُ ، وَحَنَّتْ إِلَيْهِ حَنَائِهِ الْمُعْظَمَةَ ، فَلَمْ يُنْجِهَا مِنْ ذَلِكَ
فِرَارٌ ، وَلَا قَرَّ لَهَا مَعَهُ قَرَارٌ ، وَلَا خَبَأَهَا فِي حُشَاهُ نَفْعٌ مَثَارٌ ، وَلَا رَدَّاهَا
عِثْرُهَا ^(١) غَيْرَ رَدَى وَعِثَارٍ ، فَأَصْبَحَتْ كَأَعْدَائِهِ الَّذِينَ تَرَقَّى إِلَيْهِمْ حَيْثُ هُمْ
وَتَرَقَّبَ ، وَأَشْبَهَتْ عُيُونُهَا الشَّاخِصَةَ حَوْلَ خِبَائِهِ وَأَرْحِلِهِ الْجَزَعَ الَّذِي
لَمْ يُثَقِّبْ ^(٢) ، وَلَقَدْ جَاءَ بِهَا دُرًّا بَهَادُرِ الْمَذْكُورِ ، وَرُصِفَتْ حَبَائِثُهَا عَلَى الثَّرَى ،
وَنَظُمُ حَيَاتِهَا مَثُورٌ ، فَيَا حُسْنَهَا لَمَّا تَكَرَّعَتْ وَتَجَوَّفَتْ ، وَانْتَصَبَتْ عَلَى عُيُونِهَا
أَلْفَاتُ قُرُونِهَا الَّتِي تَكْوَفَتْ ، وَرَقَّتْ لِمَصْرَعِهَا فِي أَوْبَارِهَا قُلُوبُ الطَّائِفَةِ الَّتِي
تَصَوَّفَتْ ، فَلَقَدْ فَتَحَ مَوْلَانَا [١٦٢] عَلَيْهَا مِنَ الْبَابِ ، مَا يَشْهَدُ لَهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ ؛
إِنَّهُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ مِنْ مَوْلَانَا وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ بِسِهَامِهِ الْعَذَابُ ، وَقَدْ قَابَلَ
الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْأَيَادِي الْمُغْدِقَةَ ، وَالْعَوَادِي الْمُغْرِقَةَ ، بِشُكْرِ يَتَّصِلُ سَنَدُهُ ،
وَيَصِيحُ مَتْنُهُ ، وَيَقُومُ أَوْدُهُ .

وَاللَّهُ يُوزِغُ الْمَمْلُوكَ شُكْرَ هَذِهِ الْعَوَارِفِ الَّتِي شَغَلَتْ الْجَوَارِحَ ، بِوَصْفِ
هَذِهِ الطَّبَائِئِ السَّوَانِحِ ، وَأَكَدَتْ الْمَوَدَّةَ الْقَدِيمَةَ ، وَالْمَحَبَّةَ الْمُقِيمَةَ ، فَمَلَأَتْ
بِالْإِخْلَاصِ مِضْمَارَ الصَّمَائِرِ وَجَوَّ ^(٣) الْجَوَانِحِ ؛ وَقَدْ أَعَادَ الْمَمْلُوكُ سَيْفُ الدِّينِ
بَهَادُرَ بَهْدِهِ الْعُبُودِيَّةِ بَعْدَمَا حَمَلَهُ مِنَ السَّلَامِ ، مَا يُقْصَرُ عَلَى السَّمْعِ الْكَرِيمِ
سُطُورُهُ ، وَمِنْ الثَّنَاءِ مَا تَنْصَوُّهُ بُدُورُهُ وَيَنْصَوُّعُ مَنُورُهُ ، وَمِنْ الدُّعَاءِ مَا يَرْفَعُهُ فِي
اللَّيْلِ الْعَاتِمِ ، وَمِنْ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ مَا يَتَشَرَّفُ بِهِ الْأَلَاثِمُ ، فَيَتَصَدَّقُ مَوْلَانَا
بِالْإِضْغَاءِ إِلَى مَا يُنْهِيهِ إِلَى مَسَامِعِهِ الْكَرِيمَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ السُّعُودَ لَهُ أَيْنَمَا
تَوَجَّهَ حَدِيثُهُ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) الْعِثْرُ : الثَّرَابُ وَالْعِجَاجُ . (الْقَامُوسُ) .

(٢) مِنْ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ : [وَقَدْ مَضَى]

كَأَنَّ عِيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحِلِنَا الْجَزَعَ الَّذِي لَمْ يَثْقُبْ

(٣) « جَوَّ » سَقَطَتْ مِنْ أ ، م .

حَرْفُ الْخَاءِ

٣٥ * خالد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد
ابن خالد ابن نصر^(١) :

القاضي الرئيس ، شَرَفُ الدِّينِ بن القاضي عِمَادِ الدِّينِ بن القاضي شَرَفِ
الدِّينِ بن الصَّاحِبِ فَتَحَ الدِّينِ ابن القيسراني ، مَوْقِعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ
المحروس .

● كُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ أُعْزِّيهِ فِي وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ ، فِي
سنة ٧٣٢ : [من الطويل]

أَيَا شَرَفَ الدِّينِ الَّذِي لَمْ تَزَلْ لَنَا مَآثِرُهُ تَأْتِي بِمَجْدٍ مُجَدِّدٍ
مَضَى أُنْتُكَ فَاصْبِرْ لِلزَّمَانِ عَلَى الرَّدَى فَمِنْ قَبْلِ عَزِي خَالِدٍ فِي مُحَمَّدٍ
تَجَرَّدَ مِنْ ثَوْبِ الْحَيَاةِ وَمَا أَتَى بِوَزْرِ فَوَلَّى طَاهِرًا بِالتَّجَرُّدِ
وَقَدْ سَارَ عَنْ دَارِ الْمَقَرِّ نَزَاهَةً وَصَارَ إِلَى دَارِ الْمَقَرِّ الْمُؤَبَّدِ
وَمَا كَانَ إِلَّا كَوَكْبًا مُتَوَقِّدًا فَأَخْمَدَ مِنْهُ الْمَوْتُ نُورَ التَّوَقُّدِ
تَصَبَّرَ فَإِنَّ الْمُخْلِصِينَ لَكَ الْوَلَا يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ^(٢)

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٠٨/٢ وذيول العبر ٣٢٢ ووفيات ابن رافع ٣٤٩/١ والمتفق من درة
الأسلاك ٣١٥ وتعريف ذوي العلا ١١٧ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٣٧/٢ والنجوم الزاهرة ٣٢٨/١٠
والمنهل الصافي ١٩٩/٥ والدليل الشافي ٢٨٣/١ .
- وفاته سنة ٧٥٩ هـ . عن يثف وخمسين سنة .
- في أ ، م : خالد بن سعيد !! .

(٢) المعجز مضمّن من بيت طرفة بن العبد : [ديوانه ٦]
وقروفاً بها صبحي عليّ مطيهم يقولون : لا تهلك أَسَى وَتَجَلَّدِ

وإن كُنْتَ مَعْدُورًا عَلَى التَّوْحِ والبُكََا فَمَا ضَرَّ أَنْ تَغْدُو بِصَبْرِكَ نَقْتَدِي
وإن شِئْتَ إِسْعَافًا عَلَى الْوَجْدِ وَالْأَسَى فَكَمْ مُسْعِفٍ تَلْقَاهُ مِنَّا وَمُسْعِدٍ
إِذَا كُنْتَ تَبْقَى فَاَلْبُنُونُ كَثِيرَةٌ تَجِيءُ نُجُومًا طَالِعَاتٍ بِأَسْعِدٍ
فَلَا تَحْسَبِ الْأَقْمَارَ خَلْقًا كَثِيرَةً فَجُمْلَتُهَا مِنْ يَسْرِ مُرَدِّدٍ
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، لَا طَرَقَتْ لَهَا الْخُطُوبُ سَاحَةً ، وَلَا مَدَّ الزَّمَانُ إِلَيْهَا يَدًا بَغِيرِ
يَدٍ ، وَلَا رَاحَةَ بَغِيرِ رَاحَةٍ ؛ وَيُنْهِي مَا بَلَغَهُ مِنْ وَفَاةِ الْوَلَدِ مُحَمَّدٍ ، رَزَقَ مَوْلَانَا
الصَّبْرَ فِي رَزِيَّتِهِ ، وَلَا أَعْدَمَهُ وَثَبَاتِ التَّجَلُّدِ وَالثَّبَاتِ عَلَى بِلِيَّتِهِ ، فَزَادَ مَا عِنْدَ
الْمَمْلُوكِ مِنْ فِرَاقِ مَوْلَانَا وَأَخِيهِ لَوَاعِجٍ لَا يَقْدِرُ الصَّبْرُ أَنْ يُعَالِجَهَا ، وَسَدَّ الْهَمُّ
عَنِ النَّفْسِ نَسَمَاتِ الْأَرْوَاحِ وَمَخَارِجَهَا ، وَحَمَلَ الْمَمْلُوكُ مِنْ هَمِّ مَوْلَانَا
مَا يَعْجُزُ عَنْ شَرْحِهِ ، وَيَتَعَدَّرُ عَلَى الزَّمَانِ طُبُّ جُرْحِهِ ، وَمَا أَحَقَّ الذَّاهِبَ بِأَنْ
يُنْشَدَ^(١) : [من الطويل]

فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَا وَإِنْ تَكُ طِفْلًا فَالْأَسَى لَيْسَ بِالطُّفْلِ
وَمِنْكَ لَا يَبْكِي عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْمَخِيلَةِ وَالْفَضْلِ
فَكَبَّتْ اللَّهُ قَلْبَ مَوْلَانَا بِصَبْرِهِ الْجَمِيلِ ، وَلَا جَعَلَ لِلزَّيَا عَلَيْهِ بَعْدَهَا مُنْعَرَجَ
طَرِيقٍ وَلَا هِدَايَةَ سَبِيلٍ ، وَفِي بَقَائِكَ مَا يُسْلِي عَنِ الْحَزَنِ ، فَمَا يُظْلِمُ أَفْقَ الْمَعَالِي
إِذَا هَوَى كَوَكْبَهُ ، وَفِيهِ مِنْكُمْ شَمْسٌ وَأَقْمَارٌ ، وَلَا يُوحِشُ السَّارِيَّ مَعَ وُجُودِ
وُجُوهِكُمُ الْمُشْرِقَةِ إِذَا غَابَ كَوَكْبُ سَحَرِهِ ، فَكَوَاكِبُ السَّحَرِ قَصِيرَةُ الْأَعْمَارِ ،
[٦٢ ب] وَلَا يَتَعَطَّلُ رَوْضُ الْمَجْدِ إِذَا ذَوَتْ مِنْهُ زَهْرَةٌ ، وَفِيهِ مِنْكُمْ غُصُونٌ لَهَا
بِالْمَحَامِدِ مِنْكُمْ أَزْهَارٌ وَأَنْمَارٌ ، وَلَا يَشْغَلُ النَّدَامَى هَذِهِ النَّازِلَةَ وَعِنْدَهُمْ مِنْ
حُلُومِكُمْ وَثَبَاتِكُمْ أَحَادِيثٌ وَأَسْمَارٌ ؛ عَلَى أَنَّ هَذِهِ كَأْسٌ لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهَا ، وَإِنَّمَا
يُعَجِّلُ السَّاقِي عَلَى بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ ، وَهَذِهِ الثُّفُوسُ جَوَاهِرُ شَرِيفَةٍ ، وَإِنَّمَا

(١) البيتان للمتنبي ، في ديوانه ٤٤/٣ .

أَصْدَأُهَا الَّتِي تُودَعُ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ ، وَلِلَّهِ (دُرُّ) الْفَائِلُ : [من السريع]

النَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ الطَّرَادِ فَالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْهَا الْجَيَادُ
وَالْمَوْتُ نَقَادٌ عَلَى كَفِّهِ جَوَاهِرٌ يَخْتَارُ مِنْهَا الْجَيَادُ^(١)

والله تعالى - يُمْنِعُ الْوُجُودَ بَعْدَ الذَّاهِبِ مِنْ جَذْيِهِ بِشَمْسِهِ وَعِمَادِهِ ، وَيَجْعَلُهُ
لِكُلِّ مِنْهُمَا قَرَطًا وَذُخْرًا يَوْمَ بَعْثِهِ وَمَعَادِهِ ، وَيَرْبِطُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَلَى قَلْبِ
مَوْلَانَا الَّذِي عَدِمَ ثَمَرُهُ فَوَادِهِ ، وَلَا يُدَيِّقُهُ بَعْدَهَا خُرْقَةٌ يَنْشُرُ الطَّرْسُ ذَوَائِبَ
سُطُورِهِ ، وَيَلْبَسُ الْقَلَمَ لَهَا جِدَادَ مِدَادِهِ ؛ وَمَوْلَانَا فِي دَعَا اللَّهِ وَحِفْظِ الْحَرِيزَيْنِ ،
وَعَيْنِ اللَّهِ عَلَى وَلَدَيْهِ^(٢) الْعَزِيزَيْنِ ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٣٦ * الْخَضِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْخَضِرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَلِيٍّ^(٣) :

القاضي زَيْنُ الدِّينِ بْنِ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ بْنِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ
عَلَمِ الدِّينِ بْنِ نُورِ الدِّينِ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الزَّيْنِ خَضِرٍ ، مُوقِعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ
بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ لَمَّا طُلِبْتُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ^(٤) فِي الْأَيَّامِ الصَّالِحِيَّةِ
إِسْمَاعِيلَ ، سَنَةَ ٧٤٥ وَذَلِكَ^(٤) بَعْدَمَا تَفَضَّلَ الْمَوَالِي السَّادَةُ الْمُوقِّعُونَ ، وَكَتَبَ
كُلُّ مِنْهُمْ إِلَيَّ شِعْرًا هَنَاءً بِقُدُومِي عَلَيْهِمْ^(٥) : [من الطويل]

تَأَخَّرْتُ فِي مَذْحِي لِأَنِّي مُقَصِّرٌ وَفَضْلُ صَلَاحِ الدِّينِ مَا زَالَ يَنْسُرُ
خَلِيلٌ لَهُ الْأَدَابُ حَقًّا يَنَالُهَا جَلِيلٌ بِهِ الْأَصْحَابُ تَسْمُو وَتَفْخُرُ
لَقَدْ آنَسَ الْأَمْصَارَ لَمَّا أَتَى لَهَا وَأَوْحَشَ رُبْعَ الشَّامِ إِذْ كَانَ يُفْفِرُ
فَلَا شَهِدَتْ عَيْنَايَ سَاعَةً بَعْدَهُ وَلَا سَهِدَتْ شَوْقًا إِلَيْهِ فَتَسْهَرُ
وَدَامَ عَلَيَّ الْقَدَرُ يَرْقَى إِلَى الْعُلَا مُحَامِدُهُ بَيْنَ الْأَنَامِ تُسْطَرُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(١) : [من الطويل]

تَفَضَّلْتَ زَيْنَ الدِّينِ إِذْ أَنْتَ أَكْبَرُ وَأَشْرَفُ مِنْ مَذْحٍ بِهِ الْعَبْدُ يُذَكِّرُ
فَشَرَفْتَ قَدْرِي حِينَ شَتَّفْتَ مَسْمَعِي فَيَا مَنْ رَأَى شِعْرًا عَلَى الدَّرِّ يُفْخَرُ
فَمَا هُوَ شِعْرٌ يَخْصُرُ الْوِزْنَ لَفْظُهُ وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ مِنَ السَّحْرِ يُؤَثِّرُ
يَجُوزُ بِلَا إِذْنٍ عَلَى الْأُذُنِ خِفَّةً كَأَنَّ الزَّلَالَ الْعَذْبَ مِنْهُ يُفَجِّرُ
فَهَا أَنَا مِنْهُ فِي نَعِيمٍ مُخَلَّدٍ وَعَيْشِي بِخَضِرٍ فِي رُبَا مِصْرٍ أَخْضَرُ^(٢)
● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مُلْغِرًا فِي « قُطْن »^(٣) :

يَا سَيِّدَ الْعُلَمَاءِ وَالْبُلْغَاءِ ، وَقُدُوةَ الْكُتَّابِ وَالْأَدْبَاءِ ، مَا اسْمُ أَوَّلِ سُورَتَيْنِ
مِنَ الْقُرْآنِ ، وَحَرْفٌ مِنْ أَوَّلِ سُورَةٍ أُخْرَى^(٤) ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَحْرَفٍ ، وَتَلْفَاهُ ثَمَانِيًا
إِذَا أُفْرِدَتْ مَجْمُوعُهُ سِرًّا وَجَهْرًا^(٥) ، أَوَّلُ حُرُوفِهِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَحَدُ الْجِبَالِ^(٦) ،
وَأَخْرُهَا قَسَمًا لَا يَزَالُ^(٧) ؛ إِنْ حَذَفْتَ أَوَّلَهُ وَصَحَّفْتَ ثَانِيَهُ فَهُوَ « ظَنٌّ » حَقِيقَتُهُ

(١) الْآيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْوَافِي .

(٢) سَقَطَ الْبَيْتُ مِنْ أ ، م .

(٣) النَّصُّ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْوَافِي .

(٤) سُورَةُ « ق » وَسُورَةُ « ن » وَسُورَةُ « طه » .

(٥) يَرِيدُ قَاف = ٣ وَطَاء = ٢ وَنُون = ٣ . فَالْمَجْمُوعُ ثَمَانِيَةٌ بِحِسَابِ الْجُمْلِ .

(٦) جَبَلُ قَافٍ بِزَعْمِهِمْ .

(٧) يَرِيدُ : « وَتَ وَالْقَلْبُ وَمَا يَسْطُرُونَ » .

(١) فِي س : × جَوَاهِرٌ يَأْخُذُ مِنْهَا الْجَيَادُ . وَالْبَيْتَانِ لِابْنِ النَّبِيهِ الْمِصْرِيِّ ، فِي دِيَوَانِهِ ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) فِي ب : وَعَيْنُ اللَّهِ نَاطِرَةٌ إِلَى وَلَدَيْهِ . . .

(٣) تَرْجُمَتُهُ فِي : أَعْيَانِ الْعَصْرِ ٣١٤/٢ وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٣٤٠/١٣ وَذِيُولِ الْعَبْرِ ٣٠٨ وَالدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٨٤/٢ وَالْمَقْفِيُّ الْكَبِيرُ ٧٥٨/٣ ، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٣٢١/١٠ وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي ٢٢٥/٥ وَالِدَلِيلُ الشَّافِي ٢٨٨/١ .

- مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٧١٠ هـ . وَوَفَاتَهُ سَنَةَ ٧٥٦ هـ .

(٤) - (٤) مِنْ س .

(٥) الْآيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْوَافِي .

الآمال ، أو صَحَفَتْ جُمْلَتَهُ كَانَ وَصَفَ مُؤْمِنٍ يَجْرِي عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ^(١) ، أو حَذَفَتْ أَوْسَطَهُ مَعَ التَّخْرِيفِ كَانَ عَبْدًا لَا يُعْتَقُ^(٢) ، أو حَذَفَتْ آخِرَهُ مَعَ بَقَاءِ التَّخْرِيفِ كَانَ حَيَوَانًا يَسْرِقُ وَلَا يَسْرَقُ ، وَيَأْسُسُ وَيَنْفَرُ وَيُقَيِّدُ بِالْإِحْسَانِ وَهُوَ مُطْلَقٌ ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، وَيَأْوِي فِي الْمَنَازِلِ إِلَى الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ ، وَلَا يُبَاغُ وَلَا يُشْتَرَى^(٣) ، وَعَنْهُ^(٤) الْمَجَازُ حَقِيقَةً يَبْلُغُ قِيَمَةً تُمَازِلُ جَوْهَرًا ، وَإِنْ أَبْقِيَتْ هَذَا الْأِسْمَ عَلَى حَالَتِهِ فَهُوَ شَيْءٌ لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ مَسْجِدٌ وَلَا جَامِعٌ ، وَلَا بَيْعٌ وَلَا صَوَامِعٌ ، وَلَا مُسْلِمٌ وَلَا كَافِرٌ ، وَلَا قَاطِنٌ وَلَا مُسَافِرٌ ، وَلَا غَنِيٌّ وَلَا فَقِيرٌ صَابِرٌ ، وَلَا قَوِيٌّ [٦٣] وَلَا ضَعِيفٌ ، وَلَا مُشْرُوفٌ وَلَا شَرِيفٌ ، وَلَا خَائِنٌ وَلَا مَأْمُونٌ ، وَلَا حَيٌّ وَلَا مَن سَقِيَ بِكَأْسِ الْمُنُونِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ جَلِيلٌ حَقِيرٌ ، قَلِيلٌ كَثِيرٌ ، يَمْلِكُهُ الْمَالِكُ وَالْمَمْلُوكُ ، وَالْمَلِيُّ وَالْمُغْلُوكُ ، وَهُوَ شَيْءٌ مُمْتَهَنٌ ، وَيَعْلُو عَلَى رُؤُوسِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْمُلُوكِ ، قَلِيلُهُ^(٥) بِالتَّخْرِيفِ فِعْلٌ مَضِيٌّ ، وَاسْمٌ إِذَا نُطِقَ بِهِ قَدْ يُرْتَضَى ، وَهُوَ قَدْ يَبْدُو بِهِ النُّورُ فِي الدِّيَاجِي ، وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَنْقَطِعُ مِنْهُ أَمَلُ الرَّاجِي ، لَا يَسْتَعْنِي بَيْتٌ عَنْهُ وَلَا بُقْعَةٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُبَاغُ بِفَلَسٍ وَدِينَارٍ وَفَوْقَ ذَلِكَ فِي الرَّفْعَةِ ، وَهُوَ بَيْنَ وَاضِحٍ ، فَاحْلُلْهُ بِمِيزَانِ عَقْلِكَ الرَّاجِحِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكْتُبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْهُ^(٦) :

وَقَفَّ الْمَمْلُوكُ عَلَى هَذَا اللَّغْزِ الْعَجِيبِ ، وَالْمُعَمَّى الَّذِي مَالَهُ فِي فَنِّهِ مُمَازِلٌ وَلَا ضَرِيبٌ ، وَعَجِبْتُ مِنْهُ نَبَاتًا « نَطَقَ » مَعْكَوْسُهُ ، وَثَلَاثَ كِتَابٍ تَرْدَانُ

بِسُطُورِهِ طُرُوسُهُ ؛ أَوَّلُهُ يُضَافُ إِلَيْهِ أَكْبَرُ الْجِبَالِ ، وَمَجْمُوعُهُ مَادَّةٌ لِلْجِبَالِ ، أَشْبَهُ بَيَاضًا بِالثَّلْجِ ، وَمَحَبُوبُهُ يَرُوقُ وَيَحْسُنُ بِالْحَلِجِ ، قَدْ خَفَّ عَلَى اللِّسَانِ وَزَنُّهُ ، وَأَغْجَبَ أَزْيَابَ الْأَمْوَالِ ادِّخَارُهُ وَخَزَنُهُ ، كُلُّهُ نَابِتٌ فِي التُّرَابِ ، وَثَلَاثُهُ سَابِغٌ فِي الْبَحْرِ لَا يُسْتَرَابُ ؛ إِنْ جَعَلْتَ آخِرَهُ وَسَطًا كَانَ فِعْلٌ مَنِ انْقَطَعَ رَجَاؤُهُ ، وَاتَّسَعَتْ بِهِ فِي الْيَأْسِ أَرْجَاؤُهُ^(١) ، وَإِنْ صَحَفْتَ حُرُوفَهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَتَتْكَ مِنَ الْحَزِّ وَاقِدَةٌ ، وَأَصْبَحْتَ الْعَجَاجَةُ وَهِيَ فِي الْجَوِّ عَاقِدَةٌ^(٢) ، وَإِنْ صَحَفْتَهُ أَيْضًا كَانَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ ، وَلَيْسُوا مِنَ الْعَرَبِ إِذَا عُدُّوا وَلَا مِنَ الْعَجَمِ ، يُعَدُّ مِنْهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ، وَلَنَا فِيهِمْ نَسَبٌ وَصَهْرٌ يَعِزُّ مُنْكَرُهُ وَجَحُودُهُ^(٣) ، وَإِنْ عَكَسْتَهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ كَانَ آيَةً لَا مَحَالَةَ^(٤) ؛ وَلِهَذَا اللَّغْزُ أَوْصَافٌ أُخَرُ لَمْ تُدَكَّرْ ، وَلَمْ تُعَرَفْ بَعْدُ وَلَمْ تُنَكَّرْ ، وَأَضْرَبْتُ عَنْهَا خَوْفَ الْإِطَالَةِ صَفْحًا ، وَعَدَدْتُ هَذَا الْقَدْرَ رِنِحًا ، لِأَنَّ مَوْلَانَا حَرَسَهُ اللَّهُ مَدَّ فِيهِ الْأَطْنَابَ ، وَاسْتَوَعَبَ أَوْصَافَهُ بِالْإِسْهَابِ وَالْإِطْنَابِ ؛ وَاللَّهُ يُدِيمُ حَيَاتَهُ لِأَهْلِ الْإِنْشَاءِ ، وَيَنْشُرُ مَحَامِدَهُ بِلِسَانِ الْإِذَاعَةِ وَالْإِفْشَاءِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٣٧ * خَلِيلُ بْنُ كَيْكَلْدِي^(٥) :

الإمام العلامة ، الْمُتَفَنُّنُ ، جَامِعُ أَشْتَاتِ الْعُلُومِ ، الشَّيْخُ صَلَاحُ الدِّينِ ابْنُ

(١) يريد : قنط .

(٢) يريد : قنط .

(٣) يريد : قنط .

(٤) يريد : طبق .

(٥) ترجمته في : المعجم المختص ٩٢ ومعجم شيوخ الذهبي ٢٢٣/١ وأعيان العصر ٣٢٨/٢ والوافي بالوفيات ٤١٠/١٣ وذيول العبر ٣٣٥ ووفيات ابن رافع ٣٥٩/١ وذيول تذكرة الحفاظ ٤٣ و٣٦٠ وتذكرة النبيه ٢٣٥/٣ وطبقات الشافعية للإسنوي ٢٣٩/٢ والسبكي ٣٥/١٠ والبداية والنهاية ٦٠٠/١٨ ودرر العقود الفريدة ٦٣/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٦٧/٢ والدرر الكامنة ٩٠/٢ والنجوم الزاهرة ٣٣٧/١٠ والمنهل الصافي ٢٨٢/٥ والدليل الشافي ٢٩٣/١ والذيل التام ١٧٣/١ وطبقات الحفاظ للسيوطي ٥٢٨ وطبقات المفسرين للذَّوْدِي ١٦٥/١ والندارس ٦٣/١ ودررة الحجال ٢٥٨/١ وشذرات الذهب ٣٢٧/٨ والبدر الطالع ٢٤٥/١ .

- مولده سنة ٦٩٤ هـ . ووفاته سنة ٧٦١ هـ .

(١) يريد : قنط .

(٢) يريد : قنط = عبد .

(٣) يريد : قنط .

(٤) في ب : عينه .

(٥) كذا في أ ، ب ، س ! والصواب : قلبه ، كما في الوافي . وقلبه : نطق .

(٦) الجواب في أعيان العصر .

العلاني ، مُدْرَسُ الصَّلَاحِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ .

● كَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٣٣^(١) ، فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ^(٢) : [من الطويل]

أَتَانِي كِتَابٌ مَا ظَفِرْتُ بِنَدِّهِ لِأَنَّ نَسِيمَ الرُّوضِ طَابَ بِنَدِّهِ
وَحَلَّ فَحَلَّى نَاطِرِي وَمَسْمَعِي بَلْفَظٍ يَفُوقُ الدُّرَّ فِي نَظْمِ عَقْدِهِ
وَأَهْدَى إِلَى قَلْبِي هُدًى فَقَدْتُهُ وَأَطْفَأَ مِنْ جَمْرِ الْحَشَا حَرَّ وَقْدِهِ
وَمَا كُنْتُ أَرْجُو وَالْحَشَا تَلَفْتُ ظَمًا عَلَى بُخْلِ دَهْرِي أَنْ أَفُوزَ بِوَرْدِهِ
فَقَبَّلْتُ مِنْ شَوْقِي شِفَاءَ طُرُوسِهِ شِفَاهَا فَرَوَيْ غُلَّتِي طِيبُ بَرْدِهِ
وَبِئْتُ أَنَا جِي فِيهِ إِخْلَاصَ بَاطِنِي وَأَتَلَوْ لِمَا قَدْ ضَمَّ سُورَةَ حَمْدِهِ
فَإِنْ قُلْتُ رَوْضٌ كَانَ فِي ذَا مَحَاسِنٍ سِوَى مَا لِرَوْضِ الْحَزَنِ مِنْ نَفْحِ وَرْدِهِ
وَإِنْ قُلْتُ أَفْقٌ زَادَ هَذَا بِأَنَّهُ بِهِ كُلُّ نَجْمٍ حَلَّ فِي أَوْجِ سَعْدِهِ
بَعَثَ بِهِ جَبْرًا لِكَسْرِ أَصَابِنِي وَمَا كُلُّ مَوْلَى يَشْتَهِي جَبْرَ عَبْدِهِ
وَحَقَّقْتُ أَنَّ الْوَدَّ مِنْكَ مُؤَكَّدٌ جَزَى اللَّهُ مَوْلَانَا عَلَى حُسْنِ قَصْدِهِ
أَقَمْتُ عَلَى عَهْدِ الصَّفَاءِ وَلَمْ تَخُنْ [٦٣ ب] وَمِثْلُكَ مَنْ يَزْعِي مَوَاقِفَ عَهْدِهِ
جَفَانِي أَجْلَائِي الَّذِينَ أَلْفَتْهُمْ وَأَنْتَ خَلِيلُ سَرْنِي حِفْظُ وَدِّهِ
إِلَيْكَ صَلَاحُ الدِّينِ أَهْدَى عَلَى النَّوَى تَحِيَّةَ صَبِّ ضَاقَ صَدْرًا لِبُعْدِهِ
فَإِنْ كَانَ يَلْفَاكَ النَّسِيمُ مُعْتَبَرًا فَإِنَّ سَلَامِي فِيهِ فَاسْمَحْ بِرَدِّهِ

● وَكَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ فِي سَنَةِ ٧٥٣ : [من الطويل]

سَلَامٌ مَشُوقٍ لَا يَزَالُ مُرَدَّدًا يَضُوعُ كَرَوْضٍ نَاضِرٍ طَلَّهُ النَّدَى

يُضَاهِي ثُغُورَ الْغَيْدِ مِنْ أَقْحَوَانِهِ تَبَسُّمُهُ وَالْخَدُّ وَرْدٌ تَنْصَدَا
إِذَا مَا بَكَتْ عَيْنُ السَّحَابِ بِجَوِّهِ تَرَى الزَّهْرَ فِيهِ ضَاحِكًا مُتَوَدِّدًا^(١)
بِهِ أَعْيُنٌ لِلنَّزْجِسِ الْغَضِّ حَدَقَتْ بِجَفْنٍ غَضِيضٍ خِلْتَهُ رَاحَ أَرْمَدَا
يَجْرُ النَّسِيمُ الرَّطْبُ فِيهِ ذُبُولُهُ فَيَنْدُو بِهِ وَجْهُ الْعَدِيرِ مُجَعَّدَا
وَتَشْدُو بِهِ الْوُزُقُ الْهَوَاتِفُ سَحَرَةً فَيَطْرَبُ غُضْنُ الْبَانِ مِنْهَا تَأْوُدَا
عَلَى سَيِّدِ أَرْبَتٍ عَلَى ذَا صِفَاتِهِ فَأَضْحَى بِهَا بَيْنَ الْأَنَامِ مُفْرَدَا
وَعَطَّرَ مِنْهُ الْكَوْنُ أَنْفَاسَهُ الَّتِي لَهَا الْمِسْكُ يَغْنُو بِالْخُضُوعِ تَعْبُدَا
وَطَوَّقَ جِنْدَ الْعَصْرِ مِنْهُ قَلَائِدًا لَدَيْهَا نَفِيسُ الْأَمْرِ أَصْبَحَ جَلَمَدًا^(٢)
وَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ مِنْهُ فَضَائِلٌ تُبَارِي الثُّجُومَ الزَّاهِرَاتِ تَعْدُدَا
وَزَانَ بَنِي الْعُلْيَا مَحَاسِنُهُ الَّتِي بِهَا رَاحَ فِي كُلِّ الْمَنَاقِبِ أَوْحَدَا
تَحِيَّةَ مُشْتَقٍ يَوَدُّ لَوْ أَنَّه مَكَانَ الَّذِي خَطَّتْ يَدَاهُ فَيَسْعَدَا
يُرْتَحُّهُ ذِكْرَاكُمْ كُلِّ سَاعَةٍ عَلَى مَا بِهِ مِنْ حَرِّ شَوْقٍ تَوَقَّدَا
يَهِيمٌ بِمَغْنَاكُمْ وَيَضْبُو فُؤَادَهُ لِمَغْنَاكُمْ وَالْبُعْدُ قَدْ زَادَ فِي الْمَدَى
فَهَلْ تَسْمَحُ الْأَقْدَارُ يَوْمًا بِعَوْدَةٍ فَأُصْبِحَ فِي تِلْكَ الْمَعَالِمِ مُنْشِدَا
أَعْيَنِي نَامَا طَالَ مَا قَدْ سَهَرْتُمَا وَذَلِكَ زَمَانُ الْوَصْلِ أَصْبَحَ مُبْعَدًا^(٣)

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ مُتَمَسِّكًا مِنْ وَلَائِهِ يُقَبِّلُ الْأَرْضَ مُتَمَسِّكًا مِنْ ثَنَائِهِ الَّذِي
لَا يَزَالُ الْكَوْنُ مِنْهُ مُعْتَبَرًا ، مُتَشَوِّقًا لِلِقَائِهِ الَّذِي بِالْمُهْجِ يُسْتَامُ وَبِالْتُّفُوسِ
يُشْتَرَى ، مُتَشَوِّقًا إِلَى مَا يَرِدُ مِنْ أَنْبَاءِهِ الَّتِي تَسُرُّ خَبْرًا وَتُحْمَدُ أَثَرًا : [من الطويل]

لَهُ أَضْلَعُ تُحْنِي عَلَى بُرَحَائِهِ وَيُنْشِرُ مِنْهَا الرُّوحَ إِمَّا تَذَكَّرَا

(١) فِي م : . . . عَيْنُ السَّحَابِ نَحْوَهُ × .

(٢) فِي س ، م : نَفِيسُ الدُّرِّ . . .

(٣) فِي هَامِشٍ أ : لَعَلَّهُ الْهَجْرُ . أَيْ بَدَلَ الْوَصْلِ . وَفِي م : × وَذَلِكَ زَمَانُ الْهَجْرِ أَصْبَحَ مُسْعِدًا !

(١) فِي هَامِشٍ أ : لَمْ نَجِدْ مَا كَتَبَهُ .

(٢) الْقَصِيدَةُ فِي الرَّوَافِي .

يَهِيْمُ غَرَاماً بِالنَّسِيمِ لِأَنَّهُ إِذَا هَبَّ مِنْ ذَاكَ الْجَنَابِ تَعَطَّرَ^(١)
وَالْيَدَ الَّتِي وَكَفَتْ بِوَابِلِ جُودِهَا ، وَكَفَتْ الْمُهِمَّ بِبَتَائِجِ سُعُودِهَا ، وَمَتَاهِجِ
صُعُودِهَا ، وَحَاكَتْ السَّحَابَ صَيَّبَ عَهَادِهَا ، وَالْجِبَالَ الشُّمَّ وَثِيقَ عُهُودِهَا ،
وَحَاكَتْ الْوَشْيَ الْمَرْقُومَ ، وَسَلَكَتْ الدُّرَّ الْمَنْظُومَ ، فَهَذَا يَرْفُلُ فِي حُلِّهَا ،
وهذا يَتَحَلَّى بِعُقُودِهَا : [من الكامل]

فَهِيَ الَّتِي تَغْنُو الرِّيَاضُ لِرَفْعِهَا وَيَغَارُ مِنْهَا الدُّرُّ فِي تَنْضِيدِهَا
وَيَحَارُ أَرْبَابُ الْبَيَانِ لِنَظْمِهَا فَهُمْ بِحَضْرَتِهَا كَبَعُضِ عَيْنِهَا
وَيُنْهِي ذِكْرُ تَلَهُّفِهِ لِنِيرَانِ أَشْوَاقِهِ الَّتِي لَهَبَتْ ، وَتَأَشْفِهِ عَلَى الْإِيَّامِ السَّالِفَةِ
مُذْهَبَةً فِي خِدْمَتِهِ لَا ذَهَبَتْ ، وَتَوَجَّعَهُ لِهَذِهِ الْأَزْمَانِ الَّتِي اسْتَرْجَعَتْ بِالْبُعْدِ عَنْهُ
مِنْ دَمَائِهِ^(٢) مَا وَهَبَتْ ، وَتَطَّلَعَهُ إِلَى مَا يُشْنَفُ بِهِ الْأَسْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِ الَّتِي بِهَا
الْعُقُولُ سُلِّبَتْ^(٣) وَالْقُلُوبُ نُهَبَتْ ؛ فَلَا يَزَالُ يَسْأَلُ الرُّوَاةَ عَنْهَا لِيَلْتَقِطَ مِنْهَا ،
وَيَتَحَقَّقَ أَنَّ فَرَائِدَهَا لَا يَلْقَى لَهَا نَظِيراً وَلَا يُدْرِكُ كُنْهَهَا ، وَكَيْفَ لَا وَمِنْهَا يَتَعَلَّمُ
الْفَاضِلُ^(٤) ، وَإِلَيْهَا يَفْتَقِرُ السَّعِيدُ^(٥) ، وَلَهَا يَتَوَقَّ^(٦) حَبِيبٌ ، وَلَكِنَّهَا يَتَأَدَّبُ
الْوَلِيدُ ، وَعَنْهَا يَزُورِي حَمَّادٌ ، وَعَلَيْهَا يَغْتَمِدُ ابْنُ الْعَمِيدِ ، [٦٤] وَلَا تَنْفَكُ رَاقِيَةٌ
فِي دَرَجِ الْمَزِيدِ ، وَعَبْدُ الْحَمِيدِ عَبْدُ الْحَمِيدِ .

هذا والعِلْمُ الْكَرِيمُ مُحِيطٌ بِصِدْقِ مَحَبَّةِ الْمَمْلُوكِ وَإِخْلَاصِهَا ، وَشِدَّةِ حِرْصِهِ
عَلَى تَحْصِيلِ فَوَائِدِ مَوْلَانَا وَأَقْتِنَاصِهَا ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ ذَاكِراً لِمَحَاسِنِهِ الَّتِي لَيْسَتْ

- (١) في م : × . . . من ذاك الخباء . . .
- (٢) في م : من دمايه .
- (٣) في م : هببت .
- (٤) القاضي الفاضل .
- (٥) ابن سناء الملك .
- (٦) في س ، م : ولها يتودد .

فِي غَيْرِهِ مَجْمُوعَةٌ ، وَمُتَطَفِّلًا عَلَى ثِمَارٍ مِنْ أَفْكَارِهِ غَيْرِ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ،
وَالْخَاطِرُ الشَّرِيفُ وَهُوَ أَبُو الصَّفَا عَلَى الْحَقِيقَةِ يَشْهَدُ بِذَلِكَ ، فَلَا يَحْتَاجُ الْمَمْلُوكُ
مِنْهُ إِلَى بَيِّنَةٍ عِنْدَ مَوْلَانَا الْمَالِكِ ، وَقَدْ حَمَلَهُ مَا وَصَفَ عَلَى التَّهَنُّجِ بِمُعَمَّى بَعَثَ
بِهِ ، وَتَوَصَّلَ إِلَى الْأَذْكَارِ بِهِ بِسَبَبِهِ ، سَائِلًا مِنْ كَرَمِ شَيْمِهِ ، الْإِغْضَاءَ عَنْ ذَنْبِهِ
كَلِمِهِ ، وَالْإِلْغَاءَ لِعَثَرَاتِ لِسَانِهِ ، وَالسُّتْرَ عَلَى هَفَوَاتِ قَلَمِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ
لِمُبَارَاةٍ تُذَكِّرُ ، وَلَا سَعَى فِي مَيْدَانِ مُجَارَاةٍ تُشْهَرُ ، هَيْهَاتَ ، وَاللَّهُ إِنَّ الشَّمْسَ
لَا يُضَاهِي ، وَالْبَدْرَ لَا يُبَاهِي ، وَالْبَحْرَ لَا يُمَاتِلُ ، وَالسُّحْبَ لَا تُسَاجِلُ ، وَأَيْنَ
سَعْيُ الصَّالِحِ مِنْ رُكُضِ الْفُرْسَانِ ، وَعَيْيُ بَاقِلٍ مِنْ بَلَاعَةِ قُسٍّ وَبَيَانِ سَحْبَانِ ؟
وَلِكُلِّ أَحَدٍ مَقَامٌ يَفُوقُ عِنْدَ حَدِّهِ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَتَعَدَّى عَنْ حَدِّهِ ، وَلَكِنَّهَا
نَفْثَةُ مُضْذَوِرٍ غَلَبَهُ الشَّوْقُ فَقَالَ ، وَبَعَثَهُ مَغْذُورٍ حَمَلَهُ عَلَيْهَا الْإِذْلَالُ^(١) : [من الطويل]
وَأَرْسَلْتُهَا حَضْبَاءَ تُرْبٍ بِحَزْنَةٍ إِلَى أَفْقٍ فِيهِ النُّجُومُ جَوَارِي
فَأَلْقَى عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي سَتَرْتَ بِهَا قَدَمًا عَلَيَّ عُوَارِي
عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ زَيْفًا عِنْدَ النَّقْدِ ، وَضَيْفًا لَا قِرَى لَهُ سِوَى الرَّدِّ ، وَسُكْنَتًا
فِي حَلْبَةِ الرَّهَانِ ، وَمَدْرًا فَلَا يُقَاسُ بِاللُّوْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ^(٢) : [من الطويل]
وَمَا ضَرَّ مَا يُهْدَى إِلَيْكُمْ فَإِنَّهُ عَلَى ثِقَةٍ بِالْفَضْلِ لَيْسَ يَخِيبُ
يَكُونُ أُجَاجًا دُونَكُمْ فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْكُمْ تَلَقَّيْ نَشْرُكُمْ فَيَطِيبُ
وَاللَّهُ تَعَالَى يُنْتِجُ الْوُجُودَ بِفَضَائِلِ مَوْلَانَا ، الَّتِي سَارَتْ وَسَرَّتْ ، وَوَصَلَتْ
وَبَرَّتْ ، وَحَلَّتْ بِالْأَسْمَاعِ وَالْقُلُوبِ حِينَ مَرَّتْ^(٣) ، وَابْتَهَجَتْ بِهَا النُّفُوسُ
وَالْعُيُونُ ، فَهَذِهِ لَهَا أَقَرَّتْ وَهَذِهِ بِهَا قَرَّتْ ؛ وَهِيَ هِيَ :

- (١) الثاني منهما لأبي نواس ، في ديوانه ١٥٠/١ (فاغتر) . وروايته في م : × فأَسْبَلُ . وفوقها :
صح . وفي الهامش : فألقى . وفوقها : صح . إشارة إلى صحة الروايتين .
- (٢) الثاني منهما للمجنون ، في ديوانه ٥٢ .
- (٣) في س ، م : حيث مرَّت .

يا إماماً ثمارُ علومِهِ يانعَةٌ ، وَأَنوارُ أَفكارِهِ ساطِعَةٌ ، وَفضائلُهُ وفواضِلُهُ
لِسَناتِ المَحاسِنِ جامِعَةٌ ، وَبِعُلُوِّ قَدْرِهِ على أَهْلِ عَصْرِهِ قاطِعَةٌ ، أَيُّ شَيْءٍ ذِي
زَوْجَيْنِ ، تَقَرُّ العُيُونُ بِتَصَالِحِهِمَا ، وَتَقَرُّ النُّفُوسُ بِتَنَاقُحِهِمَا ، وَتَقَرُّ العُقُولُ
بِعَدَمِ تَسَافُحِهَا ، وَتَقَرُّ القُلُوبُ مِنْ اسْتِثْلَائِهِ عَلَيْهَا ، وَتَضِيقُ الصُّدُورُ عِنْدَ انْتِسَابِهِ
إِلَيْهَا ؛ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ، وَلَا جَلِيلَةً وَلَا حَقِيرَةً إِلَّا اسْتَوْلَى
عَلَيْهَا وَحَوَّاهَا ، وَلَهُ وَلَدٌ يُعَدُّ مِنَ الصُّلَحَاءِ الْأَوْتَادِ ، وَإِلَيْهِ يَنْتَسِبُ مِنْ جِلَّةِ
الْعُلَمَاءِ أَفْرَادٌ ، وَبِعِفْلِهِ يَتَّقُ ذَوُو الرِّأْيِ وَالسَّدَادِ ، حَافِظٌ أَمِينٌ ، عَاقِلٌ رَزِينٌ ،
وَحَاجِزٌ حَصِينٌ ، مَالِكٌ مَكِينٌ ، حَاكِمٌ لَا يَمِيلُ ، مُحْكَمٌ ذِكْرُهُ فِي آيِ التَّنْزِيلِ ،
مُنَزَّلٌ بِالْقُدْرَةِ ، مُرْسَلٌ عِنْدَ الْفِتْرِ ، ثَابِتٌ لَا يَزُولُ ، مُقِيمٌ عَلَى عَهْدِهِ لَا يَحُولُ ،
يُظْهَرُ فِي أَجْمَلِ زِينَةٍ ، وَيَجْلِبُ لِصَاحِبِهِ الطَّمَأْنِينَةِ ، لَا يُخَفَّرُ جَارُهُ ، وَلَا يُجْهَلُ
مِقْدَارُهُ ، وَلَا تَخْفَى عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ آثَارُهُ ، [ب ٦٤] وَرُبَّمَا تَعَسَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَرُمِيَتْ
النُّفُوسُ بِحَضْرِهِ ، ثُمَّ أَجَابَ دَاعِيَهُ فَشَرَحَ مِنْ صَدْرِهِ .

إِنْ عَايَنْتَ لَفْظَهُ «فَقُلُّ»^(١) مَا شِئْتَ فِي تَصْغِيْفِهِ ، وَإِنْ عَايَنْتَ شَخْصَهُ سَرَّكَ
بِحُسْنِ تَرْصِيْفِهِ ، تَأْمُرُ بِهِ إِذَا ثَانِيَهُ حَذَفْتَهُ^(٢) ، أَوْ أَسْقَطْتَ أَوَّلَهُ وَصَحَّفْتَهُ^(٣) ، أَوْ
خَصَصْتَ بِالْحَذْفِ آخِرَهُ وَحَرَفْتَهُ ، وَإِنْ عَكَسْتَهُ «لَفَقَّ»^(٤) أَعْدَاراً لَكَ فِي
عَكْسِهِ ، وَبَرَهَنَ لِمَعَانِيهِ عَلَى صِحَّةِ حَدْسِهِ ، وَمِنْهُ جَبَلٌ لَا تُطْرُقُ مَسَالِكُهُ^(٥) ،
وَنَوْعٌ مِنَ الْكِتَابِ صَعُبَتْ مَدَارِكُهُ ، وَبَاقِيهِ مُرَحِّمٌ جَاءَ ذِكْرُهُ فِي الْأَثَرِ^(٥) .

- (١) قُل : تصغيفه : قُل .
- (٢) قُل = قُل .
- (٣) لَفَق : عكسه : قُل .
- (٤) جَبَل قَاف بزعهم .
- (٥) قُل : ترخيم فلان .

وَإِنْ ثَقَلْتُهُ كَانَ وَضْفاً لِعَزْمِ فِتْرٍ ، وَجَمْعٌ انْتِزَاقٍ^(١) ، تَنْزِيلٌ بِهِ الْأَبْكَارُ
الْمُوشَّحَاتُ بِالذَّرِّ النَّضِيدِ^(٢) ، وَيَكُونُ لَهَا أَجْمَلٌ مِنَ الْقِلَادَةِ فِي الْجِيدِ ؛ يَنْتَوِعُ
صُورَةً وَمَعْنًى ، وَيَتَأَنَّقُ فُرَادًى وَمُثْنًى ، وَيَبْدُو تَارَةً ذَاتاً وَتَارَةً لَفْظاً ، وَيُجِيدُ لِمَا
اسْتَوْدَعَ أَمَانَةً وَحِفْظاً .

يُجْمَعُ لَهُ بَيْنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَيَصِحُّ مِنْ أَفْعَالِهِ الْعَكْسُ وَالطَّرْدُ ، وَمِنْ أَجْزَائِهِ
مَا يُلْقَى نَفْسُهُ فِي النَّارِ عَمْدًا ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ صُلِيَ بِهَا حِينَ ضُرِبَ حَدًّا ، وَلَهُ
صَاحِبٌ^(٢) يُجَانِسُهُ وَيَغْشَاهُ كَثِيرًا وَيَلَابِسُهُ ، يَسْلُبُهُ إِذَا حَضَرَ جَمِيعَ الْأَوْصَافِ ،
وَيَجُودُ لِغَيْرِهِ بِالْمَنْ وَالِإِسْعَافِ .

يُحْمَدُ فِعْلُهُ وَإِنْ كَانَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَيَتَأَيَّ عَنْهُمَا إِذَا تَلَاقَا بَعْدَ
الْبَيْنِ ، طَالَمَا فَرَّجَ الْكَرْبَ وَأَزَالَ الْحَضَرَ ، وَتَلَا عِنْدَ أَفْعَالِهِ سُورَةَ النَّصْرِ ؛ إِنْ
حَذَفْتَ أَوَّلَهُ وَأَضَعَفْتَ عَيْنَهُ كَانَ نَعْتًا يَفْتَضِي زِينَةً^(٣) ، وَإِنْ حَذَفْتَ ثَانِيَهُ كَانَ
وَضْفاً لِلْقَدَرِ مَذْكُورًا^(٤) ، فَإِنْ عَكَسْتَهُ ذَكَرْتَ بِهِ كَرَمًا مُشْهُورًا^(٥) ، وَإِنْ صَحَّفْتَهُ
كَانَ فِعْلًا لَا حَرَاجَ فِي تَعَاطِيهِ^(٥) ، أَوْ مَكَانًا نُهِيَ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهِ^(٦) ، وَإِنْ حَذَفْتَ
ثَالِثَهُ وَصَحَّفْتَهُ كَانَ وَضْفاً لِبَطَارِقِ يَأْتِي بَغْتَةً^(٧) ، إِذَا عُيِّنَ بِأَمْرِهِ وَسَهَّلْتَهُ ، وَإِنْ
صَحَّفَ بَعْدَمَا سَقَطَ مِنْ أَوَّلِهِ حَرْفَانِ ، أَذْكَرَكَ صَاحِبَ الْإِيْوَانِ^(٨) ، وَوَاحِدَ فِرَازَةَ

- (١) قُل . قُل . قُل .
- (٢) هو مفتاح القفل .
- (٣) فتاح .
- (٤) مُتَّح . وعكسه : حاتم .
- (٥) مُبَاح .
- (٦) مناخ الإبل .
- (٧) مفاجيء .
- (٨) تاج .

ابن دُبيان^(١) ، وباحِ بِسْرِهِ فَلَا كِثْمَانُ .

هذا ما تَسَيَّرَ من أَوْصَافِهِ عَجَلًا ، وَتَسَيَّرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيْكَ خَجَلًا ؛ فَأَجَلُ فِيهِ
فِكْرَةٌ أَضَاءَتْ أَنْوَارُهَا ، فَحَمِدَتْ أَنْوَارُهَا ، وَعَبَقَ نُورُهَا ، فَجَبَّيْتُ ثِمَارُهَا ،
وَتَلَيَّيْتُ أَخْبَارُهَا ، فَتَجَمَّلَتْ بِهَا مِنَ الْأَقَالِيمِ أَقْطَارُهَا ؛ لَا يَزَالُ بَنَانُكَ يَرْقُمُ أَحْرَفًا
فَيُبْدِي زُخْرَفًا ، وَيَبَانُكَ يَتَلَوُّ صُحُفًا فَيَبُوءُ مِنَ الْجَنَّاتِ غُرَفًا ، وَبَدِيعُكَ يُحَلِّي
الْأَوْلِيَاءَ عُقُودًا ، وَيَقَرِّطُهُمْ شُفْعًا ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [من الطويل]

قَرِيبُضٌ كَمَا غَلَى الْحَمَامُ وَغَرَدَا
وَالْأَ كَمَا أَزْدَانَتْ سَمَاءُ دِيَاغِرِ
وَنَثَّرَ كَمَا اخْمَرَتْ خُدُودُ شَقَائِقِ
وَالْأَ كَمَا مُدَّتْ مُلَاءَةُ سُندُسِ
وَلَفَظَتْ كَمَا غَادَى النَّسِيمُ غَدِيرَهُ
وَالْأَ كَمَا هَبَّتْ صَبَا فِي صَبَابَةِ
وَطَرَسَتْ كَمَا تَرَنُو لِحَاطَ يَزِينُهَا اخِ
وَالْأَ كَمَا وَافَى لَنَا الصُّبْحُ أَبْيَضَ الدِّ
وَمَا هَذِهِ إِلَّا نَوَافِثُ سَاجِرِ
نَوَافِثُ فِي الْأَحْشَاءِ حَاشَا بَيَانُهَا
بَعَثَتْ صَلاَحَ الدِّينِ لِي بِرِسَالَةٍ
فِيَا حُسْنَهَا جَاءَتْ إِلَيَّ هَدِيَّةٌ
تَعَوَّدَتْ جَبْرِي حَيْثُ كُنْتُ وَإِنَّمَا
فَبَاتَتْ لَهُ الْأَغْصَانُ فِي الرُّوضِ سَجْدَا
فَكَمْ كَوَّكِبٍ فِي أَفْقِهَا قَدْ تَوَقَّدَا
فَكَلَّلَهَا لَمَّا أَزْدَهَتْ لَوْلُو النَّدَى
مِنَ الرُّوضِ فِيهَا الزَّهْرُ دُرًّا تَبَدَّدَا
حُسَامًا صَقِيلًا ثُمَّ مَا شَاءَ مَبْرَدَا
تُعِينُدُ عَلَى الْأَحْبَابِ عَنَابُ مُرَدَّدَا
حِرَارًا وَتَخْشَوْهَا يَدُ الْحُسْنِ إِثْمِدَا
[١٦٥] مُحَيًّا وَوَلَانَا قَفَا اللَّيْلِ أَسْوَدَا
إِذَا شَاءَ خَلَّى الشُّهْبَ عِقْدًا مُنْضِدَا
يَكُونُ مِنَ السَّحْرِ الَّذِي قَدْ تَعَقَّدَا
فَأَصْبَحَ جِنْدُ الدَّهْرِ مِنْهَا مُقَلَّدَا
وَجَدْتُ عَلَى نَارِ الْبِعَادِ بِهَا هُدَى
« لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا »^(٢)

فَأَطْلَقْتُ لَفْظِي فِي صِفَاتِكَ مَادِحًا
فَأَنْتَ إِمَامٌ وَالْوَرَى فِي الْعُلَا وَرَا
فِيَا لَكَ مِنْ حَبِيرٍ وَبَخِرٍ مَوَاهِبِ
عَلَى هَذِهِ الْأَيَّامِ مَا تَسْتَحِفُّهُ
فَلَوْ أَنْصَفْتُ سَاوَتْ مَحَلَّكَ بِالشُّهَى
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تَفْعَلُ مَا تَشَا
وَبَعْدُ فَلِي فِيهَا رَجَاءٌ وَعِنْدَهَا
هَيِّئًا لِدَهْرِ أَنْتَ فِيهِ مُحَكَّمٌ

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ لِلْعُلُومِ رِيَاضٌ ، وَلِلْبَرَكَاتِ حَيَاضٌ ، وَلِلْفَوَائِدِ
الْغَرِيبَةِ غِيَاضٌ ، وَلِلْمَعَالِي مَعَادُنٌ ، وَلِلْمَكَارِمِ مَكَالِمُنٌ ، وَلِلْمَوَائِدِ مَوَاطِنٌ ،
وَلِلْمُسَائِلِ مَسَالِكٌ ، وَلِلْمُبَارِي مَبَارِكٌ ، وَلِلْأَرَاءِ الصَّائِبَةِ أَرَائِكُ : [من الوافر]

هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي وَقَّتْ عُلاَهَا
فَمَا تَمْشِي بِهَا إِلَّا وَتَغْدُو
مُظَلَّلَةً بِأَجْنِحَةِ الْمَلَائِكِ
وَيُنْهِي بَعْدَ دُعَاءِ أَخْلَصَهُ ، وَوَلَاءِ كُلِّمَا أَطْنَبَ فِيهِ تَوَهُّمٌ أَنَّهُ لَخَصَهُ ، وَنَاءِ
جَلْبَهُ مِنْ نَفْحَاتِ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ إِذْ فَرَّ وَخَلَصَهُ ؛ وَوَضَفَ مَحَبَّةَ تَعَالَى فِيهَا وَمَا
تَغَابَى وَلَا تَرَخَّصَ ، وَأَشْوَاقِ تَعَالَى الصَّبْرِ عَنْهَا وَمَا تَعَانَى غَيْرَ الصَّدْقِ فِيهَا وَلَا
تَخَرَّصَ ، وَلَوْعَاتِ تَمَادَى أَلْمُهُ فِيهَا وَتَمَالَى عَلَيْهِ ، فَمَا تَصَبَّرَ لَهَا الْقَلْبُ وَلَا
تَرَبَّصَ : [من الوافر]

وَذَكَرَ زَمَانَ أَنْسٍ مَرَّ حُلُوءًا وَعَيْشٍ بِالتَّبَاعُدِ قَدْ تَنَغَّصَ

= لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

(١) العجز مضمن من قول المتنبي [ديوانه ٢٩٢/١] وصدره :

وقيدت نفسي في ذراك محبة X

(١) ناج . وتصحيحه : باح كما سيأتي . والمقصود : ناجية .

(٢) العجز مضمن من قول المتنبي : [ديوانه ٢٨١/١]

تَقْصَصَ فِيهِ صِرْفُ الْبَيْنِ صَبْرِي وما زادَ الْجَوَى حَتَّى تَقْصَصَ
ورودَ المِثَالِ العاليِ ، أعلاهَ اللهُ تعالى ، وَمَدَّ بِهِ عَلَى الْقُلُوبِ الصَّاحِيَةِ
ظِلَالاً ، فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ مِنْهُ عَلَى رِياضِ يانِعَةٍ ، وَأَلْفَاتٍ كَأَنَّهَا الْغُصُونُ
الْمَائِسَةُ ، وَفَوْقَهَا الْهَمَزَاتُ كَالْحَمَائِمِ السَّاجِعَةِ ، وَسُطُورٍ كَالْجَدَاوِلِ أَمْوَاجُ
مَعَانِيهَا مُتَدافِعَةٌ ، وَأَلْفَاظٍ صَادِقَةٍ الْحَلَاوَةِ فِي الْفَصَاحَةِ الصَّادِعَةِ ، وَمَقاصِدَ
لَمْ تَضِقْ بِعِبَارَاتِهَا سَاحَاتِ الْبَلَاغَةِ الْوَاسِعَةِ ، وَمَقَاعِدِ قَوافٍ تَنْزَلَتْ فِي أَمَاكِينِهَا
كَالْبُودُورِ الطَّالِعَةِ : [من الطويل]

وَحَسْبُكَ مِنْ فَضْلٍ تَدَانَتْ ثِمَارُهُ وَلَكِنْ مَبَانِيهِ عَلَى النَّاسِ شَائِعَةٌ^(١)
فَكَانَ صَبُوحِي مِنْهُ كَأَسَا رَوِيَّةً سُلاَفَتْهَا صَفَرَاءُ لِلْهَمِّ فَاقِعَهُ
فَلَوْ رَأَهُ الْفَاضِلُ لَنَقَصَ مِنْ قَدْرِهِ ، أَوْ ابْنُ سَنَاءِ الْمُلْكِ لَمَّا افْتَحَرَ بِقَصْرِهِ فِي
عَصْرِهِ ، وَلَا أَنْشَدَهُ مَمْلُوكُهُ مِنْ شِعْرِهِ ، [٦٥ ب] ^(٢) أَوْ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَغِ لَمَّا مَدَّ فِي
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَدًا ، أَوْ الْقَاضِي الْجَلِيسِ^(٣) لَقَامَ وَقَعَدَ حَسَدًا ، أَوْ الْجَزَّارُ
لَتَقَطَّعَتْ مِنَ الرُّغْبِ مَصَارِيئُهُ ، أَوْ السَّرَّاجُ لَانْطَفَأَ وَكَثُرَ تَذَخُّيئُهُ ، أَوْ ابْنُ النَّقِيبِ
لَكَانَ مُجَرَّدًا مِنْ مَحَاسِنِهِ ، فَلَا يُسَايِرُهُ وَلَا يُسَارِيهِ ، أَوْ الْحَمَامِيُّ لَمَّا عَرَفَ حَرَ
الْأَشْيَاءِ وَبَارَدَهَا ، وَلَا أَخَذَ الْمَاءَ مِنْ مَجَارِيهِ ، أَوْ شَيْخُ الشُّيُوخِ^(٤) لَمَّا وَجَدَ لَهُ
مُرِيدًا ، أَوْ ابْنُ لَوْلُو الذَّهَبِيِّ^(٥) وَشِيعَتُهُ ، لَقَالَتْ لَهُمْ فَصَاحَتُهُ : ﴿ قُلْ كُونُوا

(١) في هامش م : ط : شائعة .

(٢) الورقة ٦٥ ب و ٦٦ أ أساقطة من أ . والمثبت من ب ، س .

(٣) القاضي الجليس : عبد العزيز بن الحسين بن الجباب ، الصَّقِيلِيُّ الْأَصْلُ ؛ توفي سنة ٥٦١ هـ .
(الوافي بالوفيات ١٨ / ٤٧٣) .

(٤) شيخ الشُّيُوخِ : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، العلامة الأديب الشاعر الحموي ؛ توفي سنة
٦٦٢ هـ . (الوافي بالوفيات ١٨ / ٥٤٦) .

(٥) يوسف بن لؤلؤ الذهبي ، الأديب بدر الدين الدمشقي الشاعر ؛ توفي سنة ٦٨٠ هـ . (الوافي
بالوفيات ٢٩ / ٣٧٨) .

حِبَارَةً أَوْ حَيْدًا ﴿ [الإسراء : ٥٠] أَوْ ابْنُ النَّبِيِّ ، لِأَخْمَلَتْهُ هَذِهِ الْحَمَائِلُ ، وَلَمْ يُبَاكِزْ
صَبُوحًا مَعَ أَهْيَفِ الشَّمَائِلِ ، أَوْ ابْنُ السَّاعَاتِي ، لَهَمَّتْ دَرَجَاتُ مَجْدِهِ
بِالسُّقُوطِ ، وَنَسِيَ يَوْمًا كَانَتْ الرِّيحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامُ يُنْقِطُ^(١) فِي سُيُوطِ : [من
الطويل]

وَلَوْ أَشْبَهَتْهُ الشَّمْسُ فِي أَوْجِ أَفْقِهَا لَمَّا شَانَهَا فِي التِّيَرَاتِ هُبُوطُ
وَلَوْ أَنَّ زَهَرَ الدُّوْحَ فَازَ بِجِدَّةٍ حَوَاهَا لَمَّا أَفْنَى قِيَاةَ سُقُوطُ
فَعَيْنُ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ السَّخَّارَةِ ، وَالْبِحَارِ الرَّخَّارَةِ ، وَالْكَوَاعِبِ الَّتِي
هِيَ بِالْكَوَاكِبِ سَخَّارَةٌ ، وَالْمَحَاسِنِ الَّتِي مَا لَتَقَطَّ مِثْلُهَا السِّيَّارَةُ ، وَالْفَضَائِلِ
الَّتِي تَخْتَبِئُ الشَّمْسُ مِنْهَا فِي الْهَالَةِ وَالْقَمَرُ فِي الدَّارَةِ ؛ وَالْفَوَائِدِ الَّتِي لَوْ حَلَفَ
أَحَدٌ أَنَّ السَّمْعَانِيَّ مَا سَمِعَ بِهَا مَا لَزِمَتْهُ كَفَّارَةٌ .

يَا مَوْلَانَا ، دَعْنَا مِنْ مَادِبِ الْأَدَبِ فَضْلَةً بِهَا نَزْتَرِقُ ، وَخُذْ فِي فُنُونِكَ مِنْ
عُلُومِ الشَّرِيعَةِ مَعَ أَفْرَانِكَ ، فَبَعْضُ الْفَوَارِسِ قَدْ يَعْتَنِقُ ، وَنَفْسُ لَنَا سَاعَةٌ كَرِيبُ ،
وَلَا تُضَايِقُنَا نَخْتِنِقُ ؛ وَدُونَكَ الْحَدِيثُ ، فَمَا أَنْتَ بِأَخُذٍ بِأَطْرَافِهِ إِذَا تَكَلَّمَ ،
وَاشْتَغَلَ عَنَّا بِنَقْدِهِ ، فَالْبُخَارِيُّ يُثْنِي عَلَيْكَ ، وَمُسْلِمٌ لَكَ سَلَمٌ ؛ وَجَادِلُ فُرْسَانَ
الْكَلَامِ ، فَسَيُفْهِمُكَ تَلَلُكُمْ ؛ وَأَقِمِ أَدْلَةَ التَّوْحِيدِ ، فَالْإِمَامَانِ لَوْ رَأَيْكَ لَقَدَّمَكَ ،
وَقَالَا : هَذَا الْمِثْمُ الْمُقَدَّمُ ؛ وَخَلَّ لَنَا مَنِبَتِ الْأَدَبِ ، وَإِنْ لَمْ نَكُنْ مِنْ خَلِّ
بَقْلُهُ ، وَوَلَّ جَانِبَكَ هَذِهِ التُّرَاهِتِ ، فَأَكْثَرُهَا اخْبِرُ تَقْلُهُ ؛ وَأَعْرِضْ عَنْ مَتَاعِهَا
الَّذِي لَا فَايِدَةَ فِي حُضُورِ حَضَرَتِهِ ، وَلَا لَذَّةَ فِي ثَقْلِ ثَقْلِهِ ؛ وَاتْرَكْنَا نَهْيَهُ فِي
أَوْدِيَةِ الْقَرِيضِ ، فَمِنْ أَرْجَانِ أَرْجِهِ ، إِلَى صِقْلِيَّةِ صَقْلِهِ .

(١) يشير إلى قول ابن الساعاتي : [ديوانه ٤ / ٢] ووفيات الأعيان ٣ / ٣٩٦

وَالطَّيْرُ يَقْرَأُ وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرِّيحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامَةُ تَنْقُطُ

وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمُعَمَّى الَّذِي تَصَمَّنُهُ ذِيلُ هَذَا الْمِثَالِ الْكَرِيمِ، وَأَمْسَتْ بِهِ^(١) جَنَاتُ غَيْرِهِ مِنْ أَرْبَابِ هَذَا الْفَنِّ وَهِيَ كَالصَّرِيمِ؛ فَلَمَّا انْتَهَى الْمَمْلُوكُ إِلَيْهِ وَقَفَ لَهُ إِلَى أَنْ فَلَكَ «قُفْلُهُ» وَأَتَمَّ فَرَضَ حَلِّهِ وَنَقْلَهُ، وَشَاهَدَ مُحَاسِنَتَهُ الَّتِي عَزَبَتْ عَنِ الْأَلْبَابِ، وَعَلِمَ بِهِ كَيْفَ يَكُونُ مَقَاصِدُ شَيْخِ الْأَدَابِ: [مِنْ الْمَجْتَبِ]

يَا حُسْنَ لُغَزِ أَتَانِي أَقَرَّ قَلْبًا وَطَرَفًا
أُخْرَاهُ لَاحَثَ عَجِيْبًا اسْمًا وَفِعْلًا وَحَرْفًا

وَأَمَّا وَصْفُهُ نَثْرًا: فَقُلْ فِي ثَلَاثِي جُمْلَةٍ جُمْلَةٍ مِثْلَانِ تَزِيدُ عَشْرًا^(٢)؛ إِنْ جَعَلْتَ آخِرَهُ رَاءَ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْبَيْدِ^(٣)، أَوْ زَايَا كَانَ حَرَكَةُ تَقَرُّبِ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ^(٤)، أَوْ صَادًا كَانَ سِجْنًا لِلطَّيْرِ الْغَرِيْدِ^(٥)، أَوْ طَاءَ كَانَ بَلَدَةً مَعْرُوفَةً فِي الصَّعِيدِ^(٦)، وَإِنْ صَيَّرْتَ وَسَطُهُ بَاءَ كَانَ ظَرْفًا مَبْنِيًّا لَا يَعْمَلُ فِيهِ الْجَرُّ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ^(٧)، أَوْ تَاءَ كَانَ فِعْلًا تَحْرِيمُهُ فِي الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ لَا يَبِيدُ^(٨)، أَوْ وَاوًا كَانَ مَا يُلْفِظُ بِهِ وَلَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ^(٩)، أَوْ يَاءَ كَانَ وَصْفًا لَوَاحِدِ الْمُلُوكِ الصَّيْدِ^(١٠)، وَإِنْ تَرَكْتَ أَوَّلَهُ حَاءَ كَانَ وَصْفًا لَجَمْعٍ عَدِيدٍ^(١١)، أَوْ سِينًا كَانَ ضِدًّا

(١) فِي ب: وَامْتَبِر.

(٢) كَلِمَةُ «قَفْل» فِي حِسَابِ الْجُمْلِ: الْقَاف ١٠٠. وَالْفَاء ٨٠. وَاللَّام ٣٠. فَالْمَجْمُوع ٢١٠.

(٣) قَفَر.

(٤) قَفَز.

(٥) قَفَص.

(٦) قَفِط.

(٧) قَبِل.

(٨) قَتَلَ.

(٩) قَوْل.

(١٠) قَيْل.

(١١) حَفَلَ.

الْعُلُوُّ الْبَعِيدِ^(١)، أَوْ طَاءَ كَانَ صِفَةً لِلْمَوْلُودِ الْجَدِيدِ^(٢).

وَأَمَّا صَاحِبُهُ الَّذِي يُجَانِسُهُ، يَغْشَاهُ وَيُلَاحِظُهُ، فَمَتَى لَفَظَتْ بِهِ ذَكَرْتُ سَكَاكِيَّ الْبَيَانِ^(٣)، أَوْ جَمَعْتُهُ كَانَ اسْمَ تَفْسِيرٍ عَظِيمٍ لِلْقُرْآنِ^(٤)، أَوْ ذَكَرْتُ مُرَادَفَ مُفْرَدِهِ^(٥)، كَانَ مَصْنُوعًا لَوَاحِدِ فِرَارَةِ بَنِ دُيَّانٍ؛ وَأَمَّا إِذَا حَذَفْتَ ثَانِيَهُ، وَعَكَسْتُهُ وَصَحَّفْتُهُ، كَانَ حَلِيَّةً لِخَنَاصِرِ الْإِنَاثِ وَالذُّكُورِ^(٦)، وَصِفَةً لِطَائِرٍ فِي الْجَوِّ يَدُورُ^(٧)، أَوْ فِعْلًا لَهُ إِذَا تَلَبَّدَ بِالْأَرْضِ فَلَا يَذْهَبُ وَلَا يَحُورُ^(٨).

وَلَهُ خَوَاصُّ أُخْرَى أَضْرَبَ الْمَمْلُوكُ عَنْهَا، وَخَافَ إِنْ سَرَدَهَا أَوْجَبَ الضُّجْرَ مِنْهَا: [مِنْ الْبَسِطِ]

أَحْسِنَ بِهِ مِنْ مُعَمَّى قَدْ بَعَثَتْ بِهِ سَكِرْتُ مِنْ حَلِّهِ إِذْ رَاحَ لِي رَاحَا
عَمِيَّتُهُ فَدَجَا، وَصَفْتُهُ فَأَضَا مَعْنَى فَأَهْدَيْتَ لِي «قُفْلًا» وَ«مِفْتَاحًا»^(٩)
وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَتِّعُ الْأَيَّامَ وَالْأَنَامَ بِهَذَا الْفَضْلِ الْجَلِيلِيِّ الْجَلِيلِ، وَالْأَكْذَبِ الَّذِي لَا يَجِدُهُ الرُّوَاةُ إِلَّا بِالْقُدْسِ، وَلَا يَأْخُذُونَهُ إِلَّا عَنِ الْحَلِيلِ؛ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ وَقَدْ وَرَدَ مِنَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ إِلَى دِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ، سَنَةِ

٧٣٩ (١٠): [مِنْ الْوَافِرِ]

(١) سَفَلَ.

(٢) طَفَلَ.

(٣) يَقْصِدُ كِتَابَ «مِفْتَاحِ الْعُلُومِ» لِلْسَّكَاكِيِّ.

(٤) تَفْسِيرُ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ اسْمُهُ «مِفْتَاحُ الْغَيْبِ».

(٥) مُرَادَفُ الْمِفْتَاحِ: إِقْلِيدُ.

(٦) خَاتَمُ.

(٧) حَائِمُ.

(٨) جَائِمُ.

(٩) صَدْرُهُ فِي ب، س: عَمِيَّتُهُ قَدْ جَا. وَفِي م: . . . أَوْضَحْتُهُ فَأَضَا.

(١٠) الْبَيْتَانِ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْوَافِيِّ.

أَتَيْتَ إِلَى دِمَشْقَ وَقَدْ تَشَكَّتَ إِلَيْكَ لَطُولُ بُعْدٍ وَاتِّزَاحُ
وَكَاثَتْ بَعْدَ بُعْدِكَ فِي فَسَادٍ وَجِئْتَ لَهَا فَفَارَزْتَ بِالصَّلَاحِ^(١)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ جَوَاباً عَنْ بَيْتَيْنِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ بَهَاءِ الدِّينِ

أَبِي حَامِدٍ الشُّبَكِيِّ ، وَهُمَا : [مَنْ الطَّوِيلُ]

أَلَا خَبِّرُونِي عَنْ صَلَاةِ امْرِئٍ غَدَتْ
تَجَوُّزُ إِذَا صَلَّى إِمَاماً وَمُفْرَداً
يَحَارُ بَسِيطٌ عِنْدَهَا وَوَجِيزُ
وَإِنْ كَانَ مَأْمُوماً فَلَيْسَ تَجَوُّزُ

● فَكَانَ مَا كَتَبَ هُوَ : [مَنْ الطَّوِيلُ]

بَقِيَتْ فَلَا يُلْقَى لَكَ الدَّهْرُ مُشْبِهٌ
فَإِنَّ الَّذِي لَيْسَتْ تَجَوُّزُ صَلَاتُهُ
وَدُمْتَ لِكُلِّ الْمَعْلُواتِ تَحَوُّزُ
لَهُ الْعَقْلُ حِزْرٌ دُونَ ذَاكَ حَرِيزُ
فَقَدْ صَارَ مَحْفُوظاً بِهَذَا سَمِيئُهُ
كَمَا جَاءَ فِي لَفْظِ الْحَيَاةِ وَجِيزُ

وهذا بناءً على ما فهمته أَنَّ مُرَادَهُ بِالْمَأْمُومِ ، الَّذِي أَصَابَتْهُ أَمَّةٌ فِي رَأْسِهِ
أَذْهَبَتْ عَقْلَهُ ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ غَيْرُ صَاحِحَةٍ لِذَهَابِ عَقْلِهِ ؛ وَأَرَدْتُ بِقَوْلِي : لَهُ
الْعَقْلُ حِزْرٌ : الدِّيَّةُ الَّتِي تَجِبُ فِي الْمَأْمُومَةِ ، فَإِنَّ إِجَابَتَهَا مَانِعٌ مِنْ تَعَاطِيهَا ،
كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ [البقرة : ١٧٩] وهذا الْمُرَادُ بِالشَّطْرِ
الْأَخِيرِ مِنَ الْأَبْيَاتِ ، فَقَدْ صَارَ الْعَقْلُ الَّذِي تُذْهِبُهُ الْإِمَامَةُ الْمَأْمُومَةُ مَحْفُوظاً
بِإِجَابِ الْعَقْلِ الَّذِي هُوَ الدِّيَّةُ .

حَرْفُ الرَّاءِ

٣٨ * رَزَقَ اللَّهُ بِنُ فَضْلَ اللَّهِ^(١) :

الْفَاضِلُ ، الْكَاتِبُ ، تَاجُ الدِّينِ ، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٤٤^(٢) ، [٦٦ ب] فَكَتَبْتُ أَنَا

الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ^(٣) : [مَنْ الطَّوِيلُ]

سُطُورُكَ أَمْ رَاحَ بَدَتْ فِي رُجَايَها
أَتَتْنِي مِنْ مِضَرٍ إِلَى أَرْضٍ جَلَّتِي
فَكَانَ سُورُ الْقَلْبِ بَعْضَ نِتَاجِها
فَأَهْدَتْ إِلَى نَفْسِي عَظِيمَ ابْتِهَاجِها
فَيَا نَفْسَ الْأَسْحَارِ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ
وَقَفْ لِي عَلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ وَقَفَةً
تَيَمَّمْ رُبَا مِضَرَ وَلُطْفَ مِزَاجِها
وَحَيَّ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ مُوَاكِها
فَنَسَمُ وَجُوهَ كَالْبُدُورِ تَكَامَلَتْ
وَلَاقَ بِها فِي الْفَضْلِ رَوْنَقُ تَاجِها
أَتَمَّةُ كُتَّابٍ إِذَا مَا تَرَسَّلُوا
وَأَنْ نَظْمُوا قُلْتَ الدَّرَارِي تَسَقَّتْ
وَرَأَقَ عَلَى الْأَيَّامِ حُسْنُ أَزْدِوَاكِها
هُنَالِكَ رَزَقَ اللَّهُ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَفُوزُ بِقُرْبِهِمْ
فَلَا نَفْسَ إِلَّا نَمَّ إِبْلَاحُ حَاجِها^(٤)
وَيَهْدُ مِنْ عَيْنِي اضْطِرَابُ اخْتِلَاجِها

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٦٨/٢ والذَّيْرُ الْكَامِنَةُ ١٠٨/٢ والنجوم الزاهرة ١٣١/٩ والمنهل

الصابي ٣٤٨/٥ والدليل الشافي ٣٠٤/١ .

- وفاته بعد ٧٤٠ هـ .

- في ب ، س : رزق الله بن الفاضل ! . وبين « بن » و« الفاضل » فراغٌ يتسع لكلمتين . والمثبت

من مصادر ترجمته . وفي م : رزق الله الفاضل .

(٢) قال المؤلف في أعيان العصر ٣٦٩/٢ : وكان قد كتب إلي وأنا بدمشق أبياتاً في هذا الوزن والروي ،

إلا أنني طلبتها عند هذا التعليق ، فلم تر عيني لها أثراً ، ولا وجدت لمبتدئها خبراً .

وفي هامش ب : ساقط ما كتبه في الأصل .

(٣) القطعة في أعيان العصر .

(٤) في ب : x . . . إلا وهو إبلاغ حاجها .

(١) وسقط ما بعد ذلك من س ، والمثبت من ب ، م .

● وكتب هو جواباً عن لُغزِ كَتَبْتُهُ ، وأنا بالقاهرة المحروسة في سنة ٧٤٥
إلى القاضي ناصر الدين ابن النشائي في « عيد » ، وسيأتي عند ذكره^{(١)(٢)} : [من
مجزوء الرجز]

يا فاضلاً آدابُهُ بها الورى تسترشد
ومن على علومِهِ أهلُ النهى تَعْتَمِدُ
ألغزتُ في « عيدٍ » إلى عَبدٍ إليكم يُسَنِّدُ
ولم يُؤَخِّرْ نَظْمَهُ إلا حياءَ يُحَمِّدُ
ولم يُماثلَ من له في سائر الفضلِ اليدُ
فَلمْ سَعِيداً تَتَقَيَّ الـ آدابَ أو تَنْتَقِدُ

* * *

حَرْفُ الزَّاي

٣٩ * زيد بن عبد الرحمن^(٣) :

الشيخ الفاضل ، البارغ ، الفقيه ، العدل ، القاضي ، زين الدين
المغربي ، الشافعي .

● كتب إليّ ملغزاً^(٤) :

يا مولانا ، أثقل الله بفواضلك الكواهل ، وأخمل بفضايلك الأولل من

الافاضل^(١) ، إن أمكن أن تلمح هذا اللغز اللطيف ، وتُعْطِيهِ حَطّاً من سَيَالِ
فِكْرِكَ الشَّرِيفِ ، تُقَلِّدُ المَمْلُوكَ به مائة الفضلِ العميم ، ويتَحَلَّى بِوُرُودِ لَفْظِهِ
كما يتَحَلَّى بِوُجُودِ شَخْصِهِ بين يدي سيّد كريم ، وهو :

ما اسمُ يَغْتَنِي الصّائِمُونَ غالباً بِتَحْصِيلِهِ ، وَيَتَنَافَسُ الأكابرُ منهم في جُمْلَتِهِ
وتَفْصِيلِهِ ، خُماسِيّ الحُرُوفِ في التَّرْصِيفِ والترتيب ، مُسَطَّحُ الشَّكْلِ في
البَسَاطَةِ ، كُرِّيٌّ عند التَّرْكِيبِ ، إِنْ حُذِفَ خُمُسَاهُ رَأَيْتَهُ طَائِراً وَسَيْمًا^(٢) ، طالما
قَصَّ الأَثَرُ فَاهْتَدَيْ بِهِ ، وغالبَ في طُرُقِ اللُّؤْمِ تَمِيمًا^(٣) ، وَإِنْ اخْتَلَسَ أَوَّلُهُ كَانَ
في الثُّغُورِ الحَصِينَةِ كالنَّارِ في اللَّيْلِ البَهِيمِ^(٤) ، وفي سُورَةِ الْقَلَمِ ناراً أحرقت
الجَنَّةَ التي أَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ^(٥) : [من الطويل]

عَزَمْتُ على إهدائه غَيْرَ مَرَّةٍ إلى بابِكَ العاليِ فَأَمْسَكْتُ عن قَصْدي
فَقَدْ قِيلَ : عاداتُ الأكابرِ إنَّهُمْ بإهدائه أُولَى فَمَا جُرْتُ عن حَدِّي
فَأَوْضَحُهُ لي مَعْنَى وَإِنْ شِئْتُ صُورَةً وَإِنْ شِئْتُ فَارْسُومَ لي فَإِنِّي لَهُ أَبْدي
● فكتبتُ إليه الجوابَ ، وهو في « قطايف » وجهزتُ إليه شيئاً من ذلك :

[من الطويل]

أَمْوَلَايَ زَيْنَ الدِّينِ مِثْلُكَ مَنْ يُهْدِي نَدَاهُ وَإِنْ كَانَ الصَّلَالُ غَدَا يَهْدِي
بَعَثْتَ بِلُغْزٍ قَدْ حَلَا مِنْكَ لَفْظُهُ [٦٧] فَأَخْمَلَ ذَكَرَ الْقَطْرِ فَضْلاً عَنِ الشَّهْدِ
فَسَامِحْ فَقَدْ أَوْضَحْتُهُ لَكَ صُورَةً على أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ شَرْحِ مَا عِنْدِي

(١) في ب : وأحمد بفضايلك الفضائل .

(٢) يريد : قطا .

(٣) يشير إلى قول الطرمح : [ديوانه ٥٩]

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلّت

(٤) يريد : طائف .

(٥) الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَاكُ عَلَيْهَا يَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهِيَ طَائِفٌ مِّنْ آلِ صِدْقٍ ﴾ [القلم : ١٩ - ٢٠] .

(١) ترجمة ابن النشائي سنأتي برقم ٧٩ ؛ ولغز المؤلف هناك ، وانظره في أعيان العصر ٣٦٩ / ٢ .

(٢) الأبيات في أعيان العصر .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٣٨٤ / ٢ والذّرر الكامنة ١١٦ / ٢ .

- وفاته سنة ٧٦٢ هـ . ولعله قد قارب السنين أو تعداها بقليل .

(٤) النص بشره وشعره في أعيان العصر .

يا مولانا ، هذا لُغْزُكَ^(١) بَدِيعُ الْمَعْنَى ، بَعِيدُ الْمَبْنَى ، يَرَشِّفُهُ السَّمْعُ
سُلَافَةً ، وَيَتَلَقَّفُهُ الْبَصَرُ وَزَدًا جَنِيًّا مَتَى أَرَادَ اقْتِطَافَهُ ؛ قَدْ أَغْرَبْتَ فِي قَصْدِهِ ،
وَأَحْكَمْتَ عَقْدَ بَنْدِهِ ، دَلَّنِي عَلَى مَعْنَاهُ حُسْنُ مَبْنَاهُ ، وَقُرَّبُ الْبَيَانِ مِنْ مَعْنَاهُ ،
فَلَكَ الْفَضْلُ فِي حَلِّهِ ، وَسَحَّ وَابِلُهُ وَطَلَّهُ .

ومن غرائبِ خواصِّه ، أَنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْحَلَاوَةِ وَاللَّبَنِ حَظًّا ، وَمَتَى صَحَّفْتَ
ثَلَاثَةَ أَحْصَاسِهِ عَادَ « فُظًّا » ؛ قَدْ رَاقَتِ الْعُيُونُ مَلَاحِظَتَهُ ، وَحُشِيَتِ الْقُلُوبُ
حَلَاوَتَهُ ، يَخْتَصُّ بِشَهْرِ رَمَضَانَ ، لِأَنَّ فِي قَلْبِهِ حَلَاوَةً كَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ ، بَعْضُهُ
يُقَلِّى ، وَكُلُّهُ مَخْبُوبٌ ، وَآخِرُهُ تَحْتَ الْقَطْرِ ، وَأَوَّلُهُ فَوْقَ الْجَمْرِ الْمَشْبُوبِ ،
يَرُوقُكَ إِذَا نَثَرْتَ عِقْدَهُ ، وَفَصَّلْتَ زَوْجَهُ وَفَرَدَهُ ؛ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْكَوَاعِبِ إِذَا
اشْتَمَلَتْ بِالْمَنَاشِيفِ الْمُحْمَلِ ، وَأَحْسَنُ مَا تَرَى تُرَيَّاها إِذَا اجْتَمَعَ شَمْلُهَا
وَتَكَمَّلَ ، وَالَّتِي مَا تُنْشِدُ إِذَا جَفَّتْ ثَرَاها ، وَانْفَصَمَتْ عُراها^(٢) : [من الطويل]

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبَلِيِّ وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَزَعَائِكَ الْقَطَرُ

* * *

حَرْفُ السَّيْنِ

٤٠ * سُلَيْمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٣) :

القاضي الفاضل ، عِلْمُ الدِّينِ ، مُسْتَوْفِي الصُّخْبَةِ بِالشَّامِ الْمُحْرُوسِ ،

(١) في أ : يا مولانا لغزك . . .

(٢) البيت الذي الرُّمَّةُ ، في ديوانه ٥٥٩/١ .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٤١٣/٢ والوافي بالوفيات ٣٤٠/١٥ وتذكرة النبيه ٥٥/٣ والذُرر الكامنة

١٤٠/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٨/١٠ والمنهل الصافي ١٥/٦ والدليل الشافي ٣١٥/١ .

- وفاته سنة ٧٤٤ هـ . وولادته سنة ٦٧٧ هـ .

- في أ : سليمان بن إبراهيم ! .

المعروف بابن كاتِبٍ قَرَأْتُكَ .

● كَتَبَ إِلَيَّ مِنْ دِمَشْقِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٧٣٣^(١) : [من البسيط]

يَا غَائِبًا غَابَ عَنْ عَيْنِي فَلَمْ تَتِمَّ وَذَاهِبًا فَضْلُهُ قَدْ شَاعَ فِي الْأُمَمِ
سَافَرْتَ عَنَّا فَطَالَ اللَّيْلُ فِي سَهْدِ فَنَحْنُ بَعْدَكَ فِي ظُلْمٍ وَفِي ظُلْمٍ
أَنْسَتَ مِضْرًا وَأَوْحَشْتَ الشَّامَ فَيَا خُلُوهُ مِنْ حُلَى الْأَدَابِ وَالْكَرَمِ
لِيَهْنِ مِضْرَ صِلَاحِ الدِّينِ كَوْنُكَ فِي أَرْجَائِهَا كَاتِبًا فِي أَشْرَفِ الْخِدْمِ
جَمَلْتَ دِيْوَانَ إِنْشَاءِ حَلَلَتْ بِهِ يَا خَيْرَ حَبْرٍ يُوشِي الطَّرْسَ بِالْقَلَمِ
فَمَا مُحَيَّاكَ إِلَّا بَدْرٌ دَاجِيَةٌ وَمَا يَمِينُكَ إِلَّا رُكْنٌ مُسْتَلِمِ
سُقِيًّا لِأَيَّامِ أَنْسٍ كَانَ رَوْقُهَا بِفَضْلِ أَنْسِكَ فَيَنَّا وَافِرَ الْقَسَمِ
نَجْنِي فَضَائِلَكَ الْغُرَّ الْحِسَانَ وَلَا نَعْبَأُ بِرَوْضِ سَقَاهُ هَاطِلُ الدَّيَمِ
أَقْسَمْتُ لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْجَوَاهِرِ فِي عَقْدٍ وَبَيْنَ الَّذِي تُبْدِي مِنَ الْكَلِمِ
فَاللَّهُ يُبْقِيكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ فِيمَا تُرَجِّيهِ فِي سَعْدٍ وَفِي نَعَمِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(١) : [من البسيط]

بَالِغَتْ فِي الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ وَزِدَتْ فِي شَرَفِ الْأَخْلَاقِ وَالْهَمَمِ
وَمَا رَضِيتُ بِغَايَاتِ الْأُولَى سَبَقُوا إِلَى الْمَعَالِي وَلَا تَرْضَى بِعَزْمِهِمْ^(٢)
حَتَّى تَجُوزَ عَلَى الْجُزَاءِ مُرْتَقِيًا إِلَى مَعَالِي لَمْ تَخْطُرْ بِفِكْرِهِمْ
وَتُذْرِكَ الْمَجْدَ سَبَاقًا وَشُغْلُهُمْ فِي عَثَرَةِ الْقَوْلِ أَوْ فِي عَثَرَةِ الْقَدَمِ
كَمَا اجْتَهَدْتُ لَعَلِّي أَنْ أَفُوزَ فَلَمْ أَفُزْ سِوَى مَرَّةٍ فِي الدَّهْرِ بِالْخِدْمِ
وَأَبْعَدْتُنِي اللَّيَالِي بَعْدَ ذَاكَ وَفِي قَلْبِي حَلَاوَةٌ ذَاكَ اللَّطْفِ وَالشِّيمِ

(١) القصيدة في أعيان العصر .

(٢) سقط عجز هذا البيت وصدر الذي يليه من م . فتلفق ما بقي منهما ! .

« فَكُنْتُ كَالْمُتَمَنِّي أَنْ يَرَى فَلَقًا
فَلَيْتَ دَهْرِي يَسْخُرَ لِي بِشَايِئِهِ
وَأَجْتَلِي أَوْجُهُ اللَّذَاتِ سَافِرَةً
[٦٧] فَمَا خَلَا ثِقَلَ الْحُسْنَى الَّتِي بَهَرَتْ
أَوْ نَسَمَةٍ خَطَرَتْ بِالْبَانِ نَفْحَتُهَا
وَمَا عِبَارَتُكَ الْمُثَلَّى سِوَى دُرِّ
كَمْ التَّقَطُّتْ وَمَوْلَانَا يُسَامِرُنِي
وَكَمْ مَعَانٍ كَأَنَّ السَّخَرَ نَضَدَهَا
نَعَمْ وَأَبْيَاتُ شِعْرِ رَاقٍ مَوْرِدُهَا
أَهْلًا لِأَيِّمَانَا بِالْخَيْفِ لَوْ بَقِيَتْ
يَا سَيِّدًا بِنْدِي يُنْمَاهُ صَحَّ لَنَا
وَمَا جِدًا جَدَّ فِي كَسْبِ الْعُلَا فَعْدَا
شَوْقِي إِلَى لَثَمِ ذَاكَ الْكَفِّ زَادَ عَلَى
وَوَحْشَتِي لِمُحَيَّاكَ الْجَمِيلِ هَلْ اسْدَ
وَحْشَتِي لِفَوَاتِ الْقُرْبِ مِنْكَ كَمَا
فَهْزِهِ بَعْضُ أَشْوَاقِ أَكْبَادُهَا
أَظْهَرْتُ وَجْدِي وَلَمْ أَكْتُمْ لَوَاعِجَهُ

من الصَّبَاحِ فَلَمَّا أَنْ رَأَهُ عَمِي ^(١)
حَتَّى أَعُودَ إِلَيْهَا عَوْدَ مُغْتَنِمٍ
عَنْ كُلِّ مَعْنَى حَوَى صِنْفًا مِنَ النِّعَمِ
عَقْلِي سِوَى زَهْرٍ فِي الرُّوضِ مُتَبَسِّمٍ
وَلَا أَقُولُ سَرَتْ بِالضَّالِّ وَالسَّلَمِ
وَالنَّاسُ تَخَسُّبُهَا ضَرْبًا مِنَ الْكَلِمِ
جَوَاهِرَ الْفَضْلِ وَالْآدَابِ وَالْحِكَمِ
لَمْ تُبْقِ عِنْدِي عَقَابِيلًا مِنَ السَّقَمِ
لَمْ أَنْسُهُنَّ وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قِدَمِ
عَشْرًا وَوَاهَا عَلَيْهَا كَيْفَ لَمْ تَدُمِ
أَنَّ الْعَمَامَ بِخَيْلٍ غَيْرُ مُنْسَجِمِ
تَخَشَّى الصَّوَارِمُ مِنْهُ صَوْلَةَ الْقَلَمِ
شَوْقِ الرِّيَاضِ إِذَا جَعَتْ إِلَى الدَّيَمِ
تَوَحَّشَتْ قَطُّ لِبَدْرِ التَّمِّ فِي الظُّلَمِ
تَحَسَّرَ السَّاهِرُ الْمُضْنَى إِلَى الْحُلَمِ
فِي وَضْفِهَا قَلَمِي سَاوَى لِنُطْقِ فَمِي
وَمَنْ يُطِيقُ خَفَا نَارٍ عَلَى عِلْمِ

٤١ * سليمان بن داود بن سليمان بن محمد بن عبد الحق ^(٢) :

الشيخ الإمام ، القاضي ، صدر الدين ، أبو الربيع بن الشيخ ناصر الدين

(١) البيت بلا نسبة في الغيث المسجوم ٤٠٦١ .
(٢) ترجمته في : الوافي بالوفيات ٣٨١/١٥ وأعيان العصر ٤٣٦/٢ وتذكرة النبيه ٢٣٦/٣ والمتنقي من
درة الأسلاك ٢٦١ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٧٠/٢ والذعر الكامنة ١٤٩/٢ والنجوم الزاهرة
٣٣٦/١٠ والمنهل الصافي ٣١/٦ والدليل الشافي ٣١٧/١ والذيل التام ١٧٣/١ والطبقات السنية
٥١/٤ وشذرات الذهب ٣٢٨/٨ .
- مولده سنة ٦٩٧ هـ . ووفاته سنة ٧٦١ هـ .

ابن عبد الحق الحنفي ، موقع الدست الشريف بالقاهرة .

● كتبت أنا إليه ، وقد ورد من الحجاز إلى دمشق المحروسة في سنة ٧٥٢

وقد أراد العود إلى اليمن : [من البسيط]

يَا مَنْ أَبَاعَ دِمَشْقَ الشَّامِ بِالْيَمَنِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ إِنْسَانًا سِوَاكَ رَأَى
هَذَا وَكَمْ نِلْتُ فِي سَاحَاتِهَا وَطَرَأَ
وَكَمْ رَشِفْتُ سُلَافًا مِنْ أَقَاخِ فَمِ
وَكَمْ ظَفِرْتُ بِمَنْ لَوْلَا مَحَاسِنُهُ
وَمَا بَرِخْتُ أَمْرًا فِينَا أَخَا حِكَمِ
فَكَيْفَ تُخَدِّعُ عَنْ هَذِي الْمَحَاسِنِ أَوْ
لَكِنَّ عَذْرَكَ بَادٍ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الْـ
ابْنِ الْمُؤَيَّدِ ذِي الْبَطْشِ الشَّدِيدِ هَزَبِ
ابْنِ الْمُطَفَّرِ بِالْأَعْدَاءِ يُوسِفَ لَا
ابْنَ الْمَلِكِ الَّذِي قَادَ الْعَسَاكِرَ نُو
«العارض الهتين ابن العارض الهتين اب
ملوك بيت إلى أيوب نسبته
أيامهم للورى نور بلا ظلم
قد ذللوا كل صعب من سياستهم
سلوا الشيوف فسكوا من ضمائرهما
كم وردوا خدأ أرض من عدوهم

وَقَدَّمَ السَّيْرَ لَا يَلْوِي عَلَى سَكَنِ
جَنَاتٍ عَدَنِ فَعَدَّاهَا إِلَى عَدَنِ
وَكَمْ عَمَزَتْ بِهَا لِلَّهِ مِنْ وَطَنِ
وَكَمْ رَأَيْتُ بِهَا بَدْرًا عَلَى غُصْنِ
وَلُطْفُهُ خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ
وَكُلُّ أَفْعَالِهِ تَجْرِي عَلَى سَنَنِ
تُجَوِّزُ الْعَدْلَ فِيهَا مِنْكَ فِي أُذُنِ
مَلِكِ الْمُجَاهِدِ مَوْلَانَا أَبِي الْحَسَنِ
رِ الدِّينِ دَاوُدَ رَبِّ الْفَضْلِ وَالْمِنَنِ
جَعَتْ مَضَاجِعُهُ هَطَالَةَ الْمُزْنِ
رِ الدِّينِ وَالنَّصْرُ مَعَهُ انْقَادَ فِي رَسَنِ
بِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ ابْنِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ ^(١)
أَكْرَمَ بَيْتٍ عَلَى تَقْوَى إِلَهِي بُنِي
وَالظُّلْمَ لَوْ حَلَّ فِي أَفْنَانِهِمْ لَفَنِي
بِالْمُرْهَقَاتِ أَوْ الْخَطَارَةِ اللَّذْنِ
مَا كَانَ فِيهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ إِحْنِ
وَقَوْمُوا أَوْدًا مِنْ قَامَةِ الزَّمَنِ

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢١٦/٤ .

وكم أسالوا دماً في يوم حزبهم
وأنت عندك من كل البضائع في
فليس يُنكر أن تُهدي نفائسها
من راح يعرف ما استبضعت من دُرر
وفضله في علوم الناس فضّل له
تجده بخرّاً وخبراً في فوائده
وكفه وكفه بالجود مُتّصل
نام الأنام بعدلٍ طاب عيشهم
يُغنى بفضلٍ قضايا كلّ مشكله
دع الملوك الكرام الداهيين فهـ
ومن تكن هذه أوصاف سُودده
فاخُت لأبوابه العليا بنات سُرى
واسعد برؤيته وانبشّر بطلعه
ففي تعزّز تعزّز النفس منك متى
فاذكّر هناك مُحجّاً لم يخُفك ولا
« إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا

● فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك .

● وكتبت إليه وهو بالقاهرة^(٢) : [من السريع]

فخصّصوا السيف لما زينا الزني
شنى علوم الورى والشوق باليمن
[٦٨] لمن غدا يبدل الغالي من الثمن
بلّ عنده ضعف ما تهديه من حسن
ختم البدائع فاستفتيه وامتحن
تُزري فصاحتها بالقالة اللسن
فكلّ من هو في تلك الديار غني
به فهم من جنى الجنات في جن
حتى يُفرّق بين الماء واللبن
ذا سيف الاسلام لا سيف بن ذي يزن
تجب مدائحُه في السرّ والعلن
في البرّ بالعيس أو في البحر بالسفن
واملاً جفونك بعد الشهد بالوسن
حلت وتغسل ما لاقيت من درن
تنس الوفاء له إن كنت ذا شجن
من كان يألّفهم في المنزل الحشِن^(١)

ذُكركَ صدر الدّين أنساني ملعب أوطاري وأوطاني

(١) ينسب لأبي تمام في الإعجاز والإيجاز ١٢٥ و ٢٢٦ وليس في ديوانه ، وإبراهيم بن العباس الصولي ، في ديوانه ١٧٧ ولدعل في ديوانه ٤٦٢ .
(٢) هذه المقدمة والقصيدة ، ساقطة من س .

واشتغلّت نفسي بتكراره
ومقلتي عبرتها من دمي
وذلك في قلبي غدا داخلاً
أقسمت لو جهزت كُتبي على
كلّ بريد كلّ من حملها
يا سيّداً فضّل له فضله
فالحق ما تبعد أقواله
سرت إلى مضر سقاها الحيا
فنولتلك الأمل المرتجى
وأجلست شخصك في دسّتها
توقع إن وقعت في قصّة
وتوصل الحق إلى ربّه
فاهتأ بما أوتيت من رتبة
ودع معاديك يمّث حسرة
وقل لدست الملك لا تنصدع

فاشتعلت منه بينيران
طافت على خدي بطوفان
ومن هوى غيرك برّاني
مقدار أشواقِي وأشجاني
وهجّ منها كلّ هجان
كمّام علم ذات ألوان
من ابن عبد الحق في شان
تجاذب العيس بأزسان
من قُرب ذي عزّ وسلطان
صدراً أميناً غير خوان
بكلّ ذي ظلم وعذوان
وتزغم المبطّل والجاني
مكأنها من فوق كيوان^(١)
ما بين سجين وسجان
فأنت في حزر سليمان^(٢)

● وكتب هو إليّ من القاهرة المحروسة : [من الوافر]

بعذت فما لأجفاني رقاد
وليلي ما له أبداً صباح^(٣)
خليل بنت عنه وبان عنّي
فهل لفساد أخوالي صلاح

(١) في ب : × مقامها . . .
(٢) في أ ، ب : . . . لا ينصدع × .
(٣) في أ ، ب : × . . . صلاح .

● وكتب هو إليّ قرين تين معريّ وصابون : [من الكامل]

أهديتُ تيناً للذي من شَرطِهِ أَنْ يَفْتَحَ المَخْتُومَ بالمَخْتُونِ
وخَشِيتُ أَنَّ الشَّرْطَ يَتْبَعُهُ الجَزَا فَأَتَيْتُهُ بِالتَّيْنِ وَالصَّابُونِ

● فكتبْتُ أنا الجوابَ عن ذلك : [من الكامل]

حاشا لِشَرْطِكَ أَنْ يُقَابَلَ بِالْجَزَا فَيَكُونُ مُخْتاجاً إِلَى صَابُونِ
[٦٨ ب] لم تُهْدِهِ تيناً تَفْتَحُ أَيْضاً إِلَّا لِأَنِّ أَلْقَاهُ بِالزَّيْتُونِ
٤٢ * (سليمان بن داود) (١) :

القاضي جمال الدين بن القاضي عَلمُ الدين ، المِصرِيّ ؛ كاتبُ الإنشاء
الشَّريفِ بحلب المحروسة .

● كتب إليّ عند أوَّلِ قُدومي إليها في شعبان ، سنة ٧٥٩ : [من الكامل]

فَضَحَ الذي أَخْفَى هَوَاهُ فَبَاحَا حُبُّ لِحَبَّاتِ القُلُوبِ أَبَاحَا
وبَكَى فَأَضْحَكَ عَادِلِيهِ جَهَالَةً وَرَثَى لَهُ حَتَّى الحَمَامُ وَنَاحَا
وَأَخُو الهَوَى طَوَّعَ الغَرَامَ عَصَى لِمَنْ لَاقَى بِتَعْدَادِ المَلَامِ وَلاَحَى
هَنِيهَاتٍ هَلْ تَلِجُ المَلَامَةُ سَمْعَ مِنْ عَشْقِي أَسِيرٍ لَا يُرِيدُ سَرَاحَا (٢)
أَمْ كَيْفَ يَسْلَمُ مُسْلِمٌ مِنْ فِتْنَةٍ وَالذَّهْرُ قَدْ مَلَأَ الوجودَ مِلَاحَا

(١) ترجمته في : المتنقي من درة الأسلاك ٤٦٠ والذيل على العبر ٤٥٩/٢ ودرر العقود الفريدة ١١٢/٢
وإنباه الغمر ٢٠٩/١ والذّر الكامنة ١٥١/٢ والنجوم الزاهرة ١٤٤/١ والمنهل الصافي ٣٣/٦
والدليل الشافي ٣١٨/١ .

- وفاته سنة ٧٧٨ عن نحو من خمسين سنة .

- الترجمة بطولها من ب فقط .

(٢) في البيت تقديم وتأخير ، تقديره : سمعَ أسير من عشق لا يريدُ سراحا .
وروايته في ط : . . . سمعَ مَنْ عَشِقَ الأسيرَ ولا يريدُ سَرَاحا .

مِنْ كُلِّ ذِي قَدٍّ وَلَحْظٍ فَإِيَّاكَ لِفَتْنِكَ جَرَدَ ذَابلاً وَصَفَاحَا
خَلَبِ اللّوَاحِظِ شَاطِرِ الحَرَكَاتِ مُرْ كَالظُّبْيِ أَوْ كَالْغُضَنِ أَوْ كَالضُّبْحِ أَوْ
فَضَحَ الغَزَالَةَ وَالْغَزَالَ مُحَاسِنَا يَبْدُو بِخَدِّ نَاعِمٍ وَبِمَبْسَمٍ
وَمَلِيحَةٍ مِثْلَ الشُّيُوفِ جُفُونُهَا عُلْفَتُهَا طَوَّعَ الغَرَامَ وَخَاطِرِي
تَجَلُّو لَنَا وَجْهًا بَدِيعاً نَاضِراً وَمَرَاشِفاً مِثْلَ العَقِيقِ وَوَجَنَةً
وَرَوَادِفاً مِثْلَ الكَثِيبِ يُقْلُهَا تُزَكِّيَّةٌ تَهْوِي التَّشَاوَرَ والجفا
تَسْقِي المُحِبَّ بِكَاسِهَا وَحَدِيثُهَا لَثَمَتْ مَزَارِي جِينِ زَارَتْ فِي الدُّجَى
وَضَمَمْتُهَا ضَمَّ العَفَافِ يُظْلِنَا كَمْ بَتْ أَجْنِي مِنْ ثِمَارِ وَصَالِهَا
شَهْلَاءُ تُبْدِي نَرْجِساً مِنْ لَحْظِهَا اللَّهُ أَيَّامَ حَزْنِنْتُ لِفَقْدِهَا
جَارَتْ عَلَيَّ وَمَا اجْتَرَحْتُ جِنَايَةً وَصَبِيحَةً وَاصَلْتُهَا بِعَبْقُوقِهَا
وَلَرُبَّ عَذْرَاءِ الدُّنَانِ سَبَّأَتْهَا فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ خَافِرِ نَجْمِهَا
أَيَّامَ جَرَّ ثَرَى ذِيُولِ شَبِيبَتِي لِفَتْنِكَ جَرَدَ ذَابلاً وَصَفَاحَا
رِ الهَجَرِ قَاسٍ لَا يَلِينُ جِمَاحَا كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْبَدْرِ لَمَّا لَاحَا
وَجْهًا وَجِيداً جِيداً وَمَرَاحَا فَيُرِيكَ وَزْداً أَحْمَراً وَأَقَاحَا
حَمَلَتْ بِهَا نَحْوَ المُحِبِّ سِلَاحَا هَيْفَاءَ حَوْرَاءِ الجَمَالِ رَدَاحَا
وَنَوَاطِرَ مُرْضَى الفُتُورِ صَحَاحَا مِثْلَ الشَّقِيقِ وَمَنْظَراً وَضَاحَا
خَصْرٌ نَحِيفٌ لَا يُطِيقُ وَشَاحَا تَرَكْتُ بِهِ أَهْلَ الهَوَى أَشْبَاحَا
وَرُضَابِهَا فِي كُلِّ حِينٍ رَاحَا فَوَشَى بِنَا وَاشِي العَبِيرِ وَبَاحَا
ثُوبُ الوَقَارِ فَلَا أَخَافُ جُنَاحَا حُلُوءاً وَأَغْصَانُ الشُّرُورِ كِفَاحَا
غَضّاً وَمِنْ وَجَنَاتِهَا نُفَّاحَا كُنَّا بِهَا نَقْضِي الشُّرُورَ فِرَاحَا
وَمَضَتْ وَأَبْقَتْ فِي الثُّوَادِ جِرَاحَا وَبَكَرْتُ أَسْتَجْلِي الوُجُوهَ صَبَاحَا
مَعَ مَا جِدَ أَلْقَى الوَقَارَ فَطَاحَا فَغَدَتْ لَنَا حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحَا
مَغْدَى إِلَى فُرْصِ الهَوَى وَمَرَاحَا

قد كُنْتُ أَرْجُو بِالْقَرِيضِ وبِالصَّبَا
 كَمْ قُلْتُ لِلْأَدَبِ الَّذِي أَسْوَاقُهُ
 ذَهَبَ الصَّبَا والشَّعْرُ أَرْخَصُ سِعْرُهُ
 قد أَضَحَّتِ الشَّهْبَاءُ تَرْوِي العَمْرَ عن
 فَأَجَابَ بَعْدَ فَسَادِهِ وَكَسَادِهِ
 الْكَاتِبُ السَّرَّ الَّذِي بَعْلُومِهِ
 بِبِلَاغَةٍ إِنْ أَرْعَبَتْ ضَاقَ الْفَضَا
 وَبِرَاعَةٍ مَشْكُورَةٍ مَشْهُورَةٍ
 وَبِرَاعَةٍ كَالسَّيْفِ ماضٍ حَدُّهَا
 وَمَكَارِمٍ بِصَنِيْعِهَا مَلَكُ الْوَرَى
 بَحْرُ النَّدَى ، حَبْرُ الْعُلُومِ ، بِبَابِهِ
 نَذِبٌ إِذَا انْتَدَبَ الْبِرَاعَةَ أَبْصَرَتْ
 يَا مَاجِدًا أَلْفَ الْمَعَالِي فَاعْتَدَى
 فَلَدَتْ جِنْدَ الدَّهْرِ جُودًا سَخْبُهُ
 أَوْزَى بُسُورِ الْمَجْدِ قَدْ حُكَّ زَنْدُهُ
 بُشْرَى بَنِي الشَّهْبَاءِ مِنْكَ بِقُبْلَةٍ
 قُلْ لِلَّذِي صَاغَ الثَّنَاءَ فَلَائِدًا
 صَرَّخَ بِمَدْحِ أَخِي الْمَآثِرِ وَالْعُلَا
 فَلَيْهِنَّ أَهْلَ الْفَضْلِ مِنْهُ بِفَاضِلٍ
 إِنَّهُ صَلَاحُ الدِّينِ والدُّنْيَا الَّذِي
 وَأَخَذَتْ لِلْعِلْمِ الْكَرِيمِ فَوَارِسًا
 إِذْ صُنَّتْ عِزُّهُ لَا نَظِيرَ لَصُونِهِ

دَهْرًا بِهِ يَنْجُو الْأَدِيبُ نَجَاحًا
 بَارَتْ وَضَرَّ رُؤَاؤُهُ وَاجْتَا حَا
 حَتَّى لَقَدْ أَضْحَى الْقَرِيضُ مُزَاحًا
 غُمْرٍ وَوَرْدُ رُؤَايَا الضَّخْضَا حَا
 إِنِّي لَأَرْجُو بِالصَّلَاحِ صَلَاحًا
 أَضْحَى لِأَفَاقِ الْعُلَى مِضْبَا حَا
 أَوْ أَرْغَبْتُ حَكَمَ السَّمَاءِ سَمَاحًا
 إِعْجَازُهَا قَدْ أَعْجَزَ الْمُدَا حَا
 أَمْسَى لِأَبْوَابِ الْعُلَا مِفْتَاحًا
 فَضَحَ الْغُبُوثُ بِهَا فُرْخَنَ شِجَا حَا
 تَجِدِ الْمُتَاجِرَ بِالْقَرِيضِ رِبَا حَا
 حُسَاؤُهُ الْقَدْرَ الْمُطَاعَ مِتَا حَا
 يَهْوِي عُذْوًا نَحْوَهَا وَرَوَا حَا
 يَرُوي الْبِلَادَ عَوَالِيًا وَبِطَا حَا
 بِيَمِينِ عِلْمٍ لَا يَمَسُّ قِدَا حَا
 لِلْمَجْدِ قَرَبَ رَبِّهَا فَأَرَا حَا
 كَالْمِسْكِ فَاقَ شِدَا الرِّيَاضِ فَفَا حَا
 وَكَثِيرٌ فَقَدْ مَلَكَ الْفَخَارَ صَرَا حَا
 جَعَلَتْهُ عِزُّ عُلُومِهِ سَقَا حَا
 أَرْجُو لَدَيْهِ فِي الْعُلُومِ فَلَا حَا
 تُرْذِي الْعِدَى وَصَوَارِمًا وَرِمَا حَا
 بِمَكَارِمِ تَذَرُ الثُّصَارَ مُبَا حَا

حَجَّتْ بَنُو الْأَمَالِ نَحْوَكَ تَبْتَغِي
 مَاتَ الْحَسُودُ وَقَدْ صَعَّدَتْ ذُرَى الْعُلَا
 بِجُنُودٍ كُتِبَ كَالْكَتَائِبِ قَدْ كَفَتْ
 كَمْ جَرَّدُوا قَبْلَ الْجِلَادِ جَدَالَهَا
 مَنْ قُسَّ سَاعِدَةٌ وَمَنْ سَخْبَانِ وَ
 قَدْ شِمَتْ بَرَقَ الشَّامِ لَمَّا أَنْ عَلَا
 إِنِّي ظَمِئْتُ لَوِزْدٍ بِحَرِّ عُلُومِكُمْ
 وَاسْعِفْ بَلْفُظِكَ غَزَسَ فَضْلُكَ قَدْ دَنَا
 وَامْنَحْ أَحَادِيثَ الثَّنَاءِ إِجَازَةً
 وَاسْمُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَكَرَّهَ

مِنْكَ الْحَجَى يَا فَاضِلًا جَحْجَاحًا
 تُحْيِي بِطَيْبِ كَلَامِكَ الْأَزْوَاحَا
 نَضَرَ الْمُلُوكُ فَلَا يُرِيدُ كِفَاحَا
 فَاسْتَأْصَلَتْ فِرْقَ الْعَدُوِّ فَرَا حَا
 ثَلَّ فِي الْأَوَائِلِ ؟ مَا تَرَكْتَ فِصَا حَا
 بِكُمْ وَأَزْسَلْ وَابِلًا سَحَا حَا
 وَالْوَرْدُ نَاءٌ يُتَعَبُ الْمُتَنَاحَا
 مِنْكَ الْوُزُودُ وَأَمَكْنَ الْمُتَنَاحَا
 فَعَسَايَ أُسْنِدُهَا إِلَيْكَ صَحَا حَا
 يُبْدِ الشُّرُورُ لِرَنْبِكَ الْأَفْرَا حَا

● وَكُتِبَ إِلَيَّ جَوَابًا ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَى اللَّغْزِ الَّذِي نَظَّمْتُهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ،
 وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي ذِكْرِ الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ ، وَفِي ذِكْرِ الْقَاضِي
 فخر الدِّين عبد الوهَّاب : [من السريع]

مَتَّعَنَا اللَّهُ بِآدَابِكَ الْ
 أَلْغَزَتْ شَهْرًا عَظَمْتَ قَدْرُهُ الْ
 وَفِيهِ رُؤْيَانٌ تَأْتَى لَهُ
 وَعَكْسُهُ « أَضْمِرْ » مَعَ حَذْفِ مَا
 فَهَمَّتُهُ فَا فِصْحَ لَنَا سَيِّدِي
 أَجْزَاؤُهُ فِي عَدِّهَا خَمْسَةٌ
 خُمْسَاهُ خُسْرَانٌ وَإِنْ صُحِّفَا
 وَإِنْ عَكْسْنَاهُ وَصَحَّفَتَهُ

لَأَتِي تُرْوِي غُلَّةَ الْقَلْبِ
 عُجْمٌ مَعَ الْأَثَرِ الْوُزْبِ
 أَكُلُهُ جِلًّا بِلا ذَنْبِ
 يُلْقَى لَهُ قَلْبٌ بِلا قَلْبِ
 عَنْ مُدْغَمِ الْإِجْرَاءِ بِالْكَتِبِ
 ثُلُثٌ لَهُ كَالْتَلُّ بِالْقَلْبِ
 شَيْءٌ بِمَا فِي سِرِّنَا يُثْبِي
 فَتَوْبُكُمْ بِالْفَخْرِ ذُو عُجْبِ

● وَكُتِبَ إِلَيَّ قَرِينَ عِبَاءَةٍ بَيْضَاءَ وَمِثْرٍ أَسْوَدَ : [من مجزوء الكامل]

سِرْيا قَرِيضُ لِبَابٍ مَن
وَاسْأَلْ قَبُولَ هَدِيَّتِي
قَدْ دُبَّجَتْ أَوْصَافُهُ
فَبَيَّاضُهَا مَن كَفَّهِ
بَخَرُ الْعُلُومِ بِمَـؤَرِدِهِ
مَن عَمَّنَا بِئَدَى يَدِهِ
مَن لَوْنُهَا بِمُنْصَدِهِ
وَسَوَادُهَا مَن سُودَدِهِ

● فكتبتُ أنا الجوابَ إليه : [من مجزوء الكامل]

وَافِي قَرِيضُكَ مَاجِيَا
وَقَرِينُهُ الْفَضْلُ الَّذِي
خَدَّ نَقِيِّي زَانَهُ
فَأَنَالَني مَن جُودِهِ
إِنْ تَبَتَّخِ فَقُتَّ الْوَرَى
وَفَضَّلْتَهُمُ إِنْ تَبَتَّخِدِهِ
ظَلَمَ الدُّجَى بِتَوَقُّدِهِ
عُقَقِي أَرْذَهَى بِمُقَلَّدِهِ
خَطُّ الْعِذَارِ بِأَسْوَدِهِ
وَأَمَّالِني بِمَجْرَدِهِ
وَفَضَّلْتَهُمُ إِنْ تَبَتَّخِدِهِ

● وَتَوَجَّهْنَا إِلَى حِمَاةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَكَانَ مَعَنَا ، فَنَظَرْتُ وَنَحْنُ سَانِرُونَ

إِلَى الطَّرِيقِ وَتَعَارِيجِهَا ، وَعَدَمَ اسْتِقَامَتِهَا وَتَلَوَّيْهَا ، فَقُلْتُ أَنَا : [من الوافر]

سَلَكْنَا الْبَيْدَ مَعَ سَادَاتِ قَوْمٍ
وَوَضَعُ الطَّرِيقِ يَبْدُو فِي اخْتِلَافٍ
لَهُمْ هِمَمٌ إِلَى الْعَلِيَا سَرِيعَةً
كَحَيَاتٍ قَدْ انْسَابَتْ مَرُوعَةً

● وَنَظَمَ الْمَوْلَى جَمَالَ الدِّينِ الْمَذْكُورِ سُلَيْمَانَ : [من البسيط]

وَأَبْيَضُ الطَّرِيقِ يَزْهُو بَيْنَ أَحْمَرِهَا
يَمْشِي اسْتِوَاءً وَطَوْرًا يَلْتَوِي مَرَضًا
فَاعْجَبَ لَهُ بَيْنَ تَلَوِينِ وَتَكْوِينِ
مِثْلَ الْجَدَاوِلِ مَا بَيْنَ الْبَسَاتِينِ

٤٣ * سَعْدُ اللَّهِ بْنِ حَيْدَرَ (١) :

الشَّرِيفُ السَّيِّدُ الْكَاتِبُ ، النَّاطِلُ ، سَعْدُ الدِّينِ ، الْحُسَيْنِيُّ ، الْبَغْدَادِيُّ .

● كَتَبَ إِلَيَّ بِدَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٥١ : [من الكامل]

إِقْرَارُ عَادِلِهِ بِأَن لَمْ يَغْشَقِ
لَوْنَالَهُ مَا نَالَهُ مِنْ مِخْنَةٍ
أَخْبَبَ بِسَهْدٍ كَالْهُمُومِ مُجْمَعٍ
لَا تَعْجَبَنَّ وَلَنْ تُطِيقَ إِذَا أَمْتَلَا
بِخَلَوْا بِقُرْبِهِمْ وَمَا مِنْ شَأْنِهِمْ
خَيْرُ الْبِلَادِ لَدَيَّ بَعْدَادٍ وَمَا
فَلَکُمْ رَأَيْتُ بِهَا غَزَالًا إِنْ رَأَى
أَلْفَى أَبَاهُ عَلَى الْمَوَدَّةِ نَاشِئًا
وَتَرَوْكَ الْأَشْجَارَ وَالْأَنْهَارَ إِنْ
فَتَظَلُّ نَشْوَانًا وَلَمْ تُضْبَحْ طِلَاً
وَتَشْمُ مِنْ مِسْكِ الْأَرَاهِيرِ الَّتِي
مِنْ أَسْوَدٍ فِي أَحْمَرَ أَوْ أَصْفَرٍ
لَكِنَّهَا تَدْعُ الْغَيْيَ إِذَا عَدَا
لَوْلَا صَلَاحُ الدِّينِ لَمْ يَصْلُحْ بِهَا
ذُو الْمَنْطِقِ الْعَذْبِ الَّذِي قَدْ أَضْبَحَتْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ دُرّاً نَفِيساً نَظْمُهُ
كَمْ جَاءَ بِالْمَعْنَى الْبَدِيعِ فَاجْمَعَ الـ
لَوْلَاهُ لَمْ يُبْرِزْ ظِلَامُ النَّفْسِ لِلـ
عُذْرُ لَهُ وَلِكُلِّ صَبٍّ شَيْقٍ (١)
وَمَحَبَّةُ أَبَدِي مَقَالَةٍ مُشْفِقٍ
عِنْدِي وَصَبْرٍ كَالْجُفُونِ مُفَرِّقٍ
عَرُبُ الدُّمُوعِ لِبُعْدِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ
بُخْلٌ فَمَا فِي الثُّومِ يَوْمًا نَلْتَقِي
وَالْتِ وَإِنْ كَثُرَتْ مَحَاسِنُ جَلَّتِ
شَرَكًا أَتَيْحَ لِصِنْدِهِ لَمْ يَفْرَقِ
فَوَدَادُهُ خُلُقٌ بَغْيَرٍ تَخْلُقِ (٢)
مَيَّزَتْ بَيْنَ مُقَيَّدٍ أَوْ مُطْلَقِ
فَتَرَى قَرِينَ الْإِثْمِ أَوْ لَمْ تَغْبَقِ
تُزْهِى لِنَظِيرِهَا بِلَوْنٍ مُونِقٍ (٣)
فِي أَيْبَضٍ أَوْ أَخْضَرٍ فِي أَرْزَقِ
تَبْعًا لِشَهْوَتِهِ قَرِينَ الْمُلْتَقِ
حَالِي وَلَمْ أَرْ غَيْرَ بَابٍ مُغْلَقِ
تَرَوِي الثُّفُوسُ بِمَائِهِ الْمُتَدَفَّقِ
مَا كَانَ فِي صَدَفِ الْقُلُوبِ الْمُلْتَصِقِ
فُضْلَاءٌ فِيهِ أَنَّهُ لَمْ يُسْبَقِ
أَبْصَارِ أَنْوَارِ الصَّبَاحِ الْمُشْرِقِ

(١) في ب : × ولكل عبد يتق ! . وفي م : إقرار عاشقه × .

(٢) في ب : × ناباً [= ناباً] .

(٣) في ب : × الأزاهر والتي × .

(١) ترجمته في : الدرر الكامنة ١٣٢/٢ .

- ولادته سنة ٧٢١ هـ .

- في أ ، م : الحسيني ! . وفي م : سعد الدين بن حيدر ! .

يَمْشِي بِمِيدَانِ الطُّرُوسِ يَرَاغُهُ
وَيَجِيءُ بِالْمَعْنَى الْمُرَادِ مُكَمَّلًا
لَا فَرْقَ بَيْنَ لِسَانِهِ وَيَرَاغِهِ
إِنْ شَاءَ إِنْشَاءً فَأَفْصَحُ مُحْسِنٍ
نَسَخَتْ عِبَارَتُهُ رِقَاعَ الْفَاضِلِ الـ
لَمْ يَعْلُ إِلَّا أَزْدَادَ حُسْنِ تَوَاضُعٍ
يَتَغَيَّ الْجَهْلُ مَكَانَهُ أَوْ بَعْضُهُ
إِنْ كُنْتُ قَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامًا مَضَتْ
لِأَفْوَرٍ مِنْهُ بِقُرْبِ خَيْرٍ أَرْتَجِي
فَلَمْ يَسْلُ شِعْرِي عِنْدَهُ غَالٍ إِذَا
شِعْرِي يَقُولُ أَجَدْتُ مَعْنَاهُ فَلَوْ
فَانْشُرُهُ فِي الْآفَاقِ يُنْسَ بِذِكْرِهِ
هَذَا هُوَ الشَّعْرُ الَّذِي لَمْ يَغْصِبِ الـ
إِنْ يُكَسِّنَ أَسْمَالَ الْعِبَارَةِ غَيْرُهُ
فَيَحَارُ بَيْنَ جِبَائِهِ وَثَنَائِهِ
وَأَظْلُ فِي ظِلٍّ مِنَ الْإِحْسَانِ بَيْنَ
وَنَسِيمِ شِعْرِي لَا يَمُرُّ بِرَوْضَةٍ
لَا سِيَّمَا وَقَدْ ارْتَضَيْتُ مَحَلَّهُ
مِنْ شَاعِرٍ بِاللَّمَحِ يُدْرِكُ كُنْهَهُ
فَيَرَى حَقِيقَةَ أَنَّنِي كَسْتُ امْرَأً

هَوْنًا فَيُزْرِي بِالْجِيَادِ السُّبْقِ
فَيَحِيلُ أَنْ يَأْتِيَ بِفَضْلِ مُلْحَقٍ
فَيَكْلَاهُمَا يُبْدِي بَيَانَ مُوَفَّقٍ
سَعَةِ الْعِبَارَةِ فِي الْمَجَالِ الضَّيِّقِ
حَاضِي وَلَمْ أَنْطِقْ بِغَيْرِ مُحَقِّقٍ^(١)
وَرَأَى التَّكْبُرَ شَرًّا وَضَفَّ الْأَحْمَقُ
فَيَظْلُ مَنُوءًا بِمَا لَمْ يُزْرَقِ
بِالْبُعْدِ عَنْهُ فَلَا أَصِيغُ مَا بَقِيَ
وَأَفْوَرٌ مِنْهُ يُبْعِدُ شَرًّا أَنْقَبِي
هُوَ عِنْدَ ذِي جَهْلٍ بِهِ لَمْ يَنْفَقِ
فَاخَرَتْ كُلَّ مَفْوَةٍ لَمْ يَنْطِقِ
مَا كَانَ يَحْفَظُهُ حُدَاةُ الْأَيْتِقِ
مَعْنَى وَقَلَّ الْيَوْمَ مَنْ لَمْ يَسْرِقِ
فَلِبَاسُهُ مِنْ بَاهِرِ الْإِسْتَبْرَقِ
فِكْرِي لِأَيَّهِمَا الْمَدَائِحُ يَنْتَقِي
مَنْ الرُّوضِ مِنْهُ وَالْعَدِيرِ الْمُتَأَقِ
[١٦٩] فَيَقَالُ مَرَّ بِهَا وَلَمَّا يَغْبِقِ
مِنْ شَاعِرٍ جَمَّ الْمَعَانِي مُفْلِقِ
وَيَجُولُ فِي مَعْنَى بِهِ مُتَعَلِّقِ
يَرْضَى بِقَوْلِ مُمُوٍّ مُتَمَلِّقِ^(٢)

* * *

(١) في ب : × تحقق .

(٢) بعد ذلك في س : فكتب أنا جوابه . قلت : وليس ثم جواب .

حَرْفُ الشَّيْنِ

٤٤ * شافع بن علي بن إسماعيل بن عساكر^(١) :

الشَّيْخُ الْإِمَامُ ، الْكَاتِبُ الْبَلِغُ ، نَاصِرُ الدِّينِ الْكِنَانِي ، الْعَسْقَلَانِي ،
الْمِصْرِي ، ابْنُ أُخْتِ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَسْتَدْعِي إِجَارَتَهُ ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ ٧٢٨^(٢) :

الْمَسْئُولُ مِنْ إِحْسَانِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ الْمُفِيدِ الْقُدُّوَّةِ ، جَامِعِ
شَمْلِ الْأَدَابِ ، قِتْلَةِ أَهْلِ السَّعْيِ فِي تَخْصِيلِهِ وَالذَّأْبِ^(٣) : [من الطويل]

أَخِي الْمُعْجَزَاتِ اللَّائِي أَبَدَتْ طُرُوسَهُ كَأَفْقٍ بِهِ لِلنَّيِّرَاتِ ظُهُورُ
وَمَا تَمَّ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ فِي السَّمَاءِ وَهَذَا شُمُوسٌ كُلُّهُ وَبُدُورُ

الْبَلِغُ الَّذِي أَثَارَ أَوَابِدِ الْكَلِمِ مِنْ مَظَانِّ الْبَلَاغَةِ ، وَأَبْرَزَ عَقَائِلَ الْمَعَانِي
تَتَهَادَى فِي تَيْجَانِ الْأَفَاطِلِ ، فَجَمَعَ بَيْنَ صِنَاعَةِ السَّحْرِ وَالصِّيَاغَةِ ، وَأَبْدَعَ فِي
طَرِيقَتِهِ الْمُثَلَّى فَجَلَّتْ عَنِ الْمِثْلِ ، وَأَنْبَتَ فِي رِيَاضِ الْأَدَبِ غُرُوسَ فَضْلِ
لَا تُقَاسُ بِدُوحَاتِ الْبَانِ وَلَا الْأَثَلِ ، وَأَظْهَرَ نِظَامَهُ عُقُودًا حَلَّتْ مِنَ الزَّمَانِ كُلِّ
مَا عَطَّلَ ، وَقَالَ لِسَانُ الْحَالِ ، مِمَّنْ يَتَعَاطَاهُ : مُكْرَةً أَخَاكَ لَا بَطْلًا ، وَجَلَا عِنْدَ
نِثَارِهِ كَلِمَاتٍ مَقْصُورَاتٍ فِي خِيَامِهِ ، وَذَرَّ عَلَى كَافُورٍ قِرْطَاسِهِ مِسْكَ خِتَامِهِ ،

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٥٠١/٢ والوافي بالوفيات ٧٧/١٦ ونكت الهميان ١٦٣ وفوات الوفيات
٩٣/٢ وتذكرة النبيه ٢٠٨/٢ والنجوم الزاهرة ٢٨٤/٩ والمنهل الصافي ١٩٦/٦ والدليل الشافي
٣٤٠/١ وحسن المحاضرة ٤٩٣/١ .

- ولادته سنة ٦٤٩ هـ . ووفاته سنة ٧٣٠ هـ .

(٢) نص الاستدعاء في أعيان العصر والوافي .

(٣) البيتان فقط في نكت الهميان .

ناصر الدين شافع بن علي^(١) : [من السريع]

لا زال في هذا الوري فضلُهُ يسيرُ سِيرَ القَمَرِ الطالِعِ
حتى يقول الناسُ إذ أجمعوا ما مالِكُ الإنشا سوى شافع
إجازة كاتِبِ هذه الأخرِفِ ما يجوزُ له روايته من كُتُبِ الحديثِ وأصنافِها ،
ومُصَنَّفَاتِ العلومِ على اختلافِها ، إلى غير ذلك كيفما تأدَّى إليه من مشايخه
الذين أخذ عنهم ، من قراءة أو سماع أو إجازة أو مُناوَلَة أو وصية ؛ وإجازة
ما له - فسح الله في مُدَّتِهِ - من تأليفٍ ووضْع ، وتصنيفٍ وجمع ، ونظمٍ ونثرٍ ،
والنص على ذكرِ مُصَنَّفَاتِهِ وتعيينِها في هذه الإجازة عامة ، على أحدِ
القولين في مثل ذلك ، والله يُمتنعُ بقوائده ، وينظم على جيدِ الزَمَنِ العاطِلِ دُرّ
فلائده ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

● فكتب هو الجواب عن ذلك^(٢) :

أما بعد ؛ فالحمد لله الذي أمتنع من الفضلاء بكلِّ مُجيزٍ ومُستجيزٍ ، وأشهد
من مُعاصري ذوي الدراية والرواية من جمَعَ بين البسيط من علو الإسناد
والوجيز ؛ نحمدُه على نِعَمِهِ (التي) يجبُ له عليها الإخمادُ ، ونشكرُه على
تَهْنِئَةِ فَضْلِهَا الْمُخَوَّلِ شَرَفِ الإِسْعَافِ والإِسْعَادِ ، ونُصَلِّي على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ،
المُعَظَّمَةِ رِوَاةَ حَدِيثِهِ ، وَحَقَّ لَهُمُ التَّعْظِيمُ ، الْعَالِيَةُ قَدْرًا وسَدًّا ، مَنْ شَأْنُهُ
النَّبْجِيلُ والتَّفْخِيمُ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى [٢٩ ب] آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وما أَحَقُّهُمْ
بِالصَّلَاةِ والتَّسْلِيمِ .

وبعد ؛ فَإِنِّي وَقَعْتُ على ما التَمَسَهُ الإمامُ الفاضِلُ ، الصِّدْرُ الكاملُ ،

المُحَدَّثُ الصَّادِقُ ، الْعَلِيُّ الإِسْنَادُ ، الرَّاقِي - إلى دَرَجَاتِ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ
النَّبَوِيِّ بِعُلُوِّ رِوَايَتِهِ السَّائِرَةِ على رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، وهو غَرَسُ الدِّينِ خَلِيلُ بن
أَيْتِك^(١) : [من الطويل]

وَحَسْبِي بِهِ غَرَسًا تَسَامَى أَصَالَةً إلى أَنْ سَمَا نَحْوَ السَّمَاءِ علاؤها
حوى من بَدِيعِ النَّظْمِ والنَّثْرِ ما رَقَا إلى دَرَجَاتٍ لا يُرَامُ انْتِهَاؤها^(٢)
استَجَارَ ، أَعَزَّهُ اللهُ ، بِبَدِيعِ النَّظْمِ والنَّثْرِ في استِجَارَتِهِ ، وقالَ فَأَبْدَعَ في
إِبْدَائِهِ وإِعَادَتِهِ ، وَتَنَوَّعَ في مَقَالِهِمَا فَاسْمَعَ ما شَنَّفَ الْأَسْمَاعُ ، وَأَبَانَ عَمَّا انْعَقَدَ
على إِبْدَاعِهِ الإِجْمَاعُ ، وقالَ فَمَا اسْتَقَالَ ، وَرَتَّلَ آيَ مُحْكَمِ كِتَابِهِ ، فَتَمَيَّزَ وَحَقَّ
لَهُ التَّمْيِيزُ على كُلِّ حَالٍ .

وقد أَجَبْتُهُ إلى ما بِهِ رَسَمَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً ، وَأَصْلاً وَفَرْعاً ، وَأَبْدَيْتُ بِهِ
وَجْهًا من وَجُوهِ الإِجَابَةِ جَمِيلاً ، ما يجوزُ لي رِوَايَتُهُ من كُتُبِ الْحَدِيثِ
وَأَصْنَافِهَا ، وَمُصَنَّفَاتِ الْعُلُومِ حَسَبَ إِجَازَةِ أَلْفِهَا ، حَسَبِ مَا أُجِزْتُ بِهِ من
الْمَشَايِخِ الَّذِينَ أَخَذَتْ عَنْهُمْ ، وسَأَلْتُ الإِجَازَةَ مِنْهُمْ ، بِقِرَاءَةٍ ، أو سَمَاعٍ ، أو
مُناوَلَةٍ ، أو وَصِيَّةٍ ؛ وما لِي من تَأْلِيفٍ وَوَضْعٍ ، وَنَظْمٍ وَنَثْرِ وَجَمْعٍ .
وَذَكَرَ تَصَانِيفَهُ كُلَّهَا .

● واستنشدني شيئاً من نظمي ، فَأَنشَدْتُهُ لِنَفْسِي^(٣) : [من الخفيف]

إِنَّ وَرْدِي مِنَ الْجَمَامِ قَرِيبٌ فَلِهَذَا أَسَسْتُ دُمُوعِي مُفَاضَةً
وَلَكُمُ جَهْدُ مَا يَكُونُ بَعِيداً وَمَشْيِي رَشَاشٌ تِلْكَ الْمَخَاضَةُ

(١) البيتان فقط في أعيان العصر .

(٢) في أ : × . . . لا يلام . . . وفي م : × . . . لا يُقال

(٣) هما في أعيان العصر .

(١) البيتان فقط في نكت الهميان .

(٢) نص الجواب في أعيان العصر والوافي .

● فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ^(١) : [من الخفيف]

قَالَ لِي مَنْ رَأَى صَبَاحَ مَشِينِي عَنْ شِمَالٍ مِنْ لِمَتِي وَيَمِينٍ :
أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ فَقُلْتُ مُجِيباً : لَيْلُ شَكِّ مَحَاهُ صُبْحُ يَقِينٍ

● وَأَنْشَدَنِي هُوَ لِنَفْسِهِ^(٢) : [من الطويل]

تَعَجَّبْتُ مِنْ أَمْرِ الْقَرَاةِ إِذْ غَدَتْ عَلَى وَخْشَةِ الْمَوْتِ لَهَا قَلْبُنَا يَضْبُو
فَأَلْفَيْتُهَا مَا وَى الْأَحْبَةَ كُلِّهِمْ وَمُسْتَوْطُنَ الْأَخْبَابِ يَضْبُو لَهُ الْقَلْبُ

● فَأَنْشَدَنِي أَنَا لِنَفْسِي : [من الوافر]

أَلَا إِنَّ الْقَرَاةَ إِنْ غَدَوْنَا تَمِيلُ لَهَا الْقُلُوبُ وَلَا عَجِيْبَا
فَمَا فِينَا مُصَابٌ قَطُّ إِلَّا تَضُمُّ لَهُ قَرِيْبَا أَوْ حَبِيْبَا

● وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضاً^(٣) : [من الطويل]

وَبِي قَامَةٌ كَالْغُصْنِ حِينَ تَمَايَلَتْ وَكَالْزُرْخِ فِي طَعْنٍ يَقْدُ وَفِي قَدِّ
جَرَى مِنْ دَمِي بَخْرٌ بِسَهْمٍ فِرَاقِهِ فَخَضَبَ مِنْهُ مَا عَلَى الْخَضِرِ مِنْ بَنْدٍ

● فَأَنْشَدَنِي أَنَا لِنَفْسِي^(٣) : [من المجث]

قَدْ شَدَّ جَبِّي بَنْدَا فِي حُمْرَةٍ مِثْلَ خَلْدَةٍ
كَخَاتَمٍ مِنْ عَقِيْقِي قَدْ زَانَ خِنْصَرَ قَلْدَةٍ

فَقَالَ : لَوْ اتَّفَقَ لَكَ : خِنْصَرُ خَضِرِهِ ، لَكَانَ أَحْسَنَ ؛ فَقُلْتُ : [من المجث]

فِي حُمْرَةِ الْبَنْدِ مَعْنَى مِمَّنْ سَبَانِي بِهِجْرَةٍ
كَخَاتَمٍ مِنْ عَقِيْقِي قَدْ زَانَ خِنْصَرَ خَضِرَةٍ

* * *

حَرْفُ الْعَيْنِ

٤٥ * عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَلَمَانَ^(١) :

الكَاتِبُ الْبَلِيْغُ الْمُجِيدُ ، جَمَالُ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ علاء الدِّينِ بْنِ الْقَاضِي
شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ غَانِمٍ ، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبَ إِلَيَّ عِنْدَ قُدُومِي [٧٠] مِنَ الرَّحْبَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَدُخُولِي إِلَى دِيْوَانِ

الْإِنْشَاءِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ فِي سَنَةِ ٧٣١^(٢) : [من الوافر]

تَقُولُ جَمَاعَةُ الدِّيَّوَانِ : فِيهِ فَسَادٌ لَا يُزَالُ وَلَا يُزَاحُ
فَقُلْتُ : فَسَادُهُ سَيَزُولُ عَمَّا قَلِيلٍ إِذَا بَدَأَ فِيهِ الصَّلَاحُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا جَوَابَهُ^(٣) : [من الوافر]

هَوِيْتُ جَمَاعَةَ الدِّيَّوَانِ دَهْرًا فَلَمَّا ضَمَّنَا بِدِمَشْقَ مَعْنَى
نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ نَظَرَ انْتِقَادٍ فَكَنتَ جَمَالُهُمْ لَفْظًا وَمَعْنَى

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَأَنَا بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ ضَعِيفٌ^(٣) : [من الوافر]

كِتَابُكَ قَدْ أَتَى عَيْنِي وَفِيهَا فَسَادٌ نَوَى لِشَوْقِي وَارْتِيَاحِي
فَجَدَدُهُ فَلَيْسَ يَزُولُ إِلَّا إِذَا عَادَ الصَّلَاحُ إِلَى الصَّلَاحِ

(١) ترجمته في : مسالك الأبحار ٤٦١/١٢ وأعيان العصر ٦٩٦/٢ والوافي بالوفيات ٣٥١/١٧ وفوات
الوفيات ٢٠٦/٢ وتذكرة النبيه ٥٤/٣ وتعريف ذوي العلا ٢٦ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٨٥/١
والذَّور الكامنة ٢٧٨/٢ .

- ولادته سنة ٧١١ هـ . ووفاته سنة ٧٤٤ هـ .

- في م : علي بن عبد الله بن علي . . . ! .

(٢) هما في أعيان العصر والوافي والذَّور الكامنة .

(٣) هما في أعيان العصر والوافي .

(١) هما في أعيان العصر ، والوافي ، والقوات ، ونكت الهميان ، والذَّور الكامنة ، وتذكرة النبيه ،
والنجم الزاهرة ، والمنهل الصافي ، والدليل الشافي .

(٢) هما في أعيان العصر ، والوافي ، ونكت الهميان ، وفوات الوفيات .

(٣) هما في أعيان العصر .

● فكتبْتُ أنا جوابه^(١) : [من الوافر]

كِتَابُكَ جَاءَنِي فَفَنَى هُمُومِي وَأَذَنَ سَقَمَ جِسْمِي بِالزَّوَالِ
وَأَذْكَرَ نَاطِرِي زَمَنًا حَمِيدًا تَمَتَّعَ بِالْجَمَالِ مِنَ الْجَمَالِ
● وكنتُ قد وَعَدْتُهُ بِعَارِيَّةِ رِسَالَةٍ لَابِنِ رَشِيقٍ ، سَمَّاهَا « سَاجُورُ الْكَلْبِ »

وَتَأَخَّرَ إِزْسَالُهَا ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ^(٢) : [من الخفيف]

يَا جَوَادًا عَنَانُهُ فِي يَدِ الْجَوِ دِ تَبَاخَلَتْ لِي بِسَاجُورِ كَلْبٍ
لَا تُضِغْ رُبِّيَّةَ الْفَضْلِ وَالْإِنِّ شَارٍ فَالْأَمْرُ دُونَ بَذْلِ الْعَنْبِ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَنْبِ بُدٌّ فَمُرَادِي إِنْ شِئْتَ غَيْرُ الْكُتُبِ

● فَجَهَّزْتُهَا إِلَيْهِ ، وَكَتَبْتُ مَعَهَا : [من الخفيف]

أَيْهَا الْأَرْوَغُ الَّذِي فَاقَ مَجْدًا لَا تُؤْنَبُ مَنْ لَا أَتَاكَ بِذَنْبٍ
أَنْتَ تَذَرِي أَنَّ الْوَفَاءَ الْمُؤَقَّتَ لِي طِبَاعٌ فِي الْوُدِّ مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ
أَنَا أَخْبَا لَوْ كَانَ طَوْقَ عَرُوسٍ عَنْكَ حَتَّى أَصُونَ سَاجُورَ كَلْبٍ ؟

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ يَوْمًا^(٣) : [من السريع]

قَدْ أَصْبَحَ الْمَمْلُوكُ يَا سَيِّدِي يَخْتَارُ أَنْ يَفْتَرِعَ الرَّبُّوَّةَ
وَقَدْ أَتَى صُحْبَتُكُمْ يَتَنَغِي فَاسْعِفُوا وَاعْتَنِمُوا الْخُلُوءَ

● فَكَتَبْتُ أَنَا جَوَابَهُ ارْتِجَالًا^(٤) [من السريع]

مَا لِي عَلَى الرَّبُّوَّةِ مِنْ قُدْرَةٍ لِأَنْتَ عَاجِزٌ عَنْ خُطُوءِ
وَلَيْسَ مَزْكُوبِي هُنَا حَاضِرًا فَمُرَّ نَحْوِ الْخُلُوءِ الْخُلُوءِ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ طَوَّلَ الْغَيْبَةَ فِي بَعْلَبِكَ^(١) : [من الرجز]

قَرَّبِكَ الْقَلْبُ الَّذِي أَبْعَدْتَهُ وَقَرَّبَكَ
يَا نَازِحًا عَنْ جِلْقِي وَنَازِلًا فِي بَعْلَبِكَ
لَكَ الْبَلَاغَاتُ الَّتِي أَبْدَعْتَ فِيهَا مَذْهَبَكَ
جَرَّتْ جَرِيرًا فَالْتَوَى إِلَى النَّسِيبِ وَأَنْسَبَكَ
وَكُلُّ سَطَرٍ كَالدُّجَى وَبَزَقَ مَعْنَاهُ اخْتَبَكَ
شَوَارِدُ الْمَعْنَى غَدَتْ مِنْمَاتُهُ مِثْلَ الشَّبَكِ
أَشْكُو لَكَ الْبُعْدَ الَّذِي تَطْوِيلُهُ قَدْ أَعْجَبَكَ
زَوَاكُ فِي لَيْلِ الْمُنَى عَنْ نَاطِرِي وَعَيْبِكَ
فَاطْلَغْ عَلَيْنَا قَمَرًا حَتَّى تُبَيِّرَ غَيْهَبَكَ^(٢)
أَنَا خَلِيلُ صُحْبَةٍ وَدَادُهَا قَدْ جَلَبَكَ
حَلِيُّكَ مِنْهُ فَاخِرٌ وَسِخْرُهُ قَدْ خَلَبَكَ
جَلَّتْكَ أَنْوَارُ الْمُنَى فِي خَاطِرٍ تَطَلَّبَكَ
خُلَّتْكَ الْحُسْنَى جَلَّتْ لِي فِي الْمَعَانِي شُهْبَكَ
حَلَّتْكَ بِالْعِلْمِ الَّذِي بِهِ عَلَوَتْ رُبِّيَّةُكَ
أَبُو جَلَّتْكَ لَوْ رَأَى كَمَا رَأَيْنَا أَدَبَكَ
حَلَّ بِكَ الْمَعْنَى الَّذِي جَلَّ بِلِ الْحَقِّ التَّبَكُّ

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ^(٣) : [من الرجز]

[٧٠ب] أَمِنْ عُقَارٍ أَنْسَبَى أَمْ مِنْ نُضَارٍ أَنْسَبَكَ

(١) القصيدة في الوافي بالوفيات .

(٢) سقط عجز هذا البيت من م مع صدر الذي يليه ، فتلق ما بقي منهما .

(٣) القصيدة في الوافي بالوفيات .

(١) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٢) الخبر والأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٣) هما في أعيان العصر والوافي والذَررُ الكامنة .

(٤) هما في أعيان العصر والوافي .

أَمْ مِنْ لَالٍ نُظِمَتْ
أَمْ نَفْسُ الْأَخْبَابِ هَبْ
نَسَمَ فِي دِمَشَقٍ فَاشَدَّ
يَحْمِلُ ذِكْرَكَ لَقَدْ
يَا حَاضِرًا فِي خَاطِرِ
وَفَاضِلًا ذَهَبَكَ الـ
فِي أَيِّ صُورَةٍ لَنَا
نَسِي بِكَ النَّسِيبَ مَنْ
رَبَّنَا لَكَ لِلْعُلُومِ نَفْذُ
أَغْرَبَ عَنْكَ الدَّهْرُ بِالنَّ
عَاجَ يَبْخُرُكَ الْوَرَى
سُرَّ بِكَ الرَّأْيُ الَّذِي
خَلَا بِذَوْقٍ فَهَمِّهِ
أَنْتَ جَلِيلُ فِطْنَةٍ
خَلَّتْكَ فَازَتْضَتَ وَمَنْ
خَلَّتْكَ مَغْدُومَ النَّظْمِ
أَنْتَ خَلِيلُ لِلْعُلَا
خَلَّ بِكَ النَّائِلُ بِالنَّ
حَكَمَكَ فِي الذِّكَا ذُكَا
خَلَّ بِكَ الْفَضْلُ فَحَدَّ
جُلَّ بِالْيَرَاعِ يَا جَوَا
خَلَّتْكَ الْفَضْلُ حَبَا

عَلَى عَذَارَى كَالشَّبَابِ
بَبَ مَوْهِنًا فَأَطْرَبَكَ
تَمَنُّتُهُ فِي بَعْلَبِكَ
عَظُرَتْ مِنْهُ مَرْكَبَكَ
بِحَاضِرٍ مَا غَيَّبَكَ
لَهُ لَنَا وَهَذَّبَكَ
فَضِيلَةٍ قَدْ رَكَّبَكَ
حَقَّقَ فِيهِ نَسَبَكَ
سَسَّ بَلَّغْتَكَ رُتَبَكَ
تَمَيَّزَ حَتَّى نَصَبَكَ
لَمَّا تَرَاءَوْا عَجَبَكَ
بِفَهْمِهِ قَدْ سَرَّكَ
نَهَاكَ لَمَّا جَلَبَكَ
يَعْرِفُ ذَا مَنْ طَلَبَكَ
يَزْنِضُ إِلَّا أَدَبَكَ
رَفَرْدَ أَفْرَادِ النَّبِكَ
وَلِيَّهَا قَدْ قَرَّبَكَ
نَخَلَةٍ مِنْهَا أَرَبَكَ
وَلَمْ تُحَاكِ نُخْبَكَ
لَى لِلْبَرَايَا كُبُوكَ
دُفِيهِ وَاحْزَرَزْ قَصَبَكَ
كَهَا نَهَاكَ إِذْ حَبَكَ

سَدَدَتْ مِنْ تَضْجِيفِ ذَا الـ
بَغَضَ الَّذِي فَهَمَّتُهُ
بِكَ اهْتَدَيْتُ فَهَمَّهَا
لَا زِلْتُ فِي يَدِ النَّهْيِ
اسْمِ الَّذِي قَدْ صَجَبَكَ
إِذَا لِمَعْنَى حَبَبِكَ^(١)
لَمَّا رَأَيْتُ شُهْبَكَ
تَخْدُو إِلَيْهَا نُجَبَكَ

● وكتب هو على الجزء الخامس من « التذكرة » التي لي :

وَقَفْتُ عَلَى الْمَجْمُوعِ الْمُتَقَرِّدِ بِحُسْنِهِ وَحُسْنَاهُ ، الزَّاهِي عَلَى الزُّهْرِ فِي سِنِّهِ
وَالذَّرِّ فِي سَنَاهُ ، الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ شَذَرَةٍ ، الْمُحْتَوِي عَلَى مَثَاقِيلَ مِنْ إِبْرِيزِ
الْكَلَامِ ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [الزلزلة : ٧] اللَّائِقِ جَمْعًا وَضُنْعًا ، الرَّائِقِ
وَشَيْءًا مِنَ الْكِتَابَةِ لَا تُذَكِّرُ عِنْدَهُ صُنْعًا ، الْمُظْهِرِ بِكَمَالِهِ نَقْصَ مَا سِوَاهُ ، الدَّالِّ
بِصِحَّةِ جَمْعِهِ عَلَى تَقَرُّدٍ مِّنْ سِوَاهُ : [من الوافر]

وبالزَّهْرِ الْمُتَضَّدِ فِي رُبَاهُ يُشِيرُ إِلَى صَنَائِعِهِ الْغَمَامِ
« مِنْ كُلِّ مَعْنَى وَحِيدٍ يَكَادُ الْمَيْتُ يَفْهَمُهُ »^(٢) ، وَكُلُّ لَفْظٍ رَقِيقٍ تَكَادُ صَفْحَةُ
الْقُرْطَاسِ تُسَلِّمُهُ ، وَكُلُّ زَهْرَةٍ كِتَابِيَّةٍ تَكَادُ تُقْطِفُ مِنْ أَغْصَانِ سُطُورِهَا ، وَكُلُّ
فِكْرَةٍ إِصَابَةٍ تَكَادُ تُفْهِّمُهُ بِقَعْقَعَةِ الْأَوْرَاقِ مِنْ سُورِهَا ؛ كَأَنَّمَا أَلْقَتْ فِيهِ الْمَحَاسِنُ
وَدَائِعَهَا ، أَوْ أَجْرَتْ مِنْهُ اللَّطَائِفُ يَتَابِعَهَا ، وَكَأَنَّمَا هُوَ لَيْلٌ نَقَسَ أَوْفَدَتْ فِيهِ
الْمَعَانِي سِرَاجًا ، أَوْ رَوْضَةٌ وَرَدَ مَدَّ عَلَيْهَا الطُّرْسُ سِيَّاجًا ، أَوْ دُرٌّ لَهَا مِنَ الْأَسْمَاعِ
أَصْدَافٌ ، أَوْ سِخْرٌ لِصَفَائِهِ وَرِقَّتِهِ لَا لِظُلْمَةِ الْأَسْدَافِ ، أَوْ طُرَّةٌ صَبَاحٍ يَسْتَمِدُّ
النَّهَارُ مِنْ إِضَاءَةِ وَرَقِّهَا ، أَوْ غُرَّةٌ نَجَاحٍ تُسَامِتُ النُّجُومَ بِفَرْقِهَا فَتَقِطُّ مِنْ فَرْقِهَا ؛
قَدْ رَقَّتْ أَلْفَاظُهُ حَتَّى لَوْ عُلِّقَ عَلَى حَنَقٍ لَسَكَنَتْ عَنْهُ سَوْرَةُ غَضَبِهِ ؛ وَأَشْرَقَتْ
مَعَانِيهِ حَتَّى رَمَقَهَا [١٧١] الْأَفُقُ بِأَعْيُنِ شُهْبِهِ ؛ تَنْطِقُ بِشُكْرِ مُؤَلِّفِهِ مَخَايِلُهُ ، وَتَقْيِضُ

(١) في م : × إذا تمنى . . .

(٢) صدر بيت لأبي تمام ، في ديوانه ٤٩٠ / ٤ . وعجزه : حُسْنًا ويحسده القُرطَاسُ والقَلَمُ .

حَتَّى مِنْ جَدَائِلِ سَطُورِهِ فَضَائِلُهُ، وَتَدُلُّ عَلَى مَا لَهُ مِنْ أَشْتَاتِ الْمَحَاسِنِ مِنْ
اشْتِمَالٍ، وَتُشِيرُ إِلَى مَا لِلْآدَابِ بِحَيَاتِهِ وَجِبَائِهِ مِنْ جَاءٍ وَمَالٍ : [من الكامل]

رَجُلٌ فَضَائِلُهُ وَأَنْعُمُهُ جَازا مَدَى سَخْبَانِ وَالسُّخْبِ
وَسُرُورُ نَعْمَاهُ وَسَوْرَتُهُ هَاجَا مِنَ الْقُضْبَانِ وَالْقُضْبِ
لَوْ لَمْ تَسِلْ أَنْدَا فَضَائِلِهِ فِي مَشْرِعِ الْآدَابِ لَمْ يَطِبِ
أَلْفَاظُهُ الْحُسْنَى وَأَسْطَرُّهُ يُنْسِنَ ذِكْرَ الْبَانِ وَالْعَذَبِ
وَحُرُوفُهُ مِثْلُ الشَّلَافِ بَدَتْ وَطَفَا عَلَيْهَا النَّقْطُ كَالْحَبِّ
وَسَطُورُهُ كَاللَّيْلِ خُطَّ عَلَى خَدِّ الصَّبَاحِ [بِصْنَعَةِ الْعَجَبِ] (١)
لَوْ تَغَقَّلُ الْوَزَقَاءُ فِكْرَتُهُ خَلَعَتْ قِلَادَتَهَا مِنَ الطَّرَبِ
زَادَ اللَّهُ عَوَاصِي أَفْكَارِهِ عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ مَنَعَةً ، وَجَعَلَ لِفُنُونِ آدَابِهِ فِي كُلِّ
صَوْتٍ صِينًا ، وَفِي كُلِّ سَمْعٍ سُمْعَةً ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
● وَحَكَى لِي ، قَالَ (٢) :

رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِي الْمَنَامِ ، كَأَنَّ فِي بَيْتِي نَهْرًا عَظِيمًا صَافِيًا ، وَأَنْتَ مِنْ ذَلِكَ
الْجَانِبِ وَأَنَا مِنْ هَذَا الْجَانِبِ ، وَكَأَنِّي أُشِدُّكَ : [من الخفيف]

يَا خَلِيلِي أَبَا الصَّفَا لَا تُكَذِّرْ مِنْهُلَا مِنْ نَمِيرٍ وَدَكَّ أَرَوَى
فَجَمِيعُ الَّذِي جَرَى كَانَ بَسْطًا وَلَعَمْرِي بَسْطُ الْمَجَالِسِ يُطَوِّى
فَقُلْتُ لِي : لَا ، بَلْ انْظُرْ فِي زَهْرِ اللَّوْزِ شَيْئًا ؛ فَأَشْدُّتُكَ : [من المتقارب]

أَيَا قَادِمَ الزَّهْرِ أَهْلًا وَسَهْلًا مَلَأْتُ الْبَرَايَا هَدَايَا الْأَرْجِ
فَوَقْتُكَ فَضْلُ خِتَامِ السُّرُورِ وَعَهْدُكَ فُرْجَةُ بَابِ الْفَرَجِ (٣)

(١) في م : × وجه الصَّبَاحِ . وما بين معقوفين ساقط من الأصول ، والمثبت من ط .

(٢) الخبر والأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٣) في س : يَوْقْتُكَ فَضْلُ . . . × .

● فَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ عِنْدَمَا قَصَّ عَلَيَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا (١) : [من الخفيف]

حَاشَ لِلَّهِ أَنْ أُغَيَّرَ عَهْدًا لَمْ يَزَلْ مِنْ وَفَائِكَ الْمَخْضِ صَفْوَا
وَإِذَا مَا حَدِيثُ فَضْلِكَ عِنْدِي ضَاعَ مِنِّي فِي نَشْرِهِ كَيْفَ يُطَوِّى

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، وَهُوَ مَعَ نَائِبِ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ
تَنَكَّرَ (٢) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّيْدِ بَغْرَةً الْمَحْرُوسَةِ ، جَوَابًا عَنْ كِتَابٍ وَرَدَ مِنْهُ إِلَيَّ ،
وَفِيهِ عَتَبٌ كَثِيرٌ لَانْقِطَاعِ كُتُبِي عَنْهُ (٣) : [من مجزوء الكامل]

حَيْثُ الْخِيَامُ بِرَمْلٍ غَزَّةَ لِي سَادَةٌ عِنْدِي أَعَزَّةَ
وَأَنَا كُنْتُ حُبَّهُمْ وَهُمْ كَمَا اخْتَارَ عَزَّةَ
سَيِّمًا جَمَالِهِمُ الَّذِي فِي فَضْلِهِ طَرْفِي تَنَزَّرَ
مَوْلَى بَعْطَفٍ يَرَاعِهِ طَرَبٌ يُرَنِّحُهُ وَهَزَّةَ
أَضْحَى يَوْشِي طَرْسَهُ وَيَحْوُكُ بِالْأَسْجَاعِ طَرْزَةَ
يُمْلِي عَلَيْهِ بَدَائِعَهَا تَكْسُو الْمَهَارِقُ خَيْرَ بَزَّةَ
لَوْ فَاخَرَ الرُّوْضُ النَّسِيءَ مِمَّ يَكْتُبُهُ لِأَبَانِ عَجَزَةَ
أَلْفٌ حَكَتْ غُضْنَ النَّقَا صَدَحَتْ عَلَيْهِ حَمَامُ هَمَزَةَ
مِنْ مِينٍ مِيلِي عَنْهُ لَا أَدْخَلْتُ قَلْبِي تَحْتَ رِزَّةَ
وَلَفِزْتُ مِنْهُ بِمَعْقِلٍ لَا تَطْرُقُ الْأَحْدَاثُ حِرْزَةَ
وَبِهِ تَبَيَّنَ لِي الْهُدَى وَحَلَلْتُ مِنْ مَغْنَاهُ رَمَزَةَ
وَبِهِ مَلَأْتُ يَدِي غِنَى مِنْ فَضْلِهِ وَفَتَحْتُ كَنْزَةَ

(١) البيتان في أعيان العصر والوافي .

(٢) ترجمة الأمير سيف الدين تنكز ، نائب السلطنة بالشَّام ؛ في الوافي بالوفيات ٤٢٠/١٠ وفيه مصادر

ترجمته .

(٣) الرسالة - شعراً ونثراً - في أعيان العصر .

فَاللَّهُ يَخْرِسُ مَجْدَهُ وَيُؤَدِّمُ لِبِلَادِهِ عِزَّهُ
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيَصِفُ شَوْقَهُ الَّذِي شَقَّ الْجَوَانِحَ ، وَجَرَحَ الْجَوَارِحَ ، وَمَلَأَ
الْفُؤَادَ فَوَادِحَ ؛ وَيَذْكُرُ حَيْنَهُ الَّذِي شَغَلَهُ عَنْ ذَاتِهِ ، وَأَذْهَلَهُ حَتَّى عَنْ تَمَنِّي اللَّقَاءِ
وَلَذَاتِهِ ، وَنَعَّصَ صَفْوَ عَيْشِهِ [ب ٧١] بِالْبُعْدِ ، وَهَذِهِ أَحْسَنُ حَالَاتِهِ .

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، فَتَلَقَّى مِنْهُ أَكْرَمَ وَارِدٍ ، وَحَوَى مِنْ أَلْفَاظِهِ الْغُرَّ
مَصَائِدَ الشَّوَارِدِ ، وَشَافَهُ مِنْهَا أَلْسُنُ عَتَبٍ لَهَا فِي الْقَلْبِ وَقَعُ الشُّيُوفِ ، وَإِنْ
كَانَتْ فِي فَصَاحَتِهَا مِثْلُ الْمَبَارِدِ ، وَأَضْرَمَتْ فِي الْحَشَا نِيرَاناً لَهَا الزُّفْرَاتُ دُخَانُ
وَالضُّلُوعُ الْمَحْيِيَّةُ مَوَاقِدُ ؛ فَقَابَلَهَا بِأَعْدَارِهِ الْمُتَلَفِّقَةِ ، فَقَالَتْ خِرَارَةٌ تِلْكَ
السُّطُورِ : دَعْنَا مِنْ عُذْرِكَ الْبَارِدِ ؛ وَنَظَرَ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ الْمُتَنَزِّمَةِ إِلَى نُونَاتِ
كَأَنَّهَا بَرَائِنُ الْأَسْوَدِ ، وَإِلَى مِيمَاتِ كَأَنَّهَا عُيُونُ الْأَسَاوِدِ : [من الكامل]

فَكَأَنَّ ذَاكَ الطَّرْسَ أَضْبَحَ سَلَّةَ الْـ حَاوِي وَهَاتِيكَ السُّطُورُ أَفَاعِيَا
ثُمَّ إِنَّ الْمَمْلُوكَ كَابَرَ نَفْسَهُ ، وَقَالَ : رُبُّمَا تَصَحَّفَ عَلَيْهِ مَا تَصَفَّحَ ، وَتَرَجَّحَى
أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَدْرُ هُوَ الَّذِي تَرَجَّحَ ، وَجَانَسَ بَيْنَ إِسَاءَتِهِ وَعُظْفِهِ ، فَذَاكَ تَرَنَّمَ ،
وَهَذَا تَرَجَّحَ : [من مجزوء الكامل]

وَيَسْدُلُ هَجْرُهُمْ عَلَى أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِهِمْ
وَعَلَّلَ نَفْسَهُ بِقَوْلِ الْآخِرِ : [من الوافر]

وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ^(١)
وقال : هذا هو العتب الم محمود العواقب ، وهذا التأديب الذي يعقب

(١) الشطر بلا نسبة في التذكرة الحمدونية ٣٣/٥ . وتماه في التمثيل والمحاضرة ٤٦٥ ؛ وهو لعلي بن
الجهم ، في بهجة المجالس ٧٢٦/١ وليس في ديوانه :
إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

الرَّضَى وَلَا يُعَاقِبُ ، وَقَدْ عَادَ الْمَمْلُوكُ إِلَى صَوْبِ الصَّوَابِ ، وَتَضَرَّعَ مِنْ تِلْكَ
السُّطُورِ عَلَى عَتَبَاتِ الْعِتَابِ ، وَظَنَّ أَنَّهَا فُتِنٌ ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَأْكَأً وَأَنَابَ ﴾
[ص : ٢٤] : [من الوافر]

وَهَذَا الذَّنْبُ أَوَّلُ كُلِّ ذَنْبٍ وَآخِرُهُ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ
فَلْيَغْفِرْ مَوْلَانَا لِلْمَمْلُوكِ هَذِهِ الْهَفْوَةَ ، وَلْيَقْلُ عَثْرَةَ هَذِهِ الْخُطُوبَةِ الَّتِي لَمْ يَلْقَ
فِيهَا حُطُوبَةً ، وَاللَّهُ يُمْنِعُ الْعُيُونَ وَالنَّفُوسَ بِجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ ، وَيَزِينُ الْوُجُودَ
بِمَحَاسِنِهِ الَّتِي يَخْجَلُ مِنْهَا الْبَدْرُ فِي كَمَالِهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ

٧٣٢^(١) : [من الكامل]

ذَكَرْتُ قَلْبِي حِينَ شَطَّ مَزَارُهُمْ	بِهِمْ فَنَابَ عَنِ الْجَوَى تَذَكَارُهُمْ
وَبَكَى فُؤَادِي وَهُوَ مَنَزِلُ حُبِّهِمْ	وَأَحَقُّ مَنْ يَبْكِي الْأَجَبَةَ دَارُهُمْ
وَتَخَلَّقَ الْجَفْنَ الْهَمُولُ كَأَنَّمَا	لَمَحْنُهُ عِنْدَ غُرُوبِهِمْ أَنْوَارُهُمْ
وَذَكَرْتُ عَيْنِي عِنْدَ عَيْنِ فِرَاقِهِمْ	لَمَّا أَثَارَتْ لَوْعَتِي أَثَارُهُمْ
تَذَرِي الدَّمُوعَ عَلَيْهِمْ وَكَأَنَّهُمْ	زَهَرُ الرُّبَا وَكَأَنَّهُا أَمْطَارُهُمْ
وَيَسُّ مِنْ حَالِي الْعَوَاضِلُ رَحْمَةً	لَمَّا بَكَيْتُ وَمَا الْأَيْنُ شِعَارُهُمْ
وَنَحَ الْمُجِبِّينَ الَّذِينَ بِوُدِّهِمْ	قُرْبُ الْمَزَارِ وَلَوْ نَأَتْ أَعْمَارُهُمْ
فَقَدُّوا خَلِيلَهُمُ الْحَبِيبَ فَأَذْكَيْتُ	بِالشُّوقِ فِي حَطَبِ الْأَضَالِعِ نَارُهُمْ
مَوْلَى تَقْلَصَ ظِلُّ أُنْسٍ مِنْهُ عَنْ	أَصْحَابِهِ فَاسْتَوْحَشَتْ أَفْكَارُهُمْ
كَمْ رَاقَهُمْ يَوْمًا بِرُؤْيَا وَجْهِهِ	مَا لَا يَرَوْفُهُمْ بِهِ دِينَارُهُمْ
وَلَكَمْ بَدَتْ أَسْمَاعُهُمْ فِي حَلِيَّةٍ	مِنْ لَفْظِهِ وَكَذَا غَدَتْ أَبْصَارُهُمْ

(١) القصيدة في أعيان العصر ، والوافي ، والغوات . والأول والثاني فقط في الدرر الكامنة .

كَانُوا بِصُحْبَتِهِ اللَّذِيذَةَ رُتَعَا
يَتَنَافَسُونَ عَلَى دُنُو مَزَارِهِ
لَا غَيْبَ الرَّخْمَنُ رُؤْيَا وَجْهِهِ
وَجَلَا ظِلَامَ بِلَادِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ
يَا سَيِّدَا لِي لَمْ تَزَلْ تُقْتِي بِهِ
أَصْرَمْتَ حَبْلَ مَوَدَّتِي وَلِصُحْبَتِي
أَمْ تِلْكَ عَادَاتُ الْقَلْبِ أَجْرَيْتَهَا

● فكتبْتُ أنا الجوابُ إليه^(١) : [من الكامل]

بِمَسَرَّةٍ مُلْكَتْ بِهَا أَغْشَارُهُمْ
فَكَأَنَّمَا بِلِقَاكَ كَانَ فَخَارُهُمْ
[١٧٢] عَنْ عَاشِقِيهِ فَإِنَّهَا أَوْطَارُهُمْ
فَلَقَدْ تَسَاوَى لَيْلُهُمْ وَنَهَارُهُمْ
إِنْ خَادَعْتَنِي فِي الْوَلَا أَسْرَارُهُمْ
عَرَفَ الطَّرِيقَةَ فِي الْوُدَادِ كِبَارُهُمْ
فَكَذَا الْأَحْبَةِ هَجَرُهُمْ وَفَارُهُمْ

أَذْنَاهُمْ مِنْ صَبَّهِمْ تَذْكَارُهُمْ
مِضِرٍ بِقَلْبِ الصَّبِّ ثَوَقْدُ نَارُهُمْ^(٢)
عَنْ كَاسِهِمْ وَكَفْتُهُمْ أَخْبَارُهُمْ
طَرِبُوا لَهُ وَتَعَطَّلَتْ أَوْتَارُهُمْ
لَمْ تَبْقَ أَنْجُمُهُمْ وَلَا أَقْمَارُهُمْ
وَهُمُ الشُّمُوسُ إِذَا اسْتَبَانَ نَهَارُهُمْ
وَتَرَفَّعَتْ مِنْ فَوْقِهَا أَقْدَارُهُمْ
أَنَوَاؤُهُمْ وَتَوَقَّدَتْ أَنَوَارُهُمْ
مِنْهَا تُدَارُ عَلَى الْأَنَامِ عُقَارُهُمْ
مَا زَهَرُهُمْ فِي اللَّيْلِ أَوْ أَزْهَارُهُمْ
لَوْ رَامَهُ الْأَصْحَابُ طَالَ عِثَارُهُمْ
حَتَّى تُقَرَّرَ لِصَفْوِهِ أَكْدَارُهُمْ

أَفْدِي الدِّينَ إِذَا تَنَاءَتْ دَارُهُمْ
فِي جِلْقِ الْفَيْحَاءِ مَنْزِلُهُمْ وَفِي
قَوْمٍ بِذِكْرِهِمْ التَّدَامِي أَغْرَضُوا
وَإِذَا الشَّاءَ عَلَى مَحَاسِنِهِمْ أَتَى
وَإِذَا هُمْ نَظَرُوا لِحُسْنِ وُجُوهِهِمْ
فَهُمُ الْبُدُورُ إِذَا أَذْلَهَمَ ظِلَامُهُمْ
دَنَتْ الثُّجُومُ تَوَاضِعاً لِمَحَلِّهِمْ
وَبِكْفِهِمْ وَبِوَجْهِهِمْ كَمْ قَدْ هَمَّتْ
أَهْدَى جَمَالُهُمْ إِلَيَّ تَحِيَّةً
أَفْقَ وَرَوْضَ فِي الْبَلَاغَةِ فَهِيَ إِفْ
لَكَ يَا جَمَالَ الدِّينِ سَبَقُ فِي الْوَفَا
وَتَوَدَّدَ مَا زَالَ يَضْفُو وَرْدَهُ

(١) القصيدة في أعيان العصر ، والرافي ، والقوات .

(٢) في م : × . . . بقلب القلب . . .

وَفَضَائِلُ تُبْقِي لِقَوْمِكَ سُودَدَا
يَا ابْنَ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ فَشَانُهُمْ
قَوْمٌ إِذَا جَارُوا إِلَى شَأْوِ الْعُلَا
صَانُوا وَزَانُوا بِالْيِرَاعِ مُلُوكُهُمْ
مَا مِثْلُهُمْ فِي جُودِهِمْ فَلِذَاكَ قَدْ
مَا فِي الزَّمَانِ حُلَى عَلَى أَغْطَافِهِ
تَتَعَلَّمُ النَّسَمَاتُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ
وَلِفَضْلِهِمْ مَا ابْنُ الْفِرَاتِ يَعُدُّ فِيهِ
وَحِمَاهُمْ يَخْمِي النَّزِيلَ بِرَبِّعِهِ
بِالرَّغْمِ مِنِّي إِنْ بَعُدْتُ وَلَمْ أَجِدْ
لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي وَمَا أَحْلَى الْمُنَى
وَنَحَ النَّوَى شَمَلَ الْأَحْبَةِ فَرَّقَتْ

حَسُنَتْ بِهَا بَيْنَ الْوَرَى أَنَارُهُمْ
صِدْقُ الْمَوَدَّةِ وَالْوَفَاءِ شِعَارُهُمْ
سَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَمْ يُشَقَّ غُبَارُهُمْ
أَسْوَارُهُمْ مِنْ كُتُبِهِمْ وَسِوَارُهُمْ
عَزَّتْ نَظَائِرُهُمْ وَهَانَ نُضَارُهُمْ
إِلَّا مَاثِرُهُمْ بِهِ وَفَخَارُهُمْ
وَتَنُوبُ عَنْ زَهْرِ الرُّبَا أَشْعَارُهُمْ
هَ قَطْرَةٌ لَمَّا تَمَدَّدَ بِحَارُهُمْ
مِنْ جَوْرِ مَا يَخْشَى وَيُتَمَنَّى جَارُهُمْ
ظِلَالٌ تُقَيِّؤُهُ عَلَى دِيَارِهِمْ
مَا غَابَ عَنِّي شَخْصُهُمْ وَمَزَارُهُمْ
فَمَتَى يُفَكُّ مِنْ الْبِعَادِ إِسَارُهُمْ

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي بَعْدَ وَضْفِ أَشْوَاقِهِ الَّتِي تَتَرَادَفُ بُعُوثُهَا ، وَتَنْبَعِثُ
بِهَا^(١) مِنَ الدُّمُوعِ سُحُبُهَا وَغُيُوثُهَا ، وَتَتَصَافَرُ عَلَى الْفُؤَادِ الْمَغْلُوبِ أَسَاوِدُهَا
وَأَسْوَدُهَا ، وَإِذَا رَاعَيْتَ السَّجْعَ قُلْتُ : وَلِيُوثُهَا : [من البسيط]

وَمَا فُؤَادِي مُشْتَاقاً بِمُفَرِّدِهِ بَلْ كُلُّ غُضْوِيٍّ إِلَى لُقْيَاكَ يَشْتَاقُ^(٢)
وُرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، مُشْتَمِلاً عَلَى تِلْكَ الْأَبْيَاتِ ، بَلْ عَلَى الْقُصُورِ ،
سَكَنَتْهَا حِسَانُ مَعَانِيهِ الَّتِي هُنَّ لَهُ طَائِعَاتٌ ، وَعَلَى غَيْرِهِ أَبْيَاتٌ ؛ فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ
لَهَا وَاسْتَوْقَفَ ، فَأَثْنَى الْجَمْعُ عَلَيْهَا وَثَنُوا إِلَيْهَا الْأَعْنَةَ ، وَبَكَى وَاسْتَبَكَى ،
فَاسْتَخْرَجَ لَهَا خَبَايَا الدُّمُوعِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ مَطِيَّةً إِلَى تِلْكَ الْمَطْنَةِ ، وَذَكَرَ الْحَبِيبَ

(١) « بها » ساقطة من أ . وفي م : وتنبعث بالدموع . . .

(٢) في ب : وما أراني × . . . ! . وفي م : × . . . مشتاق .

وهو مَوْلَانَا ، [٧٢ب] والمَنْزِلُ وهو دِمَشْقُ ، فَقِيلَ : مَعْدُورٌ مَنْ ذَكَرَ رِضْوَانَ
وَالْجَنَّةَ : [من الطويل]

وَمَنْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ وَالذَّارَ وَالْهَوَى يَحِثُّ لَهُ أَنْ تَعْدِرُوهُ وَتَرْحَمُوا^(١)
وعلى ذِكْرِ دِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ ، فَحَيَّا اللَّهَ وَجْهَهَا الَّذِي يُسْفِرُ عَنْ طَلْعَةِ
الْقَمَرِ ، وَرَعَى اللَّهَ عَهْدَهَا الَّتِي مَا تَرَكَتْ بَعْدَهَا لِلْغَرِيبِ مِنْ وَطَنٍ وَلَا وَطَرٍ ؛
وَحَفِظَ اللَّهَ تُرْبَتَهَا الَّتِي تُطَاوِلُ الزُّهْرَ فِي الْأَفْقِ بِمَا تُنْبِتُهُ فِي الرُّوضِ مِنَ الزَّهْرِ ،
وَسَقَى اللَّهَ رُبُوعَهَا صَوْبَ السَّحَابِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ دُمُوعِ النَّازِحِ عَنْهَا لَا تَحْتَاجُ
إِلَى سُقْيَا الْمَطَرِ^(٢) : [من الطويل]

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَمِي عَلَى الْبِلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَزَعَائِكَ الْقَطْرِ
وَيَعُودُ الْمَمْلُوكُ إِلَى ذِكْرِ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ؛ فَيَا اللَّهَ مِنْ فُضَائِلِ مَوْلَانَا ، كَمْ
لَهَا مِنْ مُعْجَزٍ فِي الْبَيَانِ ، وَتَرْكِبٍ أَلْفَاظٍ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا كَالْبَنَانِ ، أَوْ كَمَا جَاءَ
كَالْبُنْيَانِ ، وَسِخْرِ مَعَانٍ هُوَ بِمُفْرَدِهِ عَلَيْهَا مُعَانٌ ، فَحَقِيقٌ بِأَنْ تَكُونَ مُشْرِفَاتُ
مَوْلَانَا لِبُدُورِ الْأَدَبِ تَمَامًا ، وَلِبَنِيهِ تَمَائِمٌ ، وَتُضْبِحُ طُرُوسُهُ رِيَاضًا ، لِأَنَّ
السُّطُورَ جَدَاوِلَ وَالْأَلْفَاتِ غُصُونٌ وَالْهَمْزَاتِ حَمَائِمٌ^(٣) : [من الخفيف]

أَيْنَ زَهْرُ الرِّيَاضِ وَهُوَ إِذَا مَا طَالَ عَهْدًا بِالْغَيْثِ عَادَ هَشِيمًا
مِنْ قَوَافٍ كَأَنَّمَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ رُسْنَاهَا زَانَ الظَّلَامِ الْبَهِيمَا^(٤)
وَاللَّهُ يُنْتَعَبُ بِقَوَائِدِ مَوْلَانَا الْجَمَّةِ ، وَيُقَرَّرُ الْعُيُونُ مِنْ كُتُبِهِ بَيَاضُهَا وَسَوَادُهَا ،
فَمَا كُلُّ بَيَاضٍ شَحْمَةٌ ، وَلَا كُلُّ سَوَادٍ فَحْمَةٌ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) فِي ب : × . . . أَنْ يَعْدِرُوهُ وَيَرْحَمُ . وَفِي م : وَمَنْ ذَكَرَ . . . × .

(٢) الْبَيْتُ الَّذِي الرُّؤْمَةُ ، وَقَدْ مَضَى .

(٣) الْبَيْتَانِ بِلَا نِسْبَةٍ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧٨/١ .

(٤) فِي م : . . . كَأَنَّمَا . . . × .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابُ أَيْضًا ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ^(١) : [من الخفيف]

سَارَ دَمْعِي مِنِّي إِلَيْكَ رَسُولَا
وَفُؤَادِي اسْتَقَرَّ إِذْ أَنْتَ فِيهِ
وَنَسِيمُ الصَّبَا تَحَمَّلَ مِنْ وَضْ
فَاسْتَمِعْ مَا يُمْلِي النَّسِيمُ بِعِلْمٍ
تَرَكَ الْقَلْبَ فِي الْأَضَالِعِ يَظْمًا
وَقَمِصُ الْكَرَى مُزَقٌّ فَإِنْ زَا
حَبَّذَا قُرْبُكَ الَّذِي كَانَ أُنْدَى
وَلِيَالِ كَمْ غَاوَلَ الطَّرْفُ مِنْ أُنْدٍ
وَمُدَامٍ كَأَنَّمَا لَوْنُ دَمْعِي
كَأَسْهَاءَ فِي الدُّجَى تَبَدَّى شِهَابًا
فَتَهَدَّيْتُ لِلشُّرُورِ بِرُؤْيَا
كَمْ رَكِبْنَا لَهَا سَوَابِقَ لَهْوٍ
قَرَّبَ اللَّهُ عَهْدَهَا مِنْ لِيَالٍ
أَتَلَطَّيْتُ جَوَى وَفَرَطَ حَنِينٍ
وَإِذَا مَا اخْتَرَقْتُ شَوْقًا فَقَوْلِي
يَا صَلاَحَ الدِّينِ الَّذِي فَسَدَ الْعَيْنُ
قَدْ أَتَنَسَّى أَيْبَاتُكَ الْغُرَّ تَخْكِي
أَوْ نَبَاتُ الرُّبَا يُصَافِحُهُ الْقَطْ
فَتَذَكَّرْتُ مِنْكَ جُودًا عَمِيمًا
حِينَ أَخْلَيْتَ رُبْعَهُ الْمَاهُولَا
يَتَرَاءَاكَ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
فَبِاشْتِيَاقِي فِيهِ حَدِيثًا طَوِيلَا
عَنْ غَرَامِي إِذْ كَانَ مِثْلِي عَلِيلَا
فَيُسْقِيهِ الْاِشْتِيَاقُ غَلِيلَا
رَخِيَالًا وَصَلَّتُهُ تَوْصِيلَا
فِي فُؤَادِي مِنَ النَّسِيمِ بَلِيلَا
سِيكَ فِي جُنْحِهِنَّ وَجْهًا جَمِيلَا
عِنْدَمَا أَزْمَعَ الْحَبِيبُ رَحِيلَا
وَكَسَا الْمَرْجُ رَأْسَهَا إِكْلِيلَا
هُ وَإِنْ كَانَ لِلْهُدَى تَضْلِيلَا
كَانَ جَزْسُ الْغِنَاءِ فِيهَا صَهِيلَا
لَمْ أَكُنْ لَافْتِرَابِهِنَّ مَلُولَا
إِنْ تَذَكَّرْتُ ظِلَّهِنَّ الظَّلِيلَا
لَيْتَ لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلَا^(٢)
شُ لَنَا مُذْ نَأَى وَسَاءَ مَقِيلَا
نَسَمَاتِ الصَّبَا تَجُرُّ ذُيُولَا
[٧٣] رُفَيْغَدُو (رَطَبَ الْحَيَا مَصْقُولَا
وَمُحَيَّا طَلْقًا وَفَضْلًا فَضِيلَا

(١) الْقَصِيدَةُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

(٢) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٨] .

وَرَأَيْتُ السُّطُورَ تَخْكِي لِيَالِي أَلْ (قُرب) حُسْنًا وَرِقَةً لَا تُطْلُو^(١)
حَبْذَا عَهْدُهُنَّ وَالْعَيْشُ فِيهِ إِذَا أَنَا مَالِكٌ إِلَيْهِ الْوُصُولَا
كُنْتُ أَجْنِي ثِمَارَ أَنْسِكَ فِيْهِنَّ مَنْ قَبْدَلْتُ بِالنَّوَى تَبْدِيلَا
وَيُنْهِي بَعْدَمَا غَرَّتْهُ بِتَحْيَلِ الْقُزْبِ أَفْكَارُهُ ، وَأَغْرَتْهُ مِنْ حُلِّ^(٢) الْمَدَامِيعِ رُسُلُ
النَّوَى وَقَدْ كَرَّ شِعَارُهُ ، وَأَخْرَقَتْ الطَّرْفَ نَارَ الشُّوقِ إِلَى خَلِيلِهِ وَخَلِيلٍ جَارُهُ ؛
وَرُودَ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي حَلَّ فِي الْقَلْبِ مَهَابَةٌ كَانَتْ وَحُسْنُهَا كَرِيمٌ ، وَقُوبَلَ
فِي الْحَالَتَيْنِ بِغَايَةِ الْإِجْلَالِ وَالتَّكْرِيمِ ، فَتَقَلَّدَ الْمَمْلُوكُ مِنْ طَرْسِهِ عُقُودًا ،
خُرُوفُهَا دُرُرُهَا ، وَهَضَرَ مِنْ سَطُورِهِ غُصُونًا مَعَانِيَهُ زَهْرُهَا ، وَتَخَيَّلَ تِلْكَ الْأَبْيَاتِ
سِرْبَ ظِبَاءٍ ، بِدَلِيلٍ أَنَّ مِيمَاتِ الْقَافِيَةِ سُرُرُهَا ، فَيَا اللَّهُ مَا أَلْهَجَ أَلْسِنَةُ الْحَمْدِ
بَوْضْفِهِ ، وَأَلْهَى نَوَاطِرَ الْإِسْتِحْسَانِ بِمَحَاسِنِهِ الَّتِي كَانَتْ يَدُ الْكَرِيمَةِ تَنَاوَلَتْ
طَرْسَهُ مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَمَدَتْ إِلَى خَصْفِهِ ، وَأَهْلًا بِهِ سَابِقًا فِي الْفَضْلِ لَا يُبَارِيهِ
إِلَّا ظِلُّهُ ، وَسَهْمًا قُرْطُسَ فِي مَقْتَلِ الْحَوَادِثِ نَضْلُهُ ، لَقَدْ تَسَلَّسَلَ ذَلِكَ مَاءً ،
فَأَوْرَدَ فِكْرُهُ مِنْ مَعِينِهِ ، وَنَصَبَ ذَلِكَ الطَّرْسَ رَايَةً مَجْدٍ ، فَأَخَّرَ عَنْهَا عَرَابَةً
وَتَلَقَّاهَا بِمِمينِهِ^(٣) .

● ^(٤) وَقَفَّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تَعَالِيْقِي بِالذِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَفِيهَا
حَلٌ مَنْظُومٌ اقْتَرَحَ عَلَيَّ عَمَلُهُ ، فَكُتِبَ إِلَيَّ :

وَيُنْهِي أَنَّهُ وَقَفَ فِي الْمَجْمُوعِ الْمُبَارَكِ عَلَى بَيْتِي الْبُحْتَرِيِّ ، وَسَرَّحَ نَظْرَهُ
فِيمَا سَمَحَتْ بِهِ الْقَرِيحَةُ الْمُرِيحَةُ مِنْ حَلِّهَا ، فَقَبَّلَ أَنْارَ الْيَدِ الَّتِي هِيَ لِلْقَبْلِ قِيْلَةُ ،

(١) مَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ مِنْ ب ، س .

(٢) فِي م : فِي حُلِّ . . .

(٣) مِنْ قَوْلِ الشُّمَّاحِ : [دِيْوَانُهُ ٣٣٦]

إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةً بِالْيَمِينِ

(٤) بِدَايَةِ سَقَطٍ فِي ب .

وَلِلْأَمَلِ إِلَى إِذْرَاكِ النَّجَاحِ سُبُلَةً ، وَلِلنَّفْسِ مَذَاقَ الْأَمَانِيِّ نُجْحٌ ، وَلِللَّيْلِ
النَّفْسِ بِإِشْرَاقِ الْمَعَانِي صُبْحٌ ، وَلِدُرِّ الْكَرَمِ وَبَحْرِ الْكَلِمِ سِلْكٌ وَمَسْلَكٌ ،
وَلِدَقِيقِ الْمَعَانِي أَمْلَى ، وَلِرَقِيقِ الْأَلْفَاظِ أَمْلَكٌ ؛ فَلَوْ رَأَتْ السَّمَاءُ حُسْنَ كِتَابَتِهَا
لَمَا رَفَعَتْ بِالْجُوزَاءِ رَأْسًا ، وَلَوْ عَلِمَتْ كَفُّ الثُّرَيَّا أَنَّ عَدَدَ أَنَامِلِهَا خَمْسٌ لَكَانَتْ
كَوَاكِبُهَا خَمْسًا ، وَلَوْ وَصَلَ إِلَيْهَا فَمُ الْفَرْقَدِ لَقَبَّلَهَا ، وَلَوْ رَأَى اللَّيْلُ سَوَادَ نَفْسِهَا
لَاِسْتَخْفَى فِي تِلْكَ الذَّوَابِ الَّتِي أَسْبَلَهَا ، إِذْ هِيَ الْيَدُ الَّتِي تُشِيرُ بِبَاعِهَا إِلَى
الْمُشْتَرِي فَيَعِشِي مِنَ السَّنَا ، وَيَمْتَدُّ نَوْءُ ذِرَاعِهَا إِلَى أَرْضِ الطَّرْسِ فَيُنْبِتُ بِهَا مِنْ
أَزْهَارِ الْمَعَانِي نَبَاتًا حَسَنًا .

فَنَظَرَ الْمَمْلُوكُ إِلَى تِلْكَ الْأَبْيَاتِ وَهِيَ بِأَثَارِهِ مُحَلَّاةٌ الْمَحَلُّ ، مُقَوَّاةٌ الدَّعَائِمُ
بِمَا اقْتَضَاهُ رَأْيُهُ الْكَرِيمُ فِيهَا مِنَ الْحَلِّ ، قَدْ انْتَبَهَ خَامِلُهَا ، وَتَحَلَّى عَاطِلُهَا ،
وَاشْتَبَهَ بِالْحَقِّ مِنْ كَلَامِ مَوْلَانَا بِاطِلُهَا ، وَلَحَظَتْهَا بِلَاغَةُ مَوْلَانَا وَكَانَ السَّعْدُ إِلَى
حَظِّهَا أَسْرَعَ مِنْ صَدَى صَوْتِ ، وَحَفِظَتْ عَلَيْهَا رَوْنَقَ الْحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ الدَّهْرُ
قَدْ أَطْلَعَ عَلَيْهَا صُورَةَ الْمَوْتِ ، وَجَعَلَ لِمَا فِيهَا مِنْ كَلَامِ الْأَوَّلِينَ ذِكْرًا فِي
الْآخِرِينَ ، وَأَتَاهَا مِنَ الْإِسْعَادِ بِمَا لَوْ بَشَّرَهَا بِهِ بَشَرٌ لَقَالَتْ : إِنَّكَ لِمَنْ
السَّاحِرِينَ ؛ فَلَوْ عَلِمَ أَبُو عُبَادَةَ بِذَلِكَ لَمَا هَوَّمَ عَلَى عَيْنِهِ ، وَكَبَّلَعَ قَدْرَهُ أَنْ يُخْرِجَ
[٧٣ ب] لَيْثَ الْغَابِ مِنْ خَيْسِهِ ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ يَفْرَحُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِيمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنْ
طَيْفِ الْخِيَالِ لَيْلُهُ الْمُظْلِمُ .

وَلَقَدْ طَرَقَ مَوْلَانَا فِي مَعَانِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَا لَا طَرَقَهُ مُسْلِمٌ ، وَلَوْ عَلِمَ مُسْلِمٌ
بِذَلِكَ لَتَنَاوَلَ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ قُطُوفًا عَذْبَةً الْمَجَانِي ، وَلَتَلَقَّبَ صَرِيحَ هَذِهِ
الْمَعَانِي لَا صَرِيحَ تِلْكَ الْعَوَانِي .

فَمَنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي اعْتِدَارِيَّةٍ ؛ بِكَلَامٍ أَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى مَنْ كَانَتْ الْمَعْلُومَةُ
إِلَيْهِ ، وَأَوْضَحَ الْمَحْجَّةَ لِمَنْ سَيَجِيءُ فِيمَا بَعْدَ عَلَيْهِ ، وَسَحَّرَ الْأَفَافَ خَيْلَ لِلْعَايِبِ

أنَّه هو الجاني ، وَحَصَّهُ عَلَى طَلَبِ الْمَعْدِرَةِ لَوْلَا خَوْفُهُ مِنَ الذَّنْبِ الثَّانِي ، وَدَافَعَ الْحَقَّ بِبَاطِلِهِ ، وَجَعَلَ الدِّينَ عَلَى صَاحِبِهِ كَمَا يُقَالُ لِمَاطِلِهِ : [من الكامل]

فَاللَّفْظُ بَخْرٌ أَنْتَ مَالِكُ طُرْقِهِ وَالنُّطْقُ بَحْثٌ أَنْتَ وَجْهٌ دَلِيلِهِ
لَمْ لَا يُسَاعِدُكَ الْمَقَالُ أَيْضَظْفِي مِنْ أَهْلِ هَذَا الْفَنِّ غَيْرَ خَلِيلِهِ

ومن ذلك ما هو في ذِكْرِ لَهْوَتِهِ ؛ قد حَمَدَتْ مَسْرَاهُ الْمَسَرَّاتُ فِيهَا مِنْ يَدِهِ صُبْحَهَا ، وَاعْتَنَقَتْ فِيهَا قُدُودُ الْأَلَامَاتِ وَالْأَلِفَاتِ الَّتِي قَدْ قَرَّرَ أَنْسُهُ صَلَاحَهَا ، وَزَاخَمَ طَرَبُ أَلْفَاظِهِ فِيهَا صَوْتُ الْعِيدَانِ بِالْمَنَاكِيبِ ، وَخَيَّلَتْ أَزْهَارُ كِتَابَتِهِ فِي أَنْهَارِ طُرْسِهَا مَا يَلُوحُ فِي الْمَاءِ مِنْ حَلِيِّ الْكَوَائِبِ ؛ وَبَرَزَتْ فِيهَا أَلْفَاظُهُ مِنْ حُلَلِ الْمَعَانِي فِي أَنْمَقِ نَمَظٍ ، وَجَلَّتْ حَدَائِقُ كِتَابَتِهِ عَرُوساً نَقَطَتْهَا الْأَخْدَاقُ بِحَبَابَتِهَا لَا عَلَى سَبِيلِ الْغَلَطِ ؛ وَسِحْرُ بَيَانِهَا فِي سَوَادِ النَّفْسِ صِبْغَةُ السَّحْرِ ، وَأَجْرَى بَنَانُهُ لَوْنُ النَّهَارِ مِنَ الطُّرْسِ فِي نَهَرٍ ، وَلاَحَتْ تِلْكَ الْأَبْيَاتُ كَالْقُصُورِ الْآهَلَةِ بِالشُّرُورِ ، فَتَقَلَّعَتْ أَبْكَارُ مَعَانِيهِ مِنْ شُرَفَاتِهَا ، وَنَاحَتْ تِلْكَ الْهَمْزَاتُ إِذْ أَشْبَهَتْهَا فِي تَغْرِيدِهَا حَمَائِمُ الدَّوْحِ عَلَى أَغْصَانِ أَلِفَاتِهَا : [من الوافر]

وَخَافَتْ نَارَ فِطْنَتِهِ الْمَعَانِي فَقَالَ لَهَا وَقَدْ أَمِنَ الْكَلَامُ
ثِقِي بِالْأَمْنِ فِيهِ فَذَا خَلِيلٌ يُرَى فِي نَارِ فِطْنَتِهِ سَلَامٌ

وَمِنْ حَزْبِيَّةٍ أَقَامَتْ الْحَزْبَ عَلَى سَاقٍ ، وَأَدَارَتْ الرَّدَى عَلَى الْعِدَى ، وَلَهَا مِنَ الْمَحَابِرِ كَوَامِنٌ^(١) وَمِنَ الْقَلَمِ سَاقٍ ؛ لَوْ تَجَرَّدَتْ كَتَائِبُ كُتُبِهَا ، مُنِيَّ الْأَعْدَاءِ مِنْهَا بِمَعَانٍ هِيَ حَقِيقَةُ الْمَوْتِ ، وَلَوْ تَمَرَّدَتْ الْقَوَاضِبُ ، أَرْسَلَتْ عَلَى الْقَوْرِ صَوَارِمَ مِنَ الطُّرُوسِ لَا تَخَافُ الْفَوْتَ ، وَلَوْ أَفْسَدَ الزَّمَانُ حَالاً ، أَعَادَ صَلَاحُهَا مَا أَفْسَدَ ، وَلَوْ اسْتَأْسَدَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَغُلٌّ ، بَرَزَتْ مِنْ سَوَادِ نَفْسِهَا وَبَيَاضِ

(١) فِي س : كَوْوس . وَفِي م : أَكْوَس .

طُرْسِهَا فِي صُورَةٍ فَهَذِهِ لَافْتِرَاسٍ مَا اسْتَأْسَدَ ، وَمِنْ وَمِنْ وَمِنْ ، وَبِلَاغَةٍ مَوْلَانَا^(١) ^(٢) يُشِيرُ إِلَيْهَا الْبَلِغُ إِشَارَةً فَتَيَّ بِالْعَجْزِ عَنِ الْوَصْفِ قِمْنٌ^(٢) : [من

الخنيف]

فَهِيَ فِي كُلِّ حَالَةٍ تَبَدَّى بِمَعَانٍ تَرُوقُ مَبْنَى وَمَبْدَا
فَعَلَتْ بِالْعُقُولِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْدُ رُ وَشَدَّتْ إِلَى الْمَسَرَّاتِ شَدَا
عَزَفُهَا كَالْعَبِيرِ وَالرَّوْضِ لَكِنْ هِيَ مِنْ ذَا وَذَلِكَ أَنْمَى وَأَنْدَى
بَرَزَتْ مِنْ حُرُوفِهَا فِي صُفُوفٍ بَصُوفٍ مِنَ الْمَحَاسِنِ تُفْدَى
أَلِفَاتٌ بِهَمْزِهَا تُخْجِلُ الْبِنْدَ دَ يَقِيناً وَتُخْجِلُ الْخُودَ قَدَا
وَعُيُونُ تَنْسِي اللَّحَاطَ صَحِيحَا تِ لَهَا فِي رَوْضِ الْكِتَابَةِ أَنْدَا
يَا كَرِيمَا بِدُرٍّ لَفْظٍ ثَمِينِ هُوَ أَجْلَى فِي كُلِّ عَيْنٍ وَأَجْدَى
[١٧٤] فُقُ عَلَى الْبَخْرِ فِي عَطَائِكَ وَأَفْخَرُ فَهُوَ أَغْطَى دُرّاً قَلِيلاً وَأَكْثَى
قَدْ حَلَلَتْ الْأَشْعَارَ بِالنَّثْرِ حَلّاً فِي اسْتِلابِ الْعُقُولِ جَاوَزَ حَدّاً
وَكَسَتْهَا أَلْفَاظُكَ الْغُرُثُ ثَوْباً قَدْ حَبَاهَا عِزّاً وَأَوْرَثَ مَجْدَا
وَقَزَتْ وَفَدَ كُلُّ سَعْدٍ عَلَيْهَا فَتَلَقَّتْ وَفَرّاً عَمِيماً وَوَفْدَا
حَفِظَ اللَّهُ لِلْفَضَائِلِ ذَهْنَا مِنْكَ لَمْ يُبْقِ فِي الْإِجَادَةِ جُهْدَا
عَجِزَتْ عَنْهُ كُلُّ هِمَّةٍ ذَهْنِ وَتَصَدَّى كَرُونَقِ السَّيْفِ فَرْدَا

لَقَدْ^(٣) بَلَّغَتْ أَلْفَاظُ الْمَسَرَّاتِ إِلَى الْقُلُوبِ ، فَأَحْسَنَتْ الْبَلَاغَ ، وَبَالِغَ قَلَمُهُ فِي صَوْنِ السُّطُورِ بِالْكَلِمِ الْمُنْسَجِمِ ، فَوَرَدَ طَرَفُ الْمَمْلُوكِ لِلْكَلِمِ مَا سَاعَ وَلِلْقَلَمِ مَا صَاغَ ؛ فَهَتَّا اللَّهُ يَدَهُ الْكَرِيمَةَ إِذْ رَقَّتْ إِلَى سَمَاءِ السَّمَاحَةِ ، وَاسْتَوَلَتْ بِحُسْنِ

(١) نِهَاجَةُ السَّقَطِ فِي ب . وَجَاءَ فِيهَا : وَكُنْتُ أَنَا إِلَيْهِ ارْتِجَالاً !! .

(٢) - (٢) مَا بَيْنَهُمَا مِنْ فَقَط .

(٣) بَدَايَةُ سَقَطِ النَّصِّ النَّثَرِيِّ فِي ب .

الكتابة على روضة النجوم المسامحة في المساحة ؛ فهي اليد التي كأنما ضربت السماء فوقها جسراً لعبور السحاب على أمواها ، وكأنما مسح أوجه دهم الليل ، فأثرت تلك الغرر من الصباح في جباهها^{(١)(٢)} : [من البسيط]

يد عهدتك للتفصيل تبسطها فتستقل الثريا أن تكون فما انتهى المملوك إلى هنا ، والنجم قد أغفى بغير نعاس ، والثريا قد سقط إلى الغرب ما كانت معلقة فيه من الأمراس ، والصبح قد قدح في أسارير الجنج شرراً ، والأفق قد أهدى من النهار كافوراً واسترد من الليل عنبراً ؛ والله تعالى يسكن بوجوده قطر عبرات الفضل الذي غلبه الدهر على السلب ، ويصون بجوده قطرات اللفظ التي إذا وضعها حامل قلمه ناذتها القرائح^(٣) : [من البسيط]

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب [كناية بهما عن أشرف النسب]
بمنه وكرمه^(٤) .

● فكتب أنا الجواب إليه :

أقسم بكلمات مولانا التي ما لها مثل على تكاثرها في العصر ، وبمعانيها التي تغردت بالجمال فلا جمع بينها وبين مخدرات القصر ، وبسطور ألفاظها التي هي أشبه شيء بالأغصان ذوات الهضر ، وبطلاوة تراكيبها التي تبث يدا مجاريها وفازت هي بالنص على النص ، وبانسجام عباراتها التي طارت حمامم همزاتها الساجعة وزمت غيرها بالحصر والحضر ؛ لقد جل مولانا في حلبة

(١) من قول ابن نباتة السعدي : [معاهد التنصيص ٧٢/٣ و ٢٠٥/٤]

وكانما لطم الصباح جبينه فاقصص منه فخاض في أحشائه

(٢) البيت لابن اللبابة الداني ، من قصيدة في وفيات الأعيان ٣٨/٥ .

(٣) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٨٦/١ .

(٤) من م .

الفضل ، إلا أن يكون قد جلى ، وسابق فحول هذه الصناعة حتى سلم كل له الفضل عندما صلى : [من البسيط]

أننى يجاريه فزسان الكلام ومن غباره في هواديهن ما نفصوا فابن زيدون عند بلاغته منسوب إلى النقص ، وصاحب « الأغاني » عند اطلاعه يهتز بالطرب والرقيص ، وابن بسام قطب من حسده وعبس ، والميداني كف عنانه عن مجاراته وحبس ، والقالبي رمي عند ألقاظه بالعبي والخرس ، وابن الأثير^(١) من حل نظميه أصبح في الحضيض ، وابن أبي الحديد^(٢) من فصاحته بعد قواه أصبح وهو مهيض ، وابن عميرة^(٣) أمست أبيات نظميه وهي خراب ، وأبو بحر^(٤) غدت قصائده إذا التمحها الظمان مثل السراب ؛ ولعمري إذا كان مولانا بهذه المثابة ، فقد نفخ من المملوك في غير صرم ، وطاف من أركان إنشائه بغير حرم : [من البسيط]

لطفت رأيك في بري وتكرمتي [٧٤ ب] إن الكريم على العليا مختال ولا بدع فيما أتيت ، فإنك من أهل بيت كل منهم كريم وكاتب ، وذو فضل يصبح المتعلق بهذا الفن وهو رايع في جوده الراتب : [من الطويل]

لِيَهْنِكُمْ يَا آلَ غَانِمٍ نَبْعَةٌ لَهَا فِي رِيَاضِ الْفَضْلِ بِالْمَجْدِ أُنْمَارُ

(١) هو نصر الله بن محمد بن محمد ، أبو الفتح ، الجزري الكاتب ؛ توفي سنة ٦٣٧ هـ . (مسالك الأبحار ٢٦٩/١٢) .

(٢) هما اثنان : عز الدين ، عبد الحميد بن هبة الله المدائني ، توفي سنة ٦٥٥ هـ . (مسالك الأبحار ٣١٨/١٢) .

وأخوه : موفق الدين ، القاسم بن هبة الله المدائني ، توفي سنة ٦٥٦ هـ . (مسالك الأبحار ٣٢٣/١٢) .

(٣) هو أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي ، صاحب كتاب « بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس » ، المتوفى سنة ٥٩٩ هـ . (مقدمة كتابه) .

(٤) أبو بحر ، صفوان بن إدريس بن إبراهيم التجيبي الأندلسي ، من أهل مرسية ، صاحب كتاب « زاد المسافر » ؛ توفي سنة ٥٩٨ هـ . (مقدمة كتابه) .

جَمَالٌ لِأَهْلِ الْعَصْرِ حَازَ مَنَاقِبًا تَرَوْهُ لَدَى الْأَسْمَاعِ مِنْهُمْ أَشْمَارُ
تَطُوفُ عَلَى الْأَسْمَاعِ كَاسَاتُ لَفْظِهِ فَيَخْضُلُ لِلْأَلْبَابِ مِنْهُمْ إِشْكَارُ
وَيَخْلُبُ عَقْلَ الْمَرْءِ سِحْرُ بَيَانِهِ وَمَا كُلُّ مَنْ عَانَى الْمَعَانِي سَحَاوُ
وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا سَمَاءٌ فَضَائِلُ مَحَاسِنُهُ فِيكُمْ شُمُوسٌ وَأَقْمَارُ
فَاللَّهُ يُنْمِغُ الْوُجُودَ بِفَضَائِلِهِ ، وَيَنْقُلُ إِلَى النَّسَمَاتِ السَّحَرِيَّةِ شَمَائِلَ لُطْفِهِ
وَلُطْفَ شَمَائِلِهِ ، وَيَجْبُرُ صَدْعَ الْأَدَبِ بِفَضَائِلِهِ الْبَاهِرَةِ ، وَيُحَلِّي عَظْلَ الْأَدَابِ
مِنْ خَطِّهِ وَخَطَابِهِ بِالْعُقُودِ الْفَاخِرَةِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ (١) .

● وَكَتَبَ إِلَيَّ وَقَدْ مَرَضَ فَلَمْ أَعُدْهُ (٢) : [من الكامل]

مَوْلَايَ كَيْفَ كَسَرْتَنِي فَهَجَرْتَنِي عِلْمًا بِأَنِّي كَيْفَ كُنْتُ رَاضِي
أَوْ قُلْتَ إِنِّي لَا أَعُودُ مُمَرَّضًا ظَنًّا بِأَنِّي لَا مَحَالَةَ مَاضِي

● فَكَتَبْتُ الْجَوَابَ إِلَيْهِ (٣) : [من الكامل]

أَرْسَلْتَهَا مِثْلَ السَّهَامِ مَوَاضِي نَفَذْتُ مِنَ الْأَعْرَاضِ فِي أَغْرَاضِي
فَأَنْتَ وَعَتْبُكَ قَدْ تَخَلَّلَ لَفْظُهَا مِثْلَ الْأَفَاعِي بَيْنَ زَهْرِ رِيَاضِي
دَعْنِي مِنَ الْجَبَرُوتِ أَوْ مِنْ أَهْلِهِ لَا تَجْعَلَنَّ سَوَادَهُمْ كِبْيَاضِي
حَاشَاكَ أَنْ تَمْضِي وَسَعْدُكَ قَدْ غَدَا مُسْتَقْبَلًا فِينَا وَأَمْرُكَ مَاضِي (٤)

٤٦ * عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ (٥) :

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَاضِلُ ، الْفَقِيهُ ، الْأَدِيبُ ، تَقِيُّ الدِّينِ الْحَنْبَلِيُّ .

(١) نهاية السقط في ب .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي .

(٣) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٤) سقط البيت من ب .

(٥) ترجمته في : الدرر الكامنة ٢/ ٢٧٠ .

- ولادته سنة ٦٨١ هـ . ووفاته سنة ٧٥٧ هـ .

- سقطت هذه الترجمة بكاملها من س .

● كَتَبَ إِلَيَّ وَقَدْ عَمِلَ نُسخَةَ صَدَاقِي ، فَعَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ ،
فَبَعَثَ بِالنُّسخَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَمَعَهَا : [من البسيط]

مَاذَا يُجَاوِبُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ وَأَهْلُ مَعْرِفَةِ الْأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ
وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَقْطَارِ قَاطِبَةً شَدُّ الرَّحَالِ لِنَيْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
وَمَنْ بِهِمْ يُقْتَدَى فِي عَصْرِنَا وَهُمْ أَثَمَةُ الْوَقْتِ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ
كُفَيْتُمْ شَرًّا ذِي جَهْلٍ وَذِي حَسَدٍ وَلَا يُلَيِّنُكُمْ بِأَفَّاكٍ وَذِي كَذِبِ
هَلْ هَذِهِ خُطْبَةٌ مِمَّنْ حَوَى أَدَبًا أَوْ الَّذِي قَدْ دَرَى مَا خُطُّ فِي الْكُتُبِ
أَوْ جَاهِلٍ مَا لَهُ عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ أَوْ الَّذِي لَيْسَ يَذَرِي نَزْرَ مُكْتَتِبِ
أَوْ هَلْ يَمُرُّونَ بِهَا عَيْنًا يُدْنِسُهَا أَوْ رِكَتَةً أَوْ بِهَا نَوْعٌ مِنَ الْحُطْبِ
وَهَلْ إِذَا اتَّحَدَّثَ أَشْجَاعُهَا فَتَرَى بِحُطْبِهَا ، أَوْ بِهِ تَعْلُو عَلَى الْقُطْبِ (١)
أَوْ هَلْ بِهَا مِنْ مَعَانٍ لَا تَلِيْقُ بِهَا فِي مِثْلِهَا فَاكْشِفُوا عَنْ وَجْهِ مُخْتَجِبِ
بِمَا تُجَيِّسُونَهُ فِيهَا فَقَدْ كَثُرَتْ فِيهَا الْأَقَاوِيلُ مِنْ قَوْمٍ بِذَا السَّبَبِ
بَغَضٌ يَقُولُ : بِهَا عَيْبٌ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : كَلَّا وَقَدْ صِيغَتْ مِنَ الذَّهَبِ
فَبَيَّنُّوا لَا عَدِمْنَا فَضْلَكُمْ أَبَدًا وَلَا بَرَحْتُمْ لَنَا فِي سَائِرِ الثُّوبِ
هَلْ الَّذِي عَابَهَا حَقٌّ مَقَالَتُهُ أَوْ جَاهِلٌ بِقُنُونِ النَّظْمِ وَالْخُطْبِ
أَوْ الَّذِي قَالَ إِنَّ الدُّرَّ صِيغَتْهَا يَكُونُ مِمَّنْ سَرَى فِي مَنَهِجِ الْأَدَبِ
فَإِنْ يَكُنْ قَدْ أَجَادَ اللَّفْظَ قَائِلُهَا لَهُ أَجِيزُوا تَنَالُوا أَعْظَمَ الْقُرْبِ
نَظْمًا يَكُونُ جَوَابِي يَا أَثَمَتْنَا يَشْفِي الصُّدُورَ وَيَجْلُو هَمَّ مُكْتَتِبِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ارْتِجَالًا : [من البسيط]

[١٧٥] سَأَلْتُ يَا فَارِسَ الْهَنْجَاءِ فِي الْأَدَبِ عَمَّا أَتَيْتَ بِهِ مِنْ أَحْسَنِ الْخُطَبِ

(١) ورد هذا البيت في ب آخر القصيدة استدراكاً .

هَلْ فِي مَحَاسِنِهَا عَيْبٌ لِمُنْتَقِدٍ
وَهَلْ إِذَا كَانَ مِنْهَا السَّجْعُ مُتَّحِداً
فَحَاشَ لِلَّهِ مَا فِيهَا سِوَى دُرٍّ
وَنَثْرُهَا رَائِقٌ مَا عِنْدَهُ كَدَرٌ
وَكُونُهُ جَاءَ فِي حَرْفٍ يَدُلُّ عَلَى
تَغْدُو بِهَا اللَّامُ عَمَّنْ لَمْ فِي جَنِّ
يَفْتَرُّ مَبْسُومُهَا فِي الْقَوْلِ عَنْ دُرٍّ
وَقَدْ غَدَّتْ فِي رِيَاضِ الْحُسْنِ وَجَنَّتْهَا
وَبَيْنَهَا عِنْدَ مَنْ يَذْرِي مَحَاسِنَهَا
مَضْمُونَةٌ كِغْرَارِ السَّيْفِ أَزْهَفُهُ
فَلَيْسَ تَحْتَاجُ ذَا خَطٍّ يُؤَيِّدُهَا
قَدْ كِدْتُ أَنْشِدُهَا لَمَّا خَلَوْتُ بِهَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضاً قَبْلَ وُصُولِ جَوَابِي هَذَا إِلَيْهِ : [من البسيط]

مَنْ رَامَ رَبْعَكَ مَا خَابَتْ مَقَاصِدُهُ
يَا مَنْ غَدَا وَهُوَ فَرْدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ
حُزْتُ الْبَلَاغَةَ لَوْ قُسُّ بِنُ سَاعِدَةٍ
قَدْ شَاعَ فَضْلُكَ فِي الْأَقْطَارِ قَاطِبَةً
يَا مَنْ غَدَا فِي مَرَاقِي الْمَجْدِ مُرْتَقِيَا
وَمَنْ حَيَاضُكَ قَدْ طَابَتْ مَوَارِدُهُ
وَرَاحَ وَهُوَ بِهَذَا الْعَصْرِ وَاحِدُهُ
يَسْرُومُ مَا نَلْتَهُ مَا طَالَ سَاعِدُهُ
يَا مَنْ غَدَا وَهُوَ فِي ذَا الْعَصْرِ مَاجِدُهُ
وَرَاحَ بِالذَّلِّ وَالتَّبَرُّيحِ حَاسِدُهُ

(١) العجز مضمّن من قول أبي تمام : [ديوانه ٤٥/١]

فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللُّعْبِ

(٢) العجز مضمّن من قول المتنبي : [ديوانه ٨٦/١]

كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

إِنِّي سَأَلْتُكَ يَا ذَا الْفَضْلِ مَسْأَلَةً
سَأَلْتُ عَنْ خُطْبَةٍ قَدْ بَثَّ مُفْتَرِحاً
قَدْ أَصْبَحَ الْعَبْدُ مِنْ طُولِ الْمَدَى قَلِقاً
فَإِنْ أَجَبْتَ فَفَضَّلْ مِنْكَ يَغْمُرُنِي
وَأَنْتَ عَارِفُ الْإِحْسَانِ حَامِدُهُ
طَالَ الْمِطَالُ وَلَمْ تَظْهَرْ شَوَاهِدُهُ
وَمَنْ يُعَادِيكَ لَمْ تَنْجَحْ مَقَاصِدُهُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ازْتِجَالاً : [من البسيط]

يَا فَارِساً كُلَّ عَنْهُ مَنْ يُطَارِدُهُ
أَبْدَعْتَ فِي النَّظْمِ مِنْ بَعْدِ الْخُمُولِ لَهُ
أَقْصِرْ فَقَدْ صَحَّ لِي أَنَّ الْبَدِيعَ غَدَا
نَظْمُ بَدِيعٍ خَلَا مِنْ رِكَوَةٍ وَغَدَا
يَظُلُّ يَخْلُبُ لُبَّ السَّامِعِينَ لَهُ
مِنْ أَجْلِ ذَا وَجَبَتْ لِلْفَضْلِ مِنْكَ عَلَى
أَمَّا الْجَوَابُ فَلِإِنِّي لَمْ أُحِلَّ بِهِ
وَجَهَّزْتُهُ عَلَى جَهْلِي قَرِيحَتِي أَلْ
لَأَنَّ أَمْرِي بَادٍ فِي الْوَرَى فَلِذَا
فَإِنْ تُسَامِخْ فَبِالْحُسْنَى وَإِنْ تُرِدْ أَلْ
وَاسْلَمْ لِفَنٍّ مَصَّتْ فِي النَّاسِ بَهْجَتُهُ

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ بَعْدَ مَا وَصَلَ الْجَوَابُ الْأَوَّلُ إِلَيْهِ : [من البسيط]

[٧٥ب] أَجَبْتَ يَا خَبَرَ عِلْمِ عَالِي الرُّتَبِ جَوَابَ خَبَرِ عَلِيمٍ جَدٍّ فِي الطَّلَبِ (١)

(١) فِي ب ، م : . . . يَا بَحْرَ عِلْمٍ . . .

حُزَّتِ الْبَدِيعَ وَحُسْنَ الْخَطِّ مَعَ كَرَمِ
أَحْيَيْتَ قَلْبَ عَلِيمٍ شَفَّهَ سَقَمَ
شَفَّيْتَ غُلَّتَهُ ، أَبْرَأْتَ عِلَّتَهُ
إِذَا تَأَمَّلَ رَائِيهِ لِنَاطِرِهِ
كَأَنَّمَا اللَّفْظُ دُرٌّ رَاحَ مُنْتَظَمًا
كَأَنَّهُ الثُّورُ فِي رَوْضٍ سَرَتْ سَحْرًا
وَبَاكَرَتْهُ الصَّبَا فِي ذَيْلِهَا أَرْجُ
أَزْهَى مِنَ الرَّوْضِ مَرَاهُ وَمَنْظَرُهُ
لَقَدْ عَدَا عَبْدُكُمْ بِالْعِزِّ مُشْتَمِلًا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ ، أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ : [من الكامل]

زَمَنْ تَقَضَّى بِالْحِمَى وَرُبُوعِهِ
يَا رَاحِلِينَ عَنِ الْمُحِبِّ نَزَلْتُمْ
هَلْ عَوْدَةٌ بِالْوَصْلِ تَشْفِي سَقَمَ مَنْ
حَسْبِي مِنَ الْهَجْرَانِ يَا مَنْ حُسْنُهُ
شَرَّدَتْ عَنْ قَلْبِي الْكَثِيبَ قَرَارَهُ
جُدَّ بِالْوَصَالِ لِمُسْتَهَامٍ وَإِلَيْهِ
وَارْحَمْ كَسِيرَ الْقَلْبِ وَاعْنَمْ أَجْرَهُ
هَذَا قَدْ أَنَاكَ بِذَلِكَ وَتَخَضَّعَ

فَشَاعَ فَضْلُكَ بَيْنَ الْعُجَمِ وَالْعَرَبِ
أَطْفَأْتَ نَارَ الَّذِي أَشْفَى عَلَى عَطَبٍ (١)
كَثُرَتْ قَلَّتُهُ يَا وَاحِدَ الْأَدَبِ
وَمَا حَوَى مِنْ مَعَانٍ تَاهَ مِنْ طَرَبٍ (٢)
بِحُسْنِ خَطِّ إِلَى يَاقُوتٍ مُتَسَبِّبٍ
عَلَيْهِ سَارِبَةٌ تَنْهَلُ فِي صَبَبٍ
فَفَتَحَتْهُ فَأَضْحَى غَايَةَ الْعَجَبِ
وَذَوْقُهُ قَدْ عَدَا أَخْلَى مِنَ الضَّرْبِ
وَرَاخَ حَاسِدُهُ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ (٣)

أَوْ مَا تَخَافُ اللَّهَ فِي صَبِّ غَدَتْ
هَا قَدْ شَكُوتُ إِلَيْكَ إِنْ لَمْ تُشْكِنِي
فَلَيْشُكُونَ الْعَبْدُ مَا قَدْ مَسَّهُ
بَحْرِ الْعُلُومِ وَخَبَرَهَا مَنْ صِينُهُ
أَغْنَى صِلَاحَ الدِّينِ سَيِّدَنَا الَّذِي
مِنْهُ يَتَابِعُ الْعُلُومُ تَفَجَّرَتْ
وَلَهُ الْيَدُ الطُّولَى وَكُلُّ مُصَنَّفٍ
مَا فِي الْبَرِيَّةِ مِثْلُهُ فِي عَصَرِهِ
أَيْسَبُهُ الْبَحْرُ الْخِضَمُ بِجَذُولٍ
هُوَ فَارِسُ يَوْمِ الثَّرَالِ مُسْرَبِلٌ
مَا الْمُرْنُ يَخْكِي جُودَهُ فِي جُودِهِ
تُغْنِي الْمُلُوكُ عَنِ الْكَتَائِبِ كُتُبُهُ
يَا مَنْ يَرُومُ لِحَاقَهُ لَا تَطْلُبُنْ
مَنْ ذَا يُبَارِي الرِّيحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا
يَا مُلْجَأَ الطَّلَابِ يَا كَهْفَ الْوَرَى
إِنْ جَاءَ قَوْلٌ فِيهِ خُلْفٌ مُشْكِلٌ
مَا إِنْ سَأَلْنَا قَطُّ عِلْمًا غَامِضًا
يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي مَنْ أَمَّهُ
أَحْمَلَتْ ذَكَرَ ذَوِي الْبَلَاغَةِ كُلُّهُمْ

نَارُ الْفِرَاقِ تُشَبُّ بَيْنَ ضُلُوعِهِ
وَيَزُولُ عَنْ قَلْبِي أَمْضُ هُلُوعِهِ
مِنْ شِدَّةِ الْبَلْوَى إِلَى مَقْرُوعِهِ (١)
عَمَّ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا بِذُيُوعِهِ
فَاقَ الْوَرَى بِأُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ
فَالنَّاسُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ يَنْبُوعِهِ
قَدْ فَاقَ أَهْلَ الْفَضْلِ فِي مَشْرُوعِهِ
كَمْ بَيْنَ آسَادِ الشَّرَى وَسُمُوعِهِ (٢)
أَوْ لَيْتَ غَابَ مُشْبِلُ بِدُرُوعِهِ (٣)
مِنْ كُلِّ قَوْلٍ صَحَّ فِي مَجْمُوعِهِ
وَنَدَاهُ قَدْ فَاقَ الْحَيَا بِهَمُوعِهِ
فِيهَا يَقْرَأُ عَدُوَّهُمْ بِجُمُوعِهِ
مَا لَا حَقِيقَةَ فِي الْوَرَى لِوُقُوعِهِ
أَمْ مَنْ يُجَارِي الْبَرْقَ حِينَ لُمُوعِهِ
أَيَقْظَتْ هَذَا الْعِلْمَ بَعْدَ هُجُوعِهِ
أَوْضَحْتَ مَا قَدْ شَدَّ مِنْ مَسْمُوعِهِ
إِلَّا وَكُنْتَ مُقَرَّبًا لِشُسُوعِهِ
أَمِنَ الزَّمَانَ وَطَوَّلَهُ مِنْ نُوعِهِ (٤)
وَضِيَاءَهُمْ أَخْمَدْتَ بَعْدَ سُطُوعِهِ

- (١) المقروع : السَّيِّد . (هامش أ) .
- (٢) السُمُوع : أولاد الضَّيْع من الذَّنَب . (هامش أ) .
- (٣) الدُّرُوع : أولاد البقر الوحشيَّة . (هامش أ) .
- (٤) النُّوع : العطش . (هامش أ) .

- (١) كذا في أ . ولعلَّ الصَّواب : أَحْيَيْتَ قَلْبَ عَلِيلٍ
- وفي ب : . . . قلب كَثِيبٍ
- (٢) في أ : لناضره ! .
- (٣) وسقط ما بعد ذلك إلى نهاية الترجمة من ب .

[١٧٦] فالجوهري «صاحبه» قد كُتِرَتْ
وكذا البديع لَدَيْكَ أَصْحَى خَامِلاً
وعَدا المَعَرِّي الذي عَرِيَّتُهُ
وَكَسَرَتْ مِنْوَالِ الحَرِيرِي الذي
وعلى قُدَامَةٍ لَا تَزَالُ مُقَدِّمًا
وقَنَاة حَمَامِ النَّصِيرِ كَسَرَتْهَا
نُورُ السَّراجِ بِنَفْثَةِ أَطْفَالَتِهِ
والفاضِلُ القَاضِي تَبَيَّنَ نَقْصُهُ
فُقَّتِ الْأَنَامُ بِسُودِدٍ وَسِيَادَةٍ
قد أَخْرَجَ الْمَمْلُوكُ حَظَّ أَسْوَدَ
إِنِّي التَزَمْتُ الرَّدْفَ قَبْلَ رَوِيَّهَا
خُذْهَا صَلَاحَ الدِّينِ نَفْثَةً قَاصِرِ
لَا زِلْتَ فِي نَعَمٍ دَوَامًا سَرْمَدًا
٤٧ * عبد الله بن محمد (٤) :

وغَدَتْ بِسُوقِ كَسَادِهَا كَجَزْوِعِهِ
عَدَلَ الْأَنَامُ إِلَيْكَ عَنْ مَوْضُوعِهِ
حُلَلِ اللُّغَاتِ مُضَرَّجًا بِدَمُوعِهِ
قد أَغْجَزَ النَّسَاجَ عَنْ مَضْنُوعِهِ
زَلْتُ بِهِ الْأَقْدَامُ عِنْدَ قَزْوِعِهِ (١)
وقَطَعْتَ عَنْهُ الْمَاءَ عَنْ يَبْنُوعِهِ
فَعَدَا الظَّلَامُ مُخَيِّمًا بِرُبُوعِهِ
وعن الرِّيَاضِ أُذِينَدَ بَعْدَ رُثُوعِهِ
كَالْعَبْدِ إِذْ فَاقَ الْوَرَى بِقُطُوعِهِ
كَيْفَ اخْتِيَالِي فِي الْقَضَا وَوُقُوعِهِ
كَالصَّبِّ يَلْزَمُ جِبَّهُ لِرُجُوعِهِ
يَوْمَ السَّبَاقِ عَلَى مَطِي مَهْقُوعِهِ (٢)
مَا الطَّيْرُ غَرَّدَ مُسْجِرًا فِي شُوعِهِ (٣)

القاضي الفاضل ، ولِي الدِّينِ ابْنِ قَاضِي الْقَضَا بِهِاءِ الدِّينِ ، أَبِي الْبَقَاءِ
[السُّبْكِي] ، مَوْقِعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبَ إِلَيَّ مُلَغَزًا : [من الوافر]

- (١) القزوع : الاستعمال . (هامش أ) .
- (٢) المهقوع : الفرس الذي يكون في زوره كهية الهقعة ، وهو عيب في الخيل ، ولا يزال المهقوع مسبوًا . (هامش أ) .
- (٣) الشوع : شجر البان . (هامش أ) .
- (٤) ترجمته في : درر العقود الفريدة ٣٣٨/٢ والذيل على العبر ٥٤٨/٢ والذرة الكامنة ٢٩٢/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٢٢/٣ وإنباه الغمر ١٤٧/٢ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/١١ والذيل التام ٣٣٠/١ ونزهة النفوس والأبدان ٨٩/١ والدارس ١٧٣/١ وتاريخ الصالحية ١٧٣/١ وشذرات الذهب ٤٩٦/٨ .
- ولادته سنة ٧٣٥ هـ . ووفاته سنة ٧٨٥ هـ .
- سقطت هذه الترجمة من س .

وَمَا اسْمُ يَا إِمَامِ الْعَصْرِ حَقًّا
ثَلَاثِي إِذَا مَا الثُّلُثُ مِنْهُ
وَمَعَ عَكْسِ الحُرُوفِ يَصِيرُ فِعْلًا
وإِنْ صَحَّفْتُهُ مِنْ بَعْدِ عَكْسِ
يُرَى فَوْقَ الْمُلُوكِ بِلا مِرَاءِ
أَجِبْ فَلَيْسَ يَدِي فَكَّرَ دَقِيقُ
وَيَا مَنْ حَازَ إِخْسَانًا وَلُطْفًا
أُبَيِّنَ غَدَا يَرَاهُ النَّاسُ حَزْفًا
لِأَنْثَى قَدْ ثَنَتْ جِنْدًا وَعُظْفًا
فَدَعُهُ لِأكْبَرِ الْأَعْدَاءِ وَضْفًا
وَكَمْ قَدْ حَازَ تَشْرِيفًا وَظَرْفًا
عَلَيْهِ مِثْلُ هَذَا لَيْسَ يَخْفَى

● فكتبتُ أنا الجواب ، وهو في « تاج » : [من الوافر]

لَقَدْ أَتَحَفَّتَنِي بِبَدِيعِ لُغَزٍ
أَدْرَتْ بِهِ عَلَيَّ كُؤُوسَ نَظْمٍ
أَرَاهُ « بَاحٌ » بِالتَّصْحِيفِ حَتَّى
فَصِرْتُ وَقَدْ أَتَانِي رَبُّ « تَاجٍ »
وَبَاتَ نُصَارُهُ لِلْجِنْدِ طَوْقًا
فَدُمْتُ تُجِدُّ لِلْأَدَابِ رَسْمًا
حَكَى زَهَرَ الرُّبَا لُطْفًا وَعَزْفًا
كَأَنَّ مِرَاجَهَا عَسَلٌ مُصَفَّى
لَقَدْ كَشَفَ الْمُعْطَى مِنْهُ كَشْفًا
تُزَفُّ لَهُ مَعَانِي التَّنْظِمِ زَفًّا
وَأَصْبَحَ دُرُّهُ لِلشَّمْعِ شُنْفًا
عَفَا وَتَجِيدُ دُرَّ الشَّعْرِ رَضْفًا

٤٨ * عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله بن أبي المعالي متى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن يوسف (١) :

الشيخ الإمام الأديب ، الوزير ، تاج الدِّينِ اليماني ، وزيرُ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ

- (١) ترجمته في : مسالك الأبصار ٤٥٤/١٢ وأعيان العصر ١٢/٣ والوافي بالوفيات ٢٣/١٨ وفوات الوفيات ٢٤٦/٢ وذيل العبر ٢٣٣ ودرر العقود الفريدة ٢١٦/٢ وفوات ابن رافع ١٧٦/١ وتعريف ذوي العلا ١٦ والعقد الثمين ٣٢١/٥ وتذكرة النبيه ٤٤/٣ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٣٤/١ والذرة الكامنة ٣١٥/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٤/١٠ والمنهل الصافي ١٣٤/٧ و٢٠٤ باسم عبيد الله بن عبد المجيد والذليل الشافي ٣٩٣/١ وشذرات الذهب ٢٤١/٨ والبدر الطالع ٣١٧/٢ .
- مولده سنة ٦٨٠ هـ . ووفاته سنة ٧٤٣ هـ .
- هو صاحب كتاب « إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين » .

داود صاحب اليمن^(١) .

● كَتَبَ بالقاهرة على كتابي « جنان الجناس » في سنة ٧٣٢^(٢) : [من الطويل]

جِنَانُ جِنَاسٍ فَاقَ جِنْسَ جِنَانٍ يُعِينُ الْمُعَانِي فِيهِ جُلُّ مُعَانِي
لَقَدْ نَوَّعَ الْأَجْنَاسَ فِيهِ مُؤَلَّفٌ طَرَائِقُ وَشِيْ أَوْ سُمُوطُ جُمَانٍ
غَدَا نَاهِجاً فِيهِ مَنَاهِجٌ لَمْ يَكُنْ قُدَامَةٌ قَدَمًا جَاءَهَا بَيَانٍ
مَقَاصِدُ مَا نَجَلُ الْأَثِيرِ مُثِيرُهَا بَدَائِعُ فَضْلِ مَنْ بَدِيعِ زَمَانٍ
مُحَرَّرَةُ الْأَلْفَاظِ لَكِنْ حُسْنُهَا رَقِيقٌ يُسَيِّنَا جَلِيلَ حِسَانٍ
إِذَا ابْنُ فَتَى نَجَلَ الْحَدِيدِ أَرَادَهَا تَقُولُ لَهُ : أَقْصِرْ فَلَسْتُ بِدَانِي
[٧٦ب] وَمَا أَنْتَ مِمَّنْ يَسْبِكُ الثَّبَرَ نَاقِدًا وَمَا لَكَ فِي سَبْكِ الثُّنَاجِ يَدَانِ
لَقَدْ أَطْرَبْتَ أَيْبَاتُهُ كُلَّ سَامِعٍ فَرَائِدُ مَا جَاءَتْ لَهْنٌ ثَوَانِي
تَفُوحُ بِأَزْوَاجِ الصَّبَا نَفْحَاتُهَا حَظِيرَةٌ بَانٍ عِنْدَ حَضْرَةِ بَانٍ
لَقَدْ صَيَّرَ الْحُسَادَ تَذْرِفُ عِنْدَهَا مَدَامِعَ شَانٍ فِي مُحَاجِرِ شَانٍ
أَقُولُ لِنَظْمِي حِينَ حَاوَلَ شَأُوهَا رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي
بَقِيَتْ صِلَاحُ الدِّينِ لِلْفَضْلِ صَالِحًا لِحُسْنِ بَيَانٍ مِنْ يَرَاعِ بَنَانٍ

● فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ^(٣) : [من الطويل]

لَا لِي غَوَالٍ مِنْ حُلِيِّ غَوَانِي وَتَرْجِيحُ بَمٍّ بَعْدَ خَفَقِ مَثَانِي
أَمَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ نَظَّمَ شِعْرَهُ فَمَا زَهَرُ رَوْضٍ مِنْ حُلَاهُ بِدَانِي
إِمَامُ زِمَامِ الْفَضْلِ أَضْحَى بِكَفِّهِ يُصَرِّفُهُ يَوْمِي نَدَى وَيَانٍ
وَزَيْرٌ بِتَذْيِيرِ الْمَمَالِكِ عَارِفٌ غَدَا النَّاسُ فِي أَيَّامِهِ بِأَمَانٍ

(١) في م : صاحب اليمن الميمون ، حرسه الله من الفتن .

(٢) القصيدة في أعيان العصر والوفاي .

(٣) القصيدة في أعيان العصر . وزاد هنا في م : جواباً عما كتب .

إِذَا هُوَ جَارِي الْعَيْثَ يَوْمَ سَمَاحِهِ فَذَاكَ أَوَانٌ لَيْسَ فِيهِ بِوَانٍ
يُشِيدُ مَبَانِي الْمَجْدِ فِي حَوْمَةِ الْعَلَا يَهْزُ يَرَاعُ أَوْ بِسَلِّ يَمَانِي
فَأَقْسِمُ مَا أَتْنَى عَلَى مَا وَضَعْتُهُ بِشَغِيرٍ وَلَكِنْ بِالْجِنَانِ حَبَانِي
جِنَاسٌ بَدِيعٌ لَوْ تَقَدَّمَ عَضْرُهُ أَبَانٌ لَنَا فِي ذَاكَ عَجَزُ أَبَانٍ^(١)
فَشُكْرِي مَا وَفَى حُقُوقَ صَنِيعِهِ وَكَيْفَ بِشَامٍ شَامَ بَرَقَ يَمَانِي

٤٩ * عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ [بن يوسف] بن أحمد بن عبد الدائم^(٢) :

القاضي البليغ ، تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ الْقَاضِي الْإِمَامِ الْفَاضِلِ الْبَارِعِ التَّخَوِيِّ
مُحِبِّ الدِّينِ ، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْأَمِيرِ الْمِصْرِيَِّّةِ الْمَحْرُوسَةِ .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَهُوَ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، أَوَّلَ
دُخُولِهِ^(٣) الدِّيَّانُ : [من البسيط]

جَمَلْتُ بِالْفَضْلِ لِلْإِنْشَاءِ دِيَّوَانًا وَشَدْتُ لِلْمَجْدِ يَوْمَ الْفَخْرِ أَرْكَانًا
فَسَوْفَ يَفْتَرُّ ثَغْرُ الدَّهْرِ مُبْتَسِمًا عُجْبًا وَيَعْطِفُ مِنْهُ الْقَدَّ نَشْوَانًا
أَحْبَبْتُ يَا ابْنَ مُحِبِّ الدِّينِ صَنْعَةَ مَنْ قَدْ أَضْبَحُوا فِي مَجَالِ الْفَضْلِ فُرْسَانًا^(٤)
قَوْمٌ إِذَا مَا الْمَعَالِي أَشْرَفَتْ لَهُمْ كَانُوا لَهَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَخْدَانًا^(٥)
دِيَّوَانُ الْإِنْشَاءِ عَيْنٌ لِلزَّمَانِ وَقَدْ أَضْبَحْتَ أَنْتَ لِتِلْكَ الْعَيْنِ إِنْسَانًا
وَفِيهِ مِنْ سَادَةِ الْكُتَابِ طَائِفَةٌ كَمْ أَلْبَسُوا الْمُلُوكَ بِالْإِنْشَاءِ تِنْجَانًا

(١) هو أبان بن عبد الحميد اللاهقي ، ناظم كلية ودمنة .

(٢) ترجمته في : درر العقود الفريدة ٢٢٣/٢ والذيل على العبر ٥٥٥/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة

١٤٥/٣ وإنباه الغمر ١٧١/٢ والنجوم الزاهرة ٣٠١/١١ والمنهل الصافي ٢١٠/٧ والدليل الشافي

٤٠٤/١ ونزهة النفوس ١٠٨/١ والذيل التام ٣٣٥/١ وشذرات الذهب ٥٠١/٨ .

- مولده سنة ٧٢٥ هـ . ووفاته سنة ٧٨٦ هـ .

- « أحمد بن » ساقطان من أ .

(٣) في ب : أَوَّلَ وصوله .

(٤) في م : أَحْيَيْتَ

(٥) في ب ، س ، م : استشرفت لهم × .

وَقَلَّدُوا بِالتَّقَالِيدِ الَّتِي نَظَّمُوا
وَيَنْظُرُ النَّاسُ رَوْضاً مِنْهُمْ نَضِراً
فَاجْهَدْ عَلَى أَنْ تُرَى فِي الْعَقْدِ وَاسِطَةً
وَلَيْسَ إِلَّا عُلُومٌ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا
وَرَأْسُ مَالِكٍ فِيهَا النَّخْوُ فَانْحُ لَهُ
حَافِظٌ عَلَى الدَّرْسِ وَالْإِعْرَابِ فَهَوَّ إِذَا
وَلَا تُفَارِقُ جَمِىَّ التَّصْرِيفِ إِنْ لَهُ
وَمَا يَضُرُّكَ مِنْ حِفْظِ الْفَصِيحِ وَمِنْ
وَسُئَةِ الْمُصْطَفَى خُذْ مِنْ مَعَادِنِهَا
وَلِلْحِمَاسَةِ قَوْمٌ فِي الْكِتَابَةِ قَدْ
وَاحْفَظْ مِنَ الْمُتَنَبِّئِي مَا اسْتَطَعْتَ تَجِدْ
مَا فِي التَّرْسُلِ كَنْزٌ مِنْهُ يُنْفِقُ إِلْ
[١٧] وَمَا التَّرْسُلُ إِلَّا نَثْرُ سَيِّدِنَا
فَاجْعَلْهُ ذَابِكٌ وَاعْقِلْ مِنْ شَوَارِدِهِ
طَرِيقَةً هِيَ مُثْلِي فِي الْأَنَامِ فَمَا
وَانْظُرْ تَوَارِيخَ أَقْوَامٍ حَدِيثُهُمْ
وَكَثِيرٌ مُطَالَعَةُ الْأَدَابِ تَحْطُ بِمَا
وَلَيْسَ مِثْلُ الْأَغَانِي فِي مُطَالَعَةِ
وَمَا الْبَدِيعُ بَعِيدٌ أَنْ يُطَرَّرَ مَا
هَذَا يَسِيرٌ وَمِثْلِي مَنْ يُشِيرُ بِهِ

حُلِيِّهَا جَيِّدُهُ دُرّاً وَمُرْجَانَا
وَيَنْشَقُّونَ مِنَ الْأَعْلَامِ رِيحَانَا^(١)
وَأَنْ تَكُونَ مَحَلّاً فَوْقَ كَيُونَا
تَسْحَبُ ذُبُولَ الْعُلَا مِنْ فَوْقِ سَحْبَانَا
إِنْ شِئْتَ تَمْلِكُ لِلْإِنْشَاءِ أَرْسَانَا
حَقَّقْتَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَلَاتِ أَغْوَانَا
فَلَاتِ قَوْمٍ حَكَتْ رَضْوَى وَثَلَانَا^(٢)
بَعْضِ الْمَقَامَاتِ إِنْ جَانَبْتَ نُقْصَانَا
جَوَاهِرًا فَضَلَّتْ فِي الصَّرْفِ عَقِيَانَا
« طَاوَزُوا إِلَيْهَا زُرَافَاتٍ وَوَحْدَانَا »
« أَوْفَى الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ الشَّعْرِ مِيزَانَا »
لَا شِعْرُهُ وَسِوَاهُ رَاحَ مَجَانَا
عَبْدُ الرَّحِيمِ فَخُذْ لِلْحُسْنِ أَلْوَانَا
أَوَابِدًا لَمْ تُرَدْ فِي الْحُسْنِ بُرْهَانَا
أَرَى سِوَاهَا مِثَالاً قَطُّ أَغْيَانَا^(٣)
لِلْمَجْدِ نَشْطُ مَنْ قَدْ رَاحَ كَسَلَانَا
زَانَ الْبَلِيغِ وَحَلَاةُ وَمَا شَانَا
لَأَنَّهُ عَنِ جَمِيعِ الْكُتُبِ أَغْنَانَا
تَأْتِي بِهِ يَا تَقِيَّ الدِّينِ إِتْقَانَا
عَلَى الَّذِي قَدْ غَدَا بِالْعِلْمِ هَيْمَانَا

فَاخْفَظْ كَلَامَ مُحِبٍّ نَاصِحٍ جَعَلَ الذِّ

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ : [من البسيط]

مَنْ كَانَ مَحْبُوبُهُ لِلْهَجْرِ يَقْظَانَا
صَبَّ بِمَضَرِّ يَرُومِ الْقُرْبِ قَدْ تَخَذَتْ
مُضْنَى كَتِيبٌ مُعْنَى مُغْرَمٌ كَلِفْتُ
مَا زَالَ يُخْفِي عَنِ الْعُدَالِ لَوْعَتُهُ
حَتَّى غَدَا دَمْعُهُ الْقَانِي يَسْمُ عَلَى
إِنْ كَانَ أَحْبَابُنَا بِالْوَضْلِ قَدْ بَخُلُوا
فَلَسْتُ أَشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي
مَنْ حَقَّقَ الْأَمْرَ فِي دَعْوَى مَحَبَّتِهِ
وَمَنْ يَكُنْ لِصَلَاحِ الدِّينِ نَسْبَتُهُ
بَخِرُ الْعُلُومِ وَمَنْ سَادَ الزَّمَانُ بِهِ
يُرِيكَ زُهْرَ النُّجُومِ الشَّهْبِ قَدْ نَظَّمَتْ
رِقَاعٌ مَنُشُورِهِ إِنْ رُمْتَ تَنَعَّتْهَا
إِذَا تَنَاوَلَ قِرْطَاساً لِيَرْقُمَهُ
يَا مَنْ فَضَائِلُهُ تَسْرِي مُغَرَّبَةً
أَتَحَفَّنَا بِوَصَايَا مِنْكَ نَافِعَةٍ
أَقُولُ قَوْلَ الَّذِي أَغَيْثَ صِفَاتِكُمْ
قَدْ شَرَفَ اللَّهُ دَهْرًا أَنْتَ وَاجِدُهُ
قَدْ بَاتَ يَزْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ هَيْمَانَا
أَحْبَابُهُ بِأَعَالِي الشَّامِ أَوْطَانَا
لَا يَتَنَغَّى أَبَدًا فِي الْحُبِّ سُلُوانَا
وَيُظْهِرُ الصَّبْرَ تَمْوِيهًا وَكَيْتْمَانَا
كَيْتْمَانِهِ فَأَعَادَ السُّرَّ إِغْلَانَا
وَأَوْرَثُوا الْقَلْبَ بِالْإِبْعَادِ أَحْزَانَا
لَأَنَّ كُلَّ عَزِيزٍ بَعْدَهُمْ هَانَا
فَقَدْ أَصَمَّ عَنِ الْعُدَالِ آذَانَا
فَقَدْ غَدَا لَابِسًا لِلْعِلْمِ تَيْجَانَا
لَمَّا عَلَا رُتْبًا مِنْ فَوْقِ كَيُونَا
مِنْ نَظْمِهِ وَيُرِيكَ السَّحَرِ أَلْوَانَا
فَرَوْضَةً أَنْبَتَتْ دُرّاً وَمُرْجَانَا
بَدَتْ بِلَاغَتُهُ قُسّاً وَسَحْبَانَا
فَلَا يَزَالُ سَنَاهَا مِنْهُ يَغْشَانَا
وَزِدْنَا بِوُضُوحِ الْأَمْرِ تَيْيَانَا
مَقَالَهُ فَمَضَى فِي الْمَدْحِ حَيْرَانَا :
« وَشَرَفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا »^(١)

(١) من بيت المتنبي : [ديوانه ٢٣١/٤]

قَدْ شَرَفَ اللَّهُ أَرْضاً أَنْتَ سَاكِنُهَا وَشَرَفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا

(١) في س ٢٠ : من الأقلام ربحانا .

(٢) في س : × زلات

(٣) في ب : × ألوانا .

٥٠ * عبدُ القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن موسى الخطيب^(١) :

قاضي القضاة بصفد المحروسة ، أبو بكر ، جمال الدين البخاري التبريزي الشافعي .

● قرأت عليه مُجلدة أنشأها خطباً^(٢) ، ورُتِّبها على حروف المُعْجَم من أولها إلى آخرها بصفد المحروسة سنة ٧٢٤ ، وكتبت عليها^(٣) :

قرأت هذه الخطب المسرودة على حروف المُعْجَم من أولها إلى آخرها ، على مُنشئها القاضي جمال الدين عبد القاهر بن محمد التبريزي الشافعي - لا زالت الطروس تُوشى وتُوشع بكلامه ، وترصف وترضع بحكمه وأحكامه ؛ ومحاسن أيامه ولياليه تُنشأ وتُشد ، ودرر نثره ونظامه تُنظم وتُنضد - قراءة من غاص اللجة من بحر جبرها ، وعلم قيمة المُنتقى والمُنتقى من درارنها ودُرّها ، واستشف [ب ٧٧] معانيها المجلوة في بحر جبرها ، وصدق مُعجز آياتها وما شك في خبر خبرها ، واستجلى وجوه غربها وتوجيه إغرابها ، وتحقق أن القرائح ما لها طاقة على مثلها في بابها ، وتنزه في حدائقها التي ضربت عليها أزواق الأوراق ، واجتلى أبقارها الغر فكانت حقيقة فتنة العشاق ؛ فسرخ سوام الطرف فيما أَرْضاه من روضاتها ، ورشفت قطر البلاغة ممّا زهي من زهراتها : [من الكامل]

وتشفت أذني بلؤلؤ لفظها وتنزهت عينا في جناتها

(١) ترجمته في : معجم الشيخ للذهبي ٤٠٨/١ وأعيان العصر ١٢٤/٣ والوافي بالوفيات ٥٤/١٩ وفوات الوفيات ٣٦٧/٢ وفوات ابن رافع ١١٠/١ وتذكرة النبيه ٣٢٠/٢ والدرر الكامنة ٣٩٤/٢ والنجوم الزاهرة ٣٢٥/٩ والمنهل الصافي ٣٢٧/٧ والدليل الشافي ٤٢٣/١ .

- مولده سنة ٦٤٨ هـ . ووفاته سنة ٧٤٠ هـ .

(٢) وسماها « تحفة الألباء » . (الوافي) .

(٣) النص بشره وشعره في أعيان العصر والوافي .

وتأملت أفهامنا فتمائلت
فكأن همنز سطورها بطروسها
وكأنها وجنات غيد نطها
لله ما أطرى وأطرب ما أتى
لا غزو أن عقدت لسان أولي النهى

● فكتب إلي^(٢) : [من الكامل]

بشرف الصهباء من كاساتها
وزق على الأغصان من ألفتها
خال على الأصداع من جلماتها
في هذه الأوراق من سجعاتها
عن مثلها بالسحر من كلماتها^(١)

شرفت غرس الدين حين قرأت ما
بفصاحة لو أن قساً حاضراً
يا فخر دهر أنت من بلغائه
خطبي التي أنشأتها ما أنت من
عظمتها وبرزتها وجبرتها
فلأنت أكرم فاضل لما بدت
فاسلم وذم ما رنحت رنج الصبا

● وأنشدني لنفسه في « الشبابة »^(٣) : [من الوافر]

وناطقة بأفواه ثمان
لكل فم لسان مستعار
تخطبنا بلفظ لا يعينه
فضيحة عاشق ونديم راع

تميل بعقل ذي اللب العفيف
يخالف بين تقطيع الحروف
سوى من كان ذا طبع لطيف
وعزة موكب ومدام صوفي

(١) في م : . . . ذوي النهى × .

(٢) القطعة في أعيان العصر .

(٣) الأبيات في أعيان العصر والوافي والفوات . وقال في أعيان العصر : وأنشدني لنفسه في شبابة ، وقد وجدتها فيما بعد في ديوان جويان القزاس بخطه .

● فَأَشْدُّهُ لِنَفْسِي مُلْغِزاً فِي « كَمَنْجَا »^(١) : [من المجتث]

مَا اسْمٌ إِذَا خِفْتُ هَمًّا رَأَيْتُ لِي فِيهِ مَنْجَا
يَشْدُو بِلَحْنٍ عَجِيبٍ مِنَ الْحَمَائِمِ أَشْجَى
كَمْ قَدْ شَجَاكَ بَصَوْتٍ حُرُوفُهُ مَا تَهْجَى
إِنْ لَمْ تَجِءْ لَكَ طَوْعاً فِي الْحَلِّ فَهُوَ كَمَنْ جَا

٥١ * عبد الوهَّاب بن عبد الرَّحِيم بن عبد الله^(٢) :

القاضي فخرُ الدِّين ، كاتبُ الإنشاء بالديارِ المصريَّة ، يُعرَفُ بِكَاتِبِ
الدَّرَج ، لِأَنَّهُ يَكْتُبُهُ عَنْ نَظَارِ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ ، مِنْ الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ جَمَالِ
الْكُفَاةِ ، وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ مُلْغِزاً بِالْأَبْيَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ ،
وَهِيَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ وَكَانَ الْقَاضِي فَخْرُ الدِّينِ قَدْ وَرَدَ إِلَى الشَّامِ صُحْبَةً
رِكَابِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ ، وَأَوَّلُهَا^(٣) : [من السريع]

يَا فَاضِلاً أَخْبَارُ أَشْعَارِهِ [مَشْهُورَةٌ فِي الْعُجْمِ وَالْعُرَبِ]

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ^(٤) : [من السريع]

[١٧٨] يَا بَحْرَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَا حَبْرَهُمْ وَذَا اللَّيْلِ وَالْمَوْرِدِ الْعَذْبِ
يَا كَوْكَبَ الْفَضْلِ الَّذِي نُورُهُ يَظْهَرُ عَنْ بُعْدٍ وَعَنْ قُرْبِ

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) ترجمته في : الوافي بالوفيات ٣٠٤/١٩ والنور الكامنة ٤٣٣/٢ .

- ولادته سنة ٧١٦ هـ .

- سقطت هذه الترجمة من م .

(٣) القصيدة بكاملها في الوافي ، وقد مضت في الترجمة ٨ .

(٤) القصيدة في الوافي .

يَا سَيِّداً بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِهِ
يَا حَائِزاً كُلَّ عُلُومِ الْوَرَى
يَا بِاسْمِ الثَّغْرِ وَيَا جَائِداً
يَا رَائِقَ الْمَنْطِقِ يَا صَادِقَ الْ
وَمَنْ لَهُ النِّظْمُ الْبَدِيعُ الَّذِي
فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ سَامِي الْبِنَا
هُنَّتُهُ شَهْراً شَرِيفاً أَتَى الْ
تَقَبَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
غَفَرْتُ مَا لِلدَّهْرِ مِنْ ذَنْبِ
وَجَائِزاً فَوْقَ مَدَى الشُّهْبِ
لِرَاحَةِ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ
قِيَاسِ فِي الْإِيجَابِ وَالسَّلْبِ
يَسْبِي وَأَزْبَابَ الثُّهَى يُضْبِي
يَقُولُ لِي طَرْفِي : هُنَا قِفْ بِي
قُرْآنَ عَنْ تَفْضِيلِهِ يُنْبِي
أَعْمَالِكَ الْمُزِيحَةَ الْكَسْبِ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ قَرِينَ دَفْتِرٍ مِنَ الْوَرَقِ الْأَبْيَضِ^(١) : [من المجتث]

لَمَّا رَأَيْتُكَ بَخِيراً وَمَوْجُهُ مُتَوَالِي
يُمِجُّ دُرَّ قَرِينِضٍ عَلَى مَمَرِّ اللَّيَالِي
أَهْدَيْتُ نَحْوَكَ دَرْجاً لِضَمِّ تِلْكَ الْأَلَالِي

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(١) : [من المجتث]

بِالْغَتِ فِي إِخْجَالِي بِفَضْلِكَ الْمُتَوَالِي
فَحِزْتُ مَا بَيْنَ شُكْرِي فَوَائِدٍ وَنَوَالِ
وَالدَّرَجُ قَدْ جَمَعَ الْحُسْدَ نَ عَاطِلاً وَهُوَ خَالِي
وَسَوْفَ يُمْلَأُ مَذْحِجاً بِجُودِكَ الْمُتَتَالِي
وَمِنْ مَحَاسِنِ ثُمْلَا مِنْكُمْ بِغَيْرِ مَلَالِ
تَاللهُ يَقْضُرُ قَالِي عَنْ شُكْرِ تِلْكَ الْأَمَالِي

(١) الأبيات في الوافي .

٥٢ * عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (١) :

تَقَدَّمَ تَمَامُ النَّسَبِ فِي ذِكْرِ أَخِيهِ الشَّيْخِ بِهِاءِ الدِّينِ أَحْمَدَ .

هو قاضي القضاة الإمام العالم ، الفاضل المقتن ، الناظم النائر ، الشيخ تاج الدين ، أبو نصر ، ابن مولانا قاضي القضاة تقي الدين ، السبكي الشافعي .

● كَتَبَ هُوَ إِلَى مِنْ دِمَشْقَ المحروسة ، وأنا بالقاهرة المحروسة ، في سنة

٧٤٥ : [من السريع]

غَابَ صَلَاحُ الدِّينِ عَنْ جَلَّقِ فَغَابَ عَنْهَا الْعِلْمُ وَالْفَضْلُ
وَأَسْتَوْحَشَ الشَّامُ لَهُ وَاعْتَدَتْ مِصْرَ بِهِ لَيْسَ لَهَا مِثْلُ
قَدْ عَمُرَتْ كُلُّ الْأَرْضِ بِهِ وَطَابَ مِنْهَا الْحَزَنُ وَالسَّهْلُ
إِنْ حَلَّ مِصْرَ فَهُوَ نِئْلُ لَهَا أَوْ جَلَّقَا فَهُوَ لَهَا وَنِئْلُ

يُقْبَلُ كَذَا (٢) ، الغالي قَدَرُهَا ، العالي ذِكْرُهَا ؛ وَيُنْهِي بَعْدَ دُعَاءٍ مَا أَحْرَصَهُ
عَلَى كَوْنِهِ فِيهِ يَخْلِصُ ، وَثَنَاءٍ مَا أَخْلَصَهُ مِنْ مُجِبِّ صَادِقٍ عَلَيْهِ يَخْرُصُ ؛ أَنَّهُ مِنْذُ
سَافَرَ مَوْلَانَا إِلَى هَذِهِ الْأَيَّامِ ، الَّتِي هِيَ عِنْدَهُ أَغْوَامٌ ، مَا طَابَ لَهُ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
مُقَامٌ ، وَقَدْ كَتَبَ هَذِهِ الْمُطَالَعَةَ تَنْهِي بَعْضَ الْأَشْوَاقِ ، وَتُبْدِي مَا حَصَلَ لِرَافِعِهَا
بِسَبَبِ الْفِرَاقِ ، فَأَصْدَرَهَا تَعْلِيمُ اسْتِمْرَارِهِ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ ، وَتَسْتَعْرِضُ مَا يُعْرَضُ

(١) ترجمته في : المعجم المختص ١٥٢ والوفائي بالوفيات ٣١٥/١٩ ووفيات ابن رافع ٤٠/٢ والذيل على العبر ٣٠٣/٢ ودرر العقود الفريدة ٣٧٤/٢ وتعريف ذوي العلا ١٨٩ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٧٢/٢ والذعر الكامنة ٤٢٥/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٨/١١ والمنهل الصافي ٣٨٥/٧ والذيل الشافي ٤٣٣/١ والذيل التام ٢٤٣/١ والدارس ٣٧/١ والقلائد الجوهريّة ٥٠١/٢ وحسن المحاضرة ٢٨٣/١ وشذرات الذهب ٣٧٨/٨ والبدر الطالع ٤١٠/١ .

- مولده سنة ٧٢٨ هـ . ووفاته سنة ٧٧١ هـ .

- هو صاحب « طبقات الشافعية الكبرى » .

(٢) في ب : يُقْبَلُ الْأَرْضُ . . .

مِنَ الْخِدَمِ الْعَلِيَّةِ ، لِيَفُوزَ بِقَضَائِهِ إِيَّاهَا ، وَتَقْضِيَ بَعْضَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ بِقَضَائِيهَا ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي قَلْوٍ يَمْنَعُهُ التَّوَمُّ ، وَفِكْرٍ يَجْعَدُّ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، حَتَّى سَمِعَ [٧٨ ب] أَنَّ مَوْلَانَا يُشْرِفُ بِالْحُضُورِ بَعْدَ الْعِيدِ ، وَكَانَ يَوْمَ سَمَاعِهِ إِثَاءً عِنْدَهُ هُوَ الْعِيدُ ، وَاطْمَأَنَّ خَاطِرُهُ الَّذِي كَانَ فِي كُلِّ وَقْتٍ هُمٌّ يَزِيدُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ ظِلَّهُ الْمَدِيدَ ، وَيُبْقِيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِحْسَانَهُ الْعَدِيدَ ، حَتَّى يَقُولَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُحْسِنًا : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من السريع]

إِنْ غَبْتُ عَنْ جَلَّقَ يَوْمًا فَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ يَجْتَمَعَ الشَّمْلُ
وَلَيْسَ عَنْ عَوْدِي إِلَيْهَا غِنَى لَأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا مِثْلُ
فَلِإِنَّكُمْ شَرَفْتُمْ رُبْعَهَا وَامْتَدَّ لِلنَّاسِ بِهَا الظِّلُ
وَهَكَذَا مِصْرُ سَقَاها الْحَيَا كَانَتْ بِكُمْ تَفْخَرُ مِنْ قَبْلُ

يُقْبَلُ (١) الْأَرْضُ ، لَا أَبْعَدَ اللَّهُ عَهْدَهَا ، وَلَا أَنْسَى الْقُلُوبَ وَدَّهَا ، وَلَا أَغْدَمَ
الْأَوْلِيَاءَ ظِلَّهَا وَلَا رَفَدَهَا ، وَلَا حَرَمَ السَّحَابِ الْهَطَّالَةَ أَنْ تَسْتَمِدَّهَا ؛ وَيَصِفُ
أَشْوَاقَهُ الَّتِي تَسْتَعِيرُ النَّارَ وَقَدَّهَا ، وَمَحَبَّتَهُ الَّتِي مَا قَطَعَهَا جَوْرُ الْبُعْدِ وَلَا صَدَّهَا ،
وَعُبُودِيَّتَهُ الَّتِي مَا أَدَّتْ شَهَادَةَ إِخْلَاصِهَا عِنْدَ حَاكِمِ قَرْدِهَا . ٦١٧٣٣١

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، فَوَقَفَ لَهُ مُنْتَصِبًا ، وَخَفَّفَ عَنْهُ بِرُؤْيَيْهِ
وَصَبَا ، وَذَكَرَ أَيَّامَهُ بِدِمَشْقَ فَهَامَ وَجَدًا بِهَا وَصَبَا ، وَفَضَّهَ فَاسْتَحَقَّه الْإِعْجَابُ بِهِ
طَرَبًا ، وَشَاهَدَ سَطُورَهُ فَقَالَ : هَكَذَا تَكُونُ الرِّيَاضُ ؛ وَعَايَنَ لُطْفَهُ فَقَالَ : هَكَذَا
يَكُونُ الصَّبَا ، وَأَنْتَهَى إِلَى ذَلِكَ الْإِحْسَانِ الَّذِي أَلْفَهُ ، وَالْفَضْلِ الَّذِي مَا أَنْكَرَهُ
مِنْذُ عَرَفَهُ ، وَالْجَبْرِ الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ ، وَكَيْفَ تَفَارِقُ الْمَوْصُوفَ الصِّفَةَ .

(١) بداية سقط في ب .

فَأَمَّا الْأَبْيَاتُ اللَّامِيَّةُ ، فَإِنَّهُ سَجَدَ خَاضِعاً لَهَا فِكْرُهُ ، وَقَرَّبَهَا لَمَّا قَرَّ بِهَا قَرَارُهُ ، وَسَرَّ سِرُّهُ ؛ وَعَلِمَ أَنَّ مَوْلَانَا بَحْرٌ ، وَهَذِهِ السُّطُورُ أَمْوَاجُهُ ، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ دُرَرُهُ ، وَقَالَ : إِنَّ طَرْسَهُ رَوْضٌ ، وَكُلُّ سَطْرِ فِيهِ نَهْرٌ يَحْفُهُ مِنَ الْكَلَامِ زَهْرُهُ ، ثُمَّ اسْتَذْرَكَ الصَّوَابَ وَقَالَ : لَا ، بَلْ أَفَقُّ ، وَمِدَادُهُ لَيْلُهُ ، وَمَعَانِيهِ أَنْجُمُهُ ، وَالسَّجْعُ يَقُولُ : زَهْرُهُ ؛ فَاللهُ يُمَتِّعُ الْوُجُودَ بِهَذِهِ الْفَوَائِدِ الَّتِي جَوَاهِرُهَا تَاجِيَّةٌ ، وَالْمَحَاسِنُ الَّتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ نُكْتُهَا فِي الْفَقْهِ سُرْنَجِيَّةٌ فَإِنَّهَا فِي الْأَدَبِ سِرَاجِيَّةٌ ، بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

● وَلَمَّا وَقَفَ عَلَى قَوْلِي قَدِيمًا^(١) : [من مجزوء الكامل]

يَا رَحْمَتَا لَجَرِيرٍ مِنْ قَوْلٍ كَفَانَا اللهُ عَارَةً
« طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَادِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ »^(٢)
هَلْ كَانَ يَلْقَى إِذْ أَتَا هُوَ خِيَالٌ مَنْ يَهْوَى خَسَارَةً
أَوْ كَانَ قَلْبٌ قَدْ حَوَا هُوَ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ حِجَارَةً
● رَأَيْتُهُ قَدْ كَتَبَ :

لَمَّا رَأَيْتُ جُرْأَةَ جَرِيرٍ فِي الْحُبِّ وَجَسَارَتَهُ ، حَيْثُ طَرَدَ الْخِيَالَ حَتَّى نَادَى الْمَحْبُوبُ : يَا خَسَارَتَهُ ، وَعَجِبَ الْعَاشِقُونَ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَتَمَنَّى التَّعَلُّقَ بِجِبَالِ الْخِيَالِ ، وَيَتَعَنَّى^(٣) فِي تَرْجِيهِ وَيَرَى عَنَاءَهُ لَذَّةً ، وَلَوْ رَكِبَ فِي طَلَبِهِ جِيَادَ الْجِبَالِ ، [١٧٩] وَيَتَعَنَّى بِذِكْرِهِ وَلَوْ حَمَلَ فِي طَرِيقِهِ أَثْقَلَ عِبٍّ ، وَذَاقَ أَمْرَ أَمِيرٍ ، وَيَقُولُ : إِنَّهُ حُلُوٌّ عَلَى مَا فِيهِ ، وَمَا يَبْعُدُ فِي قَوْلِهِ إِذْ لَيْسَ هُوَ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ فِي قَوْلِهِ : [من الكامل]

^١ طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَادِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ
وَرَأَيْتُ مَا رُئِيَ لَهُ بِهِ فَلَانٌ حَيْثُ قَالَ - وَذَكَرَ الْأَبْيَاتَ الْمُتَقَدِّمَةَ - وَرَأَيْتُهُ أَبْدَعَ فِيهِ ، فَمَا بَعْدَهُ كَلِمَةً تُقَالُ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا رُئِيَ بِهِ لَجَرِيرٍ فِي هَذِهِ الْعَثْرَةِ الَّتِي لَا تُقَالُ ؛ يَا لَهَا مِنْ عَثْرَةٍ ، خَجَلَتْ لَهَا عَثْرَةُ الْمُحِبِّينَ ، وَجَرَتْ خَجَلًا عَلَى جَرِيرٍ مِنْ أَجْلِهَا عِبْرَةَ السَّامِعِينَ ، لَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ فَلَانًا لَمْ يَذْكُرْ أَبْشَعَ مَقَالَتِهِ الَّتِي مَا رَأَيْنَا غَيْرَهُ بِمِثْلِهَا فَاهٌ ، وَهِيَ قَوْلُهُ : فَارْجِعِي ، الَّتِي أَخَذْتُ مِنَ التَّكَارَةِ أَوْفَرَ نَصِيبٍ وَأَوْفَاهُ ، قُلْتُ^(١) : [من الكامل]

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ جَرِيرٍ وَقَوْلِهِ قَوْلًا غَدَوْتُ بِهِ أَنْكُرُ حَالَهُ
« طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَادِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ » فَاسْتَمِعْ أَقْوَالَهُ
وَاعْذُرْ فَلَسْتُ بِقَادِرٍ وَاللهُ أَنْ
● وَقُلْتُ أَيْضًا^(٢) : [من مجزوء الكامل]

هَذَا مَقَالُكَ يَا جَرِيرُ لَدَيَّ أَشْنَعُ مَا يُقَالُ
هَلْ تَمَّ وَقْتُ لَيْسَ يَضُدُ لُحُجٌ لِلزِّيَارَةِ وَالْوِصَالِ
أَمْ قِيلَ قَبْلَكَ فَارْجِعِي وَلِذَاكَ ذَنْبٌ لَا يُقَالُ
أَمْ كَانَ حُبُّكَ كَاذِبًا فَمَنَامُهُ يَنْفِي الْخِيَانَ
أَمْ كَانَ قَلْبُكَ مِنْ حَدِيدٍ لَيْسَ تُؤْذِيهِ النَّبَالَ
● وَكُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ قُلْتُ^(٢) : [من مجزوء الكامل]

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَحَبُّ بَجَرِيرٍ إِذْ أَبْدَى اعْتِذَارَهُ
إِنْ كَانَ يَضُدُّ حُبُّهُ فَالْقَلْبُ مِنْهُ كَالْحِجَارَةِ

(١) الأبيات في الغيث المسجوم ٢٤٢/١ وطبقات السبكي ١٥٠/٩ .

(٢) ديوان جرير ٩٩٠/٢ .

(٣) الكلمة مكانها بياض في أ . والمثبت من س .

(١) الأبيات في طبقات السبكي ١٥١/٩ .

(٢) الأبيات في تعريف ذوي العلا ٢٠٠ - ٢٠١ .

لَا بَلَّ أَشَدُّ قَسَاوَةً
إِذْ قَالَ قَوْلًا لِمِ يَقُولُ
« طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَا
وَانْظُرْ لَهُ أَبْدَى عَوَارَةِ
هُ عَاشِقٌ أَوْ ذُو جَسَارَةِ
دِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ »

● وقلتُ : [من مجزوء الكامل]

شُكْرًا لِنَوْمٍ بِالْحَيَا
مُذْ جَاءَ طَيْفُكَ فِي الْمَنَا
وَنِعْمَتْ إِذْ هُوَ خَيْرٌ وَضَد
لَا إِنْهُمْ فِيهِ وَلَا رَقِيد
وَفَرِحْتُ لَا كَجَرِيرٍ قَا
« طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَا
لِ أَتَى فَلِي مِنْهُ الْبِشَارَةِ
مِ أَرَالَ عَنْ عَقْلِي خُمَارَةِ
لِ لَا يُنَاطِرُ فِي النَّضَارَةِ
بِ حَاكِمٌ يُبْدِي اقْتِدَارَةِ
لِ بِقَسْوَةِ مِثْلِ الْحِجَارَةِ
دِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ » (١)

انتهى ما نقلته أنا من خطه .

● وقلتُ أنا أَسْتَدْرِكُ مَا لَمَحَهُ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ الْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ

المقاطع (٢) : [من مجزوء الكامل]

أَمَّا جَرِيرٌ فَلَمْ يَكُنْ
أَوْ مَا تَرَاهُ أَتَيْتُهُ صَا
بَلَّ قَالَ جَهْلًا : لَيْسَ ذَا
لَوْ كُنْتُ حَاضِرَ أَمْرِهِ
صَبَّأً وَلَكِنْ يَدَّعِي
ئِدَهُ الْفُؤَادُ فَلَمْ يَعْ
وَقَتِ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي
قُلْتُ : ارْجِعِي وَلَهُ اضْغَعِي

● وكتبَ هو إليَّ مُلَغِزًا في « نجم » : [من المجتث]

يَا أَوْحَدَ الْعُلَمَاءِ
وَوَاحِدَ الْأَدَبَاءِ

(١) البيت من م فقط .

(٢) الأبيات في طبقات السبكي ١٥١/٩ .

يَبْنَ لَنَا مَنْ يُرَى فِي
وَتُلُثُّهُ فِي عُبَابِ
وَذُو الْخُرُوفِ ثَلَاثُ
وَنُورُهُ قَدْ هَدَانَا
مَقْلُوبُهُ الْقَطْعُ فِيهِ
ظَهَرَ الثَّرَى وَالْعَلَاءِ
وَكُلُّهُ فِي السَّمَاءِ (١)
تَبْدُو بَغْيَرِ خَفَاءِ
فِي لَيْلِهِ وَالْمَسَاءِ
عَنْ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ

● فكتبْتُ أنا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من المجتث]

يَا آدَبَ الْفُقَهَاءِ
وَمَنْ تَقَمَّصَ ثَوْبًا
أَلْعَزَتْ لِي فِي مُسَمًى
فَنَمَّ لِي طَرْفَاهُ
ثُلُثَاهُ وَضَفَّ لِفَعْلٍ
يَكُونُ مَزْعًى بِأَرْضِ
وَرَأْسُهُ حَيَّوَانُ
فَاسْلَمْ وَدُمَ فِي نَعِيمِ
وَأَفَقَّهَ الْأَدَبَاءِ
لِلْعِلْمِ أَغْرَى الْكِسَائِي
بَادِي السَّنَا وَالسَّنَاءِ
بِسِرِّهِ ذِي الْخَفَاءِ
حَوَيْتُهُ بِاعْتِنَاءِ
وَزَيْنَتُهُ لِلْسَّمَاءِ
فِي الْبَحْرِ لَا فِي الْفَضَاءِ
وَعِزَّةً وَنَمَاءً (٢)

● وكتبَ هو إليَّ مُلَغِزًا (٣) : [من السريع]

يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي لَقِظُهُ
وَصَاحِبُ الطُّولِ الَّذِي فَضَّلُهُ
أَنْتَ خَلِيلُ الْعِلْمِ أَوْ رُبُّهُ
مَا مَرَّ بِي مِثْلُكَ إِلَّا فَتَى
دُرٌّ وَعِلْمُ النَّاسِ مِنْ مَدَّةِ
قَصَّرَ كُلُّ الْخَلْقِ عَنْ حَدِّهِ
وَمَنْ أَتَى الْوَفْدَ إِلَى رِفْدِهِ
قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى حَمْدِهِ

(١) ثلثه : نون = السَّمَك .

(٢) نهاية السقط في ب .

(٣) « ملغزاً » من م .

لَمْ لَا وَإِنْ لَمْ تَكُ فَزَعَا لَهُ
صَدْرُكَ مَوْضُوفٌ بِمَقْلُوبِهِ
وَهُوَ إِذَا مَا حَذَفُوا وَسَطَهُ
لَا زِلْتَ ذَا مَعْنَى يُبِيلُ الْغِنَى

● فلم يَظْهَرْ لِي مَا قَالَهُ ؛ فكَتَبْتُ إِلَيْهِ جَوَاباً : [من السريع]

يا فاضلاً لا شكَّ في فضله
أَنْتَ الَّذِي إِنْ قَالَ نَظْماً فَقَدْ
أَهْدَيْتَ لُغْزاً لَا يُرَى مِثْلُهُ
لَكِنَّهُ خَافَ عَلَى أَكْمِهِ
فَلِإِنِّي لَمْ أَلْقَ بَاباً إِذَا
زِدَهُ بَيَاناً إِنِّي عَاجِزٌ

● فكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ : [من البسيط]

النَّجْمُ أَنْتَ وَقَدْ أَهْدَيْتَ دَرَارِيهَ
لِلَّهِ عِلْمُكَ لَيْسَ « الْبَحْرُ » يُشْبِهُهُ
كَذَاكَ فِقْهُكَ مَا الْحَاوِي وَوَاضِعُهُ
قَدْ حُزَّتْ بَابُ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ مَا رِيَبٍ
جَبَرْتَنِي وَنَظَرْتَ الْبَخْسَ مِنْ كَلِمٍ
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرَدْتَ الْعَبْدَ تَجَبُّرُهُ
حَاشَاكَ حَاشَاكَ يَا أَذْكَى الْخَلَائِقِ مِنْ
يَا فَاضِلَ الْوَقْتِ زَادَ الْفَضْلُ مِنْكَ وَيَا

(١) اللُّغْزُ « بحر » . ومقلوبه : « رجب » . وجانباه « رب » .

(٢) يقصد : رَبَّ الْبَيَانِ .

أَنْتَ ابْنُهُ بِمَقَالِ اللَّهِ خَالِقِنَا
كُلُّ ابْنِ آدَمَ حَيٍّ مِنْهُ أَحْيَاهُ
لَا زِلْتَ تَجَبُّرُنِي وَالنَّاسَ أَجْمَعُهُمْ
فَاللَّهُ يَحْفَظُ مَوْلَانَا وَيُبْقِيهِ

● فكَتَبْتُ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من البسيط]

يا ناضِماً لَمْ نَجِدْ فِيْنَا مُبَارِيهِ
وَيَا بَلِيغاً تَرَقَّى فِي فَصَاحَتِهِ
هَذَا قَرِيضُكَ مِنْ دُرٍّ تُنْظِمُهُ
أَلْغَزْتَ يَا « بَحْرُ » عِلْمٍ قَدْ طَمَى وَرَبَا
فِي مَا يَحِلُّ لِكُلِّ النَّاسِ مِثْلُهُ
وَأَنْتَ فِي الْعِلْمِ يَوْمَ الْبَحْثِ تُشْبِهُهُ
وَأَنْ أَفَدْتَ فَلَمْ تُذَكِّرْ عَجَائِبُهُ
[١٨٠] لَا زِلْتَ تُظْهِرُ فِي فَنِّ الْقَرِيضِ لَنَا

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ مِنْ حِمَصٍ (٢) الْمَحْرُوسَةِ (٣) : [من الكامل]

يَا سَيِّداً سَافَرْتُ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ
إِنْ غَبْتُ عَنْكَ فَإِنَّ قَلْبِي حَاضِرٌ
وَكَأَنَّهُ بَيْتٌ تَوَهَّمْ شَاعِرٌ
فَاخْفَظْهُ لِي حَتَّى أَعُودَ فَإِنَّهُ

● فكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ (٤) : [من الكامل]

يَا رَاحِلاً بِحَسَا الْمُقِيمِ عَلَى الْوَفَا
مَا الطَّرْفُ بَعْدَكَ مُؤَذِّنٌ بِهُجُوعِهِ

(١) فِي ب : . . . فِي مَقَالَتِهِ X .

(٢) قَالَ الشُّبْكِيُّ : كَتَبَ إِلَيَّ مَرَّةً وَقَدْ سَافَرَ إِلَى مِصْرَ وَلَمْ يُوَدِّعْنِي .

(٣) الْأَوَّلُ وَالثَّانِي فِي طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَةِ لِلشُّبْكِيِّ ٦/١٠ .

(٤) الْأَبْيَاتُ فِي الطَّبَقَاتِ ٧/١٠ عِدَا الْأَخِيرِ .

إِنْ غَبَتْ عَنْهُ فَمَا تَغَيَّرَ مِنْهُ يَا
وَالْقَلْبُ بَيْتُ هَوَاكَ رَاحَ كَأَنَّهُ
وَكَذَا يَكُونُ أَخُو الصَّفَاءِ إِذَا نَأَى
مَوْلَايَ غَيْرُ الْجِسْمِ بَعْدَ دُمُوعِهِ
بَيْتُ الْعَرُوضِيِّينَ فِي تَقْطِيعِهِ
عَنْهُ الْخَلِيلُ أَبُو الصَّفَاءِ جَمِيعِهِ^(١)

وكتب هو إلي وقد انقطعت عنه لضرورة ، والتزم الثاء : [من الكامل]

يَا ذَا الَّذِي قَطَعَ الزِّيَارَةَ مَا الَّذِي
لِلْفَضْلِ بَعْدَ الْوَصْلِ مِنْكَ قَدْ اقْتَضَى
أَنَا لَمْ أُغَيَّرْ عَادَتِي مَعَ أَنَّهَا
مَا قَدْ عَلِمْتَ عَوَائِدُ لَا تُرْتَضَى
فَلَا إِلَيَّ شَيْءٌ أَنْتَ تَقْطَعُ عَادَةً
مَرْضِيَّةً وَتَسْلُ سَيْفًا مُنْتَضَى

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ مُلتزماً : [من الكامل]

حَاشَا عَوَائِدَكَ الْكَرِيمَةَ أَنَّهَا
تُلْفَى إِذَا أَنْصَفْتَهَا لَا تُرْتَضَى
يَا مَنْ إِذَا نَظَّمُ الْقَرِيبُ بَدِيعَةً
فَاتِ الرِّضَى سَبَقًا وَفَاقَ الْمُرْتَضَى
وَإِذَا أَلَحَ بِفَهْمِهِ فِي مُشْكِـلٍ
جَلَى دُجَاهُ لِأَنَّ ذَاكَ الْمُرْتَضَى^(٢)
وَعِدَاتُهُ تَمْضِي فَمَا تَحْتَاجُ مِنْ
كَرَمِ السَّجِيَّةِ فِي النَّدَى أَنْ تُقْتَضَى
وَإِذَا دَجَا خَطْبُ الرَّدَى فَبُوجْهِهِ
وَبِرَائِهِ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ يُسْتَضَى
زِدْنِي جَفَا حُوشِيَّتٍ مِنْهُ أَزْدَدُ وَفَا
وَالْقَ الرَّدَى بِي تَلْقَ سَيْفًا مُنْتَضَى
لَا زَالَ جُودَكَ صَوَّبَ مُزْنَ هَاطِلٍ
يُطْفِي مِنَ اللَّأْوَاءِ جَمْرًا مُحْتَضَى^(٣)

● وكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ حَلَبَ المحروسة ، وقد عَزَلَ عَنْ مَنَصِبِ الْقَضَاءِ :

[من الطويل]

أَلَا مَا لِهَذَا الْعَصْرِ لَا رُزْقَ الْبَقَا
يُغَادِرُنِي مِنْ حَيْرَتِي فِيهِ مُطَرِّقَا

فَكَمْ رَاعٍ مِنْ رَوْعٍ بِصَوْبٍ مُصِيبَةٍ
وَكَمْ خَصَّ بِالْكَدِيرِ صَفْوَ مَسَرَّةٍ
وَأَبْعَدَ عَنْ أَوْطَانِهِ كُلِّ أَلْفٍ
خَلِيلِي أَبَا نَضْرٍ أَبْعَدَ اتِّحَادِنَا
فَغَوِذْتُ رَهْنَ الدَّلِّ فِي حَلَبٍ كَمَا
فَلَا أَنَا فِي الشَّهْبَاءِ لَاقِيْتُ رَاحِمًا
وَقَدْ كُنْتُ فِي حَالٍ تَسْرُ حَوَاسِدِي
فَغَادَرَنِي سَكْرَانٍ مِنْ خَمْرَةِ الرَّدَى
أَبَيْتُ سَمِيرًا لِلْكَأَبَةِ وَالْأَسَى
بِجِسْمٍ غَدَا مِنْ حَادِثِ الْبَيْنِ مُخْلَقًا
لَقَدْ زَادَنِي غَيْظًا عَلَى الدَّهْرِ كَوْنُهُ
وَلَمْ يَزَعْ فِيكَ الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالنُّهَى
وَحُسْنُ تَلْقَائِي زَائِرِيكَ بِطَلْعَةٍ

[٨٠ ب] بها البشرُ يَكْسُو الصُّنْحَ فِي الْأَفْقِ رَوْنَقًا^(٣)
وَتِلْكَ التَّصَانِيفُ الَّتِي كَلِمَاتُهَا
كُدِّرُ عَلَى جِنْدِ الْكَوَاعِبِ مُنْتَقَى
فَمَا مُخْرَقٌ إِلَّا سَقَتُهُ عُلُومُكَ الْـ
حَيَاءَ فَتَبْدَأُ بِالْحَدَائِقِ مُخْدِقًا^(٤)
وَدَرْسًا غَدَا فِي الْفِقْهِ صَمَتٌ بُحُونُهُ
أُصُولًا وَتَفْسِيرًا وَنَحْوًا وَمَنْطِقًا
وَبَحْثًا يُرِينَا لِلصَّوَابِ إِذَا بَدَا
جِيَادُكَ مِنْ دُونِ الْمُجَارِينِ سُبْقًا
وَلَفْظًا غَدَا بِالْجَبْرِ فِينَا مُقَيَّدًا
وَكَفَا غَدَا إِخْسَانُهَا الْجَمُّ مُطْلَقًا

(١) في ب : × بعدنا

(٢) أقحم ناسخ ب سبعة عشر بيتاً من هذه القصيدة ضمن جواب السبكي ، بدءاً من هذا البيت .

(٣) سقط هذا البيت من ب .

(٤) المُحْرَق : العطشان . وفي ب : فما مترف . . . × .

(١) وسقط ما بعد ذلك من س إلى آخر الترجمة . ورواية هذا البيت في م : . . أخو الوفاء إذا نأى × .

(٢) المُرْت : المفازة . وضأ : أضاءة .

(٣) محتضاً : متزايداً . (اللسان) .

فكم راح سَمْعٌ مِنْ حُلَاكَ مُشْتَفَاً
 أَلْيَامَ تَاجِ الدِّينِ قَدْ زَلْتَ بَعْدَمَا
 وَأَنْسَيْنَا مَا كَانَ يَذْكُرُهُ الْأُولَى
 وَدُقْنَا بِكَ الْكَأْسَ الَّتِي خَنْدَرِيسُهَا
 وَفَضْلُكَ مَا يَخْفَى وَقَدْ مَلَأَ الْمَلَا
 لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَجْدَ لَيْسَ بِهِيْنِ
 وَمَا هَضْبَاتُ الْفَضْلِ مِمَّا تَطَامَنَتْ
 لَيْزِنْ كُنْتَ بَعْدَ الْحُكْمِ فِي النَّاسِ عَاطِلًا
 فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا وَاهِبٌ ثُمَّ سَالِبٌ
 وَقَدْ نَلْتَ مَا تَخْتَارُهُ مِنْ وَلَايَةٍ
 وَلَا تَنْسَ إِنْ جَالَتْ بِفِكْرِكَ خَطَرَةٌ

● فكتب هو الجواب إلي عن ذلك ، من جملته : [من الطويل]

هُوَ الدَّهْرُ لَا يَنْفَكُ لِلْخَرِّ مُقْلِقًا
 يُعَيِّرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَذُو النَّهْيِ
 وَمَنْ يَكُ بِاللَّهِ الْمُهَيِّمِ عَارِفًا
 وَعِنْدِي بِحَمْدِ اللَّهِ صَبْرٌ بِمَا قَضَى
 فَلَوْلَاهُ بِالْمَمْلُوكِ كَانَ جَوَابُهُ
 وَلَكِنْ دَهَانِي نَحْوُ تَضَرُّفِهِ الَّذِي
 ● وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ أَهْنُهُ ، وَقَدْ عَادَ إِلَى مَنْصِبِهِ قَضَاءِ الْقَضَاةِ ، فِي شَوَّالِ سَنَةِ

٧٥٩ : [من الكامل]

(١) نهاية الإحجام في جواب السبكي في ب .

(٢) سقط من ب .

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَفْرَقَا يَأْتِنِ اللَّهُ مَكَلًّا مِّن سَعَتِهِ ﴾ [النساء : ١٣٠] .

بِرُجُوعِ تَاجِ الدِّينِ قَاضِي الشَّامِ
 قَاضِي الْقَضَاةِ الْفَاضِلُ الْحَبْرُ الَّذِي أُنْزِلَ
 نَالَ الْكَوَائِبَ قَاعِدًا لَا قَائِمًا
 مِّنْ قَوْمُهُ الْأَنْصَارُ لَا عَجَبٌ لَهُ
 وَالْخَزَرَجِيُّونَ الْأُولَى نَسَلُوهُ أَوْ
 وَهُمْ أَيْمَةٌ مِّنْ قَضَى بَيْنَ الْأَنَا
 فِي ذُرْوَةِ شِمَاءَ تَغْلُو بِالتَّقَى
 لَمَّا تَوَلَّى أَقْبَلَ الْخَيْرُ الَّذِي
 أَفْنَى فَلَا يَغْنَى مَدَى أَيَّامِهِ
 نَاءٌ عَنِ الشَّهَوَاتِ لَيْسَ تَقْوَدُهُ الذِّ
 عَارِ مِنَ الْعَارِ الَّذِي أَطْمَارُهُ
 مُتَمَسِّكٌ بِالْحَقِّ فِي أَفْعَالِهِ
 ذَهْنٌ يَغُوصُ عَلَى الْحَقَائِقِ لَا كَمَنْ
 انْظُرْ فَتَاوِيهِ الَّتِي مِنْ حُسْنِهَا
 كَتَمَ التَّقَى لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ
 هَذَا الَّذِي قَدْ رَاحَ فِيهِ مَضَرَّةٌ
 فِي الْفِقْهِ مِثْلُ الرَّافِعِيِّ وَالتَّخَوِ مِثْ
 وَكَذَا الْحَدِيثُ فَإِنَّهُ فِي عِلْمِهِ
 وَكَذَا أَصُولُ الدِّينِ وَالْفِقْهُ انْزَوَى
 وَكَذَا الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ فَصَاحِبُ الْ

أَضْحَى الْهَنَاءَ مُوقَّرَ الْأَقْسَامِ
 قَادَتْ لَهُ الْعُلْيَا بِغَيْرِ زِمَامٍ
 مَنْ ذَا يَسُومُ فِعَالَهُ وَيُسَامِي
 إِنْ صَارَ مُزْتَفِعًا عَلَى الْأَقْوَامِ
 فَيُفْنَى مَنْ يَفْنَى لِمُجِبِّهِ بِذِمَامٍ
 مِ يَبْقُظُهُ وَهُمْ أُولُو الْأَخْلَامِ
 وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ زُكْنَ شِمَامٍ
 قَدْ كَانَ فِي حُجُبٍ مِنَ الْإِحْجَامِ
 فِي الْعِلْمِ لَمْ يَطْعَمْ لَذِيذَ مَنَامٍ
 دُنْيَا إِلَى مَغْنَى هَوَى وَغَرَامٍ
 غَطَّتْ غَوَارِ سِوَاهُ بِالْآثَامِ
 مُتَوَقِّعٌ بِالْعَذْلِ فِي الْأَحْكَامِ^(١)
 [١٨١] خَاضَ الْخَطَا أَوْهَامَ فِي أَوْهَامِ
 تُشْفِي غَلِيلَ صَبَابَةٍ وَهِيَامِ
 كَتَمَ الشَّدَا مِنْ عَزْفِهِ النَّمَامِ
 لِلشُّرْكِ مِثْلُ مَسَرَّةِ الْإِسْلَامِ
 لِي الْفَارِسِيِّ وَالْبَحْثِ كَالنَّظَامِ
 وَرِجَالِهِ عِلْمٌ مِنَ الْأَعْلَامِ
 فَلَكُمْ شَفَاءٌ مِنْ ضَنْئِي وَسَقَامِ
 عَنْهُ الْإِمَامُ فَلَمْ يَكُنْ بِإِمَامِ
 مِفْتَاحِ سَلَمِهِ لَهُ بِسَلَامِ

(١) في ب : × مستوثق

وكذا القريض فما يسق غباره
قال الحسود وقد أتى تقليده
فالصبح قد ملأ الوجود بشائراً
والنهر صفق والعصون تراقصت
والترجس انفتحت لواجظه وشم
والأقحوان بروضه يفتقر عن
والرؤض حلى جنده بأزاهير
نشرت مطارفه التي ما طرزت
هذا وأصحاب الهناء من الوري
قد حبروا الأمداح فيه وحرروا
وجلوا على الأسماع فيه عرائساً
لو يقدرون سعوا على وجناتهم
فأردت أن أجري سكب قريحتي
لا زال في سغد مدى الأيام ما
يقبل الأرض، ويهني نفسه والأنام، وليالي هذا العصر والآيام،
والقضايا والأحكام، وأصحاب السيوف وأزباب الأقلام، والمسلمين قاطبة
والإسلام، وأزباب الطيالس والأعلام، بما من الله عز وجل به من هذه العود
المباركة، التي جمجم ضميرها زماناً وصريح، وأفشى سرها المبارك بعدما
لوى عنقه جينا ولوح، وقابل نسخة ظهورها وصحح، فالقلوب قد اثلاثت
سروراً، واستطيرت حوراً، والأبصار قد قرئت، والبصائر قد زادت نوراً (١) :

[من البسيط]

(١) البيت لابن النيه، في ديوانه ٩٢ والتذكرة الفخرية ٣٠١ (دمشق).

وكوكب الصبح نجاب على يده
مخلق تملأ الدنيا بشائره
ويهي أنه لما بلغه هذا الخبر الذي مبتدأه مرفوع، وصدفه غير مطعون فيه
ولا مدفوع، ومفرد لذاته في الأسماع لا يوجد في مجموع؛ أراد المبادرة
بالهناء، والمسابقة إلى إظهار هذه المسرة الوافية بالنعماء، فك ختم ضميره
لما فكر، وقد عنق تطاوله لما قدر، وكتر راجعاً وأتاب واستغفر، وقال (١) :

[من الكامل]

ومن العجائب أنني هئأه وأنا المهئأ فيه بالنعماء
[٨١ب] ثم إنه اذكر فأمسك، وقال : اذكر يومك وخل أمسك، وأعرف
لمن تخاطب وأرحم نفسك، وتمسك بأذيال الإغضاء، وخف نار المهابة أن
تمسك؛ فأحجم المملوك إذ ذاك، وقال : العجز عن درك الإدراك
إدراك (٢) (٣) : [من مجزوء الكامل]

وإذا سكرت فإنتبي رب الخوزنق والسدير
وإذا صحت فإنتبي رب الشؤنية والبعير
وقد بعث المملوك بهذه القصيدة الميمية، وهي تعوم في يَم من الخجل،
وتجبر وراءه ذيل التقصير والوجل؛ والمسؤول من صدقات مولانا الوقوف
عليها، والصدقة بنظره إليها، وتغيط مساويها، وعدم عرضها على من
يُنَاوِيها؛ والله يمتنع الأنام بهذه الآيام، ويجبر وليها إن عام فيما يراه من
الإنعام، إن شاء الله تعالى.

(١) البيت للصاي، وقد مضى.

(٢) صدر بيت للإمام علي رضي الله عنه، في ديوانه ٣٠٤. وتماه :

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن سر ذات السر إشراك

(٣) البيتان للمنخل الشكري، في الأغاني ٤/٢١ والأصمعيات ٦١.

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ عن ذلك : [من الكامل]

أَبْدَأُ لِلْفِطْكَ بِهَجَّةِ النَّظَامِ
وَعَلَامَةٌ شَهِدْتَ بِأَنَّكَ بَيْنَنَا
هَلْ ذَاكَ نَجْمٌ فِي سَمَاءِ فَصَاحَةٍ
أَوْ جَوْهَرٌ فِي الْبَحْرِ نَاءٍ غَائِصٍ
أَوْ خَنْدَرِيسٌ بِالْعُقُولِ تَلَاعَبَتْ
شَيْخُ الْكَلَامِ وَذِي النَّظَامِ أَخِي الْعِظَا
رَبِّ النَّصَايِفِ الَّتِي سَارَتْ وَمَا
سَامٍ عَلَى الشَّيْخِ ابْنِ بَسَامٍ لَهُ
فِي ذُرْوَةِ الْفُصْحَاءِ أَضْبَحَ صَاعِدًا
مَعْنَى الْكَمَالِ تَطُّهُ فِي لَفْظِهِ
فَلْتَفُضِّلِ الشُّهْبَاءُ كُلَّ مَدِينَةٍ
شَرُوتْ بِمَوْلَانَا وَقَدْ شَرُوتْ بِهِ
إِنَّهُ لَعَمْرُ أَيْبِكَ لَهُوَ فَخَارٌ هَدٍ
مُتَيْقِظٌ وَالْقَنُومُ أَتَقَاطُ وَإِنْ
حَبْرٌ مِنَ الْأَعْلَامِ فَرَّدُ زَمَانِهِ
لَا زَالَ يَغْلُو وَالزَّمَانُ مُسَاعِدٌ
يُقْبَلُ كَذَا ، شَرَّفَهُ اللَّهُ وَعَظَّمَهُ ، وَأَدَامَ مِنْهُ لِأَوْلِيَائِهِ فَضْلًا يُكَاثِّرُ مَطَرُ السَّمَاءِ
وَرِدْمَهُ ، وَأَبْقَى مِنْهُ لِإِخْلَانِهِ خَلِيلًا لَا يَسْتَلِمُ الْوَفَاءُ إِلَّا مُلْتَزِمَهُ .

وَيُنْهِي وَرُودَ كِتَابِهِ الَّذِي هُوَ أَبْهَى مِنَ الْوَشْيِ الْمَرْقُومِ وَأَبْهَجَ ، وَالْهَيْ

(١) في م : × . . . كل غلام .

(٢) في م : . . . أفصح صاعداً × .

بِالْعُقُولِ ؛ لَا أَذْرِي بَيْنَ يَدَيَّ مَوْلَانَا مَا أَقُولُ ، لَوْلَا الْأَدَبُ قَالَ اللَّسَانُ : مِنْ
الْعُقَارِ وَالْهَجْ ؛ وَأَنْتَهِى الْمَمْلُوكُ مُطَالَعَةً أَوَامِرِهِ وَمَا طَرَفَهُ فِيهِ مِنَ الْحَقَائِقِ
وَأَنْتَهَجَ ، فَوَجَدَ سَجِيَّةً تَسْحَبُ عَلَى الْبِلَادِ ذَنِيلَ أَرْجِحَهَا ، وَتُقَابِلُ الْإِضْبَاحَ بِضَوْءِ
بَلَجِهَا ، وَتُكَافِيُ الْكَوَاكِبَ فِي دَرَجِهَا ، وَكِتَابًا سَاطِعًا نُورُهُ ، وَشَمْسُ السَّمَاءِ
فِي غُرُوبٍ ، جَامِعًا لِأَقْسَامِ الْفَضَائِلِ الْكَثِيرَةِ الشُّعُوبِ ، [١٨٢] طَالِعًا فِي أُفُقِ
الْفَخَارِ عَلَى أَحْسَنِ أُسْلُوبٍ .

وَرَدَ فِي أُخْرِيَاتِ نَهَارِ أَمْسٍ ، فَقَامَ الْمَمْلُوكُ بِوُضُوفَةِ الدُّعَاءِ طُولَ لَيْلَتِهِ
الذَّاهِيَةِ ، وَجَلَّى بِأَثْنَيْتِهِ الْعَاطِرَةَ مِنْ ذَلِكَ اللَّيْلِ غِيَاهُ ، وَفَرَّقَ فِي أَعْمَالِ الثَّنَاءِ
مَذَاهِبَهُ ، ثُمَّ خَدَمَ بِهَا تِلْكَ الْعَتَبَاتِ الشَّرِيفَةِ ، وَقَدْ خَدَمَهَا قَبْلَهُ طَالِعُ الصَّبَاحِ ،
وَأَشَارَ بِهَا إِلَى لَثَمِ تِلْكَ الْأَرْضِ ، وَقَدْ لَثَمَهَا قُدَّامُهُ مِقْسَمُ الطَّلِّ فِي ثَرَى تِلْكَ
الْبِطَاحِ ، وَجَهَّزَهَا لِتَقُورَ بِغَرَضٍ^(١) التَّقْبِيلِ شِفَاهًا ، وَأَكْثَرُ وُدَّهُ لَوْ سَابَقَتْ
الرِّيَاحُ ، وَاسْتَمَرَّ هُوَ عَلَى الدُّعَاءِ الَّذِي بَاتَ عَلَيْهِ فِي دَارِهِ ، وَقَعَدَ مُبْتَهَلًا إِلَى أَوَّلِ
النَّهَارِ ، وَسَيَجْرِي عَلَيْهِ إِلَى تَمَامِ نَهَارِهِ ، وَيَدُومُ عَلَيْهِ حَتَّى يَلْبَسَ الْيَوْمَ ثَوْبَ
غِيَاهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^(٢) .

● وَكَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، سَنَةِ ٧٦٤^(٣) :

[من مجزوء الكامل]

لَا تَبْكِيَا مَاءً تَسْنَنُ
خَلَّ أَدْكَارَكَ فَالْعُيُ
وَدَعَ الرُّسُومَ الْمُسْتَحْجَنَةَ
نُ كَلِيلَةً أَثَارَ دِمْنَتِهِ
وَاهْجُرْ غَزَالَ نَارٍ خَذَ
ذِيهِ إِذَا حَفَقَتْ جَنَّتُهُ

(١) في م : يفرض .

(٢) وسقط إلى نهاية الترجمة من ب .

(٣) طبقات الشافعية للسبكي ٩/١٠ - ٢٠ ؛ وتاريخ الرسالة عنده سنة ٧٦٣ . وعشرة أبيات منها في درر
العقود الفريدة ٣٧٦/٢ .

وَسَنَانُ كَمْ نَبَّهْتُه
مُتَغَابِلٌ أَدْعُوهُ مِنْ
فِي النَّفْسِ حَاجَاتُ إِلَيَّ
فَرَضُ عَلَى الْعَيْنِ الْبُكَاءُ
أَخَوِي بِدَيْعِ الْحُسْنِ ظَبْ
وَلَهُ مَعَاطِفُ مَا دَعَا
هَذَا وَذَا مَنَعَ أَنَّه
وَيَخَافُ مَنْ وَاشِرَ لَهُ
وَقَدْ فَضُولِي تَقْلُدُ
بَكَرَ الْعَوَازِلُ فِي الْغَرَا
وَيَقْلُنُ : شَيْبٌ قَدْ عَلا
أَبْرَزَنَ لَمَّا لُمْنٌ قَدْ
فَتَحَرَّكَتْ نَفْسٌ عَلَى
قَدْ هَجَنَ حِينَ عَذَلْنَهَا
أَنْتَى يَصِيحُ مِنَ الْعَوَا
هُمْ جَمْعُ تَكْسِيرٍ تُصَرِّ
فَاهُجَزُهُمُ الْهَجَرَ الْجَمِيدَ
وَأَذْكَرُ صَفَاءِ أَبِي الصَّفَا
السَّيِّدُ الْبَقِيطُ الْأَعَزُّ
وَالْتَذَبُ ذُو الْهِمَّاتِ مَا

(١) البيت والذي يليه لابن قيس الرقيات ، في ديوانه ٦٦ . ورواية الأول في الديوان :
بَكَرَتْ عَلَيَّ عَوَازِلِي بَلْحِنِّي وَالْوَمُوهُ

وَالْجُودُ مِثْلُ الْجَوْدِ يَسْ
وَالْعِلْمُ كَالْجَبَلِ اغْتَلَّتْ
وَالْجِدُّ يَنْهَضُ لَوْ تَعَا
وَالْأَيْدُ يَبْطِشُ لَوْ تَغَا
مُتَدَرِّجٌ ثَوْبُ الثَّقَى
مُتَقَنَّسٌ بَخْرٌ إِذَا
أَدَبٌ نَضِيرٌ يُسْتَحْبُ
وَلَهُ بَنَاتُ الْفِكْرِ سُنْدُ
فِكْرٌ إِذَا عَايَنَ مَعْدُ
وَعُلُومٌ دِينٍ لَمْ يُخْلَدْ
وَجَلِيلٌ قَلْبٌ دَقَّ فَهْ
[٨٢ ب] يَا أَيُّهَا الْخَبْرُ الَّذِي
لَوْ فَضَّلَ الْخَيَّاطُ قَا
أُسْدِي وَالْجِمُّ لَسْتُ أَقْدُ
وَلَوْ أَنَّ الْأَفْوَ حَاضِرُ
وَعَدَا الصَّرِيحُ بِهِ كَدِيدُ
دُمٍ وَابِقٌ مَا بَقِيَ الزُّ
وَلَقَدْ سَدَرَكِ الْعَالِي الْعُلُو

يُقْبَلُ كَذَا ، لَا يُبْعَدُ اللَّهُ دَارَهَا ، وَلَا يُجَاوِزُ إِلَّا بِالْجَوَازِ بِمِقْدَارِهَا ، وَلَا
يُسْمِعُهَا مِنْ أَنْبَاءٍ مَنْ أَعْلَنَ لَهَا أَوْ سَارَهَا إِلَّا سَارَهَا ، تَقْبِيلًا يَقُومُ بِسَنَةِ الْقَرَضِ ،
وَيُعْرِبُ عَنْ مَبْنِيٍّ وَدَّ كَامِلِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ ، وَيُفْصَحُ عَنْ خُضُوعٍ لِفَضْلِهِ ، فَإِذَا

أَنْشَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْشِدٌ : بَلَّغْنَا السَّمَاءَ^(١) ، تَلَا هُوَ ﴿ فَلَنْ أُنْبِرَحَ الْأَرْضَ ﴾ [يوسف : ٨٠]
وَأَنْشَدَ : [من المنسرح]

مَنْ أَجَلِكَ قَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي أَرْضًا لِلصَّادِرِ وَالْوَارِدِ حَتَّى تَرْضَى^(٢)
ويُنْهِي بَعْدَ وَصْفِ اعْتَدَهُ دِينًا ، فَتَسَلَّمَ كِتَابَهُ بِالْيَمِينِ ، ثَابِتٌ يَزِيدُ حَلَاوَةً
إِيمَانِهِ فِي الْقَلْبِ مَرُّ السَّنِينَ ، بَاقٍ لَا يَتَبَدَّلُ إِذَا غَيَّرَ النَّاسُ الْمُحِبِّينَ^(٣) : [من
البيسط]

مَا غَيْرَ الْبُعْدُ حَالًا كُنْتُ تَعْرِفُهُ وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَ الذِّكْرِ نِسِيَانًا
وَلَا ذَكَرْتُ خَلِيلًا كُنْتُ أَلْفُهُ إِلَّا جَعَلْتُكَ فَوْقَ الْكُلِّ عُنْوَانًا
أَنْ مُوجِبٌ تَأْخِيرِ كُتُبِهِ مَحْضُ الْاِقْتِدَاءِ ، وَالسَّيَرِ عَلَى سُنَّتِكُمْ فِي قِلَّةِ الْكُتُبِ
مَعَ كَثْرَةِ الْوَفَاءِ ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ رَفَعَ أَبُو رَافِعٍ « مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ » إِلَى سَيِّدِ
الْأَنْبِيَاءِ^(٥) ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْقَلِبُ مُعْتَدِرًا عَنْ تَهْجُمِهِ بِهِذِهِ الضَّرَاعَةِ ، مُبْتَدِرًا إِلَى
ذِكْرِ الْفَارِقِ حَيْثُ أَطَالَ لِسَانَهُ وَبَاعَهُ ، مُزْدَجِرًا عَمَّا لَعَلَّهُ ذَنْبٌ إِذَا عَلِمَ مَوْلَانَا بِهِ
سَامَهُ الْبُعْدُ وَبَاعَهُ ، فَيَقُولُ : قَيْدُ الْحُبِّ أَطْلَقَ لِسَانِي ، فَأَعْرَبَ عَنِ الْمَبْنِيِّ عَلَى
السُّكُونِ ، وَسَرَّحَ يَدِي فَحَطَّطَ مَا هُوَ فِي لَوْحِهَا الْمَحْفُوظِ مَصُونٌ ، وَأَذِنَ لِي
فَتَصَرَّفْتُ فِي الْكِتَابَةِ ، وَكَيْفَ لَا يَتَصَرَّفُ الْعَبْدُ الْمَأْذُونُ ؛ فَأَصْدَرْتُ هَذِهِ الْوَارِدَةَ

مُدِلًا بِأَنِّي مِنْهُمْ وَهُمْ مِنِّي وَهَذَا الْمُتَى ، وَقُلْتُ : اسْأَلِي عَنْهُمْ وَخَبِّرِي عَنِّي
حَاشَاكَ مِنْ عَنَا ، وَبَادِرِي مَوْلَاكِ وَلَا تَخْشَيْ أَنْ يُقَالَ : مَا أَتَى بِكِ هَاهُنَا ؟
وَتُخَذِي مِنْ شَرْحِ الْحَالِ فِي كُلِّ فَنٍّ ، وَكُونِي مَمَّنْ إِذَا سَمِعَ صَالِحًا أَذَاعَ ، وَلَوْ
سَمِعَ طَالِحًا أَوْ رَيْبَةً لَدَفَنَ ، وَأَطْلِقِي الدَّمَعَ وَلَا تَخَافِي أَنْ يُقَالَ : مَا هَاجَ الدَّمُوعَ
الدُّرْفَنَ^(١) ، وَاعْتَمِدِي عَلَى الْمُسَامَحَةِ فَهُمْ أَهْلُهَا ، وَاتَّخِذِي إِخْلَاصَ الْوَلَاءِ
ذَرِيعَةً أَنْ لَا يَنْتَقِدُوهَا ، وَثَقِي بِهِمْ فَهُمْ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجُوهًا وَأَنْصَرُهُمُوهَا^(٢) :
[من الطويل]

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبَةً
الْمَمْلُوكُ يُنْهِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ مُسْتَبْشِرًا ، وَبَاعَ الْأَسْفَلَ بِالْأَعْلَى وَتَلَا :
﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [التوبة : ١١١] فَحَمِدَ الْمُشْتَرَى ،
وَوَصَلَ إِلَى مِصْرَ مُسْرُورًا ، وَمَا شَكَا إِلَيْهِ جَمَلُهُ طُولَ الشَّرَى^(٣) ، بَلْ حَمِدَ سَيْرَهُ
خَيْلَ الْبَرِيدِ ، وَبِهِمُ اللَّيْلُ وَسَاحَةُ الْبَيْدَا ، وَقَدَمَ فَنَزَلَ جَوَارَ الْبَحْرِ ، فَقَالُوا :
نَزَلَ [٨٣ ب] مَاءُ السَّمَاءِ ؛ وَكَادَ يُشِيدُ^(٤) : [من الوافر]

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلَا أَمَامِي تَخُبُ بِسِي الرُّكَّابِ وَلَا وَرَائِي

(١) من قول العجاج ، في ديوانه ٤٨٨ (عزّة) ٢/٢١٩ (سطلي) :

يا صاح ما هاج الدَّمُوعُ الدُّرْفَا

(٢) البيت لأبي الطَّمْحَانِ الْقِنِي فِي الْإِعْجَازِ وَالْإِيْجَازِ ١٨٢ وَالْأَغَانِي ٩/١٣ وَكَامِلُ الْمَبْرَدِ ٦٨/١
و٣٤/٢ . وَشَرْحُ الْحِمَاسَةِ لِلْمَرْزُوقِي ١٥٩٨/٤ وَأَشْعَارُ الْلُصُوصِ ٧٤/١ . وَنَسَبُهُ الْجَاحِظُ فِي
الْحَيَوَانِ ٩٣/٣ إِلَى لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ .

(٣) من قول الزَّاجِزِ : [حياة الحيوان « الجميل »]

شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ الشَّرَى يَا جَمَلِي لَيْسَ إِلَيَّ الْمَشْتَكَى
صَبْرًا جَمِيلًا فَكَلَانَا مُبْتَلَى

(٤) البيت للمَتَنَبِيِّ ، فِي دِيَوَانِهِ ١٤٥/٤ بِرَوَايَةٍ : ... فَلَا وَرَائِي × ... وَلَا أَمَامِي .

(١) إشارة إلى قول النابغة الجعدي : [وقد مضى]

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدُونَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

(٢) في م : ... قَدْ جَعَلْتَ خَلْدِي ... × .

(٣) من قول ذي الرُّمَّةِ : [ديوانه ١١٩٢/٢]

إِذَا غَيَّرَ النَّاسُ الْمُجِبِّينَ لَمْ يَكُذْ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَرِخُ

(٤) الْبَيْتَانُ لِلزَّيْرِ بْنِ بَكَارٍ ، فِي بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ ١/٣٦٠ بِاخْتِلَافٍ فِي الرُّوَايَةِ .

(٥) أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ٨/٦ وَ٣٩٠ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَا أَبَا رَافِعٍ ، إِنَّ الصَّدَقَةَ حَرَامٌ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، إِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ » .

ولم يُشَدَّ^(١) : [من الكامل]

دُمَ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللَّوَى والعَيْشَ بَعْدَ أَوْلِيكَ الْإِيَّامِ
لِكَثْرَةِ مَا لَقِيَ مِنَ التَّعْظِيمِ الَّذِي لَوْ شَعَرَ بِهِ الْعَدُوُّ لَمَا نَظَّمَ أَسْبَابَهُ ؛ خَيَّمَ
الْمَمْلُوكُ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَسَارَ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ يَحْسِبُ كُلَّ خَيْرٍ ، فَمَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى أَطْنَابَهُ ، وَوَرَدَ حَيْثُ قَصَدَ ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ﴾ [النور : ٣٩]
وَلَمْ يَخْشَ لِحُسْنِ ظَنِّهِ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا ، وَلَمْ يُنَادِهِ كُلُّ مُحِبٍّ إِلَّا بِهَكَذَا
هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا^(٢) ، وَقَالَ كُلُّ أَمْرِيءَ : أَنْتَ الْحَكَمُ التَّرَضَى حُكُومَتُهُ^(٣) ،
هُنَاكَ هُنَاكَ ، وَأَشَدَّ^(٤) : [من البسيط]

اللَّهُ أَعْطَاكَ فَضْلًا مِنْ عَطِيَّتِهِ

وَأَوَّلَاكَ ، وَبَالَغَ فِي الْبِشْرِ ، وَمَا كُلُّ مَنْ يُبْدِي الْبَشَاشَةَ كَانَتْ أَسْوَكَ^(٥) ، بَلِ
رُبَّمَا حَسِبْتَهُ إِثَّاكَ .

وَأَمَّا زُمَرُ الْأَعْدَاءِ ؛ فَكُلُّ مِنْهُمْ عَبَسَ وَتَوَلَّى ، وَتَبَيَّنَ لَوْلِي الْأَمْرِ أَنَّ لِمِثْلِهِ
يُقَالُ : نَوْلُهُ مَا تَوَلَّى ، وَنَادَيْتُ كُلًّا مِنْ زَاجِرِي عَنْ حُضُورِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ^(٦) : [من
الطويل]

(١) البيت لجبر ، في ديوانه ٩٩٠ / ٢ .

(٢) من قول المتنبي : [ديوانه ١٣٤ / ٣]

ذِي الْمَعَالِي ، فَلْيَعْلَمَنَّ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا
(٣) من قول الفرزدق : [ليس في ديوانه . وهو في خزانة البغدادي ٣٢ / ١]

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التَّرَضَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلَ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ
(٤) صدر بيت لإبراهيم بن هرمة [ديوانه ٢٢٣] وعجزه :

عَلَى هَرْنٍ وَهَرْنٍ فِيمَا مَضَى وَهَرْنٍ

(٥) من قول الشاعر : [شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٣٣ / ١]
وَمَا كُلُّ مَنْ يُبْدِي الْبَشَاشَةَ كَانَتْ أَسْوَكَ إِذَا لَمْ تَلْفِ لَكَ مُنْجِدَا

(٦) من قول طرفة : [ديوانه ٣١] وعجزه :

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَخْضَرَ الْوَعْدَ

أَوَّلِي لَكَ فَأَوَّلِي ، وَلَقَدْ اسْتَوَلَى الْحَقُّ عَلَى عَرْشِهِ وَاسْتَوَى ، وَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ
الْإِخْرَاجَاتِ جِرَاحَاتِ الْأَهْوِيَةِ ، وَالْأَغْرَاضِ قَائِلَةً : لَا نَبْرُخُ نَحْنُ ﴿ وَلَا أَنْتَ
مَكَاكَسُوِي ﴾ [طه : ٥٨] .

فَلَمَّا طَلَعَ صُبْحُ الْحَقِّ عَلَى مَنْ كَانَتْ أَمْرَضَتْ قَلْبُهُ ، بَانَ وَبَدَأَ لَهُ مِنْ بَعْدِ
مَا أَنْدَمَلَ الْهَوَى ، قَوْمٌ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمُنْصِبَ فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ، وَأَعْجَبُوا
بِالْسِّنَةِ جِدَادٍ ضَلَعَتْ أَعْضَاءَهُمْ ، وَاسْتَكَلَبُوا عَلَى اضْطِيَادِ جَارِحِهِ ، فَطَرَحَهُمْ
قَتْلَى وَرَدَّ أَهْوَاءَهُمْ ، لَمْ يَرْجِعُوا حَتَّى وَقَفَ الْهَوَى ، وَأَهْلَكَهُمْ كُلُّ نَزَاعَةٍ
لِلشَّوَى ، وَقُوْبِلَ كُلُّ أَفَّاكٍ مِنْهُمْ بِمَا نَوَى ، لَعِبَ بِهِمْ شَيْطَانُ الْحَسَدِ ، وَشَدَّ
وَنَاقَهُمُ الَّذِي لَا يُوثِقُ بِهِ بِحَبْلِ مَنْ مَسَدٍ ، وَطَبَعَ عَلَى قَلْبِهِ وَاغْتَالَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ :
غَالَتَكَ إِذْنُ الْعُولُ ، بَلِ اغْتَالَكَ الْأَسَدُ : [من الكامل]

وَلَقَدْ عَذَلْتُ حَلِيمَهُمْ وَنَهَيْتُهُ فَأَبَى وَقَالَ هَوَايَ أَمْرٌ مُحْكَمٌ
« وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ »^(١)
فَأَرَدْتُ أَطْنِبُ قَالَ لِي مُتَبَرِّمًا : أَطْنِبْ أَوْ أَوْجِزْ حَبْلُ كَيْدِي مُبَرِّمٌ
« أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حَسَدًا وَبَغْيًا فَلْتَلْتُمْنِي اللَّوَمُ »^(١)

فَلَمَّا سَمِعْتُ قَوْلَهُ :

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً

وَرَأَيْتُ مِنْ قَلْبِهِ الْمَعَانِي مَا يَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ ضَالَّةَ الْمُؤْمِنِ مَبْذُودَةً ،
وَيَطْبَعَ عَلَى قَلْبِهِ ، وَالْأَفْنِدَةُ بِدُونِ هَذَا مَاخُودَةً ، عَرَفْتُ أَنَّ الْعَدْلَ لَا يَرْجِعُهُ ،
وَأَنَّ الْحَقَّ خَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يُنْجِدُهُ الْوَعْدُ وَلَا يُنْجِعُهُ ، وَأَنَّهُ لَا يِرَالُ يُحَاوِلُ

(١) البيت لأبي الشَّيْخِ ، في ديوانه ١٠١ - ١٠٢ .

سُقُوطَ مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ ، وَأَنَّهُ لَزِمَ إِطْلَاقَ اللِّسَانِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ
لُزُومَ الحَاطِبِ لِلْمَنَابِرِ ، وَكِتَابَةَ البَاطِلِ لُزُومَ الْأَقْلَامِ لِلْمَحَابِرِ ، وَالاِشْتِغَالَ بِمَنْ
تَرَفَّعَ قَدْرُهُ عَنْهُ لُزُومَ الْأَغْرَاضِ لِلْجَوَاهِرِ ؛ [٨٣ ب] عَدَلْتُ عَنْ عَدْلِهِ ، وَاكْتَفَيْتُ
بِالحَكَمِ الْعَدْلَ وَعَدْلِهِ ، وَرَفَعْتُ قِصَّتِي عَلَى يَدَيِ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ ، وَجِئْتُ
فشَاهَدْتُ مِنَ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ وَالسُّلْطَانِ مَا رَغِمَ بِهِ أَنْفُ الشَّيْطَانِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ بِكُنْهِ
ذَلِكَ عَدْنَانُ وَقَحْطَانُ ، وَصِرْتُ الْمَسْئُولَ فِيمَا حَسِبُوا أَنِّي أَحَاوِلُهُ اسْتِغْرَارًا ،
وَالْمُتَضَرِّعَ إِلَيْهِ فِي الْعَوْدِ مِرَارًا ، وَالْمُعْرِضَ عَمَّا حَسَدُوا عَلَيْهِ اسْتِصْغَارًا لِقَوْمٍ
مَكْرُوا مَكْرًا كِبَارًا .

وَحَفَنْتِي مِنَ اللَّهِ أَلْطَافُهُ وَنِعَمُهُ ، وَأُطْلِقَ فِي الشَّاءِ عَلَيَّ - بِفَضْلِ مَنْ هُوَ كُلُّ
يَوْمٍ فِي شَأْنٍ - لِسَانُهُ وَقَلَمُهُ ، وَبَانَ وَوَضَحَ أَنَّ الْعَدُوَّ ظَمَانٌ وَفِي بَحْرِ الْغَوَايَةِ
فَمُهُ ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِبِرَّةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ ،
فَلَسْتُ وَاللَّهِ قَدَرٌ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي تَقَلَّدْتُ عِقْدَهَا الثَّمِينَ ، وَلَا أَنَا مِمَّنْ
يَفْتَحِرُ ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَنْشَدْتُ^(١) : [من الوافر]

وَكَانَ لَنَا أَبُو حَسَنِ عَلِيٍّ أَبًا بَرًّا وَنَحْنُ لَهُ بَنِينَ
ثُمَّ لَمَّا كَانَ قَدْ امْتَلَأَ مِنْ مَاءِ دِمَشْقَ بَطْنِي ، وَنَادَانِي حَوْضُ الْأَمَالِ : قَطْنِي ،
وَسَمِعْتُ نَفْسِي صُدَاعَ الشَّامِ ؛ وَمَاذَا يَزْدَرِي الشُّعْرَاءُ وَغَيْرُهُمْ مِنِّي ، وَرَأَيْتُ هَذَا
الْإِكْرَامَ الَّذِي بَلَغَ عَنَانَ السَّمَاءِ ، وَذَكَرْتُ دِمَشْقَ وَمَا وَمَا أَقُولُ وَكُلُّ دِمَشْقَ
مَا ، قُلْتُ لِمَنْ لَا مِنِّي فِيهَا^(٢) : [من الطويل]

خَلِيلِي مَا وَافٍ بِعَهْدِي أَنْتَمَا

(١) البيت لسعيد بن قيس الهمداني . (معجم شواهد العربية ٣٩٣) .

(٢) عجزه : إذا لم تكونا لي على من أفاطع .

وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَلُومَ أَهْلَ الشَّامِ ، فَقَدْ أَحْسَنُوا وَأَنْعَمُوا^(١) : [من البسيط]

وَمَا أَصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَأَذْكُرُهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمْ
وَإِنَّمَا أَلُومُ فِرْقَةَ قَلْبُوا الْحَقِّ وَبَدَّلُوا الْقُرْآنَ فَصَمُّوا وَعَمُّوا .

فصل :

وَأَمَّا السَّادَةُ الْأَصْحَابُ : فَاَلْمَخْصُوصُ مِنْهُمْ بِعُمُومِ النَّحِيَّةِ ، وَالْمُقْبَلُ كَفُهُ
مِثَّةً ، وَقَالَ السَّجْعُ مِثَّةً ، مَنْ يَجِئُ سَلَامِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَيْهِ ، سَيُّدُنَا الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ
ابْنُ شَيْخِ السَّلَامِيَّةِ^(٢) ، وَالتَّالِي لِهَذَا الْمُقَدِّمِ وَالْأَنْظَارِ ، مَنْ تَحَقَّقْتُ مَوَدَّتَهُ بَعْدَ
الْبَحْثِ مَعَ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْظَارِ ، وَعُرِفَ تَقْوَاهُ فِي التَّقْوِيَّةِ^(٣) وَاهْتِمَامُهُ فِي الْمَعْرُوفِ
وَإِنْ لَمْ يُضْلِحِ الْعَطَّارُ ، ثُمَّ سَائِرُ الْمَخَادِيمِ ، يَقْبَلُ الْمَمْلُوكُ يَدَهُمْ سَيِّدًا سَيِّدًا ،
وَيَخْصُ السَّادَةُ الْأَوْلَادُ الْأَعَزَّةَ فَلَا يَجِدُ إِلَّا مُحَمَّدًا ، وَيَلْتَفِتُ مِنْهُمَا وَمُنْجِدًا^(٤) ،
فَيُنَادِي : أَصْحَابِي ، أَيْنَ مَنْ لَا أَعْدِلُ بِهِ أَحَدًا ؛ كَأَنَّ صَارِمَهُ فَتَكَ فَأَتْبَعَهُ قَوْمًا
بُورًا ، أَوْ نَبَا فَوَجَدَ قَصُورًا^(٥) أَسْكَنَهُ قُبُورًا ، أَتَرَاهُ فِي جِهَةٍ أَمْ لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ
﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ [الحديد : ١٣] .

(١) البيت لزياد بن حمل ، في شرح الحماسة للمرزوقي ١٣٩٢/٣ .

(٢) عَزُّ الدِّينِ ، ابْنُ شَيْخِ السَّلَامِيَّةِ : حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين ، ينتهي نسبه إلى الفتح بن
خاقان وزير المتوكل ، برع في المذهب الحنبلي والخلاف ، وله تصانيف مفيدة ؛ توفي سنة
٧٦٩ هـ بدمشق . (الدارس ٧٥/٢ والوافي بالوفيات ١٨٢/١٣ والمنهج الأحمد ١٣١/٥) .

(٣) المدرسة التقوية : هي من أجل مدارس دمشق ، داخل باب الفرديس ، شمالي الجامع الأموي ،
شرقي الظاهرية والإباليين . (الدارس ٢١٦/١) .

ولعل المشار إليه هو : المعمر الصالح كمال الدين محمد بن القاضي محيي الدين ابن الزكي ،
المتوفى سنة ٧٤٤ هـ .

ودرس بعده بالتقوية القاضي الإمام تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن الشبكي . (الدارس
٢٢٢/١) .

(٤) في م : متهماً ومغوراً ومنجداً .

(٥) في م : قصوراً .

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك ، ولو وُفِّقْتُ لَوَفِّقْتُ وما كَتَبْتُ^(١) :

[من مجزوء الكامل]

وافى مثالك لي كأنه
أبصرته والليل أم
وفضضته فأضاءت الـ
لحمائم الألفاظ منـ
فاللحن منه مطرب
أبيات شعر ضرة
كم مئة أوليت منه
هو جنة بل جنة
[١٨٤] أما البديع فإنه
فيه بدائع ما درى
خلفت مفتاح العلو
وقهرت عبد القاهر الـ
يا حسنه من روضة
أبرزت فضل خلاوة
فأرى معانيه جوا
كم فيه علق مضية
كنز من الأدب استعد
هو كوم تير منه آ

صبح وقد شق الدجئة
سى ذا غياطل مزججته
أنوار من هنا وهناك
ه رنة من بعد رنة
مع أنه ما فيه لحنه
للشمس أول للبلد كنه
وكم به قويت منه
في السر من ناس وجنة
أدغمته فيه بغنة
أهل البلاغة ما اسمهنه
م معطلا وكسرت سته
مسكين حتى حاز حزنه
أزهارها لم تسق مزنه
في النيل كانت مستكنه
فأ والخليل أحب وزنه
لمنى النفوس غدا مظهنة
ت به على فقير ومحنة
خذ حفنة من بعد حفنة

لَوْ أَنَّ جَزُولَ ذَاقٍ مِنْ
وَكَذَا زُهَيْرٍ لَوَرَا
وَأَرَى الْحَزِينَ لِأَجْلِهِ
وَكَذَلِكَ الرَّمَّاحُ كَمْ
وَجَمِيلُ قُبْحٍ فَعْلُهُ
وَكَيْتُ قَدْ قَلَّ حَتَّى
وَأَبُو نُوَّاسٍ لَوَرَا
وَعَدَا فَرَوْقَ كَأَسَهُ
وَأَزَدَ مُسْلِمٌ مِنْهُ عَن
نَظْمٍ يَلِيَّ قَاسِيُو
وَشَفَعَتْهُ بِتَرْشُلٍ
وَنَقَلَتْ فِيهِ شَوَاهِدًا
لَوْ كُنْتَ فِي عَصْرِ مَضَى
مَا جَاءَ حَطُّ الْجَا حِظِّ الـ
وَبَكَى ابْنُ بَسَّامٍ إِلَى
وَالْفَتْحُ أَغْلَقَ بَابَهُ
أَسْفَى عَلَى عَبْدِ الرَّحِيمِ
وَأَتَيْتُ فِيهِ بِمُعْجَزَا
هُوَ مَالِكُ الْإِنْشَاءِ إِنَّ

جزياله لم يلق سجنه^(١)
ه ذوى وما أضبته دمنه
كم أسمع الأقوام أنه^(٢)
في شعره للناس طعنه^(٣)
إذ بُتَّ عنه حديث بشه
تلى أرته عزة كل إهنة
ه لما أقام بدير حنة
ودنا فروق منه دنة
حب الغواني إذ صرغنه
ن ولو أبى لنفشت عهنه
أدرجت لي التسهيل ضمنه
عند ابن مالك مستجنه
يا من أعار الشمس حسنه
معروف في التبيان تنه
أن بل بالعبرات رذنه
ورمى قلائده بمهنه
م فإنه أحملت فته
ت فتته فأصاب فتته
شاء التقدّم لم ينهنه

(١) جزل : الحطية ؛ والإشارة إلى سجنه زمن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

(٢) الحزين الكنانى .

(٣) الرَّمَاح : ابن ميادة .

(١) الجواب شعراً ونثراً في طبقات الشافعية الكبرى للشُّبكي ١٠/٢٠ - ٣٢ .

وإمامنا لكِنَّهُ
لو عاشَ كانَ أُولُو الثُّهَى
ولَقَالَ كُلُّ مِنْهُمْ
هَذَا عَلَيْكَ مُقَدَّمٌ
لكن جَعَلْتَ الشَّامَ بَعْدَ
وِدْمَشْقَ بَعْدَكَ قَدْ تَرَدَّ
لم يُسَقِّ من بَرْدَى الْبَرِيدِ
وكذلك ثُورًا بَعْدَ بَعْدِ
والجَامِعُ الْمَعْمُورُ كَأَنَّ
وَالْقَبْلَةَ الشَّمَاءُ لَيْدِ
كَانَتْ بِهِ الْأَعْطَافُ وَهَدِ
وَالآنَ أَقْفَرُ وَخَشَّةٌ
وَدُمُوعُهُ فَوَارَةٌ
وَعَدَتْ قِيسِي فَنَاطِرِ
وَلَكُمْ نَفُوسٌ مِنْ نُقُورِ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا زُورَةٌ
فَاللَّهُ حَيَّ بِكَ مَا
قَدْ كَادَ حَتَّى كَادَ يَمُوتُ
عَمَلًا بِقَوْلِ مُحَمَّدٍ
« تَخْطِي الْأُمُورُ مَعَ الصُّوَا »

(١) ثورا : من أنهار دمشق ، وهو فرع من بردى ، لا يزال معروفا بهذا الاسم .
(٢) في أ ، ب : × بن مبر . . . وفي م : محمد بن مسير ! . والبيتان الآتيان لمحمد بن مسير في الأغاني ٤٤ / ١٤ وديوانه ١٢٤ .

« كَمْ مِنْ مَضِيٍّ فِي الْفَضَا
[٨٤ب] مَوْلَايَ يَا قَاضِيَ الْقَضَا
وَمُقَيِّلَ عَثَرَةٍ كُلِّ مَنْ
وَمُبْلَغِ الْأَمَالِ ظَمْدِ
أَنَا عِنْدَ غَيْرِكَ فِي الْوَرَى
فَلْأَجْلِ ذَا أَوْقَعْتُ نَفْدِ
خَفْتُ الْحَرِيْقَ بِنَارِ تَقْدِ
لكن أَجَبْتُ فَإِنْ أَجَدُ
إِنَّ الشُّجَاعَ بِلُحْمِهِ
فَاسْلَمْ وَدُمُ فِي نِعْمَةٍ
مَا زَانَ زَهْرُ الرُّوضِ حَزَنَةً

يُقْبَلُ الْأَرْضَ حَيْثُ تَضَعُ الْمَلَائِكَةُ بِهَا الْأَجِنَةَ ، وَيَتَّخِذُ الْأَنَامُ مِنَ الدُّعَاءِ
فِي مَوَاطِنِهَا مَوَاضِيَ الْأَسْلِحَةِ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بِهَا مَا أَحَبَّ ، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ
شَيْءٌ وَإِنْ رَاعَى الْمَصْلَحَةَ ، وَيُعْمَلُ طَلَابُ الْعِلْمِ إِلَيْهَا كُلُّ يَوْمَةٍ (٢) : [من البسيط]

كَأَنَّ رَاكِبَهَا غَضَنُ بِمَرْوَحَةٍ :

[من الطويل]

وَإِنِّي بِتَقْيِيلِي لَكَ الْأَرْضَ وَالثَّرَى عَلَى كُلِّ مَنْ فَاخَرْتُهُ لَفُخُورٍ (٣)
تَقْيِيلًا يُثَبِّتُ بِهِ الْجَوْهَرَ الْفَرْدَ ، فَإِنْ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ لِلْقَبْلِ يَنْجَزَا ، وَيَحْطُ بِهِ
أَنْقَالَ خُطُوبٍ أَعَدَّتْهُ عَنِ اللَّحَاقِ بِهَا عَجَزَا ، وَيَشْرَفُ بِمُشَافَهَةِ تَرْبِهَا ، فَإِنْ نَالَهُ

(١) أي : ماء مجنَّة .
(٢) تمامه ، كما في النهاية لابن الأثير ٢ / ٢٧٣ : إِذَا تَدَلَّتْ بِهِ أَوْ شَارَبَتْ نَمِلُ .
(٣) البيت لتميم بن المعز الفاطمي ، في ديوانه ١٤٤ .

مِنْهَا أَقْلُ الْأَجْزَاءِ أَجْزَا : [من الوافر]

تُرَابُهُمْ وَحَقُّ أَبِي تُرَابٍ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ عَيْنِي الْيَمِينِ
وَيُنْهِي بَعْدَ وَلَا حَكَمَ بِتَصْدِيقِهِ لِمَا تَصَوَّرَهُ كُلُّ مَنْطِقِي وَمِنْطِقِي ، وَدَلَّ
بِالْمُطَابَقَةِ وَالتَّضَمُّنِ وَالْإِتِّزَامِ عَلَى أَنَّهُ فِي الْوَفَاءِ عَرِيقٌ عَرِيقٌ مِنْ تَلَفِ التَّلْفِيقِ ،
وَأَصْبَحَ وَحْدَهُ وَحْدَهُ جَامِعٌ مانِعٌ ، لِأَنَّ جِنْسَهُ الْقَرِيبُ هُوَ الْإِخْلَاصُ وَفَضْلُهُ
التَّحْقِيقُ : [من الطويل]

عُرِفْتُ بِبِصْدَقِ الْوُدِّ فَيْكَ لِأَنَّنِي رَفَعْتُ بِبَلَا عَجْزٍ لِوَاءٍ وَلَا نِي
وَرَفَعَ أَدْعِيَّةَ مَا أَحَلَّ بِرَفْعِ فَرْضِهَا إِنْ بَعْدَ أَوْدُنَا ، وَلَا أَخَذَهَا إِلَّا مِنَ التَّابِغَةِ
حَيْثُ قَالَ : [من الطويل]

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُودُنَا [وَأَنَا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا]
وَلَا أَنْكَرْتَهَا مَلَائِكَةَ الْقَبُولِ إِلَّا مَرَّةً ، ثُمَّ اعْتَرَفْتُ فَصَارَتْ دَيْدَنًا : [من الطويل]
إِذَا رُفِعَتْ يَوْمًا لِلَّذِي الْعَرْشُ خَيَّمَتْ لِصِدْقٍ وَلَا نِي فَيْكَ بَيْنَ الشُّرَاقِ
وَبِتْ أَثْنِيَّةً مَا أَمْسَكَ الْمِسْكُ مَعَهَا رَمَقَهُ ، وَلَا ثَبَّتَ لَهَا الْبَدْرُ حَتَّى خُسِفَ لَمَّا
لَمَحَ مُحَيَّاها وَرَمَقَهُ ، وَلَا طَالَتْ دَهَالِيزُ الْأَنْهَارِ بَيْنَ قُصُورِ الرُّوضِ إِلَّا وَأَنْفَاسُ
الْأَزْهَارِ مِنْهَا مُسْتَرْقَّةٌ^(١) : [من الكامل]

أُنْثِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتُ لِي : قَصَّزْتَ فَالْإِمْسَاكَ عَنِّي نَائِلُ
وُرُودِ الْمِثَالِ الَّذِي مَا لَهُ تَظْيِيرٌ وَلَا مِثَالٌ ، وَلَا جَوَدَ ابْنِ الْعَدِيمِ فِي الْوُجُودِ إِلَّا
عَلَى سُطُورِهِ ، فَإِنَّهَا لَهُ مِثَالٌ ، وَلَا مَضَى لَهُ حُسْنٌ ، حَتَّى تُدْخِلَ سَيْنَ الشُّرُورِ
عَلَى حَالِهِ فَمُمَيَّزُهُ وَتُخَلِّصَهُ لِلْإِسْتِقْبَالِ ؛ وَلَا تَلْقَاهُ شَاكِي سِلَاحٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ إِلَّا

وَرَاخَ كَمَا قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ^(١) : [من الطويل]

وَلَيْسَ بِبُذِي رُمُحٍ وَلَيْسَ بِنَبَّالٍ

[من الوافر]

بِلَا مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ لِكُلِّ مُغَيِّبٍ حَسَنٍ مِثَالًا^(٢)
كَمْ أَهْدَى أَلْطَافًا ، وَهَزَّ بِالطَّرَبِ أَعْطَافًا ، وَجَعَلَ الْقُلُوبَ أَغْرَاضًا لِسِهَامِ
مَحَاسِنِهِ وَأَهْدَافًا ، وَجَلَبَ الْفَرَحَ ، [١٨٥] وَسَلَبَ التَّرَحَّ ، فَأَخَذَ تَاءً مِنَ الثَّانِي
وَأَهْدَى فَاءً ، تَرَوْقُ دُرُّ أَصْدَافِهِ ، وَتَفَوْقُ دَرَارِي أَسْدَافِهِ ، وَكَيْفَ لَا يَهْوُلُ وَكُلُّ
حَرْفٍ مِنْهُ جَاءَ لِمَعْنَى ؟ وَكَيْفَ لَا يَطُولُ وَكُلُّ لَفْظٍ مِنْهُ قَدْ اسْتَقَرَّ مِنَ الْبَدِيعِ
بِمَعْنَى ؟ وَكَيْفَ لَا يُغْرِبُ وَالْأَبْصَارُ تُلَفَّتْ إِلَيْهِ بِأَعْيُنِ الْإِعْجَابِ وَتُنْتَى ؟ وَكَيْفَ
لَا يَطْرِبُ وَمَا فِيهِ سَطَرٌ وَاحِدٌ إِلَّا وَيُسْمَعُ مِنْهُ مِثْلُ أَوْ مِثْلِي ؟ .

فَمَا أَحْسَنَ مَا نَظَّمْ وَمَا نَثَرَ ، وَمَا أَجْوَدَ مَا جَرَى فِي مِيدَانِ الْإِنْشَاءِ ، وَمَا غَبَرَ
لَمَّا عَبَرَ وَمَا عَتَرَ ، وَمَا أَعَفَّ كَلَامُهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَلْتَمِسْ مِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ شَيْئًا ، وَهُوَ
يَعْلَمُ « أَنْ لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثْرَ » ، وَمَا أَتَقَنَ مَا رَتَّبَ وَرَتَّلَ لَمَّا سَاقَ الْمَثَلَ
وَالشَّاهِدَ وَالْأَثَرَ ، وَمَا كُلُّ مَنْ أَلْقَى الْقَلَائِدَ نَظْمًا^(٣) : [من البسيط]
مِنْ كُلِّ مَعْنَى يَكَادُ الْمَيْثُ يَفْهَمُهُ حُسْنًا وَيَعْبُدُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَهِيَ لَفْظٌ لَا يُقَالُ إِلَّا فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي الْأَذَانِ ،
أَوْ عِنْدَ عَجَبٍ مَا لَهُ مِنَ الْعَيْنِ حَاجِبٌ ، أَوْ عِنْدَ خَبَرٍ لَا يَأْخُذُ إِذْنًا عَلَى الْأَذَانِ ،
أَوْ عِنْدَ خَطْبٍ يَطْرُقُ فَيُضْبِحُ مُلْتَمِسُ الْحَصَى مِنْهُ وَهُوَ شَدَانُ .
وَحَقُّ لِي أَنْ أَقُولَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ؛ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ خَرَقَ الْعَادَةَ ، وَاسْتَعْبَدَ

(١) ديوانه ٣٣ ، وصدرة : وليس بذِي رُمُحٍ فِطْعَنِي بِهِ X .

وفي أ : ولا بِنَّالٍ .

(٢) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢٢٦/٣ .

(٣) البيت لأبي تمام ، في ديوانه ٤٩٠/٤ .

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢٥٩/٣ .

السَّادَّةَ ، واستقرب ما استبعد من مدى المادَّة ، وأخرج الأدباء عما سلكوه من
الجادَّة ، وأخرج الكتاب حتى كلَّ ظبي أقدامهم الحادَّة .

ولقد عالجت بديعه جراحات الفراق ، فإنَّه لها كالمزهم ، وأنفت لعجزى
أنفة جبل عليها جبلة بن الأيهم ، وأفلس في جوابي ، فلو وجدت سطرًا مثله
يُبَاع ، كنت كما قال بعض العرب : اشتريته بوالله ألف درهم ؛ لأنَّه تلعب بي
تلعب الأفعال بالأسماء ، والبطر بأهل الصحة والنعماء ، وخلصني سجع هذه
الحمامة ، وسلبني زهر هذه الكمامة ، وغلبني سكر هذه المدامة^(١) : [من الوافر]

ومن حكمت كاسك فيه فاحكم له بإقالة عند العشار
وقد عولت على الفكر في أن يلم شعث قريحتي ويضم ، وقلت للقلَم : هلم إلى
المساعدة على هذا الجواب ، فقال : لا أهلم^(٢) : [من الطويل]

وأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساعاً لِنائبه الشجاع لصمما
ولما ثقل على رأسي هذا الجبل الراسي ، ولم يفد فيه إنساني قبل
إنساني ، وأفصت بي الحال إلى نسيان ما كنت أعلمه ، ولا غزو فقد قرأ سعيد
ابن جبيرة ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة : ١٩٩] وقد قال أبو الفتح
البستي^(٣) : [من البسيط]

..... واغذز فأول ناس أول الناس

رجعت إلى ما عندي من فوائد مولانا ، أعز الله نوافذ أحكامه ، وما زينت
بزهره من مروج تعلقي وأكامه ، فلم أدع بقعة ، ولا سبباً إلا وأثرت فيه

أثراً ، وأثرت نفعه ، ولفقت هذا الجواب ، وهو كمن يقال : من كل زوق
زقعة ، حتى شملتني سعادتك ، وحملتني بل جملتني إفادتك : [من الكامل]

ما زال يوقن من يؤمك بالغنى وسواك مانع فضله المحتاج
وقد أثبت الحصا عن المرجان ، وضاق بي وادي الإنشاء كما اتسع لمولانا
من نظمه ونثره المرجان ؛ وأما بيت أبي الحسن علي ، فإنَّه أحكم تأسيس
بنيته ، ورفع بكم نون قافيته ، وحرم سكناه على غيركم ؛ ولو حرك مولانا نون
رويه لعام في بحر فضلكم ، وما كان الله تعالى أوجد هذا البيت إلا لهذا
البيت ، وللدلالة على فضل الحي منه والميت : [من الطويل]

ولا كل زندي يزدهي بسواره ولا كل فرق لاق من فوقه تاج
وأما قول مولانا : وما وما ، وما أقول وكل دمشق ما ؛ فهذه نكتة يأخذ
الفاضل حسنها مبرهنًا والغبي مسلماً ؛ وأما ما وصفه من حال مضر المحروسة
عليه ، وإقبالها عليه^(١) ، وإذلالها لذئبه ، فما يقول المملوك إلا : [من الطويل]
تغايّر أقطار البلاد محبة عليك فهذا القطر يخسّد ذا القطر
لا بل يقول : [من الطويل]

تغايّرت الأقطار فيك فواحد لفقدك يكي أو لقربك يسّم
وكل مكان أنت فيه مبارك وفي كل يوم فيه عيد وموسم
ولا شك في أن الديار كأهلها كما قيل تشقى بالزمان وتنعم
وأما ما وصفه من حال الحسدة الباغين ، والمردة الطاغين ؛ فقد رد الله
كيدهم في نحرهم ، وزخر تيار مولانا فأغرق وشل نهرهم : [من الطويل]

ولو علموا ما يعقب البغي قصروا ولكنهم لم يفكروا في العواقب
ولو لم يكن مولانا في هذا الكمال ما حسد على ما هو عليه من غنائم

(١) من قصيدة للعطوي ، في زهر الآداب ٤٤٨ .

(٢) البيت للمتلّمس ، في ديوانه ٣٤ وثمار القلوب ٦٢٩/٢ .

(٣) ديوانه ١١٠ . وصدره : نسيت عهدك والنسيان معتقر .

المعالي ، ولا ودَّت النفوس الظَّالِمَةُ أَنْ تُسَلِّبَهُ ما وَهَبَهُ اللهُ وهو أبهى وأبهَرُ من عُقود اللَّآلِي ، ولا تَمَالَوْا على اهْتِصَامِ قَدْرِهِ ، وَكَمْ هذا التَّمَادِي فِي التَّمَالِي ^(١) : [من البسيط]

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً ولم تَجِدْ لِلنَّاسِ حَسَاداً
فالحمد لله على النَّصْرَةِ ، وَضَعَفِ أَقْوَالِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَتَزَجَّجِ أَقْوَالِ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ ، وما يُغْلَقُ بَابٌ إِلَّا وَتُفْتَحُ دُونُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَبْوَابٌ ؛ وعلى كُلِّ حَالٍ
أَبُو نَضْرٍ أَبُو نَضْرٍ ، وَعَبْدُ الْوَهَّابِ عَبْدُ الْوَهَّابِ ، وما يَقُولُ الْمَمْلُوكُ فِي مَوْلَانَا
إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : [من الكامل]

مَنْ بِالسَّنَانِ يَصُولُ عِنْدَ فِطَامِهِ لَمْ يَخْشَ آخَرَ بِالسَّنَانِ يُفَعِّعُ
وما بَقِيَ غَيْرُ الْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ وَثَبًا ، وَأَنْ يَقُولَ لِرِكَابِهِ الشَّرِيفِ :
أَهْلًا وَسَهْلًا وَرُحْبَى ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

٥٣ * علي بن الحسين بن القاسم بن منصور بن علي ^(٢) :

السَّيِّخُ الْإِمَامُ ، الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ ، الْمُفَقِّنُ ، ذُو الْفَضَائِلِ الْمُتَوَعِّةِ ، زَيْنُ الدِّينِ
أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ ، الْمَوْصِلِيِّ ،

(١) البيت للمغيرة بن حبياء في معجم الشعراء ٢٧٣ وريبع الأبرار ٥٧٧/٣ وبهجة المجالس ٤١٥/١ والمستطرف ٥٠/٢ - ٥١ .

وهو لعمر بن لجأ في ديوانه ١٣٨ والحماسة البصرية ١٤٢/١ ووفيات الأعيان ٣٨٣/٦ . وينسب لحاتم الطائي في أسرار الحكماء ١٣٦ وديوانه ٢٩٤ . واستشهد به سفيان بن معاوية المهلب في عيون الأخبار ٩/٢ .

(٢) ترجمته في : أعيان العصر ٣٣٥/٣ والوافي بالوفيات ٥٢/٢١ وطبقات الشُّبكي ١٣٦/١٠ ووفيات ابن رافع ٣٢٦/١ وتذكرة النبيه ١٨٥/٣ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٧٠/٢ والذَّور الكامنة ٤٣/٣ والنجوم الزاهرة ٩٧/١٠ والمنهل الصافي ٦٥/٨ واللبيل الشافي ٤٥٤/١ والذيل التام ١٤٠/١ وبغية الوعاة ١٦١/٢ وشذرات الذهب ٣٠٥/٨ والبدر الطالع ٤٤٢/١ .
- مولده سنة ٦٨١ هـ . ووفاته سنة ٧٥٥ هـ .

الشافعي ، ابن شَيْخِ الْعُوَيْتَةِ ^(١) .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ قَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْحِجَازِ ، فِي سَنَةِ ٧٥٠ (٢) :

[من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا الْقُرْآنُ أَكْبَرُ مُعْجَزٍ لِأَفْضَلِ مَنْ يُهْدَى بِهِ الثَّقَلَانِ
[٨٦] وَمِنْ جُمْلَةِ الْإِعْجَازِ كَوْنُ اخْتِصَارِهِ بِإِيجَازِ أَلْفَاظٍ وَبَسْطِ مَعَانٍ
وَلَكِنِّي فِي « الْكَهْفِ » أَبْصَرْتُ آيَةً بِهَا الْفِكْرُ مِنْ طُولِ الزَّمَانِ عَنَانِي
وَمَا ذَاكَ إِلَّا « اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا » فَقَدْ نَرَى « اسْتَطَعَمَاهُمْ » مِثْلَهُ بَيَّانٍ
فَمَا الْحِكْمَةُ الْغَرَاءُ فِي وَضْعِ ظَاهِرٍ مَكَانَ ضَمِيرٍ إِنَّ ذَاكَ لِشَانٍ

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ ^(٢) : [من الطويل]

سَأَلْتَ لِمَاذَا « اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا » أَتَى عَنْ « اسْتَطَعَمَاهُمْ » إِنَّ ذَاكَ لِشَانٍ
وَفِيهِ اخْتِصَارٌ لَيْسَ ثَمَّ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى سَبَبِ الرُّجْحَانِ مُنْذُ زَمَانٍ
فَهَاكَ جَوَاباً رَافِعاً لِنَقَابِهِ يَصِيرُ بِهِ الْمَعْنَى كَرَأْيٍ عِيَانٍ
إِذَا مَا اسْتَوَى الْحَالَانِ فِي الْحُكْمِ رُجِّحَ الضَّ

ضَمِيرٌ وَأَمَّا جِنِّ يَخْتَلِفَانِ كَرَفَعَةِ شَانٍ أَوْ حَقَارَةِ جَانٍ
كَمِثْلٍ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ ذَا وَمَا نَحْنُ فِيهِ صَرَّخُوا بِأَمَانٍ
وَهَذَا عَلَى الْإِيجَازِ وَاللَّفْظِ جَاءَ فِي جَوَابِي مُثَوَّرًا بِحُسْنِ بَيَانٍ
فَلَيْسَ لِكُلِّ بِالْقَرِيبِ يَدَانِ فَلَيْسَ لِكُلِّ بِالْقَرِيبِ يَدَانِ
وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الشَّعْرَ يُرْزَى بِهِمْ فَلَا يَكَادُ يُرَى مِنْ سَابِقِ بَرَهَانٍ

(١) انظر سبب تلقيب جدّه الأعلى علي بشيخ العُوَيْتَةِ ، في الوافي ٥٣/٢١ .

(٢) الأبيات في أعيان العصر ، والوافي ٥٦/٢١ و٨٦ ، والذَّور الكامنة ، والأشياء والنظائر للسيوطي ١٣٩/٤ ؛ وستكرر في الترجمة ٥٦ .

ولا تَسْنِي عِنْدَ الدُّعَاءِ فَإِنِّي سَأُبْدِي مَزَايَاكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِمَا طَعَى بِهِ قَلَمِي أَوْ طَالَ فِيهِ لِسَانِي
● وَكَتَبَ بَعْدَ ذَلِكَ نَثْرًا فِيهِ طُولٌ ؛ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ كَامِلًا فِي تَرْجَمَتِهِ ، فِي
تَارِيخِي الْكَبِيرِ « الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ » (١) .

٥٤ * عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ [بْنِ عَلِيٍّ] بَنَ أَبِي بَكْرٍ بَنَ أَبِي الْخَيْرِ مُحَمَّدٍ (٢) :

الْعَدْلُ الْفَاضِلُ ، الْمُحَدِّثُ ، الْفَصِيحُ ، الْبَارِعُ ، عَزُّ الدِّينِ ، أَبُو الْخَيْرِ ابْنُ
الشَّيْخِ بَهَاءِ الدِّينِ ، الْمَوْصِلِيُّ الْحَنْبَلِيُّ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ سُؤَالَ (٣) : [مَنْ السَّرِيعُ]

يَا أَيُّهَا الْفَاضِلُ أَوْضَحْ لَنَا مُبْهَمَ أَمْرٍ لَمْ يَبَيِّنْ حُكْمَهُ
فِي رَجُلٍ نَسَبْتُهُ أَشْكَلْتُ إِذْ كَانَ عَمِّي وَأَنَا عَمُّهُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [مَنْ السَّرِيعُ]

أُمُّ أَبِي زَوْجِهِمَا مِنْ أَخٍ لِأُمِّهِ فَافْهَمْ لِمَنْ عَمِّي
فَأَوْلَدَا بَيْنَهُمَا وَاحِدًا عَمًّا لِمَنْ أُمُّهُ لِمَنْ أُمُّهُ

● وَكَتَبَ إِلَيَّ : [مَنْ الْبَسِيطُ]

أَبْشِرْ بِوَصْلٍ مِنَ الْمَخْبُوبِ عَنْ كَتَبِ يَا قَلْبُ بِالرَّغْمِ مِنْ ضِدِّ وَمُزْتَقِبِ
فَكَمْ رَقِيبٍ ثَنَاهُ الْقُرْبُ مُكْتَتِبًا خَيْرَانَ نَضَبَ عُيُونِ الْهَمِّ وَالنَّصَبِ

(١) وكذلك أورده السيوطي في الأشباه والنظائر ٤/ ١٤٠-١٤٧ .

(٢) ترجمته في : تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢٣٠ وإتباع الغمر ٢/ ٢٦٨ والدرر الكامنة ٣/ ٤٣ والمنهل
الصادق ٨/ ٦٣ والدليل الشافعي ١/ ٤٥٣ .

- وفاته سنة ٧٨٩ هـ .

- في س : علي بن الحسين بن أبي الخير موسى ! .

(٣) سقط البيتان وجوابهما من س .

خَابَتْ مَسَاعِيهِ لَمَّا رَامَ فُرْقَتَنَا
مِنْ غَادَةٍ وَثَبَاتُ اللَّيْلِ كَامِنَةٌ
ضَرَبَ مِنَ السَّخَرِ يَجْرِي فِي لَوَاحِظِهَا
أَجْرَى سَحَائِبَ دَمْعِي بَرَقَ مَبْسَمِهَا
وَبَدُرُ تَمَّ إِذَا مَا لَاحَ فِي صَعْدِ
فِي الطَّرْفِ مِنْهُ شَبَا هِنْدِيَّةٍ قُضِبَ
لَمَّا تَسَبَّبَ فِي قَتْلِي أَرَاقَ دَمِي
يَظَلُّ نَاطِرُهُ مِنْ سِخْرِ نَاطِرِهِ
لَمْ أَنْسَهُ إِذْ بَدَا كَالْبَدْرِ طَلَعَتْهُ
يَجْلُو عَلَى الثَّدْمَاءِ الزُّهَرِ فِي فَلَكِ
فَهِيَ الْعَرُوسُ أَتَتْهَا وَهِيَ لَا بَسَةَ
فَاسْتَجَلَ وَاشْرَبَ عَلَى وَجْهِ الرِّبْعِ فَكَمْ
فَالرَّوْضُ يَضْحَكُ بِالْأَزْهَارِ مُبْتَهَجًا
لَكِنْ شَقَائِقُهُ شَقَّتْ مَلَابِسَهَا
وَتَحْتَ أَشْتَارِ أَوْرَاقِ الْغُصُونِ قِيَا
كَأَنَّ فِي كُلِّ عُودٍ عُودَ غَايَةِ
وَالْحُبِّ مِنْ سُكْرِهِ قَدْ بَاتَ يُرْشِفُنِي
تَعَبْتُ حَتَّى بَلَغْتَ الْوَصْلَ مِنْهُ وَمَا
وَمَا خَلِيِّي يَنَامُ اللَّيْلَ مِثْلَ فَتَى
مِثْلَ الْإِمَامِ صَلَاحِ الدِّينِ سَيِّدِنَا
فَشَأْنُهُ دَأْبُ مَا شَأْنُهُ مَلَكٌ

وَأُنَجِّحَتْ لِي مَسَاعٍ قَطُّ لَمْ تَخْبِ
فِي لَحْظِهَا بَيْنَ أَخْيَاسٍ مِنَ الْهُدُبِ
يَخْمِي لَمَى طَعْمُهُ أَخْلَى مِنَ الصَّرْبِ
غَلِطْتُ مَا الْبَرَقُ يَخْكِي لَمْعَةَ الشَّنْبِ
وَلَّى وَأَذْبَرُ صَبْرِي عَنْهُ فِي صَبَبِ
وَالْقَدُّ لَيْسَ قَنَاءَ خَطِيئَةِ سُلْبِ
يَا وَنَحْ قَلْبِي بِلَا ذَنْبٍ وَلَا سَبَبِ
مَا يَبِينُ مُبْتَهَجٍ مِنْهُ وَمُكْتَتِبِ
فِي لَيْلٍ شَعْرِ قَوْلِي الْبَدْرُ فِي هَرَبِ (١)
قَدْ صِينَعُ مِنْ فَضَّةٍ شَمْسًا مِنَ الذَّهَبِ
ثَوْبَيْنِ ضِدَّيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ لَهَبِ
[٨٦ب] فِي وَجْهِهِ إِذْ بَدَا مِنْ مَنْظَرٍ عَجَبِ
لَمَّا بَكَاهُ الْحَيَا مِنْ طَرْفٍ مُنْتَجِبِ
أَيْدِي نَسِيمِ الصَّبَا فِي مَأْتَمِ السُّحُبِ
نُ الْوُزْقِ شَقَّتِ الْأَسْمَاعَ بِالطَّرَبِ
تُجِيدُ ضَرْبًا وَلَمْ تَبْرُزْ مِنَ الْحُجُبِ
مِنْ رِيْقِهِ الْعَذْبِ مَا يَجْلُو صَدَا كُرْبِي
يَجْنِي الْفَتَى رَاحَةً إِلَّا مَنْ التَّعَبِ
يُسَيِّرُ الْعَزْمَ بَيْنَ الْحَزْمِ وَالذَّأْبِ
بَحْرِ الْعُلُومِ إِمَامِ الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
وَالْجِدِّ فِي الْجِدِّ غَيْرِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ

(١) في ب : × في حرب .

مَلِيكَ عِلْمٍ بَدَا بِالْجُودِ طَالِبُهُ
وَجَاشُهُ جَيْشُهُ وَالرَّأْيُ رَايَتُهُ
وَمَا صَفَائِحُهُ إِلَّا صَحَائِفُهُ
مَوَاهِبُ الْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ لِي كَثُرَتْ
مَكَارِمٌ قَدْ هَمَّتْ كَابِنِ الْعِمَامَةِ مَعَ
يَا ذَا الرَّفِيعَتَيْنِ مِنْ قَدَرٍ وَمِنْ هِمَمٍ
يَا ذَا الْمَلِيحَيْنِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ خُلُقٍ
وَدَّى لَكُمْ جَوْهَرٌ حَاشَاهُ مِنْ عَرْضِ
اسْتَجْلٍ وَاسْتَحْلٍ مِنْ مَذْحِي مُنْقَحَةٍ
وَطَائِرُ الْيُمْنِ فِي مَذْحِي وَلَيْسَ لَهُ
وَمَا انْتَحَلْتُ كَلَامَ النَّاسِ أَسْرِقُهُ
الْمَغْرِبِيِّ لَدَيْهِ الْعَقْلُ أَغْرَبُ مِنْ
نَذْلٍ دَنِيءٍ لَيْسَ الطَّنْبَعُ ذِي سَفَهٍ
الصُّدُقُ مَذْحِي وَلَكِنْ قَوْلُهُ كَذِبٌ
مَوْلَايَ رَامَ بَعَادِي عَنْ جَنَابِكُمْ
وَكَانَ سَيْرِي سَيْرًا غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
رَأَفْتُ بِي ثُمَّ قَدْ أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا
فَظَلُّنَا بِكَ ظِلٌّ غَيْرُ مُنْقَلِبٍ
تَهَنَّ يَا مَوْلَايَ بِالشَّهْرِ الْعَظِيمِ وَبِالْ
وَاسِعَدَ بِإِنْيَانِ شَهْرٍ أَنْتَ صَائِمُهُ

فَقَاصِدُ الْفَضْلِ مِنْهُ قَطُّ لَمْ يَخْبِرْ
وَفِكْرُهُ النَّبْلُ إِنْ يَزْمِي بِهِ يُصِيبُ
فِيهَا الْيَرَاغُ يَتَوَبُّ الشُّمْرُ فِي الثُّوبِ
مِنْهُ فَرَوَتْ ثَرَى مِنْ رَنْبَعِي الْجَدِبِ
فَوَائِدُ بِمَعَانٍ كَابِنَةِ الْعَيْبِ
يَا ذَا الْبَدِيعِينَ مِنْ خَطِّ وَمِنْ آدَبِ
يَا ذَا الرَّجِيحِينَ مِنْ عَقْلِ وَمِنْ آدَبِ
فَكَيْفَ عَدَّتُهُ أَغْدَائِي بِمُخْشَلَبِ
طَابَتْ وَطَائَتْ وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ تَطِبْ
نَقْدٌ وَنَقَرٌ كَمَنْشُوبٍ بِلَا نَسَبِ
كَمِثْلِ ذِي آدَبٍ عَارٍ مِنَ الْآدَبِ
عَنْقَاءٌ مُغْرَبٌ لَمْ تُوجَدْ وَلَمْ تُصَبِ
لِلْقَوْلِ مُنْتَصِبٍ بِالْجَهْلِ مُعْتَصِبِ
وَالْفَخْرُ بِالصُّدُقِ لَيْسَ الْفَخْرُ بِالْكَذِبِ
فَلَمْ يَتَلَّ قَطُّ تَنْفِيسًا مِنَ الْكُرْبِ
وَكَانَ بُرْجِي بُرْجًا غَيْرَ مُنْقَلِبِ
أَفْدِيكَ يَا مَالِكِي مِنْ مُشْفِقٍ حَذِبِ
وَوَزَدْنَا مِنْكَ وَزْدٌ غَيْرُ مُؤْتَسِبِ
أَجْرُ الْعَمِيمِ وَدُمُ فِي أَشْرَفِ الرُّتَبِ
فِي نِعْمَةٍ فِي مَدَى الْأَيَّامِ وَالْحَقَبِ

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ ارْتِجَالًا : [مَنْ الْبَسِطُ]

أَهْلِهِ دَوْحَةً مَيَّاسَةً الْقُضْبِ أَمْ تُغَرُّ كَأْسٍ تَبْدَى بِاسْمِ الْحَبَبِ

أَمْ خَدُّ أَغْيَدَ قَدْ وَشَّاهُ سَالِفُهُ
أَمْ السَّمَاءُ كَسَاهَا اللَّيْلُ حُلَّتُهُ
أَمْ عِقْدُ دُرٍّ نَفِيسٍ قَدْ خُصِصْتُ بِهِ
رَوَى الْحَدِيثَ فَرَوَى أَنْفُسًا ظَمِئَتْ
إِنْ قَالَ حَدَّثْنَا أَوْ قَالَ خَبَّرْنَا
إِيرَادُ ذِي مَنْطِقٍ جَزَلٍ فَصَاحَتُهُ

تَسْمُو عَلَى مَنْ سَمَا فِي الشَّعْرِ وَالْخُطْبِ (١)

لَوْ كَانَ قَابِلَهُ فِي ذَلِكَ ابْنُ عَسَا
أَوْ جَارَ فِي أُذُنِ الْجَوَزِيِّ مَنْطِقُهُ
أَهْدَيْتَ نَحْوِي عِزَّ الدِّينِ غَانِيَةً
يَأْتَتْ تُغَارِلُنِي أَلْحَاطُ أَشْطَرِهَا
فَهِنْتُ مِنْهَا مَعَانِيهَا فَهِنْتُ بِهَا
أَنْزَلْتَنِي فَوْقَ مِقْدَارِي بِمَذْحِكٍ لِي
فَإِنْ فَقِيرِي بِإِدٍ لَا خَفَاءَ بِهِ
وَأَنْتَ مِمَّنْ سَمَتْ فِي الْفَضْلِ هِمَّتُهُ
وَطَارَ كُلُّ مَطَارٍ فِي حُصُولِ مَعَا
فَمَا نَرَى حَجَلًا إِلَّا اكْتَسَى حَجَلًا
وَقَصَرَ الصَّفَرُ عَنْ شَأْوٍ تُحَاوِلُهُ
وَمَا أَغْرَزَتْ عَلَى أَلْفَاظٍ غَيْرِكَ فِي
وَلَمْ تَحْنُ لِخَلِيلٍ قَدْ صَفَا وَنَفَى

[١٨٧] كَرَّ لَمَّا كَانَ نَجَاهُ سِوَى الْهَرَبِ
لَمَّا رَأَيْنَا لَهُ لُبًّا مِنْ الرَّهَبِ
مِنْ نَظْمِكَ الْمُتَنَقَّى مَعْسُولَةَ الشَّنَبِ
فَأَسْكَرْتَنِي وَلَا سَكْرَ ابْنَةِ الْعِنَبِ
وَمَالَ عِطْفِي بِهَا مِنْ شِدَّةِ الطَّرَبِ
وَلَسْتُ مِمَّنْ عَلَا فِي شَامِخِ الرُّتَبِ
وَلَيْسَ عِنْدِي إِلَّا قَلَّةُ الْآدَبِ
وَجَاءَنَا بَيَّانٌ بَيْنَ الْعَجَبِ
نَيْهِ وَلَمْ يَكُ فِيهَا قَاصِرَ السَّبَبِ
كَذَا الْعُقَابُ رَأَيْنَاهَا بِلا عَقَبِ
وَلَوْ عَلَا الْجَوُّ لَاضْطَدَّنَاهُ بِالْخَرَبِ (٢)
شَيْءٌ تُحَاوِلُهُ يَا طَيْبَ الْحَسَبِ
عَنْهُ الْأَذَى وَالْقَدَى مِنْ سَالِفِ الْحَقَبِ

(١) سقط البيت من ب .
(٢) الخرب : ذكر الجباري .

كذا يكون الكرام الطيبون إذا ما عاملوا الناس في جد وفي لعب
فاغز إذا شاب هذا النظم هلهلة ولم تجد بينه مستوثق الطنب^(١)
واصفح فما هي إلا بنت ساعتها بلا مسودة وأغفر ولا تعب
● وكتب هو إلي ملغزاً :

يا إماماً شاع ذكره، وطاب نشره، فطيب الوجود وعطر، وفاضلاً بين كل
معمى ومترجم، وأرخ وترجم، وعمن غبر عبر، وكتب فكبت الأعادي، وكبت
من دون خطه وحظه فرسان الأذهان والأيادي، فتخطى قوام قلمه وتحظر^(٢) : [من
الطويل]

إذا أخذ القزطاس خلت يمينه تفتح نوراً أو تنظم جوهراً
ما اسم ثلاثي الحروف، وهو بغض الظروف، ماضٍ إن تصحفه عاد فعل
أمر، وإن ضمنت أوله صار مضارعاً؛ فاعجب لهذا الأمر؛ إن أردت تعريفه
بأل تنكر، أو تعيرت عليه العوامل فهو لا يتغير، كل يوم يزيد في بُعد، ولا
تقدر على رده، إن نزعت قلبه بعد قلبه فهو في لعبة الترد موجود، وقلبه
« سما » فلا تناله الأحزاب والجنود، وكل ما في الوجود إلى حاله يعود، به
يضرَب المثل، ومنه انقطع الأمثل، ثلثه حرف استفهام، وإن تعكس يطرِد
ذلك النظام، وثلثه الأول كذلك، وعكس ثلثيه يترك الحي هالكاً في
الهوالك، لا يوصف إلا بالذهاب، وليس له إلى هذا الوجود إياب، وهو
ثلاثة وعدده فوق المئة^(٣)، وكم رحل يفتة بعد فتة، وجد وليس في الوجود،
بني وفيه « أس » ولكن لا في السماء ولا في الأرض ولا في هبوط ولا في

صعود، طرفاه اسم لبعض الرياحين المعطرة^(١)، وكله جزء من الياسمين لمن
اعتبره، مكسور لا يجبر، وغائب لا يستحضر، أقرب من رجوعه منال
معكوسه، يذكركه العاقل بفكره وليس من محسوسه؛ أبنة لا زلت تزيل
الإشكال، وتزين الأضراب والأشكال : [من السريع]

[٧٨ب] يا ملك العلم ويا من غدا خادمه في الدهر سغد السعد
صريف أعلامك يا سيدي يخشى كما يخشى زئير الأسود^(٢)
وحقق قزطاسك من تحتها كأنه في الوقع حقق البنود^(٣)
ورأيك الرايات والجاش جيد ش لا يلاقى والعلوم الجنود
لا زلت في عز وفي نعمة تسر خلاً وتسوء الحسود

● فكتبت أنا الجواب إليه، وهو في « أمس » : [من السريع]

يا فاضلاً أعلامه لم تزل تحوكم ما يكتبه كالبرود
وناظماً إن قال شعراً فقد أزلت قوافيه بذر العقود^(٤)
ومن إذا ألغز شيئاً فقد أنجز في الإبداع منه السعود
ومن له كالماء في رقة ذهن رمى جمر الغضا بالخمود
بقدر ما عندك من خاطير متقيد أصبح عندي جمود

وقف المملوك على هذا اللغز الذي أبدعته، وفهم بسعدك السر الذي
أودعته، فوجدته ظرفاً ملائمة منك ظرفاً، واسماً بُني لما أشبه حرفاً، ثلاثي
الحروف، ثلث ما انقسم إليه الزمان من الظروف؛ إن قلبته « سما »، وأراك

(١) آس .

(٢) في هامش م : ط : ص رير .

(٣) سقط البيت من م .

(٤) سقط عجز هذا البيت مع صدر ما يليه، فتلفق ما بقي منهما .

(١) في س : . . . إذا شاب نسج النظم . . . × .

(٢) البيت لابن المعتز، في ديوانه ٤٧٩/١ وأدب الكتاب للصولي ٨٥ .

(٣) كلمة « أمس » بحساب الجمل (١٠١) . الألف = ١ . والميم = ٤٠ . والسين = ٦٠ .

حَزَفَ تَنْفِيسٍ ، وما بَقِيَ مِنْهُ « ما » ؛ ثَلَاثُهُ « مَسٌّ » ، وَكُلُّهُ بِالتَّخْرِيفِ
« أَمْسٍ » ، وَهُوَ بِلا أَوَّلٍ تَصْحِيفُهُ « مُبَيَّنٌ » ، وَفِي عَكْسِهِ « سَمٌّ » تَعَيَّنَ ، التَّقْيِ
فِيهِ سَاكِينَانِ فَبَيَّنِي عَلَى الْكُسْرِ ، وَوَقَعَ بِذَلِكَ فِي الْأَسْرِ ، لَا يَتَصَرَّفُ بِالْأَغْرَابِ ،
وَلَا يَدْخُلُهُ تَنْوِينٌ فِي لِسَانِ الْأَغْرَابِ ، يَبْعُدُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَيَنْطِقُ بِهِ وَمَا تَحَرَّكَ
فِيهِ لِسَانٌ ، لَا يُذَرِّكُ بِاللَّمْسِ ، وَلَا يُرَى فِيهِ ثُلَاثُ « شَمْسٍ » ، تَتَغَيَّرُ صَيغَتُهُ حَالَةَ
النِّسْبَةِ إِلَيْهِ ، وَيَدْخُلُهُ التَّنْوِينُ إِذَا طَرَأَ التَّنْكِيرُ عَلَيْهِ ، مَتَى بَاتَ فَاتٌ ، وَلَمْ يَعُدْ لَهُ
إِلَّا الْكَافُ الْفَاتُ^(١) : [من السريع]

أَمْسٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قُرْبِهِ يَعْجِزُ كُلُّ النَّاسِ عَنْ رَدِّهِ
فَمَا ضِيَهُ مَا يَرُدُّ ، وَثَانِيَهُ مَا يُصَدُّ ، وَطَرِيقُ ثَالِثِهِ مَا يُسَدُّ^(٢) : [من الطويل]
ثَلَاثُهُ أَيَّامٌ هِيَ الدَّهْرُ كُلُّهُ وَمَا هِيَ غَيْرُ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَالْعَدِ
قَدْ اسْتَوْعَبَ مَوْلَانَا أَوْصَافُهُ ، وَضَمَّ إِلَى دَائِرَةِ الْحُسْنِ أَطْرَافُهُ ، فَمَا تَرَكَ فِيهِ
بَعْدَهُ فَضْلَةً تَلْتَقِطُ ، وَلَا مُعْجَمًا يُهْمَلُ أَوْ يُنْقَطُ ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَتِمَّ كُنْهِ الْمَمْلُوكِ فِيهِ
مِنَ الْعَمَلِ ، وَلَمْ يَتَلُغْ مِنَ الْإِبْدَاعِ فِيهِ نِهَآيَةَ أَمَلٍ ، وَخَبَطَ فِي هَذَا الْجَوَابِ خَبَطَ
الْعَشَوَاءِ ، فَاخْتَلَطَ الْمَزْعِيُّ بِالْهَمَلِ ، وَقَالَ : هَذَا يَوْمٌ صِفِّينَ مَعَ عَلِيٍّ أَوْ يَوْمُ
الْجَمَلِ ؟ وَاللَّهُ يُتِمُّعُ الْوُجُودَ بِهَذِهِ الْفَوَائِدِ الْعَزِيزَةِ ، وَالْمَحَاسِنِ الَّتِي لَا تَنْشُرُ مَعَهَا
الْمَطَاوِي الْبَرِيزَةُ ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^(٣) .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مُلْغِزًا : [من المجتث]

يَا فَاضِلًا ذَا عُلُومٍ سَمَتْ بِذِهْنٍ شَرِيفٍ
مَا اسْمٌ لِشَيْءٍ لَطِيفٍ يَأْتِي بِمَعْنَى مُنِيفٍ

مُدَوَّرُ الشَّكْلِ لَكِنْ لَهُ ثَلَاثُ حُرُوفٍ
يَسِيرُ طَوْرًا بِخَيْرٍ وَتَوَارَةً بِخُوفٍ
أَصَمُّ يُضْغِي إِلَى النَّجْوَى ، أَخْرَسُ يُفْصِحُ بِالْدَّعْوَى ، لَهُ لِسَانَانِ وَعَيْنٌ
وَاحِدَةٌ ، وَقَامَةٌ تَرَاهَا عِنْدَ إِسْدَاءِ الْمَعْرُوفِ مَائِدَةً ، يَسْجُدُ عِنْدَ سَمَاعِ الْآيَاتِ ،
وَيَجْرِي وَلَيْسَ لَهُ رَجُلَانِ إِلَى الْغَايَاتِ : [من المجتث]

[١٨٨] إِذَا عَلَا صَخْرٌ خَدٌّ حَلَاهُ بِالتَّخْرِيفِ
وَإِنْ مَشَى وَهُوَ حَافٍ سَمِعْتَ حُسْنَ الصَّرِيفِ
وَكَمْ لَهُ مِنْ أَيَادٍ تُطِيعُ أَمْرَ الْكُفُوفِ
إِنْ سَاقَ قَوْلًا ثَقِيلًا أَتَى بِمَعْنَى خَفِيفِ

كَبِيرُ الْقَدْرِ ، صَغِيرُ الْجِزْمِ ، يُقْطَعُ لِسَانُهُ وَمَا أَتَى بِجُزْمٍ ، يُحْيِي الْأَمَالَ بَيِّدٍ
وَيَقْتُلُ بِالْأُخْرَى وَلَا يَدِي ، وَإِذَا انْعَكَسَ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي^(١) ، شَجَرَةٌ
تَمُرُّهَا يُخْجَلُ اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ، غُضُنٌ فَيْنَانُ ، يَمِيسُ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَانِي فِي
بُسْتَانٍ ، يَسْكُنُ إِلَى الرَّاحَةِ فَيُنْعِبُهَا وَيَتَعَبُ ، وَيُقْطَعُ إِذْ بِرَأْسِهِ يَلْعَبُ ، كَمْ أَثَارَ
حَزْبًا عَوَانُ ، وَنَفَثَ مِنْ عَقْدِهِ سِحْرًا جَهْدَتْ مِنْهُ الْفُرْسَانُ : [من المجتث]

سَهْمٌ وَيَزْمِي سِهَامًا تُعَدُّ فَوْقَ الْأَلُوفِ
وَإِنْ بِكُلِّ خَلِيلٍ نَاسٌ لِكُلِّ أَلُوفِ
فَلَمْ تُصَحَّفْ لَهُ إِلَّا رَأَيْتَ عِلْمَ اللَّطِيفِ
أَبْنَاهُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَجُدْ بِلَفْظِ ظَرِيفِ
فِي قَلْبِهِ عَنِ التَّوَدُّدِ وَالْإِنْطِبَاعِ أَسْفَارُ ، وَمِثْلُهُ تَعَكَّفُ عَلَيْهَا الْأَطْيَارُ ، إِنْ

(١) من قول النابغة الذبياني : [ديوانه ٣٧]

كَالْأَمْحُورِ غَدَاةً غِبَّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

(١) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ١٠١٦/٣ .

(٢) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ٣٥٠/١ .

(٣) وسقط ما بعد ذلك من س إلى نهاية الترجمة .

عَصَى عَلَى غَيْرِكَ أَجَابَكَ أَنَّى تَدْعُوهُ ، وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْكَ كَالْمِقْيَاسِ يُفْرَحُ قَلْبَ مَنْ يَرْجُوهُ ، وَكَيْفَ لَا وَأَصَابِعُ الْبَحْرِ الْخُلُو تَعْلُوهُ ؛ وَاللَّهُ يَكْشِفُ بَعْلَمَ مَوْلَانَا عَنَّا مِنَ الْجَهْلِ غُمَّ ، وَيُدِيمُهُ لِحَدَمِهِ مَا جَرَى فِي لَوْحِ قَلَمٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابَ عَنْهُ ارْتِجَالاً ، وَهُوَ فِي « قَلَم » : [من المجتث]

يَا مَنْ يَحُلُّ الْمُعَمَّى مِنْهُ بِذَوْقٍ لَطِيفٍ
وَمَنْ تَحُلُّ الْمَعَانِي مِنْهُ بِطُودٍ مُنِيفٍ
وَمَنْ إِذَا قَالُوا لُنْزَاً أَتَى بِشَيْءٍ ظَرِيفٍ
دَانٍ إِلَى كُلِّ فَهْمٍ عَلَى الْقُلُوبِ خَفِيفٍ

يَا مَوْلَانَا ، هَذَا الَّذِي قَصَدْتَ الْغَايَةَ ، وَعَوَّضْتَ عَنِ الْحَقِيقَةِ مَجَازَهُ ، يَسْجُدُ لِبَارِيهِ ، وَيَتَعَبُ إِذَا كَانَ فِي كَفِّ الْمَوْلَى مَنْ يُجَارِيهِ ، يُزَجِّمُ عَنْ ضَمِيرِ الْفُؤَادِ ، وَيَزِينُ الْبَيَاضَ بِالسَّوَادِ ، يَسْعَى عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ، وَيَبْرُضُ الطُّرُوسَ فَيَضِلُّ مَنْ شَبَّهَ الزَّهْرَ بِأَنْفَاسِهِ ، قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِي الْكِتَابِ ، وَجَعَلَهُ فِي الْبَنَانِ نَائِباً عَنِ الْبَيَانِ فِي الْخُطَابِ : [من المجتث]

كَمْ قَدْ أَتَاكَ فُتُوحاً وَكَمْ أَتَى بِخُتُوفٍ
وَلَيْسَ يَطْعَنُ يَوْماً سِنَانُهُ فِي الضُّفُوفِ
وَكَمْ أَبَاكَ الْعَطَايَا فِي تَالِيدٍ وَطَرِيفٍ
إِذَا طَفَا الْجُودُ مِنْهُ لَمْ يَقْتَنِعْ بِالطَّفِيفِ

أَحَاشِيكَ مِنْ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ بَعْضِهِ مِنَ الْعَوَانِي تَحْكُمُ عَلَى الْقَلْبِ بِسَلْبِهِ ، إِنْ حَذَفَتْ أَوَّلَاهُ كَانَ حَرْفَ سَلْبٍ ، وَإِنْ طَرَحْتَ ثَنِيَاهُ كَانَ أَمراً مِنَ الْوُثْبِ ، وَإِنْ نَقَضْتَ أَخْرَاهُ كَانَ أَوَّلَ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَإِنْ حَذَفْتَ مِنْ إعْجَامِهِ نَقْطَةً فِي هَذِهِ

الْحَالَةَ فَهُوَ كِنَايَةٌ فِي النَّاسِ عَنْ بَعْضِ الْأَشْخَاصِ ^(١) : [من المجتث]

قِرَافٌ كُلُّ وَزِيرٍ وَزَيْنٌ كُلُّ شَرِيفٍ
لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءَ حَتَّى يُعِينَهُ بِرَدِيفٍ
لَأَنَّهُ مَعَ سَطَاهُ تَلْقَاهُ جِدّاً ضَعِيفٍ
لَكِنْ يَرُدُّ الرِّزَايَا مِنْهُ بِرَأْيٍ حَصِيفٍ

[٨٨ ب] فِيهِ الْمُنَى وَالْمَنُونُ ، وَآخِرُ وَسْطِهِ آخِرُهُ ^(٢) ؛ فَاعْجَبْ لِسِرِّهِ الْمَكْنُونِ ، يُلَارِئُ الْأَسْفَارَ وَهُوَ مُقِيمٌ ، وَيُدْفَعُ الْمُغْضَلَاتِ وَهُوَ سَقِيمٌ ؛ فَسُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَهُ لِلْمَوْلَى يُدِيرُهُ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيُصَرِّفُهُ فِي فُنُونِ الْإِنْشَاءِ ، لَا زَالَ الْبَيَانِ طَوْعَ بَنَانِهِ ، وَنَفَثَاتِ فِيهِ وَلِسَانِهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● (٣) وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ حَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ : [من السريع]

تَعَطَّرِي يَا نَسَمَاتِ الرِّيحِ بِنَفْحَةِ الزَّهْرِ إِذَا الزَّهْرُ فَاحٌ
وَكَلَّمَا اسْتَعْبَرَ دَمْعُ الْحَيَا فَرَفَرِقَيْنِهِ فِي خُدُودِ الْبَطَاحِ
وَرَنَحِي أَعْطَافَ غُضَنِ النَّفَا إِذَا تَغَنَّتْ فِيهِ ذَاتُ الْجَنَاحِ
وَنَشَّرِي مِنْ طَيِّ أَوْرَاقِهِ أَزْراً عَلَى مِثْلِ قُدُودِ الْمِلَاحِ
وَنَثَّرِي مَنْ نَظَّمِ أَزْهَارِهِ دُرّاً بِهِ تُزْهِى عُقُودُ الرِّوَاخِ
وَصَافِحِي التَّرْجِسَ فِي مَرْجِهَا وَغَازِلِي تِلْكَ الْعُيُونِ الْوَقَاحِ
وَذَكِّرِينَا بِزَمَانٍ مَضَى بِالنَّاسِ مَعَ تِلْكَ الْوُجُوهِ الصُّبَاخِ
وَحَبَّرِي الْمُشْتَقَّ عَنْهُمْ فَفِي ذِكْرَاهُمْ لِلْقَلْبِ أَيُّ انْشِرَاحِ
يَا وَنَحْ صَبَّ عَنْهُمْ مَالَهُ إِنْ بَرَّحَ الشُّوقُ بِهِ مِنْ بَرَاخِ

(١) قَل = فُلَان .

(٢) وَسْطُهُ « لَام » آخِرُهُ مِيم . وَهُوَ آخِرُ « قَلَم » .

(٣) مِنْ هُنَا إِلَى نِهَآيَةِ التَّرْجُمَةِ ، مِنْ بَ فَقَط .

إِنْ فَسَدَتْ بِالْبَيْنِ أَحْوَالُهُ
الْفَاضِلُ الْحَبْرُ الْكَرِيمُ الَّذِي
وَهُوَ الَّذِي إِنْ رَقَمْتَ كَفُّهُ
وَهُوَ الَّذِي أَعْطَا أَشْعَارِهِ
وَهُوَ الَّذِي لَاحَتْ مَعَانِيهِ فِي
لَا أَوْحَشَ الرَّحْمَنُ مِنْ وَجْهِهِ

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من السريع]

فَفِي صَلَاحِ الدِّينِ يَرْجُو الصَّلَاحُ
زَانَتْ عَطَايَاهُ سَمَاءَ السَّمَاحِ
طِرْسًا فَقَدْ حَلَّ الدُّجَى فِي الصَّبَاحِ
تَوَشَّحَتْ بِالْدُّرِّ أَيَّ اتِّشَاحِ
أَلْفَاطِهِ غُرًّا وَضَاءً وَضَاحِ
وَمِنْ مَعَانِيهِ الصُّحَاكِ الْفِصَاحِ

جَاءَتْ وَقَدْ لَاحَ مُحْيَا الصَّبَاحِ
وَلِلصَّبَا بَيْنَ الرُّبَا وَتُبَّةُ
وَالْأَفْقُ عُطِّلَ مِنْ نُجُومِ الدُّجَى
فَأَخْجَلَتْ وَجْهَ الْحَبِيبِ الَّذِي
فِيَا لَهَا خَمْرَةٌ نَظْمٍ وَقَدْ
ثُمَّ اغْتَبِطَ إِنْ لَمْ بِهَا اغْتَبِطَ
وَدِدْتُ أَنَّ الْبَيْنَ مَا بَيْنَنَا
كِي أَتَمَلَّى بِالثَّوَانِي الَّتِي
فَهِيَ قَوَافِيكَ الَّتِي صَيَّرَتْ
فَمَا عَسَى تَطْلُبُ مِنِّي إِذَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضًا مِنْ حَلَبَ : [من المتقارب]

وَأَيَّامُ صَبَوَتِي الْمَاضِيَةِ
مُدْبِجَةِ الذُّبُلِ وَالْحَاشِيَةِ
فَأَقْبَضُ ذَا الْمُقْلَةِ السَّاجِيَةِ
فُطُوفُ الْأَمَانِي بِهَا دَانِيَةِ

أَلَا حَبَا عَيْشَتِي الرَّاضِيَةِ
وَيَا طِيبَ أَوْقَاتِ وَضَلِّ مَضَتْ
لِيَالِي أَنْصَبَ فَخَّ الْهَوَى
وَيَا حُسْنَ جَلَّقَ مِنْ جَنَّةِ

رِحَابٌ مَشَارِبُهَا صَافِيَةٌ
تَمَازِلُ أَغْصَانُهَا مُذْ شَرِبْنَ
جَوَارِي أَنْهَارِهَا قَدْ غَدَتْ
مَغَانٍ يُلْدُ سَمَاحُ الْغِنَا
إِذَا سَافَ طِيبَ شَذَاهَا الْعَلِيلُ
كَأَنَّ الْغَمَامَ إِذَا جَادَهَا
يَمِينُ صَلَاحِ لِدِينِ الْإِلَهِ
فَلَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْ وَجْهِهِ

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من المتقارب]

عَذَابٌ بِشَائِرِهَا ضَافِيَةٌ
بِكَأْسِ الصُّبَا مِنْ يَدِ الْغَادِيَةِ
بِجَوْهَرِ أَزْهَارِهَا حَالِيَةِ
بِهَا مِنْ هَوَاتِفِهَا الشَّادِيَةِ
كَسَتْ جِسْمَهُ حُلَّةَ الْعَافِيَةِ
يَمِينُ لِسَيِّدِنَا هَامِيَةِ
إِمَامٌ لَهُ الْهِمَّةُ الْعَالِيَةِ
وَلَا زَالَ مِنْ نِعْمَةٍ بَاقِيَةِ

فَمَيَّزَتْ بَيْنَ الْوَرَى حَالِيَةِ
تَمَامًا بِأَسْطَرِهَا الدَّاجِيَةِ
فَأَمَّتْ لَهَا الشُّعْرَا جَائِيَةِ
فَلِإِنْ دُمُوعِي لَهَا جَارِيَةِ
فَعَيْنِي بِهَا قَدْ جَرَتْ سَاقِيَةِ
سَحَائِبُ إِذْ أَبَكَّتِ الْهَامِيَةِ
فَقَدْ أَرْخَصَتْ عِنْدِي الْغَالِيَةِ
وَكَمْ لَكَ يَا بَحْرُ مِنْ رَاوِيَةِ
وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي الصَّنَى بَاقِيَةِ
فَلَيْتَ عَلَى عَيْنِكَ الْوَاقِيَةِ
بِتَأْكِيدِ خِدْمَتِكَ الْعَالِيَةِ
شَرِيعَةً عَيْنٍ غَدَتْ دَامِيَةِ
فَشَيَعْتُكَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةِ

أَتَتْنِي أَيْبَاتُكَ الْحَالِيَةِ
تَلُوحُ بُدُورُ الْمَعَانِي لَنَا
لَهَا زُخْرُفٌ قَدْ سَبَا خَاطِرِي
فَلِإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتَهَا غَادَةً
وَإِنْ كُنْتُ حَبَّرْتُهَا رَوْضَةً
لَقَدْ رَوَّضْتُ طِرْسَهَا لِلْوَرَى
وَيَا طِيبَ نَفْحَةِ أَزْهَارِهَا
سُطُورُكَ أَنْهَارُ فَضْلٍ جَرَتْ
أَتَتْنِي وَقَدْ عَبَّثَتْ بِي النَّوَى
فَأَهْدَتْ لِعَيْنِي طَيْفَ الْكَرَى
وَلَكِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْحَشَا
وَلَمْ تُطَفِ نَارًا يَغْرِزُ الْحَشَا
أَلَا يَا عَلِيَّ الْقَرِيبُ افْتَحِرْ

وقد شَبِعَ النَّاسُ مِمَّا رَوَوْا وَلِلْخُلُوِّ وَسَطَ الْحَشَا زَاوِيَةً

٥٥ * علي بن داود بن يحيى بن كامل بن يحيى بن جبارة بن عبد الملك بن يحيى بن عبد الملك بن موسى بن جبارة^(١)، يَنْتَهِي إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ:

الشَّيْخُ الْإِمَامُ ، الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ ، الْفَرِيدُ الْكَامِلُ ، النَّحْوِيُّ ، الْأُصُولِيُّ ، الْفَقِيهَ ، الْأَدِيبُ ، نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْقَاضِي عِمَادِ الدِّينِ ، الْقَحْفَازِيُّ الْحَنْفِيُّ .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَطْلُبُ مِنْهُ مَا أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَرْجُمَتِهِ فِي « تَارِيخِي الْكَبِيرِ » عَلَى الْعَادَةِ^(٢) : [من الخفيف]

يَا مُفِيدَ الْوَرَى مَعَانِي الْمَعَالِي وَإِمَامَ الْأَنَامِ فِي كُلِّ عِلْمٍ
إِنَّ لِي مُعْجَمًا كَأَفْتِي فَسِيحٍ أَشْتَهِي أَنْ يُزَانَ مِنْكَ بِنَجْمٍ
فَتَأَخَّرَ جَوَابُهُ إِلَيَّ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ^(٣) : [من الطويل]

ظَفِرْتُ بِوَعْدِ مِنْكَ بَلَّغْنِي الْمُنَى وَجُودُكَ نَجْمَ الدِّينِ لَيْسَ يَحُولُ
وَقَدْ طَالَ لَيْلِي لِانْتِظَارِ وُروِدِهِ وَلَيْلُ الَّذِي يَزْعَى النُّجُومَ طَوِيلُ
● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(٣) : [من مجزوء الرجز]

يَا سَائِلِي عَنْ نَسَبِي وَمَوْلِي دِي وَأَدَبِي

(١) ترجمته في : ذيل العبر ٢٤٥ وأعيان العصر ٣٥٦/٣ والوافي بالوفيات ٨٣/٢١ وفوات الوفيات ٢٣/٣ والجواهر المضية ٢٨٣/٤ وفوات ابن رافع ٢١٣/١ وتذكرة النبيه ٧٤/٣ والبداية والنهاية ٤٧٥/١٨ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٤٣١/١ والذرة الكامنة ٤٧/٣ والمنهل الصافي ٧٣/٨ والدليل الشافي ٤٥٥/١ والذيل التام ٧٣/١ والدارس ٥٤٧/١ - ٥٤٨ ٤٢٦/٢ وبغية الوعاة ١٦٦/٢ وشدرات الذهب ٢٤٨/٨ .

- مولده سنة ٦٦٨ هـ . ووفاته سنة ٧٤٥ هـ .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي .

(٣) القصيدة في أعيان العصر والوافي .

وَمَا قَرَأْتُ فِي الْعُلُوِّ وَمَنْ أَخَذْتُ ذَاكَ عِنْدَ
وغيرهم ممن حوى وما الذي سمعته
صلّى عليه الله ما أحر وذكر شئني صغته
وما الذي صنفته لولا وجوب حزمه إل
ما قلت ذلك خشية يقول إنني قلت
لكنما البخل بما والمفتضى مني له
وهو خليل في الرخا وهمة في جمع شئ
وما صلاح الدين إل هذا الذي أوجب لي
عن مختلي ومولدي فقلت غير آمين
مختصراً مقتصراً ما ستراه واضحاً
لا زلت للفضل حمى

م من شريف الكتب ه من شيوخ مذهبي
سر كلام العرب عن النبي العربي
لذلك جئح غيب من شعري المنتخب
من كتب وخطب قضي ورعي الرتب
من حاسد مؤنب مفتخراً بحسبي
سئلت لا يحسن بي لا أتلي في الطلب
وعدة في الكرب لى الفضل لا في الشب
لا في اقتناء القرب يا صاح كشف الحجب^(١)
وفضلي المختجب من عائب مندب
معتزلاً من رهبني مرسماً عن كتب^(٢)
وليتني كالأب

(١) في م : هو الذي . . . × .

(٢) في ب : مما تراه واضحاً × .

تَجْمَعُ شَمْلَ ذُنُوبِهِمْ مُخْلَداً فِي كُتُوبِ

● وَأَنْشَدْتُهُ يَوْماً قَوْلِي بِالذِّبَارِ الْمِصْرِيَّةِ^(١) : [من البسيط]

رَكِبْتُ فِي الْبَحْرِ يَوْماً مَعَ أَخِي آدَبٍ فَقَالَ : دَغْنِي مِنْ قَالٍ وَمِنْ قَيْلٍ
شَرَحْتَ يَا بَحْرُ صَدْرِي الْيَوْمَ، قُلْتُ لَهُ : لَا تُنْكِرِ الشَّرْحَ يَا نَحْوِي لِلنَّيْلِي

فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ ، وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ هُوَ إِلَى [١٨٩] الشَّيْخِ بَذْرِ الدِّينِ
مُحَمَّدَ بْنَ بَصْخَانَ^(٢) ، وَقَدْ أَقَامَ بِمِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ^(٣) : [من الكامل]

يَا غَائِباً قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَلْبُهُ بِسَوَى دِمَشْقَ وَأَهْلُهَا لَا يَغْلَقُ
إِنْ كَانَ صَدِّكَ نَيْلٌ مِصْرٍ عَنْهُمْ لَا غَرَوْ فَهَوَ لَنَا الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ

● فَأَنْشَدْتُهُ لِنَفْسِي فِي مَعْنَى رُزْقَةِ النَّيْلِ^(٤) : [من الخفيف]

قَالَ خِلِّي بِاللهِ صِفَ أَرْضَ مِصْرٍ وَقَتَ كَتَانِهَا بِوَضْفٍ مُحَقَّقٍ
قُلْتُ : أَرْضُ النَّيْلِ يُرَوَّى ثَرَاهَا فَلِهَذَا الْكَتَّانَ نَوَّرَ أَزْرَقُ^(٥)

* * *

(١) البيتان في حسن المحاضرة ٢/٣٢١ .

(٢) محمد بن أحمد بن بَصْخَانَ ، شيخ القراء بدمشق ، توفي سنة ٧٤٣ هـ . ضبطه المؤلف في الوافي ١٥٩/٢ بقوله : بفتح الباء الموحدة ، وسكون الصاد المهملة ، وبعد الخاء المعجمة ألف ونون .

(٣) البيتان في أعيان العصر والوافي والفوات .

(٤) البيتان في حسن المحاضرة ٢/٣٥١ والكشف والتنبيه ٢٩٦ .

(٥) في م : . . . يزهي ثراها × .

(*) وجاء في خاتمة « م » :

تمَّ الجزء الأول من كتاب ألحان السَّوَابِجِ بين البادية والمراجع للمولى العلامة صلاح الدين الصُّفْدِي رحمه الله عليه في حادي وعشرين من شهر شوال الكريم أحد شهور سنة ستين وألف هجرية . والحمد لله وحده .